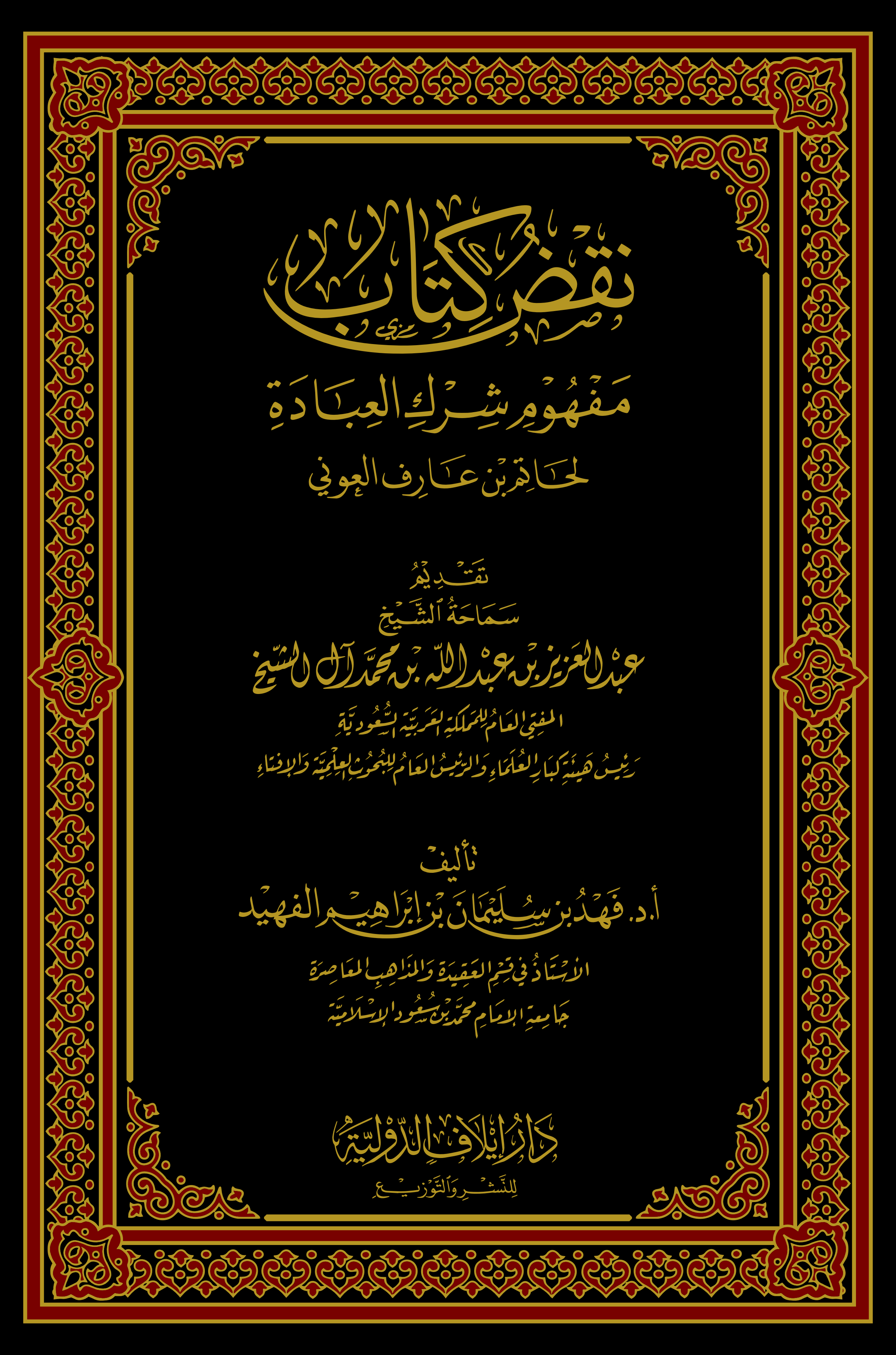

نقض كتاب
مفهوم شرك العبادة
لحاتم بن عارف العوني
تقديم
سماحة الشيخ
عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ
المفتي العام للمملكة العربية السعودية
رئيس هيئة كبار العلماء والرئيس العام للبحوث العلمية والإفتاء
تأليف
أ.د. فهد بن سليمان بن إبراهيم الفهيد
الأستاذ في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
دار إيلاف الدولية
للنشر والتوزيع



نقض كتاب

مَفْهُوم شِرْكِ العِبَادَةِ

للأُسْتَاذ الدُّكتور حاتِم بن عارِف العوني

تأليف

أ.د. فهد بن سُلَيمَان بن إبْرَاهِيم الفهيد



١٤٤٦ هـ - ٢٠٢٤م

دار إيلاف الدولية
للنشر والتوزيع

دولة الكويت

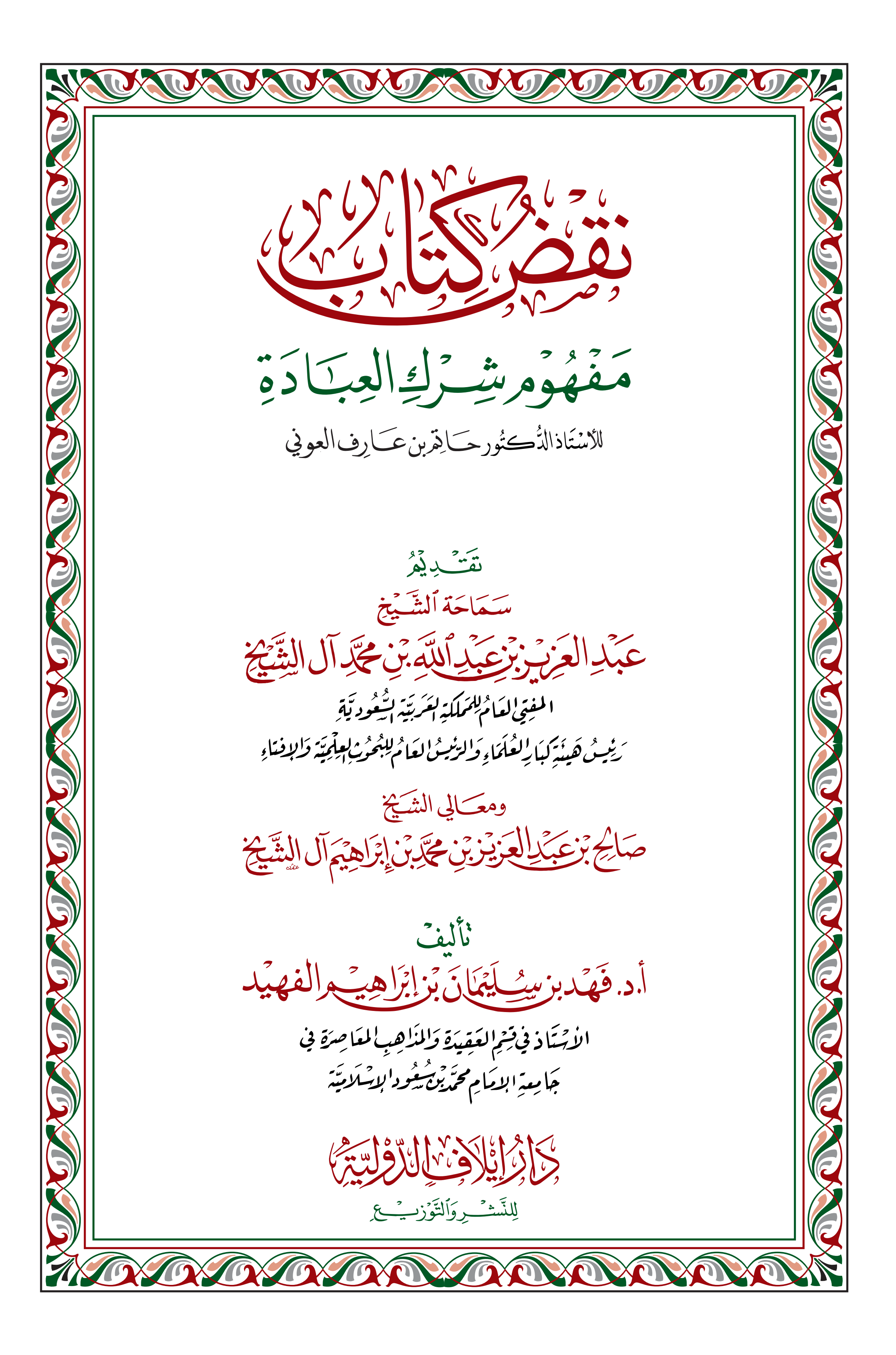
فرع حولي : شارع المثنى - بجوار مجمع البدري

هاتف : ٩٦٩٩٩١٨٢ - ٩٨٨٥٦٥٠٥ / ٠٠٩٦٥

(دار وقفية دعوية)

المدير العام : د . فرحان بن عبيد الشمري

falaslmi@gmail.com



نقض كتاب

مفهوم شرك العبادة

للأستاذ الدكتور حاتم بن عارف العوني

تقديم

سماحة الشيخ

عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ

المفتي العام للمملكة العربية السعودية

رئيس هيئة كبار العلماء والرئيس العام للبحوث العلمية والإفتاء

ومعالي الشيخ

صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ

تأليف

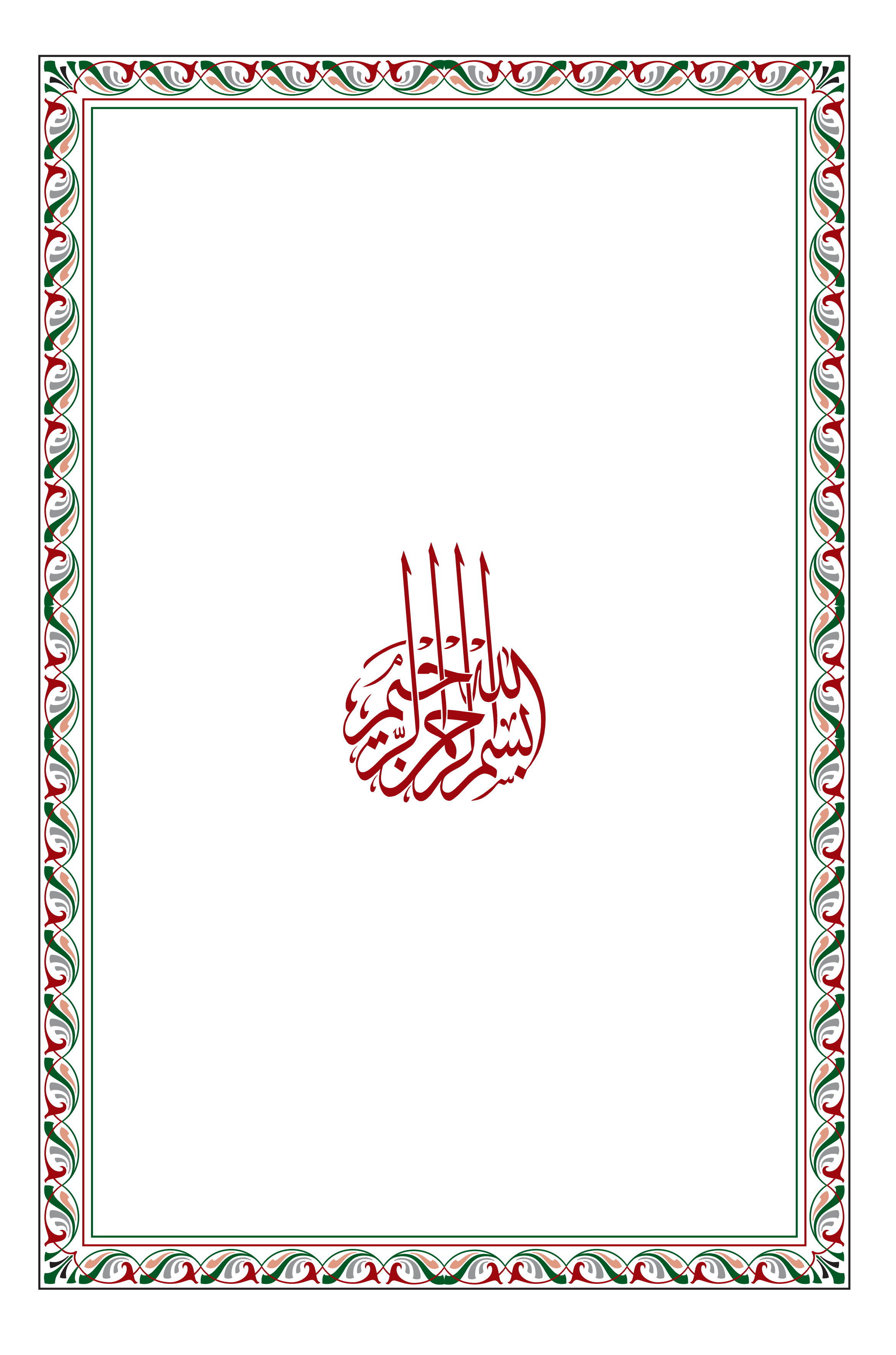
أ.د. فهد بن سليمان بن إبراهيم الفهيد

الأستاذ في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة في

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

دار إيلاف الدولية

للنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم سماحة الشيخ

عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ

المفتي العام للمملكة العربية السعودية

المملكة العربية السعودية
الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء
الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء
-٢٤١-

بسم الله الرحمن الرحيم



الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء
الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء

رقم المعاملة 245009021
التاريخ 1445/08/02
المرفقات 3

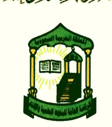
الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد :

فإن الله سبحانه وتعالى خلق الجن والإنس لعبادته ، قال جلّ وعلا : ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ سورة الذاريات الآية رقم (٥٦) ، وأرسل جميع الرسل لبيان هذا الأمر العظيم فقال عزّ وجلّ : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ سورة الأنبياء الآية رقم (٢٥) ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ سورة النحل الآية رقم (٣٦) ، ونهى جلّ وعلا عن الشرك ، وتوعد صاحبه بالخلود في النار فقال : ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ سورة النساء الآية رقم (٣٦) ، وقال : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ سورة النساء الآية رقم (٤٨) ، وقال ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ سورة المائدة الآية رقم (٧٢) ، والتوحيد الذي دعت إليه الرسل وأنزل الله به الكتب هو توحيد الإلهية المتضمن توحيد الربوبية وهو عبادة الله وحده لاشريك له ، فمن لم يعبد إلا الله وحده فإنه لم يقر بربوبية غيره ، بخلاف الإقرار بتوحيد الربوبية فإنه لايكفي فقد أقر به عامة المشركين ولم ينفعهم ذلك كما قال تعالى : ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ سورة يوسف الآية رقم (١٠٦) ، قال ابن عباس : " من إيمانهم أنهم إذا قيل لهم من خلق السموات ومن خلق الأرض ومن خلق الجبال ؟ قالوا : الله ، وهم مشركون به " ، وقد أخبر الله عن إقرارهم بذلك في قوله : ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ سورة العنكبوت الآية رقم (٦١) ، وفي قوله ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ سورة المؤمنون الآيات من(٨٤ ـ ٨٩) وإذا كانوا مقرين بهذه الأمور فهذا إقرار منهم بعموم ربوبيته وتدبيره لكل شيء وهو مع هذا قد



المملكة العربية السعودية
الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء
الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء
-٢٤١-

بسم الله الرحمن الرحيم



الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء
الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء

رقم المعاملة 245009021
التاريخ 1445/08/02
المرفقات 3

أخبر أنهم مشركون ، ونزّه نفسه عن شركهم لكونهم عبدوا معه غيره ، لا لكونهم اعتقدوا أن للعالمين ربًّا معه ، كما قرر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - وغيره ، وقد وقع في الشرك الأكبر فئام من الناس لأنهم يذبحون لغير الله ، وينذرون لغير الله ، ويستغيثون بالأموات ويدعونهم ويطلبون منهم الشفاعة ، وغير ذلك من أنواع العبادة ، وهم مع هذا مقرون بأن الله هو الخالق الرازق المدبر ، ولكن لاينفعهم ذلك ، لأنهم صرفوا العبادة لغير الله ، وقد هوّن بعض أهل البدع من شأن هذه الأعمال الشركية وغيرها ووصفها بأنها مجرد معصية لاتصل إلى درجة الكفر وهذا من أبطل الباطل مخالف لكتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ وإجماع السلف ولهم في ذلك شبهات قديمة واهيه فنّدها علماء الإسلام - رحمهم الله - منذ زمن ، وقد كتب فضيلة الشيخ أ . د / فهد بن سليمان الفهيد - وفقه الله وسدده - كتابا بعنوان : (نقض كتاب مفهوم شرك العبادة) نقض فيه عدداً من الضلالات وفنّد الشبهات الباطلة معتمداً في نقضه على كتاب الله عزّ وجل وسنة رسوله ﷺ بفهم سلف الأمة ومن تبعهم من العلماء المعروفين بسلامة المعتقد ، وبين بطلان ما ادعاه وقرره الكاتب في توحيد الألوهية والربوبية ومايضاد ذلك من الشرك ، وغيرها من المسائل المتعلقة بالتوحيد ، وقد أجاد فضيلة الشيخ أ . د/ فهد في رده وأفاد وبذل في ذلك جهداً مشكوراً فجزاه الله خيراً على ماقدم من نصح ، وبارك فيه ، ونفع بكتابه المسلمين ، وإني لأنصح طلاب العلم بقراءة كتاب فضيلته والاستفادة منه .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . ، ، ،

المفتي العام للمملكة العربية السعودية

رئيس هيئة كبار العلماء والرئيس العام للبحوث العلمية والإفتاء

عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّه ربِّ العالمين، وأشهد أن لا إله إلا اللّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله صلى اللّه عليه وسلم تسليمًا.

أما بعد: فقد طَلَبَ مِنِّي أخي فضيلةُ الشَّيخ الدكتور فهد بن سليمان الفهيد الاطِّلاعَ على كتابه الذي سمَّاه: «نقض كتاب «مفهوم شرك العبادة» للأستاذ الدكتور حاتم بن عارف العوني»، وكتابةَ مقدِّمةٍ له.

واستجابةً لما طَلَبَه فقد قرأتُ مواضع كثيرةً من هذا الكتاب المُهِمِّ الذي نقَضَ فيه كتابَ «مفهوم شرك العبادة» للأستاذ الدكتور: حاتم بن عارف العونيِّ أستاذ الحديث النبوي في جامعة أم القرى ، وأَجَلْتُ نظري وتفكُّري فيه، وكرَّرتُ مواضعَ منه؛ فأدركتُ أهمِّيَّته وجلالَته:

ففيه تتَبُّعٌ كثيرٌ عظيمٌ لأقوال الصَّحابة وأهل العلم مِنْ بعدِهم في تفسير آيات التَّوحيد والعقيدة، الَّتي تُبيِّن حقَّ اللّه عزَّ وجلَّ وحقَّ رسولِه ﷺ.

وفيه تتبُّعٌ كبيرٌ واسعٌ لفهم الصَّحابة ﷺ ومن تبعهم بإحسانٍ لحال شِرْكِ أعداءِ الرُّسُل الذين اتَّخذوا من دون اللّه ومع اللّه أولياءَ يطلبون منهم النَّفعَ ودفعَ الضُّرِّ في الدُّنيا والآخرة، ليُقَرِّبُوهم إلى اللّه بزَعْمِهم.

وفيه معرفةٌ وعِلْمٌ واسعٌ بأقوال أهل العلم وأئمَّةِ الدِّين في مسائل التَّوحيد (الرُّبوبيَّة، والأُلوهيَّة، والأسماء والصِّفات) حيث إنَّه زاد كثيرًا على المؤلفات في الرُّدود قبلَه في موضوعه ـ حيثُ ما أَشْبَهَ اللَّيلَ باللَّيل، ووَقْعَ الحافِرِ على الحافِرِ ـ فأنار الطَّريقَ لطالب اليقين؛ يقينِ الحقِّ وصوابِه.

ووجدتُه دقيقَ الإيضاح للمسائل في التَّوحيد والشِّرك ووسائِله، وفي السُّنَّة والبدعةِ ووسائلها، يُثَنِّي الرُّدودَ والإيرادَ ليكون أبلغَ في تقرير المسائل، واستحضار الذِّهْن لما فاتَ.

ومؤلِّفُ هذا «النَّقْض» وجامعُ مسائلِه العقديَّة هو الشَّيخُ المتمَيِّزُ في علمه وبحثه واستقصائه الأستاذُ الدكتورُ فهد بن سليمان الفهيد، المتخصِّصُ في العقيدة والمذاهب المعاصرة.

وجاء هذا الكتاب في «التَّخصُّص» الدَّقيق لفضيلة الشيخ فهد؛ ولذا استوعَبَ مسائلَه مناقشةً واستدلالًا. فجزاه اللّه خيرَ ما جزى عالماً عن الأمة في تبصيرها بالحقِّ، وإنارة السَّبيل، والحرص على الاتِّباع وعدم الابتداع، والتَّقرُّب إلى اللّه بإيضاح أعظم حقوقه، وهو عبادته وحده لا شريك له، والحَنَفُ عن كلِّ طريقٍ تُسَهِّلُ اهْتِضَامَ حقِّه، ونَقْصَ تعظيمه ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ﴾؛ فهو المستحِقُّ لأَنْ تأْلَهَهُ القلوبُ وحدَه دونَ خلقه.

ومن العجيب التَّساهل في المخاطرة بالإيمان، ومصير الآخرة بترك اليقين المُجْمَع على صحَّتِه وسلامَتِه، إلى إضافة مشتبهاتٍ عند البعض فيها رعايةٌ لحقوقٍ مُتَوَهَّمَةٍ لبعض من خلَقَه اللّه جلَّ وعلا، والَّذين يعقلون ويعلمون ويتَّقُون لا يخاطرون هذه المخاطرةَ حتَّى لو اشْتَبَهَ بعضُ الأمر عليهم، بل يعودون إلى اليقين، ويقابلون اللّه باليقين.

وصلَّى اللّه على نبيِّنا محمَّدٍ وآله وصحبه.

وكتبه:

صالح بن عبد العزيز آل الشَّيخ

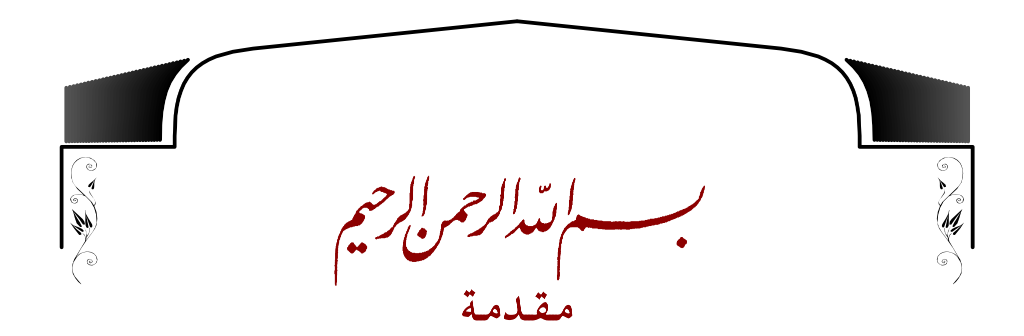
الرياض: ١٥/١/١٤٤٦هـ



الفهرس الإجمالي لمحتوى الكتاب

الموضوع **الصفحة**

❋ ❋ ❋



مقدمة

الحمدُ للّه ربِّ العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلَّا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلَّا اللّه وحده لا شريك له الملك الحق المبين، إلٰه الأولين والآخرين، وقيوم السمٰوات والأرضين، وأشهد أن محمدًا عبدُ اللّه ورسوله وصفيه وخليله وخيرته من خلقه نبينا وإمامنا وسيدنا، صلى اللّه وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وأتباعه بإحسان.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنعام]، و﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [القصص] و﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾﴾ [سبإ] ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾﴾ [الفُرقان]، والحمد للّه الذي لا ملجأ ولا منجى منه إلا إليه لم يخلق الجن والإنس إلا ليعبدوه، وهو اللّه الذي لا إله إلا هو لا تنبغي العبادة إلا له، فهو المعبود بحق، وكل من سواه معبود بباطل، لا مثلَ له، ولا شريكَ له في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، والحمد للّه الذي أرسل رسله لئلا

يكون للناس على اللّه حجة بعد الرسل وجعل زبدة رسالاتهم الدعوة إلى عبادته وحده لا شريك له ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء] وقال تعالى: ﴿وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةً يُعۡبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزّخرُف] وكل رسول يبدأ دعوته لقومه أن يقول: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعرَاف: ٥٩].

والحمد للّه الذي ختم رسالات الأنبياء بمحمد بن عبد اللّه أشرف الأنبياء والمرسلين، وسيد ولد آدم أجمعين، الذي أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، اللّهم صل على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وأتباعه.

والحمد لله الذي أظهر به دين الإسلام، وأكمل للأمة الدين، وأتمّ به النعمة، ودخل الناس في دين اللّه أفواجًا، وسار الخلفاء الراشدون ومن بعدهم على طريقته ﷺ، والحمد للّه على فضله فقد حفظ دينه وكتابه وسنة نبيه ﷺ، ومن فضله سبحانه وتعالى أن أبقى في هذه الأمة طائفةً على الحق منصورين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم إلى يوم القيامة، وهم أهل العلم الذين يسيرون على منهج السلف الصالح، ويدعون إلى ما دعا إليه رسول اللّه ﷺ هم أتباعه حقًّا وصدقًا كما قال اللّه تعالى: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يُوسُف]، وكما قال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فُصّلَت]، وكما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحَشر]، فقوله تعالى: ﴿وَلِإِخۡوَٰنِنَا﴾ إثبات للأخوة وهي تدل على أنهم ساروا على عقيدتهم ومنهجهم في العلم والعمل، ففي قوله تعالى: ﴿سَبَقُونَا

﴿بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ دلالةٌ على أنهم مدحوهم بالسبق والتقدم عليهم في ذلك.

وأسأل الله جلَّ وعلَا لي، ولجميع المسلمين الثبات على التوحيد والسنة، والعافية من كل شرٍّ وفتنةٍ، والهداية إلى صراطه المستقيم.

وقد جرت سنة اللّه تعالى أن يبتلي العباد بنقص الدين؛ فقال النبي ﷺ: **«بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود كما بدأ غريبًا، فطوبى للغرباء»**[1]، وأثنى على من يجدد الدين ويحيي السنة؛ فقال ﷺ: **«إن اللّه يبعث لهذه الأمة على رأس كلِّ مئةٍ سنة من يجدِّد لها دينها»**[2]، وقال ﷺ: **«من دعا إلى هدًى، كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلى ضلالة، كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا»**[3].

ومن أشهر من دعا إلى التوحيد والسنة، وجدَّد الدينَ وأحياه، وحارب الشرك في هذه القرون المتأخرة: الإمامُ المجاهد العلامة شيخ الإسلام في زمانه محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي التميمي النجدي (ت: ١٢٠٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقام بأمر اللّه تعالى ودعا إلى التوحيد ونبذ الشرك والبراءة منه، وجَدَّ واجتهد في هذا الأمر، فأيَّد اللّه الدين بدعوته فانتشرت دعوة التوحيد والسنة وأطفئت معالم الشرك والبدعة في هذه الجزيرة العربية وكثير من البلدان العربية والإسلامية وللّه الحمد والمنة. وقد أيده اللّه بالإمام محمد بن سعود

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣٢).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٢٩١) والطبراني في الأوسط (٦٥٢٧)، والحاكم (٨٥٩٢) وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة.

(٣) أخرجه مسلم (٦٩٠١).

وأبنائه رحمهم اللّه، فأعزَّ اللّه الدين وظهر في البلاد، وعمَّ بالخير العباد والحمد للّه رب العالمين، وما تزال هذه الدولة المباركة ـ المملكة العربية السعودية ـ قائمةً بالحقِّ ناصرة للتوحيد مبطلة لمعالم الشرك، زادها اللّه عزًّا وتوفيقًا.

قال الملك عبد العزيز بن عبد الرحمٰن آل سعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«فالحمد للّه الذي جعل لأهل الحق بقية وعصابة تذب عن دين المرسلين، وتحمي حماه عن زيغ الزائغين وشبه المارقين والملحدين، فلربنا الحمد لا نحصي ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه وفوق ما يُثني به عليه خلقه، وهذه منة عظيمة ومنحة جليلة جسيمة حيث جعلكم اللّه في هذه الأزمان التي غلب على أكثر أهلها الجهل والهوى، والإعراض عن النور والهدى، واستحسنوا عبادة الأصنام والأوثان، وصرفوا لها خالص حق الملك الديان، ورأوا أن ذلك قربة ودين يدينون به، ولم يوجد من أزمان متطاولة من ينهى عن ذلك أو يغيره. فعند ذلك اشتدت غربة الإسلام واستحكم الشر والبلاء، وطمست أعلام الهدى، وصار من ينكر ذلك ويحذر عنه خارجيًّا قد أتى بمذهب لا يعرف، لأنهم لا يعرفون إلا ما ألفته طباعهم وسكنت إليه قلوبهم، وما وجدوا عليه أسلافهم وآباءهم من الكفر والشرك والبدع والمنكرات الفظيعة، فالعالم بالحق والعارف له والمنكر للباطل والمغير له يعد بينهم وحيدًا غريبًا.

فاغتنموا رحمكم اللّه الدعوة إلى اللّه وإلى دينه وشرعه، ودحض حجج من خالف ما جاءت به رسله ونزلت به كتبه من البينات والهدى، وأن تكون الدعوة إلى اللّه بالحكمة والموعظة الحسنة، بالحجة والبيان، حتى يمنَّ اللّه الكريم عليكم بمن يساعدكم على هذا، فإن القيام في ذلك من أوجب الواجبات، وأهم المهمات،

وأفضل الأعمال الصالحات لا سيَّما في هذا الزمان، الذي قل خيره وكثر شره»[(١)].

ومن حكمة اللّه تعالى أن يبتلي اللّه ﷻ الناس بأعداءٍ للدين، ومعاندين، وأتباع للشياطين وأولياء لهم كما قال: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [الأنعام]، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٠].

فمن الابتلاء ومن الفتنة أن يوجد أولياء للشيطان، وأعداء متربصون بأهل الإسلام، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الفرقان]، ومن الحكم العظيمة في هذا الابتلاء أن يظهر الصادق في إيمانه المتمسك بالوحي المعتصم بحبل اللّه، ويظهر الكاذب المتبع للهوى وأئمة البدعة والضلالة ممن أخلد إلى الأرض واتبع هواه، ولا حول ولا قوة إلا باللّه.

فقام هؤلاء الأعداء ضد دعوة التوحيد بالكيد والمكر؛ وسلكوا مسلك الكذب والتشويه، ومسلك الإرجاف والتخويف، ومسلك نشر الشبهات، واستعانوا بكل مفسد في الأرض ليقفوا أمام دعوة الحق، ولكن اللّه تعالى أظهر دينه وأعلى كلمته ولو كره المشركون.

وهؤلاء الأعداء في كل زمن يخرجون بتجديد الباطل، ونشر الشرك والبدع، بالشبهات والحجج الفاسدة؛ حتى إنَّ الناظر ليتعجب:

---

(١) الدرر السنية (١/٥٩٣ ـ ٥٩٤).

كيف أن الخلوف منهم يسلكون طريق من سبقهم بذلك الباطل؟!: ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [الذاريات].

فيحتاج المؤمنون إلى إيضاح الحق وبيان الفرقان بين الحق والباطل وبين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الفرقان].

ومن اتباع النبي الكريم عليه الصلاة والسلام: بيان الحق الذي دعا إليه النبي ﷺ، والصحابة والتابعون لهم بإحسان، والتحذير من سبل الباطل التي عليها شياطين الإنس والجن. قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾ [يوسف: ١٠٨] وقال تعالى: ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأنعام].

والواجب على كل مؤمن ومؤمنة الحذر والبعد عن أصحاب الشبهات والفتن، كما قال تعالى: ﴿وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ﴾ [المائدة: ٤٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ﴾ [المائدة: ٤١]، وقال تعالى: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾﴾ [الإسراء].

* * *

• سبب تأليف هذا الكتاب:

اطلعت على كتاب: «**مفهوم شرك العبادة: تحريره والرد على غلاة التكفير بحجة وقوع المسلمين فيه**» الطبعة الأولى، القاهرة/ بيروت، ٢٠٢٢م تأليف الأستاذ الدكتور: الدكتور حاتم بن عارف العوني؛ فوجدته مشتملًا على عددٍ من الأغلوطات والشبهات، والوقوع في التحريف لبعض النصوص الشرعية، وتحريف بعض أقوال أهل العلم، ولَمْزِ أهل السُّنَّة والجماعة الداعين إلى توحيد اللّه في جميع العبادات ـ بأنهم غلاة التكفير! والخَلْط بينهم وبين من عُرِفوا بالإفساد من خوارج العصر.

وقد طبع كتابه هذا في (مركز نماء)، ومن العجائب أن هذا المركز طبع كتاب «**أسئلة الثورة**»؟!.

وزعم الكاتب أن كتابه هذا فيه: **[الرد القوي القاصم لتقرير أهل الغلو]!**

والحق أن كتابه هذا: كشف فيه عن مبلغ علمه بحقيقة التوحيد الذي جاءت به الرسل وهو إفراد اللّه بالعبادة.

وإن هذه الشبهات التي وردت على الكاتب في باب الاعتقاد، لو أنه تعوّذ باللّه منها، ولجأ إليه، ونظر في كتاب اللّه بتدبر لعرف الحق برحمة الله تعالى، وأسأل الله تعالى أن يمنّ عليه بالهداية والتوفيق ولزوم طريق أهل العلم والتحقيق.

قال الشيخ عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«هذه الشبهات ما زال لها أهلون، يثيرونها كلما درست، ويحيونها كلما خَبَتْ، ليُضِلوا عباد اللّه، ويصرفونهم عن عبادته وحده لا شريك له، وعن تعظيمه جل جلاله اللائق به دون من سواه إلى

عبادة غيره من المخلوقات»[١].

ولم أرَ مؤلف كتاب «**مفهوم شرك العبادة**» يتناول شبهات الخوارج المعاصرين بشيء من النقد، لا رؤساءهم ومنظريهم ولا مؤلفاتهم ولا تنظيماتهم، فلم يذكر لهم اسمًا ولا وصفًا ولا مؤلفًا ولا شبهة فيردَّ عليها.

بل أحسب أن الخوارج يجدون تَشَفِّيًا وراحةً لكتابه من عدة وجوه:

الأول: أنه لم يذكر المسائل التي زاغ فيها الخوارج المعاصرون.

الثاني: أنه ينتقد أئمة أهل السنة من أهل العلم الراسخين فيه، وهؤلاء العلماء هم الذين وقفوا أمام الخوارج وغيرهم ودافعوا عن العقيدة الإسلامية، فإذا قدح فيهم حصل مقصود الخوارج المعاصرين.

الثالث: أنه لم يتناول رؤوس الخوارج المعاصرين بالذم والتحذير، بل إنه عَرَّضَ بكبار العلماء في البلاد مثل الشيخ محمد بن إبراهيم والشيخ ابن باز والشيخ محمد بن عثيمين رحمهم اللّه وغيرهم من أهل العلم[٢].

---

(١) من مقدمة كتاب تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس للشيخ عبدالله أبابطين، ص: ٥.

(٢) وهذا في كتابه مفهوم شرك العبادة فقد وصف كل العلماء الذين يفرقون بين توحيدي الألوهية والربوبية بأوصاف منفرة، وكذلك ينظر كلامه عن الشيخ محمد بن عثيمين رحمه اللّه تعالى في كتابه: شرح الحديث النبوي ص٦٦٠ ـ ٦٦٨، وانظر ما ذكره الشيخ عبدالحق التركماني في كتاب حقيقة توحيد العبادة ص٤٦ ـ ٤٧ من تنقص الكاتب لبعض أهل العلم.

قال سماحة الشيخ العلامة مفتي الديار السعودية ورئيس القضاة محمد بن إبراهيم (ت: ١٣٨٩هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن أسباب بقاء عامتهم على الشرك: أن كثيرًا ممن يدعي العلم والإمامة في الدين منهم من يشارك عبّاد القبور في عباداتهم واحتفالاتهم ويأكل من نذورهم، وإذا شدد الإنكار عليه وانقطعت حجته قال: (هذه مظاهر الكفر) وهذه الكلمة تخفي تحتها أن عقائدهم في التوحيد صحيحة سليمة، ويعتذر بعضهم عن عامتهم: بأنهم جهال أو خرافيون أو صوفية أو ما قصدوا بعبادة أصحاب القبور إلا اللّه فلا يخرجون من دائرة الإسلام بهذه الأفعال وأشباه هذه العبارات التي فيها التهوين من شأن الشرك أو تسويغه، لم يصرح لهم بالتوحيد الذي بعث اللّه به الرسل، ولا بأن ما يفعلونه مثل ما كان يفعل عند اللات والعزى وهبل بل أعظم حتى إن بعضهم يحلف باللّه كاذبًا ولا يحلف بمعبوده إن كان كاذبًا...»[1].

ومما تجدر الإشارة إليه أن الجبرتي ذكر في تاريخه في أحداث سنة ١١٢٣هـ أنه في رمضان تكلم أحد الناصحين بجامع المؤيد: «وذكر ما يفعله أهل مصر بضرايح الأولياء وإيقاد الشموع والقناديل على قبور الأولياء وتقبيل أعتابهم وفعل ذلك كفر يجب على الناس تركه وعلى ولاة الأمور السعي في إبطال ذلك. وذكر أيضًا قول الشعرانيِّ في طبقاته[2] أن بعض الأولياء اطلع على اللوح المحفوظ أنه لا يجوز ذلك، ولا تطلع الأنبياء فضلًا عن الأولياء على اللوح المحفوظ، وأنه لا يجوز بناء القباب على ضرائح الأولياء والتكايا،

(١) من مقدمة شرح كشف الشبهات ص: ١٤ ـ ١٥.

(٢) ومن العجيب أن ذلك الواعظ أنكر ما في كتب الشعراني في تلك السنة: ١١٢٣هـ، وأما هذا الكاتب فإنه يمدح كتابًا للشعراني كما سيأتي ص٤٣ ـ ٤٤.

ويجب هدم ذلك، وذكر أيضًا وقوف الفقراء بباب زويلة»[(١)]، فما كان من علماء الضلالة إلا أن عارضوه بأن «كرامات الأولياء لا تنقطع بالموت، وإن إنكاره على اطلاع الأولياء على اللوح المحفوظ لا يجوز، ويجب على الحاكم زجره عن ذلك»[(٢)].

وهذا قبل ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه اللّه؛ فإن عمره إذ ذاك ثمان سنوات، وهذا يبين أن دعاة التوحيد موجودون في كل زمان، ولكن اللّه يمن على من يشاء من عباده.

ويستفاد من هذا الخبر خطر علماء الضلالة، وأنهم كما قال النبي ﷺ: «**أخوف ما أخاف على أمتي الأئمة المضلون**»[(٣)].

---

(١) تاريخ عجائب الآثار عبدالرحمٰن الجبرتي، وفي طبعة دار الجيل ٨٣/١ ـ ٨٥.

(٢) المصدر السابق، والخطأ الذي وقع فيه هو ومن معه هو الإنكار بالتغيير دون إذن ولي الأمر، وهذا يترتب عليه الافتيات على ولي الأمر ومفاسد أخرى، ولهذا فإن طريقة السلف والعلماء الكبار أن التغيير يكون عن طريق ولاة الامر، فإن لم يستجيبوا فالصبر؛ كما قال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما ذكر له الفقهاء عدم رضاهم بإمرته، ولا سلطانه، فناظرهم أبو عبدالله ساعة، وقال لهم: «**عليكم بالنكرة بقلوبكم، ولا تخلعوا يدًا من طاعة، ولا تشقوا عصا المسلمين، ولا تسفكوا دماءكم ودماء المسلمين معكم، انظروا في عاقبة أمركم، واصبروا حتى يستريح بر، أو يستراح من فاجر**». وبيَّن أن المنازعة لولي الأمر خلاف الآثار التي أمرنا فيها بالصبر، كما نقله الخلال في «كتاب السنة» (١٣٣/١).

وهكذا شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكذلك ما حصل للشيخ محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وغيرهم من أهل العلم الراسخين، ساروا على طريقة واحدة وهي طريقة الكتاب والسنة، فتشغيب الكاتب وغيره على الطريقة السلفية واتهامها باستحلال الدماء والتكفير وأنها تضعف الدول غير مقبول، ومن وقع منه خطأ أو غلو أو انحراف فلا يجني إلا على نفسه ولن يضر الحق شيئًا، ولا يجوز نسبة ضلالات الغلاة والمبتدعة إلى منهج السلف الصالح، وتسمية من فعل ذلك بالسلفية أو السلفيين خطأ كبير وتشويه للحق وأهله.

(٣) أخرجه أحمد (٢٩٣) وغيره، وهو صحيح انظر: السلسلة الصحيحة (١٥٨٢).

وقد ذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب ما يقوله العلماء في زمنه عن دعوة التوحيد فقال: «والأمر الثاني: أن هذا الذي أنكروا عليّ، وأبغضوني وعادوني من أجله، إذا سألوا عنه كل عالم في الشام واليمن أو غيرهم، يقول: هذا هو الحق، وهو دين اللّه ورسوله، ولكن ما أقدر أن أظهره في مكاني، لأجل أن الدولة ما يرضون. وابن عبد الوهاب أظهره لأن الحاكم في بلده ما أنكره، بل لما عرف الحق اتبعه. هذا كلام العلماء»[1].

ودعاة الشرك يحتالون بأنهم يُبغضون التكفير ويُنَفِّرون منه، ولكن حقيقة أمرهم أنهم يُبغضون التوحيد الذي هو إخلاص العبادة للّه ويُبغضون أهله الداعين إليه ويعادونهم، ويوالون عبَّاد القبور ويدافعون عنهم[2].

لهذه الأسباب ولأجل أن الكلام في هذه المسألة من أفضل الكلام، إذ فيه بيان التوحيد ونفي الشرك عن اللّه تعالى؛ فقد رأيتُ أن أكتب هذا الرد نصحًا للّه ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، ونصحًا للكاتب على وجه الخصوص ولمن اغتر بكلامه،

---

(١) مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، الرسائل الشخصية ٣٢/٧.

(٢) حال كثير من دعاة الشرك والخرافة كما وصفهم الشيخ محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ فقال: «وأنا أبين لكم هذه بمسألة القبلة، أن النبي ﷺ وأمته يصلّون، والنصارى يصلّون، ولكن قبلته ﷺ وأمته بيت اللّه، وقبلة النصارى مطلع الشمس؛ فالكل منا ومنهم يصلي، ولكن اختلفنا في القبلة. ولو أن رجلًا من أمة محمد ﷺ يقر بهذا، ولكن يكره من يستقبل القبلة، ويحب من يستقبل الشمس، أتظنون أن هذا مسلم؟ وهذا ما نحن فيه. فالنبي ﷺ بعثه اللّه بالتوحيد، وأن لا يدعى مع اللّه أحد، لا نبي ولا غيره، والنصارى يدعون عيسى رسول اللّه، ويدعون الصالحين يقولون: ليشفعوا لنا عند اللّه، فإذا كان كل مطوع مقرًا بالتوحيد، فاجعلوا التوحيد مثل القبلة، واجعلوا الشرك مثل استقبال المشرق، مع أن هذا أعظم من القبلة» مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب الرسائل الشخصية ١٩٦/٧ ـ ١٩٧.

وسيكون الرد عليه بذكر مواضع من كلامه مع الإحالة على الصفحة من كتابه.

وأشكر سماحة شيخنا الوالد عبدالعزيز بن عبداللّه آل الشيخ مفتي عام المملكة العربية السعودية حفظه اللّه الذي تكرم بالاطلاع على الكتاب وكتابة مقدمة له، كما أشكر معالي شيخنا العلامة الشيخ صالح بن عبدالعزيز بن محمد آل الشيخ حفظه اللّه الذي أكرمني بالاطلاع على الكتاب وكتابة مقدمة له.

ونسأل اللّه جل وعلا أن يصلح لنا وللمسلمين النية والعمل، وأن يجعل هذا الرد خالصًا لوجهه الكريم ونافعًا للمسلمين، كما أسأل اللّه تعالى لي وللكاتب ولجميع المسلمين الهداية إلى الحق والعافية من مضلات الفتن، قال اللّه تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾﴾ [الفرقان].

اللّهم اجعلنا من الذين ينفون عن كتابك تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، اللّهم اسلك بنا سبيل الصحابة والتابعين واجعلنا على نهجهم سائرين.

واللّه الموفق ولا حول ولا قوة إلا به، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلى اللّه وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين.

فهد بن سليمان بن إبراهيم الفهيد

* * *

تمهيد

- ويشتمل على:

➢ تقسيمات كتاب مفهوم شرك العبادة إجمالًا

➢ أقسام التوحيد عند أهل السنة والجماعة

➢ بيان إيهام الكاتب في إظهار حرصه على عدم التكفير



بسم اللّه نبدأ وبه نستعين ولا حول ولا قوة إلا باللّه العلي العظيم.

➢ تقسيمات كتاب مفهوم شرك العبادة إجمالًا:

اشتمل كتاب «مفهوم شرك العبادة» على مقدمة وتمهيد وسبعة مباحث، واشتملت المقدمة على ادعائه إثبات أنواع التوحيد الثلاثة: الألوهية والربوبية والأسماء والصفات، وخطر التكفير، واشتمل التمهيد على أن أهل الشهادتين مُقِرُّون بإفراد الربوبية للّه تعالى، وأَظْهَر أنَّه يحرِّمُ الأفعالَ التي ظاهرها عبادة غير اللّه تعالى.

والمبحث الأول من كتابه: اشتمل على ادعائه بأن توحيد الألوهية هو توحيد الربوبية.

والمبحث الثاني: ذَكَر أنّ الولي من الذل الذي يعتقده المشركون يقتضي بأنهم يعتقدون في معبوداتهم الربوبية، وهم بهذا مشركون بالربوبية، وإن أقروا بأن اللّه هو الخالق، وفي أثناء هذا المبحث ادعى أن ابن تيمية رجع عن قوله في شرك العبادة أو أنه متناقض.

والمبحث الثالث: ذكر اثني عشر استدلالًا يزعم أنها تدل على أن شرك المشركين كان في الربوبية!

والمبحث الرابع: جَعَل تعريف الإله مرتبطًا بالشرك في الربوبية فقط.

والمبحث الخامس: جَعَل تعريف العبادة مرتبطًا بالربوبية فقط؛ فمن عبد غير اللّه وهو لا يعتقده ربًّا ولا يعتقد فيه بعض خصائص الربوبية؛ فعنده لا يسمَّى فعله عبادة.

والمبحث السادس: يتحدى الكاتب بالمطالبة ببيان الفرق في صور العبادات كالحب والخوف والذبح.

والمبحث السابع: ساق بعض الأدلة الواضحة في الشرك في العبادة وفسَّر معانيها ليجعلها مرتبطة بالشرك في الربوبية، وصرَّح بأن دعاء الملائكة من دون اللّه وغير الملائكة أنه ليس بشركٍ.

➢ أقسام التوحيد عند أهل السنة والجماعة:

قبل البدء في الرد على الكاتب أوضح حقيقة شرعية مقررة في الكتاب والسنة وأجمعت عليها الأمة في مسألة توحيد اللّه تبارك وتعالى.

من المقرر في الكتاب والسنة وجوب توحيد اللّه تعالى، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص]، وقال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٦٣﴾ [البقرة].

ومسمَّى التوحيد وأقسامه مستفادٌ من كلام اللّه وكلام رسوله ﷺ، ودلائل ذلك كثيرة جدًّا.

وقد أرسل اللّه تعالى رسوله محمدًا ﷺ وأنزل عليه القرآن الكريم وجعله حجة على الخلق إلى أن يرث اللّه الأرض ومن عليها، وهذه الرسالة المحمدية مشتملة على أخبار، وعلى أوامر اللّه ونواهيه؛ فالواجب في باب الأخبار: التصديق والتسليم والقبول، والواجب في باب الأوامر والنواهي: الامتثال.

ومن باب الأخبار كل ما يتعلق باللّه تعالى من أسمائه وصفاته وربوبيته، وأنه الخالق الرازق المدبر فانتظمت باب توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات. ومن باب الأوامر والنواهي: القيام بعبادة اللّه تعالى بالاستجابة له ولرسوله وطاعة اللّه وطاعة رسوله ﷺ

والقيام بأمره، فيدخل في ذلك سائر العبادات؛ فانتظمت باب توحيد الألوهية.

وهذه العبادات لا يجوز أن تصرف لغيره، فإذا صرفت لغيره فهذا هو الشرك في الألوهية، ولا يكفي الإقرار بالربوبية والأسماء والصفات دون إخلاص العبادة للّه تعالى، ومن أقرَّ بالألوهية للّه تعالى وأفرده بالعبادة قولًا وعملًا واعتقادًا؛ فإنه مقرٌّ ولا شكَّ بتوحيد الربوبية والأسماء والصفات.

ومن دين المشركين الأولين؛ أنهم يعرفون اللّه ويعظمونه ويعبدونه ولكنهم يشركون معه معبودات أخرى يعتقدون أنها تشفع لهم عند اللّه إذا عظموها وتعبَّدوا لها وأنها تقربهم إلى اللّه زلفى، فجاءهم النبي ﷺ بالتوحيد الخالص وإقامة الدين كله للّه: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣].

فتقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام: توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات، أو إلى قسمين: توحيد معرفة وإثبات ـ وهو توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات ـ، وتوحيد إرادة وطلب ـ وهو توحيد الألوهية ـ، هذا مدلول الكتاب والسنة ومعتقد الصحابة والتابعين وأئمة الإسلام.

والمراد بتوحيد الربوبية: الاعتقاد الجازم بأنَّ اللّه وحده الخالق الرازق المحيي المميت المدبر لشئون خلقه كلها لا شريك له في ذلك.

والمراد بتوحيد الألوهية: إفراد اللّه وحده بالخضوع والذل والمحبة والخشوع وسائر أنواع العبادة لا شريك له.

والمراد بتوحيد الأسماء والصفات: الإيمان الجازم بأسماء اللّه

وصفاته الواردة في الكتاب والسنة، وإثباتها دون تحريف أو تعطيل أو تكييف أو تمثيل.

ومن أدلة توحيد الربوبية:

١ـ قال اللّه تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة].

٢ ـ وقال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٥٤﴾ [الأعراف].

٣ ـ وقال تعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ﴾ [الرعد: ١٦].

٤ ـ وقال تعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۝٨٦ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٨٧ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٨٨ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ۝٨٩﴾ [المؤمنون].

٥ ـ وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦٤﴾ [غافر].

٦ ـ وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ۝٦٢﴾ [الزمر].

ومن أدلة توحيد الألوهية:

١ ـ قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الفاتحة: ٢]؛ لأن «اللّه» معناه المألوه المعبود.

٢ ـ وقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة].

٣ ـ وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝٢١﴾ [البقرة].

٤ ـ وقوله: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٢ ـ ٣].

٥ ـ وقوله: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ۝١٤ فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ﴾ [الزمر: ١٤ ـ ١٥].

٦ ـ وقوله: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة]، وغيرها من الآيات.

ومن أدلة توحيد الأسماء والصفات:

١ ـ قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة].

٢ ـ وقوله: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ [الإسراء: ١١٠].

٣ ـ وقوله: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ۝٦٥﴾ [مريم].

٤ ـ وقوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٨﴾ [طه].

٥ ـ وقوله: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى].

٦ ـ وآخر سورة الحشر، وغيرها من الآيات.

ومن الآيات التي جمعت أقسام التوحيد الثلاثة قول اللّه تبارك وتعالى في سورة مريم: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ۝٦٥﴾ [مريم].

وأول سورة في القرآن وآخر سورة فيه ـ سورة الفاتحة وسورة الناس ـ جمعتا أنواع التوحيد الثلاثة كذلك: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ

ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة].

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾ [الناس].

➤ إظهار الكاتب القول بإثبات أقسام التوحيد الثلاثة:

والكاتب يُظْهر أنه يقرر أقسام التوحيد الثلاثة، فيقول في المقدمة في ص٧: [ولا شك أن توحيد اللّه يقوم على إفراده تعالى بالربوبية وبالألوهية وفي صفات الكمال المطلق... فلا خالق للخلق ولا رازق ولا مدبر لهم إلا اللّه... ولا معبود بحق إلا اللّه...ولا يشاركه في كمال صفاته أحد...].

فهو يُظْهر أنه على طريقة السلف بتقريره للتوحيد بهذه الطريقة وهذا التقسيم، ويقول في الحاشية في ص١٦: [الظاهر أني لن أكون سلفيًّا عندهم حتى أكون تكفيريًّا ألا ساءت تلك السلفية التي تكفر المسلمين...].

وسيظهر من خلال الرد على كتابه هذا أنه لا يقر بأقسام التوحيد الثلاثة، وإنما الربوبية والألوهية عنده شيء واحد، فعند الكاتب أنّ مَنْ أقرَّ بالربوبية فقد أقرَّ بالألوهية كما سيأتي، وهذا مخالف لصريح القرآن والسنة والواقع الذي عليه المشركون.

* * *

نقض ما ورد في تمهيد الكاتب
من أغلاط وشبهات





إيهام الكاتب في إظهار حرصه على عدم التكفير

أَوْهَمَ الكاتب القراء حرصه على عدم تكفير المسلمين وأن المردود عليهم يكفرون المسلمين فيقول في ص (١٥):

[من صور التكفير الباطلة: تكفير أهل الشهادتين بادعاء صرفهم العبادة لغير اللّه مع أن أهل الشهادتين مقرُّون بتفرد اللّه تعالى بالربوبية].

ظاهر هذا النص مناقضٌ لكلامه السابق؛ فإنه قبل ذلك، قال معترفًا على نفسه ص٧: **[من صرف شيئًا من العبادة لغير اللّه فقد أشرك باللّه، فإن كان من أهل الشهادتين قبل الشرك فقد ارتدَّ وأشرك بصرفه العبادة]**، فحكم على أهل الشهادتين بالردة بصرف العبادة لغير اللّه؛ لكنه قال هنا ص١٥: **[من صور التكفير الباطلة: تكفير أهل الشهادتين بادعاء صرفهم العبادة لغير اللّه]** ثم قرَّر ص١٥: **[أن عامة أهل الشهادتين هم موحدون في الربوبية قطعًا، وأنه لا وجود لشرك في العبادة إلا بنقض توحيد الربوبية]**؛ فهو يقول إنه لا يمكن ممن نطق بالشهادتين صرف العبادة لغير اللّه.

ووجه غلط الكاتب أنه حكم على أهل الشهادتين ممن صرف

شيئًا من العبادة أنه أشرك، ثم جعل (صرف العبادة لغير اللّه) غير ممكن لأهل الشهادتين، وهذا بناء منه على غلطه الذي أسس عليه كتابه بأن العبادة لا تسمى عبادة إلا باعتقاد الربوبية في المعبود.

والقرآن الكريم دلَّ على أن صرف العبادة لغير اللّه شرك، بدلائل كثيرة متنوعة، وحكم على من صرف العبادة لغير اللّه بالكفر؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون]؛ فهذا نصٌّ صريح بتسميته كافرًا، فالذي حكم بكفر من وقع في الشرك في العبادة هو رب العالمين، وهو الحكم بيننا وبين من يعبدون غير اللّه، وسيأتي مزيد توضيح لهذا إن شاء اللّه.

وقد افترى بعض المبتدعة على الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ وزعموا أنه يُكفِّر المسلمين! فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ عن أحد معارضي دعوة التوحيد: أنه يقرر أنواع التوحيد الثلاثة ـ: «ثم يكفر بها كلها ويرد علينا، فإذا كفَّرنا من قال: إن عبد القادر والأولياء ينفعون ويضرون. قال: كفَّرتم أهل الإسلام. وإذا كفَّرنا من يدعو شمسان وتاجًا وحطابًا، قال: كفَّرتم أهل الإسلام»[1].

(١) مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب الرسائل الشخصية ٧/٨٩.

الرد على قول الكاتب إن كلّ أهل الشهادتين مُقِرُّون بالربوبية والألوهية قطعًا:

قال ص١٥: **[مع أن أهل الشهادتين مُقِرُّون بتفرد اللّه تعالى بالربوبية، وأنه لا رب سواه... وهذا هو ما قطعت لهم به الشهادتان، والتي دلت أيضًا أنهم مُقِرُّون للّه تعالى بالتفرد وحده بالألوهية والعبادة دلالة قاطعة].**

يجزم الكاتب بأن كل أهل الشهادتين يقرون للّه تعالى بالتفرد بالألوهية والعبادة، وسيأتي نقض ما أورده في المبحث الأول من كتابه في ص١٧ أنه يجعلها شيئًا واحدًا[(١)]. ولا ريب أن من نطق بالشهادتين يريد الدخول في الإسلام أنه مسلم ويجب عليه القيام بحقوق الشهادتين، ولكن يوجد ممن نطق بالشهادتين مَنْ وَقَعَ في أمر يخرجه من الإسلام سواء من الشرك في العبادة أو ناقض آخر، فلم يقم بحقوقهما بل ناقضهما، وقد وجد في عهد النبي ﷺ من نطق بشهادة أن لا إلٰه إلا اللّه وأن محمدًا رسول اللّه ثم شهد لمسيلِمةَ الكذَّاب بأنه رسول مع نبي اللّه محمد عليه الصلاة والسلام فلا شك في كفره وردته.

فالردّ عليه يكون بالآتي:

١ ـ المقصود من الشهادتين ما دلتا عليه من الحقيقة والمعنى، وما اشتملتا عليه من العلم والعمل، وأما مجرد اللفظ من غير علم بمعناهما ولا اعتقاد لحقيقتهما فهذا لا يفيد العبد شيئًا، ولا يخلصه من شعب الشرك وفروعه.

وقد قيد اللّه سبحانه الانتفاع بالشهادة بقيد عظيم، قال تعالى:

---

(١) في هذا الرد في ص١٤٧، وص١٧١.

﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [الزخرف]، وقال تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، وقال رسول اللّه ﷺ: «**أسعد الناس بشفاعتي من قال: لا إله إلا اللّه خالصًا من قلبه**»[(١)].

فالإيمان بمعنى الشهادتين والانقياد لذلك المعنى لا يتصور ولا يتحقق إلا بعد العلم، فإذا لم يعلم ولم يفهم، فهو كالهاذي وكالنائم وأمثالهما ممن لا يعقل ما يقول، بل لو حصل له العلم وفاته الصدق لم يكن شاهدًا؛ بل هو كاذب في قوله؛ لأنه لا يعتقده وإنما يتظاهر به نفاقًا، قال اللّه تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾﴾ [المنافقون]، فكذبهم في قيلهم، ورد شهادتهم وشهد على كذبهم.

٢ ـ أن إجماع المسلمين منعقد على أنه لا بد من اعتبار ما دلت عليه الشهادتان من المعنى المراد، بل هو المقصود، ولم يقل أحد إن الإيمان مجرد اللفظ من غير عقيدة القلب وعلمه وتصديقه، ومن غير عمل بمدلول الشهادتين.

قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وما سمعت أن أحدًا قاله إلا طائفة من المتكلمين من الكرامية نازعوا الجهمية في قولهم: إن الإيمان هو التصديق فقط. وقابلوا قولهم بأنه مجرد الإقرار فقط. والقولان مردودان عند الأمة، ولكنهما أحسن وأقرب إلى قول أهل العلم مما أتى به هذا المفتري، من عدم اعتبار العلم والمعنى، ومن قرأ القرآن أو سمعه وهو عربي اللسان يعلم أن قتال المشركين معلل بنفس الشرك معلق عليه، كما قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾ [التوبة: ٣٦]... ونحو ذلك من

(١) أخرجه البخاري (٩٩) و(٦٥٧٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الآيات الدالة على تعليق الحكم على نفس الشرك، وفي الحديث: «من قال لا إلٰه إلا اللّه وكفر بما يعبد من دون اللّه حرم ماله ودمه»[(١)] وفي الحديث الآخر: «**من بدل دينه فاقتلوه**»[(٢)][(٣)].

٣ ـ ومما يؤكد أن الشهادتين لا تكفيان بمجرد التلفظ دون العمل بمقتضاهما: إجماع العلماء على قتال من جحد ركنًا من أركان الإسلام وأنه يكفر بذلك الجحد؛ قد نص على ذلك من يحكي الإجماع كابن المنذر (ت٣١٨هـ)، وابن حزم (ت٤٥٦هـ)، وابن عبدالبر (ت٤٦٣هـ)، وابن هبيرة (ت٥٦٠هـ)، وشيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨هـ)، وابن رجب (ت٧٩٥هـ)، وأمثالهم من أهل العلم.

قال ابن عبد البر: «واتَّفق أبو بكرٍ وعمر وسائر الصحابة على قتالهم حتى يؤدُّوا حقَّ اللّه في الزَّكاة كما يلزمُهم ذلك في الصَّلاة»[(٤)].

وقال الكاسانيُّ: «وأمَّا الإجماع، فإنَّ الأمَّةَ أجمعت على فرضِيَّةِ شهرِ رمضان، لا يجحدُها إلَّا كافرٌ»[(٥)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فكلُّ مَن لم يرَ حجَّ البيتِ واجبًا عليه مع الاستطاعة، فهو كافرٌ باتِّفاق المسلمين، كما دلَّ عليه القرآنُ.... وقد اتَّفق المسلمون على أنَّ مَن جحَد وجوب مباني الإسلام الخَمس: الشَّهادتين، والصَّلوات الخمس، والزكاة، وصِيام شهر رمضان، وحج البيت، فإنَّه كافرٌ»[(٦)].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣).
(٢) أخرجه البخاري (٢٨٥٤).
(٣) مصباح الظلام ص: ١٦٢ ـ ١٦٣.
(٤) الاستذكار ٣/٢١٤.
(٥) بدائع الصنائع ٢/٧٥.
(٦) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٢/١٢٥ ـ ١٢٦.

وقال أيضًا: «.. أما إذا جحدَ وجوبَها فهو كافر بإجماع المسلمين، وكذلك من جحدَ سائرَ الواجبات المذكورة والمحرمات التي يجب القتالُ عليها..»[(١)].

قال ابن بطَّال في شرح حديث «**بُني الإسلام على خمس: شهادة أنْ لا إلٰه إلا اللّه، وأن محمدًا رسول اللّه، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان**»:

«فهذه دعائمُ الإسلام وقواعده، لا يتم إسلام مَن جحَد واحدة منها، ألا ترى فَهْم أبي بكر الصديق ﷺ لهذا المعنى وقوله: «واللّه، لأُقاتِلَنَّ مَن فرَّق بين الصلاة والزكاة؛ فإن الزكاة حقُّ المال»، وأجمع العلماء على أن مانِع الزكاة تُؤخذ من ماله قهرًا، وإن نصَب الحرب دونها، قُوتِل؛ اقتداءً بأبي بكر الصديق ﷺ في أهل الرِّدة»[(٢)].

وقد نقل ابن حجر الهيتمي في الإعلام بقواطع الإسلام أنواعًا من النقل عن الشافعية والحنفية والمالكية والحنابلة في ألفاظ وأفعال تُوقع في الكفر وحكموا بموجبها بكفر من وقع فيها وردّته، وهي في من ينطق بالشهادتين[(٣)].

وقال الشيخ العلامة زيد بن محمد آل سليمان: «يلزم على هذا أنه لا يكفر أحد بلسانه، وأن من دعا ميتًا أو غائبًا أنه يحمل على كذا وكذا، فهذا كذب على القرآن والسنة، واتفق العلماء على أن من تكلم بالكفر جادًّا أو هازلًا أنه يكفر، ولا يستثنى إلا المكره، وقد

---

(١) السياسة الشرعية، ص: ٩٨. وينظر «مجموع الفتاوى»: (٢٨/٥٠٢ ـ ٥٠٨، ٥٤٥ ـ ٥٥٣).

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٣/٣٩١).

(٣) الإعلام بقواطع الإسلام ص٧١ ـ ٢٦٨.

ذكر أرباب المذاهب في باب حكم المرتد أشياء كثيرة لا يمكن جحدها ولا ينكرها إلا مكابر معاند»[(١)].

٤ ـ ومن المعلوم أن هناك من نطق بالشهادتين وهم أكفر أهل الأرض في الربوبية؛ كابن عربي وجماعته، وغلاة الباطنية، والحاكم بأمر اللّه الخليفة الباطني الذي ادعى الألوهية، وغلاة الرافضة، وغلاة الصوفية من الحلولية وغيرهم، وحكم العلماء بكفر الحلّاج، وقتل بأمر ولاة الأمر بحكم الشرع، وقال أبو نعيم: «... وذلك لما بلغك من بسط لساننا ولسان أهل الفقه والآثار في كل القطر والأمصار، في المنتسبين إليهم من الفسقة الفجار، والمباحية والحليولية الكفار...»[(٢)]. ومثل مانعي الزكاة الذين قاتلهم أبو بكر الصديق ﷺ وهم ينطقون بالشهادتين، فهناك من نطق بالشهادتين وهو مشرك في الربوبية، وهناك من نطق بالشهادتين وهو مشرك في الألوهية، وهناك من نطق بالشهادتين وهو منكرٌ لأسماءِ اللّه وصفاته، وهناك من نطق بالشهادتين وهو ينكر البعث والنشور بعد الموت، وهناك من نطق بالشهادتين وارتكب موجبًا من موجبات الردة كما صرح بذلك الفقهاء من كل مذهب.

فبان لكل منصف أنه ليس كل من نطق بالشهادتين يكون مقرًّا بالألوهية والعبادة.

٥ ـ المنافقون على عهد النبي ﷺ ينطقون بالشهادتين ويتكلمون بهما، وهم في الدرك الأسفل من النار، والعياذ باللّه.

٦ ـ أتباع مسيلِمة الكذاب يقرون للّه بالألوهية من جهة الاعتقاد،

---

(١) حلية الأولياء (٤/١). انظر الرسالة القشيرية ١/١٣٠، وكلام أهل العلم في هذا كثير جدًا.

(٢) فتح المنان في نقض شبه الضال دحلان ص: ١١٢.

ويقرون بالرسالة للنبي محمد ﷺ، ولكن يجعلون مسيلمة رسولًا آخر معه شاركه في الرسالة! قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب:

«ويقال أيضًا: هؤلاء أصحاب رسول اللّه ﷺ قاتلوا بني حنيفة، وقد أسلموا مع النبي ﷺ وهم يشهدون أن لا إلٰه إلا اللّه وأن محمدًا رسول اللّه، ويؤذنون ويصلون. فإن قال: إنهم يقولون: إن مسيلمة نبيٌّ، فقل: هذا هو المطلوب، إذا كان من رفع رجلًا إلى رتبة النبي ﷺ كفر وحلَّ ماله ودمه ولم تنفعه الشهادتان ولا الصلاة، فكيف بمن رفع شمسان أو يوسف، أو صحابيًّا، أو نبيًّا إلى مرتبة جبار السماوات والأرض؟ سبحان اللّه ما أعظم شأنه ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝٥٩﴾ [الروم]»[1].

فالشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ يردّ على من نفى التكفير مطلقًا عمن نطق بالشهادتين وصرف العبادة لغير اللّه، فلا يعتبر النطق بالشهادتين كافيًا حتى يتبعه العمل بإخلاص العبادة للّه.

➤ دَفع الكاتب وَصْف الشرك ممّن وقع فيه بالاحتمالات الموهومة:

قال الكاتب ص ١٥: [**فلا يحق لأحد أن يتهم أحدًا من المسلمين بخلاف دلالة الشهادتين لقول أو فعل صدر منه يحتمل عدم مناقضتها مجرد احتمال...**]. وقال في نفس الصفحة [**وأنه لا يقين مع وجود الاحتمال**].

والرد عليه بما يأتي:

١ ـ إجراء الاحتمالات الموهومة لا يمكن أن تقوم به دنيا

(١) كشف الشبهات ص٣٩.

ولا دين، وأعمال الخلائق كلها تكون بحسب ما أظهروه وبان منهم، واللّه يتولى ما في قلوبهم، وأما الرد إلى الاحتمالات البعيدة فلا يقبل عقلًا ولا عرفًا ولا شرعًا.

٢ ـ الأصل في الكلام الحقيقة، ولا يصار إلى الاحتمالات البعيدة إلا بدليل، وتسليط الاحتمالات الموهومة أو المتكلفة على الألفاظ وإخراجها عن ظاهرها يتضمن مفاسد عديدة؛ ففيه إبطال للعقود والمعاوضات وسائر المعاملات بين الخلق، وفيه إسقاط للحدود والعقوبات المترتبة على الألفاظ كالقذف والسب والطعن وغير ذلك.

وقد أخرج البخاري عن عبد اللّه بن عتبة بن مسعود قال: سمعتُ عمر بن الخطاب ﷺ، يقول: «إن ناسًا كانوا يُؤخَذون بالوحي في عهد رسول اللّه ﷺ، وإن الوحيَ قد انقطَع، وإنما نأخُذُكم الآن بما ظهَرَ لنا من أعمالكم، فمَن أظهَرَ لنا خيرًا، أَمِنَّاهُ وقرَّبْناه، وليس لنا من سريرته شيء، اللّه يحاسِبه في سريرته، ومَن أظهَرَ لنا سوءًا، لم نَأمَنْه، ولم نُصدِّقْه وإن قال: إن سريرتَه حسنة»[(١)].

قال ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: «والمقصود من هذا أنَّ العُمدة في الأمور على ما ظهر من أعمال العبد، فمَن أظهر الخير، وأظهر العدالة والاستقامة قُبلت شهادته، وأمن، ومَن أظهر خلاف ذلك لم تُقبل شهادته، ولم يؤمن، فالحكم على ما ظهر من العبد من أعماله وسيرته»[(٢)].

٣ ـ إحسان الظن بالمسلم مشروعٌ، وفي الأثر عن عمر رضي الله عنه:

(١) أخرجه البخاري (٢٦٤١).
(٢) شرح بلوغ المرام (١٤١٨).

«لا تظنّنّ بكلمة خرجت من في امرئٍ مسلم شرًّا وأنت تجد لها في الخير محملًا»(١)، وقال: «احمل أمر أخيك على أحسنه حتى يجيئك ما يغلبك منه»(٢)، ويكفي في هذا قول الله تعالى: ﴿ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢] فإذا تبين وظهر المراد من الكلام لم يقبل ذكر الاحتمالات، وإذا ظهر من الإنسان ما يوجب نقض الشهادتين ظهورًا بيِّنًا وقامت عليه الحجة وعرف حكم اللّه فيها ثم أصر على شركه؛ فإن هذا لا يكون اتهامًا له بل بينة أظهرها من وقع بها.

على سبيل المثال: من قذف أم المؤمنين عائشة ﵂ بالإفك وهو ينطق بالشهادتين(٣)، أو من كفَّر الصحابة ﵃ وقال: إن أبا بكر

(١) الأمالي للمحاملي رقم ٤٦٠.
(٢) تاريخ ابن عساكر (٤٤/٣٥٩ ـ ٣٦٠).
(٣) ومن المعلوم إجماع المسلمين على كفر مَنْ رمى أم المؤمنين عائشة ﵂ بالإفك، ويكفي المسلم في هذا قول اللّه تعالى: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ . . . يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾﴾ إلى أن قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ قال النووي (٦٧٦هـ): «براءة عائشة ﵂ من الإفك وهي براءة قطعية بنص القرآن العزيز، فلو تشكك فيها إنسان ـ والعياذ باللّه ـ صار كافرًا مرتدًا بإجماع المسلمين» شرح النووي على مسلم (١٧/١١٧).
وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: بعد نقله قول القاضي أبي يعلى: (من قذف عائشة بما برأها اللّه منه كفر بلا خلاف)، فقال ابن تيمية: (وقد حكى الإجماع على هذا غير واحد وصرح غير واحد من الأئمة بهذا الحكم) الصارم المسلول (ص٥٦٦)، وقال ابن القيم: (واتفقت الأمة على كفر قاذفها) زاد المعاد ١/١٠٣، وقال ابن كثير: (وقد أجمع العلماء رحمهم اللّه قاطبة على أن من سبها بعد هذا ورماها بما رماها به بعد هذا الذي ذكر في هذه الآية، فإنه كافر لأنه معاند للقرآن، وفي بقية أمهات المؤمنين قولان: أصحهما أنهن كهي، والله أعلم) تفسير سورة النور، وانظر: شم العوارض في ذم الروافض ص٢٧، وأجمع المسلمون على تكفير من قال بتحريف القرآن الكريم، وأجمع المسلمون على كفر من قال إن الصحابة كلهم ارتدوا إلا أربعة أو خمسة، ومع ذلك فقد خالف الكاتب طريقة أهل العلم في كتابه تكفير أهل الشهادتين ص: ١٣٠، =

وعمر وعثمان كفّار، أو قال: إنَّ القرآن ناقصٌ ولم يصل إلينا كاملًا. أو من وقع في أي نوع من أنواع الردَّة التي صرح بها العلماء في جميع المذاهب؛ فهو مرتدٌّ. ولا يسمى ذلك اتهامًا؛ بل هو حكم عليه بالظاهر، أما تنفيذ العقوبة فيُرَدُّ إلى ولاة الأمور، وسبق قول عمر رضي الله عنه: «**إنما نأخُذُكم الآن بما ظهَرَ لنا من أعمالكم، فمَن أظهَرَ لنا خيرًا، أَمِنَّاهُ وقرَّبْناه، وليس لنا من سريرته شيء، اللّه يحاسِبه في سريرته، ومَن أظهَرَ لنا سوءًا، لم نَأمَنْه، ولم نُصدِّقْه وإن قال: إن سريرتَه حسنة**».

٤ ـ قوله: [بخلاف دلالة الشهادتين] فيه إجمال؛ لأنه يدخل فيها ما ينقضهما ويكذبهما، وهذا مخرج من الملة، كما يدخل في قوله: [خلاف الشهادتين] ما يُنقصهما ويُضعفهما، وهذا لا يخرج من الملة، ولذلك فلكلٍّ حكمٌ ليس للآخر؛ فالشرك باللّه وتكذيب الرسالة وإنكار البعث وإنكار الملائكة والكتب خلاف دلالة الشهادتين وكل واحد من هذه الأمور مخرج من الملة، والوقوع في يسير الرياء وقول: «**ما شاء اللّه وشاء فلان**»؛ خلاف دلالة شهادة أن لا إلٰه إلا اللّه، وكذلك معصية الرسول ﷺ في فعل محرم أو ترك واجب، والابتداع في الدين بما ليس بمخرج من الملَّة هو خلاف شهادة أن محمدًّا رسول اللّه ﷺ؛ ولكن لا يخرج ذلك من الملة.

إذا عُلم هذا: فلا يجوز ترتيب أحكام التكفير على العبارات المجملة! بل يكون المعوّل عليه هو كلام اللّه تعالى وكلام رسوله ﷺ وما أجمع عليه سلف الأمة.

= بل وزعم أن ابن تيمية لا يرى الإجماع منعقدًا إلا بموافقة الإمامية ص: ١٣٤، وفي ص: ٩٨ نسب كلامًا لابن القيم وهو للقاضي وحذف منه من أول الكلام «**فقد قيل**» وحذف آخره «**ولو منعها مانع في وقتنا حكم بكفره**»، ومغالطاته في هذا الكتاب كثيرة.

٥ ـ من المقرر في الشريعة أنه لا يجوز لمسلم أن يتهم مسلمًا بأي اتهام بغير بينة، لا بتكفير، ولا بتفسيق، ولا بتبديع؛ لأن هذا من الظلم. وليس البحث في الاتهامات التي تلقى بغير علم ولا برهان فهذا مما نهانا اللّه عنه كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ [النساء: ٩٤]، وقوله تعالى: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات: ٦]، **وإنما الكلام فيمن قام يقينًا بعمل الكفر الأكبر أو الشرك المخرج من الملَّة وهو عالم بذلك مصرٌّ على ما هو عليه.**

٦ ـ بناءً على هذا الاحتجاج المتهافت يسوغ لقطاع الطرق والسراق والبغاة والمفسدين في الأرض والمعتدين على الأعراض والممتلكات العامة، والقاذفين، وشاربي المسكرات التخلص من العقوبة بمثل هذه الاحتمالات الموهومة، ومن المعلوم بإجماع علماء الإسلام أن الواجب معاملتهم على حسب ما أظهروا إذا قامت عليهم البينة، والتكلف في وضع الاحتمالات المتوهمة للدفاع عنهم غير مقبول، وهذا من التلاعب بالدين وبالحقوق، وأعظم الحقوق حقُّ اللّه تبارك وتعالى، ويشبه هذا التلاعب ما يُذكر أنَّ رجلًا سرق فقال لعمر: سرقت بقضاء اللّه وقدره! فقال له: وأنا أقطع يدك بقضاء اللّه وقدره[(١)]!.

فالواجب على أهل الإسلام العمل بالظاهر ولا نُكلَّفُ إلا بالظاهر، وهذا من نعمة اللّه ﷻ علينا؛ والحكم على الباطن من الأمور المتعذرة، واللّه ﷻ لا يكلِّف نفسًا إلا وُسعَها.

٧ ـ الواقع أن الكاتب غلط في فهمه لمعنى الربوبية ومعنى

---

(١) منهاج السنة النبوية ٣/٢٣٤.

العبادة كما سيأتي بيانه، ثم جعل غلطه في فهم هذين المعنيين هو الاحتمال الذي يدفع الوصف بالشرك عمن صرف العبادة لغير اللّه.

٨ ـ الكاتب سبقه بهذا أهل ضلال ومنهم: محسن أمين العاملي الرافضي(١).

٩ ـ الكاتب يظهر من كلامه أنه هو الذي أساء الظن بالمسلمين فجعلهم موحدين في الربوبية قطعًا بخلاف الألوهية بمعنى أفعال العبادة وأقوالها الصادرة من العبد، فلم يقطع بتوحيدهم فيها، وإنما جعل إقرارهم بالربوبية هو إقرار بالألوهية! كما في قوله ص ١٥: [كيف والواقع أن عامة أهل الشهادتين هم موحدون في الربوبية قطعًا].

١٠ ـ مما يبين غلط الكاتب حضوره لمؤتمر غلاة المتصوفة، وقد عُرِف من كثير منهم التنقّص من مذهب السلف الصالح وتسميتهم الوهابية والتصريح **بتكفيرهم!** أليس هؤلاء الذين يسمونهم (الوهابية) ويكفرونهم ينطقون بالشهادتين!! أم إن الإقرار بالشهادتين حجة لعبَّاد القبور، ولا يكون حجة لغيرهم!

١١ ـ قول الكاتب: **[لقول أو فعل صدر منه يحتمل عدم مناقضتها مجرد احتمال].**

ينبغي أن يعلم أن من طريقة أهل السنة والجماعة في التكفير الاحتياط الشديد والتثبت وعدم التسرع؛ فإنهم لا يكفِّرون بالشبهة ولا بأمر محتمل لكونه كفرًا أو ليس بكفر، وإنما يكفِّرون عملًا بمقتضى النصوص الشرعية واهتداء بالصحابة والسلف الصالح ويصدرون عن

(١) في كتابه كشف الارتياب (ص: ١٠١).

أهل العلم الراسخين ويردون الأمر إليهم وإلى ولاة أمور المسلمين، ومما قرره الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ عدم التكفير بالظن قوله:

«ولكن من أظهر الإسلام وظننَّا أنه أتى بناقض، لا نكفره بالظن، لأن اليقين لا يرفعه الظن؛ وكذلك لا نكفّر من لا نعرف منه الكفر، بسبب ناقض ذُكر عنه، ونحن لم نتحقّقه... وأما ما ذكر الأعداء عنّي، أني أُكَفِّر بالظن وبالموالاة، أو أكفّر الجاهل الذي لم تُقم عليه الحجة، فهذا بهتان عظيم، يريدون به تنفير الناس عن دين اللّه ورسوله»[(١)].

ثم إن من طريقة أهل الأهواء الدفاع عن أفعال المشركين بذكر الاحتمالات البعيدة، والاحتمالات الواردة على الأفعال تنقسم إلى احتمالات وهمية ظنيَّة واحتمالات محققة.

فبالنظر إلى نفس الفعل الذي حكم اللّه تعالى عليه بالكفر والشرك لا يجوز رفع هذا الحكم بالاحتمالات التي تعود إلى رد حكم اللّه وعدم قبوله، وأما بالنظر إلى أفعال المكلفين فالعمل يكون بما أظهر المكلف إلا إذا قامت البينة على خلافه كما تقدم.

➢ دعوة الكاتب لقراءة كتب غلاة المتصوفة:

والكاتب له كلام يمدح أحد كتب عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني الصوفي الخرافي المليء بما يُعْلم قطعًا أنه ليس من دين الإسلام في شيء، وهذا الكتاب اسمه «**المنهج المطهر للجسم والفؤاد من سوء الظن بأحد من العباد**»، والمسمى كذلك «**طهارة**

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية ١٠/١١٢.

الجسم والفؤاد من سوء الظن بأحد من العباد» فيقول الكاتب عن كتاب الشعراني هذا:

(كتاب نفيس يحتاجه كل مسلم: وهو يعالج داء استشرى بين المسلمين، وهو سوء الظن بالناس، ونسيان واجب إحسان الظن بهم، وهو كتاب كبير، يقع في مجلدين كبيرين وأكثر من ١٥٠٠ صفحة، **إنه نموذج فريد لدخول علم تزكية النفوس في واقع الناس، وعدم التحليق في المثالية البعيدة، لكي يصلح القلوب، كل بقدر حاله وحسب درجته!** وهو يضم عامة أحوال الناس التي يدخلها سوء الظن، فيبين لك سبيل إحسان الظن فيها. **فما أحوج طلبة العلم وكل مسلم لهذا الكتاب**)[١].

---

(١) نشر هذا الكلام عن الكتاب ووضع صورة الكتاب وروج له في مواقع التواصل الاجتماعي التي باسمه في تاريخ ٢٦ فبراير ٢٠٢٣م الموافق ٦ شعبان ١٤٤٤هـ.
رابط المنشور على تويتر:
https://twitter.com/Al3uny/status/1629796096250617857.
رابط المنشور على الفيسبوك:
https://www.facebook.com/Al3uny/posts/pfbid07YpYU7.



المنشور

أ.د/الشريف حاتم العونى @Al3uny · ٢٦ فبراير

كتاب نفيس يحتاجه كل مسلم : وهو يعالج داء استشرى بين المسلمين ، وهو سوء الظن بالناس ، ونسيان واجب إحسان الظن بهم .
وهو كتاب كبير ، يقع في مجلدين كبيرين وأكثر من ١٥٠٠ صفحة .



٤ ٣٠ ١٠٨ ١٨٫٥ ألف

أ.د/الشريف حاتم العونى
@Al3uny

إنه نموذج فريد لدخول علم تزكية النفوس في واقع الناس ، وعدم التحليق في المثالية البعيدة ، لكي يصلح القلوب ، كل بقدر حاله وحسب درجته !
وهو يضم عامة أحوال الناس التي يدخلها سوء الظن ، فيبين لك سبيل إحسان الظن فيها .
فما أحوج طلبة العلم وكل مسلم لهذا الكتاب .

١:٥٠ م · ٢٦ فبراير ٢٠٢٣ · **٣٫٢٢١** مرة مشاهدة



الشريف حاتم بن عارف العوني
26 فبراير الساعة 1:49 م ·

كتاب نفيس يحتاجه كل مسلم : وهو يعالج داء استشرى بين المسلمين ، وهو سوء الظن بالناس ، ونسيان واجب إحسان الظن بهم .
وهو كتاب كبير ، يقع في مجلدين كبيرين وأكثر من ١٥٠٠ صفحة .
إنه نموذج فريد لدخول علم تزكية النفوس في واقع الناس ، وعدم التحليق في المثالية البعيدة ، لكي يصلح القلوب ، كل بقدر حاله وحسب درجته !
وهو يضم عامة أحوال الناس التي يدخلها سوء الظن ، فيبين لك سبيل إحسان الظن فيها .
فما أحوج طلبة العلم وكل مسلم لهذا الكتاب .

ولا بد أن يتعرف القارئ على مؤلف الكتاب الذي يروج له الكاتب، وفي المقابل فإنه يُنفِّر من دعاة الحق من علماء أهل السنة والجماعة، فالشعراني الخرافي من مُعظِّمي (ابن عربي الزنديق) الذي يقول بوحدة الوجود، ويقول بإيمان فرعون مدّعي الربوبية، وللشعراني تلخيص لكتاب ابن عربي (الفتوحات المكية) سماه (الكبريت الأحمر في بيان علوم الشيخ الأكبر)، وأسوق بعض ما قاله عبد الوهاب الشعراني في كتبه الأخرى، وأما كتابه هذا الذي مدحه الكاتب فسيكون له موضع خاص إن شاء اللّه.

قال عبد الوهاب الشعراني: «ومنهم الشيخ الخضري رضي الله عنه المدفون بناحية نها بالغربية وضريحه يلوح من البعد من كذا وكذا... وكان يقول: لا يكمل الرجل حتى يكون مقامه تحت العرش على الدوام، وكان يقول: الأرض بين يدي كالإناء الذي آكل منه**!!!**، وأجساد الخلق كالقوارير، أرى ما في بواطنهم»[(١)].

وقال أيضًا: «الشيخ علي أبو خودة... وكان رضي الله عنه إذا رأى امرأة أو أمردًا راوده عن نفسه، وحسس على مقعدته، سواء كان ابن أمير، أو ابن وزير، ولو كان بحضرة والده، أو غيره، ولا يلتفت إلى الناس، ولا عليه من أحد»[(٢)].

وقال أيضًا: «الشيخ شعبان المجذوب رضي الله عنه، كان من أهل التصريف بمصر المحروسة، وكان يخبر بوقائع الزمان المستقبل وأخبرني سيدي علي الخواص رضي الله عنه أن اللّه تعالى يطلع الشيخ شعبان

(١) الطبقات الكبرى للشعراني ١٠٦/٢.
(٢) الطبقات ١٣٥/٢.

على ما يقع في كل سنة من رؤية هلالها، فكان إذا رأى الهلال عرف جميع ما فيه مكتوبًا على العباد»[(١)].

وقال عنه: «وكان يقرأ سورًا غير السور التي في القرآن على كراسي المساجد يوم الجمعة وغيرها فلا ينكر عليه أحد، وكان العامي يظن أنها من القرآن لشبهها بالآيات في الفواصل... وقد سمعته مرة يقرأ على باب دار، على طريقة الفقهاء الذين يقرؤون في البيوت فأصغيت إلى ما يقول فسمعته يقول: (وما أنتم في تصديق هود بصادقين، ولقد أرسل اللّه لنا قومًا بالمؤتفكات يضربوننا ويأخذون أموالنا وما لنا من ناصرين) ثم قال: اللّهم اجعل ثواب ما قرأناه من الكلام العزيز في صحائف فلان وفلان إلى آخر ما قال».

ويروي في كتابه أنَّ رجلًا أنكر ذلك فسلبه اللّه الإيمان!!، ثم يقول: «فلم يكن شعرة فيه تحن إلى دين الإسلام فاستغاث بسيدي أحمد رضي الله عنه. فقال: بشرط ألا تعود فقال: نعم، فردَّ عليه ثوب إيمانه. ثم قال له: وماذا تنكر علينا؟ قال: اختلاط الرجال بالنساء. فقال له سيدي أحمد رضي الله عنه: ذلك واقع في الطواف ولم يمنع حرمته، ثم قال: وعزَّة ربي ما عصى أحد في مولدي إلا وتاب.. وحسنت توبته وإذا كنت أرعى الوحوش والسمك في البحار وأحميهم بعضهم بعضًا. أفيعجزني اللّه عز وجل من حماية من حضر مولدي»[(٢)].

ونقل عن البدوي لما سئل عن اختلاط الرجال بالنساء في مولده فقال: «وعزة ربي ما عصى أحد في مولدي إلا وتاب»[(٣)].

---

(١) الطبقات ١٨٥١/٢.

(٢) الطبقات ١٦٢/١.

(٣) طبقات الشعراني ٣١٦/١، وانظر: موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج=

وأما الكتاب الذي مدحه الكاتب، وهو «**المنهج المطهر للجسم والفؤاد**» فلون آخر من ألوان الضلال المبين وسيأتي الكلام عنه، واللّه المستعان.

١٢ ـ الكاتب مسبوق بمن زعم مثل هذا من الخرافيين الذين قالوا: إن الاحتمال يبطل الوصف بالشرك؛ حتى قالوا بالمجاز العقلي والإسناد، قال محمد علوي مالكي في كتابه «**مفاهيم يجب أن تصحح**»[(١)]: «وإذا وجد في كلام المؤمنين إسناد شيء لغير اللّه تعالى يجب حمله على المجاز العقلي، ولا سبيل إلى تكفيرهم».

وقد رد عليه شيخنا الشيخ صالح آل الشيخ فقال:

«يعني بهذا أن من قال للنبي ﷺ بعد موته: أستغيث بك يا رسول اللّه! إذا كان القائل موحدًا فيجب حمله على المجاز العقلي، إذ لا يعقل استغاثة موحد بالأموات على سبيل الاستقلالية عند الكاتب. بل المعنى الذي طلبه المستغيث هو التسبب، وهذا المعنى كثير وروده في كتاب «مفاهيم يجب أن تصحح»، والحق ينبني على أن هذه المقدمات والأمور التي يعلل بها للمستغيثين باطلة مقدماتها، وباطلة نتائجها، وكشف ذلك يتم بأمرين:

الأول: أن يقال: ومن قال إن المستغيث والداعي إذا قصد التسبب لا يكفر؟! بل القرآن لما كشف حال العرب أعلم أنهم لم

= والتربية (٥٣٩/٨) للمغراوي، ويقول عن الشعراني: «كان هذا الرجل من أكابر مخرّفي الصوفية ـ في القرن العاشر ـ الذين تخرّج على أيديهم فئام من الجهلة، يُساقون سَوق النَّعَم».

(١) ص: ٢٥.

يكن شركهم إلا بقصد التسبب لا الاستقلالية، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ۝١٠٦﴾ [يوسف]، أي: وما يؤمن أكثرهم بأن اللّه هو خالقهم وما يعملون، وهو المحيي المميت، وأنه الذي يجير ولا يجار عليه إلا وهم مشركون به في اتخاذ الأصنام وسائط، واتخاذ الأرواح التي صورت على أجسام أصحابها الأصنام سببًا لتحصيل مقصودهم فيما يزعمون. أفلا ترى إلى أنهم إذا أيقنوا بالهلاك في البحر أخلصوا الدعاء للّه، فلم يتخذوا وسيلة إليه من المخلوقين كما يفعلونه في الرخاء؟

فعلم من ضد أحوالهم وبنصّ القرآن أن أولئك المشركين ما كانوا يعتقدون الاستقلالية، بل كانوا يعتقدون التسبب بما لم يجعله اللّه سببًا ولم يأذن به، فلِمَ لم يحتج لهم بالمجاز العقلي؟! ولِمَ كفروا بقولهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، وهم إنما جعلوهم سببًا لتقريبهم إلى اللّه زلفى؟!

الثاني: أن تخريج أقوال عباد القبور ـ المستغيثين بالموتى، الداعين إياهم ليشفعوا لهم عند ربهم، المحبين أصحابها أعظم من محبتهم للّه ـ على المجاز العقلي منكر كبير، وخطأ عظيم مخالف لحقيقة حالهم؛ ذلك أن كثيرًا يعكفون على قبور الميتين ويعتقدون أن لصاحب القبر تصرفًا في الكون، وأنه يفعل ما شاء مطلق التصرف بإعطاء اللّه له، وهذا كفر أعظم من كفر اعتقاد التسبب، وهذا لم يخطر على أذهان الجاهلين من العرب، ولذا تجد هؤلاء المشركين المعاصرين ينادون معبودهم، ويستغيثون به ولو كانوا بعيدين عنه بعدًا كبيرًا، لاعتقادهم بأن له قوة أكبر من قوتهم البشرية، أعطاه اللّه إياها، وفوض له إصلاح شؤون طائفة من الخلق، تعالى اللّه عما

يقول الظالمون علوًّا كبيرًا»[1].

١٣ ـ الاحتمالات التي يهتم لها الكاتب ويجعلها متكئًا له للدفاع عن هؤلاء، لا ريب أنه لا يرضى أن يعامل بمثل هذا؛ بل ولا أحد من الناس يرضى بهذا!

فلو قدِّر أنَّ أحد الناس شتم شخصًا وسبَّه سبًّا قبيحًا فقال له: «يا فلان أنت كذا وكذا» من أنواع السباب والشتائم لأمكن السابّ أن يقول للمعتدى عليه: هذا السب لا يتنزل عليك لوجود احتمالات كثيرة، ولا يحق لك المطالبة. ويذكر أي احتمال وعلى عبارته نسوق الحجة **[لقول أو فعل صدر منه يحتمل عدم مناقضتها مجرد احتمال]**؛ فلا يثبت لأحد حق على أحد أبدًا.

١٤ ـ يلزم الكاتب أيضًا أن يدخل تحت قوله: **[لقول أو فعل صدر منه يحتمل عدم مناقضتها مجرد احتمال]** جميع الاحتمالات التي تذكرها الفرق الباطنية الذين أجمع المسلمون على كفرهم، ومن ذلك ما قاله أحد طغاتهم[2]:

«وما الكلب والخنزير إلا إلهنا وما اللّه إلا راهب في كنيسة».

ولما قام أحد المسلمين على أحد الخرافيين عند قراءته لهذه الكفريات قال ذلك الزنديق: لمَّا قلتُ: «**وما الكلب والخنزير إلا إلهنا**» فمرادي: وما الكلب والخنزير إلا «**خَلْقُ إلهنا**»!! فلماذا تغضب! والكلام إذا تطرق إليه الاحتمال لم يجز حمله على الأسوأ بل يجب إحسان الظن بقائله!!

---

(١) هذه مفاهيمنا للشيخ صالح آل الشيخ ص ١٢١ ـ ١٢٢.

(٢) **النفحات الأقدسية في شرح الصلوات الأحمدية** محمد بهاء الدين البيطار ص: ٣٣٨.

ولكنّ هذا المسلم الموحد جاءه في مناسبة أخرى؛ فقال لذلك الخرافي أمام تلاميذه: «وما الكلب والخنزير إلا جنابكم»، وهو يشير إليه فغضب ذلك الزنديق، وغضب الحاضرون. قاتلهم اللّه أنى يؤفكون.

ففي هذا المسلك تأييد الفرق الباطنية التي تسلك هذا الطريق للدفاع عن عقائدها وكفرياتها، فالصلاة في الشرع يقولون: يحتمل أن يراد بها صلة أئمتنا والصيام كتم أسرارنا، وهكذا، يسفسطون في العقليات ويقرمطون في السمعيات.

وليُعلم أن رئيس القائلين بوحدة الوجود ابن عربي قد جاء بكفر لم يأت به كفار قريش ولا اليهود والنصارى، ومع ذلك يعظمه غلاة الصوفية ويسمونه سلطان العارفين(١)، ويضعون له هذه الاحتمالات الكاذبة، ومثله ابن الفارض شاعرهم، وأشباههم من كبار أعداء التوحيد والسنة، وأعظم الناس صدًّا عن شريعة النبي ﷺ.

ومن المعاصرين محمود محمد طه المقتول على ردته وقد قال: «قمنا الليالي وصمنا النهار فسقطت عنا التكاليف» ويأمر أتباعه بالصلاة وهو لا يصلي لأنه وصل بزعمه(٢). وأمثالهم كثير لا كثرهم اللّه.

فوضع الاحتمالات الباطلة والساقطة هو فتح لباب الدفاع عن الباطنية وهو من عمل جنود الشيطان وأوليائه.

---

(١) للاطلاع على أقواله وعقيدته وأقوال أهل العلم فيه يراجع كتاب: ابن عربي عقيدته وموقف علماء المسلمين منه من القرن السادس إلى القرن الثالث عشر للدكتور دغش بن شبيب العجمي.

(٢) انظر: شرح التدمرية للشيخ محمد أمان الجامي رَحِمَهُ ٱللَّهُ شريط ١١.

١٥ ـ أن الاحتمال الذي يمنع ـ عنده ـ من الوقوع في الردة وضحه بقوله في ص١٥: [**كيف والواقع أن عامة أهل الشهادتين هم موحدون في الربوبية قطعًا**].

هذا هو الاحتمال الذي وضعه فهو الفيصل عنده! فمن أقر بالربوبية فهو موحد، ومن جحد الربوبية فهو المشرك ولا شرك بعد ذلك ـ عنده ـ وهذا غير صحيح.

١٦ ـ أن جميع فقهاء المذاهب الأربعة وغيرهم من سائر الطوائف ذكروا في أبواب الردة أحكام موجبات الردة وأنواعها، ولم يجعلوا الإقرار بالربوبية رافعاً ومانعاً من موانع الردة.

➢ من أغلاط الكاتب وضعه شرطًا وهو: أنه لا بدَّ من التأكد أن اعتقادهم القلبي لا يتضمن إنكار الخالق أو جعل شريك معه في الخلق

قال الكاتب في ص ١٥ ـ ١٦: [**أن لوقوع شرك العبادة من أي شخص شرطًا، فإن تحقق من أي أحد فقد وقع في الشرك...**]. وقال في نفس الصفحة: [**وأنه لا وجود لشرك في العبادة إلا بنقض توحيد الربوبية**].

يقصد بذلك الشرط هو وجود نقضٍ لتوحيد الربوبية، فإذا لم يوجد نقض لتوحيد الربوبية فإنه لم يشرك في العبادة، وبالتالي جعل من يقع في شرك العبادة باقيًا على إسلامه حتى يقع في شرط الكاتب.

هذا هو زبدة الكتاب وخلاصته وهو أن العبرة بتوحيد الربوبية فقط، وعليه فمن قال: إن اللّه هو الخالق وحده؛ فقوله هذا دليل أنه سوف يفرده بالعبادة ولن يشرك به شيئا!!

وهذا من أفسد الكلام وأشنعه، وهو مخالف للقرآن والسنة ومخالف لإجماع أهل العلم.

ومن أبين الأمور عند جميع الناس من جميع الطوائف والملل أن الشرك في العبادة يأتي حتى مع من يدعي الإقرار بالربوبية.

وكلامه هذا مناقضٌ لما تقدم من قوله في ص ٧: **[أن توحيد اللّه تعالى يقوم على إفراد اللّه بالربوبية والألوهية وصفات الكمال المطلق، وأن الإخلال بالربوبية كفر، وأن صرف الربوبية أو بعضها لغير اللّه شرك به مناقضٌ للتوحيد، ومخرجٌ من ملة الإسلام، وأن من صرف شيئًا من العبادة لغير اللّه فقد أشرك باللّه، فإن كان من أهل الشهادتين قبل الشرك فقد ارتد وأشرك بصرفه العبادة...].**

إذن فقوله السابق في تقسيم التوحيد إلى ربوبية وألوهية وأسماء وصفات لا يستقيم مع ما ذكره هنا، فهو يقول: إن من أتى بالربوبية فإنه لا يمكن أن يشرك في الألوهية.

والقول بالحكم بإسلام من وقع في الشرك في العبادة إذا كان مقرًّا بالربوبية من جنس أقوال المرجئة الغلاة الذين يجعلون الإيمان هو التصديق والكفر لا يكون إلا بالاستحلال والتكذيب.

وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في رده على من توقف في تكفير ساب اللّه ورسوله إلا بشرط الاستحلال القلبي:

«ويجب أن يعلم أن القول بأنَّ كفر السابِّ في نفس الأمر إنَّما هو لاستحلاله السب، زلة منكرة وهفوة عظيمة، ويرحم اللّه القاضي أبا يعلى قد ذكر في غير موضع من كتبه ما يناقض ما قاله هنا، وإنما أوقع من وقع في هذه المهواة ما تلقوه من كلام طائفة من متأخري

المتكلمين وهم الجهمية الإناث الذين ذهبوا مذهب الجهمية الأولى في أنَّ الإيمان هو مجرد التصديق الذي في القلب وإن لم يقترن به قول اللسان ولم يقتضِ عملًا في القلب ولا في الجوارح»[(١)].

➢ إظهار الكاتب القولَ بتحريم الأعمال الشركية:

قال في ص١٦: [**كما أن نفي الشرك عن العمل الذي ظاهره العبادة مما قد يقع فيه المسلم لا يعني تجويز ذلك العمل ولا الحكم عليه بعدم الحرمة، فقد يكون الفعل حرامًا قطعًا، وقد يكون ذريعةً للشرك. . .**].

ويقول في ص١٦ في الحاشية: [**أنا أحرم التوسل بالموتى وأستنكر الاستغاثة بالمقبورين وأقول إن الاستغاثة ذريعة إلى الشرك ومع ذلك يصفني بعض المساكين بأني قبوري، الظاهر أني لن أكون سلفيًّا عندهم حتى أكون تكفيريًّا!! ألا ساءت تلك السلفية التي تكفر المسلمين وتستبيح دماءهم وإني لأبرأ منها براءتي من كل ضلال**].

لم يذكر الكاتب أدلة تحريم الاستغاثة بالمقبورين ولا أدلة تحريم «التوسل بالموتى» كما يعبِّر، والنظر في هذه المسألة من عدة جوانب:

١ ـ من أعظم الفتنة تزيين الباطل للناس، والتهوين من أمر الشرك الذي صرح اللّه تعالى بأنه شرك، وادعاء أن فاعله باقٍ على إسلامه والاكتفاء بالقول بأنه ارتكب معصية أو حرامًا أو ذنبًا لا يخرج من الملة، ثم لا تجدُ نشاطًا ممن يقول بهذا على إنكار هذا الحرام، والتحذير منه، وكتابة المؤلفات فيه؛ وإنما نشاطه في الدفاع عمن

---

(١) الصارم المسلول ص: ٩٦٠.

يفعل هذا الشرك، وتبرير أفعالهم الشركية والاعتذار لهم بالاحتمالات الساقطة الواهية.

٢ ـ قوله **(وقد يكون حرامًا)** بمعنى أنه قد يكون مستحبًا أو قد يكون مباحًا، ثم يجعل هذه مسألة فقهية!!

وللمبتدعة مسالك في الحكم على الأعمال الشركية:

١ ـ منهم من يقول: صرف العبادة لغير اللّه ذنب محرم وليس شركًا، والذنب مغفور.

٢ ـ ومنهم من يقول: صرف العبادة لغير اللّه من الأمور المستحبة فيمدحون من استغاث بالموتى ويذبون عنهم.

٣ ـ ومنهم من يقول: هذا خلاف الأولى أو يقولون هو مكروه.

٤ ـ ومنهم من يقول: هي مباحة!!

ومرَّ أن الكاتب مدح كتاب «المنهج المطهر للجسم والفؤاد» وقال: (ما أحوج طلبة العلم وكل مسلم لهذا الكتاب)[١] وقد تضمن هذا الكتاب ضلالات كثيرة، ومنها القصة التالية:

«ومما أجبتُ به عن الشيخ الذي يقول لمريده: إذا عرض لك الشيطان، فاصرخ عليه باسمي، فإنه يهرب عنك؛ فلاث الناس بهذا الشيخ وقالوا: هذا ما بلغنا عن أحد من الأنبياء أنه قاله لأحد من أصحابه، فكيف بمن ولايته غير محققة؟! وقد قال تعالى لمحمد ﷺ ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾ [النحل] فلم يأمره بالاستعاذة منه بغير اللّه لعجز ذلك الغير عن دفعه ونحو ذلك من

(١) سبق توثيقه ص٤٣ ـ ٤٤.

الاعتراض. والجواب: أن الشيخ لا يجهل ما اعترض به عليه، ولكنه لمَّا علم عجز مريده عن دفع إبليس عنه بالاستعاذة باللّه تعالى لجهل ذلك المريد باللّه ﷻ، قال له: أصرخ عليه باسمي لأسمعك، فأستعيذ باللّه لك نيابة عنك. وإيضاح ذلك أن المريد ربما كان يعتقد في اللّه تعالى صفات التشبيه، وأنه تعالى في جهة العلو مثلا دون السفل، وذلك ليس هو اللّه الذي أمر العبد بالاستعاذة به من الشيطان، بل هو من تخيلات النفس الجاهلة باللّه، ومثل ذلك لا يدفع الشيطان، فافهم وإياك والمبادرة إلى الإنكار على الأشياخ بغير علم، والحمد للّه رب العالمين»[(١)].

فقول الكاتب إنه يرى تحريمها، ثم يحيل إلى الكتب السيئة التي تجعلها من الكرامات للأولياء، وتُقرّر أن دعاء اللّه لا ينفع والاستعاذة باللّه لا تكفي! وإنما الذي ينفع هو الاستعاذة بغير اللّه!!

فإذا أحال على هذا الكتاب القبيح، ومدحه وأوصى عموم الناس به، وهو مشتمل على الاستغاثة بغير اللّه؛ فهل هذا مما تبرأ به الذمّة!! وهل هذا من النصح للمسلمين!!

وقديمًا تكلَّم أئمةُ ضلالةٍ ودعاةُ خرافةٍ وشركٍ فقالوا: إن هذه الأعمال والاستغاثات بغير الله حرام لكن ليست بشرك وبعضهم صرّح بأن من الأعمال الشركية ما يكون مستحبًا!!

فهذا أحد المدافعين عن الشرك: عبد اللّه بن داود الزبيري (ت: ١٢٢٥هـ) صاحب كتاب «**الصواعق والرعود في الرد على ابن سعود**» قال منافحًا عن المشركين الذين يتوكلون على غير اللّه ويدعون ذلك الغير ويسألونه: «فهذا كافر بلا شك، لكن هذا لا يكاد يقع ممن

(١) المنهج المطهر للجسم والفؤاد ٥٥٦.

يدعي الإسلام، وفي قلبه إيمان وليس أحد من المسلمين عامة وخاصة يعتقدونه، وإنما يريدون أنهم عباد اللّه مكرمون، وأن من كرامتهم إجابة من توسل إليه بهم وهم مع ذلك مُقِرُّون للّه بالوحدانية ولنبيه بالرسالة... فما وقع منهم مع ذلك الاعتقاد قد يكون مستحبًا كما تقدم، وقد يكون مباحًا كما تقدم أيضًا، وقد يكون مكروهًا وقد يكون محرمًا لكن لا يكون كفرًا ينقل عن الملة»[(١)].

ثم هم يتظاهرون بالتردد في حكم من عبد غير اللّه إذا كان مظهرًا للشهادتين هل فعل محرمًا أم مكروهًا أم مباحًا أم مستحبًّا! ﴿قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [يونس].

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«أرأيتم لو أن بعض الناس أو أهل بلدة تزوجوا أخواتهم أو عماتهم جهلًا منهم، أَفَيَحلُّ لمن يؤمن باللّه واليوم الآخر أن يتركهم لا يعلمهم أن اللّه حرم الأخوات والعمات؟

فإن كنتم تعتذرون أن نكاحهم أعظم مما يفعله الناس اليوم عند قبور الأولياء والصحابة، وفي غيبتهم عنها، فاعلموا أنكم لم تعرفوا دين الإسلام، ولا شهادة أن لا إله إلا اللّه؛ ودليل هذا ما تقدم من الآيات التي بينها اللّه في كتابه. وإن عرفتم ذلك، فكيف يحل لكم كتمان ذلك والإعراض عنه، وقد أخذ اللّه ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه»[(٢)].

---

(١) الصواعق والرعود ٢٨٦ ـ ٢٨٧. وراجع التعريف بالمؤلف وكتابه ومناقشة بعض كلامه: عبدالله بن داود الزبيدي وكتابه الصواعق والرعود في الرد على ابن سعود دراسة عقدية نقدية، للدكتور حسان ابن إبراهيم الرديعان، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض ١٤٤١.

(٢) مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ الرسائل الشخصية ١٢٦/٧.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«ونختم هذا الكتاب بكلمة واحدة، وهي أن أقول: يا عباد اللّه، لا تطيعوني، وتفكروا، واسألوا أهل العلم من كل مذهب، عما قال اللّه ورسوله؛ وأنا أنصحكم: لا تظنوا أن الاعتقاد في الصالحين، مثل الزنا، والسرقة، بل هو عبادة للأصنام، من فعله كفر، وتبرأ منه رسول اللّه ﷺ يا عباد اللّه تفكروا، وتذكروا»[(١)].

ولما لم يذكر الكاتب حجته في القول بتحريم التوسل بالموتى وتحريم الاستغاثة بالمقبورين وأنه لا يبلغ مرتبة الشرك فيُعْلم من ذلك: ضَعْفُه في هذا المقام العظيم، ولو ذكر أدلة تحريم ذلك أو أنه ذريعة؛ فإن هذه الأدلة كافية في إيضاح الحق وإزهاق الباطل ولله الحمد، ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧] لأنها كلها أدلةٌ قطعيةٌ مُبينةٌ على أن الشرك في العبادة مخرج من الملة.

ولذلك سأذكر الأدلة على أنَّ صرف العبادة لغير اللّه شرك أكبر وهو حرام، بل من أعظم الحرام، فحُرْمَتُه بلغت مبلغًا عظيمًا، فهو الذنب الذي لا يغفره اللّه من بين سائر الذنوب والمعاصي، ولا يمكن لمن وقع فيه أن يدخل الجنة إلا إذا تاب قبل موته.

قال تعالى عن عبادة الدعاء: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون].

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ

(١) مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ الرسائل الشخصية ٥٥/٧، وانظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية ٧٨/١.

﴿عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر]. فالدعاء عبادة فمن صرف العبادة لغير اللّه فقد أشرك وكفر.

وقال عن عبادة الخوف: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران]. فمن خاف غير اللّه كخوفه من اللّه فليس من المؤمنين.

وقال عن عبادة الرجاء: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف].

وقال عن عبادة التوكل: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]. فمن توكل على غيره فقد أشرك.

وقال: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام]. وهذا يدل على أن من صرف هذه العبادات لغير اللّه فقد أشرك بالله سبحانه وتعالى.

وقال عن السجود: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [فصلت] فمن سجد لغير الله تعالى فقد عبد غير الله وأشرك بالله ولم يُخلص العبادة لله تعالى.

وعن عبد اللّه قال: سألت النبي ﷺ: «**أي الذنب أعظم عند اللّه؟ قال: «أن تجعل للّه ندًا وهو خلقك»**[1].

وجميع الأدلة على كفر من صرف العبادة لغير اللّه، لا يجوز صرفها عن ظاهرها إلا بدليل شرعي صحيح، وليس مع المعارض أي دليل حتى يدعي أنها انتقلت من وصفها كفرًا مخرجًا من الملة إلى

(١) أخرجه البخاري (٤٤٧٧)، ومسلم (١٧٠).

كونها حرامًا ليس بشرك، فكلام الكاتب بأنه يستنكر الاستغاثة بالمقبورين ثم ادعاؤه أن تلك الاستغاثة ليست شركًا أكبر وأن فاعليها من أهل التوحيد كلام مناقض لصريح النصوص الشرعية وليس معه أثارة من علم.

ويجب أن يلحظ في كلام الكاتب أنه يتكلم عن أساس دين الإسلام؛ وهو إفراد اللّه تعالى بالعبادة وإبطال عبادة ما سواه ثم يعرضه للناس بهذه الطريقة، فيقول: **[فقد يكون حرامًا وقد يكون وقد يكون... والكتاب ليس موضوعًا للمناقشة الفقهية]**، مما يُهَوِّنُ من شأن أُصْلَ الدين في قلب المسلم، حتى يجعل منزلة المسلم حقًّا ومنزلة الصارفين عباداتهم لغير اللّه في منزلة واحدة وهي الإسلام!!

وأما قول الكاتب: ص ١٦: **[أحرم التوسل بالموتى، وأستنكر الاستغاثة بالمقبورين وأقول إن الاستغاثة ذريعة إلى الشرك]**، فهذا الكلام لا يعفيه من التقصير والمؤاخذة؛ أما التوسل فسيأتي الكلام عنه، وأما الاستغاثة فالذي يظهر من كلامه أنه لا يرى أنها حرام، وسيأتي أنه يجعل ذلك من الخطأ فقط وأنها مسألة فقهية.

هذا وقد قال بعض دعاة الشرك: إن فعل الاستغاثة بغير اللّه ذنب، وصاحبه مخطئ، وخطؤه مغفور له، واستنكروا تكفير أهل العلم له[(١)]!!

➤ الإجماع على كفر من عَبَدَ غير اللّه:

واعلم أن القول بكفر من عبد غير اللّه وأشرك به ليس قول طائفة محدودة من أهل العلم؛ بل هو قول جميع الأنبياء والرسل كما

(١) انظر ما سيأتي: ص١٥٨ ـ ١٦٢.

حكى اللّه عنهم، وهو قول أتباع الرسل من كافة أهل العلم والإيمان؛ وحكى الإجماع غير واحد على كُفْرِ هذا الصنف.

قال الشيخ عبد اللطيف آل الشيخ: «قال شيخ الإسلام أبو العباس، فيما نقله عنه أكابر أصحابه وأعيان أهل مذهبه: من جعل بينه وبين اللّه وسائط يدعوهم ويسألهم ويتوكَّل عليهم كفر إجماعًا. قال شارحه[(١)]: لأنه فِعْلُ عابدي الأصنام، قائلين: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]. وذكره ابن حجر الشافعي في «الإعلام بقواطع الإسلام» راضيًا به مقررًا له، وأبواب الردَّة يستفتحها الفقهاء بذكر الشرك في الربوبية والإلهية»[(٢)].

وقال شيخ الإسلام: «فمن جعل الملائكة والأنبياء وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع ودفع المضارِّ، مثل أن يسألهم غفران الذنب، وهداية القلوب وتفريج الكروب وسدِّ الفاقات: فهو كافر بإجماع المسلمين»[(٣)].

وقال ابن حجر الهيتمي الشافعي ـ بعد نقله للمكفرات عند الحنفية والمالكية ثم ذكر بعض المكفرات عند الحنابلة ـ: «ومن ذلك أن يجعل بينه وبين اللّه تعالى وسائط يتوكل عليهم ويدعوهم ويسألهم قالوا: إجماعًا، أو يسجد لنحو شمس»[(٤)].

والنزاع بيننا وبين هذا وأمثاله إنما هو في عبادة الأولياء والصالحين الذي عدلوا بربهم وسوّوا به غيرَه في خالص حقه، وشبّهوا عبادَه به في استحقاق الإلهية والعبادة.

---

(١) المراد: شارح الإقناع، من كتب الحنابلة، منصور بن يونس البهوتي المصري.
(٢) مصباح الظلام ٣/٥٢٧، وانظر: كشاف القناع ١٤/٢٢٧.
(٣) مجموع الفتاوى ١/١٢٤.
(٤) الإعلام بقواطع الإسلام ص: ٢١٣.

وأما قوله: [أنا أحرم التوسل بالموتى]، فينبغي أن يُعلم أن التوسل بالموتى كلمة مجملة تحتمل أكثر من معنى:

فقد يراد بالتوسل بالموتى أن يجعلهم واسطة في دعائه فيدعوهم ويستغيث بهم.

وقد يراد بالتوسل بالموتى التوسل بجاههم ومكانتهم.

وقد يراد بالتوسل بالموتى الإقسام بهم.

وقد يراد بالتوسل بالموتى التوسل بمحبتهم والعمل بهديهم إذا كانوا مثل الصحابة وأئمة السنّة.

فالأول: شرك أكبر، والثاني: بدعة منكرة، والثالث: حلف بغير اللّه وهو من الشرك الأصغر، والرابع: من التوسل بالعمل الصالح.

فأما **الأول**: وهو أن يراد بالتوسل بالموتى أن يجعل الموتى وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم الشفاعة، فقد حكى الإجماع على وصف هذا العمل بأنه كفر وشرك، شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ كما نقلناه سابقًا.

قال في الإقناع وشرحه: «وقال: [أي شيخ الإسلام] أو جعل بينه وبين اللّه وسائط يتوكل عليهم، ويدعوهم ويسألهم إجماعا. انتهى، أي: كفر؛ لأن ذلك كفعل عابدي الأصنام قائلين: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]. (أو سجد لصنم أو شمس أو قمر) وعبارة «المنتهى»: لكوكب، فيدخل فيه سائر الكواكب، كفر؛ لأن ذلك إشراك»[١].

وبيَّن شيخ الإسلام ابن تيمية أن النبوَّات اتَّفقت على تكفير مَنْ

(١) كشاف القناع ٢٢٧/١٤.

دعا الأموات والغائبين، وقرَّر أن هذا من العبادات التي لا تصرف لغير اللّه ولا يستحقها أحد سواه، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولهذا كان من تدبر التوراة وغيرها من كلام الأنبياء عليهم السلام من النصارى، تبين له أن دينهم يناقض دين الأنبياء كلهم، وأن ما هم عليه من التثليث والاتحاد والشرك، لم يُبعث به أحد من الأنبياء عليهم السلام، وما يفعلونه من دعاء المخلوقين كالملائكة، أو كالأنبياء والصالحين الذين ماتوا، مثل دعائهم مريم وغيرها، وطلبهم من الأموات الشفاعة لهم عند اللّه لم يبعث به أحد من الأنبياء، فكيف وقد صوروا تماثيلهم ليكون تذكيرًا لهم بأصحابها، ويدعون تلك الصور؟ وإن قصدوا دعاء أصحابها، فهم إذا صرحوا بدعاء أصحابها وطلبوا منهم الشفاعة وهم موتى وغائبون، كانوا مشركين، فكيف إذا كان الدعاء في الظاهر لتماثيلهم المصورة، وهذا مما يعترف حُذّاق علمائهم بأنه مخالف لدين الأنبياء كلهم»[(١)].

وقال أيضًا: «وكان أولئك يسجدون للشمس والقمر والكواكب، فصار هؤلاء يسجدون إليها إلى جهة الشرق التي تظهر منها الشمس والقمر والكواكب، وجعلوا السجود إليها بدلًا عن السجود لها؛ ولهذا جاء خاتم الرسل صلوات اللّه عليه وسلامه الذي ختم اللّه به الرسالة وأظهر به من كمال التوحيد ما لم يظهر بمن قبله، فأمر ﷺ أن لا يتحرى أحد بصلاته طلوع الشمس ولا غروبها؛ لأن المشركين يسجدون لها تلك الساعة، فإذا صلى الموحدون للّه عَزَّ وَجَلَّ في تلك الساعة، صار في ذلك نوع مشابهة لهم فيتخذ ذريعة إلى السجود لها، وكان من أعظم أسباب عبادة الأصنام تصوير الصور وتعظيم القبور»، ثم ساق الأحاديث في ذلك، ثم قال:

(١) الجواب الصحيح ٤/٤٦٢.

«فأين هذا ممن يصور صور المخلوقين في الكنائس ويعظمها ويستشفع بمن صورت على صورته؟ وهل كان أصل عبادة الأصنام في بني آدم من عهد نوح عليه السلام إلا هذا؟ والصلاة إلى الشمس والقمر والكواكب والسجود إليها ذريعة إلى السجود لها، ولم يأمر أحد من الأنبياء باتخاذ الصور والاستشفاع بأصحابها، ولا بالسجود إلى الشمس والقمر والكواكب، وإن كان يذكر عن بعض الأنبياء تصوير صورة لمصلحة، فإن هذا من الأمور التي قد تتنوع فيها الشرائع بخلاف السجود لها والاستشفاع بأصحابها، فإن هذا لم يشرعه نبي من الأنبياء، ولا أمر قط أحد من الأنبياء أن يدعى غير الله عز وجل لا عند قبره، ولا في مغيبه، ولا يشفع به في مغيبه بعد موته، بخلاف الاستشفاع بالنبي ﷺ في حياته ويوم القيامة، وبالتوسل به بدعائه، والإيمان به، فهذا من شرع الأنبياء عليهم السلام، ولهذا قال تعالى: ﴿وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزخرف]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يونس]، وقال تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ

﴿سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ۝٤﴾ [الزمر]»[(١)].

إلى أن قال: «وأما مشركو العرب وأمثالهم فكانوا مقرين بالصانع، وبأنه خلق السماوات والأرض، فكانت عقيدة مشركي العرب خيرًا من عقيدة هؤلاء الفلاسفة الدهرية إذ كانوا مقرين بأن هذه السماوات مخلوقة للّه حادثة بعد أن لم تكن، وهذا مذهب جماهير أهل الأرض ومن أهل الملل الثلاثة: المسلمون، واليهود، والنصارى، ومن المجوس، والمشركين، وهؤلاء الدهرية من الفلاسفة وغيرهم يزعمون أن السماوات أزلية قديمة لم تزل، وكان مشركو العرب يقرون بأن اللّه قادر يفعل بمشيئته ويجيب دعاء الداعي إذا دعاه...»[(٢)].

فهذا كلام شيخ الإسلام ابن تيمية يبيِّن فيه أن إقرار المشركين باللّه وبأنه الصانع والخالق القادر وأنه يفعل بمشيئته ويجيب دعاء الداعين فلم ينفعهم ذلك: «والمقصود هنا أن المشركين لم يكونوا يثبتون مع اللّه إلهًا آخر مساويًا له في الصفات والأفعال، بل ولا كانوا يقولون: إن الكواكب والشمس والقمر خلقت العالم، ولا أن الأصنام تخلق شيئًا من العالم، ومن ظنَّ أن قوم إبراهيم الخليل كانوا يعتقدون أن النجم أو الشمس أو القمر رب العالمين، أو أن الخليل عليه السلام لما قال: ﴿هَٰذَا رَبِّيۖ﴾، أراد به رب العالمين فقد غلط غلطًا بينًا، بل قوم إبراهيم كانوا مقرين بالصانع، وكانوا يشركون بعبادته كأمثالهم من المشركين.. فأخبر تعالى عن المشركين أنهم كانوا يقرون بأن خالق العالم واحد مع اتخاذهم آلهة يعبدونهم من دونه سبحانه يتخذونهم شفعاء إليه ويتقربون بهم إليه»[(٣)].

---

(١) الجواب الصحيح ١/٣٤٦ ـ ٣٥١.

(٢) الجواب الصحيح ١/٣٥٣.

(٣) المصدر السابق ١/٣٥٤.

وقال أيضًا: «وهذا الذي نهى عنه النبي ﷺ من هذا الشرك هو كذلك في شرائع غيره من الأنبياء: ففي التوراة أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ نهى بني إسرائيل عن دعاء الأموات وغير ذلك من الشرك وذكر أن ذلك من أسباب عقوبة اللّه لمن فعله؛ وذلك أن دين الأنبياء عليهم السلام واحد وإن تنوعت شرائعهم كما في الصحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «إنا معشر الأنبياء ديننا واحد»[(١)]»[(٢)].

وقال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن آل الشيخ في الرد على معارضٍ حاله مثل حال هذا الكاتب: «وشبهة المعترض إنما أتته من حيث ظنَّ أن دعاء الصالحين وعبادتهم والتوكل عليهم ذنب دون الشرك لا يخلُّ بالتوحيد بل يبقى معه من التوحيد والإيمان ما ينجو به صاحبه، هذا معنى ما قرره هنا، قد تقدَّم أنه لا يراه ذنبًا من الذنوب، وكلامه متناقض مختلف، ولكنه أورد الحديث هنا لما ذكرنا من ظنه وحسبانه فسبحان من طبع على قلبه»[(٣)].

وأما **الثاني** من معاني التوسل بالموتى فهو التوسل بجاههم ومكانتهم: فهو من الابتداع في الدعاء ولم يثبت في الشريعة استحبابه[(٤)].

وأما **الثالث** وهو الإقسام بهم: فهذا من الشرك الأصغر وهو ما صرَّحت بتحريمه الأحاديث كقوله ﷺ: «**من حلف بغير اللّه فقد كفر أو أشرك**»[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٤٣)، ومسلم (٢٣٦٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه، بلفظ: «**أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلَّاتٍ، أمهاتهم شتى ودينهم واحدٌ**».

(٢) مجموع الفتاوى ١/٣٥٧.

(٣) مصباح الظلام ص: ٥٩٩.

(٤) انظر: التوسل والوسيلة لشيخ الإسلام ابن تيمة رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٥) أخرجه الترمذي (١٥٣٥) وغيره.

وأما **الرابع**: وهو التوسل بمحبتهم والعمل بهديهم إذا كانوا مثل الصحابة وأئمة السنة، فمحبة الصحابة وأهل العلم والدين يؤجر عليها المسلم، وهي من العمل الصالح، فإذا سأل اللّه بحبه لهم واقتدائه بأعمالهم وهو صادق في ذلك؛ فهذا من جنس التوسل بالأعمال الصالحة؛ كما فعل الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة فتوسلوا إلى اللّه في دعائهم كل واحد منهم بعمله الصالح[1].

➤ بيان حكم الشرك في العبادة:

الشرك في العبادة أعظم الذنوب وهو مخرج من ملة الإسلام، قال اللّه تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر]، وقال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف]، قال اللّه جل وعلا: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام]، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر].

والشرك هو تسوية غير اللّه باللّه في شيء من خصائص اللّه وحقوقه، ويدل على هذا قوله تعالى: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [الشعراء]، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنعام]، وما رواه الشيخان[2] من حديث ابن

---

(١) انظر: البخاري (٢٢٧٢) ومسلم (٧٠٥١).

(٢) البخاري (٤٤٧٧) ومسلم (٨٦).

مسعود ﷺ لمَّا سألَ النبي ﷺ فقال أيّ الذنب أعظم عند اللّه؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «**أن تجعل للّه ندًّا وهو خلقك**»، قلتُ: إنَّ ذلك لعظيم.

وهذه العقيدة الواضحة الواضحة النقية معلومة من دعوة خاتم المرسلين عليه الصلاة والسلام بالضرورة، وكانت بينة ظاهرة مستقرة عند المسلمين في القرون الأولى قبل أن يدخل الشرك ووسائله على هذه الأمة، فهذا إمام الأئمة أبو بكر ابن خزيمة الشافعي (ت: ٣١١هـ) رحمه الله، يقرِّر هذه العقيدة، ويخبر عن بديهِيَّتها عند جميع المسلمين في زمانه ـ آخر القرن الثالث ـ فيقول: «أَفليس العلم محيطًا يا ذوي الحجا أنه غير جائز أن يأمر النبي ﷺ بالتعوّذ بخلق اللّه من شر خلقه؟ هل سمعتم عالمًا يُجيز أن يقول الداعي: أعوذ بالكعبة من شر خلق اللّه؟ أو يجيز أن يقول الداعي: أعوذ بالصفا والمروة، أعوذ بعرفات ومنًى من شرِّ ما خلق اللّه؟ هذا لا يقوله ولا يجيز القول به مسلم يعرف دين اللّه، محال أن يستعيذ مسلمٌ بخلق اللّه من شر خلقه»[(١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «أصل الشرك أن تعدل باللّه تعالى مخلوقاته في بعض ما يستحقه وحده، فإنه لم يعدل باللّه أحد من المخلوقات في جميع الأمور، فمن عبد غيره أو توكل عليه فهو مشرك»[(٢)].

ويكون الشرك الأكبر في الأفعال كالسجود لغير اللّه والذبح لغير اللّه، ويكون في الأقوال كمن يدعو غير اللّه سواءً كان دعاء

(١) التوحيد لابن خزيمة ١/٤٠١ ـ ٤٠٢.
(٢) الاستقامة ١/٣٤٤.

عبادة أو دعاء مسألة أو يستغيث بغير اللّه أو يستعين بغير اللّه أو يستعيذ بغير اللّه فيما لا يقدر عليه إلا اللّه ﷻ؛ سواءً كان هذا الغير نبيًّا أو وليًّا أو ملكًا أو جنيًّا أو غير ذلك من المخلوقات.

ولهذا قال اللّه تعالى عن الذين يدعون غيره: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [العنكبوت]، لأنهم في حال الرخاء والنجاة يدعون غير اللّه ﷻ فسماهم مشركين.

وهذا النوع يسمى شرك الدعوة، أو شرك الدعاء، والدعاء عبادة عظيمة لا يجوز صرفها لغير اللّه، فمن دعا اللّه وهو يريد بالدعاء طلب نفع أو دفع ضر فهذا الدعاء يسمى «**دعاء مسألة**»، ومن دعا اللّه وهو يريد بالدعاء الخضوع والانكسار والذل بين يدي اللّه ﷻ شأنه فهذا الدعاء يسمى دعاء عبادة، وكلا نوعي الدعاء لا بد فيه من الخضوع والذل؛ لكن دعاء العبادة ليس فيه طلب مباشر كدعاء المسألة، وإنما يكون قصده من العمل الطلب والثواب والمسألة كالصلاة والصيام والأعمال الصالحة[(١)].

والدعاء بنوعيه: دعاء المسألة ودعاء العبادة؛ لا يجوز صرفه لغير اللّه تعالى، والدعاء أعظم العبادات وأفضل القربات، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ﴾ [البقرة: ١٨٦] وقال آمرًا بدعائه وسؤاله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر] وجاء في مسند الإمام أحمد ورواه أهل السنن[(٢)] من

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد لابن عثيمين ٢٦٢/١.

(٢) مسند أحمد (١٨٥٤٢)، أبو داود (١٤٧٩)، الترمذي (٢٩٦٩)، ابن ماجه (٣٨٢٨).

حديث النعمان بن بشير أن رسول اللّه ﷺ قال: «**إن الدعاء هو العبادة**» ثم قرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾».

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن أنواعه ـ أي الشرك الأكبر ـ طلب الحوائج من الموتى، والاستغاثة بهم، والتوجه إليهم، وهذا أصل شرك العالم، فإن الميت قد انقطع عمله، وهو لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا، فضلًا لمن استغاث به، وسأله قضاء حاجته، أو سأله أن يشفع له إلى اللّه فيها، وهذا من جهله بالشافع، والمشفوع عنده»[1].

والعبادات جميعها بأنواعها القلبية، والفعلية، والقولية: حق للّه تعالى وحده، لا يجوز أن تصرف لغيره، فمن صرف شيئًا منها لغير اللّه فقد وقع في الشرك الأكبر.

قال الشيخ عبد الرحمٰن السعدي: «كل اعتقادٍ أو قولٍ أو عملٍ ثبت أنه مأمور به من الشارع، فصرفه للّه وحده توحيد وإيمان وإخلاص، وصرفه لغيره شرك وكفر»[2].

قال الشيخ حمد بن ناصر بن معمر رحمه اللّه تعالى: «من تأمل أدلة الكتاب والسنة، علم أن شرك المشركين الذين كفَّرهم النبي ﷺ إنما هو في الدعاء والذبح والنذر والتوكل والالتجاء ونحو ذلك. فإن جادل مجادلٌ وزعم أنه ليس هذا؛ قيل له: فأخبرنا عمَّا كانوا يفعلون عند آلهتهم، وما الذي يريدون؟ وما هذا الشرك الذي حكاه اللّه عنهم؟ فإن قال: شركهم عبادة غير اللّه. قيل له: وما معنى عبادتهم لغير اللّه؟ أتظن أنهم يعترفون أن تلك الأخشاب والأحجار تخلق

(١) مدارج السالكين ١/٥٣٣.
(٢) القول السديد شرح كتاب التوحيد ٥٨.

وترزق وتدبر أمر من دعاها؟ فهذا يكذبه القرآن لأنَّ اللّه أخبر عنهم أنهم مُقِرُّون بذلك للّه وحده. فإن قال: إنَّهم يريدون منهم النفع والضر من دون اللّه فهذا يكذبه القرآن أيضًا، لأنَّ اللّه أخبر عنهم أنهم لم يريدوا إلا التقرب بهم إلى اللّه وشفاعتهم عنده كما قال تعالى حاكيًا عنهم: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ الآية، وقال تعالى: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمۡ وَلَا يَضُرُّهُمۡ﴾ الآية... فيقال لمن أنكر أن يكون دعاء الموتى والاستغاثة بهم في الشدائد شركًا أكبر: أخبرنا عن هذا الشرك الذي عظمه اللّه وأخبر أنه لا يغفره؟ أتظن أنَّ اللّه يحرمه هذا التحريم ولا يبينه لنا؟![1].

ومعلوم أن اللّه سبحانه أنزل كتابه تبيانًا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين، وقد أخبر في كتابه أنه أكمل لنا الدين وأتم علينا النعمة ورضي لنا الإسلام دينًا؛ فكيف يجوز أن يترك بيان الشرك الذي هو أعظم ذنب عصي اللّه به سبحانه؟! فإذا أصغى الإنسان إلى كتاب اللّه وتدبره وجد فيه الهدى والشفاء ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ﴾ [سورة الرعد: ٣٣]، ﴿وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾ [سورة النور].

ويقال أيضًا: قد أمرنا اللّه سبحانه بدعائه وسؤاله، وأخبر أنه يجيب دعوة الداع إذا دعاه وأمرنا أن ندعوه خوفًا وطمعًا، فإذا سمع الإنسان قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾ [سورة غافر: ٦٠] وقوله: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعًا وَخُفۡيَةً﴾ [سورة الأعراف: ٥٥] وأطاع اللّه ودعاه وأنزل به حاجته وسأله تضرعًا وخفية، فمعلوم أنَّ

(١) أو يزعم أن اللّه جعل الشرك أمرًا خفيًّا وهو ما يقوم بالقلوب فقط! وعليه فلا يمكن الحكم بالشرك إلا إذا أفصح عما في قلبه!! فهذا من أبطل الباطل.

هذا عبادة، فيقال: فإن دعا في تلك الحاجة نبيًا أو ملَكًا أو عبدًا صالحًا، هل أشرك في هذه العبادة؟ فلا بد أن يقرّ بذلك إلا أن يكابر ويعاند.

ويقال أيضًا: إذا قال اللّه: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ وأطعت اللّه ونحرت له هل هذا عبادة؟ فلا بد أن يقول: نعم؛ فيقال له: فإذا ذبحت لمخلوق نبيّ أو مَلَكٍ أو غيرهما هل أشركت في هذه العبادة؟ فلا بد أن يقول: نعم، إلا أن يكابر ويعاند، وكذلك السجود عبادة، فلو سجد لغير اللّه لكان شركًا، ومعلوم أن اللّه ﷻ ذكر في كتابه النهي عن دعاء غيره وتكاثرت نصوص القرآن على النهي عن ذلك أعظم مما ورد في النهي عن السجود لغير اللّه والذبح لغير اللّه. فإذا كان من سجد لِقَبْر نبيّ أو مَلَكٍ وعبدٍ صالح لا يشك أحدٌ في كفره، وكذلك لو ذبح له القربان لم يشكَّ أحدٌ في كفره لأنه أشرك في عبادة الله غيره.

فيقال: السجود عبادة وذبح القربان عبادة والدعاء عبادة، فما الفارق بين السجود والذبح وبين الدعاء إذ الكلّ عبادة والدعاء عبادة؟ وما الدليل على أن السجود لغير اللّه والذبح لغير اللّه شرك أكبر، والدعاء بما لا يقدر عليه إلا اللّه شرك أصغر.

ويقال أيضًا: قد ذكر أهل العلم من أهل كل مذهب، باب حكم المرتد، وذكروا فيه أنواعًا كثيرة، كلّ نوع منها يكفر به الرجل ويحل دمه وماله، ولم يَرِدْ في واحد منها ما ورد في الدعاء؛ بل لا نعلم نوعًا من أنواع الكفر والردة ورد فيه من النصوص مثل ما ورد في دعاء غير اللّه، بالنهي عنه والتحذير من فعله والوعيد عليه. ولا يشتبه هذا إلا على من لم يعرف حقيقة ما بعث اللّه به محمدًا ﷺ من التوحيد، ولم يعرف حقيقة شرك المشركين الذين كفَّرهم النبي ﷺ،

وأحلّ دماءهم، وأموالهم، وأمره اللّه أن يقاتلهم ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ أي لا يكون شرك ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾.

فمن أصغى إلى كتاب اللّه علِم علمًا ضروريًّا أن دعاء الأموات من أعظم الشرك الذي كفَّر اللّه به المشركين، فكيف يسوغ لمن عرف التوحيد الذي بعث اللّه به محمدًا ﷺ أن يجعل ذلك من الشرك الأصغر[1]، ويقول قد عُدِمَ النصُّ الصريح على كفر فاعله؟ فإنَّ الأدلة القرآنية والنصوص النبوية قد دلَّت على ذلك دلالة ظاهرة ليست خفيَّة، ومن أعمى اللّه بصيرته فلا حيلة فيه ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ١٨٦﴾.

وأيضًا: فإن كثيرًا من المسائل التي ذكرها العلماء في مسائل الكفر والردة، وانعقد عليها الإجماع، لم يرد فيها نصوص صريحة بتسميتها كفرًا، وإنما يستنبطها العلماء من عموم النصوص كما إذا ذبح المسلم نسكًا متقرِّبًا به إلى غير اللّه فإنَّ هذا كفر بالإجماع كما نص على ذلك النوويُّ[2] وغيره.

وكذلك لو سجد لغير اللّه، فإذا قيل: هذا شرك؛ لأن الذبح عبادة والسجود عبادة فلا يجوز لغير اللّه كما دل على ذلك قوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ٢﴾ [سورة الكوثر] وقوله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ [سورة الأنعام] فهذا صريح في الأمر بهما وأنه لا يجوز صرفهما لغير اللّه؟ فينبغي أن يقال: فأين الدليل المصرح بأن هذا كفر بعينه؟

ولازم هذه المجادلة الإنكار على العلماء في كل مسألة من

---

(١) أو يزعم أنه من المحرمات وليس شركًا بالله تعالى!

(٢) شرح النووي على مسلم ١٤١/١٣، باب تحريم الذبح لغير اللّه تعالى ولعن فاعله.

مسائل الكفر والردة التي لم يرد فيها نصٌّ بعينها، مع أن هذه المسألة المسؤول عنها قد وجدت فيها النصوص الصريحة من كلام اللّه وكلام رسوله، وأوردنا من ذلك ما فيه الهدى لمن هداه اللّه»[(١)].

وبهذا يتبين أنه لا يشترط في معرفة حكم صرف العبادات لغير اللّه أن يذكر النص على تلك العبادة المعينة.

كما أن إنكار ما وردت به الشريعة يكون كفرًا، ولا يشترط النص على كل إنكار معين؛ فالتنصيص على التكفير بجزئيات لم تذكر كمن أنكر الجن، أو كذَّب بالنار، أو أنكر أن جبريل نزل بالوحي إلى النبي ﷺ أو كذب بمشروعية الإقامة للصلاة أو أنكر مشروعية قيام الليل، لا يلزم من ذلك وجود نص خاص بكل جزئية، فيعلم كفره من مجرد إنكاره، وذلك بعد التعريف وإقامة الحجة الرساليَّة إن كانت لم تبلغه، ومثل هذا من صرف الدعاء لغير اللّه وسائر العبادات، فقد بيَّن اللّه في كتابه كفر من فعل ذلك وكفر من عبد غير اللّه؛ قال تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون]، ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ﴿٥﴾﴾ [الأحقاف]، ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر]، ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [غافر]، فيدخل في ذلك جميع صور العبادة.

(١) مجموعة الرسائل والمسائل والفتاوى ١٣٧ ـ ١٤٥، الدرر السنية ١٣/١١ ـ ٢٢.

أما قول المؤلف: **[قد يكون حرامًا...] إلخ.**

فيوجه له ولمن قال بقوله سؤال فيقال: ما الدليل على تحريمه؟ وهل الأدلة الدالة على تحريم الشرك باللّه لا تشمل هذه الصورة؟

ويمكن أن نصيغ السؤال بطريقة أخرى فنقول: قول الداعي من المشركين: (يا اللات أو يا العزى أسألك القوة والصحة والعافية). وقول الداعي من المدَّعين للإسلام: (يا عبد القادر الجيلاني أو يا بدوي أسألك القوة والصحة والعافية) ما الفرق بينهما؟

ولو أنَّ متظاهرًا بالإسلام استغاث باللَّات والعزَّى! فما عسى الكاتب أن يقول في حكمه عليه؟ فيلزمه أنه يتسامح معه ويقول له: لا زلت مسلمًا لأنك تنطق بالشهادتين!

➢ رجوع الكاتب عن قوله بالفرق بين توحيد الألوهية والربوبية:

يقول الكاتب في التمهيد ص ١٥: **[وأنه لا وجود لشرك في العبادة إلا بنقض توحيد الربوبية].**

في هذا النص يصرِّح بأنه لا وجود لشرك في العبادة إلا بنقض توحيد الربوبية، وهذا كلام غلط من وجوه كثيرة تقدم بعضها، ونزيده وضوحًا فنقول:

١ ـ إنَّ الشرك في العبادة كفرٌ مستقلٌّ، والشرك في الربوبية كفرٌ مستقلٌّ أيضًا.

وقد يجتمعان فيكونان شرًّا على شر وظلمة فوق ظلمة، ولا يعني انفراد الشرك في الألوهية أنه لا يقع إلا إذا وجد شرك في الربوبية، ومثله لو أقر بالألوهية والربوبية وأشرك في توحيد الأسماء

والصفات كفر بالإجماع، ولو أقرَّ بأنواع التوحيد الثلاثة وأنكر الصلاة أو أنكر الزكاة لم ينفعه إقراره وهكذا.

وقد ذكر المقريزي في كتابه «**تجريد التوحيد المفيد**» أنواع الشرك فقال:

«وشرك الأمم نوعان: النوع الأول: شرك في الإلهية وشرك في الربوبية. فالشرك في الإلهية والعبادة هو الغالب على أهل الإشراك، وهو شرك عبَّاد الأصنام وعبَّاد الملائكة وعبَّاد الجن وعبَّاد المشايخ والصالحين الأحياء والأموات الذين قالوا: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] ويشفعوا لنا عنده وينالُنا بسبب قربهم من اللّه وكرامته لهم: قُرب وكرامة، كما هو المعهود في الدنيا من حصول الكرامة والزلفى لمن يخدم أعوان الملك وأقاربه وخاصّته، والكتب الإلهية كلها من أولها إلى آخرها تبطل هذا المذهب وتردّه وتقبّح أهله وتنصّ على أنهم أعداء اللّه، وجميع الرسل صلوات اللّه وسلامه عليهم متفقون على ذلك من أولهم إلى آخرهم، وما أهلك اللّه تعالى من أهلك من الأمم إلا بسبب هذا الشرك ومن أجله».

ثم ذكر النوع الثاني وهو الشرك في الربوبية مثل شرك المجوس وغيرهم الذين يقولون بأن للعالم خالقين: أحدهما يخلق الخير والآخر يخلق الشر. ثم قال: «وكثيرًا ما يجتمع الشركان في العبد وينفرد أحدهما عن الآخر. والقرآن الكريم بل الكتب المنزلة من عند اللّه تعالى، كلّها مصرحة بالرد على أهل هذا الإشراك كقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ فإنه ينفي شرك المحبة والإلهية وقوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ فإنه ينفي شرك الخلق والربوبية فتضمَّنت هذه الآية تجريد التوحيد لرب العالمين في العبادة، وأنه لا يجوز إشراك غيره معه، لا في الأفعال ولا في الألفاظ، ولا في الإرادات، فالشرك به في

الأفعال كالسجود لغيره سبحانه...»[(١)].

فصرّح المقريزي بأن الشركين ينفرد أحدهما عن الآخر.

٢ ـ قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «**كشف الشبهات**» في رد هذه الشبهة:

«**فإن قال: أنا لا أعبد إلا اللّه، وهذا الالتجاء إلى الصالحين، ودعاؤهم ليس بعبادة. فقل له: أنت تقرُّ أن اللّه فرض عليك إخلاص العبادة وهو حقه عليك؟ فإذا قال: نعم، فقل له: بَيِّنْ لي هذا الذي فرض عليك وهو إخلاص العبادة للّه وحده وهو حقه عليك فإنه لا يعرف العبادة ولا أنواعها فبينها له بقولك: قال اللّه تعالى:** ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥]، فإذا أعلمته بهذا فقل له: هل علمت هذا عبادة للّه؟ فلا بد أن يقول: نعم، والدعاء مُخُّ العبادة. فقل له: إذا أقررت أنه عبادة للّه ودعوت اللّه ليلًا ونهارًا خوفًا وطمعًا، ثم دعوت في تلك الحاجة نبيًّا أو غيره هل أشركت في عبادة اللّه غيره؟ فلا بد أن يقول: نعم. فقل له: إذا عملت بقول اللّه إذْ قال اللّه: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ [الكوثر]، وأطعت اللّه ونحرت له هل هذا عبادة؟ فلا بد أن يقول: نعم. فقل له: إذا نحرت لمخلوقٍ نبيٍّ أو جنيٍّ أو غيرهما، هل أشركت في هذه العبادة غير اللّه؟ فلا بُدَّ أن يقر، ويقول: نعم. وقل له أيضًا: المشركون الذين نزل فيهم القرآن، هل كانوا يعبدون الملائكة والصالحين واللات وغير ذلك؟ فلا بدَّ أن يقول: نعم. فقل له: وهل كانت عبادتهم إياهم إلا في الدعاء والذبح والالتجاء ونحو ذلك، وإلا فهم مُقِرُّون أنهم عبيد اللّه وتحت قهره، وأن اللّه هو الذي يُدبِّر الأمر ولكن دعوهم، والتجؤوا إليهم للجاه والشفاعة، وهذا ظاهر جدًّا»[(٢)].

---

(١) تجريد التوحيد المفيد ص ٤٥ ـ ٥١.

(٢) كشف الشبهات ٨٦.

٣ ـ ويقال له أيضًا: إنَّ اللّه تعالى رتَّب أحكام الكفر على أعمال موضحة؛ وعلَّق الحكم بالكفر بنفس الشرك وعبادة غير اللّه، فمن وقع فيها حكم عليه بمقتضى عمله؛ مثل قوله تعالى: ﴿وَقَـٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾ [التوبة: ٣٦]، وقوله: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ﴾ [المائدة: ٧٢]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨]، **وتعليق الحكم بوصف مشتق دليل على علة الحكم**، وكذلك في حكم السحر وادعاء علم الغيب والتكذيب بالبعث والسجود للشمس والقمر، وأمثلة أخرى كثيرة دلت النصوص على كفر من فعلها، ولا يتوقف ذلك على وجود نقض لتوحيد الربوبية، قال تعالى في شأن السحر: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢].

فلا يجوز أن يتعقب كلام اللّه تعالى ويقال: لا يكفر حتى يكون منكرًا للربوبية! وقال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]؛ فمن ادعى علم الغيب فقد كفر.

وقال تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧﴾ [التغابن] فمن أنكر البعث بعد الموت كفر، ولو كان ينطق بالشهادتين؛ لا يقال: لا بد من تحقق شرط إنكار الربوبية!

وقال تعالى: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ۝٢٤﴾ [النمل]، فمن سجد للشمس فقد كفر وعبد غير اللّه تعالى، ولهذا قال اللّه جل وعلا: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَـٰفِرِينَ ۝٤٣﴾ [النمل].

وقال تعالى: ﴿...لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ

ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾﴾ [فصلت]، ولا يقال: لا يكفرون حتى ينكروا ربوبية اللّه.

فكل ما كان من الأفعال والأقوال عبادة ورد الأمر بها؛ فيجب صرفها للّه تعالى وحده ويكون صرفها لغيره شركًا أكبر ونقضًا عظيمًا لشهادة أنْ لا إلٰه إلا اللّه، ولو تلفظ بها لأنه مخالف لها ومفسد لها بعمله أو قوله.

وكذلك الشرك في العبادة يدخل فيه جميع أنواع العبادة التي أمر اللّه تعالى بها، فيجب صرفها للّه، مثل الخوف والمحبة والرجاء والصلاة والسجود والركوع والدعاء والذبح والنذر؛ قال تعالى عن المشركين: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [الأنعام]. فهذه الآية الكريمة تبين حال المشركين في عباداتهم وأنهم يصرفونها لغير اللّه مع اعتقادهم أن اللّه أكمل وأعظم من معبوداتهم، لكن لم ينفعهم ذلك الاعتقاد ولم يزل عنهم وصف الشرك.

٤ ـ ومما يرد به على هذه الشبهة: قول الرسول ﷺ: «**من قال: لا إلٰه إلا اللّه، وكفر بما يُعبد من دون اللّه؛ حرم ماله ودمه وحسابه على اللّه**»[1].

فاشترط النبي ﷺ الكفر بما يعبد من دون اللّه، وهذا من معنى لا إلٰه إلا اللّه، فعُلِمَ أنَّ مِنَ الناسِ مَنْ يقول: لا إلٰه إلا اللّه،

(١) أخرجه مسلم (٢٣).

ولا يكفر بما يعبد من دون اللّه! فلا ينفعه ذلك القول وذلك الإقرار؛ فكيف بمن يزعم أنه ينفعه الإقرار بتوحيد الربوبية فقط.

٥ ـ ومن الرد على هذا الكلام الفاسد: أن الرسول ﷺ قال: «**من مات وهو يدعو من دون اللّه ندًّا دخل النار**»[(١)]. فرتب الحكم على الفعل، ولمَّا قال له أحد الصحابة: ما شاء اللّه وشئت فقال: «**أجعلتني للّه عدلًا؟ قل: ما شاء اللّه وحده**»[(٢)]. ولم يقل له: ما دمت معترفًا بتوحيد الربوبية فلا يقع منك التنديد أو الشرك؛ بل حكم عليه بأنه جعله للّه ندًّا.

وهكذا حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب. فقال: «**يا عديُّ اطرح عنك هذا الوثن**»، وسمعته يقرأ في سورة براءة: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]، قال: «**أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئًا استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئًا حرموه**»[(٣)].

وقال أبو البختري في قوله ﷻ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ «**أما إنهم لو أمروهم أن يعبدوهم من دون اللّه ما أطاعوهم، ولكنهم أمروهم فجعلوا حلال اللّه حرامه، وحرامه حلاله، فأطاعوهم فكانت تلك الربوبية**»[(٤)].

وعن أبي البختري قال: «قيل لحذيفة في قوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٩٧).

(٢) أخرجه أحمد (١٨٣٩).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٠٩٥)، والطبراني في الكبير (٢١٨). انظر: السلسلة الصحيحة للألباني (٣٢٩٣).

(٤) جامع بيان العلم وفضله ٢/٩٧٦.

﴿أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أكانوا يعبدونهم؟ فقال: لا، ولكن كانوا يحلون لهم الحرام فيحلونه، ويحرمون عليهم الحلال فيحرمونه»[١].

فجاء ترتيب الوصف على الفعل وهو متابعتهم في تحليل الحرام وتحريم الحلال، من غير هذا الشرط الذي اخترعه.

وقال رسول اللّه ﷺ: **«اللّهم لا تجعل قبري وثنا يُعبد، اشتدَّ غضب اللّه على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»**[٢].

فسمى التوجه للقبر بعبادة اتخاذه وثنًا، ولم يقيد ذلك بأنه خاص بمن اعتقد الربوبية أو بعض خصائصها فيه ﷺ.

فظهر من هذه النصوص الشرعية وغيرها بطلان اشتراط (وجود نقض توحيد الربوبية).

٦ ـ عندما عرّفَ الفقهاء المرتد، وبيَّنوا أحكام الردة لم يقيدوا ذلك بشرط الشرك في الربوبية، فقالوا: المرتد من أشرك باللّه تعالى، أو كان مبغضًا للرسول ﷺ ولما جاء به، أو أنكر مجمعًا عليه إجماعًا قطعيًا، أو جعل بينه وبين اللّه وسائط يتوكل عليهم ويدعوهم ويسألهم، ومن شك في صفة من صفات اللّه تعالى ومثله لا يجهلها فمرتد، وإن كان مثله يجهلها فليس بمرتد. ولم يعلقوا الحكم على اعتقاد صرف الربوبية أو بعضها لغير اللّه[٣].

---

(١) المصدر السابق ٢/٩٧٧.

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (٨٥) مرسلًا وقد صح موصولًا من حديث أبي هريرة، انظر: تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد ص ١٧ ـ ١٨ للشيخ الألباني.

(٣) يُنظر في ذلك: كتب الفقه في أبواب أحكام المرتد، والنقول في هذا كثيرة جدًا، منها: =

٧ ـ من المسائل المجمع على كفر فاعلها ـ ممن مثله لا يجهلها ـ عند أهل العلم هذه المسألة، وهي صرف العبادة لغير اللّه، من الدعاء والاستغاثة والسجود والذبح والنذر أو جعلهم واسطة بين اللّه وبين خلقه، وقد سبق نقل ابن تيمية الإجماع عليه، وقد نقل كلام شيخ الإسلام جملة من الفقهاء، كابن مفلح[(١)] والمرداوي[(٢)] والحجاوي والبهوتي[(٣)] وابن ضويان[(٤)] وغيرهم رحمهم اللّه تعالى، ولو كان المعوَّل عليه اعتقاد الشرك في الربوبية لما ساغ لأهل العلم هذا الإطلاق، ولوجب أن يقولوا: هو كافر بشرط اعتقاد الربوبية ـ أو بعض خصائصها ـ في غير اللّه.

وهذا القاضي عياض الذي يقرر هذه المسائل ويحكي إجماع المسلمين فيقول:

= **قال القاضي عياض**: «اعلم أن من استخف بالقرآن أو المصحف، أو بشيء منه، أو سبهما، أو جحده، أو حرفًا منه، أو آية، أو كذَّب به، أو بشيء منه، أو كذب بشيء مما صرح به فيه من حكم أو خبر، أو أثبت ما نفاه، أو نفى ما أثبته على علم منه بذلك، أو شك في شيء من ذلك، فهو كافر عند أهل العلم بإجماع». الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٣٠٤/٢).

وقال النووي: «وأجمعوا على أن من استخفَّ بالقرآن أو بشيء منه، أو بالمصحف، أو ألقاه في قاذورة، أو كذب بشيء مما جاء به من حكم أو خبر، أو نفَى ما أثبته أو أثبت ما نفاه، أو شك في شيء من ذلك ـ وهو عالم به ـ كفر». المجموع شرح المهذب (١٧٠/٢).

وقال ابن تيمية: «اتفق المسلمون على أن من استخف بالمصحف؛ مثل أن يلقيه في الحش، أو يركضه برجله إهانة له، أنه كافر مباح الدم». مجموع الفتاوى ٤٢٥/٨.

وقال السبكي: «يحكم على من سجد للصنم، أو ألقى المصحف في القاذورات بالكفر، وإن لم يجحد بقلبه؛ لقيام الإجماع على تكفير فاعل ذلك». فتاوى السبكي (٥٨٥/٢). ونقله عنه الشوكاني في نيل الأوطار (١٩٩/٧).

(١) الفروع ١٥٨/٦.
(٢) الإنصاف ٣٢٧/١٠.
(٣) الإقناع وشرحه ١٦٨/٦.
(٤) منار السبيل ٣٥٧/٢.

«والفصل البيِّن في هذا أن كلَّ مقالة صرحت بنفي الربوبية، أو الوحدانية، أو عبادة أحد غير اللّه أو مع اللّه فهي كفر، كمقالة الدهرية[(١)] وسائر فرق أصحاب الإثنين[(٢)] من الديصانية[(٣)] والمانوية[(٤)] وأشباههم من الصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا بعبادة الأوثان، أو الملائكة، أو الشياطين، أو الشمس، أو النجوم، أو النار، أو أحد غير اللّه، من مشركي العرب وأهل الهند والصين، والسودان، وغيرهم ممن لا يرجع إلى كتاب.

وكذلك القرامطة وأصحاب الحلول، والتناسخ من الباطنية، والطيارة[(٥)] من الروافض، والبيانية[(٦)] والغرابية[(٧)] وكذلك من اعترف بإلاهية اللّه ووحدانيَّته، ولكنه اعتقد أنه غير حيٍّ أو غير قديم، وأنه محدث، أو مصور، أو ادعى له ولدًا، أو صاحبة أو والدًا أو أنَّه متولد من شيء، أو كائن عنه، أو أن معه في الأزل شيئًا قديمًا غيره، أو أنَّ ثم صانعًا للعالم سواه أو مدبرًا غيره، فذلك كلُّه كفر بإجماع المسلمين.... وكذلك من اعترف بالإلهية والوحدانية ولكنه جحد النبوة من أصلها عمومًا، أو نبوة نبينا ﷺ خصوصًا، أو أحد من

(١) الدهرية: طائفة من الملحدين المعطلين ينسبون الأمور للدهر كأصحاب الطبيعة.

(٢) أصحاب الاثنين: هم الذين اتخذوا إلهين اثنين كالمانوية القائلين بالنور والظلمة، والمراد هنا مطلق التعدد.

(٣) الديصانية: نسبة لاسم رجل من المجوس نسب له هذا المذهب من القول بالنور والكلمة، وخالق الخير وخالق الشر إلا أنه يقول: أن الظلمة ميت والنور حي.

(٤) المانوية: أصحاب ماني الحكيم الذي ظهر في زمن شابور بن أردشير بعد عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ زعم أن موجد العالم اثنان النور خالق الخير والظلمة خالق الشر وأنهما أزليان حيان.

(٥) وهم ينتسبون إلى جعفر الطيار وهم من غلاة الشيعة.

(٦) البيانية: نسبة لبيان بن سمعان اليمني يقولون روح اللّه حلت في عليٍّ ثم في ابنه محمد بن الحنفية ثم في ابنه هاشم ثم في بيان.

(٧) الغرابية: قوم يقولون إن جبريل نزل بالرسالة من عند اللّه لعليٍّ فأعطاها لمحمد غلطًا منه لأنه يشبهه كما يشبه الغراب الغراب.

الأنبياء الذين نصَّ اللّه عليهم بعد علمه بذلك فهو كافر بلا ريب... وكذلك نكفِّرُ بكل فعل أجمع المسلمون أنه لا يصدر إلا من كافر، وإن كان صاحبه مصرحًا بالإسلام مع فعله ذلك الفعل؛ كالسجود للصنم، وللشمس، والقمر، والصليب، والنار، والسعي إلى الكنائس والبيع مع أهلها، والتزَيِّي بزيهم من شد الزنانير وفحص[(١)] الرؤوس. فقد أجمع المسلمون أن هذا لا يوجد إلا من كافر، وأن هذه الأفعال علامة على الكفر، وإن صرح فاعلها بالإسلام»[(٢)].

وقال الشيخ أبو الطيب شمس الحق العظيم آبادي (ت: ١٣٢٩هـ):

«ومن أقبح المنكرات وأكبر البدعات وأعظم المحدثات ما اعتاد به أهل البدع من ذكر الشيخ عبد القادر الجيلاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقولهم: يا شيخ عبد القادر الجيلاني شيئًا للّه، والصلاة المنكوسة إلى بغداد، وغير ذلك مما لا يُعَدُّ، هؤلاء عبدة غير اللّه، ما قدروا اللّه حق قدره، ولم يعلم هؤلاء السفهاء أن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا يقدر لأحد على جلب نفع له ولا لدفع ضرر عنه مقدار ذرة، فلِمَ يستغيثون به ولِمَ يطلبون منه الحوائج؟! أليس اللّه بكافٍ عبده؟!! اللّهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك، أو نعظِّم أحدًا من خلقك كعظمتك»[(٣)].

➢ حقيقة عمل دعاة الشرك هو حماية عبَّاد القبور:

ذكر اللّه سبحانه في كتابه حال من يعبد غير اللّه فقال تعالى:

---

(١) فحص الرؤوس: أي حلق أوساطها وتركها كمفاحص القطا، وفي لبس الزنَّار ونحوه خلاف بين الفقهاء هل يكفر أم يحرم ولا يكفر؛ فينظر: مغني المحتاج ١٣٦/٤، وأسنى المطالب ١١٩/٤، وكشاف القناع ١٢٨/٣، ١٦٩/٦.

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٦٠٤/٢ ـ ٦١١.

(٣) التعليق المغني على سنن الدارقطني ٤٠٣/٥.

﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [يس]، فتأمل قوله تعالى: ﴿وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ﴾، فيُعْلم من معنى الآية أن من الناس من جعل نفسه من الجنود المدافعين عن عابدي غير اللّه تعالى، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: يغضبون لهم ويحاربون، كما يغضب الجند ويحارب عن أصحابه، وهم لا يستطيعون نصرهم، بل هم كَلٌّ عليهم»[(١)].

«وهل حدث الشرك في الأرض إلا برأي أمثال هؤلاء المخالفين الذين يظهرون للناس في زي العلماء، وملابس الصلحاء؟ وهم من أبعد خلق اللّه عما جاءت به الرسل من توحيده ومعرفته، والدعاء إلى سبيله؛ بل هم جند محضرون للقباب وعابديها. وقد عقدوا الهدنة والمؤاخاة بينهم وبين من عبد الأنبياء والمشايخ، وأوهموهم أنهم إذا أتوا بالشهادتين، واستقبلوا القبلة لا يضرهم مع ذلك شرك ولا تعطيل، وأنهم هم المسلمون، وهم خير أمة أخرجت للناس، وهم صفوف أهل الجنة؛ فاغتروا بهذا القول منهم، وغلوا في شركهم وضلالهم، حتى جعلوا لمعبوديهم التصرف والتدبير، والتأثير من دون اللّه رب العالمين. فهل ترى، يا ذا العقل السليم، أضل وأجهل ممن هذا شأنه، وهذه طريقه وعقيدته؟ وإن كان في هذه المظاهر الظاهرة، والرسوم الشائعة، معدودًا من أهل العلم بالشرع والإسلام، فهو واللّه أضل من سائمة الأنعام»[(٢)].

وقد ردَّ الشيخُ العلامةُ عبدُ اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ على أحد المعترضين الذين ادعوا شبهة هذا الكاتب نفسها؛ فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

---

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ١/٦٤.

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ٣/٢٢٥.

«وأما قوله: (وحماية الأمة وعلمائها من تكفيرها بغير علم)، فقد تقدم لك أنه حمى عُبَّاد القبور الداعين للأموات والغائبين، الذين يعدلون بربهم؛ ويسوّون بينه وبين غيره، ويشبِّهون الأنداد والمخلوقين باللّه ربِّ العالمين وهم في اصطلاح هذا الرجل علماء الأمة وخيارها، كما أنَّ الرافضة يرون أن من كفَّرهم ومقتهم وعاب دينهم، فقد عاب خيار الأمة، وطعن على أهل البيت، وتبرَّأ منهم، ويسمون أهل السنَّة الناصبة.

وهذا المعترض من هذا الضرب من الناس، ما عرف الأمة، ولا عرف العلم والعلماء؛ بل هو في ضلالة عمياء؛ وجهالة صمَّاء، لم يستفد من نور الوحي ما يستضيء به في حنادس الظلمات، عياذًا باللّه من هذه الجهالات والضلالات، والأمة في عرفه: كل من دعا الأنبياء والملائكة والصالحين، وجعلهم واسطة بينه وبين ربِّ العالمين، لحاجاته الدنيويَّة والأخرويَّة»[١].

وقال قبل ذلك أيضًا: «فاعلم أن هذا المعترض يرى أن عبَّاد القبور والصالحين الذين أشركوا باللّه رب العالمين، وجعلوا له أندادًا ونظراء فيما يستحقه على عباده من الحب والخضوع، والتعظيم والدعاء، رغبًا ورهبًا، والتوكُّل والإنابة والاستغاثة، والذبح والنذر والحلف، وغير ذلك من أنواع العبادة هم من الأمة أهل الإجابة والقبلة، وأنهم من هذه الفرق المذكورين في هذا الحديث، والشرك عنده لا وجود له إلَّا في اليهودية والنصرانية والمجوسية أو من جحد جميع ما جاء به الرسول عنادًا، وما عداه من المكفرات التي ذكرها أهل العلم في أبواب الردة، بل ذكرها اللّه في كتابه وقرَّرها هو،

(١) مصباح الظلام ص ٥٦٠.

وبيَّنها رسوله أتمّ بيان ووضحها أظهر توضيح، لا توجب الكفر عنده ولا الردَّة، ومن بلغت به الجهالة والضلالة إلى هذا الحد والغاية فقد سقط الكلام معه، والأولى به أن يساس بما يساس به القرمطي والسفسطائي ونحوهم، ممن يكابر في اليقينات؛ ويقرمط في السمعيات.

وَما هُوَ إِلّا الوَحيُ أَو حَدُّ مُرهَفٍ تُميلُ ظُباهُ أَخدَعَي كُلِّ مائِلِ
فَهَذا دَواءُ الداءِ مِن كُلِّ عالِمٍ وَهَذا دَواءُ الداءِ مِن كُلِّ جاهِلِ.

ثم قال: «ما تقول في الغالية الذين حرَّقهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه بمشهد من أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه وسلم؛ أهم من الثنتين والسبعين فرقة، أم لا؟! وما تقول في مانعي الزكاة الذين قاتلهم الصدِّيق وأجمعت الصحابة على تكفيرهم، أهم من الثنتين والسبعين فرقة أم لا؟ وكذلك بنو حنيفة، وبنو عبيد القداح ملوك مصر والمغرب، فإن دخلوا في الثنتين والسبعين فرقة بطل تأسيسك وانهدم أصلك الفاسد، وإن لم يدخلوا كما هو الصحيح بطل إدخالك أمثالهم من عُبَّاد القبور في مسمى الأمة في هذا الحديث، وثبت أنَّ مِن الفرقِ من يخرج عن الملَّة ويرتدُّ بما خالف فيه من نحلته»[1].

قوله ص ١٥: **[مع أن أهل الشهادتين مُقِرُّون بتفرد اللّه تعالى بالربوبية وأنه لا ربَّ سواه، وأنه ليس لأحد من الخلق شيء من خصائص الربوبية].**

وبالنظر لما تقدم يُعلم أنَّ هذه الجملة غير صادقة في كل من زعم أنَّه من أهل الشهادتين من عدة جهات:

الجهة الأولى: أن اللّه سبحانه وتعالى قيّد الانتفاع بالشهادة بقيد فقال

(١) مصباح الظلام ص ٥٢٣، والبيتان من قصيدة لأبي تمام.

تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [الزخرف]، وقال تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد: ١٩]، وفي حديث أبي هريرة: «**أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة، من قال لا إله إلا اللّه، خالصًا من قلبه**»(١)، ونحو ذلك من الأدلة المقيدة للمراد بالنطق بالشهادتين. وقد تقدم بيانه مفصلًا.

الجهة الثانية: أنه لا يخفى على أحدٍ وجودُ من يشرك باللّه في الربوبية وهو ينطق بالشهادتين، وهذا كثير كالباطنية من الدروز والنصيرية والإمامية الذين ينطقون بالشهادتين ويجعلون عليًّا ﷺ يتصرف في الكون، وشركهم وكفرهم ظاهر ومشهور ومع ذلك فلا بدَّ من أمثلة حتى يتبين غلط هذا الكاتب.

ـ ذكر المجلسي، في كتابه (بحار الأنوار): «عن سماعَة بن مهران قال: كنتُ عند أبي عبد اللّه عليه السلام، فأرعدت السماءُ وأبرقت، فقال أبو عبد اللّه عليه السلام: أما إنه ما كان من هذا الرعد ومن هذا البرق فإنه من أمر صاحبكم، قلتُ: من صاحبنا؟ قال: أمير المؤمنين عليه السلام»(٢).

ـ وعقد الكُلَيني في كتابه (الكافي) بابًا بعنوان: «**باب أن الأرض كلها للإمام**» جاء فيه عن أبي بصير عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: أما علمتَ أن الدنيا والآخرة، للإمام يضعها حيث يشاء ويدفعها إلى من يشاء»(٣).

ـ وجاء في كتابهم (مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار) أنَّ عليًّا قال: «أنا رب الأرض الذي يسكن الأرض به»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (٩٩).
(٢) بحار الأنوار ٢٧/٣٣.
(٣) الكافي للكليني ١/٤٠٧ ـ ٤١٠.
(٤) مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار ص ٥٩.

ومثلهم كذلك الجهمية والقدرية الغلاة والصوفية الغالية وغيرهم.

يقول ابن عربي في فتوحاته المكية: «قال سيدنا أبو السعود بن الشبل عاقل زمانه وقد سأله بعض من لا يكتمه من حاله شيئًا: هل أعطاك اللّه التصرف وهو أصل الكرامات؟ فقال: نعم؛ منذ خمس عشرة سنة وتركناه تظرفًا، فالحق يتصرف لنا. يريد رضي اللّه عنه أنه امتثل أمر اللّه في اتخاذه ﷻ وكيلًا»[(١)].

ويعلق ابن عربي على هذا بقوله: «**وأما نحن، فما تركناه تظرفًا وإنما تركناه لكمال المعرفة**»[(٢)].

فالشهادة لهؤلاء الباطنية وأمثالهم بأنهم مُقِرُّون بتفرد اللّه بالربوبية شهادة في غير محلِّها: ﴿سَتُكۡتَبُ شَهَٰدَتُهُمۡ وَيُسۡـَٔلُونَ ۝١٩﴾ [الزخرف].

والجهة الثالثة: أن هذا مبني على معتقد باطل بيَّنه الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: «وجميع ما تقدم من الاعتراضات بناء على معتقد باطل، وهو أن من تفوَّه بالشهادتين لا يضره ذنب ولا يخلُّ بإيمانه ولا ينقض إسلامه شرك، ولا تجهم، ولا القول بالاتحاد والحلول، ولا غير ذلك من المكفرات، حتى المباني لا تعتبر عند هؤلاء الضلال في الحقيقة كما هو نص قولهم، ومعرفة هذا القول وتصوره يكفي في بطلانه عند من عرف الإسلام»[(٣)].

الجهة الرابعة: يُسْأَلُ مَنْ قال بهذا القول عمَّن أتى بالشهادتين ثم صدر منه ما يوجب الردة من عبادة صنم أو وثن، أو إنكار ركن من الأركان، أو أصل من أصول الإيمان الستة؛ أو أنكر حرفًا من

---

(١) الفتوحات المكية ٢/٣٧٠.
(٢) فصوص الحكم ص ١٢٩.
(٣) مصباح الظلام ص ١٩٣.

القرآن أو أنكر تحريم الخنزير، أو تحريمَ امرأة من محارمه المذكورة في سورة النساء أو فرعًا مجمعًا عليه أو عمل بالسحر، أو شكَّ في البعث، أو في كذب مسيلمة ونحو ذلك، فإن زعم أن الشهادتين عصمت دمه وماله؛ وإن فعل ذلك، فقد جهَّل الأمة، وفسَّق الصحابة والأئمة، وشاقّ اللّه ورسوله، واتبع غير سبيل المؤمنين، وإن اعترف بكفر من فعل ذلك وإباحة الدم والمال لصدور شيء من ذلك؛ بطل كلامه، وفسد تأصيله، واستبان أنه من أكابر الضالين[1].

أين هذا من قول اللّه تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يونس]، وأين هو من قوله تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر]، ونحو ذلك من الآيات، وفي السنَّة من ذلك ما لا يمكن حصره، ويكفي المؤمن قوله ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إلٰه إلا اللّه، فإذا قالوها عصموا منِّي دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على اللّه**»[2].

وقد استدل الصديقُ رضي الله عنه بهذا الحديث على قتال مانعي الزكاة، فكيف لا يستدل به على مناقضة «**لا إلٰه إلا اللّه**»، وقتال من نقضها وهدمها، وأبطلها بعبادة الأنبياء والصالحين والجن والشياطين، واتخذ آلهة مع اللّه يحبهم ويدعوهم، ويسألهم ويتوكل عليهم، ويزعم أنهم باب حاجته إلى اللّه والواسطة بينه وبين ربه في قضاء حاجاته، وتفريج مهماته؛ ومغفرة ذنبه، وتكفير سيئاته.

(١) مصباح الظلام ص ١٧٠.
(٢) أخرجه البخاري (١٣٣٥)، ومسلم (٢١).

الجهة الخامسة: أن يقال: إنَّ حال عبَّاد القبور لم يبلغ منتهاه بعد؛ فقد زادوا وطغوا، ووصلوا إلى دعوى الربوبية في من عبدوهم من دون اللّه، وأنهم يدبرون ويتصرفون، ويعطون ويمنعون، وأن ذلك على سبيل الكرامة، فألّهوهم وعبدوهم عبادة ما صدرت من كفار قريش، ولا ادّعاها أحد منهم لوثنه ومعبوده، هذا وهم يقولون: «لا إلٰه إلا اللّه محمد رسول اللّه»، وفيهم من يصلي ويزكي ويأتي بشيء من العبادات البدنية والمالية، ومع ذلك هم من أكابر المشركين ورؤساء الضالين، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولهذا كان من أتباع هؤلاء من يسجد للشمس والقمر والكواكب، ويدعوها كما يدعو اللّه تعالى، ويصوم لها، وينسك لها، ويتقرب إليها، ثم يقول: إن هذا ليس بشرك: وإنما الشرك إذا اعتقدت أنها هي المدبرة لي، فإذا جعلتها سببًا وواسطة لم أكن مشركًا، ومن المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام أن هذا شرك»[(١)].

➢ هل مجرد النطق بالشهادتين يمنع وقوع الردة عن الإسلام؟

قول الكاتب ص١٦: [**لأننا تيقنا إسلامهم بنطقهم الشهادتين**].

يقال له: إن **مجرد النطق بالشهادتين لا يمنع وقوع الردة عن الإسلام** يبين ذلك:

أنَّ النبي ﷺ كان يقبل من كل من جاءه من الكفار يريد الدخول في الإسلام الشهادتين فقط ويعصم دمه بذلك ويجعله مسلمًا، فمن نطق بالشهادتين يريد الدخول في الإسلام فيجب أن يُقبل منه ذلك، ويُكَفَّ عنه ويُحْكم بإسلامه ويُعَلَّم شرائع الإسلام، ثم إذا تبين بعد

(١) درء تعارض العقل والنقل ١/٢٢٧.

ذلك أنه صادق فسيلتزم بالصلاة والزكاة، وقد يتبين كذبه فقد يقولها لدفع السيف عنه وقد يقولها وهو هازل لا يريد الدخول في الإسلام فحينئذٍ يُعرف كفره، فلا ينتفع بالنطق بالشهادتين.

أما من كان يتظاهر بالنطق بالشهادتين مع مناقضتهما فلا يكفي مجرد النطق بل لا بد من الصدق والعلم والقبول لهذه الشهادة والتزام حقوقها؛ لقول رسول اللّه ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ألا إلٰه إلا اللّه وأني رسول اللّه، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على اللّه** ﷻ»[١].

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «**شرحه على صحيح مسلم**» عند حديث: «**أمرت أن أقاتل الناس**»: «واعلم أن هذا الحديث بطرقه مشتمل على أنواع من العلوم وجمل من القواعد، وأنا أشير إلى أطراف منها مختصرة... وفيه أنَّ الإيمان شرطه الإقرار بالشهادتين مع اعتقادهما واعتقاد جميع ما أتى به رسول اللّه ﷺ، وقد جمع ذلك ﷺ بقوله: أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إلٰه إلا اللّه، ويؤمنوا بي وبما جئت به... وفيه صيانة مال من أتى بكلمة التوحيد ونفسه ولو كان عند السيف، وفيه أن الأحكام تجري على الظاهر، واللّه تعالى يتولى السرائر... وفيه وجوب قتال مانعي الزكاة أو الصلاة أو غيرهما من واجبات الإسلام قليلًا كان أو كثيرًا لقوله رضي الله عنه: «لو منعوني عقالًا أو عناقًا»[٢].

وقال ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن كلمتي الشهادتين

(١) سبق تخريجه.

(٢) شرح النووي على مسلم ٢١١/١.

بمجردهما تعصم من أتى بهما ويصير بذلك مسلمًا فإذا دخل في الإسلام فإن أقام الصلاة وآتى الزكاة وقام بشرائع الإسلام فله ما للمسلمين وعليه ما على المسلمين وإن أخلَّ بشيء من هذه الأركان فإن كانوا جماعة لهم منعة قوتلوا... وقوله ﷺ: «**إلا بحقها**» وفي رواية «**إلا بحق الإسلام**» قد سبق أنَّ أبا بكر أدخل في هذا الحق فعل الصلاة والزكاة، وأنَّ من العلماء من أدخل فيه فعل الصيام والحج أيضًا... وقوله ﷺ: «**وحسابهم على اللّه ﷻ**»، يعني أن الشهادتين مع إقام الصلاة وإيتاء الزكاة تعصم دم صاحبها وماله في الدنيا إلا أن يأتي ما يبيح دمه، وأما في الآخرة فحسابه على اللّه ﷻ فإن كان صادقًا أدخله اللّه بذلك الجنة، وإن كان كاذبًا فإنَّه من جملة المنافقين في الدرك الأسفل من النار»[(١)].

وكذلك دلَّت الأحاديث الأخرى على هذا المعنى مثل حديث: «**من قال: لا إلٰه إلا اللّه، وكفر بما يعبد من دون اللّه، حرم ماله، ودمه، وحسابه على اللّه**»[(٢)]، وقوله ﷺ: «**خالصًا من قلبه**»[(٣)]، «**صدقًا من قلبه**»[(٤)]، «**مستيقنًا بها**»[(٥)]، وكذلك حديث معاذ: «**فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا للّه فإن هم أجابوك لذلك فأخبرهم أن اللّه افترض عليهم...**»[(٦)].

وقال الشوكاني: «فإن قلتَ: إنَّ المشركين كانوا لا يقرون بكلمة

---

(١) جامع العلوم والحكم ٢٠٩.
(٢) أخرجه مسلم (٢٣).
(٣) أخرجه البخاري (٩٩).
(٤) أخرجه البخاري (١٢٨).
(٥) أخرجه مسلم (٣١).
(٦) أخرجه البخاري (٧٣٧٢).

التوحيد وهؤلاء المعتقدون في الأموات يقرون بها؟! قلتُ: هؤلاء إنَّما قالوها بألسنتهم وخالفوها بأفعالهم، فإن من استغاث بالأموات أو طلب منهم ما لا يقدر عليه إلا اللّه سبحانه، أو عظمهم أو نذر عليهم بجزء من ماله أو نحر لهم فقد نزلهم منزلة الآلهة التي كان المشركون يفعلون لها هذه الأفعال، فهو لم يعتقد معنى لا إلٰه إلا اللّه ولا عمل به بل خالفها اعتقادًا وعملًا فهو في قوله لا إلٰه إلا اللّه كاذب على نفسه، فإنه قد جعل إلهًا غير اللّه يعتقد أنه يضر وينفع وعبده بدعائه عند الشدائد والاستغاثة به عند الحاجة وبخضوعه له وتعظيمه إياه ونحر له النحائر وقرب إليه نفائس الأموال، وليس مجرد قول لا إلٰه إلا اللّه من دون عمل بمعناها مثبتًا للإسلام فإنَّه لو قالها أحد من أهل الجاهلية وعكف على صنمه يعبده لم يكن ذلك إسلامًا»[1].

➢ مناقشة الكاتب في الأفعال المحرمة التي لا تكون شركًا عنده!

يقول الكاتب ص ١٦: **[فقد يكون الفعل حرامًا وقد يكون ذريعة للشرك... وإن لم يكن شركًا مخرجًا من الملة، وهذا الكتيب إنما يناقش التكفير والحكم بالشرك، وليس موضوعًا للمناقشة الفقهية حول حكم بعض الأفعال المحرمة التي أدخلها الغلاة في الشرك]**.

➢ الرد عليه:

قول الكاتب: **[الأفعال المحرمة التي أدخلها الغلاة في الشرك]** وقوله: **[نفي الشرك عن العمل الذي ظاهره العبادة مما يقع من المسلم]**؟! فظهر بهذا أنه يُدْخل **العبادات كلها** من الدعاء والسجود والركوع والذبح والنذر لغير اللّه!

---

(١) الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني ١/٣٤٥.

وهذه العبادات التي أوردها هذا الكاتب في كتابه هي: الحب والرجاء والخشية في (ص١٨)، القيام والوضوء في (ص٢٧)، الدعاء (ص٤٠) و(ص١٢٥)، الاستغاثة (ص٤٥ ـ ٤٦)، السجود (ص٩٥)، القيام والركوع والسجود (ص١٠٥) و(ص١٣٩)، بقية الأعمال كالصيام والحج والطواف والذكر والدعاء إلى آخر الأعمال، الذبح (ص١١٤)، طلب الشفاعة من الموتى أو الغائبين (ص١١٩)، فكل هذه العبادات وغيرها يقرر الكاتب أن صرفها لغير اللّه ليس شركًا أكبر مخرجًا من الملة!

قول الكاتب: **[حكم بعض الأفعال المحرمة التي أدخلها الغلاة في الشرك]**.

ظاهر كلامه أنه يخص (بعض الأفعال) مع أنه لا يخصّ بعضًا دون بعض بل جميع الأفعال عنده لا يمكن أن تدخل في الشرك بمجردها بل لا بدَّ من اعتقاد مرتكبها الربوبية في غير اللّه، وهذا مذهب فاسد غاية الفساد كما سيأتي بيانه بحول اللّه.

وسيأتي في (ص: ٣٠) قول آخر للكاتب لا يخص بعض الأفعال المحرمة بل يقول: **[العمل لا يكون عبادة إلا إذا صرف لمن اعتُقدت فيه الربوبية أو بعض خصائصها]**. وسيأتي في **ص: ١٧٤** قول الكاتب **[وبذلك يتبين خطأ المكفرين بشرك العبادة من المعاصرين]**.

فلماذا يقول في أول الكتاب: **[حكم بعض الأفعال المحرمة التي أدخلها الغلاة في الشرك]**؟! لماذا لم يوضح ويقول حكم جميع الأعمال التي لا يعتقد فاعلوها فيمن صرفت إليه الربوبية!

ويقال أيضًا: هل الذي أدخل هذه العبادات ـ إذا صرفت لغير اللّه ـ في وصف الشرك هم الغلاة؟

ألم يحكم الشرع المطهر على مرتكب تلك الأفعال بالشرك؟

قال اللّه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ۝١٣ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ۝١٤﴾ [فاطر] فسمى دعاءهم شركًا.

فإن قيل: المراد العبادة التي يقصد منها اعتقاد الربوبية في المعبود!

فالجواب: أن العبادة التي ذكرتها، وهي الاعتقاد في المعبود صفات الربوبية محلها القلب، ولا يمكن أن تُسمع ولا تُرى؛ لأنها اعتقاد، واللّه تعالى علَّق الحكم بالكفر والشرك على عبادة وَصَفَهَا وبَيَّنَها؛ فقال: ﴿لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ﴾، فالذي يُسمع هو النداء والدعاء بالصوت، فتبيَّن أن مجرد صرف عبادة الدعاء لغير اللّه شرك وإن لم يعتقد في المدعو أنه رب.

وقوله: **[أدخلها الغلاة في الشرك]**! ألا يتذكر قول اللّه تبارك وتعالى فيما وصف به أعمالًا بأنها شرك وكفر ألم يقرأ الأحاديث عن النبي ﷺ التي وصف بها أعمالًا من الشرك بالله!!، ألا يخاف من هذا الإطلاق الخطير؟؟

قال الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الرد على أحدهم: «قوله: إن المشرك لا يقول: لا إلٰه إلا اللّه، فيا عجبًا من رجل يدعي العلم، وجاي من الشام يحمل كتب فلمَّا تكلم، إذ إنه لا يعرف الإسلام من الكفر، ولا يعرف الفرق بين أبي بكر الصديق وبين مسيلمة الكذاب! أما عَلِم أنَّ مسيلمة يشهد أن لا إلٰه إلا اللّه وأن محمدًا رسول اللّه، ويصلي ويصوم؟ أما علِم أنَّ غلاة الرافضة الذين حرقهم عليّ يقولونها؟ وكذلك الذين يقذفون عائشة ويكذبون القرآن،

وكذلك الذين يزعمون أن جبريل غلط. وغير هؤلاء ممن أجمع أهل العلم على كفرهم، منهم من ينتسب إلى الإسلام، ومنهم من لا ينتسب إليه كاليهود، وكلهم يقولون: لا إلٰه إلا اللّه؛ وهذا بيِّن عند من له أقل معرفة بالإسلام من أن يحتاج إلى تبيان.

وإذا كان المشركون لا يقولونها، فما معنى باب حكم المرتد الذي ذكر الفقهاء من كل مذهب؟ هل الذين ذكروهم الفقهاء وجعلوهم مرتدين لا يقولونها؟ هذا الذي ذكر أهل العلم أنهم أكفر من اليهود والنصارى، وقال بعضهم: من شك في كفر أتباعه فهو كافر، وذكرهم في الإقناع في باب حكم المرتد، وإمامهم ابن عربي، أيظنهم لا يقولون: لا إله إلا اللّه؟ لكن هو آت من الشام، وهم يعبدون ابن عربي، جاعلين على قبره صنمًا يعبدونه، ولست أعني أهل الشام كلهم، حاشا وكلا! بل لا تزال طائفة على الحق وإن قلّت واغتربت.

لكن العجب العجاب استدلاله: أن رسول اللّه ﷺ دعا الناس إلى قول: لا إلٰه إلا اللّه، ولم يطالبهم بمعناها، وكذلك أصحاب رسول اللّه ﷺ، فتحوا بلاد الأعاجم وقنعوا منهم بلفظ... إلى آخر كلامه، فهل يقول هذا من يتصور ما يقول؟»[1].

ولكن من انفتح له تحريف الكلم عن مواضعه، انفتح له باب طويل عريض.

ودونك أيها القارئ هذه الأحاديث التي ثبتت عن رسول اللّه ﷺ وتأمل كيف وصف بعض الأفعال التي صرفت لغير اللّه بالشرك، وقارن بينها وبين قول الكاتب: **[الأفعال المحرمة التي أدخلها الغلاة في الشرك]**.

---

(١) مجموع مؤلفات الشيخ ـ الرسائل الشخصية ١٣٦/٧.

١ ـ عن ابن مسعود ﷺ أن رسول اللّه ﷺ قال: «**من مات وهو يدعو من دون اللّه ندًا دخل النار**»(١). فمن دعا غير اللّه فقد اتخذه ندًّا وإن لم يعتقد فيه الربوبية.

٢ ـ عن أبي واقد الليثي: أنهم خرجوا من مكة مع رسول اللّه ﷺ إلى حنين، قال: وكان للكفار سدرة يعكفون عندها، ويعلقون بها أسلحتهم، يقال لها: ذات أنواط(٢)، قال: فمررنا بسدرة خضراء عظيمة، قال: فقلنا: يا رسول اللّه، اجعل لنا ذات أنواط فقال رسول اللّه ﷺ: «**قلتم والذي نفسي بيده كما قال قوم موسى:** ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴿١٣٨﴾﴾ [الأعراف]، إنها السنن(٣)، لتركبن سنن من كان قبلكم سنة سنة»(٤).

ولفظ الطبراني: «**خرجنا مع رسول اللّه ﷺ ونحن حديثو عهد بجاهلية، وقد كانت لكفار قريش ومن سواهم من العرب شجرة عظيمة يقال لها ذات أنواط، يأتونها كل عام، فيعلقون بها أسلحتهم، ويريحون تحتها، ويعكفون عليها يومًا، فرأينا ونحن نسير مع رسول اللّه ﷺ سدرة خضراء عظيمة، فتنادينا من جنبات الطريق، فقلنا: يا رسول اللّه، اجعل لنا ذات أنواط، فقال: اللّه أكبر، قلتم**

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٩٧)، مسلم (٩٢).

(٢) ذات أنْواط: هي اسم شجرةٍ بعينها، كانت للمشركين يَنُوطون بها سِلاحَهم: أي يُعَلِّقونه بها ويَعْكُفون حَوْلهَا، فسأل الصحابة النبي ﷺ أن يَجْعل لهم مثلها، فنَهاهم عن ذلك، وأنْواط: جمع نَوْط وهو مصدر سُمِّي به المَنُوط. النهاية ٩٤٦.

(٣) قال المباركفوري في تحفة الأحوذي ٣٤٠/٦: «والمراد هنا طريقة أهل الأهواء والبدع التي ابتدعوها من تلقاء أنفسهم بعد أنبيائهم من تغيير دينهم وتحريف كتابهم كما أتى على بني إسرائيل».

(٤) أخرجه أحمد (٢١٩٥٦) والترمذي (٢١٨٠) والنسائي في السنن الكبرى (١١١٨٥) والطبراني في الكبير (٣٢٩١). وصححه الشيخ الألباني.

والذي نفس محمد بيده كما قال قوم موسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨] الآية، لتركبن سنن من كان قبلكم».

فصرح بأن اتخاذ الشجرة للتبرك من الشرك، وأنه مطابق لقول من قال: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾.

وأضف إلى ذلك أن هذه الآية الكريمة حجة في أن بني إسرائيل لم يطلبوا من موسى أن يجعل لهم ربًّا خالقًا مدبرًا كما لهم أرباب مدبرون خالقون، هذا لا يمكن أن يتصور أو يقال.

ولهذا لا يمكن أن يقال: إن الصحابة رضي الله عنهم طلبوا من الرسول ﷺ أن يأذن لهم بأن تكون هذه الشجرة خالقة رازقة مدبرة؟؟ فبهذا يعرف أنَّ المراد هو صرف العبادة لغير اللّه، ولا يشترط فيه شرط الكاتب وما يقرره غيره من دعاة الضلالة أنَّه لا بدَّ أن يعتقد في المعبود الربوبية أو بعض خصائصها.

فهذه الآية صريحة في بيان معنى الإله وأنه المعبود، إذ لا يمكن أن يكون المراد (أغير اللّه أبغيكم خالقًا).

والرازي ـ إمام الأشاعرة المتأخرين ـ استشكل طلب بني إسرائيل بناءً على أصله الفاسد في تعريف الإله بالخالق وليس المعبود، لكن إنصافه دفعه للإقرار بالحقيقة التي أسّس الكاتب كتابه على نفيها وتشويهها، وفي كلام الرازي الآتي نسف لعمل الكاتب من أصله فيقول الرازي:

«ثم حكى تعالى عنهم أنهم قالوا يا موسى ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ واعلم أنَّ من المستحيل أن يقول العاقل لموسى: اجعل لنا إلها كما لهم آلهة وخالقًا ومدبرًا لأن الذي يحصل بجعل موسى وتقديره: لا يمكن أن يكون خالقًا للعالم ومدبرًا له ومن شكَّ في

ذلك لم يكن كامل العقل، والأقرب أنهم طلبوا من موسى عليه السلام أن يعين لهم أصنامًا وتماثيل يتقربون بعبادتها إلى اللّه تعالى وهذا القول هو الذي حكاه اللّه تعالى عن عبدة الأوثان حيث قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣].

إذا عرفت هذا فلقائل أن يقول: لِمَ كان هذا القول كفرًا؟ فنقول: أجمع كل الأنبياء عليهم السلام على أن عبادة غير اللّه تعالى كفر سواء اعتقد في ذلك الغير كونه إلها للعالم أو اعتقدوا فيه أن عبادته تقربهم إلى اللّه تعالى لأن العبادة نهاية التعظيم ونهاية التعظيم لا تليق إلا بمن يصدر عنه نهاية الإنعام والإكرام»[١].

ومثل هذا قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [الأعراف]، فإنهم لم يعتقدوا فيه أنه رب أو خالق ورازق لهم.

قال الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: «إذا عرفت أن معنى اللّه هو الإله؛ وعرفت أن الإله هو المعبود، ثم دعوت اللّه أو ذبحت له أو نذرت له فقد عرفت أنه اللّه. فإن دعوت مخلوقًا طيبًا أو خبيثًا، أو ذبحت له أو نذرت له فقد زعمت أنه هو اللّه. فمن عرف أنه قد جعل شمسان أو تاجا[٢]

(١) مفاتيح الغيب (١٤/٣٥٠).

(٢) شمسان وتاج ـ ومثلهما يوسف ـ رجال كان الناس في عصر الشيخ يعتقدون فيهم الولاية، ويرفعون لهم من العبادة والدعاء ونحوهما ما لا ينبغي أن يرفع إلا للّه عز وجل. انظر: كشف الشبهات للشيخ محمد بن عبدالوهاب ص ١٩ وتاريخ ابن غنام ص٢٤٥.

برهةً من عمره هو اللّه، عرف ما عرفت بنو إسرائيل لما عبدوا العجل، فلما تبين لهم ارتاعوا، وقالوا ما ذكر اللّه عنهم: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾»[١].

٣ ـ عن عائشة رضي الله عنها: قَدِم رسول اللّه ﷺ من سفر، وقد سترت بقرام لي على سهوة لي فيها تماثيل، فلمَّا رآه رسول اللّه ﷺ هتكه وقال: «**أشد الناس عذابًا يوم القيامة الذين يضاهون بخلق اللّه**» قالت: فجعلناه وسادة أو وسادتين[٢].

قال النووي في قَوْله ﷺ: «أَشَدّ النَّاس عَذَابًا»: «فقيل هي محمولة على من فعل الصورة لتعبد وهو صانع الأصنام ونحوها فهذا كافر وهو أشد عذابًا وقيل هي فيمن قصد المعنى الذي في الحديث من مضاهاة خلق اللّه تعالى واعتقد ذلك فهذا كافرٌ، له من أشد العذاب ما للكفار، ويزيد عذابه بزيادة قبح كفره، فأمَّا من لم يقصد بها العبادة ولا المضاهاة فهو فاسق صاحب ذنب كبير، ولا يكفر كسائر المعاصي»[٣].

٤ ـ عن ثَابِت بن الضَّحَّاك، قَالَ: نذر رجل على عهد رسول اللّه ﷺ، أن ينحر إبلًا ببوانة، فأتى النبي ﷺ، فقال: إني نذرت أن أنحر إبلًا ببوانة[٤]، فقال النبي ﷺ: «**هل كان فيها وثنٌ من أوثان الجاهلية يعبد؟ قالوا: لا، قال: هل كان فيها عيد من أعيادهم؟ قالوا: لا، قال رسول اللّه ﷺ: أوفِ بنذرك، فإنه لا وفاء**

(١) مجموع مؤلفات الشيخ ـ تفسير آيات من القرآن الكريم ١٢/٥.
(٢) أخرجه البخاري (٥٦١١)، ومسلم (٢١٠٧).
(٣) شرح النووي على مسلم ٩١/١٤.
(٤) بُوانة، بِضَمّ الباء وقيل بفتحها: هَضبة من ورضاء يَنْبُع. النهاية ٩٤.

لنذر في معصية اللّه، ولا فيما لا يملك ابن آدم»[١].

فانظر ما دلت عليه هذه الأحاديث من وصف دعاء غير اللّه بأنه شرك، ووصف اتخاذ الشجرة ذات الأنواط شركًا، ووصف من يضاهي بخلق اللّه ووصف الأوثان التي تعبد من دون اللّه، وتأمل كيف كلام الكاتب ومخالفته لما ورد في كلام اللّه وكلام رسوله عليه الصلاة والسلام من إطلاق وصف الشرك على الأعمال والأقوال التي فيها صرف للعبادة لغير اللّه.

ولاحظ قول الكاتب: (قد يكون... وقد يكون....) وهو يتكلم عن أعظم مسألة وهي الغاية من الخلق وهي إفراد اللّه بالعبادة. وقوله: (قد يكون) لازم هذا أنه محتمل للوجهين فهذه الأعمال عند الكاتب قد لا تكون محرمة أيضًا، فتنبه أنه غير جازم بالتحريم وإن تظاهر به.

➢ عبارات نابية صدرت من الكاتب:

قوله ص: ١٦ [**الظاهر أني لن أكون سلفيًّا عندهم حتى أكون تكفيريًّا!! ألا ساءت تلك السلفية التي تكفِّر المسلمين وتستبيح دماءهم وإني لأبرأ منها براءتي من كل ضلال**]. وقوله: [**يصفني بعض المساكين بأني قبوري**].

أقول: إنَّ السلفية تعني موافقة النبي ﷺ والصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولا يمكن أن يكون ذلك السبيل إلَّا حقًّا وصدقًا ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة].

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٣١٣)، والطبراني في الكبير (١٣٤١)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢٠٧١٩).

ولو قُدِّر أن بعض المنتسبين إلى منهج السلف الصالح قد غلط أو ضلَّ أو انحرف فلا يسوغ القول الذي قاله الكاتب: **[ألا ساءت تلك السلفية التي تكفِّر المسلمين]**.

بل يقال ـ على تقدير صحة زعمه ـ ألا ساءت تلك الأقوال الباطلة أو ألا ساء ذلك الانتساب بغير صدق إلى منهج السلف ونحو ذلك.

والواجب على كل مسلم أن يبحث عن رضا اللّه ﷻ، فليست العبرة برضا الناس؛ وتسمياتهم.

وكان ينبغي أن يقول: (والذي عليه السلف الصالح أنا ألزمه وأتمسك به)، وليس هو التبرؤ والسبّ بغير حق.

وقد ذكر الله تعالى مسلك من قالوا: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢]، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا من كثرة جهلهم وعتوِّهم وعنادهم وشدَّة تكذيبهم، وهذا مما عِيبوا به، وكان الأولى لهم أن يقولوا: «اللّهم، إن كان هذا هو الحق من عندك، فاهدنا له، ووفقنا لاتباعه». ولكن استفتحوا على أنفسهم، واستعجلوا العذاب، وتقديم العقوبة»[(١)].

والذي ينبغي لمن دخل في هذه المقامات العظيمة أن يقرر الحق ويلتزم به، وأن يتبرأ من شرك المشركين الذين يستغيثون بغير اللّه، ويشركون به أعظم من شرك كفار العرب الذين نزل القرآن بكفرهم!

وكذلك ينبغي البراءة من مسالك غلاة الصوفية ومن كتبهم من

(١) تفسير ابن كثير ٤/٤٧.

أمثال: عبد الوهاب الشعراني الذي يفتري الكذب على الدين الإسلامي وينسب له ما يستحي العاقل من قراءته أو ذكره، ويجعل ذلك من كرامات الأولياء![١] ويفتري الكذب للموتى لأجل أن يتعلقوا بهم من دون اللّه!!

فكيف تقول إنه يحتاجه كل مسلم![٢]: «كتاب نفيس يحتاجه كل مسلم... وهو كتاب كبير، يقع في مجلدين كبيرين وأكثر من ١٥٠٠ صفحة. إنه نموذج فريد لدخول علم تزكية النفوس في واقع الناس. وهو يضم عامة أحوال الناس التي يدخلها سوء الظن، فيبين لك سبيل إحسان الظن فيها. فما أحوج طلبة العلم وكل مسلم لهذا الكتاب»[٣].

وجدير بكل مسلم مجانبة ضلال الضّالّين من نفاة صفات اللّه تعالى.

ومجانبة أهل وحدة الوجود والباطنية، ومجانبة أعداء الصحابة الذين استباحوا دماء أهل الإسلام، وهم الذين اشتهر عنهم تكفير الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان ﷺ، وتكفير خير القرون أصحاب محمد ﷺ، وتكفير جمهور الأمة ممن جاء بعدهم وتكفيرهم

---

(١) انظر: ص٤٤ ـ ٤٨. وقال في طبقاته (٢ ـ ١٣٥) عن الشيخ علي أبو خودة: «وكان ﷺ إذا رأى امرأة أو أمردا راوده عن نفسه، وحسس على مقعدته، سواء كان ابن أمير، أو ابن وزير، ولو كان بحضرة والده، أو غيره، ولا يلتفت إلى الناس، ولا عليه من أحد».

(٢) وهو كتاب المنهج المطهر للجسم والفؤاد من سوء الظن بأحد من العباد» تأليف الضال عبدالوهاب الشعراني صاحب كتاب طبقات الأولياء. وانظر: ما تقدم ص ٤٤.

(٣) ألف الشعراني هذا الكتاب للدفاع عن غلاة الصوفية والاتحادية والمستغيثين بغير اللّه وشيوخ الطرق ممن يلقبونهم بالأولياء وضلالاتهم من السحر وادعاء علم الغيب والتصرف في الكون وارتكاب الفواحش وغير ذلك. وانظر ص٦٧٢ وما بعدها.

لأكثر خلفاء بني أمية أمر مشهور ويبدؤون بتكفير معاوية ﷺ ووالده أبي سفيان ﷺ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والضالون مستخفون بتوحيد اللّه تعالى يعظمون دعاء غيره من الأموات وإذا أمروا بالتوحيد ونهوا عن الشرك استخفوا به، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُـزُوًا﴾ [الفرقان: ٤١] الآية، فاستهزؤوا بالرسول ﷺ لما نهاهم عن الشرك، وما زال المشركون يسبّون الأنبياء ويصفونهم بالسفاهة والضلال والجنون إذا دعوهم إلى التوحيد؛ لما في أنفسهم من عظيم الشرك.

وهكذا تجد من فيه شبه منهم إذا رأى من يدعو إلى التوحيد استهزأ بذلك؛ لما عنده من الشرك... فهؤلاء الذين اتخذوا القبور أوثانًا تجدهم يستهزئون بما هو من توحيد اللّه وعبادته ويعظمون ما اتخذوه من دون اللّه شفعاء ويحلف أحدهم اليمين الغموس كاذبًا ولا يجترئ أن يحلف بشيخه كاذبًا. وكثير من طوائف متعددة ترى أحدهم يرى أن استغاثته بالشيخ إما عند قبره أو غير قبره أنفع له من أن يدعو اللّه في المسجد عند السَّحَر ويستهزئ بمن يعدل عن طريقته إلى التوحيد.

وكثير منهم يخربون المساجد ويعمرون المشاهد فهل هذا إلّا من استخفافهم باللّه وبآياته ورسوله وتعظيمهم للشرك...

وهؤلاء إذا قصد أحدهم القبر الذي يعظمه يبكي عنده ويخشع ويتضرع ما لا يحصل له مثله في الجمعة والصلوات الخمس وقيام الليل فهل هذا إلا من حال المشركين لا الموحدين.

ومثل هذا أنه إذا سمع أحدهم سماع الأبيات حصل له من

الخشوع والحضور ما لا يحصل له عند الآيات؛ بل يستثقلونها ويستهزئون بها وبمن يقرؤها مما يحصل لهم به أعظم نصيب من قوله: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [التوبة].

والذين يجعلون دعاء الموتى أفضل من دعاء اللّه: منهم من يحكي أن بعض المريدين استغاث باللّه فلم يغثه واستغاث بشيخه فأغاثه، وأن بعض المأسورين دعا اللّه فلم يخرجه فدعا بعض الموتى؛ فجاءه فأخرجه إلى بلاد الإسلام[(١)].

وقد قال تعالى للموحدين: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة: ٢٠٠] وقد قال شعيب: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [هود: ٩٢] وقال تعالى: ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ١٣]»[(٢)].

وقوله: [براءتي من كل ضلال] هذا مخالف للواقع من جهة الحث على قراءة ضلالات عبد الوهاب الشعراني.

وقد ذكر اللّه تعالى عن أحبار سوءٍ مضوا تفضيلهم لأهل الشرك على أهل التوحيد والإسلام فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾﴾ [النساء] أي: يُفَضِّلون الكفار على المسلمين بجهلهم، وقلَّة دينهم، وكفرهم بكتاب اللّه الذي بأيديهم.

روى ابن أبي حاتم[(٣)] بسنده عن عكرمة قال: جاء حُيَيّ بن

---

(١) هذا بعينه موجود في كتاب عبدالوهاب الشعراني الذي أثنى عليه الكاتب، وسيأتي ذكر هذه الكفريات، ص٦٧٢.
(٢) مجموع الفتاوى ١٥/٤٨ ـ ٤٩.
(٣) تفسير ابن أبي حاتم، الآية (٥١) من سورة النساء.

أَخْطب وكعب بن الأشرف إلى أهل مكة، فقالوا لهم: أنتم أهل الكتاب وأهل العلم، فأخبرونا عنَّا وعن محمد، فقالوا: ما أنتم وما محمد. فقالوا: نحن نصل الأرحام، وننحر الكوماء، ونسقي الماء على اللبن، ونفك العناة، ونسقي الحجيج، ومحمد صُنْبور، قَطَع أرحامَنا، واتبعه سرَّاق الحجيج بنو غفار، فنحن خير أم هو؟ فقالوا: أنتم خير وأهدى سبيلا. فأنزل اللّه ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾﴾ [النساء].

قال ابن كثير: «وقال ابن إسحاق: حدثني محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: كان الذين حزبوا الأحزاب من قريش وغطفان وبني قريظة حيي بن أخطب وسلام بن أبي الحقيق أبو رافع، والربيع بن الربيع بن أبي الحقيق، وأبو عمار، ووحوح بن عامر، وهوذة بن قيس. فأما وحوح وأبو عمار وهوذة فمن بني وائل، وكان سائرهم من بني النضير، فلما قدموا على قريش قالوا هؤلاء أحبار يهود وأهل العلم بالكتب الأول فسلوهم: أدينكم خير أم دين محمد؟ فسألوهم، فقالوا: بل دينكم خير من دينه، وأنتم أهدى منه وممن اتبعه. فأنزل اللّه ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ [النساء]. إلى قوله ﷻ: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٥٤].

قال ابن كثير: وهذا لعن لهم، وإخبار بأنهم لا ناصر لهم في الدنيا ولا في الآخرة، لأنهم إنما ذهبوا يستنصرون بالمشركين، وإنما قالوا لهم ذلك ليستميلوهم إلى نصرتهم، وقد أجابوهم، وجاؤوا معهم يوم الأحزاب، حتى حفر النبي ﷺ وأصحابه حول المدينة الخندق،

فكفى اللّه شرهم: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾ [الأحزاب]»[١].

قال شيخ الإسلام: «ولكن هذا حال الرافضة: دائمًا يعادون أولياء اللّه المتقين، من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان ويوالون الكفار والمنافقين. فإن أعظم الناس نفاقًا في المنتسبين إلى الإسلام هم الملاحدة الباطنية الإسماعيلية، فمن احتج بأقوالهم في نصرة قوله، مع ما تقدم من طعنه على أقوال أئمة المسلمين كان من أعظم الناس موالاة لأهل النفاق، ومعاداة لأهل الإيمان.

ومن العجب أن هذا المصنف الرافضي الخبيث الكذاب المفتري يذكر أبا بكر وعمر وعثمان وسائر السابقين الأولين والتابعين وسائر أئمة المسلمين من أهل العلم والدين بالعظائم التي يفتريها عليهم هو وإخوانه، ويجيء إلى من قد اشتهر عند المسلمين بمحادته اللّه ورسوله، فيقول: قال شيخنا الأعظم، ويقول: قدس اللّه روحه، مع شهادته بالكفر عليه وعلى أمثاله، ومع لعنة طائفته لخيار المؤمنين من الأولين والآخرين.

وهؤلاء داخلون في معنى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ [النساء].

فإن هؤلاء الإمامية أوتوا نصيبًا من الكتاب، إذ كانوا مقرّين ببعض ما في الكتاب المنزل، وفيهم شعبة من الإيمان بالجبت وهو

(١) تفسير ابن كثير ٢/٣٣٤.

السحر، والطاغوت وهو كل ما يعبد من دون اللّه، فإنهم يعظمون الفلسفة المتضمنة لذلك، ويرون الدعاء والعبادة للموتى، واتخاذ المساجد على القبور، ويجعلون السفر إليها حجًا له مناسك ويقولون: مناسك حج المشاهد.

وحدثني الثقات أن فيهم من يرون الحج إليها أعظم من الحج إلى البيت العتيق، فيرون الإشراك باللّه أعظم من عبادة اللّه، وهذا من أعظم الإيمان بالطاغوت»[(١)].

وقال في (بيان تلبيس الجهمية): «أبو عبد اللّه الرازي: فيه تجهم قوي؛ ولهذا يوجد ميله إلى الدهرية، أكثر من ميله إلى السلفية، الذين يقولون: إنه فوق العرش، وربما كان يوالي أولئك أكثر من هؤلاء، ويعادي هؤلاء أكثر من أولئك؛ مع اتفاق المسلمين على أن الدهرية كفار، وأن المثبتة للعلو فيهم من خيار المسلمين من لا يحصيه إلا اللّه تعالى، وقد صنّف على مذهب الدهرية المشركين والصابئين كتبًا حتى قد صنّف في السِّحْر، وعبادة الأصنام ـ وهو الجبت والطاغوت ـ، وإن كان قد أسلم من هذا الشرك، وتاب من هذه الأمور.

فهذه الموالاة والمعاداة لعلها في تلك الأوقات، ومن كان بتلك الأحوال، فهو قبل الإسلام والتوبة؛ ومن فعل هذا كان له نصيب من قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ [النساء]»[(٢)].

---

(١) منهاج السنة النبوية ٣/٤٥٠.

(٢) بيان تلبيس الجهمية ١/٤٠٩.

وقال أيضًا: «**كيف يصلح لهم أن يعيبوا أهل الإيمان باللّه ورسوله والذين يقرون بتوحيد اللّه وعبادته وحده لا شريك له... كيف يصلح لأولئك الذين أشركوا وائتموا بالمشركين في نقيض التوحيد من هذين الوجهين فأمروا بعبادة غير اللّه ودعائه ورغبوا في ذلك وعظموا قدره وجهّلوا من ينكر ذلك وينهى عنه، وأنكروا من أسماء اللّه تعالى وصفاته وحقيقة عبادته ما لا يتم الإيمان والتوحيد إلا به!**

كيف يصلح لهؤلاء أن يعيبوا أولئك باتباع المشركين ويجعلوا موافقيهم على هذا الكفر أعظم قدرًا من أولئك المؤمنين»[(١)].

أما قول الكاتب عن السلفية: [**تكفر المسلمين وتستبيح دماءهم**]!

فاذكر لنا عالمًا واحدًا معتبرًا أفتى بتكفير المسلمين واستباحة دمائهم؟

وأشهر طائفة عُرفت بالغلو في التكفير هم الرافضة الذين كفَّروا جماهير الصحابة ﭫ ولا يخفى حال هذه الطائفة على أحد.

وهذه الجملة: [**السلفية التي تكفِّر المسلمين وتستبيح دماءهم**]، يدخل فيها أعيان علماء أهل السنة من المشايخ المشهود لهم بالإمامة والرسوخ في العلم من المعاصرين والمتقدمين! فالإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتلامذته، والمشايخ الذين أظهروا نصرة ما دعا إليه وأنكروا على الخرافيين كلهم قيلت فيهم نفس هذه العبارات التي قالها الكاتب!!

(١) بيان تلبيس الجهمية ٣/٦٠.

يقول الشيخ محمد بشير السهسواني (ت: ١٣٢٦) في كتابه (صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان): «... السادس أنَّك قد عرفت فيما تقدم أنَّ الشيخ محمد بن عبد الوهاب لم يكفِّر السواد الأعظم من المسلمين، ومن كفَّره فلم يكفِّره بارتكاب ذنب من الكبائر كما هو مذهب الخوارج، إنما كفَّره بدعوة غير اللّه بحيث يطلب فيها منه ما لا يقدر عليه إلا اللّه، وهذا لا يستريب أحدٌ من أهل العلم والديانة أنه عبادة لغير اللّه، وعبادة غير اللّه لا شك في كونها كفرًا، مع أنه لم يكفّره أيضًا حتى عرَّفه الصواب ونبَّهه.

وأيضًا قد عرفت فيما مرَّ أنَّ الشيخ ليس بمنفرد في هذا التكفير، بل جميع أهل العلم من أهل السنة والجماعة يشاركونه فيه لا أعلم أحدًا مخالفًا له، منهم: تقي الدين ابن تيمية، وابن قيم الجوزية، وابن عقيل، وصاحب الفتاوى البزازية، وصنع اللّه الحلبي، والمقريزي الشافعي، ومحمد بن حسين النعيمي، الزبيدي، ومحمد بن إسماعيل الصنعاني، ومحمد بن علي الشوكاني، وصاحب الإقناع، وابن حجر المكي، وصاحب النهر الفائق، والإمام البكري الشافعي، والحافظ عماد الدين ابن كثير، وصاحب الصارم المنكي، والشيخ حمد بن ناصر، والعلامة الإمام الحسن بن خالد، والشيخ العلامة محمد بن أحمد الحفظي، وغيرهم»[١].

وقال محمد بن سلطان المعصومي: «قال في النهر الفائق: اعلم أن الشيخ قاسمًا وهو من أكابر العلماء الحنفية رحمهم اللّه تعالى قال في شرح درر البحار: إنَّ النذر الذي يقع من أكثر العوام، بأن يأتي إلى قبر بعض الصلحاء قائلًا: يا سيدي فلان إنْ رُدّ غائبي أو عُوفي

(١) صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان ص ٤٢٤.

مريضي فلك كذا، باطل إجماعًا لوجوه[١]... إلى أن قال: ومنها الظن أن الميت يتصرف في الأمور، واعتقاد هذا كفر[٢].

والمسلم لا يطلب حاجته من غير اللّه، فإن من طلب حاجته من ميت أو غائب فقد فارق الإسلام.

وممن صرح بهذه المسألة من علمائنا الحنفية صاحب الفتاوى البزازية، والعلامة صنع اللّه الحلبي المكي، وصاحب البحر الرائق، وصاحب الدر المختار، وصاحب رد المحتار، والعلامة قاسم بن قطلوبغا، والعلامة بير علي البركوي صاحب الطريقة المحمدية، وأبو سعيد الخادمي، ومولوي عبد الحي اللكهنوي، وغيرهم رحمهم اللّه أجمعين... وكذلك ممن صرح به من علمائنا الحنفية العلامة السيد أحمد الطحطاوي في حاشيته على الدر المختار، ومنهم العلامة أحمد الرومي الآقحصاري»[٣].

والشيخ محمد بن عبد الوهاب طالما قالوا فيه تلك التهمة زُورًا وبهتانًا، بينما شهد له من عرف حقيقة الحال؛ قال أبو بكر بن غنام الأحسائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وعاد به نهج الغواية طامسًا ... وقد كان مسلوكًا به الناس تربع
وجرّتْ به نجْدٌ ذيولَ افتخارِها ... وحُقَّ لها بالألمعي ترفع
فآثاره فيها سوامٍ سوافرُ ... وأنواره فيها تضيء وتسطع

ومن هذه المدرسة أعلام هذه الأمة من علماء المملكة العربية السعودية من أمثال: محمد بن إبراهيم آل الشيخ، والشيخ عبد اللّه بن

(١) انظر: البحر الرائق ٢/٣٢٠.
(٢) انظر: البحر الرائق ٢/٢٩٨ مختصرًا.
(٣) حكم اللّه الواحد الأحد في حكم الطلب من الميت المدد ٣١٣.

حميد، والشيخ عبد العزيز بن باز، والشيخ محمد بن عثيمين، والشيخ صالح اللحيدان، وغيرهم من كبار علماء السلفيين في العالم الإسلامي رحمهم اللّه تعالى.

وانظر إلى وصف الكاتب لهم في ص١٠ بقوله: [**ومـمن يمهد لهذا التكفير التمهيد التام بتقريره الفاسد وإن كان لم يصرح به**].

وماذا عسى الكاتب أن يقول في القاضي عياض الذي يقرر هذه المسائل ويحكي إجماع المسلمين عليها، وقد سبق نقل كلامه(١).

بيان طريقة أهل العلم في مسائل التكفير والعقوبات:

جميع أهل العلم يربطون مسائل التكفير بكتاب اللّه وسنة رسوله ﷺ ويسيرون على هدى من ربهم ويلزمون غرز من سبقهم، وهم أيضًا يرون وجوب الرد إلى ولاة الأمور في تنفيذ العقوبات والتعزيرات، فتنفيذ الحدود إليهم، ولا يوجد واحد من أهل العلم خرج عن ذلك، بل أنكروا على الجماعات الضالة التي تفتات على ولاة الأمور، ومن أخطرها جماعة الإخوان المسلمين التي عرف عنها الخروج والاغتيالات والثورات.

وأما عقوبة من وقع في الشرك؛ فهذا يتفاوت بحسب القدرة والإمكان والمصالح والمفاسد، ولكن الواجب على أهل العلم البيان والتحذير من الشرك وبيان الأحكام المتعلقة بمن وقع بالشرك والنصح له، ببيان وجوب التوبة منه.

والواجب على ولاة الأمور الأخذ على أيدي الضالين ومعاقبتهم.

(١) انظر: ص٨١.

والواجب على عموم أهل الإيمان الثبات على التوحيد، وفي حال عدم القدرة على الإنكار يكفي البيان والتعليم، أو عدم المشاركة للمشركين وترك حضور مجالسهم وهجرهم.

اتهام من دعا بدعوة التوحيد أنه على منهج الخوارج:

اتهام دعوة التوحيد بأنها دعوة تكفيرية، وأنها على منهج الخوارج فهذا من افتراءات الأعداء وأكاذيبهم، وقد صرّح بهذا بعض علماء المشركين لما أرادوا الرد على دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ. فبيّن الشيخ محمد بن عبد الوهاب براءته من مذهب الخوارج وأنه لا يكفر المسلمين، وإنما يكفر المشركين الذين يعبدون غير اللّه بعد التعريف وإقامة الحجة عليهم.

قال الشيخ أحمد بن مانع الوهيبي التميمي (ت: ١١٨٦هـ) في رسالة يرد على أحد علماء الضلالة الذي يُنَفِّرُ من الصلاة خلف إمام المسجد لأنه يدعو إلى التوحيد ويصف دعاة التوحيد بأنهم خوارج:

«فلا يصرفكم عن صلاة الجماعة بقوله: (هم خوارج يعني أهل العارض)، فليس هو بأكثر من صد الناس عن دين نبيكم ﷺ، وما نقم عليهم إلا أنهم يعلمون الناس دينهم الذي أعظمه شهادة أن لا إلٰه إلا اللّه، ويعلمونهم أنواع الشرك، ويأمرون بالمحافظة على الصلاة مع الجماعة، ويأمرون بالزكاة، وينهون عن المنكرات التي أكبرها الشرك باللّه، وينهون عن الفواحش، ويقيمون الحد، وينهون عن الظلم، حتى إن الضعيف يأخذ الحق ممن هو أقوى منه، وقد كان الناس قبل هذا الأمر بعكس ذلك، ولم يوجد أحد يعيب عليهم ذلك، فلما بين لهم أمر الدين واشتغلوا بالعلم وتعليمه وبإقامة أمر اللّه، وحض الناس عليه، قام (المويس) وأمثاله يصيحون ويقولون: أهل شقراء وأهل العارض مرتدون، وأهل العارض خوارج، فإذا قيل له: أهل العارض

وأهل شقراء يطلبون منك الدليل على ما قلت إن كنت صادقا، فرُدَّ عليهم من كتاب اللّه أو سنة رسول اللّه ولو في مسألة واحدة حتى يقبل كلامك. غضب على من قاله»[(١)].

قال الشيخ العلامة أبا بطين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«فإذا عرفت مذهبهم [أي الخوارج] أن أصله التكفير بالذنوب، وكفروا أصحاب رسول اللّه ﷺ، واستحلوا قتلهم، متقربين بذلك إلى اللّه، فإذا تبين لك ذلك، تبين لك ضلال كثير من أهل هذه الأزمنة، في زعمهم: أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأتباعه خوارج؛ ومذهبهم مخالف لمذهب الخوارج، لأنهم يوالون جميع أصحاب رسول اللّه ﷺ، ويعتقدون فضلهم على من بعدهم، ويوجبون اتباعهم، ويدعون لهم، ويضللون من قدح فيهم، أو تنقص أحدًا منهم، ولا يكفرون بالذنوب، ولا يخرجون أصحابها من الإسلام، وإنما يكفرون من أشرك باللّه، أو حسن الشرك؛ والمشرك كافر بالكتاب، والسنة، والإجماع، فكيف: يجعل هؤلاء مثل أولئك؟!.

وإنما يقول ذلك معاند يقصد التنفير للعامة؛ أو يقول ذلك جاهل بمذهب الخوارج، ويقوله تقليدًا؛ ولو قدرنا أن إنسانا يقع منه جراءة، وجسرة على إطلاق الكفر، جهلًا منه، فلا يجوز أن ينسب إلى جميع الطائفة، وإنما ينسب إليهم ما يقوله شيخهم، وعلماؤهم بعده؛ وهذا أمر ظاهر للمنصف، وأما المعاند المتعصب، فلا حيلة فيه»[(٢)].

(١) علماء نجد خلال ثمانية قرون ١/٥٠٦.
(٢) الدرر السنية في الأجوبة النجدية ١/٣٦٢.

وقال الشيخ زيد بن محمد آل سليمان: «فتنازع المخالفون في أمره، وجحدوا برهان صدقه، فقوم قالوا: هذا مذهب الخوارج المارقين، وطائفة قالت: هو مذهب خامس لا أصل له في الدين، وآخرون قالوا: هو يُكفِّر أهل الإسلام، وصنف نسبوه إلى استحلال الدماء والأموال الحرام، ومنهم من عابه بوطنه وأنه دار مسيلمة الكذاب، وكل هذه الأقاويل لا تروج على من عرف أصل الإسلام وحقيقة الشرك وعبادة الأصنام، وإنما يحتج بها قوم عزبت عنهم الأصول والحقائق، ووقفوا مع الرسوم والعادات في تلك المناهج والطرائق، و﴿قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [المائدة]...»[(١)].

وقال الشيخ عبد الرحمٰن بن حسن:

«اعلم: أيها الطالب للحق، الراغب في معرفة الإخلاص والصدق، أنه ورد علينا أوراق صدرت من رجل سوء، تتضمن التحذير من التكفير، من غير تحقيق ولا تحرير... وهذا الرجل إنما أتى من جهة فساد الاعتقاد، فلا يرى الشرك الجلي ذنبًا كبيرًا يكفر فاعله، فوجه إنكاره وطعنه على من أنكر الشرك، وفارق أهله، وكفرهم بالكتاب والسنة والإجماع...»[(٢)] وذكر عن ابن القيم ما يصدق هذا الكلام، لما قالوا له: إنك مثل الخوارج، فردَّ عليهم بقوله:

مَنْ لِي بِشِبْه خَوَارِج قَدْ كَفَّرُوا ... بِالذَّنْبِ تَأْوِيلًا بِلَا إِحْسَانِ
وَلَهُمْ نصُوصٌ قَصَّروا في فَهْمِهَا ... فَأُتُوْا مِنَ التقْصِير في العِرْفَانِ

---

(١) فتح المنان في نقض شبه الضال دحلان للشيخ العلامة زيد بن محمد آل سليمان ص١٨٢.

(٢) الدرر السنية في الأجوبة النجدية ١١/٤٤٦ ـ ٤٤٨، والأبيات في القصيدة النونية لابن القيم ٢/٥٥٩.

وَخُصُومُنَا قَدْ كَفَّرونَا بالَّذِي هُوَ غَايَةُ التَّوْحِيدِ والإيمَانِ»

وقال الشيخ سليمان بن سحمان رَحِمَهُ اللَّهُ في الرد على أحمد زيني دحلان:

فتبًا له من مفترٍ ما أضله وسحقًا له سحقًا وبعدًا على بعدٍ
وقد رام هذا الوغد فيما سعى به تنقصه عند التهامي والنجد
فويحك كم هذا التجاوز والهذا وكم ذا التجري والتجاوز للحد
فجوزيت من مولاك شر جزائه وحلَّ عليك الخزي في القرب والبعد
أتقفو بلا علم أكاذيب مفتر وأوضاع أفاك حسود وذي حقد
كأن لم يكن حشر ونشر وموقف مهول به ينجو ذوو الحق والرشد
ونار تلظى سوف تصلى سعيرها شقيًّا كفورًا كاذبًا غير ذي جد
فيأيها الغاوي الجهول الذي انتحى طرائق من قد خالفوا الحق عن عمد
أمالك عن نهج الغواية زاجر أما تخش في يوم القيامة والوعد
عواقب ما تجني من الإفك والردى وثمَّت لا ينجيك عذرٌ ولا يجد
أما تستحي مما تقول وترعوى عن الزور والبهتان يا فاسد القصد
أما آن أن تأوي إلى الحق والهدى فتنجو إذا كان النجاء لذي الرشد
فليس بحمد اللّه يا فدم بالذي يكفّرُ أهلَ الدين فاسمع لما أُبْدِ
ولكنما تكفيره لمن اعتدى وجانب دين المرسلين على عمد
ومن يدع غير اللّه جل جلاله ويندب أرباب القبور لدى اللحد
وقد بلغتهم قبل ذلك حجةٌ بتبيين أحكام الشريعة عن جهد
ولكن دين المرسلين لديكمو هو الشرك بالمعبود والجعل للند
بصرف العبادات التي هي حقه على خلقه للميتين ذوي اللحد[١].

(١) قصيدة للشيخ سليمان بن سحمان في ديوانه ص٣٠، ومطلعها: لك الحمد وإن الحمد أول ما نبدي، والأبيات المنقولة في ص٥٢.

➢ وقفة مع كلمة (تكفيري):

قول الكاتب: **[الظاهر أني لن أكون سلفيًّا عندهم حتى أكون تكفيريًّا]**.

ما معنى (التكفيري؟) والواجب التفصيل والتوضيح، لأن كل من يحكم بالكفر على غيره يقال فيه كفّر غيره. وكلمة «تكفيري» تطلق على من يغلو وينحرف. والفرق بين المعنيين ظاهر، لكن مع ذلك يجب التفصيل في مثل هذه المقامات.

وتقدم أن الفقهاء من المذاهب الأربعة صرّحوا بكفر من وقع في أفعال أو ألفاظ أو اعتقادات ذكروها في كتب الفقه، وابن حجر الهيثمي حكى أكثر من مائة قول حكم بكفر من وقع فيه والأشاعرة والماتريدية والصوفية وغيرهم حكوا ذلك، فليس الحكم بالردة أو الكفر مقصورًا على نوعٍ واحدٍ.

والمسلم فرض اللّه عليه الكفر بالطاغوت في قوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ [البقرة]، وجعله اللّه تعالى مسلك جميع الأنبياء فقال: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل: ٣٦] وقال: ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤]، وقال تعالى: ﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ ﴿١﴾﴾ [البينة].

وصرَّح اللّه تعالى بكفر المستهزئين بالنبي ﷺ فقال: ﴿قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ﴾ [التوبة: ٦٥ ـ ٦٦].

فالذي يدعو اللّه ويستغيث بالأموات من الأنبياء وغيرهم من الأولياء والصالحين مشرك الشرك الأكبر الذي يخرج من الملة، قال تعالى: ﴿وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَـٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون]، فسماه كافرًا، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَـٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَـٰذِبٞ كَفَّارٞ ﴿٣﴾﴾ [الزمر]، فحكم عليهم سبحانه بالكذب، والكفر بدعائهم غير اللّه، وإن زعموا أنهم اتخذوهم وسائط بينهم وبين اللّه.

وكذلك الذي ينكر البعث بعد الموت أو يكذب بوجود جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ أو ينكر سورة من القرآن لا يشك أحد من أهل الإسلام بكفره.

وإنما يكون محل اللوم على «**التكفير بغير حق**» وهو الذي يجرُّ إلى البلايا من الاغتيالات والتفجيرات، **أمَّا التكفير الذي يبنى على حكم شرعي ويُردُّ الأمر فيه إلى ولاة الأمور من العلماء في الفتوى وإلى الحكام في تنفيذ العقوبات فلا يترتب عليه إلا الخير ونصرة الحق وقمع الباطل.**

وبلادنا وعلماؤنا بحمد اللّه على مذهب أهل السنة والجماعة في مسائل التكفير وليس على مذهب الخوارج.

وإفراط الخوارج بتكفيرهم لغيرهم بالذنوب أو بما ليس بمكفر، وقابل هذا الإفراط تفريط المرجئة فألغوا التكفير أصلًا، وهذا غلط كما أن فعل الخوارج غلط.

ولا يجوز أن يقال: إنَّ المسلم لا يكفِّر أحدًا مطلقًا؛ ولو كان ممن حكم اللّه تعالى بكفرهم سواء كان كافرًا أصليًّا أو مرتدًّا؛ فهذا غير صحيح.

والواجب أن يقال: لا يجوز للمسلم أن يكون كالخوارج أو الغلاة الذين يكفرون بغير حق، كتكفيرهم بالذنب الذي دون الشرك أو بلازم القول أو نحو ذلك؛ فهذا التكفير بغير حق هو المذموم، وكذلك التسرع في التكفير هو من صفة الخوارج. وأمَّا التكفير بحق، القائم على الأدلة والتثبت والصدور عن الراسخين من أهل العلم فلا يقع عليه ذم؛ لأنه موافق لحكم اللّه تعالى.

مكانة أهل العلم وموقفهم من الخوارج والغلاة ومن تعرض للمسلمين باستباحة الدماء وإثارة الفتن ونبذة عن جهودهم:

علماء أهل السنة والجماعة قد وقفوا سدًّا منيعًا بفضل اللّه تعالى عليهم أمام الخوارج والغلاة وأهل الأهواء، ونقضوا مذهبهم وأبطلوا طريقتهم وكشفوا شبهاتهم وللّه الحمد والمنة، بما لا يوجد عند علماء الأشاعرة والماتريدية والصوفية، والواقع يشهد بذلك.

وفي مقدمتهم هيئة كبار العلماء، فقد بينوا الحق وردُّوا على الغلاة والخوارج، ومؤلفاتهم ومقالاتهم ودروسهم ومحاضراتهم في هذا المقام كثيرة جدًّا، أبانوا فيها الحق وفق منهج أهل السنة والجماعة.

وهناك رسائل جامعية خصصت لجمع أقوالهم وكلماتهم وجهودهم مثل رسالة:

١ ـ جهود هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية في

التحذير من الغلو جمعًا ودراسةً، تأليف: مبارك بن ناصر آل فارح، جامعة الملك خالد.

٢ ـ جهود هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية في تقرير عقيدة السلف في الجماعة والإمامة عرضًا ودراسةً، تأليف: فايز بن بطي الشهري، جامعة الملك خالد.

ولهم بيانات معروفة حذروا فيها من الدواعش والجماعات الإرهابية بشتى صورها وأشكالها وبينوا وجوب المحافظة على الجماعة وحرمة المظاهرات.

وأما ما يتعلق بأئمة الدعوة الإصلاحية فقد جمع فضيلة الشيخ الدكتور محمد هشام طاهري كتابًا باسم: «**تقريرات أئمة الدعوة في مخالفة مذهب الخوارج وإبطاله**».

فأحيل القارئ الكريم إلى هذه المؤلفات، ليعرف بعض الجهود العظيمة والبيان الواضح الذي قام به علماء أهل السنة والجماعة؛ جزاهم اللّه خير الجزاء.

والقول بأن الشرك الأكبر يبيح دم المشرك وماله، هو قولٌ حقٌ، وهو مثلُ غيره من موجبات الردة، لا يسوغ التهوين منه، أو ادّعاءُ بأنه لا يخرج من الملة؛ لأجل غلط بعض المفسدين في الأرض من الخوارج وغيرهم؛ فهذا إلزام بالباطل.

من جهة أخرى، فإن أهل العلم قد بيّنوا أن العقوبات وإقامة الحدود أمر منوط بالسلطان، قال تعالى: ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٥﴾ [التوبة]، وقال ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إلٰه إلا اللّه**

وأن محمدًا رسول اللّه، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكـاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم إلَّا بحق الإسلام وحسابهم على اللّه»[(١)].

واتفاق أهل العلم على أنَّ إقامة الحدود أمرٌ مختص بالسلطان أو نائبه أمرٌ معلوم؛ قال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقسْمة الفيء، وإقامة الحدود؛ إلى الأئمة ماضٍ، ليس لأحد أن يطعن عليهم، ولا ينازعهم»[(٢)].

يقول القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا خلاف أنَّ القصاص في القتل لا يقيمه إلا أولو الأمر الذين فرض عليهم النهوض بالقصاص وإقامة الحدود وغير ذلك لأن اللّه سبحانه خاطب جميع المؤمنين بالقصاص ثم لا يتهيأ للمؤمنين جميعًا أن يجتمعوا على القصاص فأقاموا السلطان مقام أنفسهم في إقامة القصاص وغيره من الحدود»[(٣)].

قال الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: جوابًا عن سؤال فيمن يُجافي المستأمنين، فذكر أنهم يحالون للمحكمة الشرعية، فسئل عمَّا لو لم تكن هناك محاكم شرعية؟

فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا لم توجد محاكم شرعية؛ فالنصيحة فقط، النصيحة لولاة الأمور، وتوجيههم للخير، والتعاون معهم، حتى يُحَكِّموا شرع اللّه، أما أن الآمر والناهي يمد يده، أو يقتل أو يضرب؛ فلا يجوز، لكن يتعاون مع ولاة الأمور بالتي هي أحسن، حتى يحكموا شرع اللّه في عباد اللّه، وإلا فواجبه النصح، وواجبه التوجيه إلى الخير، وواجبه إنكار المنكر بالتي هي أحسن، هذا هو

---

(١) سبق تخريجه، ص٩٠.
(٢) أصول السنة للإمام أحمد ٤٣.
(٣) تفسير القرطبي ٢/٢٤٥.

واجبه، قال اللّه تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [التغابن: ١٦]. ولأن إنكاره باليد بالقتل أو الضرب؛ يترتب عليه شر أكثر، وفساد أعظم بلا شك ولا ريب، لكل من سَبَرَ هذه الأمور وعرفها»(١).

فهذه بعض أقوال علماء الأمة في بيان اختصاص ولاة أمور المسلمين بإقامة الحدود والتعزيزات.

أمثلة من صور الشرك في الربوبية في عبادة (الدعاء) ممن وصفهم المؤلف بأهل الشهادتين؛ فمن ذلك:

قول أحد الغلاة وهو محمد الجمالي الحلبي يخاطب الرسول ﷺ:

يا ملاذي يا منجدي يا منائي ... يا معاذي يا مقصدي يا رجائي
يا نصيري يا عمدتي يا مجيري ... يا خفيري يا عدتي يا شفائي
أدرك أدرك أغث أغث يا شفيعي ... عند ربي واعطف وجد بالرضاء
أنت غوثي وملجئي وغياثي ... وجلا كربتي وأنت غنائي(٢)

وقال شمس الدين التواجي المصري:

يا رسول اللّه إني ضعيف ... فاشفني أنت مقصد للشفاء
يا رسول الإله إن لم تغثني ... فإلى من ترى يكون التجائي(٣)

وقال النبهاني:

سيدي أبا البتول أغثني ... أنت أدرى بما حواه الضمير

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ ابن باز ٢٠٧/٨.
(٢) شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق ليوسف النبهاني ص ٣٥٥، والنبهاني هذا أحد أئمة الضلالة والدعوة للشرك.
(٣) المصدر السابق ٣٦١.

ويقول صاحب البردة:

يا أكرم الخلق ما لي مَنْ ألُوْذُ بهِ سِوَاكَ عند حلُوْلِ الحادِثِ العَمِمِ

ويقول البريلوي: «إن مفاتيح الكون كلها في يد رسول اللّه ﷺ، وهو مالك الكل، وأنه النائب الأكبر للقادر، وهو الذي يملك كلمة (كن)»[(١)].

وقال عبد الرحيم البرعي اليمني (ت: ٩٠٣):

أجبْ يا ابنَ العواتكِ صوتَ عبدٍ أسيرِ الذنبِ فيهِ لكَ اللواءُ
تداركني بجاهكَ منْ ذنوبٍ وأوزارٍ يضيقُ بها الفضاءُ
وكنْ لي ملجأ في كلِّ حالٍ فليسَ إلى سواكَ ليَ التجاءُ
فإنْ أكرمتنا دنيا وأخرى فليسَ البحرُ تنقصهُ الدلاءُ

وقال أبو المواهب البكري ابن محمد البكري الكبير كما ذكره الشهاب الخفاجي في [الريحانة].

إلى كم نحن في ظمأ وهذا المنهل الأعذب
وهذا السؤال والمأمو ل والمقصود والمأرب
أقلني عثرة عظمت فإني ضاق بي المذهب
وخلصني وخصصني بسر منه لا أسلب
أغث يا سيدي لهفي وإلا من له أذهب
وقل لي أنت في جاهي فلا تخشى ولا تتعب
بك استنصرت فانصرني فمن تنصره لا يغلب
بك استشفعت فاشفع لي فمن ذنبي لك المهرب

وقال عبدالغني النابلسي:

(١) الشرك في القديم والحديث ٢/٨٩٨.

يا بهجة الكون يا طه الرسول ومن ... لـه مـقـام عـظـيـم كـلـه أدب
يا سيد الأنبياء والرسل أجمعهم ... يا من به زال عنا الهم والتعب
يدعوك مسكينك العبد الذي بطشت ... أيدي العباد به والقلب مكتئب
فاكشف له كربة أودت بمهجته ... يا خير من كشفت عنا به الكرب
وما دعوناك في تفريج شدتنا ... إلا لأنك في تفريجها سبب
وأنت باب العطا والجود يا أملي ... بك الإله على طول المدى يهب

ويقول الكاتب الشهير مصطفى لطفي المنفلوطي في كتابه (النظرات) تحت فصل بعنوان (دمعة على الإسلام):

«كتب إليّ أحد علماء الهند كتابًا يقول فيه: إنه اطلع على مؤلف ظهر حديثًا بلغة (التاميل) وهي لغة الهنود الساكنين بناقور وملحقاتها بجنوب مدراس، موضوعه: تاريخ حياة السيد عبد القادر الجيلاني وذكر مناقبه وكراماته فرأى فيه من بين الصفات والألقاب التي وصف بها الكاتب السيد عبد القادر ولقبه بها صفات وألقابًا بمقام الألوهية أليق منها بمقام النبوة فضلًا عن مقام الولاية كقوله: (سيد السمٰوات والأرض) و(النفاع الضرار) و(المتصرف في الأكوان) و(المطلع على أسرار الخليقة) و(محيي الموتى) و(مبرئ الأعمى والأبرص والأكمه) و(أمره من أمر اللّه) و(ماحي الذنوب دافع البلاء) و(الرافع الواضع) و(صاحب الشريعة) و(صاحب الوجود التام) إلى كثير من أمثال هذه النعوت والألقاب.

ويقول الكاتب أنه رأى في ذلك الكتاب فصلًا يشرح فيه المؤلف الكيفية التي يجب أن يتكيف بها الزائر لقبر السيد عبد القادر الجيلاني يقول فيه: (أول ما يجب على الزائر: أن يتوضأ وضوءًا سابغًا ثم يصلي ركعتين بخشوع واستحضار ثم يتوجه إلى تلك الكعبة المشرفة! وبعد السلام على صاحب الضريح المعظم يقول: يا صاحب

الثقلين أغثني وأمدني بقضاء حاجتي وتفريج كربتي. أغثني يا محيي الدين عبد القادر، أغثني يا ولي عبد القادر، أغثني يا سلطان عبد القادر، أغثني يا باد شاه عبد القادر، أغثني يا خوجة عبد القادر! يا حضرة الغوث الصمداني، يا سيدي عبد القادر الجيلاني، عبدك ومريدك مظلوم عاجز محتاج إليك في جميع الأمور في الدين والدنيا والآخرة.

ويقول الكاتب أيضًا: أن في بلدة (ناقور) في الهند قبر يسمى (شاه الحميد) وهو أحد أولاد السيد عبد القادر ـ كما يزعمون ـ وأن الهنود يسجدون بين يدي ذلك القبر سجودهم بين يدي اللّه! وإن في كل بلدة من بلاد الهند وقراها مزارًا يمثل مزار السيد عبد القادر..»[(١)].

فهذه أمثلة واضحة في الشرك في الربوبية والشرك في الألوهية ممن يصفهم الكاتب بأنهم من أهل الشهادتين، وقد اشتملت كلماتهم على الشرك الأكبر الذي دل القرآن والسنة على كفر من فعله، وهو عين ما حذر منه النبي ﷺ حيث قال: «**إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين**»[(٢)] وقال: «**ألا هلك المتنطعون**»[(٣)] وقال: «**لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم فإنما أنا عبد فقولوا عبد اللّه ورسوله**»[(٤)] وقوله: «**ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد بن عبد اللّه، عبد اللّه ورسوله، واللّه ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني اللّه ﷻ**»[(٥)].

---

(١) النظرات للمنفلوطي ٢/١٥ ـ ١٦.
(٢) أخرجه أحمد (١٨٥١) وابن ماجه (٣٠٢٩) والنسائي (٣٠٥٧) وصححه الألباني.
(٣) أخرجه مسلم (٢٦٧٠).
(٤) أخرجه البخاري (٣٢٦١).
(٥) أخرجه أحمد (١٢٥٧٣) وهو صحيح انظر: الصحيحة (١٥٧٢).

وبعد هذه النقول أذكر القارئ بما يقوله هذا الكاتب وقد سبق إيراده: قال في الصفحة ١٥: **[مع أن أهل الشهادتين مُقِرُّون بتفرد اللّه تعالى بالربوبية، وأنه لا رب سواه.... وهذا هو ما قطعت لهم به الشهادتان، والتي دلت أيضًا أنهم مُقِرُّون للّه تعالى بالتفرد وحده بالألوهية والعبادة دلالة قاطعة]**.

فقارن أيها القارئ بين كلام هذا الكاتب وبين ما وقع من صريح الشرك في الربوبية، والذي ينفيه الكاتب دون أثارة من علم.

* * *

نقض شبهات:

«المبحث الأول:
أصل مشكلة المكفرين بشرك العبادة
وتوسعهم في إدخال ما ليس منه فيه»



➢ دعواه أن أهل السنة توسعوا في التكفير:

قال الكاتب في الصفحة ١٧: **[إن أصل مشكلة المتوسعين في تكفير أهل الشهادتين بدعوى الإخلال بتوحيد الألوهية]**.

قوله: (المتوسعين في تكفير أهل الشهادتين..) يبيّن أنه حَصَر هذا التوسّع في باب توحيد الألوهية! فلم يحذر الكاتب من التكفير لدى الرافضة والخوارج وأهل الكلام وغيرهم ممن ضل في باب التكفير.

فيقال له: لا يوجد في أهل السنة والجماعة من العلماء الصادقين الراسخين في العلم من توسع في التكفير وخرج عن المنهج الصحيح.

قال الكاتب في الصفحة ١٧: **[وساءت ظنونهم في أمة خير الأنام محمد عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، وهو ﷺ القائل: «وإني واللّه ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي، ولكن أخاف عليكم أن تنافسوا فيها»، والقائل ﷺ: «إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم»]**.

الكاتب سبقه في الاحتجاج بهذا الحديث داوود بن جرجيس. فقد احتج بهذا الحديث على نفي وقوع الشرك في الأمة(١).

والحديث المشار إليه أخرجه مسلم عن جابر، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: **«إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة**

(١) صلح الإخوان ص ١٤٤، ومثله القضاعي في البراهين الساطعة ص ٣٨٤، ومحمد علوي مالكي في مفاهيم يجب أن تصحح ص ٢٧.

العرب، ولكن في التحريش بينهم»[(١)]. ولفظه عند أحمد: «**قد يئس الشيطان أن يعبده المسلمون، ولكن في التحريش بينهم**».

وقد أجاب أهل العلم في بيان معنى هذا الحديث بعدّة أجوبة:

١ ـ أن الشيطان أيس هو ولم يُيَأس، فكونه أيس لأنه لا يعلم الغيب، فليس في الحديث أن اللّه يأّسه، وإنما هو الذي يئس وهو غير معصوم.

٢ ـ أن المراد بقوله «**أيس أن يعبده المصلون**»؛ أي: يخص الشيطان بالعبادة لا أن يقعوا في الشرك.

٣ ـ أنه يئس أن يعود المسلمون إلى الجاهلية الأولى ويطبق الشرك جميع الأرض، وهذا لا يقع لأنه لا تزال طائفة على الحق منصورين إلى قيام الساعة. فيكون المراد يأسهم من ارتداد المسلمين كلهم عن دينهم وقد ذكر هذا المعنى ابن جرير الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ﴾ [المائدة: ٣].

قال ابن جرير الطبري: «**يعني بقوله جل ثناؤه**: ﴿ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ﴾، الآن انقطع طمع الأحزاب وأهل الكفر والجحود، أيها المؤمنون، ﴿مِن دِينِكُمۡ﴾، يقول: من دينكم أن تتركوه فترتدُّوا عنه راجعين إلى الشرك»، وأسند هذا التفسير عن ابن عباس أنه قال: «**أن ترجعوا إلى دينهم أبدًا**»، ومثله عن السدي[(٢)].

٤ ـ أن هذا خطاب للصحابة ﭫ، فتكون (أل) في «المصلون» للعهد، أي: أن الصحابة ﭫ هم من قد أيس الشيطان أن يعيدهم إلى شرك الجاهلية.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨١٢) والترمذي (١٩٣٧)، وأحمد (١٤٣٦٦، ١٤٨١٦، ١٤٩٤٠، ١٥١١٨).

(٢) جامع البيان ٨/٧٨.

٥ ـ المراد أن الشيطان يئس أن يعبده المخلصون دينهم للّه، وفي إيضاح وجه الدلالة على هذا المعنى قال شيخنا الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ حفظه الله:

«جاء في الحديث إياس الشيطان من أن يعبده المصلون، والصلاة من أركان الإسلام العظام، وهي أعظم الأركان بعد الشهادتين، والصلاة ناهية عن الفحشاء والمنكر، كما قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وأعظم المنكر الشرك باللّه وصرف محض حق اللّه إلى غيره من الأنبياء والصالحين؛ فيكون هذا القيد لازمًا للشهادة وإخلاص الدين، فيكون المعنى: إن الشيطان يئس أن يعبده المخلصون دينهم للّه، فتأمل نكتة تقييده بالمصلين، ويعني بها حقيقة الصلاة وثمرتها»[(١)].

وكذلك قوله ﷺ: «**وإني واللّه ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي**»[(٢)]؛ فالخطاب للصحابة ﷺ، فخاف عليهم التنافس في الدنيا، وأما من جاء بعدهم فيخاف عليه من هذا وهذا.

أما قول الكاتب في الصفحة ١٧: **[وساءت ظنونهم في أمة محمد عليه أفضل الصلاة وأتم السلام]**.

فهذا غير صحيح؛ فإن أهل السنة والجماعة آمنوا وصدقوا ما قاله الرسول ﷺ: «**بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود كما بدأ غريبًا، فطوبى للغرباء**»[(٣)]. وقوله ﷺ: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم**»[(٤)]، ونحو ذلك من الأحاديث.

---

(١) هذه مفاهيمنا رد على كتاب مفاهيم يجب أن تصحح ص ٢١٢.

(٢) أخرجه البخاري (١٢٧٩)، ومسلم (٢٢٩٦).

(٣) أخرجه مسلم (١٤٥).

(٤) أخرجه البخاري (٣٤٥٦)، ومسلم (٢٦٦٩).

ولم يُسئ أهل العلم والإيمان الظن بمسلم عَبَدَ اللّهَ مخلصًا له الدين، وإنما يُساء الظن بمن بَدّل وحرّف وغيّر مثل الذي يعبد غير اللّه، فهذا ليس بمسلم.

قال الكتاب في الصفحة ١٨: **[فادعى هؤلاء المكفِّرون بالباطل في توحيد الألوهية معنى لم يسبقوا إليه...]** إلى أن قال: **[وما عرفوا معنى العبادة أيضًا فكفروا بشرك العبادة...]** إلى آخر كلامه.

إن هذا الكاتب يجعل الشرك فقط بالإخلال بالربوبية، بأن يجعل المخلوق مع اللّه شريكًا في الخلق، أو الرزق، أو الإيجاد، أو النفع، أو الضر، فإذا لم يَعْتقِد مع اللّه شريكًا فإنه لا يكون مشركًا، لا في الربوبية ولا الألوهية.

ومعنى العبادة عنده هي: الاعتقاد في المعبود أنه ينفع أو يضر، وهذا لم يقله عالم من علماء المسلمين.

ولذلك رَمَى علماء أهل السنة قاطبة بأنهم ما عرفوا معنى الإله في لغة العرب، ولا في العرف الشرعي، وسيأتي إيضاح أكثر لبيان غلطه.

وأما من عبد الصالحين والأولياء والأنبياء والملائكة، ودعاهم واستغاث بهم وطلب منهم المدد، وتوكل عليهم، وقرب إليهم القرابين، كالذبائح وغيرها، فعلى قوله يكون من فعل ذلك مسلماً من هذه الأمة؛ لأنه يشهد الشهادتين، وأن تلك الشهادتين تكفيان في الحكم بإسلامه ولو فعل ما فعل من الشركيات.

ولهذا حتى يعرف المسلم بطلان هذا القول لابد أن يعرف المراد بالشرك، وذلك بتدبّر كلام اللّه وكلام رسوله ﷺ.

قال اللّه تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة] وقال تعالى: ﴿وَلَا

تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يونس] وقال تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون] وقال تعالى: ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [غافر] فسمى اللّه شركهم دعاء، كانوا يدعونهم فقال: ﴿بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا﴾ لأنه اضمحل وزال، وقال تعالى عنهم: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأحقاف] فوصفه بأنه (يدعو من دون اللّه)، ثم قال في آخرها ﴿وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ﴾ فسمى دعاءهم عبادة.

وفي سورة الشعراء وصفهم اللّه وهم في النار، ماذا يقولون لمعبوداتهم ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [الشعراء] ومن المعلوم أنهم لم يقولوا في الدنيا أن معبوداتهم مساوية للّه تعالى في الخلق والرزق والتدبير؛ وإنما سووهم باللّه ﷻ فيما يستحقه من المحبة والخضوع والتعظيم والخوف والرجاء وسائر العبادات.

فوضح اللّه الشرك أتم توضيح؛ وجاء في السنة المطهرة قوله ﷺ: **«من مات وهو يدعو ندًّا من دون اللّه دخل النار»**(١)، وقال ﷺ: **«من لقي اللّه لا يشرك به شيئًا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئًا دخل النار»**(٢)، **«وسئل: أي الذنب أعظم؟ قال: أن تجعل للّه ندًّا وهو خلقك»**(٣).

وعن معقل بن يسار قال: انطلقت مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٩٧).

(٢) أخرجه مسلم (٩٣).

(٣) أخرجه البخاري (٤٢٠٧)، ومسلم (٨٦).

النبي ﷺ فقال: «**يا أبا بكر لَلشِّركُ فيكم أخفى من دبيب النمل**»، فقال أبو بكر: وهل الشرك إلا من جعل مع اللّه إلها آخر، قال النبي ﷺ: «**والذي نفسي بيده لَلشِّركُ أخفى من دبيب النمل ألا أدلك على شيء إذا قلته ذهب عنك قليله وكثيره قال: قل اللّهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم**»[(١)].

فلا يجوز الإعراض عن هذه النصوص وغيرها، ولا يجوز التطاول على أهل العلم بأنهم يكفرون بالباطل وأنهم لا يفهمون المعاني.

قول الكاتب في الصفحة ١٨: **[وهم لم يعرفوا متى يكون عمل الظاهر من القول أو الفعل عبادة، فضلًا عن أن يعرفوا عمل الباطن من أعمال القلوب... عبادة]**.

◎ **الجواب:**

أن أهل العلم عرفوا ذلك ووضحوه بأدلته، وأهل الكلام الذين سلكوا مسالك المرجئة ظنّوا أن التوحيد والإسلام يثبت بمجرد القول بلا معرفة ولا اعتقاد؛ وهذا ناتج عن عدم معرفة حقيقة الشهادتين ولوازمهما وحقوقهما؛ فقول القائل: أشهد أن لا إلٰه إلا اللّه، وأشهد أن محمدًا رسول اللّه، يقتضي من الشاهد: العلم والنطق والإقرار والالتزام بمضمون شهادته، قال ابن حجر في فتح الباري: «وفيه منع قتل من قال: لا إلٰه إلا اللّه، ولو لم يزد عليها وهو كذلك، لكن هل يصير بمجرد ذلك مسلمًا، الراجح: لا. بل يجب الكف عن قتله حتى يُختبر، فإن شهد بالرسالة والتزم أحكام الإسلام حُكم بإسلامه، وإلى

---

(١) أخرجه أحمد (١٩٦٠٦)، والبخاري في الأدب المفرد (٧١٦)، وأبو يعلى في مسنده ٦١/١، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٥٥٤).

ذلك الإشارة بالاستثناء بقوله: «إلا بحق الإسلام»، قال البغوي: الكافر إذا كان وثنيًا أو ثنويًا لا يقر بالوحدانية، فإذا قال: لا إلٰه إلا اللّه، حكم بإسلامه، ثم يُجبر على قبُول جميع أحكام الإسلام، ويَبرأ من كل دين خالف دين الإسلام... ومقتضى قوله: (يُجبر) أنه إذا لم يلتزم تجري عليه أحكام المرتد، وبه صرح القَفَّال»[(١)].

قال الكاتب في الصفحة ١٨ ـ ١٩: [**فكيف يمكن أن يستقيم تقرير من كفّر بدعوى لم يفهم معناها...**].

ظَنَّ الكاتبُ أنَّ أهلَ العلم والإيمان لا يفرقون بين العبادات وبين أعمال التعظيم والإجلال وليست بعبادة.

والرد عليه: أن أهل العلم ـ وللّه الحمد والمنة ـ سائرون على نهج الكتاب والسنة، وسلف هذه الأمة، وعندهم من الفرقان بين الحق والباطل، وعندهم من التمييز والمعرفة بدلالات الكتاب والسنة وفهم موارد النصوص الشرعية، ما به يُعْرف موارد التكفير بحق.

ولعلّ الكاتب اشتبهت عليه الأمور؛ بسبب الشبهات التي أوردها على نفسه، أو تلقاها من غيره.

واللّه ﷻ حذر المؤمنين من الخوض في آيات اللّه كما حذرهم من الجلوس إلى الخائضين فيها فقال تعالى: ﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمۡ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرَ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا فَٱسۡتَمۡتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمۡ فَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِخَلَٰقِكُمۡ كَمَا ٱسۡتَمۡتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُم بِخَلَٰقِهِمۡ وَخُضۡتُمۡ كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٦٩﴾ [التوبة]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللّه تعالى: «ثم قوله ﴿فَٱسۡتَمۡتَعۡتُم﴾ ﴿وَخُضۡتُمۡ﴾، خبر عن وقوع ذلك في الماضي،

---

(١) فتح الباري (٢٧٩/١٢).

وهو ذم لمن يفعله إلى يوم القيامة، كسائر من أخبر اللّه به عن الكفار والمنافقين عند مبعث محمد ﷺ، فإنه ذم لمن حالهم كحالهم إلى يوم القيامة»[١].

وقال أيضًا: «وجمع سبحانه بين الاستمتاع بالخلاق، وبين الخوض، لأن فساد الدين إما أن يقع بالاعتقاد الباطل، والتكلم به، أو يقع في العمل بخلاف الاعتقاد الحق.

والأول: هو البدع ونحوها.

والثاني: فسق الأعمال ونحوها.

والأول: من جهة الشبهات.

والثاني: من جهة الشهوات.

ولهذا كان السلف يقولون: احذروا من الناس صنفين: صاحب هوى قد فتنه هواه، وصاحب دنيا أعمته دنياه.

وكانوا يقولون: احذروا فتنة العالم الفاجر، والعابد الجاهل، فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون فهذا يشبه المغضوب عليهم الذين يعلمون الحق ولا يتبعونه، وهذا يشبه الضالين الذين يعملون بغير علم»[٢].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾ [الأنعام: ٦٨]، وكان محمد بن سيرين يرى أن هذه الآية نزلت في أصحاب الأهواء[٣].

وقال اللّه ﷻ مبينًا عقوبته لمن تولّى عن طاعة اللّه وطاعة

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ١/١٢١.
(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ١/١١٧ ـ ١١٩.
(٣) أصول السنة لابن أبي زمنين ص ٣٠٣.

رسوله ﷺ: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (٤٩)﴾ [المائدة].

غلط الكاتب في مسألة تعظيم النبي ﷺ والرد عليه:

ذكر الكاتب في الحاشية في الصفحة ١٨ بعد قوله السابق [**قول اللّه تعالى في الأمر بتعظيم النبي ﷺ** ﴿لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ... ﴾ الآية].

فالجواب: أن تعظيم النبي ﷺ الوارد في قوله تعالى ﴿لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [الفتح: ٩]؛ إنما يكون بالعمل بما أمر اللّه به ورسوله، والوقوف على ذلك، وهذا التعظيم منه ما هو واجب، ومنه ما هو مستحب، وقد يفعل المبتدعة أو المشركون من الغلاة من هذه الأمة، أنواعًا من الغلو والخروج عن الشريعة، ثم يُسَمّون ذلك تعظيمًا للنبي ﷺ، ولهذا يجب التفريق بين ما يفعله من يأتمر بالكتاب والسنة، وبين ما يفعله المشركون أو المبتدعة.

فمن تعظيمه ﷺ المشروع: عدم جعل دعاء الرسول كدعاء البعض بعضًا، وعدم التقديم بين يدي اللّه ورسوله، وعدم رفع الصوت فوق صوت النبي ﷺ، وعدم الجهر له بالقول كجهر بعضكم لبعض، وغض الأصوات عند رسول اللّه ﷺ وعدم المناداة من وراء الحجرات، والصلاة والسلام على النبي ﷺ، وعدم إبقاء الخيرة لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى رسول اللّه ﷺ أمرًا، وسؤال نساء النبي ﷺ من وراء حجاب، وعدم نكاح أزواجه من بعده أبدًا، وتحكيم النبي فيما شجر بينهم، وعدم وجدان الحرج في أنفسهم مما قضى النبي ﷺ، وأخذ ما آتاه الرسول، والانتهاء عما نهى عنه، والاقتداء بسنته ﷺ، وإطاعة الرسول، والرد إليه إذا وقع التنازع في

شيء، وإجابة دعوة الرسول وإن كان المدعو في الصلاة كما دل عليه حديث أبي سعيد ابن المعلى المروي في صحيح البخاري، واعتقاد أن اللّه تعالى يبعث رسولنا ﷺ مقامًا محمودًا الذي هو أعلى درجة في الجنة. لا ينالها إلا عبد من عباد اللّه وهو نبينا ﷺ، واعتقاد أن أمة محمد ﷺ يكونون شهداء على الناس ويكون الرسول عليهم شهيدًا، واعتقاد أن أمة محمد ﷺ خير الأمم، واعتقاد أن محمدًا ﷺ خاتم النبيين، واعتقاد أن اللّه تعالى أسرى بمحمد ﷺ ليلًا، واعتقاد أن النبي ﷺ أرسل إلى الناس كافة، واعتقاد أن النبي ﷺ رأى اللّه تعالى ليلة الإسراء على قول، أو جبرائيل عليه السلام على صورته الأصلية على قول، واعتقاد أن اللّه تعالى قد غفر له ﷺ ما تقدم من ذنبه وما تأخر[١].

قال الشيخ محمد بشير السهسواني (ت: ١٣٢٦):

«فالواجب على المؤمن أن لا يتجاسر على التكلم بكل كلمة في ثناء النبي ﷺ فالمقام مقام الاحتياط، إذ اعتقاد اتصاف النبي ﷺ بصفاته الكمالية من جملة مسائل العقائد، فما لم يثبت بالكتاب العزيز أو السنة الثابتة المطهرة لم يَجُزْ وَصْفُ النبي ﷺ به...

وبالجملة فنحن معاشر أهل الحديث نعظم رسول اللّه ﷺ بكل تعظيم جاء في الكتاب أو السنة الثابتة، سواء كان ذلك التعظيم فعليًّا أو قوليًّا أو اعتقاديًّا، والوارد في الكتاب العزيز والسنة المطهرة من ذلك الباب في غاية الكثرة، وما ذكر هو بعض منه، ولو رُمْتَ إحصاءَ ذلك على التمام لجاء في مؤلف بسيط، نعم نجتنب التعظيمات التي

---

(١) مستفاد مما ذكره الشيخ محمد بشير السهسواني في صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان ص ٢٣١.

تشتمل على موجبات الكفر والشرك، وما نهى اللّه عنه ورسوله، والتعظيمات المحدثة المبتدعة»[(١)].

قال الشيخ الحافظ العلامة شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي (المتوفى: ٧٤٤هـ) المعروف بابن عبد الهادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله ـ أي السبكي ـ: إن المبالغة في تعظيمه واجبة؛ أيريد بها المبالغة بحسب ما يراه كل أحد تعظيمًا، حتى الحج إلى قبره والسجود له، والطواف به، واعتقاد أنه يعلم الغيب، وأنه يعطي ويملك لمن استغاث به من دون اللّه النفع والضر، وأنه يقضي حوائج السائلين، ويفرج كربات المكروبين، وأنه يشفع فيمن يشاء ويدخل الجنة من يشاء؟! فدعوى المبالغة في هذا التعظيم مبالغة في الشرك، وانسلاخ من جملة الدين»[(٢)].

وقال ـ قبل ذلك ـ مخاطبًا السبكيَّ، والخطاب يصلح لهذا الكاتب أيضًا:

«أنت وأضرابك من أقل الناس نصيبًا من ذلك التعظيم، وإن كان نصيبكم من الغلو الذي ذمه وكرهه ونهى عنه نصيبًا وافرًا، فإن أصل هذا التعظيم وقاعدته التي يبنى عليها هو طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، وأنت وأضرابك اكتفيتم من طاعته بأن أقمتم غيره مقامه: تطيعونه فيما قاله، وتجعلون كلامه بمنزلة النص المحكم، وكلامه المعصوم إن التفتم إليه بمنزلة المتشابه! فما وافق نصوص من اتخذتموه من دونه قبلتموه وما خالفها تأولتموه، أو رددتموه، أو أعرضتم عنه ووكلتموه إلى عالمه، فنحن ننشدكم اللّه هل تتركون

(١) صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان ص ٢٣٦.
(٢) الصارم المنكي في الرد على السبكي ص ٣٤٦.

نصوص من قلدتموه لنصه، أو تتركون نصه لنص من قلدتموه، واكتفيتم من خبره عن اللّه وأسمائه وصفاته بخبر من عظمتموه من المتكلمين الذين أجمع الأئمة الأربعة والسلف على ذمهم والتحذير منهم، والحكم عليهم بالبدعة والضلالة فاكتفيتم من خبره عن اللّه وصفاته بخبر هؤلاء وجعلتهم خبرهم قواطع عقلية، وأخباره ظواهر لفظية لا تفيد اليقين ولا يجوز تقديمها على أقوال المتكلمين.

ثم مع هذا العزل الحقيقي عظمتم ما يكره تعظيمه من القبور وشرعتم فيها وعندها ضد ما شرعه، وعدتم بهذا التعظيم على مقصوده بالإبطال، فعظمتم بزعمكم ما يكره تعظيمه وتقربتم إليه بما يباعدكم منه واستهنتم بالإيمان كله في تعظيمه ونبذتموه وراء ظهوركم، واتخذتم من دونه من عظمتم أقواله غاية التعظيم حتى قدمتموها عليه، وما أشبه هذا بغلو الرافضة في عليٍّ، وهم أشد الناس مخالفة له، وكذلك غلو النصارى في المسيح، وهم من أبعد الناس منه، وإن ظنوا أنهم معظمون له فالشأن كل الشأن في التعظيم الذي لا يتم الإيمان إلا به وهو لازم وملزوم له والتعظيم الذي لا يتم الإيمان إلا بتركه، فإن إجلاله عن هذا الإجلال، وتعظيمه عن هذا التعظيم متعين»[(١)].

والاحتجاج بتعظيم النبي ﷺ على تسويغ الأفعال الشركية، باطل، وليس لمن قال ذلك سلف من الصحابة والتابعين وأتباعهم، وهم القرون المفضلة وأقوم الناس بالدين والسنة، ولا عبرة بمن خالفهم.

وأما الإجلال: فهذا لفظ مجمل مثل لفظ التعظيم، مَن الذي يُجَلّ؟ ومَن الذي يستحق الإجلال؟ وما هو الإجلال اللائق بالخالق؟ وما هو الإجلال اللائق بالمخلوق؟

(١) الصارم المنكي ص٣٤٥ ـ ٣٤٦.

والجواب عن ذلك كله: أن مرد ذلك إلى معرفة ما أمر اللّه به، وما أمر به رسوله ﷺ.

فإجلال اللّه ﷻ يكون بإخلاص العبادة له ﷻ، واتباع أوامره، والتصديق برسوله ﷺ، والإيمان به، والاستقامة على الشريعة، فعلًا للمأمورات، وتركًا للمنهيات، مع ما يقوم بالقلب من تعظيم اللّه ﷻ، ومحبته ومهابته، فهذا الإجلال خاص باللّه تعالى، فلا يجوز أن تصرف العبادة لغيره، ولا يجوز أن يكون قلب المؤمن معظمًا ومجلًا إجلال العبادة لغير اللّه.

وأما المخلوق ففيه تفصيل أيضًا: فالنبي ﷺ يُجِلُّهُ المؤمنون ويحبونه ﷺ ويتبعون سنته، ويقتدون به ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١] ولكن لا يعبدونه مع اللّه، ولا يكون في قلوبهم توجه وتعلق به، وإنما القلب يتعلق باللّه جل وعلا ويلجأ إليه.

ومن صور الإجلال إجلال الوالدين، وإجلال أهل العلم، وإجلال ولاة الأمر، فهذا الإجلال لا يقتضي صرف العبادة لهم بالسجود، أو الركوع، أو الدعاء، أو تعلق القلوب بهم.

فهذا هو الفرقان في مثل هذه الألفاظ المجملة.

فالكاتب: يدعي أن أهل العلم والإيمان لا يفرقون بين تعظيم العبادة، وبين التعظيم الذي ليس بعبادة، ولا يفرقون بين إجلال العبادة وبين الإجلال الذي ليس بعبادة، وهذا غفلة منه عمّا عليه أهل العلم والإيمان.

➢ الغلط في قوله (الكعبة تُعظّم):

ثم قال الكاتب في الحاشية رقم ١ في الصفحة ١٨ كلامًا معناه: **[أن الكعبة تعظم بالحج والصلاة إليها والسجود نحوها**

والتمسح بركنيها وتقبيل حجرها والتزام ملتزمها مع اعتقاد البركة فيها...].

ينبغي التنبيه إلى أن الكاتب سبقه أحمد زيني دحلان، في تقرير هذه الشبهة بالطريقة نفسها.

ويقال له ولكل من يحتج بهذه الشبهة:

إن تعظيم الكعبة؛ إنما هو تابع لتعظيم اللّه، لأن اللّه ﷻ أمر بذلك، فأمر اللّه ﷻ الناس بقوله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ [آل عمران: ٩٧] والبيت هو الكعبة، وأمر اللّه باستقبالها في الصلاة فقال: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا﴾ [البقرة: ١٤٤].

والتعظيم ليس لأجل حجر الكعبة؛ وإنما التعظيم للّه ﷻ الذي أمر بأن يكون هذا المكان مقصودًا ومنسكًا لأهل الإسلام.

فأمَّا كون الصلاة إلى الكعبة كما قال الكاتب: [والصلاة إليها والسجود تجاهها] فيقال فيه: إن الصلاة تكون إلى جهة الكعبة، وهذه عبادة أمر اللّه بها المؤمنين كما قال تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ [البقرة: ١٤٤] وقال تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٤٩] وقال تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ [البقرة: ١٥٠].

وكذلك السجود تجاهها، هذا من تكرار الكلام الذي لا فائدة منه.

وأما الطواف حولها فالطواف عبادة للّه وليس للكعبة، مثل السجود والركوع والقيام، واللّه أمر بذلك فقال: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾ [الحج] فصار هذا فرضًا على كل حاجٍ ومعتمرٍ، وعبادةً للّه ﷻ وليس عبادة للكعبة.

وأما قوله: [التمسح بركنيها].

فالجواب: أن التمسح لم يرد في السنة بهذا اللفظ، وإنما ورد استلام الركن اليماني، واستلام الركن الأسود، مع تقبيل الحجر الأسود إن تيسر، فقد «**سأل رجل ابن عمر ﷺ عن استلام الحجر، فقال: رأيت رسول اللّه ﷺ يستلمه ويقبله. قال: قلت: أرأيت إن زحمتُ، أرأيت إن غلبتُ؟ قال: اجعل أرأيت باليمن، رأيت رسول اللّه ﷺ يستلمه ويقبله**»[1].

وعن عمر ﷺ: «**أنه جاء إلى الحجر الأسود فقبله، فقال: إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت النبي ﷺ يقبلك ما قبلتك**»[2]. **والاستلام المشروع هو مسح الحجر الأسود باليد وليس (التمسّح) فإن التمسّح لفظ موهم لإلصاق أي جزء من الجسم بالحجر وهذا غير وارد. ومن يريد توسيع دائرة التمسح بالمقامات والأضرحة، يأتي بهذا اللفظ موهمًا وملبسًا أن أصله مشروع.**

وقوله: [تقبيل حجرها].

كان الواجب على الكاتب أن يقول تقبيل الحجر الأسود، فأطلق التقبيل لجميع حجر الكعبة، وحجر الكعبة ليس له تلك المشروعية في التقبيل، وإنما الذي يُقَبّلُ الحجرُ الأسود فقط.

وتقبيل الحجر الأسود واستلامه، ليس لأن هناك بركة تنتقل من ذلك الحجر الأسود إلى يد المستلم، أو إلى فمه عندما يُقَبّلُه، وإنما يقبله ويستلمه اتباعًا لسنة النبي ﷺ؛ فقد مرَّ قول عمر ﷺ: «**إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت النبي ﷺ يقبلك ما قبلتك**».

---

(١) أخرجه البخاري (١٦١١).

(٢) أخرجه البخاري (١٥٩٧).

وقول الكاتب: [والتزام ملتزمها].

التزام الملتزم ورد عن بعض أصحاب النبي ﷺ، وذكره أهل العلم وهو من السنن إن تيسر، وورد فيها أحاديث مرفوعة، ولكن فيها ضعف.

والتزام الملتزم ليس فيه طلب لبركة الحجر أو جدار الكعبة في جسم من التزم الكعبة!

وإنما فيه من الذل والالتجاء إلى اللّه تعالى والتضرع؛ فهذا مما يكون واردًا في الشرع، وعليه العمل من الصحابة ﷺ ومن بعدهم.

وقوله: [مع اعتقاد البركة فيها].

البركة المراد بها بركة الإيمان بما أمر اللّه ﷻ به من الطواف بالبيت والحج إليه، وكذلك اتباع الرسول الكريم ﷺ؛ فهذا منسك أهل الإسلام، وهو سبب عظيم من أسباب دخول الجنة؛ فالحج سبب في تكفير الخطايا وكذلك العمرة، عن أبي هريرة: «**أن رسول اللّه ﷺ سئل: أي العمل أفضل؟ فقال: إيمان باللّه ورسوله. قيل: ثم ماذا؟ قال: الجهاد في سبيل اللّه. قيل: ثم ماذا؟ قال: حج مبرور**»(١).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**من حج للّه فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه**»(٢).

وعن أبي هريرة ﷺ: أن رسول اللّه ﷺ قال: «**العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦) ومسلم (١٣٥).

(٢) أخرجه البخاري (١٥٢١).

(٣) أخرجه البخاري (١٧٧٣).

فليست البركة لمجرد الحجر فلذلك لو تساقط الحجر وبدل بحجر آخر؛ فلا يجوز أن نذهب للحجر المتساقط، ونقول هذا مبارك!

وإيراد الكاتب الحديث الصحيح: «**لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات اللّه إلا أعطيتهم إياها**»[(١)]، فهذا الحديث حجة عليه؛ لأن قوله ﷺ: «**يعظمون فيها حرمات اللّه**»، ليس المقصود تعظيم التراب، أو الحصى، أو الأحجار، أو المقامات.

فالكاتب يريد بذلك الاستدلال على التعظيم، وأنه كله يطلق عليه تعظيم.

فالجواب: أن هذا الحديث صريحٌ في المراد بالتعظيم؛ وهو تعظيم حرمات اللّه وهي تمكين الحجاج والمعتمرين من قاصدي هذا البيت من إقامة هذا المنسك العظيم، وحماية البيت من عدوان المعتدين.

قال ابن حجر العسقلاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح هذا الحديث:

«(يعظمون فيها حرمات اللّه)، أي: من ترك القتال في الحرم، ووقع في رواية ابن إسحاق (يسألونني فيها صلة الرحم) وهي من جملة حرمات اللّه، وقيل المراد بالحرمات حرمة الحرم والشهر والإحرام، قلت: وفي الثالث نظر لأنهم لو عظموا الإحرام ما صدوه»[(٢)].

وقول الكاتب في الحاشية نفسها في الصفحة ١٨: **[وما زال**

(١) أخرجه البخاري (٢٧٣١).

(٢) فتح الباري ٥/٣٣٦.

المؤمنون يدعون اللّه تعالى قائلين: اللّهم زد هذا البيت تشريفًا وتعظيمًا. . .].

يقال له: هذا الأثر وارد عن بعض المتقدمين، وهو لا يقتضي أن أهل العلم لا يفهمون الفرق بين العبادة والتعظيم، فالتعظيم كما تقدم؛ في فعل ما أمر اللّه به وشرعه، وما يحبه، وما سنه الرسول ﷺ دون الزيادة والابتداع.

وقول الكاتب: **[ويعظمونه بأثمن الأستار وتحلية بابه وميزابه بالذهب، وتطييبه بأفخر الطيب]**.

هذا كله لا يقتضي أن أهل العلم يخلطون بين العبادة والتعظيم.

قال الكاتب في الصفحة ١٩: **[كيف يستقيم أن يحكم هؤلاء بالكفر والشرك على أهل الشهادتين في أمر هم فيه على عماية وجهل يصل حد عدم معرفة معاني ما به يكفرون عباد اللّه من أهل الإسلام]**.

تقدم أن الكاتب يريد بقوله ذاك: من يصرف العبادات لغير اللّه ﷻ ممن يعبد أصحاب القبور ويهتف بهم ويستغيث بالموتى؛ فيجعل من يفعل تلك العبادات الشركية من أهل الإسلام، وتقدم مناقشة ذلك وبيان الخلل لدى الكاتب.

قال الشيخ محمد بشير السهسواني رحمه الله في رده على أحمد زيني دحلان:

«قوله: ومما أمر اللّه بتعظيمه الكعبة المعظمة والحجر الأسود، ومقام إبراهيم عليه السلام، فإنها أحجار وأمرنا اللّه بتعظيمها بالطواف بالبيت، ومسّ الركن اليماني، وتقبيل الحجر الأسود، وبالصلاة خلف المقام.

أقول: هذه التعظيمات ثابتة بعضها بالكتاب وبعضها بالسنة، بخلاف التعظيم الذي يتضمن الشرك أو الأمر المنهي عنه أو يكون محدثًا وهو الذي يمنعه المانعون، فقياس أحد التعظيمين على الآخر قياس مع الفارق، ولو لم يثبت تعظيم هذه الأحجار لم نفعله أبدًا، دل عليه ما روي عن عابس بن ربيعة قال: «رأيت عمر يقبل الحجر ويقول: إني لأعلم أنك حجر ما تنفع ولا تضر، ولولا أني رأيت رسول اللّه ﷺ يقبلك ما قبلتك»، [متفق عليه]. ومن ثم يكتفى باللمس في الركن اليماني ولا يقبل، إذ الأول ثابت منه ﷺ والآخر لم يثبت، فافترقا.

وأما تعظيم النبي ﷺ الذي هو ثابت فهو عين الإيمان لا يمنعه أحد من المسلمين، وهو المراد في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ⑧﴾ [الفتح]. على قول من قال برجوع الضمير إلى الرسول، وقد جاء في الكتاب العزيز والسنة المطهرة من تفصيل ذلك التوقير الكثير الطيب: فمن ذلك قوله تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣]. ومنه قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ①﴾ [الحجرات]»[1].

➢ تسوية الكاتب بين الألوهية والربوبية:

وقال الكاتب في الصفحة ١٩: [**ولذلك كان مفتاح بيان خلل مذهبهم في التكفير هو بيان تلازم توحيد الألوهية بتوحيد الربوبية، وأنهما لا ينفصلان أبدًا، فلن يؤمن أحدٌ بتوحيد الألوهية إلا وهو موحدٌ في الربوبية، ولن يخل أحدٌ بتوحيد الألوهية إلا وهو قد أخلّ**

(١) صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان ص ٢٢٩.

بتوحيد الربوبية فنقض التوحيد في الألوهية والربوبية معًا، بل الإخلال بالربوبية هو منشأ الشرك في العبادة].

أولًا: تقدم أن الكاتب غَفَل عن النصوص الشرعية، وتقريرات أهل العلم الظاهرة البينة الموضحة للفرقان بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية.

ثانيًا: تقدم أنه أوهم في أول المقدمة أنه يقول: إن هناك توحيد ألوهية، وتوحيد ربوبية، وهنا في هذا الموضع ينقض كلامه؛ فيجعل الألوهية والربوبية شيئًا واحدًا، ولهذا قال في الصفحة ١٩: **[لا ينفصلان أبدًا لن يؤمن أحد بتوحيد الألوهية إلا وهو موحد في الربوبية ولن يخل أحد بتوحيد الألوهية إلا وقد أخل بتوحيد الربوبية].**

فهذا الكلام من الكاتب يوضح لكل مطلع على كلامه أنه يجعل الألوهية والربوبية شيئًا واحدًا، وهو يصرح بذلك؛ فإذا وجدته في موضع آخر يقول هناك ألوهية وهناك ربوبية فهو يعود إلى أنهما شيء واحد.

ثالثًا: قوله في الصفحة ١٩: **[أنهما لا ينفصلان أبدًا، فلن يؤمن أحدٌ بتوحيد الألوهية إلا وهو موحدٌ في الربوبية].**

فالرد عليه من محكم الكتاب والسنة وما أجمع عليه علماء الأمة:

وذلك بإيراد النصوص الكثيرة الدالة على الفرقان بين هذين الأمرين، والنصوص الدالة على أن من أتى بالربوبية لا ينفعه، ولا ينجيه عند اللّه ﷻ إلا إذا وحد اللّه في الألوهية، والإتيان بالنصوص الدالة على أنّ مِنْ أهل النار مَنْ حكى اللّه ﷻ أقوالهم قبل أن

يدخلوا النار وهم في الدنيا وهم يقرون بربوبية اللّه ويعرفونه، والإتيان بالنصوص الدالة على إقرار المشركين بالربوبية، والحكم عليهم بالشرك من وجوه متعددة، هذه أربعة أشياء. وسيأتي بسطها في مواضع من هذا الكتاب[١].

ثم قال الكاتب في الصفحة ١٩: **[ومن أسباب غلطهم الشنيع أيضًا جهلهم بِمَ يكون العمل عبادة، حتى يكون بذلك مَنْ صرفه لغير اللّه مشركًا، فصار من المهم جدًا بيان حد العبادة لكي نصحح لهم تصورهم عنها، لعل اللّه تعالى يكف شر تكفيرهم عن المسلمين]**.

وأقول: إن الكاتب أولى بهذا الغلط، وهو الذي وقع في الغلط في فهم الأدلة الشرعية من كتاب اللّه وسنة رسوله ﷺ، وسيأتي[٢] بيان بطلان كلامه باشتراطاته التي اشترطها في العبادة حتى يستقيم له ما زعمه من تصور.

وقوله: **[فصار من المهم جدًّا بيان حد العبادة]**.

فيقال له:

الحمد للّه أن اللّه ﷻ بيّن في كتابه العبادة التي شرعها لعباده ومعناها وأنواعها، ووضحها الرسول ﷺ بفعله وقوله وإقراره، وقام أهل العلم ببيان ما في الكتاب والسنة من معنى العبادة وأنواعها بما يُغني عن تكلف المتكلفِّين وسيظهر للقارئ أغلاط الكاتب في تفسير العبادة.

---

(١) انظر ص١٩١، ٢٠٠ ـ ٢٠٤، ٢٠٦ ـ ٢٢٠، ٢٢٥ ـ ٢٣٧.
(٢) وانظر ما تقدم ص٥١، ص٧٤، ص٢٩٥، ص٢٩٧، ص٣٤٠، ص٤٠٥، ص٤٢٥، ص٤٤٥، ص٤٨٨.

وقوله: **[لعل اللّه تعالى يكف شر تكفيرهم عن المسلمين]**.

سبق الرد عليه في مسألة الاتهام بالتكفير، وليراجع القارئ الكريم ما قاله الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن رَحِمَهُ اللَّهُ في الرد على معترض مماثل لهذا الكاتب[(١)].

قول الكاتب في الصفحة ١٩: **[ولذلك كان مفتاح بيان خلل مذهبهم في التكفير..]**.

◎ الجواب عنه:

١ ـ لا يوجد خلل في جميع مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة المتمسكين بالكتاب والسنة السائرين على نهج سلف الأمة، وللّه الحمد والمنة؛ بل هم على بينة وبصيرة.

وإنما الخلل في مخالفة الكتاب والسنة والإعراض عنهما كما قال رب العالمين: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء]، وقاله الرسول الكريم ﷺ: «**فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعَضّوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور**»[(٢)]، ومن المحدثات مخالفة الصحابة رضي الله عنهم، ومن المحدثات طريقة الخوارج الذين كفّروا عليًّا رضي الله عنه ومن معه من الصحابة وخرجوا عن الجماعة، ومن المحدثات طريقة الشيعة والقدرية والمرجئة، وقد أخذ أهل البدع من المعتزلة والأشاعرة بنصيب من مذهب الخوارج

---

(١) مصباح الظلام في الرد على من كذب الشيخ الإمام ونسبه إلى تكفير أهل الإيمان والإسلام ص١٠٦ ـ ١٠٧.

(٢) أخرجه أحمد (١٧١٨٤)، وأبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦) وقال: حسن صحيح.

ومذهب القدرية ومذهب المرجئة، فصار عندهم خللٌ كبير في مسائل الاعتقاد والدين ومنها مسائل التكفير فكفَّروا بغير حق[(١)]. وإنّ الخلل في إحالة الناس إلى كتب الشعراني وأمثاله من الخرافيين.

٢ ـ الكاتب مخطئ في كلامه في مسائل التكفير كما يعلم ذلك من له أدنى معرفة، وقد غلط في تقرير مسائل التكفير أغلاطًا متعددة وانحرف في تقريرها عن جادة أهل العلم وعن سواء السبيل، وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك فيما مضى.

٣ ـ قد وجد من يؤمن باللّه ربًّا وخالقًا ورازقًا ثم لا يعبده ولا يلجأ إليه استكبارًا كما فعل إبليس ﴿أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ﴾، وقال: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي﴾، فاعترف بالربوبية وامتنع من الانقياد والطاعة، وهو يسعى في إغواء بني آدم كما غوى.

٤ ـ ومنهم من يعلم أنَّ اللّه خالقه ورازقه ثم ينسى أو يتناسى ويعرض عن اللّه، ويعبد غير اللّه لأسباب كثيرة كالتقليد والتعصب والطغيان واتباع الآباء والقوم والملأ، ومن أكبرها اتباع أئمة الضلالة الذين يزينون عبادة غير اللّه ويأمرون بها، وقد تقدم أمثلة لهؤلاء.

قول الكاتب في الصفحة ١٩: **[ومن أسباب غلطهم الشنيع أيضًا جهلهم بمَ يكون العمل عبادةً حتى يكون بذلك من صرفه لغير اللّه مشركًا، فصار من المهم جدًّا بيان حد العبادة لكي نصحِّح لهم تصورهم عنها لعل اللّه تعالى يكف شر تكفيرهم عن المسلمين]**.

(١) من ذلك تكفير محمود خطاب السبكي لمثبتة العلو في كتابه: (إتحاف الكائنات)، وفي كتاب: (الرد الوافر) لابن ناصر الدين الدمشقي ما يبين جرأة بعض الأشاعرة في تكفيرهم لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ.

لا يليق من الكاتب وصف كبار أهل العلم بالغلط الشنيع وبالجهل، مع أنه خالف كتاب الله تعالى في الحكم على من عبد غير الله، وقد جعل فهمه القاصر هو الحَكَم، وخالف العلماء جميعًا وليس له سلف إلا المعروفين بالخرافات.

وقول الكاتب: **[لكي نصحح لهم تصورهم عنها]**.

المسلمون ولله الحمد في غنية عن الكتابات التي فيها الشبهات والضلالات؛ فقد أغناهم اللّه بما حفظ به الدين وبما كتبه العلماء المأمونون الراسخون في العلم من أئمة التفسير والسنة. وأما ادعاء تصحيح للتصور عن العبادة، فهو إعادة نشر لشبهات عبدة القبور والمجادلين عنهم.

ويقال للكاتب وأمثاله: الحدود والتعريفات هي اجتهاد ممن قالها بحسب فهمه وقدرته على التعبير، ولا تأخذ تلك التعريفات حكمَ الأدلة الشرعية، ولا يُقْضى بها على النصوص أو تبطل معانيها.

قوله: **[يكف شر تكفيرهم عن المسلمين]**، يردّه أن العلماء المأمونين لم يصدر منهم ما يضرّ بالمسلمين؛ بل كان لهم أكبر الأثر في إنقاذ المسلمين وردهم إلى الصراط المستقيم. وعند أدنى مقارنة بين جهودهم، وبين ما تكتبه وتنشره أيها الكاتب، يُعْرف البون الشاسع.

➢ نيل الكاتب من أهل العلم:

قال الكاتب في الصفحة ١٩: **[فقادهم تعجلهم في استظهار معنى من بعض آيات في كتاب اللّه تعالى توهموا منها أنَّ مشركي العرب كانوا موحدين في الربوبية مع شركهم في العبادة]**.

هذا القول نبزٌ لجميع أهل العلم والإيمان، الذين تلقوا ما

قاله اللّه تعالى في كتابه وصدقوا كلامه وآمنوا بوحيه، وسلكوا سبيل من سبقهم من المؤمنين، فيلومهم الكاتب بأنهم أهل تعجل وأهل توهم، والكاتب يرى نفسه بعيدة من هاتين الصفتين.

واشتمل اتهامه هذا جميع الصحابة والتابعين وأتباعهم وأئمة التفسير الذين قرروا ما دلت عليه الآيات الكريمة من إقرار المشركين بالربوبية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد بسطنا الكلام على هذا في مواضع في غير هذا الكتاب وبينا تعلق العبادة بالإلهية فإن الإله هو المعبود وتعلق الاستعانة بربوبيته؛ فإن رب العباد الذي يربيهم وذلك يتضمن أنه الخالق لكل ما فيهم ومنهم... وتوحيد الإلهية يتضمن توحيد الربوبية فإنه من لم يعبد إلا اللّه يندرج في ذلك أنه لم يقر بربوبية غيره بخلاف توحيد الربوبية، فإنه قد أقرَّ به عامة المشركين كما قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف] ذكر البخاري في صحيحه عن عكرمة وغيره: «تسألهم من خلق السمٰوات والأرض فيقولون اللّه وهم مع هذا يعبدون غيره» وقد أخبر عنهم بذلك في قوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥] وفي قوله: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [المؤمنون]، فأخبر عن هؤلاء الذين

نزَّه نفسه عن إشراكهم وأخبر أنهم كاذبون في عدولهم عن الحق الذي جاء به ورد عليهم أنه ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ﴾ [المؤمنون: ٩١] وأنه إذا سألهم: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ﴾ ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ﴾ وإذا سألهم ﴿مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ﴾.

فالأول: إقرارهم بأنَّ الأرض وما فيها للّه.

والثاني: إقرارهم بأن السماوات السبع والعرش العظيم للّه.

والثالث: إقرارهم بأن ملكوت جميع الأشياء بيده وأنه الذي يمنع المخلوق وينصره فيجيره من الضرر والأذى فيجير على من يشاء ولا يُجير عليه أحد، فإذا أراد بأحد ضررًا لم يمنعه مانع، وإذا رفع الضرر عن أحد لم يستطع أحد أن يضره.

وفي كونِ ملكوت كلِّ شيء بيده، بيانٌ أنَّه هو المدبر النافع له، فهو الذي يأتي بالمنفعة وهو الذي يدفع المضرة كما قال في الآية الأخرى ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦۚ﴾ [الزمر: ٣٨]، وكما قال في الآية الأخرى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦۚ﴾ [يونس: ١٠٧].

وإذا كانوا مقرِّين بهذا، فهذا إقرارٌ منهم بعموم ربوبيته وتدبيره لكلِّ شيء، وهو أعظم من إقرار القدرية والصابئة والمتفلسفة الطبيعية ونحوهم ممن يجعل الرب لبعض الكائنات شيئًا غير اللّه، وهو مع هذا قد أخبر أنهم مشركون، ونزَّه نفسه عن شركهم لكونهم عبدوا معه غيره؛ لا لكونهم اعتقدوا أن للعالمين ربًّا معه، وكذلك قوله: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ

﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [النمل: ٥٩ ـ ٦٠]، إلى آخر الآيات يستفهم فيها كلها استفهام إنكار، هل يفعل هذه الأمور أحدٌ من الآلهة التي يعبدون من دون اللّه...

والمقصود: أنَّ هذه الآلهة التي تدعونها من دون اللّه هل هي التي فعلت هذه الأمور أم اللّهُ وحده فعلها؟

فإنَّ القوم كانوا مقرِّين بأنَّ اللّه وحده هو الفاعل لهذه الأمور، وهذا شأن استفهام الإنكار، فإنه يتضمن نفي المستفهم عنه والإنكار على من أثبته، والقوم كانوا معترفين بذلك، لكن كانوا مع ذلك مشركين به الآلهة التي يعلمون أنها لم تفعل ذلك...

ومن عرف هذا عرف الشرك الذي ذمَّه اللّه في كتبه وأرسل رسله جميعًا بالنهي عنه، كما قال تعالى: ﴿وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزخرف]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]»[1].

ومقالة الكاتب سالفة الذكر[2] متضمنة لما يلي:

ادعاء الكاتب أن مشركي العرب ليسوا موحدين في الربوبية.

وقد اختار هذا التعبير وهو **[موحدين]** يظن أنه سيفلج غيره، ـ وهو المهزوم ـ فعبارة (موحدين) أو(مقرين) أو(معترفين) المقصود منها المعنى العام، وهو واضح، وليس المعنى أن المشركين يعرفون من معاني الربوبية كل ما ورد في الكتاب والسنة.

(١) بيان تلبيس الجهمية ٥٣٣/٤ ـ ٥٣٩.

(٢) انظر ص١٥٢.

وها هنا تنبيه مهم لمن غلط في هذه المسألة كالكاتب وغيره، وهو أنه:

ليس المراد بإقرار المشركين بتوحيد الربوبية أنهم جاؤوا به كاملًا لا نقص فيه، كما يدّعي الكاتب وينسب لأهل السنة أنهم يقولون بذلك، وإنما المقصود أنهم أقروا به فاعترفوا بأن الله خالقهم ورازقهم ومدبر شؤونهم ولم يجعلوا معه شريكاً في ذلك، وإلا فإنهم لو أعطوا توحيد الربوبية حقه كما جاء بيانه في الكتاب والسنة لأوجب لهم تعظيم الله وحده دون ما سواه ولما وقعوا في الشرك في الألوهية.

قال الشيخ سليمان بن عبد اللّه: «وإلى هذه الأنواع الثلاثة ينقسم توحيد الأنبياء، والمرسلين الذين جاؤوا به من عند اللّه، وهي متلازمة، كل نوع منها لا ينفك عن الآخر، فمن أتى بنوع منها ولم يأت بالآخر، فما ذاك إلا أنه لم يأت به على وجه الكمال المطلوب»[(١)].

فمن قال: «إن الله ربي» فقد أقرّ بربوبية الله، ثم يُنْظر في حاله؛ فقد يعبد الله وحده لا شريك له فيدخل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟﴾...» [فصلت: ٤٠] وقد يقول بعض الناس: «إن الله ربي» ولا يعبده، أو يعبده ويعبد مع غيره كما يفعل المشركون. وأيضاً فإن المشركين لو آمنوا بربوبية الله ولم يأتوا بعبادته وحده لم ينفعهم ذلك.

قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف: ١٠٦]، وقال: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَـٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا﴾ [غافر: ٨٥]

---

(١) تيسير العزيز الحميد ١٧.

فإخلالهم بتوحيد العبادة أبطل إيمانهم بالربوبية قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله: «... وهذه الآيات القرآنية تدل على أن توحيد الربوبية لا يُنْقذ من الكفر إلا إذا كان معه توحيد العبادة...»[1].

وصريح كلام الكاتب أن الشرك في العبادة لا يكون شركًا مخرجًا من الملة إلا إذا اعتقد في المعبود الربوبية وصرّح بذلك بلسانه!! وهذا الذي يكرره كثير من المدافعين عن المشركين الذين يصرفون الدعاء والذبح والنذر والسجود للمقبورين أو الملائكة أو الجن أو غيرهم؛ وهذا مخالف للنصوص الشرعية الدالة على أن العبادة حق خالص للّه تعالى من صرفها لغيره فقد أشرك وإن لم يعتقد فيه الربوبية أو بعض صفاتها، فلم يكن المشركون في زمن النبي ﷺ يعتقدون في معبوداتهم أنها تخلق وترزق وتحيي وتميت وتدبر الأمر وتنزل المطر كما بين اللّه ذلك في كتابه. وأما المتأخرون من غلاة المتصوفة الذين يجعلون الأولياء يشاركون الله في التدبير والتصرف في الكون فإن شركهم أقبح من شرك الأولين من العرب؛ فإن مشركي العرب لم يشركوا في الربوبية، وإنما أشركوا في العبادة، وكان شركهم في حال الرخاء، وأما في حال الشدة فيخلصون لله الدعاء.

قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن آل الشيخ:

«والشرك: جعل شريك للّه تعالى فيما يستحقه ويختص به من العبادة الباطنة والظاهرة، كالحب، والخضوع، والتعظيم، والخوف، والرجاء، والإنابة، والتوكل، والنسك، والطاعة، ونحو ذلك من العبادات. فمتى أشرك مع اللّه غيره في شيء من ذلك فهو مشرك

(١) أضواء البيان (٢/٢١٨ ـ ٢٢٠) وانظر مجموع الفتاوى (٣/٩٨، ١٠٢).

بربه، قد عدل به سواه، وجعل له ندًّا من خلقه. ولا يشترط في ذلك أن يعتقد له شَرِكَةً في الربوبية، أو استقلالًا منها.

والعجب كل العجب أن مثل هؤلاء يقرؤون كتاب اللّه، ويتعبدون بتلاوته، وربما عرفوا شيئًا من قواعد العربية، وهم في هذا الباب من أضلِّ خلق اللّه، وأبعدهم عن فهم وحيه وتنزيله. ومن الأسباب المانعة عن فهم كتاب اللّه أنهم ظنّوا أنَّ ما حكى اللّه عن المشركين، وما حكم عليهم به، ووصفهم به، خاص بقوم مضَوا، وأناس سلفوا وانقرضوا، لم يعقبوا وارثًا.

وربما سمع بعضهم قول من يقول من المفسرين: هذه نزلت في عباد الأصنام، هذه نزلت في النصارى، هذه في الصابئة، فيظن الغُمر أن ذلك مختص بهم، وأن الحكم لا يتعداهم، وهذا من أكبر الأسباب التي تحول بين العبد وبين فهم القرآن والسنة»[(١)].

◄ معرفة الذين يتفق معهم الكاتب:

من الفرقان بين الحق والباطل وبين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان معرفة أنَّ الذين وافقهم الكاتب؛ هم من أمثال ابن البكري، وعبد الوهاب الشعراني، وابن فيروز، وابن سند، وداوود بن جرجيس، وأحمد زيني دحلان، والحداد، والقضاعي، والدجوي، والغماري، ومحمد علوي مالكي، وحسن السقاف، وأشباه هؤلاء، بل ويلتقون مع الرافضة عباد القبور وعباد الأئمة بالتقرير نفسه والاعتقاد نفسه.

كما يقول الخميني: «وبعد أن تبين أن الشرك هو طلب الشيء

---

(١) تحفة الطالب والجليس في كشف شبه داود بن جرجيس ٦٥.

من غير رب العالمين على أساس كونه إلهًا فإنَّ ما دون ذلك ليس بالشرك، ولا فرق في ذلك بين حيٍّ وميتٍ فطلب الحاجة من الحجر أو الصخر ليس شركًا...»[١].

وفيما يلي أمثلة من أقوال هؤلاء الخرافيين الداعين إلى الشرك يُعْلم منها التوافقُ بين الكاتب وبين أصحابها.

يقول علوي الحداد: «من أقرَّ له بالربوبية فقد أقرَّ له بالألوهية، إذ ليس الرب غير الإله بل هو الإله بعينه[٢]. ومن العجب العجاب قول المدعي الكذاب لمن يشهد أن لا إلٰه إلا اللّه وأن محمدًا رسول اللّه من أهل القبلة أنت لم تعرف التوحيد نوعان: توحيد الربوبية الذي أقرت به المشركون والكفار، وتوحيد الألوهية الذي أقرت به الحنفاء وهو الذي يدخلك في دين الإسلام، وأما توحيد الربوبية فلا. فيا عجبًا هل للكافر توحيد صحيح[٣]، فإنه لو كان توحيده صحيحًا لأخرجه من النار، إذ لا يبقى فيها موحد كما صرحت به الأحاديث»[٤].

وممن وافقهم الكاتب داود بن جرجيس العراقي ومن كلامه: «فاعلم أن الكفار كانوا مشركين باللّه تعالى أصنامهم في الربوبية[٥] والعبادة.. فمن قال إن الكفار كانوا يوحدون اللّه توحيد الربوبية أخذًا من ظاهر بعض الآيات، فقد أخطأ، وما أصاب، ولا تدبر السنة ولا

(١) كشف الأسرار ٤٩، نقلًا عن كتاب القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد للشيخ عبدالرزاق البدر ص٧١.
(٢) انظر ما سيأتي ص١٨٠ وص٢١٩ وما بعدها.
(٣) ومن قال إن الإقرار بالربوبية فقط توحيد صحيح؟!!.
(٤) مصباح الأنام ١٧.
(٥) أما كونهم مشركين في العبادة فنعم، وأما كونهم مشركين أصنامهم في الربوبية فهذا ما أبطله القرآن ونفاه فيما حكاه عنهم.

الكتاب، فإن الربوبية والألوهية متلازمان الرب والإله معناهما واحد، لأن الذي يستحق أن يعبد لا بُدَّ أن يكون ربًّا»[(١)].

ومنهم أيضًا: المرجع الشيعي محسن الأمين العاملي حيث يقول: «وقسموا التوحيد إلى توحيد الربوبية، وهو الاعتقاد بأن الخالق الرازق المدبر للأمر هو اللّه، وتوحيد العبادة وهو صرف العبادة كلها إلى اللّه، قالوا: ولا ينفع الأول بدون الثاني؛ لأن مشركي قريش كانوا يعتقدون بالأول فلم ينفعهم لعدم إقرارهم بالثاني، كذلك المسلمون لا ينفعهم الإقرار بتوحيد الربوبية، لعبادتهم الأنبياء والصالحين وقبورهم بنفس الأشياء التي كان المشركون يعبدون أصنامهم بها»[(٢)].

ومنهم أيضًا: حسن خزبك الشرقاوي المصري الصوفي الذي ألف كتابًا بعنوان: (المقالات الوفية في الرد على الوهابية) ويقول فيه: «وعقيدتهم الجديدة وهي الفرق بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية، فقالوا إن الكفار وحدوا توحيد الربوبية، ولم يوحدوا توحيد الألوهية؛ لأنهم مع اعترافهم بأن اللّه هو الخالق الرازق عبدوا الأصنام...»[(٣)].

كذلك قرّر يوسف الدجوي أن مناط الحكم بالشرك على المتوسلين والمستغيثين بغير اللّه هو اعتقاد التأثير الاستقلالي في المتوسَّلِ به أو المستغاث به من دون اللّه[(٤)].

---

(١) صلح الإخوان ١٢٤، ومثله أحمد زيني دحلان في كتابه: الدرر السنية ص ٤٠ ـ ٤١، والقضاعي في البراهين الساطعة ص ٣٧٨.

(٢) كشف الارتياب ١٤٠.

(٣) المقالات الوفية في الرد على الوهابية ص١٤٧.

(٤) انظر: مجلة الأزهر العدد الثالث المجلد الثاني، ربيع الأول سنة ١٣٥٠هـ بعنوان التوسل والاستغاثة.

ومنهم حسن السقاف فقد قال: «والهدف من هذا التقسيم عند من قال به هو تشبيه المؤمنين الذين لا يسيرون على منهج المتمسلفين[(١)] بالكفار، بل تكفيرهم بدعوى أنَّهم وحدوا توحيد ربوبية كسائر الكفار، ولم يوحّدوا توحيد ألوهية، وهو توحيد العبادة بزعمهم، وبذلك كفَّروا المتوسلين بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام أو بالأولياء وكفَّروا أيضًا كثيرًا ممن يخالفهم في أمور كثيرة يرون الصواب أو الحق على خلافها، وكل ذلك سببه ذلك الحراني»[(٢)].

ويقول الطباطبائي: «ثم إنه سبحانه حكم بشركهم لاتخاذهم تلك الأصنام شريكًا للّه في خلق وتدبير العالم، وجوزوا عبادتها خلافًا للّه تعالى فيما نهاهم عنه على لسان أنبيائه بقوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾ وأين هذا ممن لا يعتقد في الأنبياء، والصلحاء الخلق والتدبير ولا يعتقد عبادتهم»[(٣)].

وردّ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ على أحمد الغماري؛ لما اعتمد على: «أصل باطل وهو أن الإيمان بأن اللّه هو المنفرد بالخلق والإيجاد كاف في تحقيق الإيمان المنجي عند اللّه تبارك وتعالى وليس كذلك فإن هذا التوحيد وهو المعروف عند العلماء بتوحيد الربوبية كان يؤمن

---

(١) وانظر: إلى سبّه منهج السلف الصالح بقوله: (منهج المتمسلفين) وأن منهج السلف بزعمه يتضمن تكفير المؤمنين، والكاتب قريب منه حيث صرح ببراءته من السلفية التي تفرق بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية وزعم أنهم يكفرون المسلمين.

(٢) من كتابه: التنديد بمن عدَّد التوحيد ٦، والذي رد عليه الشيخ عبدالرزاق البدر بكتاب: القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد ٨٤، ومراده بالحرّاني شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، وقد زعم السقاف في كتابه هذا أن تقسيم التوحيد ثلاثة أقسام فيه مضاهاة لقول النصارى بالتثليث، وانظر: رد الشيخ عبدالرزاق البدر عليه وكشفه لتلبيساته.

(٣) البراهين الجلية للطباطبائي ٣٢.

به المشركون الذين بُعث إليهم رسول اللّه ﷺ... ومع ذلك فلم ينفعهم هذا التوحيد شيئًا لأنهم كفروا بتوحيد الألوهية والعبادة وأنكروه على النبي ﷺ أشد الإنكار بقولهم فيما حكاه اللّه عنهم: ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ [ص]، ومن مقتضيات هذا التوحيد الذي أنكروه ترك الاستغاثة بغير اللّه وترك الدعاء والذبح لغير اللّه وغير ذلك مما هو خاص باللّه تعالى من العبادات فمن جعل شيئًا من ذلك لغير اللّه تبارك وتعالى فقد أشرك به، وجعل له ندًّا، وإن شهد له بتوحيد الربوبية فالإيمان المنجي إنما هو الجمع بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وإفراد اللّه بذلك»[(١)].

ويقول أحدهم ـ وهو محمد بن عبد المجيد ـ في تعريف العبادة: «فالعبادة شرعًا غاية التذلل والخضوع لمن يعتقد له الخاضع بعض صفات الربوبية.. فغاية الخضوع لا تكون عبادة بمجردها بل حتى تكون على وجه خاص، وهو اعتقاد الخاضع ثبوت صفة من صفات الربوبية للمخضوع له»[(٢)].

ويقول العاملي: «العبادة بمعناها اللغوي الذي هو مطلق الذل والخضوع والانقياد ليست شركًا ولا كفرًا قطعًا، وإلا لزم كفر الناس جميعًا.. لأن العبادة بمعنى الطاعة والخضوع لا يخلو منها أحد فيلزم كفر المملوك والزوجة والولد والخادم والأجير والرعية والجنود بل كفر الأنبياء..»[(٣)].

فكل هؤلاء اتفق معهم الكاتب، فقد زعموا أنَّ المراد بالعبادة:

---

(١) تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد ص٨٤ ـ ٨٥، وكتاب الغماري اسمه: إحياء المقبور!! من أدلة استحباب بناء المساجد والقباب على القبور.

(٢) الرد على بعض المبتدعة ١٠.

(٣) كشف الارتياب ص١٠٦ ـ ١٠٧.

الخضوع للرب، والاعتراف بأفعال الرب مثل الرزق والإحياء والإماتة والنفع والضر، والمقصود الإشارة إلى موافقة الكاتب لمن سبقه، وهو يُعيده ويدّعي الفهم، ويفسر كلام اللّه وكلام رسوله ﷺ بمثل هذا الباطل، وسيأتي نقضه بحول اللّه تعالى.

وقد تقدم ذكر محكمات النصوص القاطعة الدالة على أن توحيد الربوبية لا يكفي وحده، وأن المشركين معترفون بالربوبية، وأنهم عند الشدة يلجؤون إلى اللّه وحده ولم يدخلهم ذلك في الإسلام.

يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«فإذا تحققت أنهم مُقِرُّون بهذا وأنه لم يدخلهم في التوحيد الذي دعاهم إليه رسول اللّه ﷺ، وعرفت أنَّ التوحيد الذي جحدوه؛ هو توحيد العبادة ـ الذي يسميه المشركون في زماننا «الاعتقاد» ـ، كما كانوا يدعون اللّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ليلًا ونهارًا، ثم منهم من يدعو الملائكة لأجل صلاحهم وقربهم من اللّه ليشفعوا له، أو يدعو رجلًا صالحًا ـ مثل اللات ـ، أو نبيًّا ـ مثل عيسى ـ.

وعرفت أن رسول اللّه ﷺ قاتلهم على هذا الشرك، ودعاهم إلى إخلاص العبادة للّه؛ كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ١٨﴾ [الجن]، وقال: ﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۚ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ﴾ [الرعد: ١٤]، وتحققت أنَّ رسول اللّه ﷺ قاتلهم؛ ليكون الدعاء كله للّه، والذبح كله للّه، والنذر كله للّه، والاستغاثة كلها باللّه، وجميع أنواع العبادة كلها للّه.

وعرفت أن إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الإسلام، وأن قصدهم الملائكة والأنبياء والأولياء ـ يريدون شفاعتهم والتقرب إلى اللّه بذلك ـ هو الذي أحل دماءهم وأموالهم عرفت حينئذ التوحيد

الذي دعت إليه الرسل، وأبى عن الإقرار به المشركون وهذا التوحيد هو معنى قولك: «**لا إله إلا اللّه**»»[(١)].

وقال ابن حبان البستي: «الحمد للّه المتفرد بوحدانية الألوهية، المتعزز بعظمة الربوبية، القائم على نفوس العالم بآجالها، والعالم بتقلبها وأحوالها، المانِّ عليهم بتواتر آلائه، المتفضل عليهم بسوابغ نعمائه، الذي أنشأ الخلق حين أراد بلا معين ولا مشير، وخلق البشر كما أراد بلا شبيه ولا نظير، فمضت فيهم بقدرته مشيئته، ونفذت فيهم بعزَّته إرادته»[(٢)].

وقال ابن بطة العكبري: «إنَّ أصل الإيمان باللّه الذي يجب على الخلق اعتقاده في إثبات الإيمان به ثلاثة أشياء:

أحدها: أن يعتقد العبد ربانيته؛ ليكون بذلك مباينًا لمذهب أهل التعطيل الذين لا يثبتون صانعًا.

والثاني: أن يعتقد وحدانيته؛ ليكون مباينًا بذلك مذاهب أهل الشرك الذين أقروا بالصانع وأشركوا معه في العبادة غيره.

والثالث: أن يعتقده موصوفًا بالصفات التي لا يجوز إلا أن يكون موصوفًا بها؛ من العلم والقدرة والحكمة وسائر ما وصف به نفسه في كتابه»[(٣)].

وقال الشيخ بكر أبو زيد رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذا التقسيم الاستقرائي لدى متقدمي علماء السلف: أشار إليه ابن منده وابن جرير الطبري وغيرهما، وقرَّره شيخا الإسلام ابن تيمية وابن القيم، وقرره الزبيدي

---

(١) كشف الشبهات ٦٢.

(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص١٤).

(٣) الإبانة الكبرى (١٧٣/٦).

في تاج العروس، وشيخنا الشنقيطي في أضواء البيان في آخره ـ رحم اللّه الجميع ـ، وهو استقراء تام لنصوص الشرع»[١].

➢ وصف الكاتب لأهل العلم بالجهل بمعنى العبادة:

قال الكاتب في ص ١٩: **[العبادة التي ما عرفوا كيف يحدونها بما يميزها عما ليس بعبادة].**

سيأتي أن هذا الكاتب ليس معه حجة في هذا، بل هو المتقوِّل على أهل العلم بغير حق ولا هدى؛ فإن العبادة التي هي عمل المكلف بلسانه وقلبه وجوارحه جعلها هذا الكاتب أمرًا اعتقاديًّا خفيًّا وهو اعتقاد الربوبية في المعبود، وما ليس كذلك فليس بعبادة! فخالف المنقول والمعقول.

قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن آل الشيخ: «قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن]، وهل يحيل هذا الدعاء عن حقيقته، ويسوغه لغير اللّه تسمية الجاهلين له نداءً لا دعاءً، وهل العبادة إلاّ هذا الدعاء ونحوه؟»[٢].

قال الكاتب في ص ١٩: **[فكفروا أهل الشهادتين بسبب ذلك].**

تكرر منه هذا الاتهام، وهو الذي حكم بإسلام من يعبد غير اللّه، وخالف علماء الإسلام قاطبة.

➢ اعتراض الكاتب على تفسير الآيات التي تبين إقرار المشركين بأن اللّه خلقهم ورزقهم:

قال الكاتب في ص ١٩: **[الآيات التي تثبت للمشركين إقرارًا**

---

(١) التحذير من مختصرات الصابوني في التفسير ص٢٩ ـ ٣٠.
(٢) مصباح الظلام ٢/٣٢٩.

مجملًا بالربوبية للّه تعالى]، وأورد الكاتب في ص٢٠ بعض الآيات من سورة العنكبوت وسورة المؤمنون وسورة لقمان وسورة يونس وذكر أنَّ أهل السنة والجماعة يستدلون بها وبنحوها من الآيات على **[أن مشركي العرب كانوا موحدين في الربوبية]** فأنكر على أهل السنة استدلالهم بهذه الآيات.

والرد عليه بالآتي:

١ ـ الكاتب موافق لمن سبقه كما تقدم، ومنهم حسن السقاف الذي اتهم أهل السنة والجماعة بأنهم يطلقون اسم الموحد توحيدًا كاملًا أو توحيدًا صحيحًا على المقر بالربوبية فيقول: «لا يعرف في الشرع إطلاق اسم موحد على من كفر ولو بجزء من العقيدة الإسلامية وذلك بنص الكتاب والسنة، . . . فلا يحل لنا أن نطلق على من كان يقر بوجود اللّه ويدرك أنه هو الإله المستحق للعبادة دون أن يذعن ويدخل في هذا الدين بأنه موحد. . . فكيف يقال إنهم موحدون توحيد ربوبية واللّه تعالى وصفهم بالكفر صراحة؟»[(١)].

٢ ـ والرد عليهم بأن المراد الإقرار بالربوبية إجمالًا والاعتراف بالخالق وأنه هو اللّه، وهذا لم ينفعهم ولم يدخلهم في الإسلام.

وقول الكاتب: **[كانوا موحدين في الربوبية]**، هذه الجملة فيها تفصيل يجب التنبه له، فلم يقل أحدٌ من أهل العلم إنَّ المشركين من كفار العرب كانوا موحدين في الربوبية بالإطلاق ويسكت! بل يبينون المراد، ويوضحون الحقيقة التي وضحها القرآن؛ وهي أن التوحيد يشمل توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، وأن أولئك المشركين أقروا بالربوبية وأشركوا في العبادة؛ فهؤلاء

(١) التنديد بمن عدَّد التوحيد ٦.

يوصفون بأنهم وحدوا اللّه في الربوبية أو أقروا بالربوبية أو نحو ذلك؛ أي: أنهم لم يجعلوا معه شريكًا في الخلق والرزق والتدبير، ومن اعتقد هذا لا يكون موحدًا للّه تعالى ولا ينفعه عند اللّه إقراره بالربوبية ولا ينجيه ذلك من النار إن لم يخلص عباداته كلها للّه تعالى.

قال شيخ الإسلام: «فأمَّا توحيد الربوبية الذي أقرَّ به الخلق وقرَّره أهل الكلام فلا يكفي وحده، بل هو من الحجة عليهم»[(١)].

وقال: «وهذا التوحيد ـ توحيد الربوبية العامَّة ـ كان المشركون يُقِرُّون به، فهو وحده لا ينجي من النار ولا يُدْخِل الجنَّة، بل التوحيد المنجي شهادةُ أنْ لا إلٰه إلا اللّه وأنَّ محمَّدًا رسول اللّه بحيث يُقِرُّ بأنَّ اللّه سبحانه هو المستحقُّ للعبادة دون ما سواه، وأنَّ محمَّدًا رسوله، فمن يطع الرسول فقد أطاع اللّه، ومن عصى الرسول فقد عصى اللّه»[(٢)].

وقال أيضًا: «ومعلومٌ أنَّ هذا هو تحقيق ما أقرَّ به المشركون من التوحيد ولا يصير الرجل بمجرَّد هذا التوحيد مسلمًا فضلًا عن أن يكون وليًّا للّه أو من سادات الأولياء»[(٣)].

وقال ابن القيم: «وأمَّا توحيد الربوبية الذي أقرَّ به المسلم والكافر وقرره أهل الكلام في كتبهم فلا يكفي وحده، بل هو الحجة عليهم كما بين ذلك سبحانه في كتابه في عدة مواضع...»[(٤)].

وقال الصنعاني في مقدمة كتابه تطهير الاعتقاد: «الحمد للّه

(١) مجموع الفتاوى ٢٣/١.
(٢) تلخيص كتاب الاستغاثة (الردِّ على البكري) ٣٥٨/١.
(٣) مجموع الفتاوى ١٠٢/٣.
(٤) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ٤٧/١.

الذي لا يقبل توحيد ربوبيته من العباد حتى يفردوه بتوحيد العبادة كل الإفراد، فلا يتخذون له ندًّا ولا يدعون معه أحدًا ولا يتوكلون إلا عليه...»(١).

وقال العلامة الشنقيطي: «ولذلك يخاطبهم في توحيد الربوبية باستفهام التقرير، فإذا أقرُّوا بربوبيته احتجَّ بها عليهم على أنه هو المستحقُّ لأن يُعْبَد وحده، ووبَّخهم منكِرًا عليهم شِرْكَهم به غيرَه، مع اعترافهم بأنه هو الربُّ وحده؛ لأن من اعترف بأنه هو الربُّ وحده لزمه الاعتراف بأنه هو المستحقُّ لأن يُعْبَد وحده.

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [يونس: ٣١] إلى قوله: ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ [يونس: ٣١]، فلما أقرُّوا بربوبيته وبَّخهم منكِرًا عليهم شِرْكَهم به غيره، بقوله: ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١].

ومنها قوله تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ [المؤمنون: ٨٤، ٨٥]، فلمَّا اعترفوا وبَّخهم منكِرًا عليهم شِرْكَهم بقوله: ﴿قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٥]، ثمَّ قال: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ [المؤمنون: ٨٦ ـ ٨٧]، فلما أقرُّوا وبَّخهم منكرًا عليهم شِرْكَهم بقوله: ﴿قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٧]، ثمَّ قال: ﴿قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ [المؤمنون: ٨٨، ٨٩]، فلمَّا أقرُّوا وبَّخهم منكرًا عليهم شِرْكَهم بقوله: ﴿قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٩].. والآيات بنحو هذا كثيرةٌ جدًّا، ولأجل ذلك ذكرْنا في غير هذا الموضع أنَّ كل الأسئلة المتعلِّقة

---

(١) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد ٤٧.

بتوحيد الربوبية استفهاماتُ تقريرٍ، يراد منها أنهم إذا أقرُّوا رُتِّب لهم التوبيخ والإنكار على ذلك الإقرار؛ لأنَّ المُقِرَّ بالربوبية يلزمه الإقرار بالألوهية ضرورةً نحو قوله تعالى: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾ [إبراهيم: ١٠]، وقوله: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبًّا﴾ [الأنعام: ١٦٤]»[(١)].

وهذا معنى الآيات الواردة في هذا الباب، قال ابن عباس في قول اللّه تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: «أي لا تشركوا باللّه غيره من الأنداد التي لا تنفع ولا تضر وأنتم تعلمون أنَّه لا رب لكم يرزقكم غيره، وقد علمتم أنَّ الذي يدعوكم إليه الرسول ﷺ من توحيده هو الحق الذي لا شك فيه»[(٢)].

وقال قتادة: «أي تعلمون أنَّ اللّه خلقكم وخلق السمٰوات والأرض ثم تجعلون له أنداداً»[(٣)].

وقال ابن جرير: «... ولكن اللّه جل ثناؤه قد أخبر في كتابه عنها (أي العرب) أنَّها كانت تقر بالوحدانية غير أنَّها كانت تشرك في عبادته ما كانت تشرك فيها فقال جلَّ ثناؤه: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾، وقال: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾»[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف].

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٣/٤٩٠.
(٢) جامع البيان ١/٣٩٣.
(٣) المصدر السابق.
(٤) جامع البيان ١/٣٩٤.

قال ابن جرير في تفسير هذه الآية: «يقول تعالى ذكره: وما يقر أكثر هؤلاء الذين وصف ﷻ صفتهم بقوله: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ باللّه أنَّه خالقهم ورازقهم وخالق كل شيء إلا وهم به مشركون في عبادتهم الأوثان والأصنام واتخاذهم من دونه أربابًا وزعمهم أنَّ له ولدًا تعالى اللّه عما يقولون وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل....

عن ابن عباس أنَّه قال: من إيمانهم إذا قيل لهم من خلق السماء، ومن خلق الأرض ومن خلق الجبال؟ قالوا: اللّه وهم مشركون.

وعن عكرمة أنَّه قال: تسألهم من خلقهم ومن خلق السمٰوات والأرض فيقولون اللّه فذلك إيمانهم باللّه، وهم يعبدون غيره.

وعن مجاهد قال: إيمانهم قولهم: اللّه خالقنا ويرزقنا ويميتنا فهذا إيمان مع شرك عبادتهم غيره»[(١)].

وعن عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم قال: «ليس أحد يعبد مع اللّه غيره إلا وهو مؤمن باللّه ويعرف أنَّ اللّه ربه، وأنَّ اللّه خالقه ورازقه وهو يشرك به، ألا ترى كيف قال إبراهيم: ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الشعراء]، قد عرف أنهم يعبدون رب العالمين مع ما يعبدون، قال: فليس أحد يشرك به إلا وهو مؤمن به، ألا ترى كيف كانت العرب تلبي، تقول: لبيك اللّهم لبيك، لا شريك لك، إلا شريك هو لك، تملكه وما ملك؟ المشركون كانوا يقولون هذا»[(٢)].

(١) المصدر السابق ٣٧٢/١٣.
(٢) تفسير الطبري جامع البيان ٣٧٦/١٣.

قال الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولفظ الشريك يشعر بالإقرار باللّه تعالى»[(١)].

ويقال للكاتب: ما المانع أن يكون بعض المشركين لديهم أمور صحيحة مثل إقرار بعضهم بالبعث أو إقرارهم بنبوة موسى وعيسى عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام!

فهكذا يقال في إقرارهم بأن اللّه خلقهم: هو إقرار بالربوبية ولكن لا يكفي ولا ينفع وحده.

وفي حديث عمرو بن الشريد عن أبيه قال: «**ردفت النبي ﷺ يومًا، فقال: هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيئًا، قلت: نعم قال: هيه، فأنشدته بيتًا فقال: هيه ثم أنشدته بيتًا فقال: هيه حتى أنشدته مئة بيت**»، وفي رواية: «**إن كاد ليسلم**» وفي رواية: «**فلقد كاد يسلم في شعره**»[(٢)].

قال النووي: «واستزاد من إنشاده لما فيه من الإقرار بالوحدانية والبعث»[(٣)].

➢ دعوى الكاتب أن توحيد الربوبية والألوهية شيء واحد ووضعه الشبهات لذلك والرد عليه

زعم الكاتب في الصفحة ٢٠ ـ ٢١ أن أهل السنة والجماعة [**في تمسكهم بما فهموه من هذه الآيات دون فهم معنى العبادة ودون التنبه لسياقها نفسه ودون عرض هذه الآيات على بقية كتاب اللّه، وقد ساروا سيرة لن تؤدي إلا إلى الانحراف وإلى أن تتناقض آيات**

---

(١) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد ص ٥٠.

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٥٥).

(٣) شرح صحيح مسلم ١١/١٥.

كتاب اللّه عندهم وأن تُردَّ الآيات على الآيات بهذا الانحراف في فهمها، لأن الفهم الباطل لآية في تقرير التوحيد والشرك سوف تردّه آية أخرى في كتاب اللّه تقرِّر الحق وتنصره وتبين حقيقة التوحيد والشرك].

ثم قال: [لو عقل المخالفون وجه إقامة اللّه تعالى حُجَّته على المشركين بهذه الآيات لما فهموا منها فهمهم الشَّاذَّ المتهافت ذاك، حيث إنَّ معنى ذلك الاحتجاج عليهم الذي احتج اللّه تعالى به على المشركين: أنَّ اللّه تعالى يلزمهم بما يلتزمون به، وهو أنهم يلتزمون بأن الإله المستحق للعبودية عندهم هو من كانت فيه صفات الربوبية أو بعضها، وما دام عند المشركين قدر من الإقرار بتلك الربوبية للّه تعالى، وفي مقابل هذا الإقرار المجمل بالربوبية للّه لا يستطيعون إثبات شيء من خصائص الربوبية لمن سواه من معبوداتهم بل هم في إثباتهم بعض خصائص الربوبية لتلك المعبودات إنما يتخرصون ويستندون إلى الظنون وإلى التقليد للآباء فلا يستطيعون أن يبرهنوا صحة ما ينسبونه لآلهتهم من صفات استحقاق العبودية [الألوهية]. ولذلك صار يلزمهم أن لا يتخذوا آلهة من دون اللّه تعالى؛ لأنه لا دليل عندهم على أن تلك الآلهة المزعومة مستحقة للعبادة بخصائص الربوبية...].

هذا التقرير الذي أراد الكاتب إيصاله للقراء[1] هو فهم فاسد وتحريف لكلام اللّه تعالى، والمقصود بهذا الكلام المطول المعقد هو أن يجعل توحيد الربوبية هو بعينه توحيد الألوهية ولا فرق بينهما، وقد سبقه إلى ذلك دعاة إلى الشرك ورد عليهم أئمة السنة وكشفوا أمرهم للمسلمين.

---

(١) سيأتي فيما يلي مزيد بيان لمراد الكاتب، وبيان أغلاطه.

فهو يزعم أن الخطاب في القرآن للكفار الذين يقولون إن الإله هو الرب والرب هو الإله؛ وعندهم من لم يكن ربًّا فليس بإله، فالمشركون ـ عند الكاتب ـ يُثبتون قدرًا من الربوبية للّه ويثبتون لمعبوداتهم من الأصنام وغيرها الربوبية أيضًا لكن لا دليل عندهم على ذلك، وحينئذ يُلْزِمهم الله بما التزموا به!! فيزعم أن المشركين التزموا: [**بأن الإله المستحق للعبودية عندهم هو من كانت فيه صفات الربوبية أو بعضها**]. ولا شك أن هذا قولٌ بغير علمٍ من الكاتب ليتوصل به إلى مقصوده الباطل، فأين في كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ أن المشركين التزموا بأنه لا يكون إلهًا إلا من هو خالق رازق مدبر؟!.

فصارت الحجة على المشركين منحصرة في هذا الطريق الذي وضعه الكاتب، وتلخيصه بالآتي:

[أنت أيها المشرك تلتزم بأن الرب هو المعبود وتعتقد أن الله موصوف بالربوبية أين برهانك على أن معبوداتك الأخرى ربٌّ. والجواب لا دليل عنده].

والرد عليه: هذا الإلزام على هذا التركيب ضعيف من جهة البناء، ولا يؤدي المقصود على تقدير صحة ما زعمه، فالمشركون أنواع، وضلالاتهم لا تنتهي وقد يدّعي المشرك أنه لا يلزمه!

ثم يقال للكاتب: ليست الحجة منحصرة في التزام المشرك باعتقاد بل الحجة أقوى من ذلك بأوجهٍ عديدة كثيرة. وهذا الكلام الذي قاله هو تحريف لكلام اللّه؛ لأن اللّه تعالى حكى عنهم في جوابهم عند سؤالهم من خلقهم؟ فكان جوابهم هو: (اللّه) بلفظ الجلالة العلم الدَّال على اللّه وحده، ولا يعرف أبدًا أنَّ المشركين كان يطلقون لفظ (اللّه) على آلهتهم.

ولكنَّ الكاتب جعل جوابهم المحصور في (اللّه) مساويًا للفظ (الإله) ليَتِمَّ له تقريره الزائف.

ومن الرد عليه أيضًا: أنه لو كان المشركون في صرفهم العبادة لآلهتهم والتزامهم الذي أضافه الكاتب إليهم: «الإله المستحق للعبودية من كانت فيه صفات الربوبية»؛ لصحَّ أن يقال: إنهم يثبتون لآلهتهم قدْرًا من الربوبية؛ لأن (الإله) هو المعبود مطلقًا، فيكون معنى جوابهم: إن الذي بيده الخلق والرزق هو المعبود، ولا شكَّ أن معبوداتهم مع اللّه كثيرة، فإذن المعبود عندهم هو من عنده هذه القدرات، لكنّ هذا كله باطل وتحريف يكذبه جوابهم الصريح (اللّه) أي أن المنفرد بهذه القدرات هو اللّه وحده فقط وبهذا تمت إقامة الحجة عليهم.

ولأن الإلزام الحق اللازم للمشركين ليس هو بموجب عقائدهم المتباينة المختلفة كما ادعى الكاتب في قوله: (يُلزمهم بما يَلتزمون به..)!!

وإنما يتم الإلزام للمشركين بما أقروا به واعترفوا من أنَّ اللّه هو خالقهم، وكذلك بما قام في فطرهم الأصلية وسلمت له عقولهم، وبما بلغهم عن الأمم التي قبلهم، وبما عرفوه في حال ضرورتهم أن اللّه وحده هو الذي ينجي ويهدي وينفع ويضر، وهم يقرُّون بهذا للّه، لكنهم لا يعبدونه وحده لما في نفوسهم من الكبر والعناد والتقليد الأعمى والتعصب والبغي والازدراء للرسول ﷺ فحملهم ذلك على المكابرة ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۝٣٥ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونِۭ ۝٣٦﴾ [الصافات]، ويقول بعضهم لبعض ﴿ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ﴾ [ص: ٦].

وهذا المسلك الساقط لم ينفرد به الكاتب! بل سبقه كثيرون؛

قالوا بذلك، فلخَّص كلامهم وقدَّمه للقراء على أنه هو المراد والمقصود فيما ورد بشأن إقرار المشركين المذكور في القرآن الكريم!!

➢ مناقشة الكاتب ورد شبهاته:

الوجه الأول: أليس في حكايتك بما زعمته أنه اعتقاد الكفار لمعبوداتهم بالربوبية، أليست الربوبية هي الخلق والإيجاد والرزق والتدبير؟ فأين وجدتَ في كتاب اللّه تعالى أن الكفار اعتقدوا هذه الأمور في معبوداتهم؟!! أين في القرآن أو السنة أو كلام الصحابة أن الكفار قالوا: إن معبوداتنا هي التي خلقتنا وهي التي ترزقنا ونحو ذلك؟!

قال اللّه تعالى ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ﴾ [العنكبوت: ١٧] أي: اطْلُبُوهُ مِنْهُ، ولو كان الكفار يعتقدون أنَّها أرباب لرد العابدون لتلك الأصنام فقالوا: بل تملك الرزق.

انظر إلى قول اللّه تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـٰٓؤُلَآءِ شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يونس].

فقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ هَـٰٓؤُلَآءِ شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ﴾، يعني: أنهم كانوا يعبدونها رجاء شفاعتها عند اللّه، فردَّ اللّه عليهم بأنَّ ذلك باطل لا يصح ولا حقيقة له، بل يعلم اللّه أنَّ ذلك خلاف ما يقولون، وأنَّها لا تشفع لأحد، ولا تنفع ولا تضر، فدلَّت الآية على ذكر (توحيدين)، وأن المشركين يقرون بتوحيدٍ وهو أنَّ اللّه هو الغاية وهو المقصود الأعلى والأعظم، وينكرون توحيدًا وهو إفراده بالعبادة، ولهذا قال ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾.

فهل جاء في النصوص أنَّ اللّه أمر الكفار والمشركين أن يقولوا: إنَّ اللّه خلقنا ورزقنا وهو يدبر أمر العالمين؟ أو هل جاء أنَّ اللّه أمرهم أن يعتقدوا ذلك فحسب؟!

فانظر إلى دعوة الرسل كلهم؛ كل الرسل قالوا لأقوامهم ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ﴾ [الأعراف: ٥٩][(١)] ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل: ٣٦]، لم يقل أي نبي لقومه: (اعرفوا اللّه) أو (أقروا بأنه الخالق الرازق لكم أو نحو ذلك)، ولم تنازعهم أممهم في أنَّ اللّه هو الخالق ولم ينكروا إلا مثل ما بين اللّه تعالى: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ۝٥﴾ [ص] وقال تعالى عنهم: ﴿أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَاۖ﴾ [الأعراف: ٧٠].

انظر على سبيل المثال هذه الآية في سورة الزخرف: ﴿وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ ۝٤٥﴾ [الزخرف]، وتأمل هذا الأمر في سورة يونس: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٣ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ إِنَّهُۥ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلۡقِسۡطِۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ۝٤﴾ [يونس].

إن الأمر الصريح في الآية هو قوله ﴿فَٱعۡبُدُوهُۚ﴾ وكذلك في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١] والنهي الصريح في سورة البقرة: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا﴾ [البقرة: ٢٢].

---

(١) انظر الآيات: [الأعراف: ٦٥]، [الأعراف: ٧٣]، [الأعراف: ٨٥]، [هود: ٥٠]، [هود: ٦٠]، [هود: ٨٨]، [المؤمنون: ٢٣]، [المؤمنون: ٣٩].

قال السهسواني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اعلم أنَّ اللّه لم يبعث رسلَه ولم ينزل كتبه لتعريف خلقه بأنه الخالق لهم والرازق لهم ونحو ذلك، فإنَّ هذا يقرِّ به كل مشرك قبل بعثة الرسل»[(١)].

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا أمر مستقر في الفطر حتى المشركين الذين يعبدون الأوثان أخبر عنهم بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، واللّه لم ينكر على المشركين طلب التقرب إلى اللّه تعالى، وإنما أنكر عليهم أنهم اتخذوا أولياء من دونه يتقربون بعبادتهم إليه، وهو تعالى لم يشرع ذلك ولم يأمر به بل إنّما يتقرب إليه بعبادته وحده لا شريك له»[(٢)].

الوجه الثاني: القرآن أوضح أتمَّ توضيحٍ أنهم يعلمون انتفاء هذه الأمور ـ من الخلق والرزق والتدبير والإحياء والإماتة ـ عن معبوداتهم وبهذا أقام عليهم الحجة بوجوب إفراد اللّه وحده بالعبادة؛ كما قال تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الروم]، وقال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [الروم]، وقال: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾ [لقمان]، وقال: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ قُلِ ٱللَّهُۖ﴾ [سبأ: ٢٤]، وقال: ﴿قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَۖ كَلَّاۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ [سبأ]، وقال: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن

(١) صيانة الإنسان ١٦٤.

(٢) بيان تلبيس الجهمية ٦/٥٧.

دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾﴾ [فاطر]، وقال: ﴿إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًاۚ﴾ [سبأ: ٣٣]، وقال: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾﴾ [فاطر]، وقال: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر].

فهذه آيات في هذا المعنى تؤكد أنَّ الضلال لديهم في نفس صرف العبادة لغير اللّه وليس في اعتقاد الربوبية في معبوداتهم.

والآيات الدالة على الأمر بالعبادة كثيرة ومتنوعة.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**قوله**: ﴿لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فاللّه: عَلَمٌ على ربنا تبارك وتعالى، ومعناه: الإله أي المعبود لقوله: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي المعبود في السمٰوات والمعبود في الأرض ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾ الآيتين. وأما الرب فمعناه المالك المتصرف. وأما (العالمين) فهو اسم لكل ما سوى اللّه تبارك وتعالى؛ فكل ما سواه من ملَكٍ ونبيٍّ وإنسيٍّ وجنيّ وغير ذلك مربوب مقهور يتصرف فيه، فقير محتاج؛ كلهم صامدون إلى واحد لا شريك له في ذلك، وهو الغني الصمد. وذكر بعد ذلك ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾ وفي قراءة أخرى ﴿**ملك يوم الدين**﴾. فذكر في أول هذه السورة التي هي أول المصحف الألوهية والربوبية والملك. كما ذكره في آخر سورة في المصحف ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ

ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾﴾ فهذه ثلاثة أوصاف لربنا تبارك وتعالى ذكرها مجموعة في موضع واحد في أول القرآن؛ ثم ذكرها مجموعة في موضع واحد في آخر ما يطرق سمعك من القرآن؛ فينبغي لمن نصح نفسه أن يعتني بهذا الموضع ويبذل جهده في البحث عنه، ويعلم أن العليم الخبير لم يجمع بينهما في أول القرآن ثم في آخره إلا لما يعلم من شدة حاجة العباد إلى معرفتها، ومعرفة الفرق بين هذه الصفات، فكل صفة لها معنى غير معنى الصفة الأخرى، كما يقال: محمد رسول اللّه، وخاتم النبيين، وسيد ولد آدم فكل وصف له معنى غير ذلك الوصف الآخر»[(١)].

الوجه الثالث: يقال للكاتب الذي يقرر أن الكفار اعتقدوا أن مع اللّه خالقًا وعجزوا عن الدليل؛ هل هذا الاعتقاد أمر خفيٌّ أم شيء أظهروه وباحوا به، فقالوا: إنَّ مع اللّه آلهة هي خلقتنا أو رزقتنا؟!

هل قتال الرسول ﷺ لهم على الأمر الخفيِّ؛ أم على الأمر المعلن منهم؟ وهو الأعمال والأقوال التي فعلوها!

الوجه الرابع: لم يرد أن المشركين أظهروا عدم صحة الحجة، وأنها لا تلزمهم كما يدعي الكاتب! بل هذه الحجج قامت عليهم واستحقوا بذلك وصفهم بالشرك في الدنيا والخلود في النار في الآخرة.

وأخبر أنهم إذا مسهم الضر لم يتجهوا إلا إلى اللّه وتركوا معبوداتهم، ولو كانوا يعتقدون فيها الربوبية لاتجهوا إليها في حال الضر أيضًا، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ

(١) مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، تفسير آيات من القرآن الكريم ١١/٥.

إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الروم]، وقال: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [الزمر: ٨]، وقال: ﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَـٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ﴾ [الزمر: ٤٩]، ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾﴾ [لقمان].

ومما يدل على إقرارهم باللّه مع كفرهم وشركهم قوله تعالى ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾ [سبأ: ٧ ـ ٨]، فقولهم: ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ ونظائرها في القرآن تبيِّن إقرارهم باللّه وتعظيمهم له.

ومثل ذلك قوله تعالى في سورة القصص: ﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَـٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ. .﴾ [القصص: ٤٧ - ٤٨] وقوله: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [سبأ].

➤ من أغلاط الكاتب وافتراءاته:

قول الكاتب: [**أن اللّه تعالى يلزمهم بما يلتزمون به وهو أنهم يلتزمون بأن الإله المستحق للعبودية عندهم هو من كانت فيه صفات الربوبية أو بعضها**].

هذا ـ كما تقدم ـ دعوى من الكاتب بأن [**الكفار يلتزمون بهذه العقيدة لا يوجد إلٰه إلا وهو متصف بالربوبية أو بعض خصائصها**].

أين الدليل على هذا؟

هل قال الكفرة ذلك؟

كيف تصفهم بشيء لم يصلوا إليه؟!

لقد حكى اللّه عنهم أنهم قالوا: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس: ١٨]، ولم يقولوا أربابنا، وقال: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٣]، ولم يقولوا لم نعبدهم إلا لأنهم خلقونا.

فتأمل أيها القارئ هذا يفتح اللّه عليك معرفة حقيقة شرك المشركين، ويندفع عنك الغلط الذي وقع فيه الكاتب.

ويقال للكاتب: كيف تحكي عقيدتهم بأنهم يعتقدون: (من لم يكن ربًّا فليس بإله)!؟ ولا تذكر لذلك حجة صحيحة؟؟ هذا قلب للحقائق!!

بل عقيدة كل مسلم موحد «**من لم يكن ربًّا لا يصلح أن يكون إلهًا ومن كان ربًّا فيجب أن تصرف له العبادة، فإذا صرفتها لغيره أشركت معه وكفرت به**». فكيف يجعل الكاتب هذه المقولة (من لم يكن ربًّا فليس بإله) يجعلها عقيدة الكفرة المشركين كلهم؟؟ ولم يذكر دليلًا على ذلك! ولا أثارة من علم.

وبعض دعاة الشرك من المتأخرين يزعمون أن المشركين حين أجابوا عن سؤال: ﴿مَّنۡ خَلَقَهُمۡ﴾ بما وضّحه اللّه: ﴿لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ﴾ و﴿لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ أنَّ ذلك منهم إنما هو كذبٌ ونفاق وهروب من الجواب؟

وما الذي يلجئهم إلى النفاق وهم في مكة أقوياء، وكل هذه الآيات مكية!

وهل نجم النفاق إلا في المدينة بعد الهجرة!

ولو كان جوابهم نفاقًا وكذبًا لأكذبهم اللّه تعالى، فإن المنافقين في المدينة لما قالوا: ﴿نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ﴾، وكانوا غير صادقين في شهادتهم؛ فإن قلوبهم منطوية على التكذيب؛ فضحهم اللّه ﷻ فقال: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾.

فجواب المشركين حين يُسألون: من خلقكم؟ من خلق السماوات والأرض؟ من نزّل من السماء ماء؟ من الذي يدبر الأمر؟ من يرزقكم؟

جوابهم بقولهم: (اللّه الذي فعل ذلك) ليس نفاقًا منهم، ولا كذبًا، بل هو إقرار بما يعتقدونه من ربوبية اللّه وأنه الخالق الرازق المدبر.

➢ غلط كبير من الكاتب:

كرّر الكاتب مقالةً خطيرة؛ فقال في كتابه هذا في الصفحة ٨٠ ـ ٨١: **[أن المشركين كانوا أصحاب ظن وتخرُّص... فمن يثق بخبر المشركين عن أنفسهم في دعواهم الإقرار بالربوبية قد وثق بكذَّاب جهول، أو شكاك مرتاب لا يثبت على يقين، والمصيبة أنه قد اعْتُمِد على هذا الإقرار الكاذب الجاهل في تكفير أهل الشهادتين!!]**.

ومآل هذا الكلام ومؤداه: ردٌّ لخبر اللّه العليم الخبير ﷻ عن هؤلاء المشركين.

والذي يؤمن بكلام اللّه يعلم أن اللّه ﷻ بيّن أقوالهم، وما تُكِنُّهُ صدورهم، لا يشك في خبرِ اللهِ عنهم، وأما زَعْمُ الكاتب أنه لا يوثق بخبر المشركين فإنّ زعمه نُقَابله بالآيات الواضحة، فالذي أخبر عنهم هو الذي يعلم السر وأخفى، ومن صدّق بكلام اللّه تعالى صدّق بأن هذا الكلام قد قاله الكفار والمشركون.

وليس الوثوق هنا مصدره من كلام المشركين استقلالًا وانفرادًا، وإنما نثق بخبر اللّه تعالى عن أحوالهم وعقائدهم.

وسيأتي توضيح فساد كلام الكاتب هذا تفصيلًا في موضعه إن شاء اللّه.

ولكن أوردته هنا لأبيّن أن الكاتب يغلط أغلاطًا شنيعة، ولا ينبغي أن يوثق بفهمه؛ ويلزمه أن يصحح اعتراض كل ضال مكذب في كل موضع من القرآن على أنه عقيدة المشركين؛ فيقول المُكّذِّبُ: أنا لا أثق بقولهم، وليس هذا بمعتقدهم!

وعلى هذا التقدير، فما الفائدة من ذكر أقوال الكفار والمشركين واليهود والنصارى في القرآن إذا كانت كلها أقوالًا لا يعتقدونها.

ومثله قوله تعالى في سورة الصافات: ﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ﴾ أي: من كذبهم ﴿لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ﴾ أي: صدر منه الولد ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ فذكر اللّه عنهم ثلاثة أقوال في الملائكة هي في غاية الكفر والكذب: جعلوهم بنات اللّه، فجعلوا للّه ولدًا. وجعلوا ذلك الولد أنثى، ثم عبدوهم من دون اللّه. وكل منها كافٍ في التخليد في نار جهنم.

فكذبهم في هذا المعتقد فإن اللّه لم يتخذ ولدًا، لكن ليس معنى ذلك أنهم لم يقولوا هذا القول في حق اللّه.

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾﴾ [العنكبوت] وهذا تكذيب من اللّه للمشركين القائلين للذين آمنوا ﴿ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ يقول جل ثناؤه: وكذبوا في قيلهم ذلك لهم، ما هم بحاملين من آثام خطاياهم من شيء، إنهم

لكاذبون فيما قالوا لهم ووعدوهم، من حمل خطاياهم إن هم اتبعوهم[(١)].

وأما قول اللّه تعالى: ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡۚ﴾ [الأنعام: ٢٤] فهذا حاصل يوم القيامة، وليس الكذب في قولهم (اللّه الذي خلقنا)، ولكن المعنى أنهم يتبرؤون من الشرك، ومن عبادة غير اللّه، ويتنصّلون من ذلك تهربًا منهم يوم القيامة؛ فقال تعالى: ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡۚ﴾ أي بقولهم: ﴿مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ﴾.

وهذا أمر واضح؛ فلا أدري كيف اشتبه عليه! وزعم أن هذا تكذيب لإقرارهم بأن اللّه هو خالقهم!

وأما الآيات التي فيها أن المشركين أصحاب ظن وتخرص فيما يتعلق باللّه، فلا تدل على أن قولهم (اللّه خالقنا) تخرصٌ وظنٌّ منهم؛ بل هذا أمر مستقر عندهم، ولم ينكره اللّه عليهم، كما أنكر عليهم تخرصاتهم الأخرى، مثل ما حكى اللّه قولهم في تسميتهم آلهتهم، وفي ظنهم أن الملائكة إناث ونحو ذلك.

ومن جهة أخرى؛ فمعلومٌ أن المشركين في مكة لا يحبون أن يؤثر عنهم الكذب، فهل كفار قريش كانوا يرضون لأنفسهم بالكذب!!

ثم إن كلامه هذا يدل على أنَّ توحيد الربوبية عنده يحتاج إلى أدلة وبحث وإثبات، وأنه ليس بدليل ظاهر بالفطرة والضرورة العقلية والسمعية؛ كحال الأشاعرة وغيرهم من المتكلمين الذين أفرغوا كل جهدهم في إثبات هذا التوحيد؛ لظنهم أنه الغاية من الخلق، فأنكروا إثباته بالفطرة والضرورة، وأهملوا توحيد العبادة.

(١) جامع البيان (٣٦٩/١٨).

ومثَلُ الكاتبِ في هذا؛ كمثَل من يقول: لا يُصَدّقُ قولُ الكاذبِ المتخرِّصِ إذا سئل فأقرَّ أنَّ الشمس طالعة في وضح النهار يراها كل الناس! لأنه كاذب متخرص فلا يؤخذ بقوله وإقراره، ولا يكون خبره هنا إلا خبرًا كاذبًا فلا نثق فيه.

وهذا كما ترى من أَضْعف الكلام.

هذا إمام المتكلمين الفخر الرازي الأشعري، يرد على هذا القول فيقول في تفسيره في سورة غافر آية ١١: «أما قوله: أن هذا كلام الكفار فلا يكون حجة! قلنا: لما ذكروا ذلك لم يكذبهم اللّه تعالى إذ لو كانوا كاذبين لأظهر اللّه تكذيبهم، ألا ترى أنهم لما كذبوا في قولهم: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]، كذبهم اللّه في ذلك فقال: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ﴾ [الأنعام: ٢٤]»[(١)].

وقال شيخ الإسلام: «والذين يعظمون القبور والمشاهد: لهم شبه شديد بالنصارى؛ حتى إني لما قدمت القاهرة اجتمع بي بعض معظميهم من الرهبان، وناظرني في المسيح ودين النصارى؛ حتى بينت له فساد ذلك وأجبته عما يدعيه من الحجة. وبلغني بعد ذلك أنه صنف كتابًا في الرد على المسلمين وإبطال نبوة محمد ﷺ وأحضره إليَّ بعض المسلمين وجعل يقرؤه علي لأجيب عن حجج النصارى وأبين فسادها. وكان من أواخر ما خاطبت به النصراني: أن قلت له: أنتم مشركون وبينت من شركهم ما هم عليه من العكوف على التماثيل والقبور وعبادتها والاستغاثة بها. قال لي: نحن ما نشرك بهم ولا نعبدهم؛ وإنما نتوسل بهم، كما يفعل المسلمون إذا جاءوا إلى قبر الرجل الصالح فيتعلقون بالشباك الذي عليه ونحو ذلك. فقلت له:

(١) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير ٢٧/٤٩٥.

وهذا أيضًا من الشرك ليس هذا من دين المسلمين وإن فعله الجهال، فأقرَّ أنه شرك. حتى إنَّ قسيسًا كان حاضرًا في هذه المسألة، فلما سمعها قال: نعم على هذا التقدير نحن مشركون.

وكان بعض النصارى يقول لبعض المسلمين: لنا سيد وسيدة، ولكم سيد وسيدة، لنا السيد المسيح والسيدة مريم، ولكم السيد الحسين والسيدة نفيسة. فالنصارى يفرحون بما يفعله أهل البدع والجهل من المسلمين مما يوافق دينهم ويشابهونهم فيه ويحبون أن يقوى ذلك ويَكثر، ويحبون أن يجعلوا رهبانهم مثل عبّاد المسلمين، وقسيسيهم مثل علماء المسلمين»[(١)].

الوجه الخامس: يقال للكاتب: إنَّ الكفار أحوالهم متباينة في كفرهم واعتقاداتهم الفاسدة، وكذلك هم متنوعون في معبوداتهم، وهم يعلمون أنها ليست ربًّا ولا تخلق أو ترزق أو تحيي أو تميت! وتصوراتهم من أفسد ما يكون.

ومما يبين حال المشرك في نفسه وتصوراته الفاسدة أن النفس البشرية فيها ظلم وجهل يورث الطغيان والنسيان للنعم والاستكبار وجحد الحقائق، ﴿۞وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ لَقَدِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ وَعَتَوۡ عُتُوّٗا كَبِيرٗا ٢١﴾ [الفرقان].

قال العلامة عبد الرحمٰن بن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«﴿لَقَدِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ حيث اقترحوا هذا الاقتراح وتجرأوا هذه الجرأة، فمن أنتم يا فقراء ويا مساكين حتى تطلبوا رؤية اللّه وتزعموا أن الرسالة متوقف ثبوتها على ذلك؟ وأي كبر أعظم من هذا؟ ﴿وَعَتَوۡ عُتُوّٗا كَبِيرٗا﴾ أي: قسوا وصلبوا عن الحق

(١) مجموع الفتاوى ٢٧/٤٦١.

قساوة عظيمة، فقلوبهم أشد من الأحجار وأصلب من الحديد لا تلين للحق، ولا تصغى للناصحين فلذلك لم ينجع فيهم وعظ ولا تذكير ولا اتبعوا الحق حين جاءهم النذير، بل قابلوا أصدق الخلق وأنصحهم وآيات اللّه البينات بالإعراض والتكذيب والمعارضة، فأي عتوٍّ أكبر من هذا العتو؟ ولذلك بطلت أعمالهم واضمحلت، وخسروا أشد الخسران، وحرموا غاية الحرمان»[(١)].

ومن استكبار المشركين ما حكى اللّه عنهم: ﴿وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [الأنفال]، قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تفسير هذه الآية:

«ذكر هنا في هذه الآية الكريمة ما يدل على أن كفار مكة في غاية الجهل حيث قالوا: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا﴾ الآية [الأنفال: ٣٢]، ولم يقولوا فاهدنا إليه، وجاء في آيات أخر ما يدل على ذلك أيضًا كقوله عنهم: ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾﴾ [ص]، وقوله: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾ الآية [الحج: ٤٧]، وقوله: ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ﴾ [هود: ٨]، وذكر عن بعض الأمم السالفة شبه ذلك، كقوله في قوم شعيب: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾﴾ [الشعراء]، وقوله عن قوم صالح: ﴿يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾»[(٢)].

قال شيخ الاسلام: «ولا ريب أن الاعتقادات الفاسدة، مثل اعتقاد الكفار في ربهم، وما يتبعها من الإرادات هي خيالات وأوهام باطلة، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ

---

(١) تيسير الكريم الرحمٰن ٥٨١.

(٢) أضواء البيان ٢/٤١٣.

ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾ [النور].. وقال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

ولا ريب أن كثيرًا من الناس، يتخيل ويتوهم في نفسه صورًا باطلة، ويعتقد أن ربه كذلك، كما يعتقد في ربه اعتقادات باطلة، ويعتقد أن ربه كذلك...

ولهذا يوجد من الجهمية النفاة، من يعتقد أن اللّه هو الوجود المطلق، وأنه وجود الموجودات أنفسها، وأنه بنفسه في كل مكان... وهي خيالات وأوهام باطلة... ولهذا يوجد في هؤلاء من يعبد المخلوقات، ومن يعتقد في كثير من المخلوقات، أنه اللّه... فلهذا هم أعظم الناس اختيالًا وتكبرًا، حيث قد يختال أحدهم في نفسه أنه اللّه ويعظمون فرعون في قوله: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النازعات:٢٤]، ﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾ [القصص: ٣٨] ونحو ذلك من الاختيال الباطل، الذي هو أفسد اختيال وأعظم فرية على اللّه. تعالى اللّه عما يقولون علوًا كبيرًا»[(١)].

ثم ذكر أن ما يقوله الأنبياء وأتباعهم ويصفون الله تعالى به أنه هو الاعتقاد الحق.

ومما يبين تنوع ضلالات المشركين أنهم حيارى كما قال تعالى عنهم: ﴿قُلۡ أَنَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعۡقَابِنَا

(١) بيان تلبيس الجهمية ١/٣٢٣.

بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِي ٱسۡتَهۡوَتۡهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِي ٱلۡأَرۡضِ حَيۡرَانَ لَهُۥٓ أَصۡحَٰبٞ يَدۡعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلۡهُدَى ٱئۡتِنَاۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۖ وَأُمِرۡنَا لِنُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنۡ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُۚ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ وَيَوۡمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُۚ قَوۡلُهُ ٱلۡحَقُّۚ وَلَهُ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿٧٣﴾﴾ [الأنعام].

فهذه الآيات تدل على حيرة المشركين العظيمة؛ فعن عبد اللّه بن عباس؛ قال: «هذا مَثلٌ ضربه اللّه للآلهة وللدعاة الذين يَدْعُون إلى اللّه، كمثل رجل ضلَّ عن الطريق تائهًا ضالًّا، إذ ناداه منادٍ: فلان بن فلان، هلمَّ إلى الطريق. وله أصحاب يدعونه: يا فلان، يا فلان، هلمَّ إلى الطريق. فإن اتبع الداعي الأول انطلق به حتى يُلقيَه في هلكة، وإن أجاب مَن يَدعو إلى الهدى اهتدى إلى الطريق، وهذه الداعية التي تدعو في البرِّيَّة الغِيلان.

يقول: مَثلُ مَن يعبد هذه الآلهة من دون اللّه؛ فإنّه يرى أنّه في شيء، حتى يأتيه الموت، فيستقبل الهَلَكة والندامة.

وقوله: ﴿كَٱلَّذِي ٱسۡتَهۡوَتۡهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ يقول: أضلَّتْه، وهم الغِيلان، يَدعونه باسمه واسم أبيه وجدِّه، فيتَّبِعُها، ويَرى أنه في شيء، فيُصبِحُ وقد ألقَتْه في هلكة، وربما أكلَتْه، أو تُلْقِيه في مَضِلَّة من الأرض يهلِكُ فيها عطشًا، فهذا مَثَلُ مَن أجاب الآلهة التي تُعبَدُ من دون اللّه»(١).

قال قتادة بن دعامة في هذه الآية: «خصومة عَلَّمها اللّهُ

(١) جامع البيان ٩/٣٢٩ ـ ٣٣٠.

محمدًا ﷺ وأصحابه، يُخاصِمون بها أهلَ الضلالة»[١].

الوجه السادس: ومما يبيِّن إفلاس المشركين من الحجج قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ﴾ الآية [الرعد: ٣٣]. فأخبر تعالى عن أهل الشرك أنهم يدعون في معبوديهم أشياءً لا حقيقة لها في الخارج أصلًا، وإنما هي تصورات وخيالات ذهنية شيطانية ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٣]، ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [النمل]، فطالبهم بالبرهان على صرفهم العبادة لغير اللّه.

وكذلك ما ذكر عن نبيه يوسف عليه السلام من قوله: ﴿يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يوسف] وقال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢].

قال ابن كثير: «أي: الجهالات والأهواء والضلالات المتفرقة»[٢].

الوجه السابع: تأمل لماذا يترك المشركون جميع معبوداتهم في

---

(١) جامع البيان ٩/٣٣١، قال الشيخ محمد عبدالوهاب رحمه الله: «ففيه أربعة عشر جوابًا لمن أشار عليك بموافقة السواد الأعظم على الباطل...» مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، التفسير (٥/٦١).

(٢) تفسير ابن كثير ٣/٣٣٠.

حال الضر والشدة! أليس يزعم الكاتب أنهم يعتقدون فيهم صفات الربوبية! هل هذا الاعتقاد مستقر عندهم أن لمعبوداتهم من خصائص الربوبية مثل ما للّه تعالى؛ فلماذا يلجؤون إلى اللّه في الشدة؟ لماذا لا يستمرون على الالتجاء لمعبوداتهم؟!

﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [العنكبوت].

قال ابن جرير الطبري: «القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾، يقول تعالى ذكره: فإذا ركب هؤلاء المشركون السفينة في البحر، فخافوا الغرق والهلاك فيه ﴿دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾، يقول: أخلصوا للّه عند الشدّة التي نزلت بهم التوحيد، وأفردوا له الطاعة، وأذعنوا له بالعبودية، ولم يستغيثوا بآلهتهم وأندادهم، ولكن باللّه الذي خلقهم ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ﴾ يقول: فلما خلصهم مما كانوا فيه وسلَّمهم، فصاروا إلى البرّ، إذا هم يجعلون مع اللّه شريكا في عبادتهم، ويدعون الآلهة والأوثان معه أربابًا». وأسند «**عن قَتادة، قوله**: ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ فالخلق كلهم يقرّون للّه أنه ربهم، ثم يشركون بعد ذلك»[1].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ثم أخبر تعالى عن المشركين أنهم عند الاضطرار يدعونه وحده لا شريك له، فهلَّا يكون هذا منهم دائمًا، ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ كقوله ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ

(١) جامع البيان ١٨/٤٤١.

ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾ [الإسراء: ٦٧]، وقال هاهنا: ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾.

وقد ذكر محمد بن إسحاق، عن عكرمة بن أبي جهل: أنه لما فتح رسول اللّه ﷺ مكة ذهب فارًّا منها، فلما ركب في البحر ليذهب إلى الحبشة، اضطربت بهم السفينة، فقال أهلها: يا قوم، أخلصوا لربكم الدعاء، فإنه لا ينجي هاهنا إلا هو. فقال عكرمة: واللّه إن كان لا ينجي في البحر غيره، فإنه لا ينجي غيره في البر أيضًا، اللّهم لك علي عهدٌ لئن خرجتُ لأذهبن فلأضعنَّ يدي في يد محمد فلأجدنَّه رؤوفًا رحيمًا، وكان كذلك»[1].

فقوله تعالى عنهم: ﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾

ما هذا الدين المذكور هنا؟ وما معنى ﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ﴾؟

أليس هذا المعنى هو ما نقضوه في حال الرخاء!

فالدعاء من الدين، والالتجاء إلى اللّه في الشدة نقضوه في حال الرخاء بدعاء غيره، فهم في باب دعاء اللّه ليسوا على حال واحدة في الرخاء والشدة.

فعَلِمَ كلُّ عاقلٍ المرادَ بهذا، كما علم كل مخاطب بحال المشركين.

الوجه الثامن: يقال له: قال اللّه تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ

(١) تفسير ابن كثير ٦/٢٩٥.

يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [النحل]، وقد جعل اللّه موتهم دليلًا وبرهانًا على بطلان عبادتهم، وهذا هو الذي ينكره الكاتب ويدعي أنهم كانوا يعتقدون فيهم أنهم يخلقون ويرزقون أو يشاركون رب العالمين في ذلك أو بعضه!!.

وقال اللّه تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾ [الزمر]، حكم عليهم سبحانه بالكذب، والكفر بدعائهم غير اللّه، وإن زعموا أنهم اتخذوهم وسائط بينهم وبين اللّه.

وحكم اللّه عليهم بهذا الوصف: (كاذب)؛ لأن الأولياء الذين عبدوهم لا يقربونهم إلى اللّه زلفى، فصار قولُ المشركين: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] قولًا كذبًا، كما أنه كفر باللّه العظيم.

فمن جعل بينه وبين اللّه واسطة في العبادة كالدعاء؛ فقد عبد هذه الواسطة من دون اللّه؛ لأن هذه الوساطة تنافي الإخلاص للّه وحده. ومتى انتفى الإخلاص انتفت العبادة فقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن

﴿دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ لم يمنع توسلهم بالأولياء إليه تعالى أن يقول عنهم إنهم اتخذوهم من دونه.

ولهذا في هذه الآية الكريمة ذكر اللّه ﷻ عن المشركين توحيدين:

الأول: أشركوا فيه مع اللّه أولياء، وهو صرف العبادة لغير اللّه ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ﴾.

والثاني: إقرارهم باللّه وأنه الغاية العظمى والمقصود الأعلى عندهم، فهو المنفرد بصفات الخلق والرزق لا شريك له ولم ينازعوا في هذا، وعند المشركين ـ الذين نزل القرآن بالحكم عليهم بالشرك والكفر ـ ليس ولي من الأولياء يخلق أو يشارك اللّه في الخلق، ولكن يعبدون الأولياء لغرض يظنونه حقًّا، وهو أنهم يقربونهم إلى اللّه تعالى. فاللّه جل جلاله ـ في اعتقادهم ـ موجود ومعظم ومقصود بل هو الغاية؛ فهذا توحيد أقروا به واعترفوا به، ولكنه لم ينفعهم، فقد وصفهم ربنا تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾.

فمن يتوجه بعبادته إلى غير اللّه تعالى على أنه وسيلة إليه ومقرب منه وشفيع عنده، أو على أنه متصرف بالنفع ودفع الضر لقربه منه، فتوجهه هذا إليه بالسجود أو الركوع أو الدعاء أو الذبح أو النذر، كل واحدة من هذه العبادات تسمى عبادة لغير اللّه.

الوجه التاسع: قول الكاتب: **[وما دام عند المشركين قدر من الإقرار بتلك الربوبية للّه تعالى].**

تقدم أن الكاتب يزعم أن مشركي العرب ونحوهم ممن كان في عهد النبي ﷺ لا يقرون للّه بالربوبية، وأن إقرارهم هو قول كاذب منهم، والآن كما ترى يزعم أن عندهم قدرًا من الإقرار بالربوبية،

فينفي هذا مرة، ويثبته مرة أخرى، وتقدم أنه يجعل الربوبية والألوهية شيئًا واحدًا؛ فتنبه.

والكاتب كذلك ينقل القارئ المسلم بين عقيدته الإسلامية، وبين عقيدة المشرك الحيران التائه الجاهل، فيصف المشرك بأنه على يقين وعلى منهج مستمر عليه، بينما حالهم مختلف، كما وصفهم اللّه تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴿٩﴾﴾ [الذاريات]، وذكر اللّه عنهم أنهم اتخذوا دينهم لهوًا ولعِبًا، وأنهم مختلفون في عباداتهم الشركية، فجاء الكاتب ووصفهم بأنهم **[يلتزمون بهذه العقيدة...]** هكذا يرمي الكلام من غير بيِّنة ولا بصيرة، ثم لو قُدِّر أنَّ بعض المشركين على هذا الباطل الذي وصفهم به الكاتب؛ فلا يحق له القول بغير علم، وأن يجعلهم كلهم على طريقة واحدة!

فالمسلم يؤمن بأن اللّه ربه، ويؤمن بأن اللّه معبوده الذي يصرف له العبادة، ولا يشك في ذلك.

والكاتب يخاطب المؤمن ويقول له: إن الكفار المشركين الذي نزل القرآن بالحكم عليهم بالشرك والكفر، يعتقدون أن الرب هو الذي يستحق العبادة، ويعتقدون أن اللّه ربهم، وأن معبودات أخرى هي ربهم؛ فلهذا أشركوا في الربوبية!.

فالمسلم إذا سمع هذه الجملة: (الرب هو الذي يستحق العبادة) فهي محل قبول وتصديق وإيمان عنده، ولكن الكاتب، يلتف على القارئ فيقول: إن المشركين كذلك يعتقدون أن معنى الرب هو المستحق للعبادة!

وهذا التشويش من الكاتب؛ ليمرر على القارئ العقيدة الفاسدة

التي سبق التنبيه على بطلانها، وهي التسوية بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية!

وكل هذا فعله الكاتب؛ لأجل أن يلتف على عشرات؛ بل مئات الأدلة على أنَّ إقرارهم بالربوبية لم ينفعهم، وهيهات أن يغير من الحق شيئًا؛ فالحق قديم وثابت ولا يمكن أن تزحزحه وساوس شياطين الإنس والجن.

رحم اللّه الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب عندما عرف شبهة دعاة الخرافة والشرك فاختصر للموحدين الرد على دعاة الشرك؛ فقال في القواعد الأربع التي بها يعرف حقيقة الشرك:

«**القاعدة الثالثة**: أن النبي ﷺ ظهر على أناس متفرقين في عباداتهم: منهم من يعبد الشمس والقمر ومنهم من يعبد الملائكة، ومنهم من يعبد الأنبياء والصالحين، ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار، وقاتلهم رسول اللّه ﷺ ولم يفرق بينهم، والدليل قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩].

ودليل الشمس والقمر، قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [فصلت]، ودليل الملائكة قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سبأ].

ودليل الأنبياء قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ

أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ﴾ الآية [المائدة: ١١٦]، وقوله: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [آل عمران]؛ ودليل الصالحين قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾﴾ [الإسراء].

ودليل الأشجار والأحجار، قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾ [النجم]، وحديث أبي واقد الليثي، قال: «خرجنا مع رسول اللّه ﷺ إلى حنين، ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة، يعكفون عندها، وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها ذات أنواط، فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول اللّه، اجعل لنا ذات أنواط، كما لهم ذات أنواط، فقال رسول اللّه ﷺ: اللّه أكبر، إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده، كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾﴾»[(١)].

والواجب على الجميع العلم بأن اللّه تعالى حكى ذلك عن المشركين مقرين به معترفين؛ فلا يُقْبل من الكاتب ولا من غيره تحريف كلام اللّه، وادعاء ما يخالف ظاهره، فالكاتب وغيره يجب عليهم أن يصدقوا ما بينه اللّه ووضحه في كتابه عن اعتقاد هؤلاء المشركين.

فسقط قول الكاتب في الصفحة ٨٠ ـ ٨١: [أن من يثق بكلام المشركين هذا فقد وثق بكذاب جهول]!!

ومن لديه علم بما جاء به الرسول ﷺ، ثم انحرف عنه إلى

(١) رسالة القواعد الأربع وهي ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ٢/٢٦.

الشرك والضلالة ونشر الشبهات؛ فقد ضرب اللّه له مثلًا؛ فقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف].

وهل سيكذِّب ما حكى اللّه من مقولات وعقائد أنواع الكفار مثل اعتقاد النصارى أنَّ للّه ولدًا، وأنَّ المشركين اعتقدوا أن الملائكة إناث، وأنَّهم عبدوهم ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ [البقرة: ١١٦]، ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم﴾ [الزخرف: ١٩ ـ ٢٠]، ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤]، ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨]، ﴿وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ [الأعراف: ٢٨].

وعلى قياس كلام الكاتب لا يصح أن تنسب إليهم هذه الأقوال: إنَّهم اعتقدوا أن للّه ولدًا، ولا نصدق أنهم عبدوا الملائكة من دون اللّه، ونظائرها؛ لأنَّ من يثق بكلام المشركين هذا فقد وثق بكذاب جهول!!

هل هذا إلَّا من أعظم التحريف!

وما أشبه هذا التحريف بتحريف كفرة أهل الكتاب الذين قال اللّه تعالى عنهم: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾﴾ [النساء].

الوجه العاشر: يقال للكاتب: نعم عند المشركين إقرار بالربوبية سواء سميته قدرًا من الإقرار أم إقراراً.

والذي يهم هو فهم كلام اللّه تعالى، وليس فهم كلام الكاتب المليء بالتناقض والغموض، فقد قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]، فماذا تسمي هذا الإقرار من المشركين بأن اللّه هو الذي خلقهم؟ أهو إقرار بباطل أم بحق؟

فإن قلت: إن إقرار المشركين بأن اللّه خلقهم إقرار منهم بالباطل فلا قائل بهذا! وإن قلت: كان إقرارًا بحق ـ وهو كذلك ـ فقد ألزمهم اللّه تعالى، بعد كل هذه الاستفهامات التقريرية بإفراده بالعبادة كما مر في الآيات.

وهذا الكاتب لا يستقر على رأي؛ فقد قرَّر أنَّ الألوهية والربوبية لا ينفصلان؛ فعلى هذا التقرير يجب على الكاتب أن يقول: إنَّكم يا أهل السنة تعتقدون أنَّ عند المشركين قدْرًا صحيحًا من الإقرار بالألوهية للّه تعالى! نظرًا لكون المشركين يقرون بقدر من الربوبية!

ولا يشُكُّ أحدٌ أنَّ المشركين عبدوا معبودات من دون اللّه كاللَّات والعزى وهبل ومناة وعبدوا الجن والصالحين.

وعند الكاتب أن العبادة: هي اعتقاد الربوبية في المعبود أو بعض خصائصها، وقد زعم الكاتب أنَّ المشركين لا يستطيعون إثبات شيء من خصائص الربوبية لمعبوداتهم فكيف يصفهم بأنهم عبدوها؟!

إذا فهمت هذا انكشفت لك أغلوطاته، بأن تعلم مراده بلفظ العبادة في كل موضع.

وذلك أن الكاتب يستعمل معنى العبادة بتحريفه لها إلى الربوبية في رده على الموحدين، ويستعمل لفظ العبادة بالمعنى المعروف وهو

صرف أي نوع من أنواعها لغير اللّه في سياق كلامه عن المشركين.

وعلى تقريره الفاسد يكون المشركون الذين عندهم قدر من الإقرار بالربوبية مخلصين في العبادة للّه تعالى بتحقيق الألوهية؛ فإنه قال في الصفحة ١٩: **[بيان تلازم توحيد الألوهية بتوحيد الربوبية وأنهما لا ينفصلان أبدًا.. ولن يخل أحد بتوحيد الألوهية إلا وهو قد أخل بالربوبية فنقض التوحيد في الألوهية والربوبية معًا].**

فالمشركون الذين لديهم قدر من الإقرار بالربوبية يقال في حقهم: لديهم قدر من إخلاص التوحيد للّه رب العالمين! ولديهم قدر من إفراد اللّه بالعبادة!!

أيقول هذا عاقل؟؟

ولا يمكن للكاتب الاستدلال على هذه الجملة إلا بالآيات التي احتج بها أهل السنة، ولكنه متابع لمن سبقه؛ فقلب المعنى وانتكست عليه الفهوم.

ولهذا وضع حاشية ليتعلل بها ويدفع عن نفسه التناقض مع أن التناقض لازم له وخانق له؛ فيقول في الحاشية في ص٢١: **[عامة الآيات التي تنقل عن المشركين إقرارًا بالربوبية هي نفسها وفي سياقها نفسه ما يدل على أنهم كانوا مخلين بتوحيد الربوبية الذي ادعوا إقرارهم به إخلالًا سيكون هو سبب شركهم في العبادة].**

فالعبرة عنده بوقوع الشرك في الربوبية؛ فإذا لم يقع في الربوبية شرك فلا شرك ولو عبد غير اللّه!!

وأما قوله **[مخلين... إخلالًا سيكون هو سبب شركهم في العبادة].**

فيتم توجيه السؤال له: لو أن الشرك في العبادة وقع مع الإقرار

بالربوبية للّه وعدم الإخلال بها فسيقول: هذا غير ممكن! فيقال له: لو وقع من أحد الناس هذا الشرك فماذا تقول؟ فيجيب بقوله: هذا ليس بشرك! وعلى هذا فلماذا سميته شركًا في العبادة في موضع ولم تسمه شركًا في العبادة في موضع آخر!!

وهو يقول في موضع: لا يقر المشركون بالربوبية، كما في الصفحة ١٢: **[النصوص الدالة على أن شرك المشركين كان في الربوبية مع شركهم في العبادة]**.

وهنا يقول يقرون بقدر من الربوبية؛ فهل هذا القدر الذي أقروا به صحيح أم غير صحيح؟

وبعبارة أخرى: هل اعترفوا وعرفوا أن اللّه ربهم وخالقهم أم جحدوا هذا المعنى؟ فإن كان صحيحًا فاعترافهم بأنّ اللّه خلقهم أمر واقع منهم؛ فقد نقض قوله: إنهم مشركون في الربوبية، وإن كان القدر الذي أقروا به غير صحيح ولم يقروا بأن اللّه خلقهم! ولا رزقهم! فكيف يدعيه هنا ويقول: **[عند المشركين قدر من الإقرار بتلك الربوبية]**، **[الإقرار المجمل بالربوبية للّه]**، **[لا يستطيعون إثبات شيء من خصائص الربوبية لمن سواه من معبوداتهم]** فكيف أشركوا إذن في الربوبية!!

ولو سئل هذا الكاتب أين الدليل على وجود قدر من الإقرار عند المشركين بالربوبية للّه تعالى؟ لم يمكنه أن يستدل إلا بما استدل به أهل السنة الذين وصفهم بما سبق!

ألم يقل الكاتب فيما سبق في الصفحة ١٩: **[بيان تلازم توحيد الألوهية بتوحيد الربوبية وأنهما لا ينفصلان أبدًا.. ولن يخل أحد بتوحيد الألوهية إلا وهو قد أخل بالربوبية فنقض التوحيد في الألوهية**

والربوبية معًا]، فعنده لا يمكن تصور وجود إقرار بالربوبية دون الألوهية فتوحيد الربوبية والألوهية لا يمكن أن ينفصلا!!

الوجه الحادي عشر: قوله في الحاشية في الصفحة ٢١: **[عامة الآيات التي تنقل عن المشركين إقرارًا بالربوبية هي نفسها وفي سياقها نفسه ما يدل على أنهم كانوا مخلين بتوحيد الربوبية الذي ادعوا إقرارهم به إخلالًا سيكون هو سبب شركهم في العبادة]**.

وقول الكاتب ص ٢١ ـ ٢٢: **[وفي مقابل هذا الإقرار المجمل بالربوبية للّه لا يستطيعون إثبات شيء من خصائص الربوبية لمن سواه من معبوداتهم بل هم في إثباتهم بعض خصائص الربوبية لتلك المعبودات إنما يتخرصون، ويستندون إلى الظنون، وإلى التقليد للآباء فلا يستطيعون أن يبرهنوا صحة ما ينسبونه لآلهتهم من صفات استحقاق العبودية [الألوهية] ولذلك صار يلزمهم أن لا يتخذوا آلهة من دون اللّه تعالى لأنه لا دليل عندهم على تلك الآلهة المزعومة مستحقة للعبادة بخصائص الربوبية]**.

تقدم بيان ضعف هذا الاحتجاج وسقوطه، ويجب أن ينزه كلام اللّه تعالى عنه.

وللتوضيح أقول: إنَّ الكاتب يزعم أن اعتقاد المشركين هو التزامهم بأن الإله هو من كانت فيه صفات الربوبية أو بعضها، وبالتالي فهم يعتقدون في معبوداتهم ذلك، ولكن لا يستطيعون أن يبرهنوا صحة ما نسبوه إليها من تلك الخصائص!

وكان يمكن أن يساق الاحتجاج على زعمه لو صح ما ادعاه: أين الدليل على أن معبوداتكم تخلق وترزق؟ بدلًا من هذا اللف والنشر واللوازم!

وأسوق بعض الآيات التي وردت في بيان حال المشركين حتى يتبين الحق، وأن شركهم في العبادة مع إقرارهم بالربوبية:

﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة].

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ [العنكبوت].

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [العنكبوت].

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [لقمان].

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الزمر].

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾﴾ [الزخرف].

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [الزخرف].

﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الأنعام].

والسؤال موجه لكل من يعقل: ما هو حال المشرك في الشدة والضرورة؛ هل النظر في اعتقاده الخفي المستقر في قلبه، أم في عمله وقوله؟

والجواب: أنَّ النظر في عمله وقوله، فهو الذي يظهر وهو ينبئ عن اعتقاده والذي يظهر هو ما يتكلم به من دعاء أو فعل كسجود ونحوه.

فإذا ذُكِرَ من عمل الكفار في حال الشدة (الدعاءُ) كما في قوله تعالى: ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ﴾، ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾، فعلم أنَّ هذا ليس هو اعتقاد الربوبية فحسب؛ بل هذا هو فعل العبد وعمله وقوله، وهو التألُّهُ واللجوءُ بألفاظ أو أفعال.

وهذا الذي ينازع الكاتب أهل السنة والجماعة فيه؛ فيزعم أنه لا يضر ولا يؤثر إذا دعا غير اللّه!! ولاحظ آخر الآية، وهو قوله: ﴿وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ فسماه شركًا وهو دعاء غير اللّه.

«وشر أنواع الاعتداء في الدعاء التوجه فيه إلى غير اللّه ولو ليشفع له عنده؛ لأن الحنيف من يدعو اللّه تعالى وحده، فلا يدعو معه غيره، كما قال: ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن] أي لا مَلكًا ولا نبيًّا ولا وليًّا. ومن دعا غير اللّه فيما يعجز هو وأمثاله عنه من طريق الأسباب كالشفاء من المرض بغير التداوي وتسخير قلوب الأعداء والإنقاذ من النار ودخول الجنة وما أشبه ذلك من المنافع ودفع المضار فقد اتخذه إلها، لأن الإله هو المعبود، و«الدعاء هو العبادة»... وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾ [الإسراء]، جاء في روايات عن ابن عباس رضي الله عنه أن هذا نزل فيمن عبدوا الملائكة والمسيح وأمه وعزيرًا والشمس والقمر، أي كلّهم عاجز عن دفع الضر أو تحويله عنكم، ومعنى الآية الثانية: أنَّ أولئك الذين يدعونهم هم عبيد اللّه يبتغون إليه الوسيلة والزلفى أيهم

أقرب؛ أي: أقربهم وأفضلهم كالملائكة والمسيح يعبد اللّه ويدعوه طلبًا للوسيلة عنده، ويرجون رحمته ويخافون عذابه، فكيف يدعون معه أو من دونه؟... والآيات المنكرة على المشركين دعاء غير اللّه وكونه عبادة لهم وشركًا من اللّه كثيرة، ولكن المُضِلِّين للعوام من المسلمين يقولون لهم: لا بأس بدعائكم للأولياء والصالحين عند قبورهم، والتضرع والخشوع عندهم، فإن هذا توسل بهم إلى اللّه ليقربوكم منه بشفاعتهم لكم عنده لا عبادة لهم.

وهذا تحكم في اللغة وجهل بها، فأهل اللغة كانوا يسمون ذلك عبادة...

والذين عبدوا الملائكة والأنبياء والأولياء كانوا يقصدون بدعائهم أن يقربوهم إلى اللّه زلفى وأن يشفعوا لهم عنده، ويعتقدون أنهم لا يملكون نفعهم ولا كشف الضر عنهم بأنفسهم، بل ذلك هو اللّه الذي يجير ولا يجار عليه. وآيات القرآن صريحة في ذلك»[(١)].

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنعام] فسماه دعاء وذكر صيغته وهو: ﴿لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾.

وقال أيضًا: ﴿قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأنعام].

قال اللّه تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾﴾ [الأنبياء]،

وقوله: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ

(١) تفسير المنار محمد رشيد رضا ٨/٤٠٧.

﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾﴾ [البقرة].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾﴾ [الحج].

فتدبر هذه الآيات، وما فيها من البيان، والحجة القاطعة على أن كلَّ من وجه وجهه وقلبه إلى غير اللّه فهو مشرك شركًا ينافي الإخلاص. وتأمل ما فيها من اختصاص الرب تعالى بجميع أنواع العبادة كالالتجاء، والتعلق، والرغبة والرهبة، وغير ذلك من أنواع العبادة. واللّه المستعان.

ومما ورد ـ أيضًا ـ في القرآن من آيات تتضمن إثبات إقرارهم بالربوبية وشركهم في العبادة:

قال تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّآ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الأنعام]، فصرح بأنهم يشهدون أن مع اللّه آلهة أخرى أي في العبادة وسمى ذلك شركًا؛ فقد ختم الآية بقوله: ﴿بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾، ففي هذا أبين دليل أنهم يعرفون أن اللّه خالقهم وربهم، ولكنهم يجعلون معه آلهة أخرى أقروا بأنها لا تخلق ولا ترزق وإنما جعلوها واسطة في الدعاء أو شفيعة لهم عند اللّه.

«وقد غفل عنه[1] من أجازوا للعامة اتخاذ أولياء يتوجهون إليهم بالدعاء وطلب الحاجات ويسمون ذلك توسلًا بهم إلى اللّه إنما هو عبادة لهم من دون اللّه. ففي الحديث الصحيح: الدعاء هو العبادة،

(١) أي: إخلاص العبادة لله وحده.

وتلا ﷺ قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي﴾ [غافر: ٦٠] الآية، رواه أحمد وأصحاب السنن الأربعة وغيرهم»[(١)].

قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف]،

وقال تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿١٤﴾﴾ [الرعد].

وقال: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر]، فالخبير سبحانه أبطل الأكاذيب الشيطانية، والتعلقات الشركية في هذه الآية ونظائرها.

قال تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الزمر].

﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾﴾ [الأنعام].

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [الروم].

---

(١) تفسير المنار ٣/٢٨٥.

ومن الأدلة كذلك: ما ثبت في الصحيح في نزول سورة النجم أنهم سجدوا مع النبي ﷺ لما وصل إلى آخر السورة ﴿فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾﴾ [النجم][1].

أليس هذا أبين حجة وأوضح دليل على إقرارهم باللّه وأنه المعبود، ولكنهم يشركون معه في العبادة.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [الأنعام].

وقوله: ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

وقال: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا۟ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّوا۟ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ [الأنعام] والافتراء على اللّه يقتضي إيمانهم بأنه هو الذي يحل ويحرم.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الأنعام].

﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾﴾ [الأنعام] ففي قوله: ﴿فَإِن شَهِدُوا۟﴾، أي: بأن اللّه حرم هذا وهذا يبين إقرارهم باللّه.

وفي قوله ﴿يَعْدِلُونَ﴾ أظهر دليل على الشرك في العبادة.

وتأمل ذكر هذا الوصف في أول السورة وآخرها ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ﴾ [الأنعام: ١٥١]، فلو كان

(١) أخرجه البخاري (١٠٧١).

المفسد لدينهم عدم الإقرار بالربوبية لما ترك إنكار ذلك عليهم، واقتصر على النهي عن الشرك في العبادة كما يظهر من الآية.

ومثله قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [الأنعام].

ولما حكى اللّه تعالى أقوال كفرة أهل الكتاب قال عنهم: ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ [المائدة: ٦٠] وهم يعرفون رسولهم ويعرفون أنه جاء بالتوحيد فعبادتهم الطاغوت هي صرف العبادة لغير اللّه.

ولهذا قال عنهم في آية أخرى: ﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَد دَّخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ﴾ [المائدة: ٦١]، ومعلوم أنهم ليسوا منافقين فعلم أن إيمانهم لم ينفعهم مع أنهم يشهدون للّه بالربوبية ويشركون معه في العبادة ويكذبون رسوله محمدًا ﷺ.

ولهذا وصفهم بالغلو في الدين بغير الحق فقال: ﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٧٧].

وقال اللّه تعالى لعيسى: ﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦]، ومعلوم أن النصارى لما عبدوه لم يقولوا: إنه يخلق ويرزق؛ بل جاء جوابه عليه السلام مطابق للواقع ولما يحتاجونه: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾.

قال الشيخ حمد بن ناصر: «أما المسيح فعبادتهم له بالتأله وصرف خصائص الإلهية له من دون اللّه، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ

ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ﴾ [المائدة: ١١٦]، فأخبر أن الإلهية وهي العبادة حق اللّه لا يشركه فيها أولوا العزم ولا غيرهم؛ يبين ذلك قوله: ﴿مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ﴾.

وأما عبادتهم للأحبار؛ فإنهم أطاعوهم فيما حلَّلوه لهم من الحرام وتحريم ما حرَّموه عليهم من الحلال، ولما قدم عدي بن حاتم رضي الله عنه على النبي ﷺ بعد فراره من الشام، وكان قبل مقدمه على النبي ﷺ نصرانيًّا فلما قدم على النبي ﷺ، تلا عليه هذه الآية: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١] قال: يا رسول اللّه؛ لسنا نعبدهم فقال النبي ﷺ: «أليس يحلون لكم ما حرم اللّه فتحلونه ويحرمون عليكم ما أحل اللّه فتحرمونه قال: بلى قال: فتلك عبادتهم»[(١)]؛ ففيه بيان أن من أشرك مع اللّه غيره في عبادته وأطاع غير اللّه في معصيته فقد اتخذه ربًّا ومعبودًا..

ومثل قوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ﴾ [آل عمران: ٦٤] أمره تعالى أن يدعو أهل الكتاب إلى أن يخلصوا العبادة للّه وحده، ولا يشركوا فيها أحد من خلقه، فإنهم كانوا يعبدون أنبياءهم كالمسيح بن مريم، ويعبدون أحبارهم ورهبانهم.

وتأمل قوله: ﴿كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ﴾ وهذا هو التوحيد الذي بعث اللّه به رسوله ﷺ إلى جميع من أرسل إليه، كما قال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشۡرِكَ بِهِۦٓۚ إِلَيۡهِ أَدۡعُواْ وَإِلَيۡهِ

---

(١) مضى تخريجه.

مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾﴾ [الرعد] وقوله: ﴿وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ تعمّ كل شرك دقّ أو جلَّ كثر أو قلّ.

قال ابن كثير: «**هذا الخطاب يعمُّ أهل الكتاب من اليهود والنصارى ومن جرى مجراهم... وقوله:** ﴿سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ لا وثنًا ولا صنمًا، ولا صليبًا ولا طاغوتًا، ولا نارًا، ولا شيئًا، بل نفرد العبادة للّه وحده لا شريك له... وهذه دعوة جميع الرسل قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء]، وقال: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]»[1].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير: قوله: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٧٩].

(قال محمد بن إسحق: حدثنا محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال أبو رافع القرظي حين اجتمعت الأحبار من اليهود والنصارى من أهل نجران عند رسول اللّه ﷺ ودعاهم إلى الإسلام: أتريد يا محمد أن نعبدك كما عبدت النصارى عيسى بن مريم!

فقال رجل من أهل نجران يقال له الرئيس: أو ذاك منّا يا محمد وإليه تدعونا أو كما قال، فقال رسول اللّه ﷺ: معاذ اللّه أن نعبد غير اللّه أو نأمر بعبادة غير اللّه، وما بذلك بعثني ولا بذلك أمرني أو كما قال ﷺ، فأنزل اللّه ﷻ في ذلك ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٢/٥٦.

يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾) ثم قال ابن كثير:

(قوله: ﴿ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، أي: ما ينبغي لبشر آتاه اللّه الكتاب والحكم والنبوة أن يقول للناس: اعبدوني من دون اللّه أي مع اللّه.

وإذا كان هذا لا يصح لنبي ولا مرسل فلأن لا يصح لأحد من الناس بطريق الأولى والأحرى، ولهذا قال الحسن البصري: لا ينبغي هذا للمؤمن أن يأمر الناس بعبادته، وذلك أن القوم كان يعبد بعضهم بعضًا يعني أهل الكتاب...

وقوله: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ﴾ بعبادة أحد غير اللّه لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ﴿أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [آل عمران]؛ أي: لا يفعل ذلك، لأن من دعا إلى عبادة غير اللّه فقد دعا إلى الكفر.

والأنبياء إنما يأمرونكم بالإيمان وعبادة اللّه وحده لا شريك له، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء] وقال: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزخرف]، وقال في حق الملائكة: ﴿۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنبياء])[1]، «وهو في غاية الوضوح، وبيان التوحيد وخصائص الربوبية، والإلهية ونظائر هذه الآيات كثيرة في القرآن وفي السنة من الأحاديث كذلك»[2].

(١) تفسير ابن كثير ٢/٦٥.
(٢) مجموعة الرسائل والمسائل والفتاوى ١٨٧.

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾﴾ [الرعد].

وقال: ﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ ۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾﴾ [هود].

وقال: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾﴾ [هود].

وقال: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [يونس].

وفي هذه الآيات التنصيص على المراد بالشرك، وأنه في الدعاء وهو يشمل نوعي الدعاء.

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾﴾ [غافر]،

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾ [الكهف] والشاهد تسميتهم أولياء وهم شياطين، ولا يتصوَّر أنّ أحدًا ينسب لهم التدبير.

وقال: ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾﴾ [الكهف].

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ

مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [يونس].

﴿قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهۡدِي لِلۡحَقِّۗ أَفَمَن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ فَمَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [يونس].

وهل كانوا يطلبون الهداية من أصنامهم؟!

وقال: ﴿قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ [الأعراف].

وهذه الآية صريحة في بيان معنى الإله وأنه المعبود، إذ لا يمكن أن يكون المراد أغير اللّه أبغيكم خالقًا.

﴿قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي رَبّٗا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيۡءٖۚ﴾ [الأنعام: ١٦٤] وأبغي: أطلب وهو عمل.

وقال: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي شَكّٖ مِّن دِينِي فَلَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنۡ أَعۡبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُمۡۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [يونس].

وقال: ﴿وَأَنۡ أَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ [يونس].

وقال: ﴿وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [القصص].

الوجه الثاني عشر بيان الفرق بين معنى الربوبية والألوهية:

ويلاحظ التباس الأمر على الكاتب ففي ص ٢١ السطر ١٢ قال عن الإله في اعتقاد المشركين: **[من كانت فيه صفات الربوبية أو**

بعضها] وفي ص ٢١ السطر ١٥ والسطر ١٦ عبر فقال: (خصائص الربوبية) وفي ص ٢٢ السطر ٢٢ قال: **[صحة ما ينسبونه لآلهتهم من صفات استحقاق العبودية [الألوهية]**، وفي ص ٢٢ السطر ٣ قال: **[الآلهة المزعومة مستحقة للعبادة بخصائص الربوبية]** فليعلم القارئ ذلك؛ فإن بين مقتضيات الربوبية والألوهية تباينًا، وإيضاح ذلك بالآتي:

مقتضيات الربوبية: هي العلم بأن اللّه هو الخالق الرازق المدبر البارئ المصوِّر، الحيُّ القيُّوم، العليم السميع البصير، المحسن المنعم الجواد، المعطي المانع، الضارُّ النافع، المقدِّم المؤخِّر، الذي يُضِلُّ من يشاء ويهدي من يشاء، ويُسعد من يشاء ويُشقي من يشاء، ويُعِزُّ من يشاء ويُذِلُّ من يشاء، إلى غير ذلك من معاني ربوبيته، فالرب هو الذي يربي عبده ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ۝٥﴾ [الأعلى] ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠﴾ [طه]، وذلك يقتضي ويوجب على العبد التأله له سبحانه والتعبد له وحده.

ومقتضيات الألوهية: هي العلم والعمل بالتأله للّه وحده وإفراده بالخشية والإنابة والمحبة والخضوع والتوجه إلى اللّه بجميع العبادات فلا يصرف منها شيء لغيره.

والرب إذا ذكر وحده شمل معنى الإله وإذا ذكر الإله وحده شمل معنى الرب، وإذا ذكرا جميعًا صار لكل منهما معنى خاص وهو ما تقدم.

قال شيخ الإسلام: «المقصود هنا بيان حال العبد المحض للّه الذي يعبده ويستعينه فيعمل له ويستعينه ويحقق قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ توحيد الإلهية وتوحيد الربوبية، وإن كانت

الإلهية تتضمن الربوبية، والربوبية تستلزم الإلهية، فإنَّ أحدهما إذا تضمن الآخر عند الانفراد لم يمنع أن يختص بمعناه عند الاقتران كما في قوله: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾، وفي قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، فجمع بين الاسمين اسم الإله واسم الرب فإنَّ الإله هو المعبود الذي يستحق أن يعبد، والرب هو الذي يربي عبده فيدبره.

ولهذا كانت العبادة متعلقةً باسمه اللّه، والسؤال متعلقًا باسمه الرب، فإنَّ العبادة هي الغاية التي لها خلق الخلق، والإلهية هي الغاية، والربوبية تتضمن خلق الخلق وإنشاءهم فهو متضمن ابتداء حالهم، والمصلي إذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ فبدأ بالمقصود الذي هو الغاية على الوسيلة التي هي البداية، فالعبادة غاية مقصودة، والاستعانة وسيلة إليها، تلك حكمة، وهذا سبب»[(١)].

وقال ابن القيِّم: «فإنَّ الربَّ هو القادر الخالق البارئ المصوِّر، الحيُّ القيُّوم، العليم السميع البصير، المحسن المنعم الجواد، المعطي المانع، الضارُّ النافع، المقدِّم المؤخِّر، الذي يُضِلُّ من يشاء ويهدي من يشاء، ويُسعد من يشاء ويُشقي من يشاء، ويُعِزُّ من يشاء ويُذِلُّ من يشاء، إلى غير ذلك من معاني ربوبيته التي له منها ما يستحقُّه من الأسماء الحسنى»[(٢)].

بينما الألوهية مشتقَّةٌ من لفظ «**الإله**»، وقد جاءت مستعمَلةً في فهم السلف على كلِّ معبودٍ حقًّا كان أو باطلًا، لذلك جاءت كلمة الإخلاص والتوحيد تنفي استحقاقَ المعبودات الباطلة للعبادة وتحصر

(١) مجموع الفتاوى ١٠/٢٨٣ ـ ٢٨٤.
(٢) بدائع الفوائد ٢/٧٨٢.

استحقاقَ العبادة للّه تعالى، قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإنَّ الإله هو المألوه، والمألوه هو الذي يستحقُّ أن يُعْبَد، وكونه يستحقُّ أن يُعْبَد هو بما اتَّصف به من الصفات التي تستلزم أن يكون هو المحبوبَ غايةَ الحبِّ المخضوعَ له غايةَ الخضوع»[1]، وقال ابن القيِّم: «فإنَّ الإله هو الذى تألهه القلوب: محبَّةً وإنابةً وإجلالًا وإكرامًا وتعظيمًا وذلًّا وخضوعًا وخوفًا ورجاءً وتوكُّلًا»[2].

ومما يفترق به المعنيان أن معنى الرب اشتق منه العلماء توحيد الربوبية ومعنى الإله اشتق منه العلماء معنى الألوهية، ولهذا فإن توحيد الربوبية علميٌّ اعتقاديٌّ، وأما توحيد الألوهية فهو عمليٌّ، فمتعلق الإيمان بتوحيد الربوبية هو الاعتقاد ومتعلق الإيمان بتوحيد الألوهية هو العمل، وتوحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية فمن أقرَّ بتوحيد الربوبية وجب عليه أن يخلص العبادة للّه فمن الناس من استجاب وأخلص العبادة للّه ومن الناس من أشرك مع اللّه غيره وعبد مع اللّه آلهة أخرى، ولكن من أتى بتوحيد الألوهية والعبادة فإنه بلا ريب يؤمن بتوحيد الربوبية.

والذي أقر بتوحيد الربوبية فإنَّه يفرد اللّه تعالى بالخلق والتدبير والرزق والإحياء والإماتة وغيرها من معاني الربوبية، وأما من أقر بتوحيد الألوهية فإنه يستجيب للّه ولرسوله ويمتثل الأوامرُ والنواهي فيعبد اللّه وحده لا شريك له متبعًا رسوله ﷺ.

فتوحيد الربوبية هو: توحيد اللّه بأفعاله سبحانه كالخلق والتدبير والتصوير والرزق، وأمَّا توحيد الألوهية فهو: توحيد اللّه بأفعال العباد فيجب على كل عبد أن يخلص جميع عباداته للّه تعالى من الدعاء

(١) مجموع الفتاوى ٢٤٩/١٠.

(٢) إغاثة اللهفان ٢٧/١. وانظر: مدارج السالكين ٣٢/١.

والخوف والرجاء والتوكل والرغبة والرهبة والخشوع ولا يصرف شيئا منها لغير اللّه تعالى.

ولهذا صار توحيد الربوبية الذي أقرَّ به معظم المشركين لا يُدخل من آمن به الإسلامَ، ولا ينجيه من الشرك، بخلاف توحيد الألوهية وهو ما أنكره المشركون فإنَّ الإيمان به يُدخل في الإسلام. قال تعالى: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ۝٢ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ ۝٣ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ۝٤ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ۝٥ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ۝٦﴾ [ص].

وقال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ: «فاعلم أنَّ الربوبية والألوهية يجتمعان ويفترقان؛ كما في قوله: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾ [الناس]، وكما يقال: رب العالمين، وإله المرسلين، وعند الإفراد يجتمعان، كما في قول القائل: من ربك. مثاله الفقير والمسكين نوعان في قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾ [التوبة: ٦٠]، ونوع واحد في قوله: «افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد إلى فقرائهم»[(١)]، إذا ثبت هذا فقول الملكين للرجل في القبر: من ربك؟ معناه من إلهك؛ لأنَّ الربوبية التي أقرَّ بها المشركون ما يمتحن أحد بها، وكذلك قوله: ﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ﴾ [الحج: ٤٠]، وقوله: ﴿قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي رَبّٗا﴾ [الأنعام: ١٦٤]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ [فصلت: ٣٠] [الأحقاف: ١٣] فالربوبية في هذا هي الألوهية، ليست قسيمةً لها كما تكون قسيمةً لها عند الاقتران، فينبغي التفطن لهذه المسألة»[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٩٦)، ومسلم (١٩).

(٢) الرسائل الشخصية، مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ ١٧/٦.

ويقال للكاتب وأمثاله: إنَّ أسماء اللّه أعلامٌ وأوصافٌ، فهي باعتبار دلالتها على الذات أعلامٌ، وباعتبار دلالتها على المعاني أوصافٌ، وهي بالاعتبار الأول مترادفةٌ؛ لدلالتها على مسمّى واحد وهو اللّه ﷻ، وبالاعتبار الثاني متباينةٌ؛ لدلالة كل واحد منها على معناه الخاص، فالرب الخالق العليم السميع البصير الأحد الصمد كلها أسماءٌ لمسمّى واحدٍ وهو اللّه ﷻ، لكن معنى الرب غير معنى السميع، ومعنى السميع غير معنى البصير، ومعنى البصير غير معنى الأحد، وهذا أمرٌ ظاهرٌ لا خفاء فيه.

والكاتب وأمثاله ممن يقرر هذا المعنى الفاسد وهو قولهم: الإله هو الرب، والرب هو الإله، لم يقصدوا بهذا الترادف من حيث دلالةُ الاسمين على مسمّى واحدٍ، وهو اللّه ﷻ، وإنَّما قصدوا أن معنى لفظ الإله مطابق لمعنى لفظ الرب والعكس كذلك.

فلم يميزوا بين معنى الإله ومعنى الرب وجعلوا المعنيين معنىً واحدًا. ليتم لهم مقصودهم من عدم تأثير صرف العبادة لغير الله ما لم يعتقد في المصروف إليه العبادة أنه ربٌّ خالقٌ!!

والكاتب زعم أنَّ المشركين لا يقدرون على إثبات صحة ما نسبوه لآلهتهم، فمرة قال من صفات الربوبية، ومرة قال عنهم: **[فلا يستطيعون أن يبرهنوا صحة ما ينسبونه لآلهتهم من صفات استحقاق العبودية [الألوهية]. . .]**.

وهو يتهم أهل السنة بأن فهمهم غير صحيح، وأنهم أهل توهم وتعجل وغلط شنيع، ولديهم خلل واستدلالهم متهافت. . . لكن بعد إيضاح كلامه وفهمه سيظهر من هو الحقيق بتلك الصفات.

الوجه الثالث عشر: لو كان ما ادعاه الكاتب أن (الرب هو الإله

والإله هو الرب)؛ للزم من ذلك أنَّ من قال: لا خالق إلا اللّه أو قال: لا رب إلا اللّه، ـ يكون بزعمه ـ قال كلمة تغنيه عن قول لا إلٰه إلا اللّه!

وبإجماع المسلمين أنها لا تغنيه ولا تكفي في دخوله للإسلام، وليس هذا من الذكر المشروع؛ فعلم المسلمون أن بين الكلمتين بونا شاسعاً.

الوجه الرابع عشر: يقال للكاتب: إن اعتقاد الربوبية في المخلوقات هو شرك مستقل، سواء صاحب ذلك عمل من قول أو فعل أم لم يصاحبه.

فمن جعل للّه شريكًا في الخلق والرزق والتدبير فهو مشرك، حتى لو لم يصرف لذلك عبادة.

وعلى هذا فتكون الآيات والأحاديث المبينة للأفعال الشركية والأقوال الشركية لا فائدة منها؛ لأن المعول عليه هو اعتقاد الربوبية وهو أمرٌ خفيٌّ يكون في القلب، ولا شك أن هذا مخالف للنصوص الدالة على وقوع من فعل تلك الأفعال في الشرك.

ووجود اعتقاد بعض صفات الربوبية في المعبود من دون اللّه أمر غير مستبعد لكن صاحبه لا يمكن أن يَثْبتَ اعتقادُه إلا بقول أو فعل، وهذا الاعتقاد الكفري لا ينفي أنّ الشرك صدر منه بقوله أو بفعله وهذا الذي عليه المعوَّل.

الوجه الخامس عشر: المعروف من سنة النبي ﷺ أنه قاتل المشركين في بدر وأُحُد ويوم الأحزاب وغيرها، وحكم عليهم بوصف الشرك، ومعلومٌ أنه عاملهم بما ظهر منهم، والذي يظهر هو الأفعال وليس الأمور الباطنة من الاعتقادات مع أنه لا يشك عاقل في ارتباط

الظاهر بالباطن[١]، قال اللّه تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ﴾ [البقرة: ١٩٣].

الوجه السادس عشر: أنَّ كثيرًا ممن وقع في الشرك في العبادة جرَّه ذلك إلى الغلو في المخلوق حتى وقع كثيرون في الشرك في الربوبية، وقد تقدم ذكر أمثلة من شرك المتأخرين في الربوبية.

الوجه السابع عشر: أنَّ اللّه تعالى يذكر في كتابه سبب وقوعهم في الشرك وهو الغلو ويبين حال المخلوق وعجزه وفقره كما يبيِّن سبحانه كماله وغناه وقيوميَّته ونحو ذلك مما يوضح أنَّ شركهم كان في الألوهية.

الوجه الثامن عشر: أمَّا النصوص الواردة في لفظ الرب وأنه هو الإله، فغاية ما تفيد هذه الآيات والأحاديث أنه عند إفراد الربوبية يدخل فيها توحيد الألوهية، ولا تفيد حصر التوحيد في الربوبية فقط، فإن هناك أدلة صريحة تدل على توحيد الألوهية أيضًا.

وفيها تقرير المشركين باعترافهم بتوحيد الربوبية ليقروا بتوحيد الألوهية وليفردوه بالعبادة، فإن الإقرار بتوحيد الربوبية يوجب الإقرار بتوحيد الألوهية عند من له عقل سليم، وفهم مستقيم، فيكون الاعتراف المذكور حجة عليهم، قال تعالى: ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٣١﴾ [يونس]، وقال: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨٤ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٨٥ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ٨٦ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٨٧ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ

(١) أي في اعتقاد الألوهية للمعبودات وليس في اعتقاد ربوبيتها فحسب.

مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [المؤمنون].

وفي قوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١] حجة مستقلة، لأنه من المعلوم أن أهل الكتابين لم يقولوا: إن أحبارهم ورهبانهم يخلقون ويرزقون ونحو ذلك، وإنما كان شركهم في تحليل الحرام وتحريم الحلال.

وأيضًا فقد تقدم(١) أنَّ الرب والإله يجتمعان ويفترقان.

فإن اللّه ربنا وحده، ليس لنا رب غيره، وهو معبودنا، ليس لنا معبود سواه، فقول المشغبين على أهل السنة والجماعة: (ليس الرب غير الإله) ينبغي أن يوضح المراد في المخاطب؛ فلا شك أن الإله الحق هو الربُّ جلَّ جلاله في واقع الأمر.

ولا شكَّ أيضًا أن الإله الحق هو الرب في اعتقاد الموحدين المؤمنين.

وأما في اعتقاد المشركين؛ فهل الإله الحق هو الرب نفسه، فهذا هو محل النزاع مع هذا الكاتب، وهو نزاع بين أهل السنة وبين أهل الكلام والمبتدعة من القبوريين، فإن الإله الحق ـ في نفس الأمر واعتقاد الموحدين ـ هو الرب نفسه، إلا أنَّ المشركين كانوا يتخذون غير اللّه آلهة مع اعترافهم بأن اللّه هو الرب الخالق المدبر، كما قال تعالى عنهم: ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾﴾ [ص]، فالمشركون يعترفون بأنه الخالق ولكنهم يستنكرون إفراده بالعبادة وترك عبادة ما سواه. وبهذا

(١) ص٢١٧ ـ ٢١٩.

يُعْلم أنه لا يصح قول هؤلاء المشغبين من المبتدعة ـ الذي سبق ذكره ـ إذا أرادوا هذا المعنى الباطل.

والكلام إنما هو مع المخاطبين من المسلمين ومن غيرهم، فيبين لهم واقع المشركين وتناقضهم؛ فإنهم يقرون بربوبيته ويعبدون معه غيره.

فلا يورد جاهل إيرادًا ويقول: كيف يقر بربوبيته ولا يعبده؟

فيقال له: نعم هذا الذي يُلْزِمُ المشركَ ويخنقه ولا يستطيع دفعه وتجاهله، فهو يعرف في قرارة نفسه أنَّ للكون خالقًا رازقًا مدبرًا مالكًا ثم يتجه إلى غيره لأسباب كثيرة، وهذا البلاء الذي أوقعه في الكفر والشرك، وأوجب له الخلود في النار إن لم يتب ويوحد اللّه تعالى وينقاد لدينه وشرعه.

الوجه التاسع عشر: أنَّ هذا الباطل الذي قرره الكاتب هو بسبب علم الكلام المذموم، فالمتكلمون ضلّوا في التوحيد وظنوا أنَّ الغاية التي خلق لأجلها الخلق هي توحيد الربوبية وغفلوا عن توحيد العبادة، حتى وقع كثير منهم في صرف العبادة لغير اللّه، وتأمل قول اللّه تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ﴾ [الأنعام: ١٠٢] ففيها دلالة واضحة على الفرق بين الخبر والأمر، فالخبر هو قوله ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ والأمر هو قوله ﴿فَٱعۡبُدُوهُۚ﴾ ولو كان الأول محلَّ إنكار منهم لما كان السياق على هذا الوجه.

قال أبو جعفر ابن جرير الطبري: «يقول تعالى ذكره: الذي خلق كل شيء وهو بكل شيء عليم، هو اللّه ربكم، أيها العادلون باللّه الآلهة والأوثان، والجاعلون له الجن شركاء، وآلهتكم التي لا تملك

نفعًا ولا ضرًّا، ولا تفعل خيرًا ولا شرًّا ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾، وهذا تكذيبٌ من اللّه جل ثناؤه للذين زعموا أن الجن شركاء اللّه. يقول جل ثناؤه لهم: أيها الجاهلون، إنه لا شيء له الألوهية والعبادة، إلا الذي خلق كل شيء، وهو بكل شيء عليم، فإنه لا ينبغي أن تكون عبادتكم وعبادةُ جميع من في السمٰوات والأرض إلا له خالصة بغير شريك تشركونه فيها، فإنه خالق كل شيء وبارئه وصانعه، وحق على المصنوع أن يفرد صانعه بالعبادة ﴿فَٱعۡبُدُوهُۚ﴾، يقول: فذِلُّوا له بالطاعة والعبادة والخدمة، واخضعوا له بذلك»[1].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «فليس كل من أقرَّ أن اللّه رب كل شيء وخالقه يكون عابدًا له دون ما سواه، داعيًا له دون سواه، راجيًا له خائفًا منه دون ما سواه، يوالي فيه، ويعادي فيه، ويطيع رسله، ويأمر بما أمر به، وينهى عما نهي عنه.

وقد قال تعالى ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ﴾ [الأنفال: ٣٩]، وعامة المشركين أقروا بأن اللّه خالق كل شيء وأثبتوا الشفعاء الذين يشركونهم به وجعلوا له أندادًا، قال تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ ٤٣ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ﴾ [الزمر: ٤٣ ـ ٤٤]، وقال تعالى: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١٨﴾ [يونس]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَتَرَكۡتُم مَّا خَوَّلۡنَٰكُمۡ وَرَآءَ ظُهُورِكُمۡۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمۡ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ أَنَّهُمۡ فِيكُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيۡنَكُمۡ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ٩٤﴾ [الأنعام]، وقال تعالى ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن

---

(١) جامع البيان ٩/٤٥٨.

يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، ولهذا كان من أتباع هؤلاء من يسجد للشمس والقمر والكواكب، ويدعوها كما يدعو اللّه تعالى، ويصوم لها، وينسك لها، ويتقرب إليها، **ثم يقول: إن هذا ليس بشرك: وإنما الشرك إذا اعتقدت أنها هي المدبرة لي، فإذا جعلتها سببًا وواسطة لم أكن مشركًا، ومن المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام أن هذا شرك**، فهذا ونحوه من التوحيد الذي بعث اللّه به رسله، وهم لا يدخلونه في مسمى التوحيد الذي اصطلحوا عليه، وأدخلوا في ذلك نفي صفاته»[(١)].

الوجه العشرون: أن اللّه سبحانه حكى أقوال الكفار وشبهاتهم ونقضها، ولم يذكر اللّه تعالى عنهم أنهم يقولون: إنَّ معبوداتنا خلقت أو شاركت في الخلق!

فقد ذكر اللّه سبحانه في سورة الأنعام والأعراف ويونس والرعد وإبراهيم والنحل والإسراء والفرقان وغيرها قول الكفار مثل قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾﴾ [الأنعام].

ولو كان اعتقادهم أنها خالقة أو شاركت في الخلق لحكاه اللّه عنهم؛ كما حكى مقولاتهم الكثيرة، فانظر إلى هذه الآيات وما تضمنته من سياق عقائد المشركين:

﴿وَقَالُوٓا۟ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنعام].

﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الأنعام].

---
(١) درء تعارض العقل والنقل ٢٢٧/١.

﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍۗ﴾ [الأنعام].

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۗ﴾ [الأنعام].

﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الأنعام].

﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ﴾ [الأنعام].

﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍۚ﴾ [الأنعام].

﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأعراف]، فرد عليهم فيما قالوا فيها قولًا باطلًا وسكت عن الثاني لصحته..

﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَاۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾ وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَاۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾﴾ [الأنعام].

﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٧٠﴾ [الأعراف].

﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ١٣٨﴾ [الأعراف].

﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحٗا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١٩٠ أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ١٩١ وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ لَهُمۡ نَصۡرٗا وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ١٩٢﴾ [الأعراف].

﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ﴾ [الأعراف: ١٥-١٦].

﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١٨﴾ [يونس].

﴿وَيَقُولُونَ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ فَقُلۡ إِنَّمَا ٱلۡغَيۡبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ٢٠﴾ [يونس].

﴿قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ٣٤﴾ [يونس].

﴿قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ﴾ [يونس: ٦٨].

﴿وَلَئِن قُلۡتَ إِنَّكُم مَّبۡعُوثُونَ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡمَوۡتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ٧﴾ [هود].

﴿أَن يَقُولُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٞۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ ١٢ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ

مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾﴾ [هود].

﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾﴾ [الرعد].

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾ [الرعد: ٧].

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾﴾ [الرعد].

﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الرعد].

﴿قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ [إبراهيم].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [النحل].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾﴾ [النحل].

﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [النحل].

﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ شُرَكَآءَهُمْ قَالُواْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُواْ مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْاْ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [النحل].

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى

يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [النحل].

﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الإسراء].

﴿إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ [الإسراء: ٤٧].

﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾﴾ [الإسراء].

﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾﴾ [الإسراء].

﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾﴾ [الفرقان].

﴿۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ لَقَدِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ وَعَتَوۡ عُتُوّٗا كَبِيرٗا ٢١﴾ [الفرقان].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ٣٢ وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا ٣٣﴾ [الفرقان].

فهذه الآيات ونظائرها كثير في كتاب اللّه تعالى وهو أمر محكم واضح بيّن في كتاب اللّه تعالى، لم يحك اللّه عنهم ولا في موضع واحد أنهم قالوا: هناك من يشارك اللّه في الخلق والرزق والتدبير!

وعلى المسلم أن يتدبرها مرة بعد مرة، وينظر في تفاسير السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأتباعهم الذين شهد لهم النبي ﷺ بالخيرية؛ فلن يجد أحدًا يقول بما يدعو إليه الكاتب وأمثاله.

➢ أمر جلل وقع فيه الكاتب:

قول الكاتب ص ٢٢: [**ولو أن المشركين لا يرون تلازمًا بين الربوبية والألوهية لكانوا عندما كرر اللّه عليهم الاحتجاج بأنهم ضالون ظالمون بعبادة من لا يخلق ولا يرزق ولا يدبر قد قالوا في رد حجة اللّه عليهم: ومن قال إن الألوهية عندنا لا تصلح إلا للرب؟ ومن ذا الذي يوجب علينا أن لا نؤله بالعبادة إلا الخالق المالك الرازق ذا السلطان المطلق في خلقه**].

والرد عليه:

أن الله تعالى بيّن حال المشركين واعتقادهم وما قالوه للرسل عليهم الصلاة والسلام، فإن المشركين معترفون بأن الله خالقهم وإذا دُعوا إلى عبادته وحده نفروا ، وأبوا، وقالوا كيف نجعل المعبود

واحدًا كيف تصرفنا عن عبادة غيره قال تعالى عنهم: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ﴾، ﴿أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا﴾ ونظائرها كثير فهم يعتقدون الألوهية للخالق ولغيره من الوسائط والشفعاء فقول الكاتب عن المشركين:

فقول الكاتب عن المشركين: [ولو أن المشركين لا يرون تلازمًا...] إلخ،هذا القول من الكاتب يُبيّن أنه لم يفهم معنى الآيات الكثيرة التي وضحت حقيقة حال المشركين.

فإن اللّه تعالى وضّح أنهم عبدوا غيره، مع قولهم: إن اللّه خلقهم ورزقهم.

وقول الكاتب: **[لا يرون تلازمًا بين الربوبية والألوهية... ومن قال إن الألوهية عندنا لا تصلح إلا للرب؟]**.

معنى هذا أن الكاتب يعتقد أن الربوبية والألوهية شيء واحد، وهذا سبق بيان خطأه وضلاله فيه عدة مرات، وكررته لأجل إيضاح أنَّ تقسيمه التوحيد في أول الكتاب إلى ثلاثة أقسام لا يستقيم مع ما ذكره في مواضع من كتابه.

وقوله في سياق حجة المشركين: **[ومن قال إن الألوهية عندنا لا تصلح إلا للرب؟]** معنى هذا أنهم يقولون: إن الألوهية تصلح للرب وتصلح أيضًا لمن ليس برب فلا تلومونا إذا صرفنا الألوهية لمن ليس برب!! فاعترف الكاتب أنهم يصرفون الألوهية لغير معنى الربوبية وهذا مما يؤكد فساد تصوره، وبطلان دعواه اعتقادهم التلازم بين الربوبية والألوهية.

قال تعالى: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ۝٤ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ

ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ﴾ [ص: ٤ ـ ٦] فصرحوا أن الألوهية وهي العبادة أنها تصرف في اعتقادهم للّه ولغيره من معبوداتهم، ولم يقولوا إن الربوبية للّه ولغيره.

وتأمل هذه الآية وأعد النظر في معناها مرة بعد مرة ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس: ١٨].

أليس في قولهم عن المعبودات الباطلة: (شفعاؤنا) أوضح دليل أنهم لا يعتقدون ربوبيتهم؛ وإلا لوصفوهم بأعلى وصف يستحقونه وهو أنهم أرباب أو نحوه، فكيف يصفونهم بوصف هو أقل، وهو أنهم شفعاء والشفيع طالب محتاج سائل متجه إلى من يرجو منه قبول الشفاعة، فهذا حال المشركين واعتقادهم فيمن عبدوهم، وسمى اللّه تعالى فعلهم عبادة لغيره؛ فقال: ﴿وَيَعۡبُدُونَ﴾، ووصفهم بالشرك في قوله: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾.

ومثلها قوله تعالى: ﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۚ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴿١٤﴾﴾ [الرعد]؛ فبين تعالى أنه المستحق لدعوة الحق وأن الذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء وأن دعوة غيره ضلال، والضلال ضد الهدى، وكفرهم بذلك، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون] فكفّر من يدعو غيرَه في هاتين الآيتين.

وقوله تعالى ﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۚ﴾؛ يستفاد منه أن الدعوة هي فعل العبد وعمله، وأنه يجب أن يصرفه للّه، وليس هو مجرد اعتقاد الربوبية؛ ولهذا جاء في الآية نفسها قوله: ﴿لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم﴾، والاستجابة إنما تكون للدعاء الذي هو فعل العبد.

كما يستفاد من الآية الكريمة أن اللّه ﷻ هو أهل أن يُعبد وحده ويُدعى وحده ويُقصد ويُشكر ويُحمد ويُحب ويُرجى ويُخاف ويُتوكل عليه ويُستعان به ويُصمد إليه، فتكون الدعوة الإلهية الحق له وحده، ومن قام بقلبه بهذا معرفة وذوقًا وحالًا صح له مقام التبتل والتجريد المحض، وقد فسر السلف دعوة الحق بالتوحيد، والإخلاص فيه، والصدق، ومرادهم هذا المعنى، فقال علي رضي الله عنه: «﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ﴾ التوحيد»، وقال ابن عباس: «**شهادة أن لا إلٰه إلا اللّه**»، وقيل الدعاء بالإخلاص، والدعاء الخالص لا يكون إلا للّه، ودعوة الحق: دعوة الإلهية، وحقوقها، وتجريدها، وإخلاصها[1].

قال الشيخ عبد الرحمٰن بن حسن:

«**قوله**: ﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ﴾ يفيد الحصر؛ أي: فدعوة الحق له لا لغيره، فدعوة غيره ليست من الحق في شيء، وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾، فهذا الاسم لا يستعمل إلا في حق من يعقل، كما هو معروف عند النحاة، وقوله: ﴿لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم﴾، فيه دليل على أن المراد دعاء المسألة، فأخبر سبحانه أنهم لو دعوهم فإجابتهم لهم فيما سألوهم ممتنعة منتفية بالكلية، وقوله: ﴿إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ﴾؛ لأنهم لم يجدوا مما طلبوه وأملوه منهم شيئًا، وبين تعالى أن دعوة غيره كفر وضلال.

وهذه الآية وأمثالها تقطع كل من دعا غير اللّه، من ميت أو غائب ولهذا أعدت الاستدلال بها، فإن أصل دين الإسلام أن لا يعبد إلا اللّه، وأن لا يعبد إلا بما شرع، لا بالأهواء والبدع، وليس في

(١) انظر: مدارج السالكين ٢/٢٩.

الصحابة والتابعين وأتباعهم والأئمة من أجاز أن يسأل ميت أو غائب من دون اللّه؛ لأنه لا قدرة له على شيء من أمر الدنيا، ولا من أمر الآخرة، مع غفلتهم وعدم استجابتهم لمن دعاهم، وكراهتهم لذلك، وقد تقدم التصريح بذلك في الآيات المحكمات، ولم ينقل عن أحد من علماء الصحابة والتابعين والأئمة أنه استغاث بنبي أو غيره، أو استشفع به بعد وفاته»[(١)].

وإذا أعدت التأمل في كلام الكاتب وجدته، وكأنه يقول: لو قلتم كذا لكان هذا جوابًا سديدًا لكم!!

فانظر إلى عظم وفداحة ما وصل إليه حال الكاتب ولا حول ولا قوة إلا باللّه.

وعلى كلامه هذا هو يرد على عشرات بل مئات من أهل العلم من المفسرين من الصحابة والتابعين وأئمة التفسير، ويجعلهم على طريقة فاسدة، ويظن أنهم يروجون لشبهة المشركين ولم يجيبوا عنها، بل كلامه هذا هو اعتراض على صريح القرآن والسنة.

ثم قال الكاتب ص٢٢: **[لو كانت العبادة عند المشركين لا تستلزم إثبات ربوبية للمعبود لن يكون في إثبات انفراد اللّه تعالى بالربوبية ما يُلزمهم بإفراده تعالى بالعبادة]**.

الرد عليه:

هذا قلب للمعاني! لأن إثبات انفراد اللّه بالربوبية أوضح دليل على وجوب إفراده بالعبادة! والمشركون صرفوا العبادة لغيره مع إقرارهم أنه انفرد بالربوبية، ولم يقل المشركون ولا مرة واحدة إن

(١) كشف ما ألقاه إبليس من البهرج والتلبيس ص ١٦٦.

معبوداتهم خلقتهم أو رزقتهم أو تدبر شؤونهم، مع أنهم يتوجهون لها بالعبادة.

فالعبادة لغير اللّه ـ عند المشركين ـ لا تعني أن من عبدوهم يعتقدون أنهم خلقوهم، وعبادة غير اللّه عند المشركين لا تستلزم إثبات ربوبية للمعبود، فهم لا يعتقدون أن معبوداتهم كاللات وهبل ومناة ربٌ لهم خالقة لهم رازقة لهم.

وهذا أمر أجمع عليه أهل العلم والإيمان.

ويُطالَبُ الكاتبُ ومن كان مثله أن يأتوا بدليل واحد يثبت أن المشركين يقولون: إن الآلهة كاللات والعزى ومناة خلقتنا ورزقتنا!

وقول الكاتب: **[لن يكون في إثبات انفراد اللّه تعالى بالربوبية ما يُلزمهم بإفراده تعالى بالعبادة]**.

يجاب عنه فيقال: بلى؛ فإن فيه الإلزام الواضح لهم بأنهم عبدوا ما هم يعرفون تمام المعرفة أنه ليس فيه صفة الربوبية، وأنَّ ذلك كلَّه مختص باللّه؛ فصرف العبادة لغيره سبحانه مناقضة وضلال واضح منهم.

وإني أتعجب كيف انقلبت عند الكاتب المفاهيم، فسبحان اللّه ما أعظم شأنه!

➢ تلخيص شبهات الكاتب من الصفحة ١٩ إلى الصفحة ٣٠:

[الإقرار بالربوبية والألوهية شيء واحد ولا فرق بينهما وكفار قريش وأشباههم لا يقرون بانفراد اللّه بالربوبية ويعتقدون أن معبوداتهم تخلق وتدبر الأمر فجاءت الرسالة المحمدية إليهم بدعوتهم بإفراد اللّه بالربوبية] ويزعم أن معنى الإله هو الخالق، وأن المشركين قد ادعوا

في المعبودات الباطلة أنها خالقة، وأنهم لمّا عجزوا عن إثبات أن أصنامهم خالقة بَطَل تأليهها أي اعتقاد أنها خالقة!

ويريد أن يتوصل بذلك إلى أن معنى العبادة هي إفراد اللّه بالربوبية، وأنه لا يكون الشرك في العبادة إلا إذا جعلت مع اللّه خالقا آخر. وأما عبادة المعبودات من دون اللّه بالسجود والركوع والدعاء والذبح مع عدم اعتقاد أنها خالقة فهذا غير مؤثر عند الكاتب!!

فقد زعم الكاتب في ص١٩ ـ ٢٠ أن أهل السنة يقولون عن المشركين: إنهم موحدون في الربوبية، ويقرر في ص٢١ تقريرًا باطلًا أن الإله عند المشركين هو من كانت فيه صفات الربوبية، ويقول: **[عند المشركين قدر من الإقرار بالربوبية للّه].**

ثم يدعي أن الإشكال الذي أوجب كفر الكافرين وشرك المشركين هو أنهم لا يقدرون على الإتيان بدليل على أن معبوداتهم تخلق وترزق فيقول في ص ٢١: **[لا يستطيع المشركون إثبات خصائص الربوبية لمعبوداتهم]**... **[ولذلك صار يلزم المشركين ألا يتخذوا إلها دون اللّه لعدم الدليل على ألوهيته].**

وفي ص٢٢ يدعي أن المشركين يجعلون بين الربوبية والألوهية تلازمًا أي أنهما شيء واحد ولو كانوا لا يعتقدون ذلك التلازم لردوا حجة اللّه تعالى عليهم فسيقولون: **[ومن قال إن الألوهية عندنا لا تصلح إلا للرب، ومن ذا الذي يوجب علينا ألا نؤله بالعبادة إلا الخالق].**

وفي ص٢٢: يجعل العبادة عند المشركين تستلزم اعتقاد انفراد المعبود بالربوبية، ولم يجد الكاتب من كلام اللّه تعالى ما يحتج به

على باطله فذهب يبحث عن بعض العبارات في كتب المفسرين مع أنها لا تساعده على تقريراته الباطلة.

ومن ذلك أنه نقل كلام الطبري من ص٢٢ إلى ص٢٤ وادعى أنَّ الطبري يقرر أن حجة المشركين في عبادتهم لغير اللّه هو: **[اعتقادهم أنها خلقت أو شاركت في الخلق]**، ثم قال الكاتب: **[فهنا يبين الطبري أن حجة المشركين على عبادة آلهتهم منحصرة في شيء واحد وهو اعتقادهم أنها خلقت أو شاركت في الخلق، وأن اللّه تعالى ببيانه أنه لا خالق غيره قد ألزمهم بعدم تأليهها [بعدم عبادتها]** ولو كانت العبادة لا علاقة لها بالربوبية كما يزعم المخالفون لسقطت هذه الحجة من أساسها عند الطبري وعند الناس كلهم... سواكم].

وفي ص٢٥ يزعم أن المشركين لهم أن يوردوا هذا الإيراد وهو: **[من قال إنَّ الإله لا يمكن أن يكون إلا من يخلق وينشئ بقدرته مثل السمٰوات والأرض؟]**، ثم يقول الكاتب: **[لو كانوا لا يقرون بأن الألوهية تستوجب الربوبية بالخلق والرزق والتدبير فكيف ستقوم عليهم الحجة بهذا الاحتجاج القرآني؟]**[1]، **[وبعبارة أخرى لو قالوا لا يلزم من عبادة غير اللّه أن يكون لغيره شيء من خصائص الربوبية؟ ما وجه الحجة عليهم بهذه الحجج الإلهية التي هي من أكثر حججه تعالى على المشركين تكرارًا وأقواها ظهورًا في إيجاب إفراد اللّه بالعبادة؟]**[2].

---

(١) أهل العلم يقررون بأن من أقر بالألوهية أقر بالربوبية؛ لأن الألوهية تتضمن الربوبية بخلاف العكس، وهو الإقرار بالربوبية لا يتضمن الإقرار بالألوهية بل يستلزمها، وقد تم الإشارة إلى تكرر تصرف الكاتب في هذه القضية عند قول الكاتب (ولو كانت العبادة لا علاقة لها بالربوبية) بعد عدة صفحات.

(٢) القرآن من أوله إلى آخره يأمرهم بعبادة اللّه وحده وإبطال عبادة غيره، وإذا=

ثم ساق مواضع من كلام الطبري وقال بعده: [**فهنا يبيِّن الطبري أنَّ حجة المشركين على عبادة آلهتهم منحصرة في شيء واحد وهو اعتقادهم أنها خلقت أو شاركت في الخلق، وأن اللّه تعالى ببيانه أنه لا خالق غيره قد ألزمهم بعدم تأليهها [بعدم عبادتها]** ولو كانت العبادة لا علاقة لها بالربوبية كما يزعم المخالفون لسقطت هذه الحجة من أساسها عند الطبري وعند الناس كلهم. . . سواكم] وكذلك نقل قول الطبري في تفسير قوله تعالى: [﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [هود] يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: (قل)، يا محمد ﴿هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم﴾، يعني من الآلهة والأوثان ﴿مَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾، يقول: من ينشئ خَلْق

= نهاهم اللّه عن عبادة غيره فلا يتضمن ذلك أنهم يقولون بربوبية ذلك الغير، (فلو قال المشركون: نحن عبدنا الأصنام وهي ليست خالقة ورازقة ولا مدبرة، فكيف تنكرون علينا عبادتها) فالرد عليهم والحجة تقوم عليهم بإقرارهم أن غير اللّه لا يخلق ولا يرزق فلأي شيء عبدوه وما دمتم تعترفون بذلك فكيف تعبدون غير الله!! إن معبوداتكم لم تخلقكم ولم ترزقكم وليست ذا فضل ومنة عليكم ولا تملك نفعًا ولا ضرًّا ولا تسمع ولا تستجيب، بل هي موات وجماد وعاجزة، وأعظم ما يتشبث به المشركون أن معبوداتهم لها مكانة عند اللّه وتقربهم إلى اللّه زلفى وتشفع لهم عند اللّه فأبطل اللّه ذلك في كتابه وبين أن الشفاعة له وحده.

وهل إقرارهم بأنها ليست خالقة ولا مدبرة إلا أعظم برهان وحجة على أن المشركين عبدوا من دون اللّه ما ليس لهم به من سلطان ولا برهان ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الحج: ٧١] ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون] فصرح بأنه لا برهان لهم.

والرد عليه من وجوه أخرى غير ما تقدم منها أن المشركين لم ينسبوا لآلهتهم شيئًا من الخلق مطلقًا، وليس عندهم دليل على الأسباب الأخرى التي يدَّعونها لاستحقاق أصنامهم العبادة كالشفاعة والتقليد، فالحجة قامت عليهم من وجوه عديدة عقلية وسمعية وفطرية فمن جهة اعترافهم بأنَّ اللّه منفرد بالربوبية كما أجابوا على الأسئلة باسمه العلم (الله)، ومع عدم نسبة شيء منها لأصنامهم، ومن جهة عدم الدليل على أسباب الاستحقاق الأخرى التي ادَّعَوها.

شيء من غير أصل، فيحدث خلقَه ابتداءً ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾، يقول: ثم يفنيه بعد إنشائه، ثم يعيده كهيئته قبل أن يفنيَه، فإنهم لا يقدرون على دعوى ذلك لها. وفي ذلك الحجة القاطعة والدِّلالة الواضحة على أنهم في دعواهم أنها أربابٌ، وهي للّه في العبادة شركاء، كاذبون مفترون، فقل لهم حينئذ يا محمد: اللّه يبدؤ الخلق فينشئه من غير شيء ويحدثه من غير أصل، ثم يفنيه إذا شاء، ثم يعيده إذا أراد كهيئته قبل الفناء ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾، يقول: فأيّ وجه عن قصد السبيل وطريق الرُّشد تُصْرَفون وتُقْلَبُون.].

يجب على كل مسلم أن يكون ناصحًا للّه ولكتابه ولرسوله ﷺ وللمسلمين عامة.

وينبغي أن يعرف حال دعاة الشرك والخرافة، فإنَّهم في عمًى وتناقض عجيب جدًّا، ويدور أمرهم على قضيتين:

الأولى: أنَّهم يزعمون أنَّ الكفار ومشركي العرب الذين قاتلهم رسول اللّه ﷺ لا يعترفون باللّه ولا يقرون بأنه خالق العالم؟

الثانية: أنهم يقولون لا يوجد فرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية بل هما شيء واحد، وأن الذين فرقوا هم ابن عبد الوهاب وأتباعه فقط، وبعض المجادلين يقول ابن تيمية وأتباعه!

وفي ذلك الموضع نقل الكاتب ما يظن أنه يتقوّى به من كلام ابن جرير الطبري، فلو تأملت كلام ابن جرير الطبري وقلّبته على كل وجه لم تجد هذه الدعوى العريضة من هذا الكاتب، وللتذكير فهو يدَّعي: [**أنَّ الطبري يبيِّن أنَّ حجة المشركين على عبادة آلهتهم منحصرة في شيء واحد وهو اعتقادهم أنها خلقت أو شاركت في الخلق**].

ومن حرَّف معنى كلام اللّه الواضح البيِّن فلا يُستغرب منه أن

يحرِّف كلام العلماء والمفسرين، وتأمل هل ذكر ابن جرير أنَّ المشركين يعتقدون في آلهتهم ومعبوداتهم أنها تخلق وترزق؟!

أما قول ابن جرير[١]: (**فدعوتموها من أجل خلقها ما خلقت من ذلك آلهة وأربابًا، فيكون لكم بذلك في عبادتكم إياها حجة**) فالكاتب ظلَّل هذا الجزء فقط من كلام الطبري باللون الأسود الغليظ وترك الذي قبله وهو قوله: (**أروني أيَّ شيء خلقوا من الأرض، فإن ربي خلق الأرض كلها**)، وهذا سؤال إنكاري، يعترف ببطلانه المسؤول، ويساق لتوبيخه وإقامة الحجة عليه من اعترافه وليس لأنه يعتقد ذلك ويطالب بالدليل عليه.

كما تقول لشخص ينازعك في ولدك الذي ربيته وأنفقت عليه وعلمته ويريد أن يأخذه منك، فلو قلت له: هل أنت ربيته؟ هل أنت أنفقت عليه؟ هل أنت الذي سهرت على تعليمه؟ أرني ماذا فعلت؟ أَطْلِعني على فعلك مع ولدي؟

فهل سؤالك هذا لطلب الدليل على ما لم يَدَّعِه المخالف أم هو سؤال إنكار وتوبيخ وإقامة حجة؟!

ومثل أن تخاطب من يريد الاستيلاء على بيتك الذي بنيته بنفسك وأنفقت فيه من مالك فجاء ظالم ليستولي عليه؛ فتقول له: هل أنت الذي بنيت أو أنفقت أو نحو ذلك ثم تقول له: أرني؟ أطلعني؟ بين لي ماذا فعلت؟

فهل يفهم السامع لهذا الكلام أن المخاطب فعل هذه الأمور أو يعتقد أنه فعلها، فيطالبه السائل بالدليل؟!

والجواب يعرف من السياق وهو أنهم يُبْهتون فلا يملكون

---

(١) عند تفسيره الآية رقم ٤ من سورة الأحقاف.

جوابًا، بل يعلم المشركون علم اليقين أنَّ اللّه تعالى هو الذي خلق الأرض وخلق كل شيء.

وقول ابن جرير (دعواهم أنها أرباب) لفظ الأرباب إذا أطلق يشمل المعبودات فلا يلزم أنهم يعتقدون أنها تخلق أو ترزق.

وقول الكاتب: **[يكرر الطبري بيان وجه حجة اللّه على خلقه في وجوب إفراده بالألوهية [العبادة]** من خلال إثبات انفراده ﷻ بالربوبية، وهو كثير جدًّا عند الطبري وعند كل المفسرين سواه].

الخلاف مع الكاتب في قضية غير هذه، فكل مفسر، بل كل مسلم يعلم أنَّه يجب على العبد أن يعبد اللّه مخلصًا له الدين، ومن أدلة ذلك أنه جل وعلا المنفرد بالخلق، فهذه قضية واضحة لا شك فيها وليس فيها نزاع، وإنما النزاع مع الكاتب أنه يدعي أن المشركين لم يقروا للّه تعالى بالربوبية وأنهم منكرون لها ويزعمون أن للّه شركاء في الخلق، وأن أسباب الشرك منحصرة فقط في اعتقاد الربوبية في غير اللّه.

لذلك لا يُقبل من الكاتب أن يستنبط من تقرير الطبري والمفسرين للكلام السابق أنه دليل على أن المشركين لا يقرون بالربوبية للّه تعالى أو يجعلون له شريكًا فيها.

فالخلاف معه هل ذكر ابن جرير أن المشركين يعتقدون في آلهتهم ومعبوداتهم أنها تخلق وترزق؟!

فلم يقل الطبري ما ادعاه الكاتب أن المشركين اعتقدوا في معبوداتهم أنها خلقت أو شاركت في الخلق، بل العكس هو الصحيح وهو الواضح من سياق كلام الطبري، والنص أمام القارئ ليحكم ويتأمل!

والمعنى: أروني هل خلقت آلهتكم شيئًا من الأرض فصارت تُدعَى وتعبد بسبب أنها خلقت؟ هل لآلهتكم شرك في السماوات فيكون ذلك حجة في عبادتها؟

فالنزاع مع الكاتب في أمر واضح وهو: هل المشركون الذين خاطبهم اللّه تعالى بهذا وأقام عليهم الحجة يعتقدون أن شركاءهم خلقوا شيئًا من الأرض؟ أم لهم شرك في السمٰوات؟ هل ادعى هذا المشركون؟

الجواب عند أهل العلم والإيمان والتحقيق والعرفان: لا، فلم يعتقد المشركون في معبوداتهم أنها تخلق وترزق وأنها رب لهم!

وكلام الطبري واضح أنه يسوق معنى الآية على السياق نفسه وهو الاستفهام الاستنكاري.

والمشركون لو كانوا يعتقدون أن معبوداتهم خلقت لقالوا بكل سهولة: نعم لقد خلقت شيئًا من الأرض ولها شرك في السمٰوات! ولكن هذا لا يمكن أن يقولوه لأنهم لا يعتقدونه ولا يخطر ببالهم، فهم يعلمون أن معبوداتهم هم صنعوها أو أنها أموات أو أنها جمادات.

ومما يوضح هذا أن الطبري رحمه الله أحال في معنى ﴿فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾ على الآية ٩٥ من سورة الأنعام وفي تفسيرها يقول: «وأما قوله: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ﴾، فإنه يقول: فاعل ذلك كلِّه اللّهُ جل جلاله ﴿فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾، يقول: فأيُّ وجوه الصدِّ عن الحقّ، أيها الجاهلون، تصدّون عن الصواب وتصرفون، أفلا تدبرون فتعلمون أنّه لا ينبغي أن يُجعل لمن أنعم عليكم بفلق الحب والنوى، فأخرج لكم من يابس الحب والنوى زروعًا وحُروثًا وثمارًا تتغذون ببعضه وتفكّهون ببعضه، شريكٌ

في عبادته ما لا يضر ولا ينفع، ولا يسمع ولا يبصر»[(١)].

وكذلك لابن جرير أقوال توضح هذا المعنى ستأتي إن شاء اللّه.

أما احتجاج اللّه على المشركين بما انفرد به من صفات الربوبية؛ فهذا حق، وهو الذي صرح به القرآن الكريم في مواضع كثيرة جدًّا، وهو ما يقرره أهل السنة والجماعة، ويقولون: إنَّ المشركين معترفون بالربوبية، وأن الإقرار بها دون إفراد اللّه بالعبادة لا يكفي، بل هذا الإقرار حجة على المُقِرّ؛ فكيف يُقِرُّ بالربوبية للّه تعالى ثم يعبد غيره أو يعبد معه إلها آخر؟!

قوله: [**ولو كانت العبادة لا علاقة لها بالربوبية. . .**].

هذه الجملة إذا تم التفصيل فيها انكشف لك غلط الكاتب؛ فالعبادة فعل المكلف والربوبية صفة الرب، والمستحق للعبادة هو اللّه ﷻ وحده لا شريك له، والبلاء عند الكاتب أنه يظن أن المشركين ما صرفوا العبادة لغير اللّه إلَّا لاعتقادهم أنها أرباب خالقة رازقة، فاستشكل كيف تكون عبادة من غير اعتقاد ربوبية في المعبود.

ولو عقل المعنى لَعَلِمَ أن المشركين قد نُكِسوا على رؤوسهم، وضلوا وفعلوا ما يوجب سخط الجبار جل جلاله؛ فعبدوا غيره لحجج متهافتة ذكرها اللّه عنهم في القرآن، وهي طلب القربة والشفاعة، ودوافع أخرى مثل التقليد للآباء والأجداد والاستكبار والعناد ودفع الحق.

وأما المؤمنون المسلمون الذين عافاهم اللّه من الشرك فآمنوا بهذا وهذا فأخلصوا للّه العبادة كما آمنوا بأنه رب العالمين وخالق

---

(١) تفسير الطبري ٩/٤٢٤.

الخلق أجمعين وجعلوا الإقرار بربوبيته حجة على وجوب إفراده بالعبادة والتأله.

فالعبادة عند المسلم المؤمن الموحد لا شك ولا ريب أنها متعلقة بالربوبية فلا يعبد بحق إلا الرب ﷻ وهو اللّه لا إلٰه إلا هو، وأما غير الموحد فحصل عنده التناقض والضلال والكفر باللّه، فالمشركون والكفار يعلمون علمًا ثابتًا مستقرًّا أنَّ اللّه تعالى خالقهم ومع ذلك عبدوا غيره فإذا فهمت هذا المعنى ثم قرأت كلام الكاتب: **[ولو كانت العبادة لا علاقة لها بالربوبية]** فيتبادر إلى ذهنك ما يفعله المسلم فلا يشكل عليك، لأنك مسلم تعتقد أن اللّه ربك وتخصه بالعبادة وتتبرأ من عبادة غيره.

ولكن أهل الأهواء يريدون الدفاع عن عبّاد القبور الذين يتظاهرون بالإسلام وبالشهادتين ويصرفون العبادة لغير اللّه، والمخرج عند أئمة الضلالة لهؤلاء أن يقول إنهم يعتقدون أن اللّه ربهم وخالقهم وعلى هذا فهم يعبدون اللّه تعالى؛ لأن العبادة هي الربوبية فلا تفصلوا بينهما حتى لا نجعلهم مشركين في العبادة.

هذا ملخص هذه الجملة وهذا مقصود من يقول: إن الربوبية والألوهية شيء واحد.

وفي قوله: **[لسقطت هذه الحجة من أساسها عند الطبري وعند الناس كلهم... سواكم]**.

هذا الكلام من الكاتب من قلة التوفيق؛ وهو ازدراء أهل العلم قاطبة بل ازدراء جميع الناس، واستهتار الكاتب بعلماء أهل السنة وأن الطبري والناس كلهم خالفوهم.

وسيأتي بيان بطلان هذه الدعوى الكاذبة بالنقل عن الطبري وعن

علماء التفسير ما يبين أنهم قرروا الفرق بين نوعي التوحيد وقرروا أن المشركين كانوا مقرين بالربوبية.

قوله: **[لو قال المشركون: من قال إنَّ الإله لا يمكن أن يكون إلَّا من يخلق وينشئ بقدرته مثل السماوات والأرض؟]** ومثله قوله ـ وهو يفرض الجدال عن المشركين ـ: **[ومن قال إن الألوهية عندنا لا تصلح إلا للرب، ومن ذا الذي يوجب علينا ألا نؤله بالعبادة إلا الخالق]**.

عجيب أمر هذا الكاتب!

كيف يكتب وهو لا يتدبر كلام اللّه تعالى؛ فقوله (لو قال المشركون.. إلخ).

فجوابه: نعم، قد قاله المشركون، وردوا به على الرسل، ومنه قولهم: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ [ص]، وهذا في مواضع كثيرة من القرآن يوضح فيها أنهم يعتقدون أن آلهتهم تُعْبدُ مع اللّه، مع إقرارهم أنها لا تخلق ولا ترزق، ولم ينفعهم هذا لاستكبارهم وردهم الحق. ولذلك كانت الحجة عليهم قائمة باعترافهم بانفراد اللّه بالربوبية.

ومن المواضع التي في القرآن ترد هذا الاحتجاج من المشركين ـ وهو دليل فطري عقلي سمعي ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٢٢ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ۝٢٣ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢٤ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ۝٢٥﴾ [يس] فقوله فطرني، معناه: خلقني وابتدعني، والمعنى: أيّ شيء ثبت لي يمنعني من أن أعبد الذي خلقني، وابتدعني، وأبرزني من العدم إلى الوجود، ودلت هذه الآية

الكريمة على أنَّ الذي يخلق هو الذي يستحق أن يعبد، وبذلك يُعرف أنَّ المشركين اتخذوا من دون اللّه آلهة ولو كانت لا تخلق ولا تملك الضر والنفع المستقل، ولكن لأجل الشفاعة والإنقاذ.

وجاء هذا المعنى في آيات كثيرة من كتاب اللّه، كما في سورة «**الفرقان**»، في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـًٔا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرًّا وَلَا نَفۡعًا وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ۝٣﴾ [الفرقان]، وفي سورة «**الرعد**»، في قوله تعالى: ﴿أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ عَلَيۡهِمۡۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٍ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ۝١٦﴾ [الرعد].

وقال ابن جرير الطبري: «يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل هذا الرجل المؤمن: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾ أي: وأي شيء لي لا أعبد الرب الذي خلقني.

﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ يقول: وإليه تصيرون أنتم أيها القوم وتردون جميعًا، وهذا حين أبدى لقومه إيمانه باللّه وتوحيده. كما حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق فيما بلغه، عن ابن عباس، وعن كعب الأحبار، وعن وهب بن منبه قال: ناداهم ـ يعني نادى قومه ـ بخلاف ما هم عليه من عبادة الأصنام، وأظهر لهم دينه وعبادة ربه، وأخبرهم أنه لا يملك نفعه ولا ضره غيره، فقال ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ۝٢٢ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ ثم عابها، فقال ﴿إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرٍّ﴾ وشدَّة ﴿لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ﴾.

وقوله ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ يقول: أأعبدُ من دون اللّه آلهة، يعني: معبودًا سواه ﴿إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرٍّ﴾ يقول: إن مسني الرحمٰن بضرٍّ وشدَّةٍ ﴿لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا﴾ يقول: لا تغني عني شيئًا

بكونها لي شفعاء، ولا تقدر على دفع ذلك الضر عني. ﴿وَلَا يُنقِذُونِ﴾ يقول: ولا يخلصوني من ذلك الضر إذا مسني. وقوله: ﴿إِنِّيٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ يقول: إني إذا اتخذت من دون اللّه آلهة هذه صفتها ﴿إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ لمن تأمله، جوره عن سبيل الحق»[1].

وقال القرطبي: «﴿ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ أي خلقني. ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ وهذا احتجاج منه عليهم... ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ يعني أصنامًا. ﴿إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ﴾ يعني ما أصابه من السقم. ﴿لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ﴾ يخلصوني مما أنا فيه من البلاء ﴿إِنِّىٓ إِذًا﴾ يعني إن فعلت ذلك ﴿لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ أي خسران ظاهر»[2].

وقال الرازي: «ثم قال تعالى: ﴿وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ لمَّا قال: ﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ بيَّن ظهور اهتدائهم بأنهم يدعون من عبادة الجماد إلى عبادة الحي القيوم، ومن عبادة ما لا ينفع إلى عبادة من منه كل نفع.

وفيه لطائف: الأولى قوله: ما لي أي ما لي مانع من جانبي. إشارة إلى أن الأمر من جهة المعبود ظاهر لا خفاء فيه، فمن يمتنع من عبادته يكون من جانبه مانع ولا مانع من جانبي فلا جرم عبدته»[3].

فقارن بين قول الكاتب: **[لو قال المشركون: من قال إنَّ الإله لا يمكن أن يكون إلا من يخلق وينشئ بقدرته مثل السمٰوات والأرض؟]** ومثله قوله عنهم: **[ومن قال إنَّ الألوهية عندنا لا تصلح**

(١) تفسير الطبري ١٩/٤٢٢ ـ ٤٢٣.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٥/١٨.

(٣) تفسير الرازي، مفاتيح الغيب ٢٦/٢٦٤.

إلا للرب، ومن ذا الذي يوجب علينا ألا نؤله بالعبادة إلا الخالق]، وبين قول اللّه تعالى فيما حكى عن هذا المؤمن أنه قال: ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ يقول: أأعبد من دون اللّه آلهة، يعني معبودًا سواه.

قال الشيخ عبد الرحمٰن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قلت: وتأمل ما ذكره اللّه في سورة ﴿يس﴾، من قوله: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٢٠ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝٢١ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٢٢ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ۝٢٣ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢٤﴾ [يس]؛ ففي هذه الآية العظيمة وما في معناها، ما يكفي ويشفي في إبطال هذا المذهب الخبيث، من تعلق أهل الإشراك بغير اللّه، وافترائهم على اللّه، وإضلالهم العباد عن توحيد اللّه والتوجه إليه وحده بالإخلاص الذي هو دينه الذي لا يرضى لعباده دينا سواه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ۝٣﴾ [الزمر]»[(١)].

ولما نسب الكاتب إلى ابن جرير الطبري أقوالًا يقطع كل مطلع أن الكاتب قد افترى عليه؛ فنسوق بعض ما ذكره ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تقريره اعتراف المشركين بانفراد اللّه بالربوبية ليظهر غلط الكاتب على أهل العلم:

١ ـ قال ابن جرير رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿إِن

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية ١٢٣/٥.

﴿يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثٗا﴾ [النساء: ١١٧]: «يقول: ما يدعو الذين يشاقون الرسول ويتبعون غير سبيل المؤمنين شيئًا من دون اللّه بعد اللّه وسواه، إلا إناثًا، يعني: إلا ما سموه بأسماء الإناث كاللات والعزى وما أشبه ذلك. يقول جل ثناؤه: فحسب هؤلاء الذين أشركوا باللّه وعبدوا ما عبدوا من دونه من الأوثان والأنداد، حجة عليهم في ضلالتهم وكفرهم وذهابهم عن قصد السبيل، أنهم يعبدون إناثًا ويدعونها آلهة وأربابًا. والإناث من كل شيء أخسه؛ فهم يقرون للخسيس من الأشياء بالعبودية على علم منهم بخساسته، ويمتنعون من إخلاص العبودية للذي له ملك كل شيء وبيده الخلق والأمر»[(١)].

فقوله: «**على علم منهم بخساسته**»، أليس هذا أوضح برهان أن ابن جرير يبين حال المشركين، وأنهم يعبدون ما يعتقدون أنه خسيس وليس بفاضل!!

٢ ـ وقال ابن جرير في قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الرعد: ١٦]: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل لهؤلاء المشركين إذا أقروا لك أن أوثانهم التي أشركوها في عبادة اللّه لا تخلق شيئًا، فاللّه خالقكم وخالق أوثانكم وخلق كل شيء، فما وجه إشراككم ما لا تخلق ولا تضر»[(٢)].

وهذا واضح جدًا أن ابن جرير يقرر أن المشركين يعتقدون أن أوثانهم لا تخلق شيئًا فكيف يزعم الكاتب أن ابن جرير يجعل المشركين غير مقرين بالربوبية!!

٣ ـ وقال ابن جرير في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ

(١) جامع البيان ٤٩٠/٧.

(٢) المصدر السابق ٤٩٦/١٣.

﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ [الشعراء]: «يقول: والذي يميتني إذا شاء ثم يحييني إذا أراد بعد مماتي. ﴿وَٱلَّذِىٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ فربي هذا الذي بيده نفعي وضرّي، وله القدرة والسلطان، وله الدنيا والآخرة، لا الذي لا يسمع إذا دعي، ولا ينفع ولا يضرّ. وإنما كان هذا الكلام من إبراهيم احتجاجًا على قومه، في أنه لا تصلح الألوهة، ولا ينبغي أن تكون العبودة إلا لمن يفعل هذه الأفعال، لا لمن لا يطيق نفعا ولا ضرّا»[1].

٤ ـ وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَىۡءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤۡفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [غافر]. «يقول تعالى ذكره: الذي فعل هذه الأفعال، وأنعم عليكم هذه النعم أيها الناس، اللّه مالككم ومصلح أموركم، وهو خالقكم وخالق كلّ شيء (لا إِلَهَ إلا هُوَ) يقول: لا معبود تصلح له العبادة غيره، ﴿فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾ يقول: فأي وجه تأخذون، وإلى أين تذهبون عنه، فتعبدون سواه»[2].

٥ ـ وقال في تأويل قول اللّه جلّ ثناؤه: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقًا لَّكُمۡ ۖ﴾ [البقرة: ٢٢]: «يعني تعالى ذكره بذلك أنه أنزل من السماء مطرًا، فأخرج بذلك المطر مما أنبتوه في الأرض من زرعهم وغَرْسهم ثمرات رزقًا لهم، غذاءً وأقواتًا. فنبههم بذلك على قدرته وسُلطانه، وذكَّرهم به آلاءَه لديهم، وأنه هو الذي خلقهم، وهو الذي يَرزقهم ويكفُلُهم، دون من جعلوه له نِدًّا وعِدْلا

(١) المصدر السابق ٤٩٢/١٧.
(٢) المصدر السابق ٣٥٥/٢٠.

من الأوثان والآلهة ثم زَجَرهم عن أن يجعلوا له ندًّا، مع علمهم بأن ذلك كما أخبرهم، وأنه لا نِدَّ له ولا عِدْل، ولا لهم نافعٌ ولا ضارٌّ ولا خالقٌ ولا رازقٌ سِواه.. .فنهاهم اللّه تعالى أن يُشركوا به شيئًا، وأن يعبدوا غيرَه، أو يتخذوا له نِدًّا وَعِدلا في الطاعة، فقال: كما لا شريك لي في خلقكم، وفي رزقكم الذي أرزقكم وملكي إياكم، ونعمي التي أنعمتها عليكم ـ فكذلك فأفردوا ليَ الطاعة وأخلصُوا ليَ العبادة، ولا تجعلوا لي شريكًا ونِدًّا من خلقي، فإنكم تعلمون أن كلّ نعمةٍ عليكم فمنِّي»[(١)].

٦ ـ وقال أيضًا في كلام بديع: «وحدثني المثنى قال: حدثنا أبو حذيفة قال: حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]، يقول: وأنتم تعلمون أنه لا ند له في التوراة والإنجيل[(٢)].

قال أبو جعفر: وأحسب أن الذي دعا مجاهدًا إلى هذا التأويل، وإضافة ذلك إلى أنه خطاب لأهل التوراة والإنجيل دون غيرهم، الظنّ منه بالعرب أنَّها لم تكن تعلم أنَّ اللّه خالقها ورازقها بجحودها وحدانية ربها، وإشراكها معه في العبادة غيره. وإن ذلك لقول[(٣)]، ولكن اللّه جل ثناؤه قد أخبر في كتابه عنها أنها كانت تقر

(١) المصدر السابق ١/٣٩٠ ـ ٣٩٢.

(٢) وأيضًا فإن أثر مجاهد ضعيف، ففي سنده المثنى وهو مجهول الحال وأبو حذيفة موسى بن مسعود يكتب حديثه، انظر: تحقيق تفسير الطبري، طبعة دار الحديث ١/٢٧٧.

(٣) أي هو قول قد قيل يرده صريح القرآن كما أثبت ذلك ابن جرير، وإن كان وجود من ينكر ربوبية اللّه أو يشرك معه غيره في الربوبية لا يعارض وجود من يثبت للّه الربوبية ويشرك معه غيره في العبادة لأسباب أخرى وهم الأغلب؛ بل الحجة على من ينكر الربوبية أظهر لمخالفته للفطرة والضرورة، ولذلك قلّ من أنكر ذلك كالنمرود وفرعون والله أعلم.

بوحدانيته، غير أنها كانت تشرك في عبادته ما كانت تشرك فيها، فقال جل ثناؤه: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]، وقال: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يونس]. فالذي هو أولى بتأويل قوله: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢] إذ كان ما كان عند العرب من العلم بوحدانية اللّه، وأنه مبدع الخلق وخالقهم ورازقهم، نظير الذي كان من ذلك عند أهل الكتابين. ولم يكن في الآية دلالة على أن اللّه جل ثناؤه عنى بقوله: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢] أحد الحزبين، بل مخرج الخطاب بذلك عام للناس كافة لهم»[(١)].

٧ ـ وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف]. قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: وما يُقِرُّ أكثر هؤلاء الذين وصَفَ ﷻ صفتهم بقوله: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [يوسف] باللّه أنه خالقه ورازقه وخالق كل شيء ﴿إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾، في عبادتهم الأوثان والأصنام، واتخاذهم من دونه أربابًا، وزعمهم أنَّ له ولدًا، تعالى اللّه عما يقولون. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل» ثم أخرج بسنده: عن ابن عباس: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ﴾ الآية، قال: من إيمانهم، إذا قيل لهم: مَن خلق السماء؟ ومن خلق الأرض؟ ومن خلق الجبال؟ قالوا: اللّه. وهم مشركون.

وعن عكرمة، في قوله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾، قال: تسألهم: مَن خلقهم؟ ومن خلق السماوات والأرض،

(١) تفسير الطبري ١/٣٩٤.

فيقولون: اللّه. فذلك إيمانهم باللّه، وهم يعبدون غيره.

وعن جابر عن عامر وعكرمة: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ﴾ الآية، قالا: يعلمون أنه ربُّهم، وأنه خلقهم، وهم يشركون به.

وعن عكرمة أيضًا: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾، قال: من إيمانهم إذا قيل لهم: من خلق السماوات؟ قالوا: اللّه. وإذا سئلوا: من خلقهم؟ قالوا: اللّه. وهم يشركون به بَعْدُ.

وعنه كذلك، قال: هو قول اللّه: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [سورة لقمان: ٢٥/سورة الزمر: ٣٨]. فإذا سئلوا عن اللّه وعن صفته، وصفوه بغير صفته، وجعلوا له ولدًا، وأشركوا به.

وعن مجاهد، قوله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾، إيمانهم قولهم: اللّه خالقُنا، ويرزقنا ويميتنا.

وعنه أيضًا: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾، إيمانُهم قولهم: اللّه خالقنا ويرزقنا ويميتنا.، فهذا إيمان مع شرك عبادتهم غيرَه.

وعن عكرمة، ومجاهد، وعامر: أنهم قالوا في هذه الآية: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾، قال: ليس أحد إلا وهو يعلم أن اللّه خلقه وخلق السمٰوات والأرض، فهذا إيمانهم، ويكفرون بما سوى ذلك.

وعن قتادة، قوله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾، في إيمانهم هذا. إنك لست تلقى أحدًا منهم إلا أنبأك أن اللّه ربه، وهو الذي خلقه ورزقه، وهو مشرك في عبادته.

وعنه أيضًا: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ﴾ الآية، قال: لا تسأل أحدًا من المشركين: مَنْ رَبُّك؟ إلا قال: ربِّيَ اللّه! وهو يشرك في ذلك.

وعن عطاء: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ﴾، الآية، قال: يعلمون أن اللّه ربهم، وهم يشركون به بعدُ.

وعنه أيضًا، في قوله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾، قال: يعلمون أن اللّه خالقهم ورازقهم، وهم يشركون به.

وعن ابن وهب، قال: قال: سمعت ابن زيد يقول: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ﴾، الآية، قال: ليس أحدٌ يعبد مع اللّه غيره إلا وهو مؤمن باللّه، ويعرف أن اللّه ربه، وأن اللّه خالقه ورازقه، وهو يشرك به. ألا ترى كيف قال إبراهيم: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الشعراء]؟ قد عرف أنهم يعبدون رب العالمين مع ما يعبدون. قال: فليس أحد يشرك به إلا وهو مؤمن به. ألا ترى كيف كانت العرب تلبِّي تقول: «**لبيك اللّهم لبيك، لبيك لا شريك لك، إلا شريك هو لك، تملكه وما ملك**»؟ المشركون كانوا يقولون هذا»[(١)].

٨ ـ وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣٢].

«قال أبو جعفر: وقل لهم: من يُدبر أمر السماء والأرض وما فيهن، وأمركم وأمرَ الخلق؟ ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾، يقول جل ثناؤه: فسوف يجيبونك بأن يقولوا: الذي يفعل ذلك كله اللّه، ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾، يقول: أفلا تخافون عقاب اللّه على شرككم وادعائكم ربًّا غيرَ من

(١) جامع البيان ١٣/٣٧٢.

هذه الصفة صفتُه[١]، وعبادتكم معه من لا يرزقكم شيئًا، ولا يملك لكم ضرًا ولا نفعًا، ولا يفعل فعلًا؟»[٢].

٩ ـ وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يونس]: «قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره لخلقه: أيها الناس، فهذا الذي يفعل هذه الأفعال، فيرزقكم من السماء والأرض، ويملك السمع والأبصار، ويخرج الحي من الميت والميت من الحي، ويدبر الأمر ;﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ﴾، لا شك فيه ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾، يقول: فأي شيء سوى الحق إلا الضلال، وهو الجور عن قصد السبيل؟

يقول: فإذا كان الحقُّ هو ذا، فادعاؤكم غيره إلهًا وربًّا، هو الضلال والذهاب عن الحق لا شك فيه ﴿فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾، يقول: فأيّ وجه عن الهدى والحق تُصرفون، وسواهما تسلكون، وأنتم مقرُّون بأن الذي تُصْرَفون عنه هو الحق؟»[٣].

١٠ ـ وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإنهم لا يقدرون أن يدَّعوا أن آلهتهم وأوثانهم تُرشد ضالًا أو تهدي حائرًا. وذلك أنهم إن ادَّعوا ذلك لها[٤] أكذبتهم المشاهدة، وأبان عجزَها عن ذلك الاختبارُ بالمعاينة. فإذا قالوا: (لا) وأقرُّوا بذلك، فقل لهم. فاللّه يهدي الضالَّ عن الهدى إلى الحق ﴿أَفَمَن يَهْدِيٓ﴾ أيها القوم ضالًا إلى الحقّ، وحائرًا عن

---

(١) تأمل في استخدامه اسم الرب في هذا الموضع بمعنى الإله وليس بمعنى الخالق فقوله: «**وادعائكم ربًّا غيرَ من هذه الصفة صفتُه**» أي ربًّا معبودًا لا يملك من صفات الربوبية شيء.

(٢) جامع البيان ١٢/١٧٦.

(٣) جامع البيان ١٢/١٧٧.

(٤) تأمل قوله «**إن ادعوا ذلك لها**» إذن هم لم يدعوا ذلك كما يدعي عليه الكاتب.

الرُّشْدِ إلى الرُّشْدِ ﴿أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ﴾، إلى ما يدعو إليه ﴿أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ﴾؟»[1].

١١ ـ وقال في ذكر أقوال المفسرين للأنداد: «**وقوله**: ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ يقول: وجعل للّه أمثالًا وأشباهًا. ثم اختلف أهل التأويل في المعنى الذي جعلوها فيه له أندادًا، قال بعضهم: جعلوها له أندادًا في طاعتهم إياه في معاصي اللّه». وأخرج بسنده «عن السديّ ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ قال: الأنداد من الرجال: يطيعونهم في معاصي اللّه.

وقال آخرون: عنى بذلك أنه عبد الأوثان، فجعلها للّه أندادًا في عبادتهم إياها.

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: عنى به أنه أطاع الشيطان في عبادة الأوثان، فحصل له الأوثان أندادًا، لأن ذلك في سياق عتاب اللّه إياهم له على عبادتها»[2].

١٢ ـ وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الزمر]:

«يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين العادلين باللّه الأوثان والأصنام: مَنْ خلق السمٰوات والأرض؟ ليقولن: الذي خلقه اللّه، فإذا قالوا ذلك، فقل: أفرأيتم أيها القوم هذا الذي تعبدون من دون اللّه من الأصنام والآلهة ﴿إِنْ أَرَادَنِىَ

(١) جامع البيان ١٢/١٧٩.
(٢) جامع البيان ٢٠/١٧٣.

﴿ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾ يقول: بشدة في معيشتي، هل هن كاشفات عني ما يصيبني به ربي من الضر؟ ﴿أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ﴾ يقول: إن أرادني برحمة أن يصيبني سعة في معيشتي، وكثرة مالي، ورخاء وعافية في بدني، هل هن ممسكات عني ما أراد أن يصيبني به من تلك الرحمة؟ وترك الجواب لاستغناء السامع بمعرفة ذلك، ودلالة ما ظهر من الكلام عليه.

والمعنى فإنهم سيقولون: لا، فقل: حسبي اللّه مما سواه من الأشياء كلها، إياه أعبد، وإليه أفزع في أموري دون كلّ شيء سواه، فإنه الكافي، وبيده الضر والنفع، لا إلى الأصنام والأوثان التي لا تضر ولا تنفع، ﴿عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ يقول: على اللّه يتوكل من هو متوكل، وبه فليثق لا بغيره»[(١)].

١٣ ـ وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [المؤمنون]: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء المكذّبين بالآخرة من قومك: لمن ملك الأرض ومن فيها من الخلق، إن كنتم تعلمون من مالكها؟ ثم أعلمه أنهم سيقرّون بأنها للّه ملكًا، دون سائر الأشياء غيره ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ يقول: فقل لهم إذا أجابوك بذلك: كذلك أفلا تذكرون، فتعلمون أنَّ من قدر على خلق ذلك ابتداءً فهو قادر على إحيائهم بعد مماتهم وإعادتهم خلقًا سويًّا بعد فنائهم»[(٢)].

١٤ ـ وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [المؤمنون]: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل لهم يا محمد: من ربّ

---

(١) جامع البيان ٢١٢/٢٠.

(٢) المصدر السابق ٩٧/١٧.

السماوات السبع، وربّ العرش المحيط بذلك؟ سيقولون: ذلك كله للّه، وهو ربه، فقل لهم: أفلا تتقون عقابه على كفركم به وتكذيبكم خبره وخبر رسوله؟»[(١)].

١٥ ـ وقال أيضًا: «وقوله ﴿وَهُوَ يُجِيرُ﴾ من أراد ممن قصده بسوء، ﴿وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ يقول: ولا أحد يمتنع ممن أراده هو بسوء، فيدفع عنه عذابه وعقابه، ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ من ذلك صفته، فإنهم يقولون: إن ملكوت كلّ شيء والقدرة على الأشياء كلها للّه، فقل لهم يا محمد: ﴿فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ يقولون: فمن أيّ وجه تصرفون عن التصديق بآيات اللّه، والإقرار بأخباره وأخبار رسوله، والإيمان بأن اللّه القادر على كل ما يشاء، وعلى بعثكم أحياء بعد مماتكم، مع علمكم بما تقولون من عظيم سلطانه وقدرته؟!»[(٢)].

١٦ ـ وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الأنبياء]: «يقول تعالى ذكره: قال إبراهيم لقومه: أفتعبدون أيها القوم ما لا ينفعكم شيئًا ولا يضركم، وأنتم قد علمتم أنها لم تمنع نفسها ممن أرادها بسوء، ولا هي تقدر أن تنطق إن سئلت عمن يأتيها بسوء فتخبر به، أفلا تستحيون من عبادة ما كان هكذا»[(٣)].

١٧ ـ وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [يونس]: «قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿قل﴾، يا محمد

---

(١) جامع البيان ٩٨/١٧.
(٢) المصدر السابق ١٠٠/١٧.
(٣) المصدر السابق ٣٠٣/١٦.

﴿هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم﴾، يعني من الآلهة والأوثان ﴿مَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾، يقول: من ينشئ خَلْق شيء من غير أصل، فيحدث خلقَه ابتداءً ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾، يقول: ثم يفنيه بعد إنشائه، ثم يعيده كهيئته قبل أن يفنيَه، فإنهم لا يقدرون على دعوى ذلك لها.

وفي ذلك الحجة القاطعة والدِّلالة الواضحة على أنهم في دعواهم أنها أربابٌ[1]، وهي للّه في العبادة شركاء، كاذبون مفترون»[2].

فتأمل قوله: «**فإنهم لا يقدرون على دعوى ذلك لهم**»، وليس مجرد عدم قدرتهم على الدليل كما يزعم الكاتب!

١٨ ـ وقال في تفسير شهادة التوحيد: «فإنه لا إلٰه إلا هو. يقول: لا معبود يستحق عليك إخلاص العبادة له إلا اللّه»[3].

وقال أيضًا: «﴿وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾، يقول: وأيقنوا أيضًا أن لا معبود يستحق الألوهة على الخلق إلا اللّه الذي له الخلق والأمر، فاخلعوا الأنداد والآلهة، وأفردوا له العبادة»[4].

فهذه بعض أقوال ابن جرير الطبري توضح تفريقه بين الألوهية والربوبية، وتوضح أنه يجعل إقرارهم بالربوبية حجة على وجوب إفراده بالعبادة، وأنهم أقرُّوا بالربوبية للّه تعالى ولم يكونوا مقرين بالألوهية وليس كما ادعى هذا الكاتب.

---

(١) تأمل في هذا فإنه استعمال للفظ (الرب) بمعنى الإله، بدليل أنه نفى عنهم استطاعتهم ادعاء ابتداء الخلق أو إعادته لآلهتهم، ولفظ الرب إذا أطلق شمل معنى الإله المعبود.

(٢) المصدر السابق ١٢/١٧٨.

(٣) جامع البيان ٩/٤٧٩.

(٤) المصدر السابق ١٢/٣٤٥. وانظر: ١٦/٢٤٩، ١٧/١٣٣، ٢٠/٣٥٧.

ولما زعم الكاتب أنَّ المفسرين **كلهم** على قوله الفاسد، أحببت أن أذكر أمثلة من أقوال المفسرين تبين حقيقة الحال وبطلان ما ادعاه هذا الكاتب.

قال ابن أبي زمنين (ت: ٣٩٩هـ) في تفسير قول اللّه تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [النحل]:

«﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ يقول: يعرفون ويقرون أن اللّه خلقهم، وخلق السمٰوات والأرض، وأنه هو الرزاق، ثم ينكرون ذلك بتكذيبهم ﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ يعني: جماعتهم»[(١)].

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقال هاهنا: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [غافر]؛ فلهذا لا يتدبرون هذه الحجة ولا يتأملونها، كما كان كثير من العرب يعترفون بأن اللّه خلق السمٰوات والأرض، وينكرون المعاد، استبعادًا وكفرًا وعنادًا، وقد اعترفوا بما هو أولى مما أنكروا»[(٢)].

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقوله: ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُم﴾ [الزخرف: ٢٠] أي: لو أراد اللّه لحال بيننا وبين عبادة هذه الأصنام، التي هي على صور الملائكة التي هي بنات اللّه، فإنه عالم بذلك وهو يقررنا عليه، فجمعوا بين أنواع كثيرة من الخطأ:

أحدها: جعلهم للّه ولدًا، تعالى وتقدس وتنزه عن ذلك علوًّا كبيرًا.

الثاني: دعواهم أنه اصطفى البنات على البنين، فجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمٰن إناثًا.

---

(١) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ٢/٤١٤.
(٢) تفسير ابن كثير ٧/١٥٢.

الثالث: عبادتهم لهم مع ذلك كله، بلا دليل ولا برهان، ولا إذن من اللّه ﷻ، بل بمجرد الآراء والأهواء، والتقليد للأسلاف والكبراء والآباء، والخبط في الجاهلية الجهلاء.

الرابع: احتجاجهم بتقديرهم على ذلك قدرًا والحجة إنما تكون بالشرع، وقد جهلوا في هذا الاحتجاج جهلًا كبيرًا، فإنه تعالى قد أنكر ذلك عليهم أشد الإنكار، فإنه منذ بعث الرسل وأنزل الكتب يأمر بعبادته وحده لا شريك له، وينهى عن عبادة ما سواه، قال تعالى، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل]، وقال تعالى: ﴿وَسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزخرف] وقال في هذه الآية ـ بعد أن ذكر حجتهم هذه ـ: ﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ أي: بصحة ما قالوه واحتجوا به ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ أي: يكذبون ويتقولون»[(١)].

وقال البغوي في قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾﴾ [الزخرف]: «﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾، أي سألت قومك، ﴿مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾، أقروا بأنَّ اللّه خالقها، وأقرّوا بعزّه وعلمه ثم عبدوا غيره وأنكروا قدرته على البعث لفرط جهلهم. إلى هاهنا تم الإخبار عنهم»[(٢)].

وقال أيضًا: «قال اللّه تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ

(١) تفسير ابن كثير ٧/٢٢٣.
(٢) معالم التنزيل ٧/٢٠٧.

﴿كَفَرْتُمْ﴾ [غافر: ١٢]، فيه متروك استغني عنه لدلالة الظاهر عليه، مجازه: فأُجيبوا أن لا سبيل إلى ذلك، وهذا العذاب والخلود في النار بأنكم إذا دعي اللّه وحده كفرتم، أي إذا قيل لا إلٰه إلا اللّه كفرتم، وقلتم: ﴿أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ [ص: ٥]، ﴿وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ﴾، غيره ﴿تُؤْمِنُواْ﴾، تصدقوا ذلك الشرك، ﴿فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْكَبِيرِ﴾. الذي لا أعلى منه ولا أكبر.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا﴾، يعني: المطر الذي هو سبب الأرزاق، ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ﴾، وما يتعظ بهذه الآيات، ﴿إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾، يرجع إلى اللّه تعالى في جميع أموره.

﴿فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾، الطاعة والعبادة. ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾»[1].

وقال البقاعي في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُواْ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾﴾ [غافر]: «ولما كان الجواب قطعًا: لا سبيل إلى ذلك، علله بقوله: ﴿ذَٰلِكُم﴾ أي القضاء النافذ العظيم العالي بتخليدكم في النار مقتًا منه لكم ﴿بِأَنَّهُۥٓ﴾ أي كان بسبب أنه ﴿إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ﴾ أي وجدت ولو مرة واحدة دعوة الملك الأعظم من أي داع كان ﴿وَحْدَهُۥ﴾ أي محكومًا له بالوحدة أو منفردًا من غير شريك ﴿كَفَرْتُمْ﴾؛ أي: هذا طبعكم دائمًا رجعتم إلى الدنيا أولًا ﴿وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ﴾؛ أي: يوقع الإشراك به ويجدد ولو بعدد الأنفاس من أي مشرك كان ﴿تُؤْمِنُواْ﴾؛ أي: بالشركاء وتجددوا ذلك غير متحاشين ومن تجديد الكفر، وهذا مفهم لأن حب اللّه للإنسان أكبر من حبه له الدال عليه توفيقه له في أنه إذا

(١) معالم التنزيل ٤/١٠٨.

ذكر اللّه وحده آمن، وإن ذكر معه غيره على طريقة تؤول إلى الشركة كفر بذلك الغير، وجعل الأمر للّه وحده ﴿فَٱلۡحُكۡمُ﴾؛ أي: فتسبب عن القطع بأن لا رجعة، وأن الكفار ما ضروا إلا أنفسهم مع ادعائهم العقول الراجحة ونفوذ ذلك أن كل حكم ﴿لِلَّهِ﴾؛ أي: المحيط بصفات الكمال خاص به لا دخل للعوائد في أحكامه بل مهما شاء فعل إجراء على العوائد أو خرقًا لها ﴿ٱلۡعَلِيِّ﴾؛ أي: وحده عن أن يكون له شريك، فكذب قولُ أبي سفيان يوم أحد «اعل هبل»، وقولُ ابن عربي أحد أتباع فرعون أكذب وأقبح وأبطل حيث قال: العلي علا عنْ مَنْ وما ثَمّ إلا هو، فعليه الخزي واللعنة، وعلى من قال بقوله، وعلى من توقّف في لعنه»[1].

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في أضواء البيان: «فإذا عرفت أن ظاهر آية الزخرف وآية الأنعام وآية النحل: أن ما قاله الكفار حق، وأن اللّه لو شاء ما عبدوا من دونه من شيء ولا أشركوا به شيئًا، كما ذكرنا في الآيات الموضحة قريبًا.

فاعلم أن وجه الإشكال، أنَّ اللّه صرح بكذبهم في هذه الدعوى التي ظاهرها حق، قال في آية الزخرف: ﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ﴾ أي يكذبون، وقال في آية الأنعام: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ ١٤٨﴾ وقال في آية النحل: ﴿كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾.

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١٩/١٧.

ومعلوم أن الذي فعله الذين من قبلهم، هو الكفر باللّه والكذب على اللّه، في جعل الشركاء له وأنه حرم ما لم يحرمه.

والجواب عن هذا: أن مراد الكفار بقولهم: ﴿لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم﴾، وقولهم: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾ مرادهم به أن اللّه لما كان قادرًا على منعهم من الشرك وهدايتهم إلى الإيمان، ولم يمنعهم من الشرك، دل ذلك على أنه راضٍ منهم بالشرك في زعمهم.

قالوا: لأنه لو لم يكن راضيًا به، لصرفنا عنه؛ فتكذيب اللّه لهم في الآيات المذكورة منصب على دعواهم أنه راض به، واللّه جل وعلا يكذب هذه الدعوى في الآيات المذكورة، وفي قوله: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾.

فالكفار زعموا أنَّ الإرادة الكونية القدرية تستلزم الرضى، وهو زعم باطل، وهو الذي كذبهم اللّه فيه في الآيات المذكورة وقد أشار تعالى إلى هذه الآيات المذكورة، حيث قال في آية الزخرف: ﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾﴾ أي آتيناهم كتابًا يدل على أنا راضون منهم بذلك الكفر، ثم أضرب عن هذا إضراب إبطال مبيِّنًا أن مستندهم في تلك الدعوى الكاذبة هو تقليد آبائهم التقليد الأعمى، وذلك في قوله: ﴿بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ أي شريعة وملة وهي الكفر وعبادة الأوثان ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ فقوله عنهم: ﴿مُّهْتَدُونَ﴾ هو مصب التكذيب؛ لأن اللّه إنما يرضى بالاهتداء لا بالضلال.

فالاهتداء المزعوم أساسه تقليد الآباء الأعمى....

وقال تعالى في آية النحل بعد ذكره دعواهم المذكورة: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾.

فأوضح في هذه الآية الكريمة أنه لم يكن راضيًا بكفرهم، وأنه بعث في كل أمة رسولًا، وأمرهم على لسانه أن يعبدوا اللّه وحده، ويجتنبوا الطاغوت، أي يتباعدوا عن عبادة كل معبود سواه.

وأن اللّه هدى بعضهم إلى عبادته وحده، وأن بعضهم حقت عليه الضلالة، أي ثبت عليه الكفر والشقاء.

وقال تعالى في آية الأنعام: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾﴾.

فملكه تعالى وحده للتوفيق والهداية، هو الحجة البالغة على خلقه، يعني فمن هديناه وتفضلنا عليه بالتوفيق فهو فضل منا ورحمة، ومن لم نفعل له ذلك فهو عدل منا وحكمة؛ لأنه لم يكن له ذلك دينا علينا ولا واجبًا مستحقًّا يستحقه علينا، بل إن أعطينا ذلك ففضل، وإن لم نعطه فعدل»[(١)].

والأقوال عن المفسرين كثيرة يمكن الاطلاع عليها بمراجعة مواضع الآيات السابقة وتفاسير العلماء، وسيأتي في هذا الرد مزيد نقل عنهم بإذن اللّه تعالى.

فتبين بما ذُكِر أن الطبري وسائر المفسرين وضحوا المراد بهذه الآيات وأن إقرار المشركين بالربوبية كان حجة عليهم، وهو أمر واضح لكل من يعقل الخطاب.

إكمال الرد على شبهة لدى الكاتب وحجة يلقنها للمشركين!

في ص ٢٥: يزعم أنَّ للمشركين أن يوردوا هذا الإيراد وهو: **[من قال: إنَّ الإله لا يمكن أن يكون إلا من يخلق وينشئ بقدرته مثل**

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٧/٢٣٦ ـ ٢٣٨.

السماوات والأرض؟]، ثم يقول الكاتب: **[لو كانوا لا يقرون بأنَّ الألوهية تستوجب الربوبية بالخلق والرزق والتدبير فكيف ستقوم عليهم الحجة بهذا الاحتجاج القرآني؟]**، ويقول: **[وبعبارة أخرى لو قالوا: لا يلزم من عبادة غير اللّه أن يكون لغيره شيء من خصائص الربوبية؟ ما وجه الحجة عليهم بهذه الحجج الإلهية التي هي من أكثر حججه تعالى على المشركين تكرارًا وأقواها ظهورًا في إيجاب إفراد اللّه بالعبادة؟]**.

والجواب عن هذه الشبهة نقول:

قوله: **[لو قال المشركون: من قال إن الإله لا يمكن أن يكون إلا من يخلق وينشئ بقدرته مثل السماوات والأرض؟]**.

الجواب: نعم، المشركون يقولون: إنَّ من لا يخلق ولا يرزق يمكن أن نتخذه إلهًا ونعبده لأنه يقربنا إلى اللّه، وهو شفيعنا عند اللّه، وهم يعتقدون أن هذا الوسيط وهذا الشفيع لا يخلق ولا يرزق. ولكن اللّه أنكر عليهم اتخاذهم من لا يخلق معبودًا في آيات عدة منها:

﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النحل].

﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾﴾ [الأعراف].

﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [النحل].

﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [الفرقان].

فهل قال المشركون: «إن آلهتنا تخلق»؟؟

وردَّ عليهم في تسويغهم لعبادة آلهتهم بأنهم وسطاء بقوله تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ٣﴾ [الزمر].

وبقوله تعالى فيمن اتخذهم شفعاء: ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [يونس: ١٨] ونحو ذلك من الآيات.

وهذا ما أضافه القرآن إليهم؛ فإن قوله: ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾، هذا قولهم وحجتهم وقد أبطلها اللّه، ولو كان من حجتهم أنهم يعتقدون أنها تخلق وترزق لقالوه، ولحكاه اللّه ذلك عنهم؛ فعلمنا بطلان شبهة هذا الكاتب وزيفها.

وقد قال الإمام أحمد بن حنبل عن بقايا من أهل العلم: «ينفون عن كتاب اللّه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، الذين عقدوا ألوية البدع، وأطلقوا عقال الفتنة، فهم مختلفون في الكتاب، يقولون على اللّه، وفي اللّه، وفي كتاب اللّه بغير علم، يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم، فنعوذ باللّه من فتن المضلين»[(١)].

وأذكر أولًا كلام العلامة الشنقيطي في أضواء البيان ثم أعقبه بكلام المفسرين:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗ لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتٗا وَلَا حَيَوٰةٗ وَلَا نُشُورٗا ٣﴾ [الفرقان]. ذكر جلَّ وعلا في هذه الآية الكريمة أن

(١) الرد على الزنادقة والجهمية. وانظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (١/١٨، ٢٢١).

الآلهة التي يعبدها المشركون من دونه متصفة بستة أشياء، كل واحد منها برهان قاطع أن عبادتها مع اللّه لا وجه لها بحال، بل هي ظلم متناه، وجهل عظيم، وشرك يخلد به صاحبه في نار جهنم. وهذا بعد أن أثنى على نفسه جل وعلا بالأمور الخمسة المذكورة في الآية التي قبلها التي هي براهين قاطعة على أن المتصف بها هو المعبود وحده.

والأمور الستة التي هي من صفات المعبودات من دون اللّه:

الأول منها: أنها لا تخلق شيئًا، أي: لا تقدر على خلق شيء.

والثاني منها: أنها مخلوقة كلها، أي: خلقها خالق كل شيء.

والثالث: أنها لا تملك لأنفسها ضرًّا ولا نفعًا.

الرابع والخامس والسادس: أنها لا تملك موتًا، ولا حياة، ولا نشورًا، أي: بعثًا بعد الموت.

وهذه الأمور الستة المذكورة في هذه الآية الكريمة جاءت مبينة في مواضع أخر من كتاب اللّه تعالى.

أما الأول منها: وهو كون الآلهة المعبودة من دون اللّه لا تخلق شيئًا، فقد جاء مبينًا في آيات كثيرة، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ﴾ الآية [الحج: ٧٣] وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾﴾ [النحل] وقوله تعالى في سورة فاطر: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾﴾، وقوله تعالى في سورة لقمان: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾، وقوله تعالى في الأحقاف: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن

دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱئْتُونِي بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾﴾، وقوله تعالى: ﴿۞مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾﴾ [الكهف].

وقد بين تعالى في آيات من كتابه الفرق بين من يخلق، ومن لا يخلق؛ لأن من يخلق هو المعبود، ومن لا يخلق لا تصح عبادته، كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ الآيَةَ [البقرة: ٢١] أي: وأما من لم يخلقكم، فليس برب، ولا بمعبود لكم كما لا يخفى. وقوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النحل] وقوله تعالى: ﴿أَمْ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾﴾ [الرعد] أي: ومن كان كذلك فهو المعبود وحده جلَّ وعلا، وقوله تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾﴾ [الأعراف].

وأما الأمر الثاني منها: وهو كون الآلهة المعبودة من دونه مخلوقة، فقد جاء مبينًا في آيات من كتاب اللّه، كآية النحل والأعراف، المذكورتين آنفًا.

أما آية النحل فهي قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾﴾، فقوله: ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ صريح في ذلك.

وأما آية الأعراف فهي قوله تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾﴾ الآيات.

وأما الأمر الثالث منها: وهو كونهم لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًا، فقد جاء مبينًا أيضًا في مواضع من كتاب اللّه، كقوله تعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ [الرعد: ١٦] وكقوله تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ

﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾﴾ [الأعراف] ومن لا ينصر نفسه فهو لا يملك لها ضرًا ولا نفعًا، وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾﴾ [الأعراف] وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ﴾ [الأعراف: ١٩٣ ـ ١٩٥]. وفيها الدلالة الواضحة على أنهم لا يملكون في أنفسهم شيئًا، وقوله تعالى ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ﴾ [الحج: ٧٣]، إلى غير ذلك من الآيات.

وأما الرابع والخامس والسادس من الأمور المذكورة: أعني كونهم لا يملكون موتًا، ولا حياة، ولا نشورًا. فقد جاءت أيضًا في آيات من كتاب اللّه، كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [الروم]. فقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ يدلّ دلالة واضحة على أن شركاءهم ليس واحد منهم يقدر أن يفعل شيئًا من ذلك المذكور في الآية. ومنه الحياة المعبر عنها بخلقكم، والموت المعبر عنه بقوله. ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾، والنشور المعبر عنه بقوله: ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾، وبين أنهم لا يملكون نشورًا بقوله: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الأنبياء]. وبين أنهم لا يملكون حياة ولا نشورًا في قوله تعالى ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ﴾ [يونس: ٣٤].

وبين أنه وحده الذي بيده الموت والحياة في آيات كثيرة، كقوله

تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾ [آل عمران: ١٤٥] وقوله تعالى: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا﴾ [المنافقون: ١١] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾ [لقمان: ٤] وقوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨] وقوله تعالى: ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ [غافر: ١١] إلى غير ذلك من الآيات.

وهذا الذي ذكرنا من بيان هذه الآيات بعضها لبعض معلوم بالضرورة من الدين.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾، . . . أي: وإذا عجزوا عن دفع ضر عن أنفسهم وجلب نفع لها فهم عن الموت والحياة والنشور أعجز؛ لأن ذلك لا يقدر عليه إلَّا اللّه جلَّ وعلا . . .

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾، حذف فيه أحد المفعولين، أي: اتخذوا من دونه أصنامًا آلهة، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾ [الأنعام: ٧٤] والآلهة جمع إله . . .، والإله: المعبود، فهو فعال بمعنى مفعول، وإتيان الفعال بمعنى المفعول جاء منه أمثلة في اللغة العربية، كالإله بمعنى المألوه، أي: المعبود، والكتاب بمعنى المكتوب، واللباس بمعنى الملبوس، والإمام بمعنى المؤتم به. ومعلوم أن المعبود بحق واحد وغيره من المعبودات أسماء سماها الكفار، ما أنزل اللّه بها من سلطان: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [يونس: ٦٦] ﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ [النجم: ٢٣] الآيَةَ»[1].

(١) أضواء البيان ٦/٢٩٧ ـ ٣٠٣.

وقال ابن جرير الطبري:

«القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتٗا وَلَا حَيَوٰةٗ وَلَا نُشُورٗا ٣﴾ [الفرقان] يقول تعالى ذكره مقرّعًا مشركي العرب بعبادتهم ما دونه من الآلهة، ومعجِّبًا أولي النهى منهم، ومنبههم على موضع خطأ فعلهم وذهابهم عن منهج الحقّ، وركوبهم من سبل الضلالة ما لا يركبه إلا كل مدخول الرأي، مسلوب العقل: واتخذ هؤلاء المشركون باللّه من دون الذي له مُلك السماوات والأرض وحده، من غير شريك، الذي خلق كل شيء فقدّره، آلهة: يعني أصنامًا بأيديهم يعبدونها، لا تخلق شيئًا وهي تخلق، ولا تملك لأنفسها نفعًا تجرّه إليها، ولا ضرًّا تدفعه عنها ممن أرادها بضرّ، ولا تملك إماتة حيّ، ولا إحياء ميت، ولا نشره من بعد مماته، وتركوا عبادة خالق كلّ شيء، وخالق آلهتهم، ومالك الضرّ والنفع، والذي بيده الموت والحياة والنشور. والنشور: مصدر نُشر الميت نشورًا، وهو أن يُبعث ويحيا بعد الموت»[(١)].

وقال ابن جرير أيضًا:

«القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ١٧ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٨﴾ [النحل]، يقول تعالى ذكره لعبدة الأوثان والأصنام: أفمن يخلق هذه الخلائق العجيبة التي عددناها عليكم وينعم عليكم هذه النعم العظيمة، كمن لا يخلق شيئًا ولا ينعم عليكم نعمة صغيرة ولا كبيرة؟ يقول: أتشركون هذا في عبادة هذا؟ يعرّفهم بذلك عظم جهلهم،

---

(١) جامع البيان ١٧/٣٩٧.

وسوء نظرهم لأنفسهم، وقلَّة شكرهم لمن أنعم عليهم بالنعم التي عدّدها عليهم، التي لا يحصيها أحد غيره، قال لهم جلّ ثناؤه موبخهم ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أيها الناس يقول: أفلا تذكرون نعم اللّه عليكم، وعظيم سُلطانه وقُدرته على ما شاء، وعجز أوثانكم وضعفها ومهانتها، وأنها لا تجلب إلى نفسها نفعًا ولا تدفع عنها ضرّا، فتعرفوا بذلك خطأ ما أنتم عليه مقيمون من عبادتكموها وإقراركم لها بالألوهة؟» ثم أسند «عن قتادة قوله: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾. واللّه هو الخالق الرازق، وهذه الأوثان التي تعبد من دون اللّه تخلق ولا تخلق شيئًا، ولا تملك لأهلها ضرًّا ولا نفعًا، قال اللّه: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾». وعنه أيضًا: قوله: ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾﴾ [النحل] «وهي هذه الأوثان التي تعبد من دون اللّه أموات لا أرواح فيها، ولا تملك لأهلها ضرًا ولا نفعًا»[١].

وأما ابن كثير فقد قال: «ثم قال تعالى منبهًا على عظمته، وأنه لا تنبغي العبادة إلا له دون ما سواه من الأوثان، التي لا تخلق شيئًا بل هم يخلقون؛ ولهذا قال: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾»[٢].

وقال أيضًا في قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾﴾ [الفرقان]:

«يخبر تعالى عن جهل المشركين في اتخاذهم آلهة من دون اللّه، الخالق لكل شيء، المالك لأزمة الأمور، الذي ما شاء كان وما لم

(١) المصدر السابق ١٤/١٩٤ ـ ١٩٥.
(٢) تفسير ابن كثير ٤/٥٦٤.

يشأ لم يكن. ومع هذا عبدوا معه من الأصنام ما لا يقدر على خلق جناح بعوضة، بل هم مخلوقون، ولا يملكون لأنفسهم ضرًا ولا نفعًا، فكيف يملكون لعابديهم؟ ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾ أي: ليس لهم من ذلك شيء، بل ذلك مرجعه كله إلى اللّه ﷻ، الذي هو يحيي ويميت، وهو الذي يعيد الخلائق يوم القيامة أولهم وآخرهم، ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨]، ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِٱلْبَصَرِ ۝٥٠﴾ [القمر]، ﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ۝١٩ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ۝١٤﴾ [النازعات]، ﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ۝١٩﴾ [الصافات]، ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ۝٥٣﴾ [يس]. فهو اللّه الذي لا إلٰه غيره ولا رب سواه، ولا تنبغي العبادة إلا له؛ لأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن. وهو الذي لا ولد له ولا والد، ولا عديل ولا نديد ولا وزير ولا نظير، بل هو الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد»[1].

وقال ابن كثير أيضًا في قوله تعالى:

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٣١ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ۝٣٢ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٣٣﴾ [يونس]:

«يحتج تعالى على المشركين باعترافهم بوحدانيته وربوبيته على وحدانية الإله فقال: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: من ذا الذي ينزل من السماء ماء المطر، فيشق الأرض شقًّا بقدرته ومشيئته،

---

(١) المصدر السابق ٦/٩٣.

فيخرج منها ﴿حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾﴾ [عبس]، أإله مع اللّه؟ فسيقولون: اللّه، ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ﴾ [الملك: ٢١]، وكذلك قوله: ﴿أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [يونس: ٣١] أي: الذي وهبكم هذه القوة السامعة، والقوة الباصرة، ولو شاء لذهب بها ولسلبكم إياها، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الملك]، وقال: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ﴾ [الأنعام: ٤٦]. وقوله: ﴿وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ [يونس: ٣١] أي: بقدرته العظيمة، ومنته العميمة، وقد تقدم ذكر الخلاف في ذلك، وأن الآية عامة في ذلك كله. وقوله: ﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ﴾ أي: من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه، وهو المتصرف الحاكم الذي لا معقب لحكمه، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون، ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرحمٰن]، فالملك كله العلوي والسفلي، وما فيهما من ملائكة وإنس وجان، فقيرون إليه، عبيد له، خاضعون لديه، ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ﴾ أي: هم يعلمون ذلك ويعترفون به، ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ أي: أفلا تخافون منه أن تعبدوا معه غيره بآرائكم وجهلكم؟.

وقوله: ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ أي: فهذا الذي اعترفتم بأنه فاعل ذلك كله هو ربكم وإلهكم الحق الذي يستحق أن يفرد بالعبادة، ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ﴾ أي: فكل معبود سواه باطل، لا إلٰه إلا هو، واحد لا شريك له.

﴿فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ أي: فكيف تصرفون عن عبادته إلى عبادة ما سواه، وأنتم تعلمون أنه الرب الذي خلق كل شيء، والمتصرف في كل شيء؟

وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾﴾ أي: كما كفر هؤلاء المشركون واستمروا على شركهم وعبادتهم مع اللّه غيره، مع أنهم يعترفون بأنه الخالق الرازق المتصرف في الملك وحده، الذي بعث رسله بتوحيده؛ فلهذا حقت عليهم كلمة اللّه أنهم أشقياء من ساكني النار، كقوله: ﴿قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الزمر: ٧١]»[١].

وقال البغوي في تفسيره:

«قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: من السماء بالمطر، ومن الأرض بالنبات، ﴿أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾ أي: من إعطائكم السمع والأبصار، ﴿وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ﴾ يخرج الحي من النطفة والنطفة من الحي، ﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ أي: يقضي الأمر، ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ هو الذي يفعل هذه الأشياء، ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ أفلا تخافون عقابه في شرككم؟ وقيل: أفلا تتقون الشرك مع هذا الإقرار؟. ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ﴾ الذي يفعل هذه الأشياء هو ربكم، ﴿ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ أي: فأين تصرفون عن عبادته وأنتم مُقِرُّون به؟»[٢].

وقال ابن الجوزي:

«ثم ذكر ما صنعه المشركون، فقال: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ يعني: الأصنام ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ أي: وهي مخلوقة ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا﴾ أي: دفع ضرّ، ولا جرَّ نفع، لأنها جماد لا قدرة لها، ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا﴾ أي: لا تملك أن تميت أحدًا، ولا أن

(١) تفسير ابن كثير ٤/٢٦٦.
(٢) معالم التنزيل ٤/١٣٢.

تحيي أحدًا، ولا أن تبعث أحدًا من الأموات والمعنى: كيف يعبدون ما هذه صفته، ويتركون عبادة من يقدر على ذلك كله؟!»[(١)].

وقال القرطبي:

«**قوله تعالى:** ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ﴾ هو اللّه تعالى. ﴿كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ يريد الأصنام. ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾ أخبر عن الأوثان التي لا تخلق ولا تضر ولا تنفع، ... ومعنى الآية: من كان قادرًا على خلق الأشياء المتقدمة الذكر كان بالعبادة أحق ممن هو مخلوق لا يضر ولا ينفع ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ [لقمان: ١١] ﴿أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٤٠]»[(٢)].

ومما جاء عن السلف:

«**عن عبد اللّه بن عباس ـ من طريق ابن إسحاق بسنده ـ قال:** ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنّه لا ربّ لكم يرزقكم غيره، وقد علمتم الذي يدعوكم إليه الرسولُ من توحيده هو الحقُّ لا يُشَكُّ فيه»[(٣)].

وعن مجاهد ـ من طريق ابن أبي نجيح، وغيره ـ في قوله: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، قال: «تعلمون أنّه إلهٌ واحد في التوراة والإنجيل، لا نِدَّ له»[(٤)].

وعن قتادة ـ من طريق سعيد ـ في قوله: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾،

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ٣/٣١٢.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٠/٩٣.

(٣) أخرجه ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام ١/٥٣٣، وابن جرير ١/٣٩٣، وابن أبي حاتم ١/٦٢، انظر: موسوعة التفسير المأثور.

(٤) أخرجه سفيان الثوري ص ٤٢، وابن جرير ١/٣٩٣ ـ ٣٩٤، وابن أبي حاتم ١/٦٢. وعزاه السيوطي إلى وكيع، وعبد بن حميد، انظر: موسوعة التفسير المأثور.

قال: «أنّ اللّه خلقكم، وخلق السمٰوات والأرض»[(١)].

وقال مقاتل بن سليمان: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنّ هذا الذي ذَكَرَ كُلَّه من صنعه؛ فكيف تعبدون غيره؟!»[(٢)].

وقال يحيى بن سلّام: «فأمر اللّه نبيَّه أن يقول لهم: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٨٤ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ﴾ [المؤمنون: ٨٤ ـ ٨٥] أي: فإذا قالوا ذلك فـ ﴿قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ فتُؤْمِنوا وأنتم تُقِرُّون أنّ الأرض ومَن فيها للّه.

قال أيضًا في قوله: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۝٨٦ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ﴾ [المؤمنون: ٨٦ ـ ٨٧]: «فإذا قالوا ذلك فـ ﴿قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ وأنتم تُقِرُّون أنّ اللّه خالق هذه الأشياء وربها. وقد كان مُشْرِكو العربِ يُقِرُّون بهذا»[(٣)].

وقال محمد بن السائب الكلبي: ﴿فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾: فمِن أين تُصرَفون عن عبادته وأنتم مُقِرُّون؟!»[(٤)].

وقال مقاتل بن سليمان: ﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ﴾ يعني: أمر الدنيا، يعني: القضاء، وحدَه، ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾ فسيقول مُشْرِكو قريش: ﴿ٱللَّهُ﴾ يفعلُ ذلك. فإذا أقرُّوا بذلك ﴿فَقُلْ﴾ يا محمد: ﴿أَفَلَا﴾ يعني: أفَهَلّا ﴿تَتَّقُونَ﴾ الشِّرْكَ. يعني: فهَلّا تحذرون العقوبةَ والنِّقمةَ»[(٥)].

---

(١) أخرجه ابن جرير ١/٣٩٤، وابن أبي حاتم ١/٦٢.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان ١/٩٣.
(٣) تفسير يحيى بن سلّام ١/٤١٣، وانظر: موسوعة التفسير المأثور ١٥/٣٥٥.
(٤) تفسير الثعلبي ٥/١٣١، موسوعة التفسير المأثور ١١/٧٣.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان ٢/٢٣٧، موسوعة التفسير المأثور ١١/٧٢.

ومن أقوال بعض المفسرين المتأخرين ما قاله الثعلبي في تفسيره:

«قوله تعالى ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ﴾ الذي يفعل هذه الأشياء ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ فمن أين تصرفون عن عبادته وأنتم مقرّون؟»[1].

وفي تفسير الماتريدي المسمى تأويلات أهل السنة:

«وقوله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الأنعام: ٩٧] والمراد منه: الظلمات، وذكر في قوله: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ وأراد بالظلمات: الشدائد والأهوال التي تصيبهم.

ألا ترى أنه قال: ﴿تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾، عند الشدائد والأهوال كانوا يدعون ربهم تضرعًا وخفية، على ما ذكرهم هاهنا عظيم سلطانه وقدرته لما يدفع عنهم الشدائد وينجيهم من الأهوال التي تنزل بهم، فالدافع عنهم ذلك هو لا الأصنام التي يعبدون من دون اللَّه ويشركونها في عبادته.

ويذكر في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ عظيم ما أنعم عليهم بما جعل لهم من السماء نجومًا ليهتدوا بها للطرق والمسالك في البحار والبراري عند اشتباهها عليهم.

وفيه دليل وحدانية الرب وتدبيره وحكمته؛ لأنه جعل في السماء أدلة يهتدون بها، ويستدلون على معرفة الطرق مع بعد ما بينهما من

(١) الكشف والبيان عن تفسير القرآن ١٤/٢١١.

المسافة، وتسوية أسباب الأرض بأسباب السماء، وتعلق منافع بعضها ببعض؛ ليعلموا أنه كان بواحد مدبر عليم حكيم؛ إذ لو كان بعدد أو بمن لا تدبير له ولا حكمة، لم يحتمل ذلك، ولم يتسق ما ذكرنا؛ دل أنه كان بالواحد العليم الحكيم، مع علمهم أن الأصنام التي يعبدونها وأشركوها في عبادته لا يقدرون على ذلك، لكنهم يعبدونها ويشركونها في ألوهيته سفهًا منهم وعنادًا، وباللّه العصمة والتوفيق»[1].

وقال الإيجي في تفسيره: «﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ﴾ إذ الأمر أوضح من أن ينكر، ﴿فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ الشرك مع هذا الإقرار»[2].

وقال الخطيب الشربيني (ت: ٩٧٧هـ)[3] في تفسيره: «﴿فَإِذَا﴾ أي: فتسبب عن عدم عقلهم المستلزم لعدم علمهم إنهم إذا ﴿رَكِبُواْ﴾ البحر ﴿فِي ٱلۡفُلۡكِ﴾ أي: السفن ﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ﴾ أي: الملك

(١) تفسير الماتريدي تأويلات أهل السنة، ١٨٣/٤ ـ ١٨٤.

(٢) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن ١٣٢/٢.

(٣) عليه بعض المؤاخذات في العقيدة، وهو من أصحاب عبدالوهاب الشعراني الخرافي الضال، ولذلك لما نقل الشربيني كلام الرازي الأشعري في تفسير سورة يونس عند قوله تعالى: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾، بعد نقلٍ عن غيره: «وقيل: إنهم وضعوا هذه الأصنام والأوثان على صور أنبيائهم وأكابرهم، وزعموا أنهم متى اشتغلوا بعبادة هذه التماثيل؛ فإن أولئك الأكابر يكونون شفعاء لهم عند الله. قال الرازي: ونظيره في هذا الزمان اشتغال كثير من الخلق بتعظيم قبور الأكابر على اعتقاد أنهم إذا عظموا قبورهم فإنهم يكونون شفعاء لهم عند اللّه» علق الشربيني فقال: «ولكن تعظيمهم لهؤلاء ليس كتعظيم الكفار»، وهذا تعقب منه على الرازي، وهو شيخ مدرستهم، ومع ذلك لم يتابع الرازي في الحكم عليهم بالشرك والكفر، وبهذا يتضح أن البدع الكلامية هي أساس البلاء عندهم، وأن أوائلهم فتحوا الباب، وأواخرهم أدخلوا فيه خلائق بجهلهم وغفلتهم عن الحق والتوحيد. ولكن نذكر قول الشربيني ونحوه هنا ليتبين بطلان دعوى الكاتب أن المفسرين كلهم على خلاف قول من خالفه، وليتضح أنه خالف الأولين والآخرين، وليس معه شيء من العلم في اتهامه وتقوله على المفسرين.

الأعلى ﴿مُخۡلِصِينَ﴾ بالتوحيد ﴿لَهُ ٱلدِّينَ﴾ معرضين عن الشركاء بالقلب واللسان حيث لا يذكرون إلا اللّه ولا يدعون سواه لعلمهم بأنه لا يكشف الشدائد إلا هو ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ﴾ أي: اللّه ﷻ موصلًا لهم ﴿إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ﴾ أي: حين الوصول إلى البرّ ﴿يُشۡرِكُونَ﴾ كما كانوا فهذا إخبار عنهم بأنهم عند الشدائد مقرّون أن القادر على كشفها هو اللّه ﷻ وحده فإذا زالت عادوا إلى كفرهم.

قال عكرمة: كان أهل الجاهلية إذا ركبوا في البحر حملوا معهم الأصنام فإذا اشتدّ عليهم الريح ألقوها في البحر وقالوا يا رب يا رب، وقال الرازي في اللوامع: وهذا دليل على أن معرفة الرب في فطرة كل إنسان وأنهم إن غفلوا في السراء فلا شك أنهم يلوذون إليه في حال الضراء»[(١)].

وقال أيضًا:

«ثم بيّن تعالى أنَّ الرسول ﷺ إذا سألهم عن مدبر هذه الأحوال ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ﴾ إذ لا يقدرون على المكابرة والعناد في ذلك لفرط وضوحه، وإذا كانوا يقرّون بذلك ﴿فَقُلۡ﴾ لهم يا محمد ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ الشرك مع اعترافكم بأنّ كل الخيرات في الدنيا والآخرة إنما تحصل بفضل اللّه تعالى وإحسانه.

﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ﴾ أي: الثابت ربوبيته ثباتًا لا ريب فيه، وإذا ثبت أنّ هذا هو الحق وجب أن يكون ما سواه ضلالًا؛ لأنَّ النقيضين يمتنع أن يكونا حقين، وأن يكونا باطلين، فإذا كان أحدهما حقًّا وجب أن يكون ما سواه باطلًا، كما قال تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ﴾ إذ لا واسطة بينهما فهو استفهام تقرير، أي: ليس بعده

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير ١٥٣/٣.

غيره فمن أخطأ الحق وهو عبادة اللّه تعالى وقع في الضلال، ولذلك سبب عنه قوله تعالى: ﴿فَأَنَّىٰ﴾ أي: فكيف ومن أي جهة ﴿تُصْرَفُونَ﴾ أي: تعدلون عن عبادته وأنتم تقرّون بأنّ اللّه هو الحق»[(١)].

وقال كذلك: «﴿أَمْ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾ والهمزة للإنكار، وقوله تعالى: ﴿خَلَقُواْ كَخَلْقِهِۦ﴾ صفة شركاء، أي: خلقوا سموات وأرضين وشمسًا وقمرًا وجبالًا وبحارًا وجنًّا وإنسًا. ﴿فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ﴾، أي: خلق الشركاء بخلق اللّه ﴿عَلَيْهِمْ﴾ من هذا الوجه فلا يدرون ما خلق اللّه ولا ما خلق آلهتهم، فاعتقدوا استحقاق عبادتهم بخلقهم، وهذا استفهام إنكار، أي: ليس الأمر كذلك ولا يستحق العبادة إلا الخالق. ولما كان من المعلوم قطعًا أنَّ جوابهم أنَّ الخلق كله للّه لزمتهم الحجة فقال تعالى: ﴿قلْ﴾ لهؤلاء المشركين ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾... وإذا كان لا خالق غيره فلا يشاركه في العبادة أحد، فوجب أن ينفرد بالإلهية»[(٢)].

وقال أبو السعود أفندي (ت: ٩٨٢هـ) في تفسيره:

﴿أَفَمَن يَخْلُقُ﴾ هذه المصنوعات العظيمة ويفعل هاتيك الأفاعيل البديعة أو يخلق كل شيء، ﴿كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ شيئًا أصلًا وهو تبكيت للكفرة وإبطال لإشراكهم وعبادتهم للأصنام بإنكار ما يستلزمه ذلك من المشابهة بينها وبينه ﷻ بعد تعداد ما يقتضي ذلك اقتضاء ظاهرًا وتعقيب الهمزة بالفاء لتوجيه الإنكار إلى توهم المشابهة المذكورة على ما فصل من الأمور العظيمة الظاهرة الاختصاص به تعالى المعلومة كذلك فيما بينهم حسبما يؤذن به ما تلوناه من قوله تعالى: ﴿وَلَئِن

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير ١٨/٢.
(٢) السراج المنير ١٥٣/٢.

سَأَلْتَهُم﴾. . . الآيَتَيْنِ. والاقتصار على ذكر الخلق من بينها لكونه أعظمها وأظهرها واستتباعه إياها أو لكون كل منها خلقا مخصوصا أي أبعد ظهور اختصاصه تعالى بمبدئية هذه الشئون الواضحة الدلالة على وحدانيته تعالى وتفرده بالألوهية واستبداده باستحقاق العبادة. . . »(١).

وبعد هذه النقولات الكثيرة يقال للكاتب: هؤلاء المفسرون وضَّحوا قوة الحجة وظهورها في الرد على المشركين، ولم يقل أحدٌ منهم إن للمشركين أن يقولوا: نحن لم نعتقد في معبوداتنا أنها رب أو أنها تخلق وترزق فلا تلزمنا هذه الحجة!؟

ويقال له أيضًا: الإله الحق هو الذي يخلق ويرزق، ولا يمكن لمن لا يخلق ولا يرزق أن يكون إلهًا، بل عدم قدرته على الخلق والرزق أعظم دليل وبرهان على بطلان عبادته، وأما المشركون؛ فنعم، هم يعلمون أنَّ اللّه خالقهم ولكنهم ضلوا وتناقضوا واستكبروا فعبدوا غيره، ويقولون ﴿أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ [ص]، وليس معنى الآية أجعل الخالقين خالقًا واحدًا، وإنما أجعل المعبودات معبودًا واحدًا.

قال ابن جرير الطبري: «يقول: وقال هؤلاء الكافرون الذين قالوا: محمد ساحر كذاب: أَجعل محمد المعبودات كلها واحدًا، يسمع دعاءنا جميعنا، ويعلم عبادة كل عابد عبدَه منا؟ ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾: أي إن هذا لشيء عجيب»(٢).

وقال ابن كثير: «أزعم أن المعبود واحد لا إله إلا هو؟! أنكر

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ١٠٤/٥.
(٢) جامع البيان ١٨/٢٠.

المشركون ذلك ـ قبحهم اللّه تعالى ـ وتعجبوا من ترك الشرك باللّه، فإنهم كانوا قد تلقوا عن آبائهم عبادة الأوثان وأشربته قلوبهم فلما دعاهم الرسول ﷺ إلى خلع ذلك من قلوبهم وإفراد اللّه بالوحدانية أعظموا ذلك وتعجبوا وقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ﴾ وهم سادتهم وقادتهم ورؤساؤهم وكبراؤهم قائلين: ﴿أَنِ ٱمْشُوا۟﴾ أَيِ: استمروا على دينكم ﴿وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ﴾ ولا تستجيبوا لما يدعوكم إليه محمد من التوحيد»[(١)].

وقال ابن الجوزي: «لأنه دعاهم إلى اللّه وحده وأبطل عبادة آلهتهم»[(٢)].

وقال أبو السعود: «﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ﴾ بأن نفى الألوهية عنهم وقصرها على واحد. ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ بليغ في العجب وذلك لأنه خلاف ما ألفوا عليه آباءهم الذين أجمعوا على ألوهيتهم، وواظبوا على عبادتهم كابرًا عن كابر فإن هذا مدار كل ما يأتون وما يذرون من أمور دينهم هو التقليد والاعتياد فيعدون ما يخالف ما اعتادوه عجيبًا بل محالًا، وأما جعل مدار تعجبهم عدم وفاء علم الواحد وقدرته بالأشياء الكثيرة فلا وجه له؛ لما أنهم لا يدَّعون أن لآلهتهم علمًا وقدرةً ومدخلًا في حدوث شيء من الأشياء حتى يلزم من نفي ألوهيتهم بقاء الآثار بلا مؤثر»[(٣)].

وفي تفسير أبي السعود هذا ردٌّ على ادعاء الكاتب وأمثاله.

والمشركون لا يقولون هذا الكلام الذي زعمه الكاتب وهو أنَّ

(١) تفسير ابن كثير ٧/٥٣.

(٢) زاد المسير في علم التفسير ٣/٥٦٠.

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ٧/٢١٥.

من لا يخلق يصلح أن يكون إلهًا! لأنه فاسد يدل على نقص العقل والتصور.

وإنما قاله الكاتب لعدم معرفته بحقيقة شرك المشركين، ومن المعلوم ما الذي اعترض المشركون به فإنهم احتجوا بحجج واهية لتسويغ عبادة غير اللّه؛ وهو قولهم إنها تقربنا إلى اللّه زلفى وتشفع لنا عند اللّه، فإذا أقيمت عليهم الحجة وهي هل هذه المعبودات التي عبدتموها تخلق وترزق وتدبر فحينئذ تخنقهم الحجة ولا يملكون الجواب فيستمرون على الشرك يحملهم عليه الاستكبار والعناد والتقليد للآباء والأسلاف ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾﴾ [ص].

والإله الحق لا يكون إلا الخالق الرازق هذا في اعتقاد الرسل وأتباعهم من المؤمنين، فلا يمكن لعاقل يفهم ما يقول، أن يعترض على تقريرات أهل العلم في بيان حال المشركين ويزعم أن المشركين لهم أن يقولوا لأهل الإسلام: من قال إن الإله الحق لا يكون إلا من يخلق ويرزق؟

والكاتب خلط بين أمرين؛ الأمر الأول: الاعتقاد الحق وهو المطابق للواقع، وهو أن اللّه سبحانه هو الإله الحق وهو الخالق الرازق المدبر ولم يشاركه أحد في الخلق.

الأمر الثاني: اعتقاد المشركين بأنه خلقهم ورزقهم ويصرفون العبادة لغيره.

ولا يصح نفي وجود هذا الضلال في بني آدم بل هو الأغلب على البشر.

فإذا قال واحد من المشركين: (من قال إن الإله لا يمكن إلا من يخلق وينشئ بقدرته مثل السماوات والأرض؟) ـ على ترتيب

الكاتب ليتبين الغلط في فهمه ـ تكون تتمة كلام المشرك: (فالإله من يخلق ويرزق، وكذا يكون إلها من لا يخلق ولا يرزق) وهو عند المشرك من يشفع إلى اللّه ويقرب إليه زلفى فهو أيضًا إلٰه عند المشركين!

ولكن إذا قيل للمشرك: كيف تتخذ من لا يخلق ولا يرزق باعترافك إلهاً؟!

وباعترافك أنك تزعم بلا دليل أنه يقربك إلى اللّه ويشفع لك عنده وأنت لا سلطان لك من اللّه أنه أمرك بعبادته؟!

فحينئذ لا مجال عند المشرك للرد على هذا.

وهل يمكن أن يقول المشرك: بلى إنّ مَنْ لا يخلق ولا يرزق ولا يملك يكون إلهًا معبودًا! فإنْ قدِّر أنه قاله؛ فقد أقام على نفسه الحجة، وتفوّه بما يُبطل شِرْكَه وينقضه.

والمشرك إذا قال: (فالإله من يخلق ويرزق فقط وكذلك غيره من الوسطاء والشفعاء هم آلهة أيضًا وإن كانوا لا يخلقون ولا يرزقون)؛ فالرد عليه بمحكم القرآن في وصف اللّه للمشركين بأنهم يحتجون بحجة القربة والشفاعة؛ فأكذبهم اللّه تعالى ونفى اعتقادهم وبين بطلانه.

وقول الكاتب: **[لو كانوا لا يقرون بأن الألوهية تستوجب الربوبية بالخلق والرزق والتدبير فكيف ستقوم عليهم الحجة بهذا الاحتجاج القرآني؟].**

فجوابه: قامت عليهم الحجة باعترافهم أنَّ الذي خلقهم هو اللّه، فكيف يعبدون غيره وهم يعلمون أن ذلك الغير لا يخلق ولا يرزق!!

وصفة الألوهية الحقة لا تكون إلا للّه وهو ذو الألوهية والربوبية على خلقه أجمعين فالكافر يعرف أن اللّه خلقه ويجحد إخلاص العبادة له.

والعلاقة بين توحيد الربوبية والألوهية علاقة تضمن والتزام فتوحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية؛ بمعنى أنه من عرف أن اللّه ربه لزمه ووجب عليه أن يخلص له العبادة، فبعض الخلق يقوم بما أوجب اللّه عليه فيخلص العبادة للّه وبعضهم يطغى وينسى ويعبد معه غيره، وأما توحيد الألوهية فهو يتضمن توحيد الربوبية؛ بمعنى أن من أخلص للّه العبادة فإن ذلك دليل على أنه مقر بأن اللّه ربه لا شريك له.

وقول الكاتب **[وبعبارة أخرى لو قالوا: لا يلزم من عبادة غير اللّه أن يكون لغيره شيء من خصائص الربوبية؟ ما وجه الحجة عليهم بهذه الحجج الإلهية التي هي من أكثر حججه تعالى على المشركين تكرارًا وأقواها ظهورًا في إيجاب إفراد اللّه بالعبادة؟]**[(١)].

نعم هذا واقع المشركين أنهم يقولون إذا عبدنا غير اللّه لم نجعله ربًّا وخالقًا ومدبرًا بل هو شفيع ووسيط يقربنا إلى اللّه!

ووجه الحجة أن اللّه بين عجز معبوداتهم وأن معبوداتهم ﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ [النجم: ٢٣]، وإذا كانت مخلوقة مثلكم فلماذا تعبدونها ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ [الأعراف: ١٩٤].

---

(١) الحجة قامت عليهم باعترافهم أن اللّه (وحده) هو الخالق؛ فهو يستحق العبادة، وهذا تشهد له الفطرة والعقل مع الشرع، ولم ينسبوا لآلهتهم شيئًا من الخلق مطلقًا ولا يقدرون، بينما ليس عندهم دليل على الأسباب الأخرى التي يدعونها لاستحقاق أصنامهم العبادة كالشفاعة والتقليد.

وبين اللّه تعالى بطلان شفاعتهم في مواضع كثيرة وهذا الذي يسميه العلماء الشفاعة المنفية فقال تعالى: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥٤] وقال ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ﴾ [الزمر: ٤٣] وغيرها من الآيات.

قال ابن جرير الطبري:

«القول في تأويل قوله: ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾﴾ [الأعراف].. وإنما أراد اللّه جل ثناؤه بوصف آلهتهم بذلك من صفتها، تنبيهَهم على عظيم خطئهم، وقبح اختيارهم. يقول جل ثناؤه: فكيف يهديكم إلى الرشاد مَنْ إن دُعي إلى الرشاد وعُرِّفه لم يعرفه، ولم يفهم رشادًا من ضلال، وكان سواءً دعاءُ داعيه إلى الرشاد وسكوته، لأنه لا يفهم دعاءه، ولا يسمع صوته، ولا يعقل ما يقال له. يقول: فكيف يُعبد من كانت هذه صفته، أم كيف يُشْكِل عظيمُ جهل من اتخذ ما هذه صفته إلهًا؟ وإنما الرب المعبود هو النافع من يعبده، الضارّ من يعصيه، الناصرُ وليَّه، الخاذل عدوه، الهادي إلى الرشاد من أطاعه، السامع دعاء من دعاه»[١].

وقال أيضًا: «القول في تأويل قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الأعراف] قال أبو جعفر: يقول جل ثناؤه لهؤلاء المشركين من عبدة الأوثان، موبِّخهم على عبادتهم ما لا يضرهم ولا ينفعهم من الأصنام: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ أيها المشركون، آلهةً ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، وتعبدونها، شركًا منكم وكفرًا باللّه ﴿عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾، يقول: هم أملاك لربكم، كما أنتم له مماليك. فإن كنتم صادقين أنها تضر

(١) جامع البيان ١٠/٦٣٤.

وتنفع، وأنها تستوجب منكم العبادة لنفعها إياكم، فليستجيبوا لدعائكم إذا دعوتموهم، فإن لم يستجيبوا لكم، لأنها لا تسمع دعاءكم، فأيقنوا بأنها لا تنفع ولا تضر، لأن الضر والنفع إنما يكونان ممن إذا سُئل سمع مسألة سائله وأعطى وأفضل، ومن إذا شكي إليه من شيء سمع، فضرّ من استحق العقوبة، ونفع من لا يستوجب الضرّ»[1].

قال العلامة الشنقيطي:

«قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَاۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأنبياء].

قوله في هذه الآية الكريمة: ﴿أم﴾ هي المنقطعة، وهي بمعنى بل والهمزة، فقد اشتملت على معنى الإضراب والإنكار، والمعنى: ألهم آلهة تجعلهم في منعة وعز حتى لا ينالهم عذابنا؟ ثم بين أن آلهتهم التي يزعمون لا تستطيع نفع أنفسها، فكيف تنفع غيرها بقوله: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ﴾.

وقوله: ﴿مِّن دُونِنَاۚ﴾ فيه وجهان: أحدهما: أنه متعلق بـ ﴿ءَالِهَةٌ﴾ أي: ألهم آلهة ﴿مِّن دُونِنَاۚ﴾ أي سوانا ﴿تَمْنَعُهُم﴾ مما نريد أن نفعله بهم من العذاب! كلا! ليس الأمر كذلك. الوجه الثاني: أنه متعلق بـ ﴿تَمْنَعُهُم﴾ لقول العرب: منعت دونه، أي كففت أذاه. والأظهر عندي الأول. ونحوه كثير في القرآن كقوله: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ﴾ الآية، وقوله: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ الآية، إلى غير ذلك من الآيات.

وما تضمنته هذه الآية الكريمة، من كون الآلهة التي اتخذوها لا تستطيع نصر أنفسها فكيف تنفع غيرها؛ جاء مبينا في غير هذا

(١) جامع البيان ١٠/٦٣٥.

الموضع، كقوله تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا ۖ أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾﴾ [الأعراف]، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا ۖ وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾﴾ [الأعراف]، وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۚ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ۖ﴾ الآية [فاطر: ١٣ ـ ١٤]، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [الأحقاف: ٥] الآية، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن تلك الآلهة المعبودة من دون اللّه ليس فيها نفع ألبتة»[(١)].

ولذلك لا تجد في القرآن أن المشركين يقولون عن معبوداتهم إنها خالقة رازقة مدبرة، وفي قوله تعالى: ﴿تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [الشعراء]، قال ابن جرير: «يقول الغاوون للذين يعبدونهم من دون اللّه: تاللّه إن كنا لفي ذهاب عن الحق حين نعدلكم برب العالمين فنعبدكم من دونه»[(٢)].

فانظر رعاك اللّه ما آل إليه حال الكاتب!! حتى ظن أن الحجج التي في القرآن غير كافية ولا وافية بسبب تلك التحريفات التي سار عليها.

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٧٢٣/٤ ـ ٧٢٤.

(٢) جامع البيان ٥٩٩/١٧.

مواصلة الكاتب ادعاءاته أن الشرك في الألوهية لا بد معه من شرك في الربوبية:

قال ص ٢٦: **[والطبري والمفسرون جميعًا لم يرد في ذهنهم هذا الاعتراض الساقط لأنهم كانوا يعلمون أن الإله عند العرب هو من كان مستحقًّا للعبادة بما له من صفات الربوبية إما مُلكًا أو شراكة أو إعانة ونصرة]**.

ساق هذا الكاتب حجة تخيّلها ووضعها على لسان المشركين وسماها اعتراضًا ساقطًا، وهذا من البلاء الذي ابتلي به فهو الذي يسوق الكلام الغثاء الساقط، ثم يعتقد إمكان إيراده، ثم يقول إن المفسرين لم يرد في أذهانهم!

والحمد للّه أنه عُرِفَ فساد هذا الكلام وأنه لا يقبله عاقل.

فإن كان يريد بالاعتراض أن المشركين لا يقرون بالربوبية وأن هذا مقتضى كلام ابن جرير الطبري والمفسرين؛ فالرد عليه فيما يتعلق بالطبري بما سبق ذكره من أقوال الطبري وهو صريح في إقرار المشركين بالربوبية ولا بأس أن أعيد نصًّا من كلام الطبري، قال: «وما يُقِرُّ أكثر هؤلاء الذين وصَفَ ﷻ صفتهم بقوله: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ باللّه أنه خالقه ورازقه وخالق كل شيء ﴿إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ في عبادتهم الأوثان والأصنام، واتخاذهم من دونه أربابًا، وزعمهم أنَّ له ولدًا، تعالى اللّه عما يقولون. . .

عن عكرمة: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾، قال: من إيمانهم إذا قيل لهم: من خلق السماوات؟ قالوا: اللّه. وإذا سئلوا: من خلقهم؟ قالوا: اللّه. وهم يشركون به بَعْدُ»[1].

(١) جامع البيان ١٣/٣٧٢.

وأما غير ابن جرير الطبري من بقية المفسرين فقد زعم الكاتب أنهم يجعلون الربوبية والألوهية بمعنى واحد، وأذكر هنا نماذج من أقوال المفسرين من الصحابة والتابعين وأتباعهم تبين بطلان كلامه:

فقد نقل ابن جرير الطبري في تفسيره الأقوال في معنى قول اللّه تعالى ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ [النحل: ٨٣] فنقل بسنده عن ابن جريج: «قال عبد اللّه بن كثير: يعلمون أن اللّه خلقهم وأعطاهم ما أعطاهم، فهو معرفتهم نعمته ثم إنكارهم إياها كفرهم بعد»[(١)].

ثم نقل عن آخرين من أهل التفسير فقال: «وقال آخرون: معنى ذلك أن الكفار إذا قيل لهم: من رزقكم؟ أقرّوا بأن اللّه هو الذي رزقهم، ثم يُنْكِرون ذلك بقولهم: رزقنا ذلك بشفاعة آلهتنا».

ثم قال ابن جرير: «فمعنى الآية: يعرف هؤلاء المشركون باللّه نعمة اللّه عليهم يا محمد بك، ثم ينكرونك ويجحدون نبوّتك ﴿وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ يقول: وأكثر قومك الجاحدون نبوّتك، لا المقرّون بها»[(٢)].

وقال ابن الجوزي: «وعن مجاهد قال: نعم اللّه: المساكن، والأنعام، وسرابيل الثياب، والحديد، يعرفه كفار قريش، ثم ينكرونه بأن يقولوا: هذا كان لآبائنا ورثناه عنهم، وهذا عن مجاهد. والثاني: أنهم يقولون: لولا فلان، لكان كذا، فهذا إنكارهم، قاله عون بن عبد اللّه. والثالث: يعرفون أن النعم من اللّه، ولكن يقولون: هذه بشفاعة آلهتنا، قاله ابن السائب، والفراء، وابن قتيبة»[(٣)].

---

(١) جامع البيان ١٤/٣٢٦.
(٢) المصدر السابق ١٤/٣٢٦.
(٣) زاد المسير في علم التفسير ٢/٥٧٦.

وقال الماوردي بعد أن ذكر ثلاثة أقوال:

«الرابع: أن معرفتهم بالنعمة إقرارهم بأن اللّه رزقهم، وإنكارهم قولهم: رزقنا ذلك بشفاعة آلهتنا.

الخامس: يعرفون نعمة اللّه بتقلبهم فيها، وينكرونها بترك الشكر عليها.

ويحتمل سادسًا: يعرفونها في الشدة، وينكرونها في الرخاء.

ويحتمل سابعًا يعرفونها بأقوالهم، وينكرونها بأفعالهم»[(١)].

ولذلك قال الشنقيطي في أضواء البيان:

«قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ الآية. ذكر جلَّ وعلا في هذه الآية الكريمة: أن الكفار يعرفون نعمة اللّه؛ لأنهم يعلمون أنه هو الذي يرزقهم ويعافيهم، ويدبر شئونهم، ثم ينكرون هذه النعمة، فيعبدون معه غيره، ويسوونه بما لا ينفع ولا يضر، ولا يغني شيئًا.

وقد أوضح جل وعلا هذا المعنى في آيات كثيرة، كقوله: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ فقوله: ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ دليل على معرفتهم نعمته. وقوله: ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ دليل على إنكارهم لها. والآيات بمثل هذا كثيرة جدًا»[(٢)].

فهذه أمثلة من أقوال المفسرين تبين أن العرب المشركين عبدوا آلهة يعرفون أنها لا تخلق ولا ترزق ولا تدبر ويُصرح المفسرون بهذا المعنى.

(١) النكت والعيون ٣/٢٠٧.
(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٣/٣٩٤.

ومع ذلك يكابر الكاتب ويدعي أن المفسرين كانوا يعلمون أن الإله عند العرب هو من كان مستحقًّا للعبادة بما له من صفات الربوبية.

وفي معنى «**الإله**» في اللغة يقول أحد كبار علماء اللغة والحديث والغريب الإمام الخطابي: «وحكى بعض أهل اللغة: أَلَهَ، يَأْلَهُ، إلاهَةً. بمعنى: عَبَد، يَعْبُدُ، عِبَادةً.

وروي عن ابن عباس: أنه كان يقرأ: (ويَذَرَكَ وإلَاهَتَكَ) [الأعراف: ١٢٧] أيْ: عِبَادَتكَ. قَالَ: والتَّأَلُّهُ: التعَبُّدُ. وأنشد لرؤبة:

لِلّهِ درُّ الغانِياتِ المُدَّهِ ... سَبَّحْنَ واسترجَعْنَ مِنْ تألُّهي[(١)]

... وزعم بعضهم: أن الأصل فيه الهاء التي هي للكناية عن الغائب، وذلك؛ لأنهم أثبتوه موجودًا في فطر عقولهم، وأشاروا إليه بحرف الكناية، ثم زيدت فيه لام الملك. إذ قد علموا: أنه خالق الأشياء ومالكها»[(٢)]، فصرح بأن العرب علمت أن اللّه خالق الأشياء ومالكها.

والقارئ له أن يرجع إلى مئات المواضع من كتب التفسير المسندة عند الآيات التي ذكرت أمثلتها فيما مضى، وسيرى غلط الكاتب على المفسرين، وإذا اتضح للقارئ ذلك فلا يلتفت إلى تهويلات الكاتب وادعاءاته غير الصادقة.

---

(١) ديوانه/١٦٥ وتفسير الطبري ١/١٢٣ وزاد المسير ١/٩، والكامل ص ٨٧٣، ونوادر ابن الأعرابي ١/٢٩٦، والأزهري ٦/٤٢٢، والهمز لأبي زيد ص ١٠، والجمهرة ١/٦ و٢/٣٠٢، واللسان مادة (أله) ومادة (مته) ومادة (مدح)، وشرح المفصل لابن يعيش ١/٣، والخزانة ٣/٩٢، وانظرها في: ٤/٣٤٢ ففيها بحث عن أصل كلمة (أله) وتفسير أسماء اللّه الحسنى ص ٢٥، ٢٦، وشطره الثاني في المحتسب ١/٢٥٦.

(٢) شأن الدعاء ٣٣.

ثم ادعى الكاتب في ص ٢٦ أنَّ الطبري والمفسرين جميعًا يعتقدون أنَّ: [العبادة عندهم هي الخضوع والحب الذي لا يكون إلا للرب أو لمن لديه قدر من خصائصه].

والرد عليه:

أولًا: هذا القيد الذي ادعاه أهل الأهواء حتى يجدوا مخرجًا لعبّاد القبور، ويقولوا لهم إن العبادات التي تصرفونها لغير اللّه لا تؤثر في دينكم ما دمتم تعتقدون أن اللّه هو الرب الخالق الرازق؛ وليس في معبوداتكم خصائص الربوبية فلا يخرجكم ذلك الاعتقاد من الإسلام.

وسيأتي إيراد أقوال أهل العلم ومنهم ابن جرير في تعريف العبادة لغة واصطلاحًا وينكشف غلط الكاتب، وسيأتي قول ابن جرير في تفسيره[1]: «وإنما اخترنا البيان عن تأويله بأنه [أي كلمة: نعبد] بمعنى نخشع ونذل ونستكين، دون البيان عنه بأنه بمعنى نرجو ونخاف، وإن كان الرجاء والخوف لا يكونان إلا مع ذلة؛ لأن العبودية عند جميع العرب أصلها الذلة».

ثانيًا: العرب عندما صرفوا العبادة لغير اللّه أقرّوا على أنفسهم بالشرك، فقال اللّه تعالى عنهم: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨]، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٍ﴾ [النحل: ٣٥].

وفي هذه الآيات أيضًا إقرارهم بالربوبية؛ لأنهم جعلوا الأمر مرتبطًا بمشيئة اللّه، بل أقوالهم صريحة في الدفاع عن شركهم، وأن هذا بسبب مشيئة اللّه، وأنهم تحت تدبيره وتصريفه، وليست هذه

(١) جامع البيان ١/١٥٩.

عقيدة من ينكر الخالق أو يجعل له شريكًا في الخلق والتدبير أو يجحد وجوده، ومثلها قوله تعالى عنهم: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنُطۡعِمُ مَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطۡعَمَهُۥٓ﴾ [يس: ٤٧].

ثالثًا: ما سبق إيراده من الأدلة على إقرارهم بالربوبية للّه تعالى مع صرفهم العبادة لغيره، يوضح أنه لا يشترط في العبادة هذا القيد الذي وضعه الكاتب، وهو أن يكون العابد يعتقد في معبوده خصائص الربوبية.

رابعًا: العبادة فعل المكلف وهي عمل زائد على اعتقاد المكلف؛ فلو اعتقد في غير اللّه الربوبية أو خصائص الربوبية لكان كافرًا ولو لم يعبد ذلك الغير.

خامسًا: تقدم النقل عن الطبري وعن بقية المفسرين بما يبين بطلان ما ادعاه الكاتب من أنهم يرون جعل هذا القيد في العبادة، وسيأتي مزيد لإيضاح ذلك.

سادسًا: تضمن هذا الكلام أنَّ كل عبادة تصرف لغير اللّه فلا تسمى عبادة إلا إذا اعتقد من صرفها في ذلك الغير الربوبية، وهذا فيه تسويغ كل شرك في العالم؛ ذلك أن أي مشرك يريد أن يسلم من العقوبة فله أن يقول إنه لا يعتقد في معبوده أنه رب خالق رازق!!.

سابعًا: الكاتب ذكر في ص ٢٦ أنَّ العبادة عند العرب (الخضوع والحب الذي لا يكون إلّا للرب أو لمن لديه قدر من خصائصه)، لكنه عندما ادّعى إلزامَ خصومه من الموحدين قال في ص ٢٧ السطر٤: (كل خضوع عظيم وتذللٍ كبيرٍ سيكون عبادة) فذكر الخضوع والذل ولم يذكرِ الحبَّ لأنه يهدم عليه إلزامه وهذا من تناقضه.

ثامنًا: إنَّ البحث هو في أفعال المكلفين من العبادات، وقد حذر جميع العلماء من صرفها لغير اللّه، وكون ما يقع في قلوب بعضهم من اعتقاد أن معبوداتهم تخلق أو تدبر فهذا أمر يزيد الشرك في الألوهية قبحًا آخر إذ يصير صاحبه مشركًا في الربوبية أيضًا.

تاسعًا: قوله: **[الإله عند العرب هو من كان مستحقًّا للعبادة بما له من صفات الربوبية إما ملكًا أو شراكة أو إعانة ونصرة]**.

إن تصور حقيقة شرك المشركين من جهة ما يقوم بقلوبهم أمر لا ينضبط لكثرة أنواع الضلال وشعبه وأوديته، والشرع علَّق الأحكام بما يظهر من المكلف من أعمال وأوجب صرف جميع العبادات للّه، فإذا تجاوز المكلف حدّه وصرف عبادته لغير اللّه فقد وقع في شرك العبادة بغض النظر عن نوع الضلال الذي قام بقلبه.

قول الكاتب ص ٢٦: **[ولكن لو قيل في المجادلة عن المشركين لتكفير المسلمين وللدفاع عن المشركين في رد حجة اللّه عليهم]**.

لقد وقفت عند هذه الكلمات طويلًا فما أدري من أي شيء أتعجب!

يسميهم (مشركين) فيصف أهل السنة بأنهم يجادلون عن المشركين! وهذا من الظلم الذي وقع فيه الكاتب، فكل من قال بالفرق بين توحيدي الألوهية والربوبية فهو يجادل عن المشركين!

أليس ألّف كتابه ليدافع عن هذا النوع من الخلق!! والكاتب يُغمض عينيه عن الشرك في دعاء اللّه والاستغاثة بغيره وتسوية غير اللّه باللّه في أعظم العبادات وأجل الطاعات!

هل يكون ناصحًا للأمة وهو بطريقته وتقريراته يفتح لهم باب الغلو مما يهلكهم ولا ينجيهم يوم القيامة.

وقوله **[لتكفير المسلمين]** أي: الحامل له على هذه المجادلة أن المجادل يريد تكفير المسلمين، ومراد الكاتب بالمسلمين هنا هم الذين يستغيثون بغير اللّه ويسجدون لأصحاب القبور ويذبحون للجن ما داموا ينطقون بالشهادتين، فيجعل أقوال العلماء من الصحابة والتابعين إنما هي لتكفير المسلمين!! وليست لبيان حقيقة هذا الدين!؟

قول الكاتب في ص ٢٦ السطر ٧ من أسفل: **[لكن هذا الاعتراض الفاسد لا يصحح وجوب إفراد اللّه تعالى بالعبادة... وإنما يمكن أن يصحح أنه سبحانه هو الأولى بالعبادة وأنه تعالى أحرى من عبد، ولكنه لا يوجب إفراد اللّه بالعبادة فلا يكون في إثبات انفراد اللّه ﷻ بالربوبية ما يُلْزِم المشركين بتوحيد اللّه تعالى بالعبادة حسب هذا الاعتراض المجادل عن المشركين]**.

قف أخي القارئ على بشاعة هذا الكلام وخطورته البالغة: **[هذا الاعتراض الفاسد لا يصحح وجوب إفراد اللّه تعالى بالعبادة]**؛ فهذا النص اشتمل على ذكر حجة لإبطال الشرك وسماها اعتراضًا فاسدًا وجعل هذه الحجة لا تكفي في وجوب إفراد اللّه بالعبادة.

فخلاصة قوله: **[ما دام أن اللّه تعالى هو الخالق فهو المستحق للعبادة دون من لا يخلق، فلا يكفي هذا في وجوب إفراده بالعبادة فلو عبد غيره لما كان...]**.

ولك أن تقف على فحوى هذه الجملة حتى يتضح لك ما يؤول إليه كلامه!

فهو يدعي أن تفسير الإله بالمعبود بدون شرط اعتقاد الربوبية تفسير فاسد!!

ويجعل من الممكن للمشركين أن يردوا فيقولوا: **[لا يلزم من عبادة غير اللّه أن يكون لغيره شيء من خصائص الربوبية]** فإن قلتم للمشركين (ما دام أنه الخالق الرازق المدبر فهو المستحق للعبادة) فللمشركين أن يجيبوا ويردوا كلامكم فيقولوا: **[هذا لا يصحح وجوب إفراد اللّه تعالى بالعبادة... وإنما يمكن أن يصحح أنه سبحانه هو الأولى بالعبادة]**. وللمشركين أن يقولوا: **[من ذا الذي يوجب علينا ألا نؤله بالعبادة إلا الخالق]**.

قف أيها القارئ مرة بعد مرة على كلامه هذا حتى تعرف ما يريد أن يصل إليه، ولم أكن أظن أنه يتجرأ على مثل هذا الكلام، ولا حول ولا قوة إلا بالله، نسأل اللّه العافية لنا وله وللمسلمين.

قال ابن جرير الطبري: «القول في تأويل قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ١٩٧﴾ [الأعراف].

قال أبو جعفر: وهذا أيضًا أمر من اللّه جل ثناؤه لنبيه أن يقوله للمشركين. يقول له تعالى ذكره: قل لهم، إن اللّه نصيري وظهيري، والذين تدعون أنتم أيها المشركون من دون اللّه من الآلهة، لا يستطيعون نصركم، ولا هم مع عجزهم عن نصرتكم يقدرون على نصرة أنفسهم، فأي هذين أولى بالعبادة وأحق بالألوهة؟ أمن ينصر وليه ويمنع نفسه ممن أراده، أم من لا يستطيع نصر وليه ويعجز عن منع نفسه ممن أراده وبَغاه بمكروه؟»[١].

وقال المفسر مكي القيسي القرطبي (ت٤٣٧هـ) في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ﴾: «أي: وقل لهم بعد إخبارك أن اللّه تعالى ينصرك: والذين تدعون من دون اللّه،

(١) جامع البيان ١٠/٦٣٧.

لا يستطيعون نصركم كما نصرني اللّه، ولا يستطيعون نصر أنفسهم. فأي هذين أولى بالعبادة؟ من نَصَرَ نَفْسَهُ، وَنَصَرَ مَنْ عَبَدَهُ، أو من لا يستطيع نصر لنفسه ولا نصر من عبده؟»(١).

وقال الحداد في تفسيره: «وقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾﴾؛ أي ولئن سألت هؤلاء الذين عبدوا غير اللّه: من خلقهم وخلق معبودهم؟ ليقولنّ: اللّه خلقهم، فمن أين يصرفون عن عبادة اللّه مع اعترافهم بأنه الخالق، والخالق أولى بالعبادة من المخلوق؟»(٢).

وقوله ص ٢٦: **[يصح الاحتجاج على المشركين بتقريرهم بتوحيد الربوبية من وجه آخر غير تلازم استحقاق العبودية بصفات الربوبية... سيقال في جوابه لكن هذا الاعتراض الفاسد لا يصحح وجوب إفراد اللّه تعالى بالعبادة... وإنما يصحح أنه سبحانه الأولى بالعبادة]**.

معنى الكلام: أنه إذا ثبت أن اللّه تعالى أولى بالعبادة؛ فإن هذا لا يمنع عقلًا من أن يَجْعَلَ له شريكًا في العبادة!!

وهذا الكلام مخالف لجميع ما عليه أهل الإسلام وقال به بعض أهل الكلام(٣)، وقال الكاتب في ص ٢٧: **(لوازم باطلة أيضًا سوى أن أقصى ما سيكون به حق اللّه في الإفراد بالعبادة هو الأفضلية والأولوية فقط)**.

---

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية ٤/٢٦٨٥.

(٢) كشف التنزيل في تحقيق مباحث التأويل ٦/٢٠٤.

(٣) هذا وقد ذهب الرازي وهو عمدة متأخريهم إلى أن العقل لا يوجب استحقاق اللّه للعبادة فقال في المطالب العالية ٩/٢٨٥: «أنا بيَّنا أن العقل لا يدل على حصول الاستحقاق، لأنه لا يتفاوت حال المعبود بسبب هذه العبادة وهي شاقة على العبد فوجب ألا يحكم العقل بوجوبه»، ولم يقل إن العقل لا يمنع من عبادة غير اللّه.

والكاتب يريد التخلص من هذه اللوازم الباطلة بزعمه، فيرى أن حجة اللّه على المشركين لا تقوم إلا إذا قلت إن المشركين لا يقرون بالربوبية إطلاقًا.

وقد ذكر ذلك في ص٢٨، مع أنه في ص٢٢ السطر ١٤ يقول: [من خلال اعترافهم له بالربوبية].

وقد تقدم أن الكاتب يدعي أن صرف الدعاء للأموات ليس بشرك، وأنه قد يكون حرامًا وقد يكون ذريعة إلى الشرك وأن هذه مسألة فقهية، وبالتالي فلا يترتب عليها الخروج من الإسلام فعلى تقريره السابق يكون قد التزم بهذا اللازم الباطل، وهو أن (أقصى ما سيكون به حق اللّه في الإفراد بالعبادة هو الأفضلية والأولوية فقط).

ويقال في الرد عليه: لقد صرح المفسرون بأن اللّه تعالى هو الأحق بالعبادة، وهذا التعبير منهم يبين وجوب إفراده بالعبادة، وذلك أنه لا يصح عقلًا ولا نقلًا ولا فطرةً أن يعبد إلا الذي خلق وأوجد وفطر وهدى وهو الأحق بالعبادة، وعلى هذا فإذا عُبِدَ غيرُه فإنّ عبادتَه باطلة، وليس معنى كونه أحق بالعبادة أنه يجوز أن يعبد غيره كما أَفْهَمَ الكاتب، وجادل، فالعبادة الحقَّة التي ينجو بها من عذاب اللّه لا تكون إلا لمعبود واحد وهو اللّه وحده لا شريك له، وأما التقسيم العقلي فيذكر هذا كما ذكره اللّه في القرآن ليتبين للعاقل من الأحق بالعبادة، كما قال ابن جرير في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾﴾: «فأي هذين أولى بالعبادة وأحق بالألوهة؟ أمن ينصر وليه ويمنع نفسه ممن أراده، أم من لا يستطيع نصر وليه ويعجز عن منع نفسه ممن أراده وبَغاه بمكروه؟»[1].

(١) جامع البيان ١٠/٦٣٧.

فلماذا يدّعي الكاتب أن هذا لا يوجب إفراد اللّه بالعبادة؟!

كيف لا يوجب عليهم إفراد اللّه بالعبادة واللّه تعالى يقول: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٢ ـ ٣].

لماذا يدّعي الكاتب أن هذ الحجة لا توجب عليهم إفراد اللّه بالعبادة بل تصحح أنه الأولى بالعبادة؟ من أين لك هذه الدعوى؟

ويقال له أيضًا: وبماذا كان للآلهة الأخرى حق في العبادة دون الأولوية بناء على تقرير أهل السنة المعروف الذي اعترضت عليه؟ فلن يستطيع جوابًا إلا بما أجاب به المشركون بأنهم شفعاء ووسطاء يستحقون أن يتقرب بعبادتهم إلى اللّه، ثم يأتي السؤال التالي: بماذا ردَّ اللّه عليهم؟ والجواب معروف قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝١٨﴾ [يونس]، إذن الحجة قامت عليهم في استحقاق ووجوب إفراد اللّه بالعبادة من جهتين: من جهة اعترافهم بأن اللّه وحده هو الخالق الرازق المالك، ومن جهة عدم الدليل عندهم أن اللّه أمرهم باتخاذ الشفعاء والوسطاء معبودات وآلهة، فلذلك لما أعجزتهم الحجة لجأوا إلى الاحتجاج بالقدر والتقليد، وجمع اللّه حججهم هذه في موطن واحد فقال: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ۝١٩ وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ۝٢٠ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ۝٢١ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ۝٢٢﴾ [الزخرف].

➢ الموقف من الشبهات التي يثيرها الكاتب:

يجب على كل مسلم ألا يلتفت للشبهات التي يلقيها شياطين الإنس والجن، وأن يتمسك بالحق وهو ما في الكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة، ولا يلتفت لشبهات المبتدعة ولا يصغي إليها.

قال الشيخ عبد الرحمٰن السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ عند تفسيره لقوله تعالى ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [آل عمران]: «وفي هذه الآية وما بعدها دليل على قاعدة شريفة وهو أن ما قامت الأدلة على أنه حق وجزم به العبد من مسائل العقائد وغيرها، فإنه يجب أن يجزم بأن كل ما عارضه فهو باطل، وكل شبهة تورد عليه فهي فاسدة، سواء قدر العبد على حلها أم لا، فلا يوجب له عجزه عن حلها القدح فيما علمه، لأن ما خالف الحق فهو باطل، قال تعالى ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ﴾ [يونس: ٣٢]، وبهذه القاعدة الشرعية تنحل عن الإنسان إشكالات كثيرة يوردها المتكلمون ويرتبها المنطقيون، إن حلها الإنسان فهو تبرع منه، وإلا فوظيفته أن يبين الحق بأدلته ويدعو إليه»(١).

ويقول ابن القيم رحمه اللّه تعالى: «وقال لي شيخ الإسلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقد جعلت أورد عليه إيرادًا بعد إيراد: لا تجعل قلبك للإيرادات والشبهات مثل السفنجة، فيتشربها، فلا ينضح إلا بها، ولكن اجعله كالزجاجة المصمتة، تمر الشبهات بظاهرها ولا تستقر فيها، فيراها بصفائه، ويدفعها بصلابته، وإلا فإذا أشربت قلبك كل شبهة تمر عليك صار مقرًا للشبهات، أو كما قال؛ فما أعلم أني انتفعت بوصية في دفع الشبهات كانتفاعي بذلك»(٢).

---

(١) تيسير الكريم الرحمٰن ص ١٣٣.
(٢) مفتاح دار السعادة ١/٣٩٥.

ويجب الحذر من الألفاظ المجملة والموافقة للخصم عليها كما قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن آل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الإجمال والإطلاق، وعدم العلم بمعرفة مواقع الخطاب وتفاصيله، يحصل به من اللبس والخطأ وعدم الفقه عن اللّه ما يفسد الأديان، ويشتت الأذهان، ويحول بينها وبين فهم القرآن. قال ابن القيم في كافيته رحمه اللّه تعالى:

فعليك بالتفصيل والتبيين[١] فالـ ... إطلاق والإجمال دون بيان
قد أفسدا هذا الوجود وخبَّطا الـ ... أذهان والآراء كلَّ زمان»[٢]

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «جواب أهل الباطل من طريقين: مجمل، ومفصل. أما المجمل فهو الأمر العظيم والفائدة الكبيرة لمن عقلها وذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ [آل عمران: ٧] وقد صح عن رسول اللّه ﷺ أنه قال: «إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى اللّه فاحذروهم»[٣]»[٤].

◄ الجواب عن الإلزامات التي أوردها الكاتب في ص ٢٧ ـ ٢٨:

من عادة الكاتب أن يهوّل على القارئ وعلى من يغتر بكلامه بذكر بعض الإلزامات التي ادَّعاها، وفي أثناء ذلك لا يبالي بما اشتملت عليه من عبارات منكرة، فيُورد الإلزامات الفاسدة لتقريراته

(١) في نونية ابن القيم: «والتمييز».
(٢) الدرر السنية في الأجوبة النجدية ٤٦٩/١، انظر: نونية ابن القيم الكافية الشافية ٧٧٠/٢.
(٣) أخرجه البخاري (٤٥٤٧)، ومسلم (٢٦٦٥).
(٤) كشف الشبهات ص ١٥.

الباطلة ومن ذلك قوله: (**سيكون من ذلّ لطاغية جبار فقبّل قدمه ومرّغ وجهه خشية طغيانه كافرًا، وهذا لا يقوله أحد، وإلا لكُفِّر المكره)!**

والجواب عن هذه الشبهة:

أن من ذلّ لطاغية أو غيره فقبّل قدمه ومرّغ وجهه، فالذي ظهر من فعله إذا ظهرت عليه علامات الرضا والقبول أنه بتمريغ وجهه أمامه سجد له فكل من يراه يعلم أنه سجد له؛ فيقال في حقه: إنه قد عبده إلا إذا علم بقرينة ظاهرة أنه يقبّله لتكريمه واحترامه كما يفعل الابن مع والديْه.

وقد ورد في السنة ما يبين أن الصحابة استأذنوا في مثل هذا ليفعلوه مع النبي ﷺ فنهاهم عن ذلك؛ فقد أخرج أهل السنن وأحمد عن عبد اللّه بن أبي أوفى قال: لما قدم معاذ من الشام سجد للنبي ﷺ، قال: ما هذا يا معاذ؟ قال: أتيت الشام فوافقتهم يسجدون لأساقفتهم وبطارقتهم، فوددت في نفسي أن نفعل ذلك بك. فقال رسول اللّه ﷺ: «فلا تفعلوا، فإني لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لغير اللّه، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، والذي نفس محمد بيده، لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها، ولو سألها نفسها وهي على قَتَب لم تمنعه»[(١)].

وأما إذا لم يكن تمريغ الوجه أمامه لمجرد تقبيل القدم؛ فهذا سجود لذلك الطاغية ومن يسجد لغير اللّه فهو كافر، إلا إذا ثبت أنه مكره فهو مستثنى بالدليل القرآني.

وأهل العلم لا يحكمون على المكره بالكفر كما ادعى هذا

(١) أخرجه أحمد (١٩٦٢٣)، وابن ماجه (١٨٥٣) وابن حبان (٤١٧١) والبيهقي (٢٩٢/٧). وهو صحيح، انظر: الصحيحة (٣٣٦٦).

الكاتب، وإني أتعجب من الكاتب حين يقول **[وإلا لكفَّر المكرَه]**! كيف يقول هذا وهو يورد الآية ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦].

وأما ما ادعاه في الحاشية ١ في ص ٢٧ أن سبب عدم تكفير المكره: **[ليس هو النص فقط فليس حكم عدم تكفيره حكمًا غير معلوم العلة وإنما سببه بينته الآية في تمامها وهو أن المكره لم يعتقد الكفر ولا أعرض عن الإيمان بل ما زال مؤمنًا في باطنه]** فليس بشيء، فالفعل نفسه كفر مخرج من الملة، وليس المانع من الكفر عدم الاعتقاد للكفر فقط؛ فالسبب مذكور في الآية وهو الإكراه، ومذكور ذلك أيضًا في مواضع كثيرة من كتاب اللّه مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ﴾ [الحج: ٧٨]، ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِۗ﴾ [الأنعام: ١١٩]، ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ﴾ [الطلاق: ٧]، والعلة في عدم تكفيره: أنه فعل الكفر أو قاله لأجل الضرورة التي ألجأته لذلك وهي خوف القتل أو الضرر الشديد؛ فأباح اللّه للمؤمن ورخص له أن يقول أو يفعل ما يدفع عن نفسه هذا الضرر، وإلا فالفعل نفسه كفر مخرج من الملة، ولكنّ اللّه استثنى المكره فقط، ولو كان الحكم مرتبطًا بعدم الاعتقاد للكفر لصار الكافر المعتقد للإيمان ولكنه أبى الدخول فيه عنادًا أو حسدًا لا يكون كافرًا!! وهذا لا يقوله مسلم.

وكذلك الإلزام الثاني وهو: (مَنْ ذلّ لغنيٍّ حتى أطاعه في كل قبيح وباع عرضه طمعًا في ماله؛ سيكون مشركًا بذلك...)

والجواب: أما قوله: **[من ذل لغني حتى أطاعه]**؛ هاهنا أمران:
الأمر الأول: شيء قلبي خفي وهو الذل الذي قام بقلبه ولا يعلم ما في القلوب إلا اللّه.

والأمر الثاني: **[حتى أطاعه]** فالطاعة عمل ظاهر، ولكل من الأمرين أحكام.

➢ التفصيل في طاعة المخلوق في المعاصي:

يجب التفصيل في طاعة غير اللّه في المعصية، وهذا بيّنه علماء السنة والجماعة في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ [التوبة: ٣١] وعند قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام]، وعقد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بابًا في كتاب التوحيد فقال: «باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل اللّه أو تحليل ما حرم اللّه فقد اتخذهم أربابًا من دون اللّه».

والطاعة من عبادة اللّه، وهي من التوحيد، فإذا أطاع غير اللّه في التحليل وفي التحريم أو فعل الذنوب والمعاصي ففيه تفصيل:

فإن أطاعهم في تبديل الدين، فتابعهم واعتقد الحرام حلالًا والحلال حرامًا، مع علمه أن الحرام قد حرمه اللّه، فيحلله لأجلهم وطاعة لهم وتعظيمًا لهم، فيكون قد أطاعهم في تبديل أصل الدين، فهذا هو الذي اتخذهم أربابًا، وهذا من الشرك الأكبر، ويكون حينئذ قد صرف عبادة الطاعة إلى غير اللّه.

وأما إذا أطاعهم في تحريم الحلال أو في تحليل الحرام أو فعل الذنوب والمعاصي حبًا في المعصية، أو مجاراةً لهم أو طمعًا في أموالهم، مع علمه أنه عاصٍ للّه بذلك، واعتقاده أن الحلال هو الحلال الذي أحله اللّه، والحرام هو الحرام الذي حرمه اللّه، فهذا له حكم أمثاله من أهل الذنوب.

ومن خلال ما تقدم يُعرف حكم الصورة التي أوردها الكاتب،

وهي مَنْ باع عِرْضَه وأطاع الغني في كل قبيح طمعًا في ماله فلا ريب أنه يكون عبدًا له، ولكن هذه العبودية تتفاوت وتختلف بحسب ما يقوم في القلوب، والحكم على الأفعال بالشرك إنما هو بحسب ما يظهر من قول أو عمل، وما دام أنه لم يصرف شيئًا ظاهرًا من العبادات التي أمر اللّه بها لذلك الغني فلا نحكم عليه بشيء خفي في قلبه، ولا يعلم ما في القلوب إلا اللّه، وليس لنا أن نحكم إلا بالظاهر. وأما ما بينه وبين اللّه فيكون المعوَّل في ذلك على ما قام في قلبه.

وفي هذا المعنى ورد الحديث الصحيح عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**تعس عبد الدينار، وعبد الدرهم، وعبد الخميصة، إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش**»[(١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فغير اللّه لا يجوز أن يكون مستعانًا به متوكلًا عليه، لأنه لا يستقل بفعل شيء أصلًا فليس من الأسباب ما هو مستقل بوجود المسبب لكن له شريك فيه، وما ثمَّ علة تامة إلا مشيئة اللّه فما شاء اللّه كان وما لم يشأ لم يكن، وكذلك لا يجوز أن يكون غيره معبودًا مقصودًا لذاته أصلًا، فإن ذلك لا يصلح له ولهذا كان الشرك غالبًا على بني آدم كما قال تعالى ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف] فيكون أحدهم عبدًا لغير اللّه متألِّها له مما يحبه ويجله ويكرمه ويخافه ويرجوه حتى قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار تعس عبد الخميصة...»»[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٨٦).

(٢) بيان تلبيس الجهمية ٤/٥٣٨.

قال الحافظ ابن حجر: «قوله: (عبد الدينار) أي: طالبه الحريص على جمعه القائم على حفظه، فكأنه لذلك خادمه وعبده، قال الطيبي: قيل خص العبد بالذكر ليؤذن بانغماسه في محبة الدنيا وشهواتها، كالأسير الذي لا يجد خلاصًا، ولم يقل: مالك الدينار، ولا جامع الدينار؛ لأن المذموم من الملك والجمع الزيادة على قدر الحاجة، وقوله: (إن أعطي... إلخ) يؤذن بشدة الحرص على ذلك، وقال غيره: جعله عبدًا لهما لشغفه وحرصه، فمن كان عبدًا لهواه لم يصدق في حقه ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾، فلا يكون من اتصف بذلك صدِّيقًا»[1].

قال الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد يصل إلى الشرك عندما يصدّه ذلك عن طاعة اللّه حتى أصبح لا يرضى إلا للمال ولا يسخط إلا له... وهذه العبودية لا تدخل في الشرك ما لم يصل بها إلى حد الشرك ولكنها نوع آخر يُخِلُّ بالإخلاص؛ لأنه جعل في قلبه محبة زاحمت محبة اللّه عَزَّ وَجَلَّ ومحبة أعمال الآخرة»[2].

وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿أَلۡقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٖ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٖ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [ق: ٢٤ ـ ٢٦]: «**والدليل على أن من انشغل بشيء عن طاعة اللّه فهو عابد له، قول النبي ﷺ: «تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة»**[3].. فسمى النبي ﷺ من اشتغل بهذه الأشياء الأربعة عبدًا لها، وفي القرآن الكريم ما يدل على أنَّ العبادة أوسع من هذا، قال اللّه تعالى: ﴿أَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ

---

(١) فتح الباري ١١/٢٥٤.

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد ٢/١٤٣ ـ ١٤٧.

(٣) سبق تخريجه.

هَوَىٰهُ﴾ فدل ذلك على أنَّ كل من قدَّم هوى نفسه على هُدى ربه، فهو قد اتخذ إلهًا غيره. ولهذا يمكننا أن نقول: إن جميع المعاصي داخلة في الشرك في هذا المعنى؛ لأنه قدَّمها على مرضاة اللّه تعالى وطاعته، فجعل هذا شريكًا للّه ﷻ في تعبده له، واتباعه إياه، فالشرك أمره عظيم، وخطره جسيم»[(١)].

والضابط في الفرق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر هو ما دلت عليه النصوص الشرعية والقواعد العامة للشريعة الإسلامية؛ فلو حمله التذلل للغني والتاجر على فعل الزنا ولكن لم يستحله، فلا يكفر بذلك الفعل، وإن حمله تذلّله للغني على استحلال الزنا كان كافرًا، ومثل ذلك لو حمله حبّ المال على ترك الصلاة؛ فإن ترك الصلاة كفر في نفسه في أصح قولي العلماء، ولو حمله حب المال على تعظيم صنم للكفار والسجود له فهذا مخرج من الملة وهكذا[(٢)].

وأهل العلم لما بينوا حد العبادة وضابطها ووجوب صرفها للّه تعالى، وأنَّ من صرفها لغيره يكون مشركًا كافرًا؛ فإنهم لا يحكمون بالظنون كما يريد الكاتب منهم بإلزاماته، وها هي أجوبة أهل العلم على أسئلة الناس المتضمنة لكثير من فعل المحرمات والرغبة في الشهوات لا تجد فيها تكفيرًا لهم كما يدعي ويظن.

وقوله: **[بل يلزم منه أنَّ أيَّ عمل لا يظهر فيه خضوع وتذلل لا يكون عبادة كالقيام والوضوء وغسل الجنابة والدعاء بطلب الأمر**

(١) تفسير القرآن، من الحجرات إلى الحديد ص ١٠١.

(٢) وانظر: الرد على الخوارج المعاصرين باحتجاجهم بالتكفير بوقوع الطاعة لغير اللّه دون تفصيل في كتاب: تأثر الخوارج المعاصرين بأصول الخوارج المتقدمين في ص ٥١ في الرد على أحد رموز الخوارج.

اليسير كتسهيل السهل وتقريب القريب، وكمن عبد إلهه بالرقص والغناء].

والرد عليه: بأن هذا إلزام ساقط كسابقيه، فالعبادة: اسم جامع لكل ما يحبه اللّه ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة، فكل ما أمر اللّه به أمر إيجاب أو أمر استحباب ففعله طاعة للّه وعبادة يؤجر عليها المسلم كالوضوء والغسل من الجنابة والقيام في الصلاة ودعاء اللّه تعالى.

ولم يقل أحدٌ من أهل العلم إن ذلك ليس بعبادة، ولم يحفظ عن عالم واحد قال إنَّ ذلك يلزمنا إذا قلنا في العبادة لا بد فيها من الخضوع والتذلل والحب أن يكون الغسل من الجنابة والوضوء ليس بعبادة.

ثم إن معنى الخضوع والتذلل للّه في هذه الأفعال كالوضوء والغسل بيِّن ظاهر؛ فإن المسلم يتقيد بذلك متبعًا للشرع من غير زيادة ولا نقصان محافظًا على أركان كل عبادة وواجباتها وسننها راجيًا الأجر من اللّه، وهذا من الذل والخضوع للّه مع رجاء فضله ورحمته وثواب تلك الأفعال.

إن معنى العبادة واسع شامل لكل الأوامر الإلهية والتوجيهات النبوية.

وأما العبادة بالابتداع والمعصية فهي مردودة باطلة وصاحبها معرض لعقوبة اللّه فمن يتعبد للّه بالرقص فإنه حابط عمله وهو ممن أحدث في الدين ما ليس منه.

وأما الكفار والمشركون الذين يعبدون أصنامهم بما يفعلونه من الطقوس والأفعال سواء أكانت بالرقص أم بالقيام أم بالسجود؛ فإنهم

مشركون كفار بصرفهم العبادات لغير اللّه، ولا شكَّ أنَّ الكفار ليسوا على هدى ولا بصيرة؛ فلا يستغرب منهم أن يتعبدوا بما ليس بمشروع أصله في شرائع الأنبياء عليهم السلام، ومع ذلك فكونه غير مشروع في الدين لا يخرجه عن كونه صرفًا للعبادة لغير اللّه، مع أنَّ المشركين الذين يفعلون هذه العبادات يصرحون بأنهم يتقربون بها إلى من عبدوهم؛ فلا يشكل أمرهم على عاقل يعرف أحوالهم.

وأما الإلزام الذي ذكره في ص ٢٨ وهو: **[أن يستحق نصيبًا من العبادة كل مخلوق كان له سبب في رزق مخلوق أو في نفعه أو ضره..، ولن يختلف ما يصرفه المخلوق للمخلوق الذي له عليه منة إحسان كذل الولد لأبويه عما يصرفه المخلوق للّه تعالى من العبادة]**.

والرد عليه أن هذا ليس بلازم، وهذا ناتج من سوء فهمه؛ لأنه ما من مخلوق يجري على يديه هذا السبب إلا والفضل للّه عليه وعلى جميع الخلائق، فليس المخلوق مستقلًا بنفع أو ضر أو رزق، ومن هذا الوجه وغيره: عُلِمَ أنه لا يستحق العبادة، وليس من كان سببًا في حصول رزق كانت منزلته مثل الخالق الذي يرزق الخلائق كلها.

وأيضًا فإن المخلوق مسبوق بعدم ويلحقه الفناء، وفي حال وجوده يصاحبه العجز والنقص والضعف، وهذا موجب للبراءة من عبادته، ولعدة أوجه أخرى تبطل كلام هذا الكاتب.

وأما ما يفعله الولد بوالديه من الحب والذل والخضوع، فهو حبٌّ وذلٌّ وخضوع يناسب حال المخلوق من طاعته في المعروف وخدمته والإحسان إليه والنفقة ونحوها، ولا يجوز للولد طاعة والديه في معصية اللّه تعالى، وهذا يسمى في الشريعة الإسلامية: (بر الوالدين) وليس (عبادة الوالدين).

بل هذا عند سائر أهل الأرض ولا يخفى، فإن ما يقوم به الولد لوالديه لا يصل إلى رتبة العبادة للمخلوق؛ فليس هو ذل العبادة المأمور بها للّه تعالى لأن العبادة التي فرضها اللّه على عباده له سبحانه يجتمع فيها عدة أمور، غاية الذل والخضوع والحب للّه تعالى فمحبة العبادة توجب التذلل والتعظيم والخضوع للمعبود بامتثال أوامره والانتهاء عن نواهيه وصرف العبادات الظاهرة والباطنة له، وطاعته الطاعة المطلقة والتسليم لشرعه ودينه، وهذا غير ما يصرفه الولد لوالديه من البر والإحسان كما يظن الكاتب، ولو قُدِّر أنَّ ولدًا جعل والديه بمنزلة الخالق فعبدهم ودعاهم من دون اللّه واستغاث بهم وذبح لهم لكان قد صرف العبادة لغير اللّه وصار من المشركين[١].

ثم إن (برَّ الوالدين) من الأعمال الحسنة التي فطر اللّه العباد عليها، فهو من (العادات) التي يفعلها المسلم والكافر، لكن المسلم يبرُّ والديه بنيَّة طاعة أمر اللّه تعالى بالإحسان إليهما وبقصد التقرب إلى اللّه وطلب مرضاته؛ فينقلب عمله ـ بهذه النية والخضوع والقصد ـ إلى عبادة للّه تعالى لا إلى عبادة للوالدين. وهذا جليٌّ واضحٌ في النصوص الشرعية، ومنها حديث الثلاثة الذين حُبسوا في الغار، فتوسلوا إلى اللّه تعالى بصالح أعمالهم، فقال أحدهم عن برِّه لوالديه: «اللّهم إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاءَ وجهك؛ ففرِّج عنَّا ما نحن فيه من هذه الصخرة»[٢].

---

(١) هذا الأمر يفعله بعض البوذيين واللادينين في فيتنام، فإن بعضهم يعبدون آباءهم وأمهاتهم بعد موتهم بوضع صورهم وتماثيلهم وتبخيرها ووضع الأطعمة أمامها، ويدعونهم بخضوع وخشوع، ويعتقدون أنهم يساعدونهم بالشفاء والسعادة وغير ذلك، ويعتقدون أنهم بعد موتهم يسكنون في السماء ويسمعون أولادهم ويراقبونهم ويجيبون دعواتهم.

(٢) أخرجه البخاري (٢٢٧٢)، ومسلم (٢٧٤٣) من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

➢ الرد على احتجاج الكاتب بالنقل عن الشاه ولي اللّه الدهلوي:

نقل الكاتب ص ٢٨ ـ ٣٠ و١٠٢ ـ ١٠٣ عن الدهلوي ووصفه بأنه: **[مجدد القارة الهندية في القرن الثاني عشر الهجري]** ثم نقل عنه بعض العبارات التي ظنَّ أنها تساعده على مقصود كتابه، أعني تفسير العبادة باعتقاد ربوبية المعبود أو بعض خصائصها، وترك عبارات أخرى له تهدم بنيانه، ثم قال الكاتب: **[وبهذا البيان عن وجه حجة اللّه تعالى على المشركين بإيجاب إفراده سبحانه بالعبادة بتذكيرهم بانفراده ﷻ بالربوبية ستصبح الآيات التي يستشهد بها المكفِّرون على تكفير المسلمين بما أسموه شرك العبادة حجة عليهم تبين سوء فهمهم وضلالة رأيهم، لأن تلك الآيات نفسها أثبتت التلازم بين توحيد العبادة وتوحيد الربوبية وأن العمل لا يكون عبادة أصلًا إلا إذا صُرف لمن اعتقدت فيه الربوبية أو بعض خصائصها]**.

والرد عليه من عدة وجوه:

الوجه الأول: التعريف بالشاه ولي اللّه الدهلوي رحمه الله: فهو أحمد بن عبد الرحيم، عالم محدث هندي مشهور ولد ١١١٤هـ، توفي سنة ١١٧٦هـ، نشأ في أسرة علمية معروفة بالقضاء والفتيا، ولكنه نشأ نشأة صوفية على الطريقة النقشبندية، وتأثر بمحيطه الذي كان يغلب عليه علم الكلام، ثم سافر إلى الحجاز وانتفع بهذه السفرة فتعرف على عدد من أهل العلم واطلع على كتب ابن تيمية وابن القيم وتأثر بها، ودافع عن ابن تيمية دفاعًا قويًّا، وأنكر بعض غلو الرافضة والمتصوفة، فعُرف بعد ذلك بمحاربته التقليد والتعصب وحثّه على التمسك بالدليل من الكتاب والسنة، وأحيا علم الحديث في الهند فهو مسند الهند، ودافع عن الصحابة ورد على الرافضة،

ودعا إلى إصلاح التصوف، وكان له جهود في مقاومة الكفار وأعداء الإسلام.

ولكنه ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ لم يسلك مسلك أهل الحق في باب الاعتقاد في كثير من المسائل، ووقع في كثير من التحريفات للشريعة، وسلك مسالك الفلاسفة وبعض المتصوفة الغلاة في مواضع من كتابه «**حجة اللّه البالغة**»؛ بل في بعض كلامه يظهر منه تأثره بطريقة الباطنية كما في باب «**عالم المثال**» وباب «**ذكر شيء من أسرار الوقائع الحشرية**»، وباب «**حقيقة النبوة وخواصها**»، وله كتاب «**تأويل الأحاديث في رموز قصص الأنبياء**» جعل معجزات الأنبياء من قبيل المنامات! وفي كلامه عن الحجب والاستغراق ما يشعر بقول الحلولية، ويسوّي بين ابن عربي الاتحادي الملحد المشهور، وبين ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ[1]، ولأجل هذا صار ينتحل الدهلوي طوائف متعددة كالبريلوية والديوبندية وغيرهم.

ومع هذا فإن ولي اللّه الدهلوي يظهر من كلامه الحرص على إصابة الحق والتمسك بالدليل، وقد قال مبيِّنًا حاله: «وبعد دراسة فاحصة لكتب المذاهب الأربعة وكتب أصول الفقه والأحاديث التي يتمسكون بها استقر في القلب بتوفيق من اللّه وهدايته طريق الفقهاء المحدثين»[2] وقال: «وها أنا بريء من كل مقالة صدرت مخالفة لآية

---

(١) حيث يقول في رسالته في الذب عن ابن تيمية كما في: الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية خلال سبعة قرون وتكملة الجامع ص٧٧٣: «وعلى هذا الأصل اعتقدنا في الشيخ الأجل محيي الدِّين محمد بن عليّ بن عربي، وفي الشيخ المجدد أحمد بن عبدالأحد السهرندي أنهما من صفوة عباد اللّه، ولم نلتفت إلى ما قيل فيهما. وكذلك ابن تَيْمِيَّة».

(٢) معرب من كتاب: الجزء اللطيف في ترجمة العبد الضعيف بالفارسي، انظر: جهود مخلصة في خدمة السنة المطهرة ص ٥٢، للشيخ عبدالرحمٰن الفريوائي.

من كتاب اللّه أو سنة قائمة عن رسول اللّه ﷺ أو إجماع القرون المشهود لهم بالخير، أو ما اختاره جمهور المجتهدين ومعظم سواد المسلمين فإن وقع شيء من ذلك فإنه خطأ رحم اللّه من أيقظنا من سِنَتِنا أو نبهنا عن غفلتنا»[١]، وقال أيضًا: «هذا ما أدى إليه رأينا وتفحصنا فإن ثبت من السنة ما يدل على خلاف ذلك فالأمر على ما في السنة»[٢].

وأهل العلم أثنوا على الشاه ولي اللّه الدهلوي لما ظهر منه من نصرة الكتاب والسنة والتمسك بالدليل ونبذ التعصب، وإشهار علم الحديث وحفظ أسانيده حتى صار المرجع فيها، والدفاع عن الصحابة ﷺ والقيام بنصرة الدين، ولم يحمدوه على تلك المخالفات الصوفية والفلسفية، ونرجو أنها في طوره القديم، وأنه تركها وتاب منها، كما صرح برجوعه إلى السنة واطّراح كل ما خالف الكتاب والسنة.

وقد أطلت في بيان ترجمته ليتضح أن الكاتب لم يأخذ من الشاه ولي اللّه الدهلوي بما حُمِدَ من سيرته وأُثني عليه به، وإنما أخذ من الكلام ما لم يحرره الدهلوي؛ فالكاتب نقل عن الشاه ولي اللّه الدهلوي ما يظن أنه يساعده من كلمات مجملة، والدهلوي لم يحرر كثيرًا من المسائل.

فمن كان هذا حاله فينبغي التحرز في النقل عنه، والتأكد من صواب ما نقل عنه بموافقة الكتاب والسنة ومراجعة كلام أهل العلم المتقدمين، وعدم الاكتفاء به.

---

(١) حجة اللّه البالغة ١/٣٧.

(٢) حجة اللّه البالغة ٢/٣٠٢.

الوجه الثاني: إن الشاه ولي اللّه الدهلوي له كلام يخالف ما نقله الكاتب! فما الذي يدعو الكاتب أن يختار بعض كلامه ويترك من كلامه الآخر مما ينقض قوله ويهدم بنيانه!؟

فحال الكاتب مع هذه المقولات التي ينقلها من بعض الكتب كحال العنكبوت التي اتخذت بيتًا ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [العنكبوت].

والدهلوي ذكر في مراتب التوحيد مرتبتين الأولى والثانية تتعلقان بالإقرار بالربوبية، وأن اللّه تعالى هو الخالق للعرش وللسماوات والأرض وسائر الجواهر أي الذرات.

وهذا الكلام لم يعجب الكاتب فلم ينقله، وهذا من عدم الإنصاف.

كما ذكر الدهلوي أن المشركين على أصناف: منهم لا يعبد إلا الشركاء، ولا يرفع حاجته إلا إليهم، وإن كان يقر بوجود اللّه، ومنهم من اعتقد أن اللّه هو المدبر، واعتقد أن بعض الخلق أوكل إليهم التدبير ويطلب شفاعتهم، وهذا مرض جمهور اليهود والنصارى والمشركين وبعض الغلاة من منافقي دين محمد ﷺ يومنا هذا.

وهذا شرك في الألوهية مع وجود الإقرار بالربوبية، فَلِمَ لَمْ ينقله الكاتب!!

الوجه الثالث: كلام الدهلوي جاء في كتابه «**حجة اللّه البالغة**» (١/١١٥ ـ ١٢٢)، ووقع في أغلاط منها: أنه يجعل التوحيد به يحصل للإنسان التوجه التام تلقاء الغيب، **ويستعد نفسه للحوق به بالوجه المقدس.**

وهذا باطل فلا يعلم الغيب إلا اللّه، ولا يقصد بالتوحيد للّه

رب العالمين اللحوق باللّه بالوجه المقدس! وإنما المقصود بالتوحيد عبادة اللّه تعالى كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات].

ومن الغلط عند الدهلوي: أنه ذكر انتقال خصوصيات الخالق إلى غيره، وذكر منها القدرة والتسخير وعلم الغيب!

وهل ينتقل ما اختص اللّه به إلى أحد من خلقه! لا شك أن هذا باطل.

وكذلك قول الدهلوي أن مِنَ الناس مَنْ يُحيط بقوى الأنوار المحيطة الغالبة على المواليد، ويعرفها من جنسه، ويحصل له التسخير والقدرة والتأثير والتصرف، ومنهم من لا يستطيع ذلك.

فهل سيقبل الكاتب هذا الكلام ويوافق على ادعاء علم الغيب والتأثير والقدرة والتسخير والتصرف لبعض المخلوقين!!

لا شك أن هذا الكلام غير مقبول، فلا يوجد في المخلوقين من يحيط بالقوى ويعلم الغيب، بل يجب اعتقاد أنه لا يعلم الغيب إلا اللّه.

والرسل وهم أفضل الخلق أمر اللّه أولهم وهو نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يقول: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ﴾ [هود: ٣١] وأَمَر اللّه آخرَ الرسل وخاتمهم محمدًا صلوات اللّه وسلامه عليه أن يقول: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ﴾ [الأنعام: ٥٠]، فكيف بمن سواهم، وأما من أوكل اللّه إليهم من الملائكة فإنما هم خلق خلقهم اللّه وهو الذي يقيمهم ويدبرهم وما يفعلونه فهو بأمره وليس لهم من الأمر من شيء، ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾ [مريم].

ومن أغلاط الدهلوي الكبيرة قوله: «كان أول فتح هذا العلم عليَّ أن رُفِع لي قوم يسجدون لذباب صغير سُمِّي لا يزال يحرك ذنبه وأطرافه، فنفث في قلبي هل تجد فيهم ظلمة الشرك، وهل أحاطت الخطيئة بأنفسهم كما تجدها في عبدة الأوثان؟ قلت: لا أجدها فيهم؛ لأنهم جعلوا الذباب قبلة ولم يخلطوا درجة تذلل بالأخرى؛ قيل: فقد هديت إلى السر فيومئذ ملئ قلبي بهذا العلم، وصرت على بصيرة من الأمر، وعرفت حقيقة التوحيد والإشراك، وما نصبه الشرع مظان لهما، وعرفت ارتباط العبادة بالتدبير»[1].

هل النفث في القلب من الأدلة ومصادر الاعتقاد والتشريع!!

أيُّ فَتْحٍ هذا الذي جعله يدافع عمن يسجد للذباب وينفي عنهم وصف الشرك، وأيُّ هدايةٍ تلقفها من هذا النفث.

ومن الذي قال له هديت إلى السر!! وهل سيقبل الكاتب مثل هذه الأقاويل ويعتبرها حقًّا.

وكيف يمتلئ قلبه بهذا العلم بمجرد حصول هذه المسألة التي غلط في الحكم على أصحابها الساجدين للذباب، وله كلام آخر يخالف هذا.

فالدهلوي توجد في كتبه أقوال لا يقول بها مسلم، مثل أن السجود للذباب ليس من الشرك، وأنه يحصل للإنسان التوجه التام تلقاء الغيب، ويستعد نفسه للحوق به بالوجه المقدس، ومثل القول بعالم المثال، وتأويله لقصص الأنبياء وجعله معجزات الأنبياء من قبيل المنامات، فيكون المؤمن على حذر من موافقته عليها، فإذا كان الأمر

(١) حجة الله البالغة ١/١١٩.

كذلك لم يصح للكاتب الاستناد على الدهلوي في تفسير العبادة، وتقرير مسائل الاعتقاد.

وإذا نظرنا في قول الدهلوي «**هذا ما أدى إليه رأينا وتفحصنا فإن ثبت من السنة ما يدل على خلاف ذلك فالأمر على ما في السنة**»[(١)]، وقوله: «**إن الأمر إلى الآن غير منقح**»[(٢)]، فهذا صريح أنه لم يحرر هذه المسائل، وهو مضطرب القول فيها، وهذا يؤكد أن الاعتماد على هذا النوع من المؤلفين في مسائل الاعتقاد لا ينفع الكاتب ولا غيره.

ونرجو أن يكون قد تراجع عن هذه الأقوال الباطلة، كما نرجو أن نيته إصابة الحق ولكن لم يتيسر له.

فالكاتب أعرض عن الحق في تفسير العبادة وفي باب توحيد اللّه تعالى الذي بعث به رسله وأنزل به كتبه ثم عوّل على كلام الدهلوي، مع أن أغلاطه ظاهرة بينة لكل عاقل، وهذا المسلك في الاحتجاج تنكُّبٌ عن سواء السبيل، وهذا يليق بحال الكاتب وذويه[(٣)].

الوجه الرابع: أن من أقرب الناس إلى العالم من رباهم وعلمهم وهم أبناؤه وأحفاده وها هو حفيده الشيخ محمد إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي يقرر هذه المسألة بما يوافق أهل السنة والجماعة فيقول:

«**اعلم أن الشرك لا يتوقف على أن يعدل الإنسان أحدًا باللّه،**

---

(١) حجة اللّه البالغة ٣٠٢/٢.

(٢) المرجع السابق (١١٧/١).

(٣) انظر: بيان تلبيس الجهمية ٦٣/٣.

ويساوي بينهما بلا فرق، بل إن حقيقة الشرك أن يأتي الإنسان بخلال وأعمال خصها اللّه بذاته العلية، وجعلها شعارًا للعبودية، لأحد من الناس؛ كالسجود لأحد، والذبح باسمه، والنذر له، والاستغاثة به في الشدة، واعتقاد أنه حاضر ناظر في كل مكان، وإثبات قدرة التصرف له، وكل ذلك يثبت به الشرك، ويصبح الإنسان به مشركًا، وإن كان يعتقد أن هذا الإنسان أو الملك أو الجني الذي يسجد له، أو يذبح أو ينذر له، أو يستغيث به: أقل من اللّه شأنًا، وأصغر منه مكانًا، وأن اللّه هو الخالق، وهذا عبده وخلقه، لا فرق في ذلك بين الأولياء والأنبياء، والجن والشياطين، والعفاريت والجنيات، فمن عاملها هذه المعاملة كان مشركًا»[1].

* * *

(١) رسالة التوحيد المسمى بـ تقوية الإيمان ص ٥٤.

➢ تحريف الكاتب لمعنى الآيات الكريمة وادعاؤه أن شبهته وتحريفه بيانٌ:

قول الكاتب ص٣٠: [وبهذا البيان عن وجه حجة اللّه تعالى على المشركين بإيجاب إفراده سبحانه بالعبادة بتذكيرهم بانفراده ﷻ بالربوبية ستصبح الآيات التي يستشهد بها المكفِّرون على تكفير المسلمين بما أسموه شرك العبادة حجة عليهم تبين سوء فهمهم وضلالة رأيهم، لأن تلك الآيات نفسها أثبتت التلازم بين توحيد العبادة وتوحيد الربوبية وأن العمل لا يكون عبادة أصلًا إلا إذا صُرف لمن اعتقدت فيه الربوبية أو بعض خصائصها].

قوله: (وبهذا البيان)، أين البيان؟؟ لا يوجد بيان ذكره الكاتب يمكن الاستناد عليه، والأمر واضح الظهور وصريح القرآن وإجماع المفسرين على أن إقرار المشركين بالربوبية لم ينفعهم ولم يدخلهم في الإسلام.

وهل النقل عن الدهلوي يكون بيانًا يقضي على محكم القرآن والسنة وإجماع سلف الأمة!

فكيف يكون الاحتجاج بكلام الدهلوي من البيان عن وجه حجة اللّه على المشركين، وغاية ما فيه لو قُدِّرَ أنه اجتهاد من عالم، فكيف يجعل كلامه هو الفيصل في بيان معنى الآيات، ولا سيما أن الدهلوي صرح بمخالفة جميع المفسرين كما في النقل السابق عنه في معنى الدعاء.

هذا الكاتب لا يميز فيما ينقله عن الناس بين القول الصحيح والقول الفاسد والقول المجمل، وكثير مما ينقله إنما وقف فيه على كلمة أو جملة يظن أنها تساعده فيكتبها دون نظر في بقية الكلام أو قيمته ومنزلته.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد بسطنا الكلام على هذا في مواضع في غير هذا الكتاب، وبينَّا تعلق العبادة بالإلهية؛ فإن الإله هو المعبود وتعلق الاستعانة بربوبيته؛ فإن رب العباد الذي يربيهم، وذلك يتضمن أنه الخالق لكل من فيهم ومنهم... وتوحيد الإلهية يتضمن توحيد الربوبية؛ فإنه من لم يعبد إلا اللّه يندرج في ذلك أنه لم يقر بربوبية غيره، بخلاف توحيد الربوبية فإنه قد أقر به عامة المشركين في توحيد الإلهية كما قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾..»[1].

وهكذا قول الكاتب ص٣٠: **[ستصبح الآيات التي يستشهد بها المكفِّرون على تكفير المسلمين بما أسموه شرك العبادة حجة عليهم تبين سوء فهمهم وضلالة رأيهم].**

تفسير الآيات يرجع فيه إلى كلام اللّه تعالى وكلام رسوله ﷺ وكلام الصحابة والتابعين وأئمة العلم من أهل الفقه والحديث والتفسير.

وقوله: **[يستشهد بها المكفِّرون على تكفير المسلمين]** هذا باطل فليس البحث معه في المسلمين الذين وحّدوا اللّه تعالى اعتقادًا وقولًا وفعلًا؛ وإنما في الذين يعبدون غير اللّه ويشركون معه آلهة أخرى ثم يدّعون الإسلام، وسوء الفهم وضلالة الرأي فيمن تنكب طريق الصحابة والتابعين وسلف الأمة.

وقول الكاتب: **[بما أسموه «شرك العبادة»].**

الذي سمى صرف العبادة لغير اللّه شركًا هو رب العالمين؛ فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾

(١) بيان تلبيس الجهمية ٤/٥٣٣.

إن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر]، ويقول تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ﴾ [النساء: ٣٦]، وجاءت الأحاديث الكثيرة بهذا المعنى، وتكلم بهذا اللفظ الصحابة والتابعون، فقول الكاتب: **[بما أسموه «شرك العبادة»]** يُشْعِرُ أنه لا يرتضي هذه التسمية.

وأما الحكم بكفر من دعا غير اللّه؛ فإن اللّه تعالى هو الذي حكم بكفر من دعا غيره، فقال تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون] وقال تعالى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَـٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَـٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ ﴿١٤﴾﴾ [الرعد] فوصف من يدعو غيره بالكافر، فتأمل.

من تناقض الكاتب:

تقدم في أول كتابه في ص ٨ أنه قال: **[ولا شك أن من صرف شيئًا من العبادة لغير اللّه تعالى فقد أشرك باللّه فإن كان من أهل الشهادتين قبل شركه فقد ارتد وأشرك بصرفه العبادة لغير اللّه تعالى]**.

هذا من أبين ما يكون من تناقض الكاتب؛ فكيف يصح له أن يقول: (بما أسموه شرك العبادة) وهو قد صرح بأن صرف العبادة لغير اللّه شرك! وكان الواجب عليه أن يصحح قولهم هذا، لأنه يقول به.

هل المشركون يقرون بالألوهية للّه تعالى:

فإن قول الكاتب: **[لأن تلك الآيات نفسها أثبتت التلازم بين توحيد العبادة وتوحيد الربوبية وأن العمل لا يكون عبادة أصلًا إلا إذا صُرف لمن اعتقدت فيه الربوبية أو بعض خصائصها]**.

هذه خلاصة الكتاب وهي: التسوية بين توحيد الألوهية والربوبية وأن من أقر بأن اللّه خالقه ورازقه ومدبره فقد عبده وأخلص له الدين حتى لو صرف جميع العبادات لغيره.

ويقال له: لو ثبت التلازم بينهما لصار قول المشركين إذا سئلوا من خلقهم فقالوا: (اللّه) لصار مجرد هذا القول إيمانًا بألوهية اللّه وإفرادًا له بالعبادة وتوحيدًا خالصًا للّه!! وهذا معلوم بطلانه وعدم وقوعه بل معلوم وقوع ضده من الشرك باللّه تعالى من المشركين فكيف يدعي هذا الكاتب التلازم بين التوحيدين.

وقد تقدم أن الإقرار بالربوبية يُلزم المكلف ويوجب عليه إفراد اللّه بالألوهية وأما إقراره بالربوبية فقد يهتدي ويخلص للّه العبادة وقد يشرك معه غيره من المعبودات.

وقول الكاتب ص٣٠: [**تلك الآيات نفسها أثبتت التلازم بين توحيد العبادة وتوحيد الربوبية وأن العمل لا يكون عبادة أصلًا إلا إذا صُرف لمن اعتقدت فيه الربوبية أو بعض خصائصها**].

هذه دعوى لم يُقم عليها دليلًا؛ بل الدليل على نقيض كلام الكاتب؛ فالآيات أوضحت أنهم يعترفون أن اللّه خالقهم، مع أن اللّه بين أنهم مشركون.

وكيف يضيف إلى الآيات شيئًا من تلقاء نفسه ويزعم أن هذا مراد اللّه تعالى.

والعبادة المقبولة هي التي تصدر من المسلم الموحد للّه المتبع سنة رسوله ﷺ فإذا تعبّدَ للّه بعبادة فإنها تقبل منه، ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف]، وأما إذا صرفها لغير اللّه؛ ففي الحديث: «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك من**

عمل عملًا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه»[١] وكذلك إذا تعبّد للّه بعبادة مبتدعة؛ فإنها غير مقبولة؛ ولو توجه بها إلى اللّه، قال ﷺ: **«من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد»**[٢].

وأما العبادة لغير الله الصادرة عن المشرك باللّه سواء المشرك شركًا أصليًّا ككفّارِ قريش أو مسلم ولكن طرأ عليه الشرك في العبادة؛ فإنه يكون بذلك قد حبط عمله ونقض إسلامه، والمشرك شركًا أصليًّا من باب أولى أن لا يقبل اللّه منه ما عمل من عبادات للّه؛ لأنه قد أشرك معه ولم يدخل في دين الإسلام الذي هو التوحيد الخالص للّه رب العالمين.

والعمل إذا كان مما أمر اللّه به ثم قام به المكلف يتقرب به إلى مخلوق مع اللّه فهو شرك وإن لم يقل في المخلوق إنه رب أو فيه خصائص الرب، ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾﴾ [الكافرون] ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾﴾ [الكوثر] ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام].

فكيف يتجرأ مسلمٌ على هذه النصوص المحكمة حتى يقول: إنه لو صلى لغير اللّه ونحر لغير اللّه وعبد غير اللّه فلا يخرجه ذلك من الإسلام إلا في حالة واحدة وهي أن يعتقد فيمن صرف له تلك العبادات أنه رب أو فيه بعض خصائص الرب!!

* * *

(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٥)، وابن ماجه (٤٢٠٢).
(٢) أخرجه مسلم (١٧١٨).

نقض شبهات:

«المبحث الثاني:
وجود صورة من صور الشرك في الربوبية
لا تعارض الإثبات المجمل للربوبية
يقطع ببطلان احتجاجهم بآيات
إثبات المشركين المجمل للربوبية»



➢ الرد على شبهة الكاتب أن المشركين لما عبدوا غير اللّه اتخذوه وليًا من الذل، وظهيرًا، وعضيدًا وأن من فعل ذلك من المسلمين وعبد غير اللّه ولم يعتقده وليًا من الذل فلا يضر إسلامه:

أطال الكاتب الكلام من ص ٣١ إلى ص ٥٤ تحت عنوان **[المبحث الثاني وجود صورة من صور الشرك في الربوبية لا تعارض الإثبات المجمل للربوبية يقطع ببطلان احتجاجهم بآيات إثبات المشركين المجمل للربوبية].**

وقد ظنّ أنّ الولي من الذل الذي يعتقده المشركون يقتضي بأنهم يعتقدون في معبوداتهم الربوبية وهم بهذا مشركون بالربوبية وإن أقروا بأن اللّه هو الخالق، وفي أثناء هذا المبحث ادعى أن ابن تيمية رجع عن قوله في شرك العبادة أو أنه متناقض.

وأورد في هذا الموضع ما محصله أنَّ المشركين مع إقرارهم بأن اللّه الخالق ولا خالق غيره إلا أنهم أشركوا في الربوبية في صورة معينة، وعليه فلا يمكن أن يكون الشرك في العبادة دون شرك في الربوبية.

وتوصل بفهمه المغلوط إلى هذه النتيجة من خلال ثلاثة مواضع من كتاب اللّه يزعم أنها بمنزلة الشرط والقيد وهي صورة (الولي من الذل)، وصورة (الظهير المعين) وصورة (العضيد المساعد).

وجعل معنى هذه الأمور الثلاثة حجة في عدم وقوع شرك في

العبادة من أي مكلف إلا وهو مشرك في الربوبية وزعم أنَّ هذه المواضع تدل على أنَّ إثبات المشركين المجمل بالربوبية يقع معه ولا بد شرك في الربوبية!!

ويتعجب هذا الكاتب ص ٣٢ من شدة غفلة أهل العلم عن هذه النتيجة التي توصل إليها مع أن الكاتب قام بتنبيههم منذ سنوات!!

أما الموضع الأول فهو يزعم فيه اعتقاد المشركين (أن للّه وليًّا من الذل) ومعناه عند الكاتب: أن الكفار المشركين يعتقدون أن اللّه محتاج لمن يعينه وينصره ويشير عليه، فهم نسبوا إلى معبوداتهم القدرة على التأثير على أوامر اللّه، واعتقدوا أن اللّه لا يقدر على تسيير ملكه إلا بهؤلاء الوزراء، وهذا هو الشرك في الربوبية الذي وقع فيه المشركون.

ثم جعل هذا المعنى بمنزلة الشرط والقيد في كل عبادة تصرف لغير اللّه ويصف أهل تلك العبادات الشركية بالمسلمين، ويزعم أن هذا هو المنتشر في العالم الإسلامي، وأن أهل العلم كفَّروهم بغير حق.. إلخ كلامه المتقدم، هكذا أرهق نفسه وألّف هذا الكتاب لهذا الغرض، نسأل اللّه العافية والهداية لنا وله ولجميع المسلمين.

والرد عليه من طريقين:

الطريق الأول، الرد المجمل: وهو أن نردَّ المشتبه إلى المحكم، فقد بيَّن اللّه تعالى إقرار المشركين بالربوبية وأنَّ ذلك الإقرار لم يكن نافعًا لهم بسبب عبادتهم غيره.

فأما ما ذكره من الآيات، فقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِيٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾ [الإسراء: ١١١]، وقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن

شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [سبأ]، وقوله: ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾﴾ [الكهف]؛ فهذه الآيات الكريمة لا تبطل دلالات الآيات المحكمة في إقرار المشركين بالربوبية، وإنما تبطل الشرك وأسباب الوقوع فيه، وقد ذكر اللّه تعالى في القرآن نصوصًا صريحة تبين إقرار المشركين بالربوبية وهي محكمة، فنرد المشتبه إلى المحكم ونقول كما قال تعالى عن الراسخين في العلم ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ﴾ [آل عمران: ٧].

فقوله تعالى: ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ﴾ [يونس: ٣١]، وقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ﴾ [الزخرف: ٨٧]، وأشباه هذه الآيات دلالتها محكمة وصريحة وواضحة تبيِّن اعترافهم بأن اللّه خالقهم وربهم، وأن شركهم بصرف العبادة لغير اللّه طلبًا لشفاعتهم عند اللّه وليقربوهم إلى اللّه زلفى، وأما ما أورده الكاتب من الآيات فلا يدل على أنَّ المشركين أنكروا ما اعترفوا به، كما لا يدل على أن شركهم في العبادة يشترط فيه الشرك في الربوبية.

وقوله: [يقطع ببطلان احتجاجهم بآيات إثبات المشركين المجمل للربوبية]، لم يسلك مسلك الجمع بين الآيات، مع وضوح الجمع بينها.

الطريق الثاني، الرد المفصل على الكاتب:

١ ـ بيان المعنى الصحيح للآيات الكريمة، وإيضاح تحريف الكاتب:

فقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ﴾ [الإسراء: ١١١].

وقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ﴾ [سبأ: ٢٢].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾﴾ [الكهف].

كل هذا بيان من اللّه تعالى لكماله المقدس وغناه عن خلقه، وأنه الملك الحق المبين الذي لا شريك له في ملكه ولا معين ولا ظهير ولا يشفع أحد عنده إلا بإذنه، وفي الآيات بيان بطلان عبادة غير اللّه؛ لأن كل معبودات المشركين فيها النقص والعجز والحاجة، وهو أمر ظاهر فيها وفيمن يواليها.

وأما اعتقاد المشركين في معبوداتهم أنها بمنزلة الوزراء عند الملوك فلا يتعارض مع إقرارهم بأن اللّه هو الذي يدبر الأمر وهو الخالق الرازق، فصح قول أهل العلم بإقرار المشركين بالربوبية، لأن اعتقاد المشرك أن من يعبده من دون اللّه مشير وظهير ليس منافيًا لقوله إن اللّه الخالق.

فهؤلاء الذين ظنوا فيهم هذا الظن لا يعتقدون فيهم أنهم يخلقون أو يدبرون، والمشركون أغلبهم يعلمون أن اللّه غني عنها وعن جميع خلقه، ولهذا في تلبيتهم يقولون عمن عبدوهم مع اللّه «**تملكه وما ملك**»[1].

وفي الآيات الثلاث نفسها أيضًا إبطال لزعم الكاتب، ويظهر هذا من خلال سياقها ودلالة الاقتران، فقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِيٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾ سبقه بقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِيٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾﴾، ومعلوم أن المشركين لم يدعوا لآلهتهم أنها شريكة للّه في الملك: كيف وهم في تلبيتهم يقولون: «**تملكه وما ملك**»، فاللّه أقام عليهم الحجة باعترافهم بتفرده تعالى بالملك، فكذلك في قوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِيٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾ فهم معترفون بهذا، وبه أقيمت عليهم الحجة، ومثله القول في الآية الثانية بل في الآية الثالثة

(١) مسلم (٢٧٨٥).

أظهر وهي قوله: ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾؛ فإنها مسبوقة بقوله تعالى: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ فمعلوم أنه لم يدّعِ أحدٌ منهم أنه شهد خلق السماوات والأرض ولا خلق نفسه، فهو معترف بهذا فكذلك هو معترف بأن اللّه لا يحتاج معينًا ولا عاضدًا، وإنما الذي دعاه إلى عبادة غيره هو طلب الزلفى لديه والتقرب إليه.

وعلى فرض أن بعض المشركين يعتقدون بأن اللّه محتاج لمن يعينه وينصره ويشير عليه، فهذا من جملة جهلهم وكذبهم، وقد وصفهم اللّه تعالى بما يتنزه عنه، قال تعالى ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الصافات].

٢ ـ قوله: إنهم **[نسبوا إليهم القدرة على التأثير على أوامر اللّه واعتقدوا أن اللّه لا يقدر على تسيير ملكه إلا بهؤلاء الوزراء وهذا هو الشرك في الربوبية]**.

فالجواب: أن هذا قد يقع من بعض الكفار ولا ينافي الإقرار بالربوبية، وهو شرك جزئي في الربوبية وليس مختصًا بالمشركين من العرب؛ بل وقع فيه بعض كفرة النصارى والمجوس ومنكري القدر من هذه الأمة.

وتأمل ما الذي أضافه اللّه إليهم من قول، كما في قوله تعالى حاكيًا قول المشركين: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ [المؤمنون: ٨٤ ـ ٨٥]، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧].

قال السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**قوله تعالى**: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف] فإن قيل: كيف يجوز اجتماع الإيمان مع الشرك في الواحد؟ الجواب من وجوه:

أحدها: أن معناه ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ﴾ أي: وما يقر أكثرهم بالله إلا وهم مشركون بقلوبهم وضمائرهم.

والثاني: أن مشركي مكة كانوا إذا قيل لهم: من خلقكم؟ قالوا: اللّه، وإذا قيل لهم: من يرزقكم؟ قالوا: اللّه، وإذا قيل لهم: من خلق السمٰوات والأرض؟ قالوا: اللّه، ثم مع ذلك يعبدون الأصنام، وبعضهم يقولون: إن الملائكة بنات اللّه، وبعضهم يقول: الأصنام شفعاؤنا عند اللّه، فالقول الأول هو الإيمان، وليس المراد من الإيمان هو حقيقة الإيمان الذي يصير به الإنسان مؤمنًا، وإنما المراد ما بيَّنَّا»[1].

فهذا حكاية اعتقادهم بنص القرآن، وقد وضَّح اللّه حالهم عند الشدائد بما لا يدع مجالًا للشك أنهم يعرفون أن اللّه هو خالقهم وبيده تدبير الأمور، كما قال تعالى ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [العنكبوت]، فتأمل هذه الآية وتفكر فيها: ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ ما هذا الشرك الذي حصل منهم في البر بعد نجاتهم من الغرق في البحر؟ هل هو إلا التوجه والعبادة لغير اللّه تعالى!

وهذا الذي يفعله المشركون قديمًا وحديثًا، وهو من اتباع الهوى الذي اتخذوه إلهًا فقال تعالى عنهم: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ [الفرقان] وهل اتخاذ الهوى إلها هو اعتقاد أنه رب خالق!! هذا لا يقوله عاقل يفهم الخطاب، فعلم أن المراد عبادة غير اللّه تعالى.

والخلاف بيننا مع الكاتب في هذا الأمر، وهو: ما الذي يعتقده المشركون ويتكلمون به؟

---

(١) تفسير السمعاني ٣/٧١.

هل كانوا يجحدون ربوبية اللّه ويجعلون الربوبية لغيره؟

أم يقرون بربوبية اللّه ويشركون معه غيره في الخلق والتدبير والملك؟

أم يعترفون بأن اللّه تعالى المنفرد بالخلق والملك والتدبير؟

والناظر في كتاب اللّه يجد الجواب على ذلك واضحًا وصريحًا وهو اعترافهم بأن اللّه تعالى هو المنفرد بذلك.

ولو كان لدى المشركين جواب آخر لحكاه اللّه عنهم كما حكى أقوالهم الباطلة الكثيرة، منها على سبيل المثال: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴿٢٩﴾﴾ [الأنعام]، ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ﴾ [الأنعام: ٥٣]، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ٩٣]، ﴿هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا﴾ [الأنعام: ١٣٦]، ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾ [الفرقان: ٢١]، ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ [الفرقان: ٣٢]، ﴿قَالَ أَنَا۠ أُحْيِۦ وَأُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، ﴿لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟﴾ [آل عمران: ١٥٦]، ومواضع كثيرة جدًّا، ولم يحكِ اللّه عنهم ولا في موضع واحدٍ أنهم قالوا: إنَّ للّه وليًّا من الذل!! كما لم يحكِ عنهم أنهم أشركوا في الربوبية أو أضافوها لغير اللّه. ولكن اللّه أخبر عنهم أنهم قالوا: إنَّ آلهتهم تحتاج إلى نصرتهم ويدعو بعضهم بعضًا لنصرتها، فهم يعتقدون أنها محتاجة لنصرتهم فبين اللّه كماله المقدس وغناه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴿٦﴾﴾ [العنكبوت].

إذن فما الذي جعل الكاتب يزعم هذا الزعم وهو: أنَّ كل المشركين يعتقدون أنَّ للّه وليًّا من الذل، ويضيف إلى كتاب اللّه ما ليس منه.

والواجب الحذر من طريقة مَنْ وصفهم أهل العلم والإيمان بأنهم: «**مخالفون للكتاب مختلفون في الكتاب مجمعون على مفارقة الكتاب يقولون في اللّه وعلى اللّه وفي كتاب اللّه بغير علم فنعوذ باللّه من فتن المضلين**»[(١)].

٣ ـ شبهة الكاتب أن هذا الوصف (اعتقاد الولي من الذل)، قيدٌ يجب أن يكون في كل شرك في العالم، وكما أن الآية لا تدل عليه بأي وجه من الوجوه، فهلَّا قال أيضًا: إن أول الآية قيد لكل مشرك وهو قوله: ﴿ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ [الإسراء: ١١١]، فهل يصح أن يقال: إنَّ من لم يعتقد أن للّه ولدًا فهو غير مشرك ولا كافر!

هل هذا إلا مكابرة ومعاندة للحق!

وهذه هي الشبهة نفسها التي أوردها الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن بعض عباد القبور، قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«فإن قال: إنهم لم يكفروا بدعواهم على الملائكة والأنبياء، وإنما كفروا لما قالوا: الملائكة بنات اللَّه، ونحن لم نقل: عبد القادر ولا غيره ابن اللَّه. فالجواب: أن نسبة الولد إلى اللَّه كفر مستقل، قال اللَّه تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ [الإخلاص]، والأحد: الذي لا نظير له، والصمد: المقصود في الحوائج، فمن جحد هذا فقد كفر، ولو لم يجحد آخر السورة، ثم قال: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾ فمن جحد هذا فقد كفر، ولو لم يجحد أول السورة، وقال تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ﴾ [المؤمنون: ٩١]، ففرَّق بين النوعين، وجعل كلًّا منهما كفر، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام:

---

(١) مقدمة الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد بن حنبل.

١٠٠]، ففرَّق بين الكفرين. والدليل على هذا أيضًا: أن الذين كفروا بدعاء اللات مع كونه رجلًا صالحًا لم يجعلوه ابن اللَّه، والذين كفروا بعبادة الجن لم يجعلوهم كذلك. وكذلك أيضًا العلماء في جميع المذاهب الأربعة يذكرون في (باب حكم المرتد) أن المسلم إذا زعم أن للَّه ولدًا فهو مرتد، وإن أشرك باللَّه فهو مرتد، فيفرِّقون بين النوعين، وهذا في غاية الوضوح. وإن قال: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يونس]، فقل: هذا هو الحق، ولكن لا يُعبدون. ونحن لم ننكر إلا عبادتهم مع اللَّه وإشراكهم معه، وإلا فالواجب عليك حبهم واتباعهم، والإقرار بكراماتهم. ولا يجحد كرامات الأولياء إلا أهل البدع والضلال، ودين اللَّه وسط بين طرفين، وهدى بين ضلالتين، وحق بين باطلين»[1].

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «وتوحيد الإلهية هو أن لا يدعى ولا يرجى إلا اللّه وحده لا شريك له، ولا يستغاث بغيره، ولا يذبح لغيره، ولا ينذر لغيره، لا لملك مقرب ولا نبي مرسل؛ فمن استغاث بغيره فقد كفر، ومن ذبح لغيره فقد كفر، ومن نذر لغيره فقد كفر، وأشباه ذلك. وتمام هذا أن تعرف أنَّ المشركين الذين قاتلهم رسول اللّه ﷺ كانوا يدعون الصالحين مثل الملائكة وعيسى وأمه وعزير وغيرهم من الأولياء؛ فكفروا بهذا، مع إقرارهم بأن اللّه سبحانه هو الخالق الرازق المدبر.

إذا عرفت هذا عرفت معنى (لا إلٰه إلا اللّه)، وعرفت أن من نخا نبيًّا أو ملكًا أو ندبه أو استغاث به فقد خرج من الإسلام، وهذا هو الكفر الذي قاتلهم عليه رسول اللّه ﷺ.

---

(١) كشف الشبهات ص ١٠٤.

فإن قال قائل من المشركين: نحن نعرف أنَّ اللّه هو الخالق الرازق المدبر، لكن هؤلاء الصالحون مقربون، ونحن ندعوهم وننذر لهم وندخل عليهم ونستغيث بهم، ونريد بذلك الوجاهة والشفاعة، وإلا فنحن نفهم أن اللّه هو الخالق الرازق المدبر.

فقل: كلامك هذا مذهب أبي جهل وأمثاله، فإنَّهم يدعون عيسى وعزيرًا والملائكة والأولياء يريدون ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، وقال تعالى: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس: ١٨].

فإذا تأملت هذا تأملًا جيدًا، وعرفت أن الكفار يشهدون للّه بتوحيد الربوبية ـ وهو تفرده بالخلق والرزق والتدبير ـ وهم ينخون عيسى والملائكة والأولياء، يقصدون أنهم يقربونهم إلى اللّه زلفى ويشفعون لهم عنده، وعرفت أن من الكفار ـ خصوصًا النصارى منهم ـ من يعبد اللّه الليل والنهار ويزهد في الدنيا ويتصدق بما دخل عليه منها معتزلًا في صومعة عن الناس، وهو مع هذا كافر عدو للّه مخلد في النار بسبب اعتقاده في عيسى أو غيره من الأولياء، يدعوه أو يذبح له أو ينذر له، تبين لك كيف صفة الإسلام الذي دعا إليه نبيك محمد ﷺ، وتبين لك أن كثيرًا من الناس عنه بمعزل، وتبين لك معنى قوله ﷺ: «بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ»[1].

وقال الشيخ عبد اللّه أبا بطين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وأما الإقرار بتوحيد الربوبية: وهو أن اللّه سبحانه خالق كل

(١) مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، قسم العقيدة والآداب الإسلامية، ١/٣٦٦ ـ ٣٦٧.

شيء ومليكه ومدبره، فهذا يقر به المسلم والكافر، ولابد منه. لكن لا يصير به الإنسان مسلمًا، حتى يأتي بتوحيد الإلهية الذي دعت إليه الرسل، وأبى عن الإقرار به المشركون، وبه يتميز المسلم عن الشرك وأهل الجنة من أهل النار..

قال البكري الشافعي في تفسيره[(١)] على هذه الآية: إن قلت: إذا أقروا بذلك فكيف عبدوا الأصنام؟ قلت: كلهم كانوا يعتقدون بعبادتهم الأصنام عبادةَ اللّه والتقرب إليه، لكن في طرق مختلفة:

فرقة قالت: ليس لنا أهلية عبادة اللّه بلا واسطة؛ لعظمته فعبدناها لتقربنا إليه زلفى.

وفرقة قالت: الملائكة ذوو وجاهة عند اللّه، فاتخذنا أصنامًا على هيئة الملائكة لتقربنا إلى اللّه زلفى.

وفرقة قالت: جعلنا الأصنام قبلةً لنا في العبادة؛ كما أن الكعبة قبلة في عبادته.

وفرقة اعتقدت: أن لكل صنم شيطانًا موكلًا بأمر اللّه، فمن عبد الصنم حق عبادته قضى الشيطان حوائجه بأمر اللّه، وإلا أصابه شيطانه بنكبة بأمر اللّه.

وذكر ابن كثير[(٢)] عند قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾: إنما يحملهم على عبادتهم؛ أنهم عمدوا إلى أصنام اتخذوها على صور الملائكة المقربين في زعمهم،

---

(١) لم يعرفه محقق كتاب: الانتصار لحزب اللّه الموحدين والرد على المجادل عن المشركين وقد سبق الشيخَ أبا بطين الشيخُ حمد بن ناصر إلى هذا النقل في: الفواكه العذاب ص: ٤٥، وسماه الإمام البكري، وهو كلام زكريا الأنصاري الشافعي (ت: ٩٢٦هـ) بحروفه في تفسيره فتح الرحمٰن بكشف ما يلتبس في القرآن ٢٤٦.

(٢) تفسير ابن كثير ٧/٨٥.

فعبدوا تلك الصور تنزيلًا لذلك منزلة عبادتهم الملائكة، ليشفعوا لهم عند اللّه في نصرهم وما ينوبهم من أمر الدنيا. قال قتادة والسدي ومالك عن زيد بن أسلم وابن زيد: ﴿إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ أي: ليشفعوا لنا ويقربونا عنده منزلة»[١].

٤ ـ معنى الولي من الذل الذي نفاه اللّه ﷻ، وإزاحة غلط الكاتب:

معنى الولي من الذل: الولي في اللغة هو النصير القيِّم فهو على وزن «**فعيل**» من قول القائل: «**وَلِيتُ أمر فلان**»، إذا صرتُ قيِّما به، ويدخل في ذلك التدبير والحفظ ونحوها من المعاني.

قال مجاهد بن جبر المكي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِيٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾: المعنى لم يحالف أحدًا ولا ابتغى نصر أحد[٢]، فهذا تفسير مجاهد وإذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به، فمعنى الآية: لم يكن له ناصر يجيره من الذل فيكون مدافعًا.

وقال الكلبي: لم يكن له ولي من اليهود والنصارى؛ لأنهم أذل الناس، ردًا لقولهم: نحن أبناء اللّه وأحباؤه.

وقال الحسن بن الفضل: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِيٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾ يعني لم يذل فيحتاج إلى ولي ولا ناصر لعزته وكبريائه[٣].

وإذا نفى اللّه سبحانه هذا النقص عنه فيعلم المؤمن كمال اللّه وغناه فيتعلق به وحده ويعلم بطلان التعلق بغيره.

---

(١) الانتصار لحزب اللّه الموحدين والرد على المجادل عن المشركين ٣٥ ـ ٣٧.

(٢) جامع البيان للطبري ١٣٨/١٥.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٣٤٥/١٠.

واللّه أخبر في كتابه أنه ولي المتقين فقال: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝١٩﴾ [الجاثية]، وأمر نبيه ﷺ أن ينذر المؤمنين، وأخبر أنه ليس لهم من دون اللّه ولي ولا شفيع؛ فقال: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ [الأنعام: ٥١]، والمؤمنون هم أولياء اللّه تعالى، وهو سبحانه لا يوالي من يواليه من الذل، كما يوالي المخلوق المخلوق، وإنما يوالي أولياءه إحسانًا ورحمة ومحبة لهم.

والمؤمن يحتاج من يعينه ويساعده من الولد والأخ وغيرهما، قال تعالى: ﴿فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ [مريم: ٥]، وقال تعالى: ﴿وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ۝٢٩ هَٰرُونَ أَخِى ۝٣٠ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ۝٣١ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ۝٣٢﴾ [طه].

بل كل مخلوق يحتاج من يعينه ويقوم بشؤونه ولا ينفرد مخلوق بالاستقلال في تدبير أمره.

فلجأ الكفار إلى غير اللّه وتوكلوا على معبودات باطلة: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ۝٥٥﴾ [الفرقان]، وقال المشركون: ﴿وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ﴾ [الأنبياء: ٦٨]، ﴿ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ﴾ [ص: ٦]، ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ [الفرقان: ٤٢]، ﴿أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ۝٣٦﴾ [الصافات]، ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ۝٨١﴾ [مريم].

حتى يقول قائلهم: اعْلُ هُبَل، ويقول اللّه تعالى متحديًا لهم: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ۝١٩٥﴾ [الأعراف]، وعاب اللّه عليهم صنيعهم الدال على نقص عقولهم فقال: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ۝٥٠﴾ [الكهف]، ﴿يَدْعُواْ

لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾﴾ [الحج]، قال مجاهد: يعني الوثن، يعني: بئس هذا الذي دعا به من دون اللّه مولى، يعني: وليًا وناصرًا، وقال تعالى منكرًا عليهم ومبينا حال معبوداتهم: ﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأنبياء]، استفهام إنكار وتقريع وتوبيخ، أي: ألهم آلهة تمنعهم وتكلؤهم غيرنا؟ ليس الأمر كما توهموا ولا كما زعموا؛ ولهذا قال: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأنبياء: ٤٣] أي: هذه الآلهة التي استندوا إليها غير اللّه لا يستطيعون نصر أنفسهم، وهؤلاء الذين استنصروا بهم واتخذوهم أولياء عاجزون عن نصرتهم بل هم عاجزون عن نصر أنفسهم فخذلوهم ولم يستجيبوا لهم كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾﴾ [الأعراف] ثم قال عنهم: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾﴾ [الأعراف]، ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [يس].

فهم في اتخاذهم الأنداد آلهة مع اللّه، يبتغون بذلك أن تنصرهم تلك الآلهة وترزقهم وتقربهم إلى اللّه زلفى ﴿لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا﴾ [مريم: ٨١]، و﴿لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ﴾ [يس: ٧٤]، فأبطل اللّه ذلك وبين أنهم لا يحصلون النصر ولا العز؛ فقال اللّه تعالى: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ﴾ أي: لا تقدر الآلهة على نصر عابديها، بل هي أضعف من ذلك وأقل وأذل وأحقر وأدخر، بل لا تقدر على الانتصار لأنفسها، ولا الانتقام ممن أرادها بسوء.

وهذا أشد ما يكون من الضلال: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [الشورى: ٤٤]، ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾﴾ [الحج].

﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ﴾ [الكهف: ٤٣ ـ ٤٤]، هنالك كل أحد من مؤمن أو كافر يرجع إلى اللّه وإلى موالاته والخضوع له إذا وقع العذاب وهذا يبين حقيقة سيعاينها كل مشرك وكافر فلا يقبل منه الندم إذا حلت ساعة الموت ولا تقبل التوبة حينئذ.

وأنكر اللّه على المشركين اتخاذ ولي من دون اللّه، وبين سبحانه أنه هو الذي يجب أن يتخذ وليًّا فيواليه عبده بإخلاص أنواع العبادة له واتباع شرعه ودينه ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾﴾ [الشورى] إلى قوله: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ [الشورى: ١٣].

وجميع الخلائق مفتقرة إليه سبحانه، وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾ [الكهف].

والمؤمنون صبروا على التوحيد ولجؤوا إلى اللّه وتوكلوا عليه ﴿وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران]، ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [آل عمران]، ﴿إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ [هود: ٥٦]، واللّه تعالى هو: ﴿نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾ [الأنفال]، ووصف اللّه المؤمنين بأنهم أولياء اللّه فقال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس] وقال تعالى: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا

﴿مَا تَدَّعُونَ ۝٣١﴾ [فصلت]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٩٦﴾ [الأعراف].

واللّه سبحانه أمر المؤمنين أن يكونوا أنصارًا له سبحانه، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾ [الصف: ١٤]، ومثله قوله: ﴿مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الصف: ١٤] قال مجاهد: أي من يتبعني إلى اللّه؟[1] في الدعوة إلى اللّه.

فأمر اللّه المؤمنين أن يكونوا أنصار اللّه في جميع أحوالهم، بأقوالهم وأفعالهم وأنفسهم وأموالهم، وأن يستجيبوا للّه ولرسوله، وذلك بالقيام بدين اللّه، والحرص على إقامته على الغير، وجهاد من عانده ونابذه، بالأبدان والأموال، ومن نصر الباطل بما يزعمه من العلم ورد الحق، بدحض حجته، وإقامة الحجة عليه، والتحذير منه.

ومِنْ نَصْر دين اللّه، تعلمُ كتاب اللّه وسنة رسوله، والحث على ذلك، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ووعدهم اللّه بالنصر فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ [محمد: ٧].

وموالاة اللّه تعالى لعباده المؤمنين معناها محبته لهم وحفظهم ونصرتهم وحمايتهم وإكرامهم إحسانًا منه ورحمة بهم.

وموالاتهم للّه تعالى معناها الإيمان به وتصديق رسله والتمسك بشرعه.

فليست موالاة اللّه للمؤمنين عن ضعف وعجز وذلٍّ فيحتاج إلى من يتعزز به كما يوالي المشركون معبوداتهم ويعتقدون فيها أنها تحتاج إليهم، أما اللّه تعالى فهو الغني الحميد القوي القدير لا يعجزه شيء

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/٤٥.

في الأرض ولا في السماء إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون واللّه غالب على أمره وهو القاهر فوق عباده، فاليهود والنصارى قالوا: اتخذ اللّه ولدًا، وقالت العرب: لبيك لا شريك لك، إلا شريكًا هو لك، وقال الصابئون والمجوس: لولا أولياء اللّه لذلّ اللّه، فرد اللّه تعالى عليهم بأنه لم يتخذ وليًّا من الذل، ليس بحاجتهم ولا نصرتهم بل أولياؤه المؤمنون هم المفتقرون إليه المحتاجون لحفظه وهدايته واللّه غني عن الخلق أجمعين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالرب لا يوالي عبده من ذل، كما يوالي المخلوق لغيره، بل يواليه إحسانًا إليه، والولي من الولاية، والولاية ضد العداوة. وأصل الولاية الحب، وأصل العداوة البغض، وإذا قيل: هو مأخوذ من الولي، وهو القرب. فهذا جزء معناه، فإن الولي يقرب إلى وليه، والعدو يبعد عن عدوه»[1].

وقال الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: لا يتولى أحدًا من خلقه ليتعزز به ويعاونه، فإنه الغني الحميد، الذي لا يحتاج إلى أحد من المخلوقات، في الأرض ولا في السماوات، ولكنه يتخذ أولياء إحسانًا منه إليهم ورحمة بهم: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ﴾ [البقرة: ٢٥٧]»[2].

فظهر معنى الآية الكريمة وأن اللّه يبطل شرك المشركين وعبادتهم لغير اللّه ببيان كماله وقوته وغناه وببيان عجز معبودات المشركين فإن كل معبوداتهم محتاجة ناقصة لا تقدر على إعانة ولا نصرة ولا حياة ولا موت ولا غير ذلك.

---

(١) منهاج السنة النبوية ٥/٣٥٢.

(٢) تيسير الكريم الرحمٰن ٤٦٩.

٥ ـ يجب أن يفرق الناظر في كتاب اللّه تعالى بين ما يبينه اللّه أنه قول المشركين، وبين ما يصف اللّه به نفسه ويمدحها من الكمال؛ فليس فيه أن المشركين قالوا بذلك، وإنما في الآية إبطال اللّه تعالى للشريك والولي من الذل والشفيع بغير إذنه، لأن هذا من أسباب الشرك ومسوغاته الواهية؛ فأوضح بطلانها، وهم لم ينازعوا في ذلك، والمشركون يظنون في معبوداتهم ظنونًا لا تنحصر فقد تصل ببعضهم إلى الشرك في الربوبية وأعظم من ذلك.

➢ ظنون المشركين المتأخرين الفاسدة في معبوداتهم:

وقد ذكر الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن أنواعًا من هذا الغلو الذي أوصل بعض المتأخرين إلى الشرك في الربوبية فقال: «ونذكر لك هنا طرفًا من معتقد عباد القبور والصالحين، وحقيقة ما هم عليه من الدين، ليعلم الواقف عليه أي الفريقين أحق بالأمن، إن كان الواقف ممن اختصه اللّه بالفضل والمن، ولئلَّا يلتبس الأمر بتسميتهم لكفرهم ومحالهم تشفعًا وتوسلًا واستظهارًا، مع ما في التسمية من الهلاك المتناهي عند من عقل الحقائق.

من ذلك محبتهم مع اللّه محبة تأله وخضوع ورجاء، ودعاؤهم مع اللّه في المهمات والملمات والحوادث التي لا يكشفها ولا يجيب الدعاء فيها إلا فاطر الأرض والسمٰوات والعكوف حول أجداثهم، وتقبيل أعتابهم، والتمسح بآثارهم، طلبًا للغوث، واستجابة للدعوات وإظهارًا للفاقة، وإبداء للفقر والضراعة، واستنزالًا للغوث والأمطار، وطلبًا للسلامة من شدائد البر والبحار، وسؤالهم تزويجهم الأرامل والأيامى، واللطف بالضعفاء واليتامى، والاعتماد عليهم في المطالب العالية، وتأهليهم لمغفرة الذنوب والنجاة من الهاوية، وإعطاء تلك

المراتب السامية. وجماهيرهم لما ألفت ذلك طباعهم وفسدت به فطرهم، وعزَّ عنهم امتناعهم، لا يكاد يخطر ببال أحدهم ما يخطر ببال آحاد المسلمين، من قصد اللّه تعالى والإنابة إليه، بل ليس لذلك عندهم إلا الولي الفلاني ومشهد الشيخ فلان. حتى جعلوا الذهاب إلى المشاهد عوضًا عن الخروج للاستسقاء والإنابة إلى اللّه في كشف الشدائد والبلوى.

كل هذا رأيناه وسمعناه عنهم، وقد حدّث الشيخ مصطفى البولاقي أن بعض رؤساء الجامع الأزهر عاده لما اشتكى عينيه، وقال له: هلَّا ذهبت إلى مولد الشيخ أحمد البدوي فقد حُكِيَ أن إنسانًا شكا إليه ذهاب بصره، فسمع قائلًا يقول من الضريح: أعطوه عين كذا وكذا.

فانظر إلى ما خطر ببال هذا المتكلم من تعظيم الميت وتأهيله لتلك المطالب التي لا يقدر عليها إلا اللّه القاهر الغالب. وقصد الوساطة هنا على ما فيها ما أظنها تخطر بباله أصلًا. فهل سمعت عن جاهلية العرب مثل هذه الغرائب التي ينتهي عندها العجب؟ والكلام مع ذكي القلب يقظ الذهن قوي الهمة العارف بالحقائق، وأما ميت القلب بليد الذهن وضيع النفس جامد القريحة ومن لا تفارق همته التشبث بأذيال التقليد، والتعلق على ما يحكى عن فلان وفلان من معتقد أهل المقابر والتنديد، فذاك فاسد الفطرة معتل المزاج، وخطابه محض عناء ولجاج.

ومما بلغنا عن بعض علماء زبيد: أن رجلين قصدا الطائف، فقال أحدهما لصاحبه ـ والمسئول ممن يترشح للعلم: أهل الطائف لا يعرفون اللّه إنما يعرفون ابن عباس، فأجابه: بأن معرفتهم لابن عباس كافية، لأنه يعرف اللّه!

فأيّ ملّة ـ صان اللّه ملّة الإسلام ـ لا تمانع هذه الكفريات ولا تدافعها؟

وذكر الزبيدي أيضًا أن رجلًا كان بمكة عند بعض المشاهد، فقال لمن عنده: أريد الذهاب إلى الطواف، فقال بعض غلاتهم: مقامك هنا أكرم.

ومن وقف على كتاب مناقب الأربعة المعبودين بمصر، وهم: البدوي، والرفاعي، والدسوقي، ورابعهم فيما أظن أبو العلا ـ فقد وقف على ساحل كفرهم، وعرف صفة إفكهم.

وبلغنا عن بعض الثقات أن جماعة من المدعين للعلم بزبيد كانوا يقرؤون صحيح البخاري، فإذا فرغوا منه ـ إما أحيانًا أو مطلقًا ـ ذهبوا إلى قبر البحيرة أو غيره، فوقفوا عاكفين ما شاء اللّه، وعليهم من السكينة والوقار وضروب الخضوع لنازل الحفرة. . .

ورأيت في حاشية الشيخ إبراهيم الباجوريّ على السنوسية نقلًا عن الدردير فيما أظن عن الشعراني: أن اللّه وكل بقبر كل ولي ملكًا يقضي حاجة من سأل ذلك الولي.

فقف هنا وانظر ما آل إليه شركهم وإفكهم، فأين هذا من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ الآية، وقوله: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾، وقوله: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾﴾، وقوله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ الآية.

وأيّ حجّة في هذا الذي قال الشعرانيّ لو كانوا يعلمون؟ ولكن القوم أصابهم داء الأمم قبلهم. فنبذوا كتاب اللّه وراء ظهورهم، كأنهم لا يعلمون، واتبعوا ما تتلو الشياطين.

ومن هذا الجنس: ما ذكره الشعراني في ترجمة الملقب بشمس الدين الحنفي أنه قال في مرض موته: من كانت له حاجة فليأت قبري ويطلب مني أن أقضيها له، فإنما بيني وبينه ذراع من تراب، وكل رجل يحجبه عن أصحابه ذراع من تراب فليس برجل. انتهى.

وقد اجتمع جماعة من الموحدين من أهل الإسلام في بيت رجل من أهل مصر وبقربه رجل يدّعي العلم، فأرسل إليه صاحب البيت، فسأله بمسمع من الحاضرين فقال له: كم يتصرف في الكون؟ فقال: يا سيدي، سبعة، قال: من هم؟ قال: فلان وفلان وعدّ أربعة من المعبودين بمصر، فقال صاحب الدار لمن بحضرته من الموحدين: إنما بعثت لهذا الرجل وسألته لأعرفكم قدر ما أنتم فيه من نعمة الإسلام. أو كلامًا نحو هذا.

وباب تصرف المشايخ والأولياء قد اتسع حتى سلكه جمهور من يدعي الإسلام من أهل البسيطة. وخرقه قد هلك في بحاره أكثر من سكن الغبراء وأظلته المحيطة حتى نسي القصد الأول من التشفع والوساطة، فلا يعرج عليه عندهم إلا من نسي عهود الحمى.

وقد ذكر هذا شيخ الإسلام في منهاجه عن غلاة الرافضة في علي، فعاد الأمر إلى الشرك في توحيد الربوبية والتدبير والتأثير، ولم يبلغ شرك الجاهلية الأولى إلى هذه الغاية، بل ذكر اللّه جل ذكره أنهم كانوا يعترفون له بتوحيد الربوبية ويقرون به، ولذلك احتج عليهم في غير موضع من كتابه بما أقروا به من الربوبية والتدبير على ما أنكروه من الإلهية.

ومن ذلك ـ وهو من عجيب أمرهم ـ ما ذكره حسين بن محمد النعمي اليمني في بعض رسائله: أن امرأة كفّ بصرها فنادت وليها: أما اللّه فقد صنع ما ترى، ولم يبق إلا حسابك. انتهى.

وحدثني سعد بن عبد اللّه بن سرور الهاشمي رَحِمَهُ اللَّهُ أن بعض المغاربة قدموا مصر يريدون الحجّ، فذهبوا إلى الضريح المنسوب إلى الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالقاهرة فاستقبلوا القبر وأحرموا ووقفوا وركعوا وسجدوا لصاحب القبر حتى أنكر عليهم سدنة المشهد وبعض الحاضرين، فقالوا: هذا محبة في سيدنا الحسين. وذكر بعض المؤلفين من أهل اليمن أن مثل هذا واقع عندهم.

وقد حدثني الشيخ خليل الرشيدي بالجامع الأزهر أن بعض أعيان المدرسين هناك قال: لا يدق وتد في القاهرة إلا بإذن أحمد البدوي. قال: فقلت له: هذا لا يكون إلا للّه ـ أو كلامًا نحو هذا ـ فقال: حبي في سيدي أحمد اقتضى هذا. وحكي أن رجلًا سأل الآخر: كيف رأيت الجمع عند زيارة الشيخ الفلاني؟ فقال: لم أر أكثر منه إلا في جبل عرفات، إلا أني لم أرهم يسجدوا للّه سجدة قط، ولا صلوا مدة ثلاثة الأيام، فقال السائل: قد تحملها الشيخ! قال بعض الأفاضل: وباب تحمل الشيخ مصراعاه ما بين بصرى وعدن، قد اتسع خرقه وتتابع فتقه، ونال رشاش زقومه الزائر والمعتقد وساكن البلد. انتهى...»[(١)].

٦ ـ نقل الكاتب عددًا من الأقوال عن ابن تيمية وابن القيم وابن كثير، ليحتج بها على دعواه الباطلة، وليس في أقوال أهل العلم أي حجة يصح للكاتب الاحتجاج بها على ما ادعاه؛ فقد نقل عن ابن تيمية ص ٣٨ قوله: «فنفى عما سواه كل ما يتعلق به المشركون فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط من الملك أو يكون عونا للّه ولم يبق

---

(١) منهاج التأسيس والتقديس ص ٥٠ ـ ٥٤، وتأمل كيف أن هذا الكاتب يشجع على قراءة كتاب: المنهج المطهر للجسم والفؤاد لعبدالوهاب الشعراني، وهو يعلم أن الشعراني اشتهر بهذه الطوام.

إلا الشفاعة فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن اللّه له»[(١)].

فليس في هذا النقل أن ابن تيمية يقول إن المشركين ينكرون أن اللّه هو الخالق الرازق المدبر، وإنما من اعتقد منهم أن للّه شريكًا في الملك فهذا عنده شرك جزئي في الربوبية.

وتأمل إهمالَ هذا الكاتب قوله: «**ولم يبق إلا الشفاعة**» وهو شرك كفار قريش وليس معارضًا لإقرارهم بالربوبية؛ فالمُقِرُّ بالربوبية من المشركين يطلب من غير اللّه الشفاعة له عند اللّه، وهذا قد حكم القرآن بكفره في قوله تعالى ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس: ١٨]، وليس كفره متوقفًا على إنكار ربوبية اللّه أو جعل شريك له فيها.

وما نقله الكاتب في ص ٤١ عن ابن تيمية أنه قال: «**فإن غير اللّه لا يستقل بفعل شيء ألبتَّة**»[(٢)] ثم ادّعى أن الشرك عند ابن تيمية منحصر فيما انبعث من الشرك في الربوبية! فهذا من الغلط الواضح؛ لأن النص أمام القراء واضح جدًا فلم يقل ابن تيمية إن المشركين يعتقدون أن معبوداتهم هي التي أوجدت الأشياء وخلقتها.

ودع عنك كلام ابن تيمية؛ فهو أوضح من أن يحتاج لتوضيح، كيف وهو أشهرُ وأبْرزُ من وضّح هذه القضية، وفصّل في هذه المسألة، ونبّه مَنْ غَفَل عنها، حتى اعترف له كل من اطلع على كلامه وعقل المعنى؛ فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولهذا ما بينت هذه المسألة قط لمن يعرف أصل الدين إلا تفطن؛ وقال هذا أصل دين الإسلام، وكان بعض الأكابر من الشيوخ العارفين من أصحابنا يقول هذا أعظم ما

(١) مجموع الفتاوى ٧/٧٧.

(٢) المصدر السابق ١٣/٢٠٥.

بينته لنا لعلمه بأن هذا أصل الدين»[(١)].

ومثل ذلك يقال فيما نقله الكاتب عن ابن القيم، كما في ص٤٧ فهو مثل ما تقدم، وأضيف في الرد عليه أن قول ابن القيم: «**فلو لم يرج منه منفعة لم يتعلق قلبه به**»[(٢)] وتعليق الكاتب في الحاشية رقم ١: (هنا يثبت ابن القيم أنه لا وجود لعابد يتعلق بمعبود إلا وهو يرجو نفعه وهذا ما لا يخالف فيه إلا البله...).

ولن أقف عند الشتائم التي تفوَّه بها الكاتب هداه الله، ولكن أقول للكاتب: إن كلام ابن القيم الذي نقلته في ص٤٧ ـ ٤٨ يوضح اعتقاد المشركين النفع من معبوداتهم وهذا أمر معلوم لم ينازع فيه عالم، فكل مشرك يتوجه إلى حجر أو شجر أو صنم أو ملك أو صالح أو نبي فإنه يرجو انتفاعه بذلك التوجه، ومع ذلك لا يلزم أنه يعتقد فيه الربوبية، بل هذه الاحتمالات التي يمكن تصور وقوعها من كل من عبد غير اللّه، وهي إما أن يعتقد أنه مالك للمعبود أو شريك في الملك، أو معين وظهير، أو شافع له، وهذا واضح لكل عاقل، واللّه المستعان.

وأسهل ما يبين بطلان طريقة الكاتب هو معرفة أنه يرى أن طلب الشفاعة من غير اللّه من الأموات والغائبين ليس بشرك!

وابن القيم صرح بأن هذا من الشرك الذي يقع، فهل يوافق ابن القيم ويرجع عن كلامه وكتابه وينقض بنيانه؟

بل إن ابن القيم في الكلام المنقول نفسه صرح فقال: «ولكن أكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع تحته وتضمنه له، ويظنونه في

---

(١) الاستغاثة في الرد على البكري ٣٧٦.

(٢) الصواعق المرسلة ٢٢٩/١.

نوع وقوم قد خلوا من قبل ولم يعقبوا وارثًا، وهذا الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن»[(١)].

وبالمناسبة؛ فالشرك الذي يتحدث عنه ابن القيم مما يفعله مشركو العرب قديمًا كان في الشفاعة وطلب القربة إلى اللّه تعالى بالوسطاء، وهذا من أعظم الشرك في الألوهية، ولكن الكاتب يجعل ذلك محصورًا في الشرك في الربوبية.

فلننظر ما حال الكاتب!!

إن الكاتب يرى كتاب (المنهج المطهر للجسم والفؤاد من سوء الظن بأحد من العباد) لعبد الوهاب الشعراني ـ وقد مرَّ التعريف به ـ أنه من الكتب النافعة ويحث على قراءته وقد مرّ توثيق ذلك.

فماذا اشتمل عليه ذلك الكتاب الذي يحث على قراءته!!

وأرجو من القارئ أن يعذرني على نقل بعض ما ورد فيه؛ ولكن لا بد من أن أُطلع القارئ على حقيقة الأمر!

يقول الشعراني في ذلك الكتاب: «وممن أدركته في مصر يدير بلاد الهند والسند والروم والعراق والمغرب وبلاد السودان: الشيخ محيسن، والشيخ علي أبو خوذة، والشيخ محمد الشربيني ﷺ أجمعين، فاعلم ذلك، وصدِّق من يدَّعي ذلك، فإنه لا يعارض شيئًا من أحكام الكتاب والسنة»[(٢)].

ويقول: «وإن ظلمكم أحد من الولاة فلوذوا بأوليائكم ولو من طريق الإيمان بوجودهم، فإما يعزلونه لكم، وإما يخففون عنكم

(١) مدارج السالكين ٥٢٩/١.

(٢) المنهج المطهر للجسم والفؤاد ٦٢٧/١.

الظلم، فإن قلوبهم بيد تصريف الأولياء بإذن اللّه»[(١)].

إذن هؤلاء الذين ذكر أسماءهم وأدركهم عبد الوهاب الشعراني يديرون هذه البلدان الكبيرة ويوجب مؤلف ذلك الكتاب تصديق من يدعي ذلك، وإن حصل ظلم أو كرب فالحلّ باللوذ بالأولياء لأن قلوب الحكام بيد تصريف الأولياء!!

هذا يبطله قول اللّه تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [سبأ] هذه الاحتمالات وهي أنهم يملكون أو يشاركون اللّه في الملك أو يعاونونه، هذه الأمور الثلاثة صرح بها غلاة الصوفية!

لقد ارتقيت مرتقىً صعبًا وتجاوزت الحد الذي حدَّه اللّه ﷻ لعباده، ثم زعمت أنه لا يوجد شرك في العبادة إلا مع شرك في الربوبية، وها أنت بنفسك تدعو إلى الكتب المشتملة على هذا الضلال.

هذا عبد الوهاب الشعراني الذي تقول عن كتابه: (وهو يضم عامة أحوال الناس التي يدخلها سوء الظن، فيبين لك سبيل إحسان الظن فيها. **فما أحوج طلبة العلم وكل مسلم لهذا الكتاب)**[(٢)].

هذا الشعراني يقول في نفس الكتاب الذي تمدحه: «وقد كان سيدي عبد القادر الجيلي يقول: لو ناداني مريدي من مسيرة ألف عام لأتيته قبل تمام النداء، وكذلك كان يقول سيدي إبراهيم الدسوقي»[(٣)].

---

(١) المصدر السابق ٦٤٩/١.
(٢) سبق توثيق كلامه فراجعه: ص٤٣ ـ ٤٤.
(٣) المنهج المطهر للجسم والفؤاد ٦٢٧/١.

ويقول الشعراني أيضًا: «وما رأيت أعرف بأصحاب النوبة[١] في جميع أقطار الأرض من سيدي علي الخواص رَحِمَهُ ٱللَّهُ، كان يعرف صاحب دَرَك[٢] كل قطر ويقول: تولى دَرَك القطر الفلاني هذه الليلة فلان بعد موت فلان، وكان إذا سئل في حاجة عند أمير يقرأ الفاتحة ويهديها في صحائف رسول اللّه ﷺ ثم في صحائف صاحب النوبة في ذلك الخط، ويسأله في قضائها ويقول: إن من الأدب مع أصحاب النوبة أن لا ينفرد أحد عنهم بقضاء حاجة فإن قلوب الحكام بيد تصريفهم بإذن اللّه فيقلبون قلوب الحكام بما يريدون... ومن شأنهم الاطلاع على ما يخطر في قلوب الخلق وعلى ما يفعلونه في قعور بيوتهم، ولهم تأديب الخلق على مثل ذلك»[٣].

فهؤلاء الطواغيت يتولون تلك البلدان وإنقاذها، ويقضون حاجات الناس، ويسألونهم قضاء الحاجات.

ومن شأنهم أنهم يعلمون ما في خاطر قلوب الخلق وما يفعلونه في الخفاء في بيوتهم.

هذا شرك لم يقل به حتى كفار الجاهلية!!

والشعراني يُعَلِّم الناسَ ذكرًا شيطانيًّا فيقول الشعراني: «وكان سيدي علي الخواص رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: من أدب الفقير إذا خرج من بيته أو زاويته لحاجة أن يقول بقلبه: دستور يا أصحاب النوبة أخرج في قضاء هذه الحاجة، ثم إذا رجع استأذنهم في الرجوع كذلك»[٤].

---

(١) عند غلاة المتصوفة لقب يطلقونه على الذين يحفظون أدراكهم (أي الأماكن التي يحرسونها) في سائر الأرض وعليهم قضاء الحوائج.

(٢) الدرك بفتح الدال والراء أي الذي يدركك وينقذك.

(٣) المنهج المطهر للجسم والفؤاد ٦٢٨/١.

(٤) المنهج المطهر للجسم والفؤاد ٦٢٨/١.

وخذ أيها القارئ سنة الرسول ﷺ فعن أنس بن مالك، قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**من قال إذا خرج من بيته: بسم اللّه، توكلت على اللّه، لا حول ولا قوة إلا باللّه، يقال له: كفيت، ووقيت، وتنحى عنه الشيطان**» زاد أبو داود: «**فيقول ـ يعني: الشيطان ـ لِشَيطان آخر: كَيف لَك بِرَجلٍ قَد هُدِيَ وكُفِيَ ووُقِيَ؟**»[(١)].

وهذا الشعراني يحث المسلمين إذا خرجوا من البيت أن يقول أحدهم مستغيثًا بغير اللّه: «**دستور يا أصحاب النوبة أخرج في قضاء هذه الحاجة**».

هؤلاء أولياء الشيطان ودعاة الشرك والمفترون على دين اللّه والمبدلون لشرعه.

احذرهم أيها المسلم، واحذر من كل من يشجع على قراءة كتبهم.

وكان الواجب على الكاتب أن يكون شجاعًا ويقول عن هذا الكتاب ما يستحقه من حكم، فكيف يدّعي الكاتب في ص١٢٤ في الحاشية بأنه: [**لا شك أنه من ثبت أنه وافقهم على هذا الاعتقاد سيكون مشركًا حتى لو انتسب في الظاهر لهذه الأمة**].

وقال الشعراني: «ومما وقع لي أنني أخرجت مرة ريحًا تجاه شون السلطان بمصر العتيق، فناداني شخص منهم كان حيّاكًا من نحو عشرين ذراعًا، وقال لي: ما هكذا الأدب! تُخْرِجُ في دربنا الريح! فمن ذلك اليوم ما مشيت في شارع من شوارع مصر إلا وأنا على طهارة»[(٢)].

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٠٩٥)، والترمذي (٣٤٢٦)، وهو صحيح، انظر: صحيح موارد الظمآن (٢٠١٥).

(٢) المنهج المطهر للجسم والفؤاد ٦٢٨/١.

والكاتب يزعم أن ابن القيم حصر شرك العبادة في الشرك الناشئ في الربوبية.

وها أنت ترى أنواعًا من الشرك في الربوبية والألوهية في كتب الخرافيين ولهذا فابن القيم يعني ما يقول فيما نقله الكاتب عنه من قوله: «ولكن أكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع تحته وتضمنه له، ويظنونه في نوع وقوم قد خلوا من قبل ولم يعقبوا وارثًا، وهذا الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن»، ولكن الكاتب لم يتعظ ولم يعتبر فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور.

وكذلك فيما نقله عن ابن كثير في ص ٥٢، فإن ابن كثير لم يقل إن المشركين وقعوا في الشرك في الربوبية.

٧ ـ ما نقله الكاتب ص٥٠ ـ ٥١ عن الرازي ـ وهو يصفه بالسبق في حصر صور الشرك بالربوبية ـ حيث قال: (المذاهب المفضية إلى الشرك أربعة أحدها: قول من يقول اللّه تعالى خلق السماء والسماويات وجعل الأرض والأرضيات في حكمهم..، وثانيها: قول من يقول السمٰوات من اللّه على سبيل الاستبداد والأرضيات منه...، وثالثها: قول من يقول التركيبات والحوادث كلها من اللّه تعالى لكن فوّض ذلك إلى الكواكب...، ورابعها: قول من يقول إنا نعبد الأصنام التي هي صور الملائكة ليشفعوا لنا...)، وعلّق الكاتب في الحاشية بقوله: (لم أذكر كلام فخر الدين الرازي مع كونهم لا يعتدون به إلا لأبين لهم أن الحق الذي قرره ابن تيمية وابن القيم قد سبقهم إليه إمام المتكلمين). فالجواب عنه بالآتي:

أ ـ الرازي ليس من أهل الإمامة في الدين بل هو إمام للمتكلمين، والرازي ممن وقع في التكفير بغير حق لأهل الإسلام، فإنه يصف من يثبت ما جاء في الكتاب والسنة من إثبات صفات اللّه

تعالى بأنه مجسم وأن من أثبت علوه على خلقه أنه أثبت أن اللّه متحيز. وتكفير علماء الكلام المذموم لأهل السنة والجماعة ولعموم المسلمين مشهور في كتبهم فإنهم يقولون بكفر المقلد ومسائل أخرى مشهورة عنهم.

والرازي قال في آخر كتابه: تأسيس التقديس: «من أثبت كونه تعالى جسمًا متحيزًا مختصًا بجهة معينة هل يحكم بكفره أم لا؟ للعلماء فيه قولان، أحدهما: أنه كافر، وهو الأظهر»[(١)] وقال المحشي لكتابه: «وعبارته في المعالم كما في (شرح معالم أصول الدين) «بل الأقرب أن المجسمة كفار..»[(٢)].

والرازي خالف كتاب اللّه وسنة نبيه وما كان عليه السلف الصالح، ولم يوافق الحق في تقريراته في باب الصفات وكثير من أبواب الاعتقاد في سائر كتبه سوى النزر اليسير فكيف يقول إن إمام المتكلمين سبق ابن تيمية وابن القيم.

ويكفي الكاتب ـ وهو يدعي التخصص في علم الحديث ـ أن الرازي الذي يعتزي به يتهم البخاري ومسلم بقبول ترويج كذب الملاحدة فيقول في تأسيسه:

«وأما البخاري ومسلم رحمهما اللّه فهما ما كانا عالمين بالغيوب بل اجتهدا واحتاطا بمقدار طاقتهما.. إلا إنَّا إذا شاهدنا خبرًا منكرًا مشتملًا على منكر لا يمكن إسناده إلى الرسول عليه السلام قطعنا بأنه من أوضاع الملاحدة ومن ترويجاتهم على أولئك المحدثين»[(٣)].

---

(١) تأسيس التقديس ص٢٤٤.

(٢) شرح معالم أصول الدين ص٦٥٩.

(٣) تأسيس التقديس ٢١٥.

هذا موقفه من إمامَي الدنيا في علم الحديث!!

وفي مقابل هذا الحط والإزراء بالبخاري ومسلم يقول الرازي: «ونختم هذا الباب بما يروى عن أرسطاطاليس أنه كتب في أول كتابه في الإلهيات: من أراد أن يشرع في المعارف الإلهية فليستحدث لنفسه فطرة أخرى، وأقول: هذا الكلام موافق للوحي والنبوة..»[(١)] فيمدح كلام إمام من أئمة الكفر وهو أرسطو بأن كلامه موافق للوحي والنبوة!!

وللعلم فقد أمضى الرازي حقبة من عمره في مخاطبة النجوم ومزاولة السحر كما في كتابه الشهير «**السر المكتوم في السحر ومخاطبة النجوم**» فهل هذا هو مصدر سليم لضبط العقيدة والتوحيد!!

قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن الرازي:

«وإن كان فضلاؤهم مع ذلك معترفين بما في كلامه من كثرة التشكيك في الحقائق، وكثرة التناقض في الآراء والطرائق، وأنه موقع لأصحابه في الحيرة والاضطراب، غير موصل إلى تحقيق الحق، الذي تسكن إليه النفوس وتطمئن إليه الألباب، لكنهم لم يروا أكمل منه في هذا الباب»[(٢)].

وقال أيضًا: «أبو عبد اللّه الرازي: فيه تجهم قوي؛ ولهذا يوجد ميله إلى الدهرية، أكثر من ميله إلى السلفية، الذين يقولون: إنه فوق

(١) تأسيس التقديس ٥٤، ومراده محو الفطرة المتضمنة إثبات وجود الله تعالى، وانظر نقض التأسيس لابن تيمية، والأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين للسعدي.

(٢) بيان تلبيس الجهمية ١/١١.

العرش، وربما كان يوالي أولئك أكثر من هؤلاء، ويعادي هؤلاء أكثر من أولئك؛ مع اتفاق المسلمين على أن الدهرية كفار، وأن المثبتة للعلو فيهم من خيار المسلمين من لا يحصيه إلا اللّه تعالى، وقد صنف على مذهب الدهرية المشركين والصابئين كتبًا حتى قد صنف في السحر، وعبادة الأصنام ـ وهو الجبت والطاغوت ـ وإن كان قد أسلم من هذا الشرك وتاب من هذه الأمور»[(١)].

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب ملخصا كلام شيخ الإسلام في الرازي: «والرازي من أعظم الناس في باب الحيرة، لكن هو مسرف فيه، له نهمة في التشكيك. والشك في الباطل خير من الثبات على اعتقاده. لكن قلَّ أن يثبت أحد على باطل محض، بل لابد فيه من نوع من الحق، وتوجد الردة منهم كثيرًا كالنفاق. وهذا إذا كان في المقالات الخفية، فقد يقال: لم تقم عليه الحجة التي يكفر صاحبها، لكن يقع ذلك في طوائف منهم في أمور يعلم العامة والخاصة، بل اليهود والنصارى يعلمون أن محمدًا ﷺ بُعث بها وكفَّر من خالفها: مثل عبادة اللّه وحده لا شريك له، ونهيه عن عبادة غيره. فإن هذا أظهر شرائع الإسلام، ومثل أمره بالصلوات الخمس، وتعظيم شأنها. ومثل معاداة المشركين، وأهل الكتاب. ومثل تحريم الفواحش والربا والميسر، ونحو ذلك. إلى أن قال: وصنف الرازي كتابه في عبادة الأصنام والكواكب، وأقام الأدلة على حسنه، ورغَّب فيه. وهذه ردة عن الإسلام إجماعًا»[(٢)].

ب ـ ما ساقه من كلام الرازي هو بنفسه كلام باطل؛ فكيف يقول عن الشرك والكفر الصريح بأنه (المذاهب المفضية إلى الشرك)

---

(١) المصدر السابق ٤٠٨/١.

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ، مسائل لخصها الشيخ من كلام بن تيمية ١٩١/١٣.

والمفضي إلى الشيء هو وسيلة إليه، لكن المذاهب التي حكاها ليست مفضية إلى الشرك بل هي شرك أكبر.

المذهب الأول والمذهب الثاني والمذهب الثالث هذه المذاهب التي حكاها لا يعرف لها قائل إلا السحرة الذين تأثر الرازي بهم، وألّف الرازي كتابًا بعنوان: (السر المكتوم في مخاطبة النجوم) وهؤلاء شركهم في الربوبية وشركهم أيضًا في العبادة.

وأما المذهب الرابع فهو ما عليه كفار قريش وهو أنهم عبدوا غير اللّه طلبًا للشفاعة عند اللّه، وليس فيه أنهم اعتقدوا في معبوداتهم أنها أرباب أو أنها تخلق أو ترزق أو تدبر.

وكلام الرازي مسبوق بكلام الشهرستاني في الملل والنحل: «اعلم أنَّ الأصناف التي ذكرنا مذاهبهم يرجعون آخر الأمر إلى عبادة الأصنام، إذ كان لا يستمر لهم طريقة إلا بشخص حاضر ينظرون إليه ويعكفون عليه، وعن هذا اتخذت أصحاب الروحانيات والكواكب أصنامًا زعموا أنها على صورتها. وبالجملة وضع الأصنام حيث ما قدروه إنما هو على معبود غائب حتى يكون الصنم المعمول على صورته وشكله وهيأته نائبًا منابه وقائمًا مقامه، وإلا فنعلم قطعًا أنَّ عاقلًا ما لا ينحت جسمًا بيده ويصوره صورة ثم يعتقد أنه إلهه وخالقه، وإله الكل وخالق الكل، إذ كان وجوده مسبوقًا بوجود صانعه، وشكله يحدث بصنعة ناحته؛ لكن القوم لما عكفوا على التوجه إليها كان عكوفهم ذلك عبادة، وطلبهم الحوائج منها إثبات إلهية لها»[(١)].

٨ ـ ثم إن الآية الكريمة: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا

(١) الملل والنحل ٣/١٠٤.

يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٢ ـ ٢٣] ليس فيها ذكر الحصر لجميع صور الشرك، ولم يجعل اللّه تعالى اجتماع هذه الأمور الأربعة قيدًا لازمًا لكل من أشرك! بدليل أن اللّه تعالى ذكر في مواضع كثيرة من القرآن أنواعًا من الشرك الأخرى دون اشتراط هذا القيد مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ [الأنعام]، ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾﴾ [الكوثر].

٩ ـ من أين لك أيها الكاتب الحكم على جميع المشركين بأنهم يعتقدون أن للّه وليًا من الذل؟ ليس في منطوق الآية ولا مفهومها ما يشير إلى هذا.

فاللّه تعالى مدح نفسه وهو أهل الحمد والثناء الحسن وبيّن كماله فقال: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾﴾ [الإسراء] فيصف نفسه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى وأفعاله الكاملة وتنزهه عن النقائص وعن كل ما لا يليق بكماله، وذلك ليدل عباده على وجوب إفراده بالعبادة.

قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن:

«قولهم في اسمه (الرحمٰن) إنه الموصوف بغاية الرحمة ومنتهاها وأنه وصف ذات، لا ينفك عنه كسائر أوصافه الذاتية المقدسة، ودعاء غير الموصوف بهذا الوصف وقصد من دونه، والتعرض للوسائط والشفعاء، سوء ظن بصفات كماله، ونعوت جلاله، وإنما دعا إلى عبادته ودعائه والاستعانة به ما اتصف به من الصفات المقدسة، والنعوت الكاملة الجميلة.

واستدلوا على ذلك بقول الخليل عليه السلام لقومه: ﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾﴾، قالوا: أي فما ظنكم به أن يجازيكم وقد عبدتم معه غيره؟ وما الذي ظننتم به حتى جعلتم له شركاء؟ أظننتم أنه محتاج إلى الشركاء والأعوان؟ أم ظننتم أنه يخفى عليه أحوال عباده، حتى يحتاج إلى شركاء يعرفونه بها كالملوك؟ أم لا يقدر وحده على الاستقلال بتدبيرهم وقضاء حوائجهم؟ أم هو قاس، فيحتاج إلى شفعاء يستعطفونه على عباده؟ أم ذليل فيحتاج إلى ولي يتكثر به من القلة، ويتعزز به من الذلة؟ أم محتاج إلى ولد فيتخذ صاحبة يكون الولد منه ومنها؟ تعالى اللّه عن ذلك كله علوًا كبيرًا، ولو قدره المشركون حق قدره لما أشركوا به»[(١)].

١٠ ـ الكاتب نفسه يخالف هذا الكلام الذي كتبه فهو يذكر في ص ١٧ أن من صرف العبادة لغير اللّه طلبًا لشفاعته فليس بمشرك إذا كان ناطقًا بالشهادة مقرًّا بالربوبية!! وهنا في هذا الموضع في ص ٣٥ ينقل تصريح العلماء بأنَّ هذا من الشرك الأكبر، ولا يبالي الكاتب بمناقضته لها.

ومن سوء صنيع الكاتب أنه حذف من كلام ابن تيمية الذي نقله عنه ص ٣٦ بعد قوله: «والمشركون باللّه كل منهم في نوع من هذه الأنواع» ما لم يوافق مقصوده وهذ النص المحذوف من كتاب (الرد على المنطقيين): «والمشركون باللّه كل منهم في نوع من هذه الأنواع منهم من أثبت فاعلًا مستقلًا غير اللّه لكن لم يثبتوه مماثلًا له لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، وهذا كالمجوس الذين أثبتوا قديمًا شريرًا يستقل بفعل الشر، وكذلك القائلون منهم أنه خلق الشر

(١) منهاج التأسيس والتقديس ١٠٩.

والقدرية من جميع الأمم أثبتوا غير اللّه يحدث أشياء ينفرد بإحداثها دون اللّه، وإن كان اللّه خالقًا له، ولهذا قال السلف: القدرية مجوس هذه الأمة.

والقائلون بقدم العالم كلهم لا بد لهم من إثبات غير اللّه فاعلًا أما أرسطو وأتباعه فإن الفلك عندهم بحركته هو المحدث للحركات وما يتولد عنها.

ثم من أثبت له شريكًا من العقول والنفوس جعله مستقلًا بإحداث شيء وذاك مستقلًا بإحداث شيء.

ومن قال منهم بالعلة المشبهة بها، ومن قال بالموجب بالذات؛ فإن الطائفتين لا يثبتون في الحقيقة أن اللّه أحدث شيئًا ولا خلقه.

واللّه سبحانه نفى أن يكون لغيره ملك أو شرك في الملك أو يكون له ظهير؛ فإنه سبحانه هو وحده خالق كل شيء وربه ومليكه، وهذا هو مذهب أهل السنة المثبتين للقدر القائلين بأن اللّه خالق كل شيء بمشيئته وقدرته لكن السلف والأئمة وأتباعهم يثبتون قدرة العبد وفعله، ويثبتون الحكمة والأسباب، وجَهْمٌ ومن اتبعه من أهل الكلام ينفون ذلك كله»[(١)].

وهذا النص يبين ما يقرره علماء أهل السنة والجماعة أن من المشركين من وقع في الشرك في الربوبية، ولكن ليس كل المشركين! فهم أنواع في شركهم؛ منهم من جمع الشركين الألوهية والربوبية، ومنهم من أشرك في الألوهية وأقر بالربوبية، ولما كان النص يوضح هذه الحقيقة للقارئ قام الكاتب بحذفه!

---

(١) الرد على المنطقيين ص ٥٧٤.

١١ ـ اعترف الكاتب ص٤٢ بأن لابن تيمية نصوصًا أخرى تدل على أن الشرك يكون في العبادة ولو لم يقع شرك في الربوبية، ولم ينقل أقوال ابن تيمية التي تنقض قوله وتبطل كلامه.

١٢ ـ في ص ٤٢ جعل الكاتب كلام ابن تيمية هو المعوَّل عليه فيقول: **[هل تخرج أقوال ابن تيمية التي يحتجون بها عن أحد احتمالين..]** وأخذ يتكلم بما يوحي للقارئ أن أهل العلم ليس عندهم إلا أقوال ابن تيمية، وكأنه لو لم توجد أقوال ابن تيمية لم يقل أحد بوجود شرك في العبادة دون وقوع شرك في الربوبية!!

مع أنه ليس في كلام ابن تيمية أن المشركين كلهم وقعوا في الشرك في الربوبية ولكن الكاتب يريد أن يُحَمّلَ الكلامَ ما لا يحتمل.

١٣ ـ زعم الكاتب ص٤٣ أن ابن تيمية متناقض، وأنه تراجع عن القول بوجود الشرك في العبادة دون وقوع الشرك في الربوبية في ص٤٤.

واحتج بواقعة نقلها البرزالي عن قضية جرت لابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، وأنه عُقِدَ له مجلس محاكمة مِنْ قِبَلِ أعداءه، وأنه ادّعى عليه الصوفي ابن عطاء بأشياء فلم يثبت شيء منها، ثم زعموا أن ابن تيمية اعترف أنه قال: «**لا يستغاث بالنبي ﷺ استغاثة بمعنى العبادة**»[1]. وفي نقل آخر: «**ولا يستغاث بالنبي ﷺ استغاثة بمعنى العبادة..**».

ثم زعم الكاتب ـ واعجب وتعجب لهذا الزعم ـ أن هذا الموقف الذي حصل في مجلس المحاكمة: هو رجوع من ابن تيمية عما قرره في كتبه!!

(١) المقتفي لتاريخ أبي شامة ٣/٣٧٩.

ثم ادّعى الكاتب أن هذا الذي قاله في مجلس المحاكمة (استغاثة العبادة أو بمعنى العبادة) يعتبر قيدًا من ابن تيمية بأن الاستغاثة تكون بمعنى العبادة.

فاستنبط هذا الكاتب أن ابن تيمية يرى أن الاستغاثة بالنبي ﷺ قد تكون عبادة وقد لا تكون عبادة... ويريد أن يتوصل بذلك إلى أن هناك استغاثة جائزة ليست عبادة!!

وأن استغاثة العبادة بغير اللّه تعالى هي عند كل الأمة شرك باللّه تعالى..

وبعد ذلك ادّعى الكاتب أن هذا رجوع من ابن تيمية عما قرَّره في كتبه!!

هذا مراد الكاتب بهذا النقل وبهذا التقرير الجائر على الشرع وعلى أهل العلم.

فأولًا: الحجة في العقائد والعبادات بالأدلة الشرعية وما أجمع عليه علماء الأمة ولا يسوغ أن يبحث في التواريخ والقصص والحكايات ليبني عليها دينه واعتقاده.

ثانيًا: ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ وسائر أهل العلم يفرقون بين استغاثة العبادة التي لا تكون إلا للّه تعالى، وبين الاستغاثة بالمخلوق الحي الحاضر فيما يقدر عليه، فالاستغاثة التي ليست بمعنى العبادة هي الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه المخلوق وهو حي حاضر مثل ما يكون يوم القيامة.... ومثل ما ورد في قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص: ١٥].

ثالثًا: ليس في هذا النص الذي حكاه البرزالي عن ابن تيمية

تجويز الاستغاثة بالنبي ﷺ استغاثة العبادة إذا كان يقر بالربوبية فبطل احتجاج الكاتب بهذه القصة أساسًا.

رابعًا: هذه الشبهة حكاها قبل الكاتب رجل يُدْعى (حسن السقاف)، وافترى على ابن تيمية أنه تراجع.

بل إن أحد دعاة الشرك والخرافة قال كلمة تابع فيها إمام ضلالة قبله، فزعم أن ابن تيمية قال ذلك خوفًا من القضاة وخوفًا من السجن! فقال: «والذي وصلتُ إليه هو: أن ابن تيمية لم يغير رأيه في التوسل، ولكنه استعمل عبارات مبهمة ليُرضي بها قضاة الدولة والناقمين عليه من الناس! ومهما يكن، فقد أخطأ في تحريمه الاستغاثة أيضًا»[1].

وهذا الكلام يردده طائفة الأحباش الخرافيين أيضًا، والعجب أنهم يعلمون أن ابن تيمية سجنوه لأجل هذه المسائل ولم يبال بهم رَحِمَهُ ٱللَّهُ ولا بالسجن، وليس في النص المنقول عن ابن تيمية ما يدل على التراجع بل هذا هو اعتقاده من قبل هذه الواقعة ومن بعدها، بل إنه سجن لأجلها وهي سجنه في المرة الثالثة، وكانتْ بمصر بسبب مسألة منْعِه الاستغاثةَ والتوسل بالمخلوقين، وكلامه في ابن عربي الصوفي، وكانت هذه المدة يسيرة، ابتداءً من أول شوال ٧٠٧ هـ إلى ١٨ شوال ٧٠٧ هـ. وكذلك سجنه في المرة الرابعة، فكانتْ بمصر، من آخر شوال ٧٠٧ هـ إلى أول سنة ٧٠٨ هـ.

ومن المعلوم أن شيخ الإسلام ابن تيمية يفرق بين قول القائل:

---

(١) العقائد الإسلامية عرض مقارن لأهم موضوعاتها من مصادر السنة والشيعة ص: ٨٢٩.

«**يا محمد**» وبين التوسل بمحبته، فالأول شرك في العبادة والثاني جائز بل مشروع.

فقد كذبوا على ابن تيمية وزوّروا عليه محاضر وطلبوا منه أن يقرَّ بما فيها، وانظر ما كتبه في مقدمة التسعينية: «جاءنا هذان الرسولان بورقة كتبها لهم المحكم من القضاة أبو الحسن علي بن مخلوف المالكي وهي طويلة، طلبت منهم نسخها فلم يوافقوا وتأملتها فوجدتها مكذوبة عليَّ إلا كلمة واحدة»[(١)].

فالمبتدعة يلبسون على الناس ويكذبون على أهل العلم، وقد كذب الرافضة والخرافيون في نسبة تراجع ابن تيمية عن تحريم الاستغاثة بغير اللّه وأنها من الشرك.

كذبوا قديمًا على ابن تيمية، وها هم يكذبون عليه في هذه الأعوام وتستمر سلسلة الكذب والكاذبين من أعداء التوحيد وهم على نسق واحد في نصرة الشرك وعبادة القبور.

خامسًا: البرزالي يحكي ما فهمه من أحداث جرت لابن تيمية سنة ٧٠٧هـ في شهر شوال، وفيما نقله ابن كثير في تاريخه اختلاف يسير عن نقل البرزالي، مما يؤكد حصول النقل بالمعنى، وابن تيمية كتب كتبًا بعد هذه الواقعة وقبلها، ومن الكتب المتأخرة كتاب (الاستغاثة) كتبه بعد هذه الواقعة بنحو عشرين سنة، ومما جاء فيه قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإنَّا بعد معرفة ما جاء به الرسول: نعلم بالضرورة أنه لم يشرع لأمته أن تدعو أحدًا من الأموات لا الأنبياء ولا الصالحين ولا غيرهم، لا بلفظ الاستغاثة ولا بغيرها ولا بلفظ الاستعاذة ولا بغيرها، كما أنه لم يشرع لأمته السجود لميت ولا لغير ميت ونحو

(١) التسعينية ١/١١١.

ذلك، بل نعلم أنه نهى عن كل هذه الأمور، وأن ذلك من الشرك الذي حرمه اللّه تعالى ورسوله؛ لكن لغلبة الجهلِ، وقلَّة العلم بآثار الرسالة في كثيرٍ من المتأخرين لم يُمكن تكفيرهم بذلك حتى يتبيَّن لهم ما جاء به الرسولُ ﷺ مما يخالفه، ولهذا ما بيَّنتُ هذه المسألة قط لمن يعرفُ أصل الإسلام إلا تفطَّن؛ وقال: هذا أصل دين الإسلام.

وكان بعض الأكابر من الشيوخ العارفين من أصحابنا يقول: هذا أعظم ما بيَّنته لنا؛ لعلمه بأن هذا أصل الدين.

وكان هذا وأمثاله في ناحية أخرى يدعون الأمواتَ ويسألونَهم، ويستجيرون بهم، ويتضرَّعون إليهم، وربما كان ما يفعلونَه بالأموات أعظم! لأنَّهم إنِّما يَقصدون الميتَ في ضرورةٍ نَزلت بهم فيدعونه دعاءَ المضطر، راجين قضاء حاجاتهم بدعائه أو الدعاء به، أو الدعاء عند قبره، بخلاف عبادتِهم اللّه تعالى ودعائهم إياه فإنهم يفعلونه في كثير من الأوقات على وجه العادة والتّكلف، حتى إنَّ العدو الخارج عن شريعة الإسلام (التتار) لما قدم دمشق خرجوا يستغيثون بالموتى عند القبور التي يرجون عندها كشف ضرهم، وقال بعض الشعراء:

يا خائفين من التتر … لوذوا بقبر أبي عمر

أو قال:

عوذوا بقبر أبي عمر … ينجيكم من الضرر

فقلت لهم: هؤلاء الذين تستغيثون بهم لو كانوا معكم في القتال لانهزموا كما انهزم من انهزم من المسلمين يوم أُحُد، فإنه كان قد قضى: أنَّ العسكر ينكسر لأسباب اقتضت ذلك، ولحكمة اللّه ﷻ في ذلك.

ولهذا كان أهل المعرفة بالدين والمكاشفة (أهل الفراسة من أهل العلم)، لم يقاتِلوا في تلك المرة:

ـ لعدم القتال الشرعي الذي أمر اللّه به ورسوله!

ـ ولما يحصل في ذلك من الشر والفساد!

ـ وانتفاء النصرة المطلوبة من القتال!

فلا يكون فيه ثواب الدنيا ولا ثواب الآخرة لمن عرف هذا وهذا، وإن كثيرًا من القائلين الذين اعتقدوا هذا قتالًا شرعيًا: أُجِروا على نياتهم.

فلما كان بعد ذلك؛ جعلنا نأمر الناس بإخلاص الدين للّه ﷻ والاستغاثة به وأنهم لا يستغيثون إلا إياه لا يستغيثون بملك مقرب ولا نبي مرسل؛ كما قال تعالى يوم بدر: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩]، وروي أن رسول اللّه ﷺ كان يوم بدر يقول: «يا حي يا قيوم لا إلٰه إلا أنت برحمتك أستغيث»[(١)] وفي لفظ «**أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين ولا إلى أحد من خلقك**».

فلما أصلح الناس أمورهم وصدقوا في الاستغاثة بربهم؛ نصرهم على عدوهم نصرًا عزيزًا، ولم تهزم التتار مثل هذه الهزيمة قبل ذلك أصلًا؛ لما صحَّ من: تحقيق توحيد اللّه تعالى، وطاعة رسوله ما لم يكن قبل ذلك، فإنَّ اللّه تعالى ينصر رسوله والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد»[(٢)].

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (١٠٣٧٢)، والبزار (٦٦٢)، وأبو يعلى (٥٣٠)، والحاكم (٨٠٩).

(٢) الاستغاثة في الرد على البكري ٢/٣٧٦ ـ ٣٧٨.

وقال ابن فضل اللّه العمري في موقعة شقحب[(١)]: «لما جاء السلطان إليها لاقاه شيخ الإسلام ابن تيمية، وجعل يشجعه ويثبته، فلما رأى السلطان كثرة التتار، قال: يا لخالد بن الوليد! فقال له شيخ الإسلام: لا تقل هذا، بل قل: يا اللّه! واستغث باللّه ربك، ووحِّده وحده تنصر، وقل: يا مالك يوم الدين، إياك نعبد وإياك نستعين! وما زال يطل تارة على الخليفة المستكفي باللّه، وتارة على الملك الناصر بن قلاوون، ويهدئهما، ويربط جأشهما، حتى جاء نصر اللّه والفتح، وقال للسلطان: أنت منصور فاثبت! فقال له بعض الأمراء: قل إن شاء اللّه؛ فقال: إن شاء اللّه تحقيقًا، لا تعليقًا! فكان كما قال»[(٢)].

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكثير ممن يستغيث بالمشايخ فيقول: يا سيدي فلان أو يا شيخ فلان اقض حاجتي. فيرى صورة ذلك الشيخ تخاطبه ويقول: أنا أقضي حاجتك وأطيب قلبك، فيقضي حاجته أو يدفع عنه عدوه، ويكون ذلك شيطانًا قد تمثل في صورته لما أشرك باللّه فدعا غيره. وأنا أعرف من هذا وقائع متعددة؛ حتى إن طائفة من أصحابي ذكروا أنهم استغاثوا بي في شدائد أصابتهم. أحدهم كان خائفًا من الأرمن والآخر كان خائفًا من التتر: فذكر كل منهم أنه لما استغاث بي رآني في الهواء وقد دفعت عنه عدوه.

---

(١) موقعة شقحب معركة وقعت في ٢ رمضان سنة ٧٠٢هـ في مكان يقال له شقحب وهو قرية فيها عين ماء جنوب دمشق تبعد عنها أربعين كيلومتر، واستمرت المعركة ثلاثة أيام نصر اللّه فيها المسلمين على التتار ولله الحمد والمنة. انظر: معجم البلدان (١٨٤/٤)، خطط الشام لمحمد بن عبدالرزاق بن محمد، كُرْد علي (٢٧٦/١)، البداية والنهاية ٢٣/١٤.

(٢) مسالك الأبصار ٧٠١/٥.

فأخبرتهم أني لم أشعر بهذا ولا دفعت عنكم شيئًا؛ وإنما هذا الشيطان تمثل لأحدهم فأغواه لما أشرك باللّه تعالى.

ولهذا من اعتمد على مكاشفته التي هي من أخبار الجن كان كذبه أكثر من صدقه؛ كشيخ كان يقال له: (الشياح) توَّبناه وجددنا إسلامه، كان له قرين من الجن يقال له: (عنتر) يخبره بأشياء فيصدق تارة ويكذب تارة، فلما ذكرت له أنك تعبد شيطانًا من دون اللّه اعترف بأنه يقول له: يا عنتر لا سبحانك؛ إنك إلٰه قذر! وتاب من ذلك في قصة مشهورة. وقد قتل سيف الشرع من قتل من هؤلاء مثل الشخص الذي قتلناه سنة خمس عشرة، وكان له قرين يأتيه ويكاشفه فيصدق تارة ويكذب تارة، وقد انقاد له طائفة من المنسوبين إلى أهل العلم والرئاسة فيكاشفهم حتى كشفه اللّه لهم»[(١)].

سادسًا: الاستغاثة التي بمعنى العبادة لغير اللّه، يقول الكاتب في حكمها: إنها شرك باللّه عند كل الأمة، مع أن الكاتب يعلم أن دعاة الشرك يجيزونها صريحًا، وعندهم أنها لا تكون شركًا إلا إذا اعتقد أن النبي ﷺ يخلق ويرزق ويدبر الأمر، وما دام الذي يستغيث بالنبي ﷺ لا يعتقد هذا فليس بشرك.

وإذا نظرت في حال دعاة الشرك ذكرت حال السامري الذي قصّ اللّه في كتابه الخبر عنه؛ فتأمل في السامري وهو عالم ضلالة وداعية فتنة اتبع هوى نفسه وأضله اللّه، وضل بسببه خلق كثير، فزيّن لهم عبادة العجل وفتنهم بذلك بشبه شيطانية فقال لهم عن هذا العجل ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ﴾ [طه: ٨٨]، نسي أن يذكركم أن هذا إلهكم.

(١) مجموع الفتاوى ١١٥/٣٥.

وكان مبتدأ الفتنة به أن أفتاهم بالتخلص من زينة الكفار تورعًا: ﴿وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ﴾ [طه: ٨٧]، فدعا أن يكون الذهب عجلًا له خوار بعد إدخاله في حفرة من النار ونحته السامري على هيئة العجل، فكان إذا خار سجدوا له، وإذا خار رفعوا رؤوسهم، قال ابن عباس رضي الله عنهما: فعكفوا عليه وأحبوه حبًّا لم يحبوا شيئًا قط يعني مثله، قال ابن كثير رحمه الله: «وحاصل ما اعتذر به هؤلاء الجهلة أنهم تورعوا عن زينة القبط، فألقوها عنهم، وعبدوا العجل. فتورعوا عن الحقير وفعلوا الأمر الكبير»(١).

وهذا شأن علماء الضلالة ودعاة الشرك.

وتأمل إبطال اللّه تعالى للشرك في عبادته في سورة الأنبياء:

﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنبياء].

فهذه حجج متتالية في إبطال الشرك في عبادة اللّه تعالى.

---

(١) تفسير ابن كثير ٥/٣١١.

الحجة الأولى: قوله تعالى عن الملائكة الذين هم من أعظم مخلوقات اللّه ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾.

الثانية: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ أي يحيون الموتى؟ فضلًا عن كونها تخلق وترزق؟؟

الثالثة: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾.

الرابعة: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ فهو الكامل الحكيم العليم لا معقب لحكمه.

الخامسة: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ﴾.

السادسة: ﴿هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي﴾.

السابعة: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾.

الثامنة: اتفاق دعوة الرسل على الدعوة إلى عبادة اللّه ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾.

التاسعة: ذكر حال الملائكة ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾.

العاشرة: على تقدير أن أحدًا من الملائكة ـ وحاشاهم من ذلك ـ طلب أن يعبد من دون اللّه لعاقبه اللّه أشد العقاب ﴿۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

* * *

نقض شبهات:

«المبحث الثالث:
النصوص الدالة على
أن شرك المشركين كان في الربوبية
مع شركهم في العبادة»



➢ نقض شبهات الكاتب التي أوردها ليحتج بها على أن شرك المشركين كان في الربوبية مع شركهم في العبادة:

استدل الكاتب باثني عشر نوعًا من الأدلة اشتبهت عليه، وظنَّ أنها تدل على أنَّ شرك المشركين كان في الربوبية والألوهية، وأنه لا شرك في العبادة بغير شرك في الربوبية!

وكل هذه الاستدلالات في الحقيقة حجة عليه.

➢ الرد على شبهته الأولى ص ٥٥:

وحاصل كلامه: أنَّ المشركين يعتقدون في آلهتهم العز والمنعة والنصرة ويطلبون ذلك منها، وذكر عددًا من الآيات، ونقل في الحواشي بعض النقول عن المفسرين، ثم قال ص ٥٨: **[فكيف يتجاهلون هذه الآيات التي تبين حقيقة شرك المشركين وأنه شرك في الربوبية حتى إنهم كانوا يعتقدون أن آلهتهم تمنعهم من عذاب اللّٰه وأنها تنصرهم في الدنيا]**.

وللرد عليه نقول: إنَّ هذه الآيات لم يتجاهلها أهل العلم؛ بل التجاهل للحق وأدلته هو شأن أهل البدع والأهواء.

وأما أهل العلم والإيمان فقالوا بموجبها وآمنوا بها وعلموا أن كلام اللّٰه لا يتناقض؛ فاللّٰه تعالى حكى عن المشركين اعترافهم بأنَّ اللّٰه هو الخالق الرازق المدبر وحكى عنهم أيضًا أنهم اتخذوا آلهة من دون اللّٰه ليكونوا لهم عزًّا، ولعلهم ينصرون.

ويقال له: إنَّ اللّه تعالى حكم بكفرهم وشركهم لمَّا صرفوا لها الدعاء والعبادات ولم يعلق اللّه سبحانه الحكم بكفرهم على تلك الأسباب التي يذكرها الكاتب، فقال تعالى ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون]، فحكم عليه بالكفر بدعائه مع اللّه معبودًا غير اللّه، وهذا صريح أنَّ الحكم على فعل المكلف.

وهكذا قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ﴾ [فاطر: ١٣ ـ ١٤]، فلو قال المشرك: إنّني أعتقد أنَّ الذي أدعوه من دون اللّه يسمع دعائي! لم يكن هذا رافعًا لحكم الكفر والشرك عنه، ثم قال: ﴿وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ﴾ فلو قال المشرك: إنه استجاب لي، لم يكن هذا مؤثرًا في منع الحكم بالكفر والشرك، ثم قال: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ فسماه شركًا، وهو أعلم بما يقوم بما في نفوس العباد ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾.

والمخالف أراد أن يأخذ من الآيات التي فيها أن المشركين اتخذوا معبوداتهم للنصر والعزة والمنعة والتخويف والنفع والضر على أنَّ هذه مسوغاتٌ مؤثرة إذا لم توجد لم تكن العبادة لغير اللّه شركًا، وهذا من الخطأ والضلال.

ثم يقال له أيضًا: لا يلزم من اتخاذ الشيء ناصرًا أن يعتقد أنه رب خالق مدبر، فالمنافقون حكى اللّه عنهم أنهم اتخذوا من دون اللّه وليجة: ﴿يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ [المائدة: ٥٢] وكذلك قوله تعالى: ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحشر]، فهؤلاء المنافقون اتخذوا

نصيرًا ومعينا ووليًا من دون اللّه لينصرهم ويحميهم، ولا يقال إنهم اعتقدوا فيهم الربوبية.

وإذا استنصر المسلم بأخيه المسلم فإنه لا يعتقده ربًّا خالقًا، وكذلك الكافر والمشرك.

وأما إذا استنصر به وهو ميت أو غائب أو في شيء لا يقدر عليه إلا اللّه فهذا هو الكفر المبين والشرك الظاهر ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٦]، وهذا الشرك في الألوهية وهو مخرج من ملة الإسلام وقد يصل به إلى حد الشرك في الربوبية فيكون ظلمة فوق ظلمة وكفر مع كفر.

ومن أمثلته ما تقدم من قول أحدهم مخاطبًا الرسول ﷺ:

يا ملاذي يا منجدي يا منائي ... يا معاذي يا مقصدي يا رجائي
يا نصيري يا عمدتي يا مجيري ... يا خفيري يا عدتي يا شفائي
أدرك أدرك أغث أغث يا شفيعي ... عند ربي واعطف وجد بالرضاء
أنت غوثي وملجئي وغياثي ... وجلا كربتي وأنت غنائي

وقد تقدم نقل هذه الأبيات المعبرة عما يدور في نفوس المشركين في الأزمان المتأخرة.

وذكر الشيخ محمد رشيد رضا هذا المعنى فقال في تفسيره: «وقد سمعت امرأة مصرية تدعو وتستغيث في أمر أهمها: يا متبولي يا متبولي... فقلت لها بعد أن هدأ روعها: لماذا تدعين المتبولي ولا تدعين اللّه تعالى؟ قالت: المتبولي ما يستناش. أي لا يهمل، ولا يتأخر في إجابة من دعاه واستغاث به، وذكرت حكاية متناقلة بين أمثالها وهي: أنَّ رجلًا كان قد سرق سمكة فسيخ وأكلها، فحلَّفه صاحبها يمينًا بالمتبولي، فحلف به فقيأه الفسيخة، ولمثل هذه

الحكايات يتجرأ أمثال هؤلاء على الحلف باللّه تعالى كذبًا، ولا يتجرؤون على الحلف بمعتقديهم، وهذا نوع آخر من تفضيلهم إياهم على رب العالمين، وهو من إلحاد الشرك الصريح، ويزعمون معه أنهم من المسلمين، ويتأول لهم علماء الجمود المضلين، وينبزون من أنكر عليهم بلقب وهابيين! ويمقتون هذا اللقب وإن صار بمعنى الموحدين»[(١)].

فهم يطلبون من آلهتهم النصر على ظنون وأوهام وهم يعلمون عجزها، ولما كسّر إبراهيم الخليل الأصنام قال: بل فعله كبيرهم هذا.. فقال المشركون: ﴿حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ﴾ [الأنبياء: ٦٨]، فكيف يطلبون النصر منها وهم ذهبوا ينصرونها، وهذه الحقيقة يعترف بها المشركون ولكن يستكبرون قال تعالى: ﴿لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ١٩٧﴾ [الأعراف].

ولهذا كانوا يطلبون النصر من أشجار كما في قصة ذات أنواط، ومعلوم أنَّ الشجرة لا تتحرك للنصر وليست ربًّا أو خالقة أو رازقة، وإنما يرجون بركتها بالتمسح بها واعتقاد أن ذلك شيء يرضاه اللّه ويقربهم إليه، وكما قالوا: «**لنا العزى ولا عزى لكم**»، فهم يعلمون أن هذه شجرة لا تتحرك من مكانها ولا تملك لعابديها نصرًا، فعُلم أن المراد بذلك التكثر والتقوّي بأوهام وظنون فاسدة، ولما يرجون من بركتها.

والمعنى عند أهل العلم: أن المشركين يطلبون من معبوداتهم الباطلة النصر والحفظ والمنعة، وذلك إذا شفعت لهم عند اللّه وقربتهم إليه زلفى، فهم ما اتخذوها شفعاء إلا لأجل هذا الغرض،

---

(١) تفسير المنار ٩/٣٧٥.

فأغلبهم ينكر البعث ولا مجال للتفكير عنده بطلب شفاعتها في الآخرة، فيكون رجاء شفاعتها بطلب نصرتها وحمايتها وحفظها لهم، وهذا هو المقصود، فهم مقرّون بالربوبية للّه تعالى، وأما هذه الآلهة فليست عند المشركين ربًّا خالقًا رازقًا مدبرًا وإنما شافعة متوسطة ومقربة لهم إلى اللّه.

قال الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هم يظنون أن آلهتهم تشفع لهم وأن أصنامهم وأن الأنبياء وأن الملائكة الذين عبدوهم أنهم يشفعون لهم شفاعة ملزمة وأنهم لا يحتاجون إذنًا، بل يشفعون وتقبل شفاعتهم ويحصل لهم دخول الجنة والنجاة من النار، هذا في حق من يؤمن بالآخرة، وأما من لا يؤمن بالآخرة فهم يعتقدون أنهم يعبدونهم ليشفعوا لهم في حاجات الدنيا ومصالح الدنيا من حصول رزق أو نفي خطرٍ أو عقوبات وأشباه ذلك، وأكثر العرب لا يؤمنون بالآخرة، أكثرهم جاهليون لا يؤمنون بالآخرة؛ فهم يتشفعون بالملائكة وبغيرهم لحظهم العاجل ومقاصدهم العاجلة، ومن آمن منهم بالآخرة أو من غيرهم من العجم فهم يظنون أن هؤلاء الذين عبدوهم من دون اللّه يشفعون لهم عند اللّه شفاعة ملزمة مثل الشفاعة عند الملوك وأشباه الملوك وهذا من جهلهم وضلالهم بحقه سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وغناه وملكه العظيم»[(١)].

وقد نقل الكاتب في الحاشية رقم ٢ ص ٥٦ قول ابن كثير في تفسير الآية: «يبتغون بذلك أن تنصرهم تلك الآلهة وترزقهم وتقربهم إلى اللّه زلفى..»[(٢)]، فهذا لو تنبّه لفهم أنهم يقرون بأن ذلك كله من عند اللّه بواسطة هذه الآلهة، وهذا هو المطلوب، وهو إقرارهم بربوبية اللّه تعالى ونفيهم الربوبية عن غيره، ولهذا فإنَّ ابن كثير نفسه

---

(١) شرح كتاب التوحيد، ١٧٣ ـ ١٧٤.

(٢) تفسير ابن كثير ٥٩٣/٦.

وفي هذا الموضع نفسه من التفسير قرر هذا المعنى فقال: «﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ﴾ [النمل: ٦٠] أي: لم تكونوا تقدرون على إنبات شجرها، وإنما يقدر على ذلك الخالق الرازق، المستقل بذلك المتفرد به، دون ما سواه من الأصنام والأنداد، كما يعترف به هؤلاء المشركون، كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [العنكبوت: ٦٣] أي: هم معترفون بأنه الفاعل لجميع ذلك وحده لا شريك له، ثم هم يعبدون معه غيره مما يعترفون أنه لا يخلق ولا يرزق، وإنما يستحق أن يفرد بالعبادة من هو المتفرد بالخلق والرزق؛ ولهذا قال: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ [النمل: ٦٠] أي: أإله مع اللّه يعبد. وقد تبيَّن لكم، ولكل ذي لبٍّ مما يعرفون به أيضًا أنه الخالق الرازق.

ومن المفسرين من يقول: معنى قوله: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ أي: أإله مع اللّه فعل هذا. وهو يرجع إلى معنى الأول؛ لأن تقدير الجواب أنهم يقولون: ليس ثم أحد فعل هذا معه، بل هو المتفرد به. فيقال: فكيف تعبدون معه غيره وهو المستقل المتفرد بالخلق والتدبير؟ كما قال: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ [النحل: ١٧].

وقوله هاهنا: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [النمل: ٦٠]: ﴿أَمَّن﴾ في هذه الآيات كلها تقديره: أمن يفعل هذه الأشياء كمن لا يقدر على شيء منها؟ هذا معنى السياق وإن لم يذكر الآخر؛ لأن في قوة الكلام ما يرشد إلى ذلك، وقد قال: ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل: ٥٩].

ثم قال في آخر الآية: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ أي: يجعلون للّه عِدلًا ونظيرًا. وهكذا قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴿٩﴾﴾ [الزمر] أي: أمَّن هو هكذا كمن

ليس كذلك؟ ولهذا قال: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٩﴾ [الزمر]، ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢٢﴾ [الزمر]، وقال: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣] أي: أمن هو شهيد على أفعال الخلق، حركاتهم وسكناتهم، يعلم الغيب جليله وحقيره، كمن هو لا يعلم ولا يسمع ولا يبصر من هذه الأصنام التي عبدوها؟ ولهذا قال: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ [الرعد: ٣٣]، وهكذا هذه الآيات الكريمات كلها»[(١)].

فتبيَّن أن الكاتب لم يتنبه لكلام المفسرين الموَضِّح بكل صراحة إقرارَ المشركين بأن اللّه هو الخالق الرازق، وأنهم يعترفون أن آلهتهم لا تخلق ولا ترزق، ثم يعكس كلامهم ليظهره بخلاف حقيقته، واللّه المستعان.

وأضيف أمرًا مهمًا للغاية، وهو أن الكاتب يرى أنه حتى لو اعتقد العابد لغير اللّه أن معبوده يملك النصر والإعزاز والمنعة؛ فقد وضع له مخرجًا حتى لا يوصف بالشرك وهو أنه يقول: إنه إذا اعتقد في معبوده أن اللّه أذن له!! فإذا اعتقد ذلك سلم من وصف الشرك بزعمه.

فيقول في ص١٢٣: (أم أنهم يؤمنون أن هؤلاء الشفعاء إنما أذن اللّه لهم بالشفاعة)، ويقول في ص١٢٩: (وعلى هذا فلا يكون الاعتقاد في أحد أنه يفعل ما لا يقدر عليه إلا اللّه شركًا إلا إذا كان يعتقد أنه يفعله بغير إذن اللّه)، ثم يقول في ص١٣١: (وأما الخطأ في نسبة إذن اللّه لعبد من عبيده بفعل شيء لا يقدر عليه إلا اللّه،

---

(١) تفسير ابن كثير ٢٠٢/٦.

والصحيح أن اللّه تعالى لم يأذن له بذلك، أو لا يُعلم أن اللّه تعالى قد أذن له بذلك، فهو خطأ ولا شك، وهو خطأ قد يؤدي إلى شنائع من البدع، لكنه ليس شركًا..).

فتأمل أخي القارئ:

يصرح بأن هذا خطأ، وأنه يؤدي إلى شنائع من البدع، لكن انتبه (هو خطأ وليس بشرك)!! وماذا بعد هذا؟؟

الجواب: هذا الذي يسميه خطأ موجود في كتاب «**المنهج المطهر للجسم والفؤاد**» وموجود في كتب غلاة الصوفية دعاة الشرك، وقد سبق النقل عنهم مما يبين وقوعهم في الشرك الأكبر ونسبة ما لا يقدر عليه إلا اللّه إلى بعض طواغيتهم، ثم يقول الكاتب للناس: **(فما أحوج طلبة العلم وكل مسلم لهذا الكتاب)**[١].

إذا فهمت هذه الحقيقة عرفت مقصود الكاتب إذا قال: (هذا خطأ)، أو قال: (أنا أحرم الاستغاثة بالموتى) أو قال نحو ذلك من العبارات.

◄ الرد على شبهته الثانية ص ٥٨:

وحاصل استدلاله: (أن المشركين ما كانوا يدعون آلهتهم إلا لترزقهم وتنصرهم وتشفيهم وتحقق رغباتهم وهذا هو اعتقاد الربوبية فيهم ما داموا يعتقدون فيها التأثير في الرزق والنصر والتدبير إما استقلالًا أو شركة أو إعانة: ومنها قبول اللّه شفاعتهم لحاجته إليهم).

والرد عليه: أن طلب شفاعتهم قسم رابع ليس هو طلب إعانتهم، وقد كفَّر اللّه سبحانه من عبد غيره طلبًا لشفاعته عند اللّه،

(١) سبق توثيق كلامه في مدح الكتاب وحث الناس على قراءته فراجعه. ص٤٣-٤٤.

كما قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس: ١٨] فالشفاعة هي أصل شبهة المشركين والحجة التي تعلقوا بها في شركهم، كما قرر ذلك أهل العلم.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في القواعد الأربع: «القاعدة الثانية أنهم يقولون: ما دعوناهم وتوجهنا إليهم إلا لطلب القربة والشفاعة»[(١)]، وأورد قوله تعالى: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس: ١٨]، وقوله: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣].

فهذه الشبهة هي التي فتن بها المشركون، ولم يسلم منها أهل الأديان الذين خالطوا المشركين، فقد دخلوا في الشرك من غير عبادة الأصنام الذي هو طريق الوثنيين، لكن من طريق تعظيم الأنبياء والصالحين وجعلوا هذا غير مناف لإظهارهم اتباع شريعتهم، وسموا الأمور بغير اسمها، فعبدوا غير اللّه، ولكنهم لم يُسمّوا عملَهم عبادة، بل أطلقوا عليه لفظًا آخر كالاستشفاع والتوسل، واتخذوا غير اللّه إلهًا وربًّا، ولم يسموه إلهًا وربًّا، بل سموه شفيعًا ووسيلة.

ويُردُّ على الكاتب في استدلاله هذا بالرد نفسه على استدلاله الأول، فإن اللّه تعالى بيَّن أنَّهم يعتقدون أنَّ الرزق من عند اللّه ويعترفون بذلك، ويناقضون أنفسهم فيدعون غيره؛ ابتغاء أن يشفع لهم عند اللّه، فيتحقق لهم الرزق والنصر والشفاء ببركتها وبتقربهم إليها.

والتوجه من المشرك إلى هذا المعبود من دون اللّه ـ المؤثر على اللّه بزعمه ـ عندما يتوجه إليه وإلى اللّه تعالى في الدعاء فيدعوه مع اللّه، وقد يدعوه من دون اللّه عند شدة الحاجة، لكشف ضر أو

(١) القواعد الأربع ص٤٣.

جلب نفع؛ فهذا لا يخرج عن كونه شركًا في الألوهية، والعبرة بحقيقة الشرك لا بأصناف الشركاء، فلا فرق بين من أشرك باللّه مَلَكًا أو نبيًّا أو من أشرك به كوكبًا أو حجرًا أو شيطانًا فكل من صرف العبادة لغيره فقد أشرك باللّه، مهما كان تعليله وتسويغه.

ويقال للكاتب: هذا الذي في الآيات الكريمة من الحجج التي ذكرها اللّه تعالى عن المشركين هي موجودة بعينها في المشركين المتأخرين.

فهؤلاء الذين يحجون إلى القبور يقصدون ما يقصده المشركون الذين يقصدون بعبادة المخلوق ما يقصده العابدون للّه.

فمنهم من يقصد قضاء حاجته وإجابة سؤاله من الرزق والشفاء والمدد. وهو يقول: هؤلاء أقرب إلى اللّه مني، فأنا أتوسل بهم وهم يتوسطون لي في قضاء حاجتي، وقد ينذر لهم ليرضيهم، ومن هؤلاء من يظن أن القبر إذا كان في مدينته أو قريته فإنهم ببركته يرزقون وينصرون، وأنه يندفع عنهم الأعداء والبلاء بسببه.

فما الفرق بينهم وبين المشركين الأولين!

وأما قوله تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ [يونس: ٦٦]، وقوله: ﴿وَيَوۡمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ﴾ [الكهف: ٥٢]، وقوله: ﴿وَقِيلَ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ فَدَعَوۡهُمۡ فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ﴾ [القصص: ٦٤].

فالمراد بالشركاء: أي في العبادة، وليس الاعتقاد أنهم يخلقون مع اللّه؛ فهذا الاعتقاد نفاه القرآن عنهم فلم يكونوا يعتقدون ذلك في معبوداتهم.

فاللّه ﷻ بيّن بشأن معبودات المشركين أنها تُسمى آلهة وأندادًا،

وأربابًا وشركاء، وأولياء، لأنَّ من عبدها فقد جعلها مألوهة له، وجعل لها شركة في العبادة التي هي حقُّه، ومثلها باللّه في عبادته لها، واتخذها أربابًا وأولياء.

فصارت تطلق عليها هذه الأوصاف، بجعل عابديها، واتخاذهم لها كذلك، بعبادتهم وإرادتهم، قال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [يس]، وقال: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾﴾ [مريم]؛ فصارت آلهة بالفعل، والاتخاذ والإرادة، والقصد.

وفي قوله: ﴿وَقِيلَ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ﴾ لطيفة نافعة: وهي قوله: ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ﴾ فسمى ذلك دعاءً وليس هو اعتقاد ربوبية بل هو الهتف باسم من عبدوه ومناداته وطلب الحوائج منه، فهذا الذي كانوا يفعلونه في الدنيا وهو الأمر الذي رتب عليه كفرهم وشركهم وخلودهم في النار.

➢ الرد على شبهته الثالثة ص٦٠:

وهو أنَّهم في الضرورة يلجؤون إلى اللّه ثم في الرخاء يعودون للشرك، قال الكاتب: **[بل مما يدل على اعتقادهم في آلهتهم أنهم كانوا يلجؤون إليها في طلب حاجاتهم في عامة أوقاتهم وحاجاتهم اللّهم إلا في حالات خاصة كانت تغلب فيها فطرهم ما اعتقدوه وعاشوا عليه من الشرك في الربوبية والألوهية، وأنهم بعد زوال المحنة يعودون إلى طلب حاجاتهم من تلك الأوثان].**

فسبحان اللّه وبحمده كيف يستدل بما هو حجة عليه.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ

﴿٤٠ بَلۡ إِيَّاهُ تَدۡعُونَ فَيَكۡشِفُ مَا تَدۡعُونَ إِلَيۡهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوۡنَ مَا تُشۡرِكُونَ ٤١﴾ [الأنعام]: «فيها مسائل: الأولى: أمره ﷻ بمحاجتهم بهذه الحجة الواضحة للجاهل والبليد، لكن بشرط التفكر والتأمل، فيا سبحان اللّه! ما أقطعها من حجة! وكيف يخالف مَنْ أقرَّ بها؟!

الثانية: إذا تحققت معنى هذا الكلام، مع ذكر اللّه تعالى له في مواضع من كتابه، عرفت الشرك الأكبر وعبادة الأوثان. وقول بعض أئمة المشركين: إن الذي يفعل في زماننا شرك، لكنه شرك أصغر، في غاية الفساد. فلو نقدِّر أن في هذا أصغر أو أكبر، لكان فعل أهل مكة مع العزى، وفعل أهل الطائف مع اللات، وفعل أهل المدينة مع مناة، هو الأصغر، وفعل هؤلاء هو الأكبر؛ ولا يستريب في هذا عاقل، إلا إن طبع اللّه على قلبه.

الثالثة: أن إجابة دعاء مثل هؤلاء، وكشف الضر عنهم، لا يدل على محبته لهم، ولا أن ذلك كرامة، وأنت تفهم لو يجري شيء من هذا في زماننا، على يدي بعض الناس، ما يظن فيه من يدعي العلم، مع قراءتهم هذا ليلًا ونهارًا.

الرابعة: معرفة العلم النافع، والعمل الذي لا ينفع؛ فمع معرفتهم أنه لا يكشفه إلا اللّه، ومع معرفتهم بعجز معبوداتهم، ونسيانهم إياها ذلك الوقت، يعادون اللّه هذه المعاداة، ويوالون آلهتهم تلك الموالاة، قال تعالى: ﴿أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ هُمۡ يَكۡفُرُونَ ٧٢﴾ [النحل]»[1].

أليس في هذا أبين دليل على أن المشركين يقرون بالربوبية للّه ولا يجعلون شيئًا منها لمعبوداتهم!

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية ١٣/١٤١.

لو كان لمعبوداتهم في اعتقادهم أمور الربوبية لما تخلوا عن اعتقادهم فيها حتى في الشدة!

بل الذين يدافع عنهم أهل الأهواء من المشركين المتأخرين قد وقعوا في أقبح مما وقع فيه المشركون الأولون، فصاروا يستغيثون بغير اللّه حتى في الشدائد بل يزداد شركهم في الشدة بما لا يوجد عند المشركين الأولين، ولذلك ذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ فرقين بين هؤلاء وهؤلاء فقال: «شرك الأولين أخف من شرك أهل زماننا بأمرين:

أحدهما: أن الأولين لا يشركون ولا يدعون الملائكة والأولياء والأوثان مع اللّه إلا في الرخاء، وأما في الشدة فيخلصون للّه الدين. كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾ [الإسراء].

وقال: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الأنعام].

وقال: ﴿۞وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًاۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾﴾ [الزمر]، وقال: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [لقمان: ٣٢].

فمن فهم هذه المسألة التي وضحها اللّه في كتابه، وهي أن المشركين الذين قاتلهم رسول اللّه ﷺ يدعون اللّه ويدعون غيره في الرخاء، وأما في الشدة فلا يدعون إلا اللّه وحده لا شريك له وينسون ساداتهم، تبيَّن له الفرق بين شرك أهل زماننا وشرك الأولين، ولكن أين من يفهم قلبه هذه المسألة فهمًا راسخًا، واللّه المستعان.

والأمر الثاني: أن الأولين يدعون مع اللّه أُناسًا مقرَّبين عند اللّه. إما ملائكة وإما أنبياء، وإما أولياء، أو يدعون أشجارًا أو أحجارًا مطيعة للّه ليست عاصية.

وأهل زماننا يدعون مع اللّه أناسًا من أفسق الناس، والذين يدعونهم هم الذين يحكون عنهم الفجور من الزنا والسرقة وترك الصلاة وغير ذلك، والذي يعتقد في الصالح والذي لا يعصي مثل الخشب والحجر أهون ممن يعتقد فيمن يشاهد فسقه وفساده ويشهد به»[(١)].

وقال أيضًا: «الكفار إنما يدعون الأنبياء والملائكة في الرخاء، وأما في الشدائد فيخلصون للّه الدين، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٦٧]. والثاني: أن مشركي زماننا، يدعون أناسًا لا يوازون عيسى والملائكة.

إذا عرفتم هذا، فلا يخفى عليكم ما ملأ الأرض من الشرك الأكبر، عبادة الأصنام، هذا يأتي إلى قبر نبي، وهذا إلى قبر صحابي، كالزبير، وطلحة، وهذا إلى قبر رجل صالح وهذا يدعوه في الضراء، وفي غيبته، وهذا ينذر له، وهذا يذبح للجن، وهذا يدخل عليه من مضرة الدنيا والآخرة، وهذا يسأله خير الدنيا، والآخرة»[(٢)].

➢ الرد على شبهته الرابعة ص ٦١:

وحاصلها: أن المشركين يُخَوّفون الأنبياءَ بمعبوداتهم.

وهذا لا يخرج عما سبق، فهم يعتقدون أنها تقربهم إلى اللّه

---

(١) كشف الشبهات ١٠٤.

(٢) الدرر السنية في الأجوبة النجدية ٢/٤١.

وتشفع لهم عنده فتنصر من ابتغاها وعظّمها، وإذا كانت عندهم كذلك فهم يعتقدون بجهلهم وضلالهم أنها تُنزل الضرر بمن عاداها لما يظنون لها من المنزلة والكرامة عند اللّه، وليس في ذلك اعتقاد أنها خلقتهم أو رزقتهم وهم نحتوها بأيديهم!

وهذا الاحتجاج منه هو الاحتجاج نفسه من أهل الأهواء كسلامة القضاعي (ت: ١٣٧٦هـ) في كتابه «**فرقان القرآن**» ص ١١٣.

والعجب أن الكاتب يكرر ما يقوله القضاعي وأشباهه.

وفي قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ﴾ [الزمر: ٣٦] وما بعدها من الآيات، فيها أعظم رد على استدلال الكاتب؛ فإن اللّه تعالى بعد هذا صرح بإقرارهم بربوبيته وعجز آلهتهم فقال: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ﴾ [الزمر: ٣٨].

فإذا تبين لك هذا علمت أن تخويف المشركين بمعبوداتهم لا يخرجهم عن اعتقاد أن اللّه هو الرب الخالق المدبر.

وهذا التخويف من المشركين قديمًا نظيره ما يقرره دعاة الخرافة من التخويف بالمعبودات التي يسمونها أولياء!

وأسوق مثالًا على ما يفعله دعاة الشرك المتأخرون من التخويف بمعبوداتهم، فيقول عبد الوهاب الشعراني: «ومما أجبت به عن أرباب الأحوال الذين يخالفون ظاهر الشريعة، وإذا أنكر أحد من العلماء عطبوه[1] أو سلبوه من علمه، كيف صح لهم القدرة على عطب من أنكر عليهم أو سلبه مع أنه مخالف للشريعة؟ ومخالفها لا كرامة له، ولا يقدر عادة على التأثير في غيره لأنه لا يؤثر في غيره إلا

---

(١) أي أصابوه بالعطب وهو الهلاك.

بإمداد اللّه تعالى بالقوة، واللّه لا يمد المبطل على وجه الكرامة له.

والجواب: أن أرباب الأحوال نوع من المجاذيب[(١)]، والمجاذيب لا تكليف عليهم، ومن لا تكليف عليه فلا يسوغ لنا الإنكار عليه، فربما حارب الحق تعالى من أنكر عليه من حيث إن عقله مخبوء في حضرته تعالى، فلا يسلمه تعالى لمن يؤذيه. وسمعت سيدي عليّا الخوّاص[(٢)] يقول: لو أن الفقيه أنكر على من خالف الشريعة خالصًا مخلصًا، لم يقدر أحد على سلبه لاستناده إلى الشارع، ولكنه أنكر مخلوطًا بحظ نفسه، فلذلك عطبه الفقراء وسلبوه. فأخلص يا أخي في إنكارك وأنا أضمن لك أن أحدًا لا يقدر على أن يعطبك أبدًا»[(٣)].

فهذا تخويف هؤلاء من معبوداتهم ويقال لهم ولجميع معبوداتهم الباطلة ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٦] ﴿فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم﴾ [هود: ٥٥ ـ ٥٦].

وتقدم قول الشعراني: «وإن ظلمكم أحد من الولاة فلوذوا بأوليائكم ولو من طريق الإيمان بوجودهم، فإما يعزلونه لكم، وإما يخففون عنكم الظلم، فإن قلوبهم بيد تصريف الأولياء بإذن اللّه».

---

(١) من الأوصاف التي يطلقها المتصوفة على بعض أنواع فئاتهم ويريدون بالأحوال بعض التصرفات الخارقة للعادة، حتى ولو قال كلامًا بشعًا أو كلامًا غير مفهوم، أو أساء في تصرف، والمجاذيب نوع من المجانين فاقدي العقل يصفونهم بأوصاف دينية وأنهم يتكلمون بالحق، ويتبركون بهم ويطلبون منهم المدد والرزق.

(٢) عليٌّ الخوَّاص: أكبر شيوخ الشعراني؛ مع كونه أُميًّا، وكان الشعراني يستفتيه عَمَّا أشكل عليه من المسائل، وقد سَطَّرَ الشعراني خزعبلات شيخه الأمي في كتاب مطبوع بعنوان: درر الغوَّاص على فتاوي سيدي علي الخوَّاص. قف على ترجمة شيخه هذا في كتابه «الطبقات» ففيها آوابد!!

(٣) المنهج المطهر للجسم والفؤاد ٤٠٩/١.

➢ مثال على الشرك الأكبر عند المتأخرين:

ويقول أيضًا: «ووقع لسيدي محمد الحنفي الشاذلي أنه مشى على بحر النيل من مصر إلى الروضة، وتلميذه يمشي خلفه، وقال له: قل: يا حنفي[(١)]، ولا تغفل عني، فوسوس له إبليس وقال له: قل يا اللّه أعظم من الحنفي، فقال: يا اللّه، فغرق[(٢)]، فالتفت إليه سيدي محمد الحنفي وقال له: إنك لا تعرف اللّه حتى تسأله أن يمسك قدميك على الماء قل: يا حنفي، فقالها فطفا على الماء ومشى عليه»[(٣)].

ثم قال عبد الوهاب الشعراني بعد إيراده قصة سيده محمد الحنفي: «وقد خَبَرْتُ أنا هذا الباب أشد الخبر مع الولاة الذين يترددون إليّ من الكشاف ومشايخ العرب، فلم أقدر آخذ بيد أحد منهم إذا نزلت به شدة وهو يشرك معي غيري، كما أن غيري من الفقراء لا يقدر أن يأخذ بيده وهو يشركني معه في الاعتقاد، ولو كان ذلك الغير من أكبر الأولياء...» ثم بيّن علة قوله لا تشرك معي غيري «مراده سرعة قضاء الحاجة بحسب ما عوّده اللّه ﷻ، حتى لو أن صاحب الحاجة توجه إلى أحد في قضاء حاجته، ثم جاءه يأخذ خاطره يقول له: لا تشركني معه، تقف قضاء حاجتك، ويحسِّن اعتقاده في ذلك الآخذ. فاعلم ذلك واحمِ نفسك ولسانك من سوء الظن بالمسلمين»[(٤)].

فهذا هو حسن ظن المشركين المعاصرين بالأولياء الذين يعبدونهم.

---

(١) يأمره أن يستغيث به وهذا من الشرك الأكبر.

(٢) عند عبدالوهاب الشعراني صار قوله: («قل يا اللّه» من وسوسة إبليس!!) فباللّه عليكم ماذا بقي من الإسلام والدين عند هؤلاء الزنادقة؟؟.

(٣) المنهج المطهر للجسم والفؤاد ٦٤٩/١.

(٤) المصدر السابق ٦٥٠/١.

ولاحظ قوله: «لا يقدر أن يأخذ بيده وهو يشركني معه في الاعتقاد» وتذكر ما يقوله شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كشف الشبهات: «فإذا تحققت أنهم مُقِرُّون بهذا ولم يدخلهم في التوحيد الذي دعاهم إليه رسول اللّه ﷺ وعرفت أن التوحيد الذي جحدوا هو توحيد العبادة الذي يسميه المشركون في زماننا (الاعتقاد)..» وقوله: «إذا عرفت أن هذا الذي يسميه المشركون في زماننا (الاعتقاد) هو الشرك الذي نزل فيه القرآن وقاتل رسول اللّه ﷺ الناس عليه، فاعلم أن شرك الأولين أخف من شرك أهل زماننا بأمرين:

أحدهما: أن الأولين يشركون ويدعون الملائكة والأولياء والأوثان مع اللّه في الرخاء، وأما في الشدة فيخلصون للّه الدعاء. كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾ [الإسراء]... فمن فهم هذه المسألة التي وضحها اللّه في كتابه، وهي أن المشركين الذين قاتلهم رسول اللّه ﷺ يدعون اللّه ويدعون غيره في الرخاء، وأما في الضراء والشدة فلا يدعون إلا اللّه وحده لا شريك له وينسون ساداتهم، تبين له الفرق بين شرك أهل زماننا وشرك الأولين، ولكن أين من يفهم قلبه هذه المسألة فهمًا راسخًا، واللّه المستعان.

الأمر الثاني: أن الأولين يدعون مع اللّه أناسًا مقربين عند اللّه. إما أنبياء، وإما أولياء، وإما ملائكة، أو يدعون أشجارًا أو أحجارًا مطيعة للّه ليست عاصية.

وأهل زماننا يدعون مع اللّه أناسًا من أفسق الناس، والذين يدعونهم هم الذين يحكون عنهم الفجور من الزنا والسرقة وترك الصلاة وغير ذلك.

والذي يعتقد في الصالح أو الذي لا يعصي مثل الخشب والحجر أهون ممن يعتقد فيمن يشاهد فسقه وفساده ويشهد به»[(١)].

وكتب الخرافيين المتأخرين مليئة بالثناء على هؤلاء الطواغيت الذين يحكون عنهم الفجور، وأنقل بعض الأمثلة من فجورهم من الكتاب الذي أثنى عليه هذا الكاتب.

يقول الشعراني: «جوّز أبو يزيد وقوع العارف في الزنا أدبًا مع اللّه تعالى هروبًا من التحجير والتقييد»[(٢)]، ويقول: «حسن الخلبوص الذي في خان بنات الخطا بناحية زفتى، فرُحْ إليه يقضي حاجتك! فذهب إليه فوجد واحدة من بنات الخطا راكبة على ظهره وهي تصفعه في عنقه..»[(٣)]، ويقول: «ومما أجبت به عن الفقراء المجهولين الذين يحضرون آلات اللهو، وينامون في خانات بنات الخطا دون المساجد... بأنه لا يجوز الإنكار عليهم ببادئ الرأي، لاحتمال أن يكونوا من رجال اللّه الذين يشفعون في العصاة كلما عصوا، ويسألون اللّه تعالى عدم نزول البلاء عليهم حال معاصيهم، ويسمون رجال الرحمة.. وقد أدركت من رجال هذا المقام جماعة، منهم الشيخ وحيش الذي كان بمدينة الحرارية، والشيخ تميم الذي كان بناحية شبين الكوم، كانا لا يفارقان بنات الخطا ولا مواضع ضرب العود والغناء. فابحث يا أخي عن أحوال مثل هؤلاء، ثم أنكر بعد ذلك أو اسكت، فربما صدمك أحد من هؤلاء فأتلف بدنك أو دينك»[(٤)]، ويقول: «العالم أو الفقير أو غيرهما إذا كثر تردد امرأة من

(١) كشف الشبهات ١٠٤.
(٢) المنهج المطهر للجسم والفؤاد ١/١٢٧.
(٣) المصدر السابق ١/٤١٦.
(٤) المصدر السابق ١/٤١٥.

بنات الخطا إلى بيته ليلًا ونهارًا، وصار ذلك العالم أو الفقير مثلًا يخرج معها إلى خارج الباب يباسطها ويضحك معها، ويمزح..والجواب أنه تقدم في هذا الباب أنه لا يجوز اللوث بالعالم يمثل ذلك، فقد يكون تردد بنت الخطا إلى بيته إنما هو ليعلمها أمور دينها ويتوبها ويعلمها شرائط التوبة..»[(١)].

وأما السرقة فيقول الشعراني: «وربما كان ذلك اللص الذي أخذ ذلك الستر ما أخذه حتى شاور الشيخ بقلبه وقال له: دستور يا سيدي آخذ هذا الستر، لأجعله غطاء على أولادي في الشتاء، كما وقع لسيدي أحمد الزاهد، فسمع شخص قائلًا يقول في الليل وهو خارج القبة: دستور يا أحمد آخذ هذا الستر، فقال له الشيخ من ضريحه: خذه وأرحني منها»[(٢)].

وأما التعري فيقول: «ولعل جميع العراة الآن من المجاذيب أصل تجردهم من الثياب عجزهم عن حمل ثيابهم، فإياك والمبادرة إلى الإنكار ثم إياك واحمل كل من رأيته عاريًا على أن باطنه متجرد من محبة الدنيا كذلك»[(٣)].

فتبين لكل عاقل نصح الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ وصدقه مع جميع إخوانه المسلمين، وبيان شدة الانحراف في المشركين المتأخرين.

إكمال الرد على شبهة الكاتب:

وقد نقل الكاتب تفسير ابن جرير للآية رقم ٣٦ من سورة الزمر

---

(١) المصدر السابق ١/٣٩٤.
(٢) المنهج المطهر للجسم والفؤاد ١/٤٢٥.
(٣) المصدر السابق ١/٤٥٣.

في الحاشية وترك كلام ابن جرير في تفسير الآية التالية بعدها رقم ٣٨ وهي قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ لأن فيها ما ينقض مذهبه، فقد قال ابن جرير فيها: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين العادلين باللّه الأوثان والأصنام: مَنْ خلق السمٰوات والأرض؟ ليقولن: الذي خلقه اللّه، فإذا قالوا ذلك، فقل: أفرأيتم أيها القوم هذا الذي تعبدون من دون اللّه من الأصنام والآلهة ﴿إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾ يقول: بشدة في معيشتي، هل هن كاشفات عني ما يصيبني به ربي من الضر؟ ﴿أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ﴾ يقول: إن أرادني برحمة أن يصيبني سعة في معيشتي، وكثرة مالي، ورخاء وعافية في بدني، هل هن ممسكات عني ما أراد أن يصيبني به من تلك الرحمة؟ وترك الجواب لاستغناء السامع بمعرفة ذلك، ودلالة ما ظهر من الكلام عليه. والمعنى: فإنهم سيقولون: لا؛ فقل: حسبي اللّه مما سواه من الأشياء كلها، إياه أعبد، وإليه أفزع في أموري دون كلّ شيء سواه، فإنه الكافي، وبيده الضر والنفع، لا إلى الأصنام والأوثان التي لا تضر ولا تنفع»[1]. فوضح ابن جرير تفسير الآية الكريمة وأن المشركين معترفون بأن آلهتهم لا تضر ولا تنفع وأن ذلك كله بيد اللّه تعالى.

وقال ابن كثير: «**وقوله**: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ يعني: أن المشركين كانوا يعترفون بأن اللّه هو الخالق للأشياء كلها، ومع هذا يعبدون معه غيره، مما لا يملك لهم ضرًّا ولا نفعًا»[2].

فلم يقل أحد من أهل العلم ما قاله هذا الكاتب ومن سبقه أن

---

(١) جامع البيان ٢٠/٢١١.

(٢) تفسير ابن كثير ٧/١٠٠.

اعتراف المشركين كان جهلًا منهم أو أن اعترافهم كان كذبًا منهم، كما لم يقل أحد من أهل التفسير أن اعتراف المشركين بأن اللّه الخالق، كان مع كونهم مشركين في الربوبية كما يدّعي هذا الكاتب وأشباهه.

➤ الرد على شبهته الخامسة ص ٦٤:

ذكر الكاتب أن المشركين يعتقدون في معبوداتهم أنها بنات اللّه، وأن هذا شرك في الربوبية؛ وزعم أن قوله تعالى: ﴿إِن يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثٗا﴾ [النساء: ١١٧] حصرٌ لصورة شرك العرب ولآلهتهم وأنهم يعتقدون أنها بنات اللّه.

والجواب: سبحان من يطبع على قلب من يشاء فيصبح لا يبصر الحق، وهذا الأمر من أوضح الأمور في القرآن الكريم، فقد ذكر اللّه تعالى صُوَر شرك العرب مبطلًا لها، وليس في القرآن أنها محصورة بقولهم إن الملائكة بنات اللّه!

الرد عليه من وجوه:

١ ـ لا يصح القول بأنَّ جميع مشركي العرب يقولون الملائكة بنات اللّه، بل هم مضطربون مختلفون.

قال العلامة الشنقيطي في تفسيره: «الكفار يعتقدون أن للّه بنات إناثًا. وذلك أن خزاعة وكنانة كانوا يقولون: الملائكة بنات اللّه»[(١)]، وإذا كان الأمر كذلك فلا يصح للكاتب حصر صورة شرك مشركي العرب في اعتقادهم أن الملائكة بنات اللّه، بل شركهم متنوع متعدد.

---

(١) أضواء البيان ٣/٣٤٣.

٢ ـ لو قال المشركون: الملائكة بنات اللّه؛ فلا يعني ذلك أنهم يعتقدون أن الملائكة تخلق وترزق وتدبر!

قال العلامة عبد الرحمٰن بن يحيى المعلمي اليماني: «فأمّا سبب اختيارهم له سبحانه الإناث، فهو أنَّهم يعرفون من عادتهم أنَّ الولد الذكر يشارك أباه في ملكه، حتى لقد يتغلَّب عليه، وأمّا الأنثى فهي كَلٌّ على أبيها، ليس لها شيء من ملكه، حتى إنَّهم لا يورِّثونها منه، وهي عندهم مستضعفة لا شأن لها مع أبيها ألبتَّة.

فاختاروا أن يقولوا: إنَّ للّه عزَّ وجلَّ بنات؛ ليكونوا قد نزَّهوه عن العقر، بدون أن يلزمهم أن يشركوا معه في الملك والتدبير»[(١)].

٣ ـ القول بأن الملائكة بنات اللّه كفر مستقل، وهو يختلف عن عبادة المشركين للملائكة، فعبادتها من دون اللّه كفر مستقل آخر.

٤ ـ يجب أن يعرف القارئ حقيقة مراد من قال: إن الملائكة بنات اللّه ووجه كفره.

قال المعلمي اليماني: «ثم قدّر أنهم سيقولون ـ يعني المشركين في تسويغهم عبادة الأصنام ـ: هي الملائكة، والملائكة موجودون؛ فقال: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ . . .﴾ الآية. أي: والملائكة أنفسهم لا يستحقُّون العبادة؛ لأنَّهم لا يضرُّون ولا ينفعون، وأنتم تعترفون بذلك، إلَّا أنَّكم تقولون: إنَّهم يشفعون لكم، فاعلموا أنَّ شفاعتهم لا تغني شيئًا ما لم يأذن اللّه ويرضى، وكيف يأذن لهم ويرضى في الشفاعة لكم وأنتم تشركون به؟!»[(٢)].

٥ ـ معنى الآية عند المفسرين على خلاف ما ظنّه الكاتب؛ فإن

(١) عقيدة العرب في وثنيتهم، ضمن آثار المعلمي ٦/١٦٣.

المفسرين قالوا في معنى قوله تعالى: ﴿إِنَٰثًا﴾ كاللات والعزى ومناة، وكان لكل قبيلة صنم يسمونه أنثى بني فلان، مرجع التسمية بالإناث كون أسماء غالبها مؤنثة، كمناة والعزى واللات ونحوها؛ ولأنهم كانوا يلبسونها أنواع الحلي ويزينونها على هيئات النسوان، قال أبي بن كعب: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا﴾ قال: مع كل صنم جنية.

والقول الثاني: أن المراد أسماء معبودات وآلهة ليس لها من حقيقة معنى الألوهية شيء، ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ [يوسف: ٤٠].

والقول الثالث: أن المراد أن معبوداتهم معبودات ضعيفة أو عاجزة كالإناث لا تدفع عدوا ولا تدرك ثأرًا، كما وصفها في موضع آخر بأنها لا تملك لهم ضرًّا ولا نفعًا، وكانت العرب تصف الضعيف بالأنوثة، وقيل: (إلا إناثًا) ملائكة، لقولهم: الملائكة بنات اللّه، وهي شفعاؤنا عند اللّه.

ورجح الراغب وغيره أن وجه تسمية معبوداتهم إناثًا، هو كونها جمادات منفعلة لا فعل لها كالحيوان الذي هو فاعل منفعل.

وقال بعض المفسرين: إن المراد بالإناث هنا: الموتى؛ لأن العرب تطلق عليهم لفظ الإناث لضعفهم، أو يقال: لعجزهم، وفي «**البخاري**»: إلا إناثًا: يعني الموات حجرًا ومدرًا، وما أشبهه.

قال المعلمي اليماني: «ما الذي كانوا يرجونه من الملائكة؟

قد تقدَّم الكلام على توحيدهم، وعلى تحاشيهم أن يقولوا: للّه ولد ذكر؛ كي لا يلزمهم الإشراك في الملك والتدبير.

وعرفتَ من ذلك أنَّهم لا يثبتون للملائكة شيئًا من التصرُّف،

وهذا بخلاف أكثر الأمم التي عَبَدَت الملائكة، كاليونان والمصريين القدماء، فإنَّهم يثبتون التصرُّف للملائكة، حتى يذكروا في أساطيرهم أنَّ الآلهة تتحارب وتتغالب! وعلى هؤلاء ـ ومن يلزمه مثل قولهم ـ أقام اللّهُ تعالى البرهان بقوله: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾ [الأنبياء: ٢٢]. فأمَّا العرب فكانوا يقولون ما قصّ اللّه تعالى عنهم: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، أي: بالشفاعة ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس: ١٨].

ولهذا كَثُر في القرآن مناقشتهم في الشفاعة، وكانوا مع ذلك مرتابين في هذه الشفاعة، حتى إذا وقعوا في شِدَّة نسوها وفزعوا إلى دعاء اللّه وحده، قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ۝٥٣ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنكُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ ۝٥٤﴾ [النحل]، وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوۡجٞ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ فَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٖ كَفُورٖ ۝٣٢﴾ [لقمان]، وقال عزَّ وجلّ: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ أَعۡرَضۡتُمۡۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ كَفُورًا ۝٦٧﴾ [الإسراء]»[1].

➢ الرد على شبهته السادسة ص٦٧:

وحاصلها: (أنَّ المشركين من العرب وغيرهم كانوا ينسبون الرزق للنجوم.. لأن بعض العرب كان يعبدها معتقدًا فيها الربوبية).

والرد عليه بما تقدم: أن إقرارهم بأن اللّه الخالق أمر محكم، ونسبة الرزق والمطر إلى النجوم لا ينافي إقرارهم بالربوبية للّه بل هذا من الشرك الجزئي الذي وقع فيه بعض العرب، وأيضًا فهم يعتقدون

---

(١) عقيدة العرب في وثنيتهم، ضمن آثار المعلمي ١٧٦/٦.

أنَّ الرزق من اللّه ولكن ببركة معبوداتهم ينالون رضا اللّه فهي تقربهم إليه وتتحقق لهم أرزاقهم بسبب عبادتهم لها مع اللّه أو من دونه.

وبالتالي فهم مشركون في العبادة مع اللّه تعالى.

وأيضًا فمشركو زماننا قد وقعوا في نفس ما وقع فيه المشركون الأولون؛ فهم يعتقدون أنَّ قبر الولي يحمي البلد! وبسببه ينزل المطر! ويحصل الرزق! وقد تقدم سياق أمثلة على هذا الشرك الأكبر، وهو شرك في الألوهية، وشرك في الربوبية أيضًا، وكلاهما مخرج من ملة الإسلام.

➢ الرد على شبهته السابعة ص ٦٨:

وحاصلها: (أن المشركين يعتقدون في آلهتهم أنها تعقل) و(مما يبين وجه شركهم في الربوبية في عبادتها)، ثم نقل أقوالًا للمفسرين وغيرهم، ثم قال: (هذا هو المستقر عند المشركين أنَّ أصنامهم تعقل وتضر وتنفع).

والجواب: أنَّ هذا لا يجعلهم منكرين للربوبية للّه، ولا يجعلهم معتقدين الربوبية في معبوداتهم، وهذا أمر ظاهر.

والمشركون في الجملة وقعوا في شرك عظيم متنوع متعدد، فقد عبدوا أشجارًا وعبدوا أحجارًا وعبدوا تماثيل وعبدوا الشمس والقمر وعبدوا الجن وعبدوا الملائكة وعبدوا غير ذلك، فأتاهم الرسول ﷺ وقاتلهم حتى يكون الدين كله للّه ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ﴾ [الأنفال: ٣٩].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن أسباب عبادة الأصنام: الغلوّ في المخلوق، وإعطاؤه فوقَ منزلته، حتى جُعل فيه حَظّ من الإلهية، وشبّهوه باللّه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، وهذا هو التشبيه الواقعُ في الأمم، الذي أبطله اللّه

سبحانه، وبعثَ رُسله، وأنزل كتبه بإنكاره والرد على أهله.

فهو سبحانه يَنْفي وينهى أن يُجعل غيرُه مِثْلًا له، ونِدًّا له، وشبْهًا له، لا أن يُشَبَّه هو بغيره، إذ ليس في الأمم المعروفة أمة جعلته سبحانه مِثلًا لشيء من مخلوقاته، فجعلت المخلوق أصلًا وشَبَّهتْ به الخالق، فهذا لا يُعرفُ في طائفة من طوائف بني آدم. وإنما الأولُ هو المعروف في طوائف أهل الشرك، غُلوًّا فيمن يُعظِّمونه ويحبُّونه، حتى شبَّهوه بالخالق، وأعطوه خصائص الإلهية، بل صرّحوا أنه إله، وأنكروا جَعْلَ الآلهة إلهًا واحدًا، وقالوا: ﴿وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ﴾ [ص: ٦]، وصرحوا بأنه إلٰه معبود، يُرجَى ويُخافُ ويُعظّم ويُسجدُ له، ويُحلَف باسمه، وتُقرَّب إليه القرابين، إلى غير ذلك من خصائص العبادة التي لا تنبغي إلا للّه تعالى.

فكل مشرك فهو مُشَبِّهٌ إلهه ومعبوده باللّه سبحانه، وإن لم يُشَبّهه به من كل وجه»[(١)].

➢ الرد على شبهته الثامنة ص٧٠:

وحاصلها: أنَّ مشركي العرب ينكرون البعث اعتقادًا منهم أن اللّه عاجز عن ذلك، فهو خلل عظيم في الربوبية فاتجهوا بالعبادة لغيره لعجزه...، ثم ادعى أن وقوعهم في الشرك في الربوبية من جهة أنهم وصفوا اللّه بالعجز عن إحياء الأموات وبعثهم، ووصفوا الدهر بذلك؛ وعليه فلا شرك عند العرب في العبادة إلا وهو مَقْرونٌ بشرك في الربوبية لأجل هذا الاعتقاد.

والجواب: أن اللّه تعالى ذمهم على الأمرين كليهما، فذمهم

(١) عقيدة العرب في وثنيتهم، ضمن آثار المعلمي ١٧٧/٦.

على هذا الشرك الذي هو صرف العبادة والدعاء لغير اللّه، وحكم بكفرهم وشركهم، وذمهم على هذا الإنكار لقدرة اللّه تعالى على إعادة الخلائق بعد موتهم، ففيهم من اجتمع فيه الوصفان، وفي مشركي العرب من لم يجتمع فيه الوصفان.

وقد نقل الكاتب كلام الخطّابي، وهذا ليس بنافع له؛ لأن الخطّابي يبيِّن تنوُّع حال المشركين واختلافهم في عقائدهم، فذكر من طوائف العرب الدهرية، وهم لا يرون للمخلوقات مدبِّرًا ولا مصرِّفًا، ثم ذكر من العرب من يَعرِفُ الخالقَ ويُقِرُّ بربوبيته، ولكن الكاتب أعرض عن هذا وهو حجة ظاهرة في إبطال قوله، وما أسّس عليه كتابه، ودعواه أن المشركين غير مقرين بالربوبية.

واستبعاد بعض مشركي العرب للبعث خلل في توحيد الربوبية، وليس البحث أن إقرارهم بتوحيد الربوبية كامل من كل وجه.

وهذا التقرير حجة عليه أيضًا؛ لأنه إذا كان المشركون يعتقدون في اللّه تعالى العجز عن البعث؛ فآلهتهم بلا شك أعجز، وهم معترفون بهذا، فأين وجه الدلالة في شرط اعتقاد الربوبية في شرك العبادة.

◄ الرد على شبهته التاسعة ص ٧٧:

وهو زعمه أن المشركين جهال فكيف يوصفون بتحقيق توحيد الربوبية؟!

والجواب: أن أهل العلم لم يقولوا إن المشركين قد حققوا الربوبية، وإنما يقرر أهل العلم ما بينه اللّه تعالى من إقرار المشركين بأن اللّه هو الخالق وأن معبوداتهم لا تخلق ولا ترزق..

وأما جهل المشركين فهو أمر معلوم لكل عاقل، وقد وصفهم اللّه

بذلك في مواضع من كتابه ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ [الأنعام: ١١١] ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ﴾ [الرعد: ١٩].

ولو علموا الحق وعلموا ما جاء في الشريعة بالتفصيل فإنه لا ينفعهم إذا لم يخلصوا العبادة للّه ويتبعوا رسوله ويدينوا بدين الإسلام.

➢ الرد على شبهته العاشرة ص ٧٩:

وحاصلها: أنه: (جاءت آيات عديدة تثبت كذب المشركين في دعواهم الإقرار بالربوبية للّه تعالى وأنهم كانوا في إقرارهم هذا يدعون ما لا يؤمنون به، وأنه كان مجرد إقرار الشاك غير المتيقن، بل إنهم ربما كذبوا في ذلك الإقرار، ونفوا حقيقة ما هم عليه من الشرك في الربوبية... فمن يثق بخبر المشركين عن أنفسهم في دعواهم الإقرار بالربوبية قد وثق بكذاب جهول أو شكاك مرتاب لا يثبت على يقين، والمصيبة: أنه قد اعتمد على هذا الإقرار الكاذب الجاهل في تكفير أهل الشهادتين وبني عليه تصور باطل لمعنى الألوهية والعبادة).

يدّعي الكاتب أن اللّه تبارك وتعالى نقل لنا أقوالًا مكذوبة لا يعتقدها أصحابها، ولم يبين اللّه كذبها!!

والرد عليه:

١ ـ أنه لا حاجة للمشركين أن يكذبوا فهم في ذلك الوقت في مكة، وكانوا في حال قوة لهم، والمسلمون مستضعفون.

٢ ـ أن المشركين ليس حالهم كحال المنافقين؛ فإن النفاق والمنافقين إنما وقع في المدينة بعد الهجرة من مكة، فلذلك وُصِف المنافقون بأنهم كاذبون في دعواهم الإيمان، واللّه كذبهم فقال:

(١) إغاثة اللهفان ٢/٩٧٨.

﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾، ولكن المشركين كانوا في تمكن وقوة؛ فليس واردا أن يحكي اللّه تعالى أقوالهم ـ وهي حق في نفس الأمر ـ ثم لا يكذبهم في دعواهم؛ بل يقرهم ويقيم عليهم الحجة بها!!.

٣ ـ أن هذا الإيراد يلزم منه إبطال لخبر القرآن فيما يحكيه عن أئمة الكفر والشرك!

فقول فرعون: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات]، وقول المشركين ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الأنفال]، ﴿وما نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنعام]، (﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٤٨] ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ﴾ [آل عمران: ٧٢] ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ [النحل: ١٠٣]، وغيرها كثير جدًّا، أَفَيصِحُّ أن يقول مسلم: (كل ذلك قولٌ صَدَر من كذَّاب جهول وشكاك مرتاب فلا يصح أن ننسبها إليهم)!!. وهذا القول يكفي حكايته لمعرفة بطلانه.

٤ ـ أن المؤمن يُصَدِّقُ خبرَ اللّه جل وعلا، ولا يُصدّق المشركين؛ فاللّه سبحانه هو الذي يعلم ما سيقولونه وما يعتقدونه، ولهذا أخبر أنهم سيقولون ذلك الإقرار، وأقسم كما في قوله: ﴿لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [العنكبوت: ٦١].

٥ ـ أن قوله: ﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ [العنكبوت] و﴿أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [غافر] ونحوها تبين أنهم يعتقدون أن اللّه الخالق؛ فكيف يُصرفون عن عبادته، ولو كان الواقع أنهم لا يؤمنون به ولا يقرون بربوبيته وأن قولهم هذا مجرد كذب منهم لما استقام قوله: ﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾.

٦ ـ وقول الكاتب: (بل إنهم ربما كذبوا في ذلك الإقرار، ونفوا حقيقة ما هم عليه من الشرك في الربوبية)، نطالبه بالدليل على

نفيهم حقيقة الشرك في الربوبية! هل قال المشركون: إن آلهتهم تخلق وترزق؟ ولن يجد إلى ذلك سبيلًا!! فعُلِمَ أنه ليس عنده أثارة من علم.

٧ ـ تسميتهم مشركين تنقض هذه الدعوى، لأنهم لو كانوا يجحدون الخالق ولا يعترفون به ـ كما يزعم الكاتب هنا ـ لوُصِفوا بغير الشرك؛ فإنّ الشركَ باللّه هو عبادة غير اللّه مع اللّه، ولهذا وصفهم بقوله: ﴿بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١﴾ [الأنعام]، ﴿نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٩٨﴾ [الشعراء]، ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّآ أَشْهَدُ﴾ [الأنعام: ١٩].

٨ ـ أن هذه الشبهة بعينها قالها أهل الأهواء في هذه الأزمنة المتأخرة، كالدجوي وأشباهه. فالكاتب مُروّج لشبهاتهم.

٩ ـ الكاتب متناقض، فهو مرة يقول عن المشركين: لديهم إقرار بقدر من الربوبية، وتارة يقول: إنهم يعتقدون أن آلهتهم خلقت، وتارة يقول: إنهم لا يقرون بأن اللّه الخالق، فتأمل تناقض أقواله.

١٠ ـ لو صح أن يقال في إخبار اللّه عن إقرار المشركين: إنه كذب منهم وعدم اعتراف بالحقيقة!!، لَكنِ العكسُ هو الأولى بالحكم عليه بالكذب، وهو ما لو ادعوا في آلهتهم أنها خالقة رازقة ولها نصيب من الربوبية، فإنّ هذا أظهر في الكذب، وهو مكابرة مكشوفة لا يحتاج ردها إلى مؤنة كبيرة، وهذا الذي ادعاه النمرود، فقد ادعى الربوبية وأنه قادر على الإحياء والإماتة، فناظره الخليل إبراهيم عليه السلام وأبهته بأسهل رد وأيسر حجة: ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝٢٥٨﴾ [البقرة]، ولم يحتجَّ عليه كما احتج اللّه بالآيات الكثيرة على المشركين،

والتي فيها إقرارهم بالربوبية للّه، لأن ادعاء الربوبية في المعبودات دون اللّه ظاهر البطلان لكل ذي عقل.

١١ ـ هذا الاستدلال حجة عليه لا له، إذ لو صحّ فيقال حينئذ: هذا دليل على كذب عبّاد القبور في زماننا في دعواهم أن اللّه منفرد بالربوبية، وهم مع ذلك يتقربون لمعبوداتهم بكل أنواع القربات التي كان المشركون الأولون يفعلونها مع آلهتهم، من السجود والذبح والنذر والدعاء والطواف وغير ذلك، فإن جاز أن يقال: إن إقرار المشركين بأن اللّه منفرد بالربوبية كذب منهم وإخفاء لحقيقة معتقدهم، فكذلك عبّاد القبور في زماننا هم كاذبون في اعتقادهم تفرد اللّه بالربوبية؛ إذ كيف يسجدون ويستغيثون بمن يعتقدون أنه لا يملك مثقال ذرة. بحسب تقرير الكاتب؟! ناهيك عن الحقائق الدامغة المبثوثة في كتبهم والمصرحة بشركهم في الربوبية، وقد تقدم الإشارة إلى بعضها.

١٢ ـ أهل الشهادتين يجب أن يحققوهما بالتوحيد للّه رب العالمين والاتباع للرسول ﷺ، وليس بمجرد التلفظ بهما، كما يظنه عبّاد القبور، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ومن اعتقد أنه بمجرد تلفظه بالشهادة يدخل الجنة ولا يدخل النار فهو ضال مخالف للكتاب والسنة والإجماع»[(١)].

➢ الرد على شبهته الحادية عشرة ص ٨١:

وملخصها: أن اللّه أبطل آلهة المشركين بقوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢] ﴿إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَـٰهِۭ بِمَا خَلَقَ﴾ [المؤمنون: ٩١]، ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ

(١) مختصر الفتاوى المصرية ١/١٩٣.

سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ [الإسراء]، وأن مقتضى هذا أنهم كانوا يعتقدون في معبوداتهم أنها آلهة تتصرف في الكون وهذا الذي يلزم منه فساد الخلق والتدبير المشار إليه بقوله تعالى: ﴿لَفَسَدَتَاۚ﴾.

والعجب أن الكاتب ذكر أن هذا ترجيح الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تفسيره أضواء البيان، وهو يعلم أن الشيخ محمد الأمين الشنقيطي معاصر، وهو من المخالفين للكاتب في تقريراته في باب توحيد العبادة، ولكن الهوى يجعل صاحبه يأخذ ما وافق هواه ويترك ما خالفه.

والرد عليه: بأن المشركين منهم من وقع في شرك في الربوبية، ومنهم من أقر بالربوبية للّه ولم يجعل معه شريكًا فيها، فالآية رد على النوعين؛ أما المشرك في الربوبية فظاهر وهو أن الكون لا يصلح له خالقان، وأما المشرك في الألوهية؛ فإنه إذا علم انفراده بالخلق وجب إفراده بالعبادة، وهذا هو الذي يفهم من سياق الآية، فإنه قبل ذلك حكى اللّه إقرارهم باللّه.

قال ابن أبي العز الحنفي في شرح العقيدة الطحاوية: «وكثير من أهل النظر يزعمون أن دليل التمانع هو معنى قوله تعالى: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾ [الأنبياء: ٢٢]. لاعتقادهم أن توحيد الربوبية الذي قرروه هو توحيد الإلهية الذي بينه القرآن، ودعت إليه الرسل عليهم السلام، وليس الأمر كذلك، بل التوحيد الذي دعت إليه الرسل، ونزلت به الكتب، هو توحيد الإلهية المتضمن توحيد الربوبية، وهو عبادة اللّه وحده لا شريك له، فإن المشركين من العرب كانوا يقرون بتوحيد الربوبية، وأن خالق السماوات والأرض واحد، كما أخبر تعالى عنهم بقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ﴾ [لقمان: ٢٥]. ﴿قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٤﴾

﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [المؤمنون]. ومثل هذا كثير في القرآن.

ولم يكونوا يعتقدون في الأصنام أنها مشاركة للّه في خلق العالم، بل كان حالهم فيها كحال أمثالهم من مشركي الأمم من الهند والترك والبربر وغيرهم، تارة يعتقدون أن هذه تماثيل قوم صالحين من الأنبياء والصالحين، ويتخذونهم شفعاء، ويتوسلون بهم إلى اللّه، وهذا كان أصل شرك العرب... ومن أسباب الشرك عبادة الكواكب، واتخاذ الأصنام بحسب ما يظن أنه مناسب للكواكب من طباعها. وشرك قوم إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ كان ـ فيما يقال ـ من هذا الباب. وكذلك الشرك بالملائكة والجن، واتخاذ الأصنام لهم.

وهؤلاء كانوا مقرين بالصانع، وأنه ليس للعالم صانعان، ولكن اتخذوا هؤلاء شفعاء، كما أخبر عنهم تعالى بقوله: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [الزمر: ٣]. وقال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يونس].

وكذلك كان حال الأمم السالفة المشركين الذين كذبوا الرسل. كما حكى اللّه تعالى في قصة صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ عن التسعة رهط الذين تقاسموا باللّه، أي: تحالفوا باللّه، لنبيتنه وأهله. فهؤلاء المفسدون المشركون تحالفوا باللّه عند قتل نبيهم وأهله، وهذا يبين أنهم كانوا مؤمنين باللّه إيمان المشركين»[1].

فعلم أن التوحيد المطلوب هو توحيد الإلهية، الذي يتضمن توحيد الربوبية. قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي

(١) شرح الطحاوية لابن أبي العز ٢٨/١ ـ ٣٢.

فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم] إلى قوله: ﴿إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ فلو أقرّ رجلٌ بتوحيد الربوبية، الذي يُقِرُّ به هؤلاء النظار، ويفنى فيه كثير من أهل التصوف، ويجعلونه غاية السالكين، كما ذكره صاحب منازل السائرين وغيره، وهو مع ذلك إن لم يعبد اللّه وحده ويتبرأ من عبادة ما سواه ـ كان مشركًا من جنس أمثاله من المشركين.

والقرآن مملوء من تقرير هذا التوحيد وبيانه وضرب الأمثال له.

ومن ذلك أنه يقرر توحيد الربوبية، ويبين أنه لا خالق إلا اللّه، وأن ذلك مستلزم أن لا يعبد إلا اللّه، فيجعل الأول دليلًا على الثاني، إذ كانوا يُسَلِّمون الأول، وينازعون في الثاني، فيبين لهم سبحانه أنكم إذا كنتم تعلمون أنه لا خالق إلا اللّه، وأنه هو الذي يأتي العباد بما ينفعهم، ويدفع عنهم ما يضرهم، لا شريك له في ذلك، فلم تعبدون غيره، وتجعلون معه آلهة أخرى؟ كقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [النمل].

وقال أيضًا: «يقول اللّه تعالى في آخر كل آية: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ﴾ [النمل: ٦٠] أي أإلهٌ مع اللّه فعل هذا؟ وهذا استفهام إنكار، يتضمن نفي ذلك، وهم كانوا مقرين بأنه لم يفعل ذلك غير اللّه، فاحتج عليهم بذلك، وليس المعنى استفهام: هل مع اللّه إله؟ كما ظنه بعضهم، لأن هذا المعنى لا يناسب سياق الكلام، والقوم كانوا يجعلون مع اللّه آلهة أخرى كما قال تعالى: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰۚ قُل لَّآ أَشْهَدُۚ﴾ [الأنعام: ١٩]، وكانوا يقولون: ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ

﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ [ص]. لكنهم ما كانوا يقولون: إن معه إلهًا جعل الأرض قرارًا وجعل خلالها أنهارًا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزًا. بل هم مُقِرُّون بأن اللّه وحده فعل هذا، وهكذا سائر الآيات...»[1].

ثم ذكر أن الشرك في الربوبية معلوم الامتناع عند الناس كلهم، باعتبار إثبات خالقين متماثلين في الصفات والأفعال، وعدد أمثلة لمن وقع في الشرك الجزئي في الربوبية من بعض مشركي العالم فقال: «وإنما ذهب بعض المشركين إلى أن ثم خالقًا خلق بعض العالم، كما يقوله الثنوية في الظلمة، وكما يقوله القدرية في أفعال الحيوان، وكما يقوله الفلاسفة الدهرية في حركة الأفلاك أو حركات النفوس، أو الأجسام الطبيعية، فإن هؤلاء يثبتون أمورًا محدثة بدون إحداث اللّه إياها، فهم مشركون في بعض الربوبية، وكثير من مشركي العرب وغيرهم قد يظن في آلهته شيئًا من نفع أو ضر، بدون أن يخلق اللّه ذلك.

فلما كان هذا الشرك في الربوبية موجودًا في الناس، بين القرآن بطلانه، كما في قوله تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ﴾ [المؤمنون: ٩١]... فكما يستحيل أن يكون للعالم ربان خالقان متكافئان، كذلك يستحيل أن يكون لهم إلهان معبودان.

فالعلم بأن وجود العالم عن صانعين متماثلين ممتنع لذاته، مستقر في الفطر معلوم بصريح العقل بطلانه، فكذا تبطل إلهية اثنين. فالآية الكريمة موافقة لما ثبت واستقر في الفطر من توحيد الربوبية، دالة مثبتة مستلزمة لتوحيد الإلهية.

(١) شرح الطحاوية لابن أبي العز ١/٣٧.

وقريب من معنى هذه الآية قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]. وقد ظن طوائف أن هذا دليل التمانع الذي تقدم ذكره، وهو أنه لو كان للعالم صانعان... الخ، وغفلوا عن مضمون الآية، فإنه سبحانه أخبر أنه لو كان فيهما آلهة غيره، ولم يقل: أرباب.

وأيضًا فإن هذا إنما هو بعد وجودهما، وأنه لو كان فيهما وهما موجودتان آلهة سواه لفسدتا.

وأيضًا فإنه قال: لفسدتا، وهذا فساد بعد الوجود، ولم يقل: لم يوجدا.

ودلت الآية على أنه لا يجوز أن يكون فيهما آلهة متعددة، بل لا يكون الإله إلا الواحد، وعلى أنه لا يجوز أن يكون هذا الإله الواحد إلا اللّه ﷻ، وأن فساد السماوات والأرض يلزم من كون الآلهة فيهما متعددة، ومن كون الإله الواحد غير اللّه وأنه لا صلاح لهما إلا بأن يكون الإله فيهما هو اللّه وحده لا غيره. فلو كان للعالم إلهان معبودان لفسد نظامه كله، فإن قيامه إنما هو بالعدل، وبه قامت السماوات والأرض، وأظلم الظلم على الإطلاق الشرك، وأعدل العدل التوحيد.

وتوحيد الإلهية متضمن لتوحيد الربوبية دون العكس. فمن لا يقدر على أن يخلق يكون عاجزًا، والعاجز لا يصلح أن يكون إلها. قال تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾﴾ [الأعراف]. وقال تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النحل: ١٧]..»[1].

(١) شرح الطحاوية لابن أبي العز ٣٨/١ ـ ٤١.

وبين المعنى المراد في قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الإسراء].

وقال: «وفيها للمتأخرين قولان: أحدهما: لاتخذوا سبيلًا إلى مغالبته.

والثاني، وهو الصحيح المنقول عن السلف، كقتادة وغيره، وهو الذي ذكره ابن جرير لم يذكر غيره: لاتخذوا سبيلًا بالتقرب إليه، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾﴾ [الإنسان]. وذلك أنه قال: ﴿لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ﴾ [الإسراء: ٤٢] وهم لم يقولوا: أن العالم له صانعان، بل جعلوا معه آلهة اتخذوهم شفعاء، وقالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، بخلاف الآية الأولى»[(١)].

➢ الرد على شبهته الثانية عشرة ص ٨٢:

وحاصلها: أن الكفار يبغضون توحيد اللّه، ويشمئزون من ذكره، فكيف يوصفون بأنهم موحدون في الربوبية، وذكر قول أبي سفيان يوم أحد (اعْلُ هُبَل) فهذا عنده دليل على أنهم يعتقدون في معبوداتهم الربوبية.

والرد عليه:

أن هذا غير صحيح، فالمشركون يبغضون توحيد اللّه؛ أي: إفراده بالعبادة ويشمئزون من ذلك، وإلا فهم يعلمون أن اللّه خالقهم، ويقول قائلهم: «**اللّهم لا تُرع**»[(٢)]، ويقول قائلهم: «**لبيك اللّهم**

(١) المصدر السابق ٤١/١ ـ ٤٢.

(٢) سيرة ابن هشام ١٨٠/١، قال الشيخ بكر أبو زيد رَحِمَهُ اللَّهُ في «معجم المناهي اللفظية»=

لبيك»[(١)]، ويقول قائلهم: «**وللبيت رب يحميه**»[(٢)].

فهم لا يتضايقون من الإقرار بالربوبية ولا يشمئزون من ذلك، وأما قول أبي سفيان فالمراد دينهم وعبادتهم فهو يقول: «**اعلُ هُبَل**» أي قد ظهر دينك وعلا على من ينهى عن عبادتك، وهُبَل هو صنمهم الأكبر، قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: «قال ابن إسحاق معنى قوله: (اعْلُ هُبَل)؛ أي: ظهر دينك، وقال السهيلي: معناه زاد علوًّا»[(٣)].

فعداوة المشركين للنبي ﷺ إنما كانت لأجل دعوته إلى التوحيد الخالص من جميع شوائب الشرك، فهو ـ أي: أبو سفيان حين كان مشركًا ـ لا يجحد وجود اللّه وأنه الخالق، ولا يعتقد أن صنمه هُبَل أعلى من الخالق.

وهذه الشبهة التي أوردها الكاتب قالها قبله محمد علوي مالكي في كتاب (مفاهيم يجب أن تصحح ص٩٦) وغيره من أهل الأهواء.

* * *

= (ص١٣٦): «قال الخطابي في بيان أغاليط من جمح به اللسان: (وكقول القائل من قريش حين هدموا الكعبة في الجاهلية، وأرادوا بناءها على أساس إبراهيم صلوات اللّه عليه فجاءت حية عظيمة، فحملت عليهم، فارتعدوا، فعند ذلك قال شيخ منهم كبير: اللّهم لا تُرِعْ! ما أردنا إلا تشييد بيتك وتشريفه)».

(١) أخرجه مسلم (١١٨٥).

(٢) سيرة ابن هشام ٤٤/١.

(٣) فتح الباري ٣٥٢/٧.



نقض شبهات:

«المبحث الرابع:
أثر تعريف (الإله)
في بيان تلازم الربوبية بالعبادة»



➢ الرد على الكاتب في تحريفه معنى كلمة (الإله) في اللغة والشرع من ص ٨٥ إلى ص ٩٦:

• ملاحظات وتنبيهات:

١ ـ يقرر الكاتب أن الشرك إنما هو في الربوبية، ويجعل من عبد غير اللّه إن لم يعتقد كونه ربًّا فليس بعابد له؛ لأنه لا يكون إلها إلا (من عبده عابده وهو يعتقد أنه يستحق العبادة) ـ على حدِّ قوله ـ وأما من عبده عابده وهو ليس بمستحق للعبادة فلا يكون إلهًا.

٢ ـ لا ينبغي لقارئ هذا الكلام أن يتعجب أو يحتار مما في كلام الكاتب من الغموض؛ والإتيان بالمشتبه والمجمل وزخرفته حتى يظن الجاهل أنه علم وهو ليس بشيء.

ولهذا فالوصية النبوية بالإعراض عن من يتبع المتشابه، وعدم الإصغاء لشبهاتهم، هو المنهج الأسلم لكل من أراد صيانة دينه.

٣ ـ كلام الكاتب مشتمل على أنواع من الخطأ والتناقض الذي لم يفهمه هو، ثم يزعم في آخر كلامه هذا الدعاية العريضة؛ فيقول: **[وتاللّه ما كنت أحسب الأمر محتاجًا لكل هذا الكشف، لولا عمايات الجهل التي رأيناها وسمعناها وقرأنها [كذا] لهؤلاء المكفِّرين].**

٤ ـ تابع الكاتبُ مَنْ غلط من أهل الكلام المذموم، وأعرض عن مدلول ألفاظ القرآن في اللغة العربية.

قرر الكاتب في معنى (لا إلٰه إلا اللّه) ما يقوله بعض أهل الأهواء وانتصر لهم، ثم زعم أن أهل العلم من أهل السنة والجماعة

من الأولين والآخرين ـ بتقريراتهم لمعنى لا إلٰه إلا اللّه ـ هم من المكفِّرين للأمة الإسلامية وتنقَّصَهم ورماهم بعدم الفهم!

وخلط الكاتب في هذا المبحث خلطًا عجيبًا، جمع بين تقرير كلام علماء الكلام المبتدعة، والتناقض، وعدم الفهم، وتنقّصِ أهلِ العلم.

وخلاصة كلامه (...أن معنى الإله في لغة العرب هو المستحق للعبادة...)

وقبل البدء في الرد عليه ليعلم القارئ أن من أهم أسباب غلط الكاتب أنه تأثر بأهل الكلام الذين يلتزمون أن معنى التوحيد هو أنه واحد في ذاته وواحد في صفاته وواحد في أفعاله ولم يدخلوا إفراده بالعبادة في معنى التوحيد.

ولذلك صار عندهم معنى التوحيد هو الإقرار بأنه الخالق الرازق المدبر، دون أن يدخلوا في ذلك توحيد اللّه تعالى بأفعال العباد؛ وهذا الإقرار بالربوبية حكاه اللّه عن المشركين ولم ينفعهم بل جعله حجة عليهم، فصار المبتدعة من أهل الكلام يظنون أن الغاية من التوحيد هو هذا المقام وهذا الإقرار.

وهذا هو تعريف علماء الكلام لمعنى الإله أنه (الآلِه)؛ أي: بمعنى اسم فاعل؛ أي: خالقٌ، ومتصفٌ بأنه الغني عما سواه المفتقر إليه من عداه، أو يقولون: القادر على الاختراع، فالعابد عندهم لا يكون عابدًا إلا إذا اقترن باعتقاد أن هذا المعبود قادر على الخلق والاختراع! وهذا مخالف للغة العرب؛ فالعرب في لغتها أجمعت على أن معنى الإله: المعبود سواء عُبد بحق وهو اللّه تعالى، أم عُبِد بباطل، وهو سائر المعبودات من دون اللّه، فهو على وزن: فِعَال

بمعنى مفعول؛ أي: (مألوه) بمعنى: (معبود)؛ كإمام: بمعنى: مؤتم به: من أَلِهَ يَأْلَهُ إلهة وتألهًا: أي: عَبَدَ يعبد عبادة وتعبّدًا.

ومنه قول رؤبة بن العجاج (١٤٥هـ):

لـلّـه درُّ الـغـانـيـات الـمُـدّهِ   سبّحنَ واسترجعن من تألُّهي

أي: من تعبدي. و(المُدّهِ) جمع (مَادِهْ) على وزن كلمة (رُكّع) جمع (راكع)، من (المَدْه) وهو المدح، ومنه قراءة ابن عباس ﵄: ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ [الأعراف: ١٢٧] أي: عبادتك.

فالإله (كل معبود سواء كان حقًّا أم باطلًا)، بخلاف لفظ (اللّه)؛ فإنه لا يطلق إلا على (الإله الحق)، وهو اللّه ﷻ.

فلا يدخل في دين الإسلام إلا بكلمة: (لا إله إلا اللّه)

وأما غيرها من الكلمات مثل: (لا رب إلا اللّه) أو (لا خالق إلا اللّه) أو (لا رازق إلا اللّه)، فلا يدخل بها المرء في الإسلام لأن جميع الكفار يعترفون بهذه الكلمات.

ثم إن أهل الكلام لما ضلوا في هذا المقام وضلوا في تفسير الإله، خالفوا المنهج الحق ولغة العرب وقالوا: إن معنى (الإله) في اللغة هو: المعبود بحق؛ أي: أنّ عابدَهُ يعتقد فيه أنه خالق رازق مدبر قادر على اختراع، فإذا اعتقد فيه هذا الاعتقاد فقد عبده، وإن لم يعتقد فيه هذا الاعتقاد فليس بعابد له، حتى لو سجد له وركع له وتمسح به وعكف عنده وصرف له جميع أنواع العبادة.

وهذا الاعتقاد الفاسد خطأ كبير من عدة اعتبارات، وهو مبني على عقيدة المرجئة، وجرّهم إلى كبرى الضلالات، وفتح عليهم الباب لأعظم الكفر، وهو القول بأن كل عبادة تقع في الدنيا إن لم يعتقد فاعلها فيمن عبده أنه رب خالق رازق فليس حينئذ بمشرك في

العبادة، فصححوا عبادات المشركين، وصرح ملاحدتهم كابن عربي وابن سبعين والقونوي والتلمساني وأشباههم بهذا؛ فقالوا الكلمات الكفرية مثل قول بعضهم: إنّ عبّاد المسيح ما عبدوا إلا اللّه[١]!!

وللعز ابن عبد السلام ـ وهو أشعري ـ ردٌّ مشهور على هؤلاء الغلاة بعنوان (رسالة في القطب والغوث والأبدال) وهي رسالة في إبطال قول الناس أن قطب الأقطاب والأبدال لهم تصرف، بين فيها بطلان قول الناس فيهم، ورد على من يقول بوجودهم، وأقام النكير على قولهم: بهم يحفظ اللّه الأرض[٢].

قال العلامة القاري (ت: ١٠١٤هـ) مبينًا بعض كفريات ابن عربي الاتحادية الإلحادية: «وأما ما ذكره المولوي الجامي في سلسلة الذهب نقلًا عن بعض كبراء العارفين: أن معنى لا إلٰه إلا اللّه: ليس شيء مما يدعى إلهًا غير اللّه!! فهو غير صحيح، بل كفر صريح محصله: كل ما يدعى إلها فهو إله، أي كل شيء إله. وهذا كقول ابن عربي: من عبد الصنم فقد عبد الصمد. نعوذ باللّه من هذا الباطل، وإنما هو من مشرب الفرقة الوجودية»[٣].

ويقول هؤلاء الحلولية الاتحادية: إن عباد الأصنام ما عبدوا إلا اللّه سبحانه، لأن اللّه تعالى قضى أن لا تعبدوا إلا إياه، فما وقع إلا ما قضى، فلم يعبد إلا اللّه، ويقولون: إن قوم نوح كانوا مصيبين

---

(١) انظر: كتاب: ابن عربي عقيدته وموقف علماء المسلمين منه من القرن السادس إلى القرن الثالث عشر تأليف الدكتور دغش العجمي، وكتاب: جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية تأليف الشيخ الدكتور شمس الدين الأفغاني رَحِمَهُ اللَّهُ ٣/١٣٣٥ ـ ١٤٣٤.

(٢) انظر: مقدمة تحقيق: جامع المسائل» ٢/٣٦.

(٣) التجريد في إعراب كلمة التوحيد ص: ٣٢.

محققين في قولهم: ﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا﴾ [نوح: ٢٣]؛ لأنهم لو تركوا عبادتهم لتركوا عبادة اللّه؛ لأن للّه في كل معبود وجهًا.

ويقولون: إن العارف يعرف من يعبده، في أي صورة ظهر، أما الجاهل: فيقول: هذا حجر، وهذا شجر، وأما العارف فيقول: هذا محل إلهي يجب تعظيمه، فلا يقصر معبوده في شيء.

ويقولون: إن النصارى كفروا لأنهم قد خصصوا معبودهم في شيء، ولم يُعَمِّموا فأخطأوا، وأما العارف فهو يعبد كل شيء، واللّه تعالى أيضًا يعبد كل شيء؛ لأنه ما ثَمَّ إلا هو، وما ثَمَّ غيرُه، واسمه العلي، ولكن عمَّاذا؟ وما ثَمَّ إلا هو! وعلى ماذا؟ وما ثَمَّ غيره! فالمسمى محدثات، وهي علية لذاتها، وليست إلا هو!!

ومن ذلك قول الحلاج (٣٠٩هـ): «سبحاني ما أعظم شأني».

ومن ذلك قولهم: «لا موجود إلا اللّه ولا مقصود إلا اللّه ولا محبوب إلا اللّه».

ونقل محمود الآلوسي (١٢٧٠هـ)، وحفيده شكري الآلوسي (١٣٤٢هـ) عن الصوفية قولهم:

«إن الاستغاثة بالأولياء محظورة إلا من عارف يميز بين الحدوث والقدم، فيستغيث بالولي لا من حيث نفسه؛ بل من حيث ظهور الحق فيه، فإن ذلك غير محظور؛ لأنه استغاث بالحق حينئذ»[(١)].

انظر إلى هذا الكفر والضلال المبين، وكل هذا من آثار تلك البدع المشؤومة على أهلها.

(١) روح المعاني ١٤/١٦٠، غاية الأماني ٢/٣١٢.

وليرجع القارئ إلى رسالة لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ بعنوان «**فتوى في الغوث والقطب والأبدال والأوتاد**»[(١)].

وقد رفع السؤال إلى سعدي أفندي جلبي (٩٤٥هـ) ـ الذي تولَّى منصب شيخ الإسلام في الدولة العثمانية ـ عن أقوال ابن عربي الاتحادية وفيه:

«أفتونا مأجورين بالوضوح والبيان كما أخذ اللّه الميثاق للبيان لأن الملحدين بسبب هذا الكتاب [فصوص الكفر لابن عربي الملحد] يجعلون الكفر إيمانًا والجهل عرفانًا والشرك توحيدًا والعصيان طاعة، لا يستحق العاصي عنده وعيدًا ولا فرق عنده بين عبادة الصنم و[بين عبادة] الصمد، وأن من سجد للصنم هو عنده أعظم ممن كفر به.

فأفتى شيخ الإسلام المذكور قائلًا: الجواب يرحمك اللّه تعالى: اللّه يقول الحق، وهو يهدي السبيل، ما تضمنته هذه الصحيفة من الكلمات الشنيعة السخيفة يأباه المعقول وترده النقول بعضه سفسطة، وبعضه كفر وزندقة، ومروق من الدين وخرق لإجماع المسلمين، بل المِلِّيِّين، وإنكار لما هو من ضروريات الإسلام، وإلحاد في كلام المهيمن العلام، فمن صدقه، بل تردد، أو شك فيه؛ فهو كافر باللّه العظيم، وإن أصر عليه ولم يتب يُقتل»[(٢)].

فهذا الضلال والانحراف من لازم تفسير لا إلٰه إلا اللّه بهذا التفسير الباطل، وهذا هو معنى التوحيد عند أهل البدع؛ فالصوفية الاتحادية والحلولية لا يُسَمّون الشخص موحدًا إلا إذا أنكر توحيد الأنبياء والمرسلين، واعتقد أن الله تعالى هو كل شيء، وهو الاتحاد أو أنه تعالى في كل شيء، وهو الحلول.

(١) ضمن جامع المسائل (٧/٢) ليقف على ما نقله.
(٢) جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية ١٣٤٠/٣.

فالجهمية: يسمون معطل الصفات والأسماء موحدًا، والمعتزلة: يسمون معطل الصفات ومنكر القدر موحدًا، والأشعرية: يسمون معطل بعض الصفات ومنكر تأثير الأسباب موحدًا، والقبورية: يسمون المستغيث بالأموات موحدًا، والخوارج يسمون من خرج على ولاة الأمور وكفَّرهم موحدًا، والباطنية يُسَمّون من قال بإلحادهم من الاعتقاد في الأئمة موحدًا وهكذا.

وأما من لم يبلغ هذا الكفر الإلحادي الاتحادي فوقع بعضهم ـ خصوصًا المتأخرون منهم ـ في ضلالة كفرية عظيمة، وهي القول بأن كلَّ عبادة يفعلها من يُظهر الإسلام إذا تقرب بها للأموات والغائبين فلا يضره ذلك؛ لأنه لم يتخذهم آلهة، ولا يمكن أن يتخذهم آلهة إلا إذا اعتقد انهم يخلقون ويرزقون.

فانظر كيف آل الأمر بهؤلاء إلى هذه الانحرافات الكبرى.

والكاتب تأثر بطريقتهم؛ فزعم أن معنى «**الإله**» في لغة العرب هو المستحق للعبادة، فلم يقل: إن «**اللّه**» هو المستحق للعبادة، وإنما قال: «**الإله**» في اللغة هو المستحق للعبادة، وهذا غلط واضح، ومع ذلك حاول أن يلتقط من كلام أهل اللغة ما يساعده على هذا التفسير الباطل.

➢ تنبيه:

ليس مراد الكاتب بقوله في ص٨٦: «**الإله هو المعبود بحق**»، هو ما يقرره أهل العلم أثناء تفسيرهم لكلمة التوحيد «**لا إلٰه إلا اللّه**»، فإنهم يقولون: إنَّ معناها: (لا معبود بحق إلا اللّه).

فالكاتب يجعل معنى الإله باعتبارها كلمة مستقلة «**المعبود بحق**»، وهذا غير صحيح.

فتنبه للفرق بين المقامين؛ فالمقام الأول: تفسير كلمة «**الإله**» مطلقًا الذي معناه المعبود في اللغة. سواء بحق أو بباطل.

والمقام الثاني: تفسير كلمة (لا إلٰه إلا اللّه) بهذا السياق الذي أُمِرَ به المسلم؛ فهذه الكلمة لا بد من معرفة معناها بالتفصيل: فالإله المنفي أي: المعبود، والخبر هو: حق أو بحق؛ فيكون معنى كلمة التوحيد: لا معبود حق إلا اللّه أو لا معبود بحق إلا اللّه.

فالمقام الأول: هو محل البحث، فتجد أن الكاتب يغلط فيه كمن سبقه **ليقرر أن معنى الإله في اللغة هو: المعبود بحق، وهذا الغلط الأول** فإن علماء اللغة لا يقولون بهذا، ولا يقول به سائر علماء المسلمين حين يُعَرِّفون الكلمة من حيث اللغة.

قال الجوهري:

«**أَلَهَ بالفتح إلاهَةً، أي عبد عبادة. ومنه قرأ ابن عباس** ﵄: ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ بكسر الهمزة. قال: وعبادتك. وكان يقول: إنَّ فرعون كان يعبد [في الارض]»[1].

وقال الزمخشري: «والإله ـ من أسماء الأجناس كالرجل والفرس ـ اسم يقع على كل معبود بحق أو باطل، ثم غلب على المعبود بحق، كما أن النجم اسم لكل كوكب ثم غلب على الثريا، وكذلك السَّنة على عام القحط، والبيت على الكعبة، والكتاب على كتاب سيبويه. وأما (اللّه) بحذف الهمزة فمختص بالمعبود بالحق، لم يطلق على غيره[2]. ومن هذا الاسم اشتق: تأله، وأله، واستأله. كما

---

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ٦/٢٢٢٣.

(٢) تأمل: أي أن غير ذلك أطلق على غيره كـ«**الإله**».

قيل: استنوق، واستحجر، في الاشتقاق من الناقة والحجر»[(١)].

وقال ابن فارس: «(أله) الهمزة واللام والهاء أصل واحد، وهو التعبد، فالإله اللّه تعالى، وسمي بذلك لأنه معبود. ويقال: تأله الرجل: إذا تعبد. قال رؤبة:

لـلّـه در الـغـانـيـات الـمـدّه سبحن واسترجعن من تألّهي

والإلاهة: الشمس، سميت بذلك لأن قومًا كانوا يعبدونها. قال الشاعر:

فـبـادرنـا الإلاهـة أن تـؤوبـا

فأما قولهم في التحير أله يأله فليس من الباب، لأن الهمزة واو»[(٢)].

وقال أيضًا: «أله: أله إلاهة كعبد عبادة. والمتألهُ: المتعبدُ، وبذلك سمي الإله»[(٣)].

وقال ابن منظور: «أله: الإله: اللّه ﷻ، وكل ما اتخذ من دونه معبودًا إله عند متخذه، والجمع آلهة. والآلهة: الأصنام، سموا بذلك لاعتقادهم أن العبادة[(٤)] تحقُّ لها، وأسماؤهم تتبع اعتقاداتهم لا ما عليه الشيء في نفسه[(٥)]»[(٦)]، وقال أيضًا: «**والتأله: التنسك والتعبد. والتأليه: التعبيد؛ قال:**

(١) تفسير الزمخشري ٦/١.
(٢) مقاييس اللغة ١٢٧/١.
(٣) مجمل اللغة لابن فارس ص: ١٠١.
(٤) تأمل قوله: «**لاعتقادهم أن العبادة تحق لها**» وليس لأنها خالقة رازقة، كما يدعي الكاتب.
(٥) وهذا يدل على أن الإله الحق في نفس الأمر لا يطلق إلا على اللّه وحده؛ فلا يمنع أن يطلق لفظ إله على غيره باعتبار اتخاذ عابده له معبودًا من دون الله.
(٦) لسان العرب ٤٦٧/١٣.

لـلّـه دَرُّ الـغـانـيـات الـمـدَّه   سبَّحْنَ واسْتَرْجَعْنَ مِنْ تَأَلُّهِي»[(١)]

وقال الفيومي: «أله يأله من باب تَعِب، إلاهة بمعنى عبد عبادة وتأله تعبَّد، والإله المعبود وهو اللّه ﷻ، ثم استعاره المشركون لما عبدوه من دون اللّه تعالى والجمع آلهة، فالإله فِعال بمعنى مفعول مثل كِتاب بمعنى مكتوب وبِساط بمعنى مبسوط»[(٢)].

وقال الفيروز آبادي في «القاموس المحيط»[(٣)]: «أله إلاهة وألوهة وألوهية: عبد عبادة، ومنه لفظ الجلالة... وأصله إله، كفِعال، بمعنى مألوه. وكل ما اتخذ معبودًا إله عند متخذه، بين الإلاهة والألهانية، بالضم... والتأله: التنسك، والتعبد، والتأليه: التعبيد».

فهذا بعض ما قرره علماء اللغة: أن معنى الإله في اللغة المعبود مطلقًا، بحق أم بغير حق، فكل من عُبِدَ فقد اتخذه عابده إلهًا له، فالإله: المعبود المتقرب إليه والملتجأ إليه، وحده أو مع غيره[(٤)]، وبه يعرف بطلان ما ذكره الكاتب.

والغلط الثاني عند الكاتب: أن الخبر عند الكاتب مقدر بـ(موجود أو أحد) لا يكون تقديره عنده (بحق أو حق)، فإنه لا بد من تقديرٍ لخبر (لا) المحذوف.

فإن إعراب كلمة التوحيد ببيان أن (لا) نافية للجنس، (إله) اسم (لا) مبني معها على الفتح في محل نصب، منفي بـ (لا)، والإله جنس يتناول كل معبود من بشر أو حجر أو شجر أو مدر أو غير

(١) المرجع السابق ٤٦٩/١٣.
(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ١٩/١.
(٣) ص: ١٢٤٢.
(٤) انظر: درء التعارض ١٧٤/١، مدارج السالكين ١٩/٣، تجريد التوحيد ص: ٨.

ذلك، فهذا الجنس على تعدد أفراده منفي بـ (لا)، وخبر (لا) محذوف على الصحيح كما في الآيات، تقديره (حق)، و(إلا) أداة استثناء ولفظ الجلالة (اللّه) هو المستثنى بـ (إلا) بدل من (لا) واسمها، والاستثناء من الخبر، فاللّه هو: الإله الحق وعبادته حق، وقوله الحق، والصحيح: أنه مُخْرَجٌ من اسم (لا) وحكمِه، كما قرره العلامة ابن القيم، رحمه اللّه تعالى[(١)].

فهذا إعراب كلمة الإخلاص، الذي يعرفه أهل العربية وغيرهم من العلماء في إعرابها[(٢)].

ومما يوضح هذا المعنى قوله تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٠٤]؛ فهذا هو المنفي بـ (لا إله) في كلمة الإخلاص، وقوله: ﴿وَلَـٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ﴾ هو معنى (إلا اللّه).

قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وقد غلط هنا بعض الأغبياء، وقدر الخبر: (موجود)، وبعضهم قدره: (ممكن)، ومعناه: أنه لا يوجد، ولا يمكن وجود إلٰه آخر، وهذا جهل بمعنى الإله؛ ولو أريد بهذا الاسم الإله الحق وحده، لما صح النفي من أول وهلة؛ والصواب: أن يقدر الخبر: (حق)، لأن النزاع بين الرسل وقومهم في كون آلهتهم حقًّا أو باطلًا، قال تعالى: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ [سبأ].

(١) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ٣٣٨/٤، وينظر: بدائع الفوائد لابن القيم ٥٦/٣ ـ ٥٨.

(٢) مغني اللبيب ٢٦٢، أوضح المسالك ٣/٢، شرح ابن عقيل ٣٩٣/١، التصريح على التوضيح للشيخ خالد الجرجاوي ٢٣٥/٢، أسرار العربية لابن الأنباري ٢٤٦، شرح الكافية الشافية لابن مالك ٥٢١/١، شرح الأشموني والصبان ٢/٢.

وأما إلهية اللّه فلا نزاع فيها، ولم ينفها أحد ممن يعترف بالربوبية، لكن زعموا أن إلهية أندادهم وأصنامهم، حق أيضًا، ولذلك قالت لهم رسلهم: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩]؛ وبادر منهم من جحد ذلك بقوله: ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ [ص: ٥]، لما دعي إلى هذه الكلمة، فأنكروا إبطال عبادتها المستلزم لإبطال تسميتها، وهذا مستفيض عندهم، قد ارتاضت به ألسنتهم، لا يحتاجون فيه إلى موقف ومعلم، بل عرفوه بمجرد الوضع، قال أبو جهل لأبي طالب لما دعاه النبي ﷺ إلى كلمة الإخلاص: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فعرف بعربيته أنها تبطل عبادة وإلهية من عبده عبد المطلب وقومه، وهذا قصر إفراد، لا قصر قلب، لأن المقصود إفراده بالإلهية واستحقاقها.

فيكون النفي على هذا منصبًا على الخبر، وهو: «حق» المقدر.

وتقديره: موجود، أو ممكن، لا يفيد ما تقدم، إلا إذا وصف الاسم بحق، وقيل: لا إلٰه حق موجود، فحينئذ يستقيم الكلام، ويرجع إلى ما قلنا.

و(لا) هذه هي: النافية للجنس، واسمها يُبْنى معها على الفتح، على المشهور، والخبر ما مَرَّ تقريره، و(إلا) أداة استثناء، وما بعدها هو المستثنى، وهو مرفوع، والعامل فيه، هو العامل في الخبر لأنه بدل منه عند البصريين، وعند الكوفيين هو عطف نسق، قال ثعلب: كيف يكون بدلًا، وهو موجب، ومتبوعه منفي يريد أن التابع والمتبوع لا بد أن يتوافقا نفيًا وإثباتًا، وأجيب عنه بأنه بدل منه في عمل العامل؛ وتخالفهما في النفي والإيجاب لا يمنع البدلية، وأجاب خالد الأزهري بأن محل اشتراط ذلك في غير بدل البعض.

قلت: وبما قالوه، يعلم أن المستثنى مغاير للمستثنى منه معنى ولفظًا.

فَمِنْ أَجْهلِ خَلْقِ اللّهِ وأَضَلِّهم مَنْ فَهِم دخولَ المُثْبَتِ في المنفي، والمستثنى في المستثنى منه!! فكيف يتوهم من يعقل ما يقول دخول الإله الحق في اسم: (لا) المنفي؟! وهل بعد هذا التوهم من الضلال أمد ينتهي إليه؟ وقد ترد (إلا) بمعنى: غير، كما في قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]، وذلك إذا كان الموصوف جمعًا أو شبهه، ويؤيده حديث الاستفتاح: «سبحانك اللّهم وبحمدك.... ولا إلٰه غيرك» وعاقبت (غير) (إلا) في هذا المحل، وهي تفيد مغايرة ما قبلها لما بعدها بالذات، كما إذا قلت: جاءني رجل غير زيد، وفي الصفات، كقولك: خرجت بوجه غير الذي دخلت»[(١)].

قال الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعليقه على شرح العقيدة الطحاوية: «ما قاله صاحب المنتخب ليس بجيد وهكذا ما قاله النحاة وأيده الشيخ أبو عبد اللّه المرسي من تقدير الخبر بكلمة (في الوجود) ليس بصحيح؛ لأن الآلهة المعبودة من دون اللّه كثيرة وموجودة وتقدير الخبر بلفظ (في الوجود) لا يحصل به المقصود من بيان أحقية ألوهية اللّه سبحانه وبطلان ما سواها، لأن لقائلٍ أن يقول: كيف تقولون (لا إلٰه في الوجود إلا اللّه)؟ وقد أخبر اللّه سبحانه عن وجود آلهة كثيرة للمشركين، كما في قوله سبحانه: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ [هود: ١٠١]، وقوله سبحانه: ﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۖ﴾ الآية [الأحقاف: ٢٨].

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية ٢/٣٢٩.

فلا سبيل إلى التخلص من هذا الاعتراض وبيان عظمة هذا الكلمة وأنها كلمة التوحيد المبطلة لآلهة المشركين وعبادتهم من دون اللّه، إلا بتقدير الخبر بغير ما ذكره النحاة، وهو كلمة (حق) لأنها هي التي توضح بطلان جميع الآلهة وتبين أن الإله الحق والمعبود بالحق هو اللّه وحده كما نبه على ذلك جمع من أهل العلم منهم أبو العباس ابن تيمية وتلميذه العلامة ابن القيم وآخرون رحمهم اللّه.

ومن أدلة ذلك قوله سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ﴾ [الحج: ٦٢] فأوضح سبحانه في هذه الآية أنه هو الحق وأن ما دعاه الناس من دونه هو الباطل، فشمل ذلك جميع الآلهة المعبودة من دون اللّه من البشر والملائكة والجن وسائر المخلوقات، واتضح بذلك أنه المعبود بالحق وحده، ولهذا أنكر المشركون هذه الكلمة وامتنعوا من الإقرار بها لعلمهم بأنها تبطل آلهتهم لأنهم فهموا أن المراد بها نفي الألوهية بحق عن غير اللّه سبحانه ولهذا قالوا جوابًا لنبينا محمد ﷺ، لما قال لهم: قولوا، لا إلٰه إلا اللّه: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ۝٥﴾ [ص]، وقالوا وبهذا التقدير يزول جميع الإشكال ويتضح الحق المطلوب»[1].

الغلط الثالث لدى الكاتب بتفسيره معنى الإله في اللغة بمعنى المعبود بحق:

حيث زعم أن الإله هو (المعبود بحق) فيكون ذلك الفرد الذي لا يوجد غيره، لما كان منفيًا بـ (لا) صار ثابتًا بـ (إلا)، وهو فرد

(١) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص ١٠٩ ـ ١١٠.

واحد، فصار الإله عنده متصفًا بالنفي والإثبات، والنفي والإثبات في فرد نقيضان، ومقتضاه أن هذا الفرد صار أولًا باطلًا؛ لأنه منفي ثم صار حقًّا؛ لأنه استثني بـ (إلا)، فاجتمع فيه الوصفان. نعوذ باللّه من هذا التهافت والتناقض والعناد[(١)]، لأن مقتضى كلام الكاتب ولازمه لما قال: إن معنى الإله (المعبود بحق)، أن «المنفي عين المثبت، وأنه مساو لاسم اللّه في معناه، ومدلوله، وهذا ضلال مبين، ولا يستقيم معه نفي إلهية ما سوى اللّه، ولا تدل الكلمة الطيبة على التوحيد على زعم هذا، لأن المنفي هو المثبت، فأي نفي وأي توحيد يبقى مع اتحادهما معنى»[(٢)].

وبعض المبتدعة قَبْل هذا الكاتب «صرح بأن معنى (لا إلٰه إلا اللّه) مثل: (لا شمس إلا الشمس) استثناء للشيء من نفسه، وهذا قول في غاية الضلال والجهل، وهو باطل بأدلة الكتاب والسنة، لا يقوله أحد من الأولين والآخرين، ولا في لغة أحد، وليس في المعقول والمنقول إلا رده وإبطاله، ومن لم يعرف بطلان هذا القول فلا حيلة فيه»[(٣)].

«ومن المعلوم عند كل طائفة أن (لا) النافية للجنس لم توضع لما يقدر في الأذهان، بل وضعت لغةً لنفي أفراد الجنس الموجود في الأعيان، والخيالات الذهنية، لم يوضع لها شيء من الأدوات أصلًا؛ لأنها خيال ذهني كاذب.

وقد مثل ما ذهب إليه بقوله: (لا شمس إلا الشمس) يعني أنه قدر في ذهنه أن هناك شموسًا انتفت بـ (لا)، واستثنى منها الفرد الموجود،

---

(١) انظر: رسالة للشيخ عبد اللطيف بن عبدالرحمٰن بن حسن رَحِمَهُ اللَّهُ ضمن: الدرر السنية في الأجوبة النجدية ٣٣٦/٢.

(٢) الدرر السنية في الأجوبة النجدية ٣٣٦/٢.

(٣) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ٣٥٣/٤.

وهذا كذب محض، فما ليس في الوجود لا يصح تقديره موجودًا ينتفي (بلا)، بل هو منتف في نفسه أصلًا، فكيف يدعي أن (لا) نفت ما لا وجود له من تخيلات الأذهان التي هي كذب محض»[(١)].

الغلط الرابع لدى الكاتب أن لازم تفسيره الفاسد التناقض:

فهو يجعل كلمة (إله) في قولك (لا إلٰه إلا اللّه) هي معبود بحق، ثم ينفيها!

«كيف يكون معبودًا بحقٍّ، وهو منفي بلا النافية للجنس؟ فإذا انتفت إلهيته بطل أن تكون حقًّا، وتعيَّن أنَّ المستثنى هو (الحق) خرج من المنفي بأداة الاستثناء، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾﴾ [آل عمران]، فهذا هو التوحيد الذي دعت إليه الرسل، ولم يفهم أهل الشرك من دعوة الرسل إلا هذا التوحيد، وهو إفراد الرب تعالى بالإلهية كما أخبر تعالى عن المشركين أنهم قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾ [ص] وأخبر عن قوم هود أنهم قالوا: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ﴾ [الأعراف: ٧٠].

ولم يقل أحد من الأمم أنَّ المستثنى له أفراد كلها حق... فإن قال لنا قائل: المشركون كانوا يعتقدون في آلهتهم أنها حق. قلنا: هذا هو الذي أنكرته الرسل على الأمم؛ فإن اللّه لم يبعثهم إلا لإبطال ما كان يفعله أهل الشرك مع آلهتهم التي يعبدونها من دون اللّه، ولم يجحدوا معنى ما دعتهم الرسل إليه، لكن هم لم يتركوا عبادة آلهتهم التي كانوا يعبدونها مع اللّه»[(٢)].

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ٥/٧٦٤.
(٢) المرجع السابق ٥/٧٦٩.

قال الشيخ عبد اللّه أبا بطين: «قوله في إعراب (لا إلٰه إلا اللّه): إنه كقولنا (لا شمس إلا الشمس). لأن قول القائل: (لا شمس إلا الشمس) لفظ لا فائدة فيه، وأيضًا فاسم الشمس من الألفاظ الكلية؛ لقولهم في تعريف الكلي: ما لا يمنع تصور معناه من وقوع الشركة فيه، فهو الكلي سواء وقعت الشركة كالإنسان، أو لم تقع وأمكنت كالشمس، أو استحالت كالإله. فإن استحالة ذلك للأدلة القاطعة عليه، فجعل الاسم الكريم الذي هو أرفع الأعلام، وأعرف المعارف مثل الشمس التي هي من الألفاظ الكلية غلط. بل الموافق لقولنا: (لا شمس إلا الشمس) قول القائل: (لا إلٰه إلا الإله)، وهذا لفظ مع الإطلاق، لا يستفاد منه توحيد الإلهية للّه رب العالمين»[(١)].

الغلط الخامس لدى الكاتب: إن معنى (لا إلٰه إلا اللّه) عند الكاتب ليس كما يقرره أهل العلم بل هو مباين لهم ومخالف لهم صراحة، فهو يجعل المعنى المنفي في كلمة التوحيد مرتبطًا بمعنى الإله الذي زعم أنه بحسب صفة (المعبود بحق)، وصفة (المعبود بحق) الذي استوجب لأجلها العبادة هي الربوبية فيكون المعنى عنده: (لا خالق ولا قادر على الاختراع إلا اللّه)؛ لأن هذا معنى المعبود بحق عنده، وذلك يعود لصفة المعبود وليس لفعل العابد، فصارت هذه الكلمة الطيبة العظيمة وهي كلمة التوحيد على مقتضى مذهبه ومذهب من سبقه من علماء البدع تقرر معنى الربوبية فقط، وصار قولهم في تفسيرها: (لا معبود بحق إلا اللّه) ليس هو مقصود القرآن والسنة وما عليه سلف الأمة[(٢)].

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ٤/٣٦٣.

(٢) راجع ما ذكره المعلمي اليماني في رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله، ضمن آثار المعلمي ٢/٣٤١ ـ ٣٩٦.

ثم زعم الكاتب أن أهل العلم لم يذكروا تعريفًا أو توضيحًا لمعنى الألوهية أو العبادة، كما يدعي في ص ٨٥: **[دون أن يذكروا تعريفًا أو توضيحًا يدل على أنهم قد ميّزوا الألوهية أو العبادة عن غيرها!]**.

وهذا مخالف لما صرح به العلماء ووضحوه، وفي آخر هذا المبحث يسمي من خالفه من أهل العلم بما يُنفِّر عنهم؛ فيقول في ص٩٦: **[وتاللّه ما كنت أحسب الأمر محتاجًا لكل هذا الكشف، لولا عمايات الجهل التي رأيناها وسمعناها وقرأنها [كذا] لهؤلاء المكفِّرين]**.

هكذا يصف تقريرات كبار علماء الإسلام بأنها عمايات الجهل، وأنهم من المكفِّرين!!

والكاتب استنكر على من اكتفى من تعريف (الإله) بالمعبود بحق، ثم اكتفى من تعريف (العبادة) بأنها غاية الحب والذل على وجه التعبد! فزعم أن ذلك من تعريف الشيء بنفسه!

وهذا أمر غير واقع فلم يقل أحد إن تعريف الإله في اللغة هو المعبود بحق، بل قالوا: إن الإله في اللغة هو المعبود، وعرّفوا العبادة بما يوضح حقيقتها من جهة ما يقوم بالقلب، ومن جهة ما يظهر باللسان والجوارح.

أما تعريف الكاتب لفظ العبادة شرعًا في ص١٠٣ بقوله: **[تعريف العبادة هو: كل تقرّب من أعمال القلوب أو الجوارح صُرِف لمن يعتقد فيه العامل خصائص الربوبية أو بعضها]**.

فهذا التعريف الذي اخترعه لم يسبق إليه؛ وإنما أراد به موافقة المبتدعة من أهل الكلام الذين يجعلون الإله بمعنى الخالق، ويترتب

عليه الدفاع عن من صرفوا العبادات للأموات، ووضع المعاذير لهم، كما تقدم.

➢ الرد على أخطاء الكاتب في نقله عن أهل العلم ما لا حجة له فيه:

من محاولات الكاتب لتأييد الشبهات التي وضعها أنه نقل كلام عددٍ من علماء اللغة والتفسير، ونقل عن ابن تيمية، ما لا حجة له فيه، ثم قال في ص ٩٣: **[فجعل ابن تيمية العبودية من خصائص ذات المعبود وليست من خصائص فعل العابد مما يعني أن المعبود لا يكون معبودًا إلا باعتقاد فيه يعتقده العابد يجعله أهلًا للعبادة وليس هو من جعله العابد بفعله إلها]**، وقال في ص ٨٦ في الحاشية ١: **[وهذا هو تقرير ابن تيمية في مواضع كثيرة من كتبه، وليس عليك إلا أن تضع كلمة يستحق العبادة أو المستحق للعبادة ونحوهما في محركات البحث وبرامجه حتى تخرج لك عشرات المواضع من كلام ابن تيمية الدال على ذلك]**.

وهذا من قلة الفهم لكلام ابن تيمية، ومعلوم أنّ ابن تيمية كسّر بنيان دعاة الشرك، وفنّد شبهاتهم ولله الحمد.

قال الشيخ عبد الرحمٰن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في رده على ابن البكري: أنه لما قدم مصر، وجد بها ممن غلا في رسول الله ﷺ وارتكب ما نهى عنه أمته من الغلو... فقال: ومن هؤلاء من يقول: أَسْقِط الربوبية، وقل في الرسول ما شئت، ويقول:

دع ما ادعته النصارى في نبيهم ... واحكم بما شئت مدحًا فيه واحتكم
فإن فضل رسول الله ليس له ... حد فيعرب عنه ناطق بفم

وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف وانسب إلى قدره ما شئت من عظم
لو ناسبت قدره آياته عظما أحيا اسمه حين يدعى دارس الرمم

ومنهم من يقول: نحن نعبد اللّه ورسوله، فيجعلون الرسول معبودًا، ومنهم من يأتي إلى قبر الميت، الرجل أو المرأة الذي يحسن به الظن، فيقول اغفر لي وارحمني، ولا توقفني على زلة، ونحو هذا الكلام. وأمثال هذه الأمور التي يتخذ منها المخلوق إلها، وهذا وأمثاله وقع ونحن بمصر، انتهى»[1].

وقال أيضًا:

«وقد كان شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، لما قدم مصر فوجد الكثير قد جهل ما بعث اللّه به رسله وأنزل به كتبه: من دين الإسلام الذي رضيه لعباده، واتفقت عليه دعوة الرسل من أولهم إلى آخرهم.

فبيّن ما وقع فيها من البدع، فبيّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ لمن حضره ما جهله أكثر الناس من وجوب إخلاص العبادة بجميع أنواعها للّه تعالى، وبيّن ذلك بالأدلة من الكتاب والسنة، وما عليه سلف الأمة وأئمتها[2]: من تجريد العبادة للّه تعالى، وترك عبادة ما يعبد من دونه، ونهاهم عن دعوة الأموات والغائبين، وأخبرهم أن هذا هو الشرك الأكبر الذي لا يغفره اللّه، فعارضه ابن البكري المصري على حسب ما اعتاده من هذا الشرك وجهله بأنواع التوحيد، وكتب في المعارضة كثيرًا من الشبهات الفاسدة الباطلة، وقلب الحقائق، مع

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية ٢١٨/١١.

(٢) معارضة ابن البكري بعد تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية لرسالة الاستغاثة التي كتبها سنة ٧١١هـ.

سوء الفهم، وعدم العلم، فهجم على دين الإسلام فيما أبداه من الشبهات والضلالات[(١)].

وأخذها شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ فأجاب عنها بصريح المنقول وصحيح المعقول، فردها ردًا شافيًا بالأدلة والبراهين[(٢)]، فصار علمًا لأهل التوحيد، وحجة على أهل الشرك والتنديد.

فرأيت هذا العراقي[(٣)] ـ الذي نحن بصدد الرد عليه ـ قد تلقى كثيرًا من تلك الشبهات والخيالات والأباطيل والترهات، فرأيت أن أكتب في آخر الرد جملًا من كلام شيخ الإسلام رحمه اللّه تعالى وإن كان فيه نوع تكرار، مع ما قدمناه له، فإنه يشتمل على مزيد فائدة، فإن الحاجة إليه ماسة، والمنفعة به عظيمة، والمكرر أحلى؛ لما فيه من الرد على كل ملحد ومبطل ومعاند، فرحم اللّه ذلك الشيخ، فلقد

---

(١) قال شيخ الإسلام في الاستغاثة والرد على البكري ص٣٠٦ في حديثه عن دولة العبيديين في مصر: «حتى آل الأمر إلى دولة العبيديين؛ وهم ملاحدة في الباطن أخذوا من مذاهب الفلاسفة والمجوس ما خلطوا به أقوال الرافضة، فصار خيار ما يظهرونه من الإسلام دين الرافضة، وأما في الباطن فملاحدة شر من اليهود والنصارى؛ وإلا من لم يصل منهم إلى منتهى دعوتهم فإنه يبقى رافضياً داخل الإسلام، ولهذا قال فيهم العلماء: «ظاهر مذهبهم الرفض وباطنه الكفر المحض»، وهم من أشد الناس تعظيماً للمشاهد ودعوة الكواكب ونحو ذلك من دين المشركين، وأبعد الناس عن تعظيم المساجد التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، وآثارهم في القاهرة تدل على ذلك. ولقد كنت لما رأيت آثارهم أبين للناس أصل ذلك وحقيقة دينهم، وأنهم من أبرأ الناس من رسول الله ﷺ ديناً ونسباً... وإنما المقصود التنبيه على أن سبب الخروج عن الشريعة في كثير من البدع الشركية أفضى الأمر بأقوام إلى أن خرجوا إلى دين المشركين؛ بل المشركين المعطلين، وكثير من الناس لا يعرف هذا؛ يحسب أن هذا هو دين الله لأجل لبس الحق بالباطل، وهذا مما نهى الله عنه وذم به أهل الكتاب؛ حيث قال: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [البقرة].

(٢) وكان ذلك الرد من ابن تيمية المسمى (الاستغاثة) على مرحلتين، الأولى قبل سنة ٧١٤هـ، والثانية بعد ذلك.

(٣) أي: داود بن جرجيس.

صارت كتبه سلاحًا للموحدين، وحجة على جميع المبطلين[١]»[٢].

وما دام الكاتب يقول: [ليس عليك إلا أن تضع كلمة يستحق العبادة أو المستحق للعبادة ونحوهما في محركات البحث وبرامجه حتى تخرج لك عشرات المواضع من كلام ابن تيمية الدال على ذلك] فهو يعتمد على مجرد النظر في نتائج محركات البحث في البرامج!! فيقال له مثل ما قال أهل العلم لمن شابهه:

«هو لم يطلع إلا على النّزر اليسير من كلام شيخ الإسلام، ولم يفهم معنى ما اطلع عليه، وهو في شِقٍّ، وشيخ الإسلام في شِقٍّ، وليس في كلام شيخ الإسلام إلا ما هو حجة على هذا المعترض، لكنه يتعلق في باطله بمثل خيط العنكبوت، فإن كان يقنعه كلام شيخ الإسلام رحمه اللّه تعالى المُؤَيَّد بالبرهان، فقد تقدم من كلامه ما يكفي ويشفي في تمييز الحق من الباطل»[٣].

أليس الكاتب رمى ابن تيمية بالتناقض وأنه رجع عن بعض عقائده!، وتقدم الرد عليه وكشف زيفه.

والرد عليه فيما زعمه أن (العبودية من خصائص ذات المعبود):

إن هذا الزعم بإطلاقه غير صحيح، فالعبودية فعل العابد وعمله بقلبه وبلسانه وجوارحه، والمعبود قد يكون غير اللّه كما عبد

---

(١) يقول ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «والمقصود أن الشيخ رد على البكري ونقض أقواله نقضًا أجاد فيه وأفاد، وبيَّن ما فيه من حق وباطل في مجلدة كبيرة، أبطل فيها أنواع الشرك الاعتقادي والعملي وما يتفرع منهما بالأدلة والبراهين القاطعة المقبولة؛ التي تسر أهل السنة وتقرّ أعينهم عند سماعها، وتسوِّد وجوه أهل الأهواء والبدع ويرهقها قتر وذلة، فرحم اللّه من قبل الحق ونصره، ورد الباطل وخذله وأهله». تلخيص الاستغاثة لابن كثير ص٤.

(٢) كشف ما ألقاه إبليس من البهرج والتلبيس ص ٢٦٩.

(٣) الدرر السنية في الأجوبة النجدية ١١/١٨٧.

المشركون المسيح ابن مريم وعبدوا الملائكة وعبدوا الأصنام، فهذه عبودية المشركين ليست من خصائص ذات المعبود بل هي صفة العابد وفعله، وأما المعبود بحق فهو اللّه وهو الإله الحق المبين ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة]، ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣]، ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾﴾ [الزخرف]، وما عُبِدَ من دون اللّه فهو إلٰه باطل وهو معبود باطل، والعبودية التي قامت بمن فعل ذلك الشرك والعبادة الشركية هي صفة العابد، وهي عبودية شركية، وغالب من فعلها يعتقد في معبوده من دون اللّه اعتقادات باطلة، ولكن العبرة في عمله وقوله، وأما اعتقاد العابد في معبوده أنه أهلٌ للعبادة؛ فهذا ضلال إلى ضلال، ولكن ليس هو المؤثر في الاسم والحكم.

وأما الرد عليه فيما نقله عن ابن تيمية، فابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ يبيِّن معنى ألوهية اللّه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ويشرح معنى قوله تعالى: ﴿لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، وأن فيها إثبات انفراده بالإلهية، وأنها تتضمن كمال علمه وقدرته ورحمته وحكمته ففيها إثبات إحسانه إلى عباده، وأنه جلَّ وعلا الموصوف بالصفات التي تستلزم أن يكون هو المحبوب غاية الحبّ، المخضوع له غاية الخضوع.

وكلام ابن تيمية ليس في سياق بيان المعنى اللغوي لكلمة (الإله) كما يدعي هذا الكاتب، بل إن ابن تيمية صرح في كلامه أن «من عبد غيره واتخذه إلهًا فهو لفساد عمله وقصده، حيث اتخذ إلهًا فأحبه لذاته وبذل له غاية الحب بغاية الذل لجهله وضلاله، ولهذا سُمُّوا جاهلية، إذ كان أصل قصدهم جهلًا لا علمًا»[1].

(١) جامع المسائل ١٨٨/٦.

فانظر وضوح كلام ابن تيمية وتصريحه بأن العابد المشرك هو الذي عبد غير اللّه، وهو الذي اتخذه إلهًا وأحبه غاية الحب، وذلَّ له غاية الذلِّ، لفساد عمله وقصده، فجاء هذا الكاتب وادّعى على ابن تيمية أنه يجعل العبودية من خصائص ذات المعبود وليست من خصائص فعل العبد، ليتوصل بذلك للقول بأن العبادة التي هي فعل العبد وعمله إذا صرفها لغير اللّه فليس بمشرك!

ومما يبين للقارئ غلط الكاتب قوله ص٩٣: [مما يعني أن المعبود لا يكون معبودًا إلا باعتقاد فيه يعتقده العابد يجعله أهلًا للعبادة وليس هو من جعله العابد بفعله إلهًا]، وهذا نقيض كلام ابن تيمية الذي نقله، وصدق اللّه جل وعلا: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

ومعلومٌ أن اللّه تبارك وتعالى وهو الإله الحق المبين، هو الأول والآخر والظاهر والباطن، والمستحق للعبادة والموصوف بالكمال أزلًا وأبدًا، والبحث مع الكاتب ليس في هذا المعنى المتفق عليه؛ وإنما البحث في معبودات باطلة عبدوها مع اللّه وتألّهوا لها بأنواع التألّه من سجود وركوع وتبرك واعتكاف وذبح وغير ذلك، فهو يريد نفي وصفهم بأنهم عبدوها إلا إذا اعتقدوا فيها أنها أهل للعبادة!!

ومما يبين خطأه أنه بمقتضى كلام الكاتب يصبح من عبد غير اللّه لا يوصف بالشرك حتى نفحص عن قلبه؛ هل عبادته لغير اللّه: «**باعتقاد فيه يعتقده العابد يجعله أهلًا للعبادة**»!! وأما إذا عبده تقليدًا لآبائه وأسلافه أو تعصبًا أو حمية فلا يكون عابدًا له، وهذا من أوضح ما يكون بطلانه.

وهذا الدفاع ينطبق على كلِّ مشرك وعابدِ قبرٍ؛ بل كل وَثَنِيٍّ، نسأل اللّه العافية.

وتذكرت في هذا المقام كلام الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو يرد على شُبَه المرتاب الفارسي، الذي نقل عن ابن تيمية ليؤيد باطله في تحريف معنى الألوهية وتفسير لا إلٰه إلا اللّه فقال الشيخ عنه:

«وذكر لي أنه يزعم، أو بعض تلامذته: أن هذا التخليط مأخوذ من كلام شيخ الإسلام، وهذا من أعجب العجب، كيف ينسب إليه هذا الجهل والضلال، مع وفور عقله وعلمه، ومتانة دينه وجودة بحثه، وامتيازه في العلوم.

ولكن إن صح هذا، فله فيه سلف، نُقل لنا عن داود بن جرجيس العراقي، أنه يزعم أنه يرد على شيخنا بكلام ابن تيمية، وابن القيم، فلما وقفنا على كلامه، إذا هو من أجهل خلق اللّه بكلامه ودينه، وبكلام نبيه، وبكلام أولي العلم من خلقه، وأبلغ من قول هذين وأعجب، قول اليهود: إن إبراهيم كان يهوديًا، وقول النصارى: بل كان نصرانيًّا، فرد اللّه عليهم بقوله: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [آل عمران]»[1].

ويشبه ذلك كلام داود بن جرجيس وأشباهه من أهل الأهواء.

يقول الشمس الأفغاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقال هذا الملبّس ابن جرجيس أيضًا: (إن الدعاء الذي ذكره اللّه عن الكفار والمشركين معناه: العبادة التي هي السجود والركوع والذبح والتقرب إلى ذواتهم على أنهم أرباب وآلهة، ولم يكن هذا في المسلمين وللّه الحمد ممن

(١) فتح الملك الوهاب في رد شبه المرتاب، للشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن بن حسن ٥٣ ـ ٥٤، وهو موجود في الدرر السنية في الأجوبة النجدية ٣٤١/٢.

يتوسل بالصالحين ويناديهم، والنداء لأهل القبور والغائبين يسمى دعاء في اللغة، ولكن ليس هو دعاء العبادة، ولو كان مطلق النداء والطلب يكون دعاء عبادة لزم أن جميع من ينادي أحدًا حيًّا أو ميتًا، ويطلب منه شيئًا يكون مشركًا، عابدًا للمنادى والمطلوب، ولا قائل بذلك لا عاقل ولا مجنون). ومثله كلام للقضاعي (١٣٧٦هـ)[١].

هكذا ترى القبورية يعمدون إلى جميع تلك الآيات الناهية عن دعاء غير اللّه فيحرفونها بتأويلها الباطل القبوري الفاسد العاطل: وهو أن المراد بالدعاء في تلك الآيات هو العبادة بمعنى الصلاة والزكاة والركوع والسجود والذبح، على اعتقاد الربوبية لغير اللّه تعالى، وليس المراد من الدعاء في تلك الآيات نداء الأموات وطلب الغوث منهم عند الملمات والاستغاثة بهم عند الكربات؛ فإن ذلك ليس من العبادة في شيء، وليس فيه أي محذور.

والقبورية بناء على تعريفهم للعبادة تعريفًا غير جامع لجزئياتها وقصرها على بعض أفرادها لإخراج دعاء الأموات عند الكربات والاستغاثة بهم لدفع الملمات صرحوا بإبطال تعريف أئمة السنة وعلماء هذه الأمة للعبادة»[٢].

وقد صرح الكاتب في تأكيده على أن معنى الإله في لغة العرب (المستحق للعبادة بفعل عابده واعتقاد عابده)؛ ليتوصل بذلك إلى القول بأن معنى لا إلٰه إلا اللّه هو لا خالق إلا اللّه، وذلك بتقرير معنى الإله في اللغة بتقرير خاطئ، ثم الانتقال إلى تفسير معنى الألوهية كذلك، ثم الانتقال إلى تفسير معنى العبادة بمقتضى ما سبق،

---

(١) في البراهين ص٣٨٨.

(٢) جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية ٣/١٣٨٣ ـ ١٣٨٤.

وهو أنه لا تكون عبادة إلا إذا اعتقد العابد في معبوده معنى الألوهية الذي هو حسب فهمه الخاطئ أنها بمعنى الربوبية.

وبناءً على هذا توصل إلى تقرير أن الألوهية بمعنى الربوبية، وأن معنى لا إلٰه إلا اللّه هو الذي قرره علماء الكلام أنه لا يخلق ولا يرزق ولا يدبر إلا اللّه.

وقد سبق إبطال هذا الأصل الذي أسّس عليه الكاتب بنيانه في تفسير معنى الإله، وشتان بين بنيانه وبين البنيان الذي بنى عليه أهل السنة عقيدتهم، منطلقين من دلالة النصوص الصريحة الواضحة في اعتراف المشركين بربوبية اللّه عليهم وعلى آلهتهم، ومن معنى الإله في اللغة والشرع، فحال أهل السنة وحال أهل الأهواء كما قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ [التوبة].

غلط الكاتب في معنى آية كريمة:

أورد الكاتب في ص ٩٣ قولَ اللّه تعالى: ﴿فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَـٰذِبُونَ﴾.

ثم نقل عن تفسير ابن عطية والواحدي والبغوي في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا۟ رَبَّنَا هَـٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ ۖ فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [النحل].

وادعى الكاتب أن أحد وجوه التفسير لهذه الآية في معنى قوله: ﴿إِنَّكُمْ لَكَـٰذِبُونَ﴾ أن معبودات المشركين تُكذبهم في تسميتهم آلهة!!

وقال بعد ذلك بخمسة أسطر: [فهم لا يكذبونهم بأنهم عبدوهم لأنهم عبدوهم واقعًا، ولا يكذبونهم في أنهم كانوا يسمونهم آلهة؛ لأنهم سموهم آلهة، وإنما كذبوهم في أنهم أرباب مستحقون للعبادة،

وهذا يدل أن تسمية [الإله] لا تصدق على كل من تُذُلِّل له غاية الذل وخُضع له غاية الخضوع، وإنما تصدق على من كان متصفًا بالصفات التي يستحق معها أن يعبد].

فتأمل أيها القارئ كلامه وانظر غلطه بإضافة هذه الجملة، وزعمه أن ابن عطية يقررها، وهي قول الكاتب: **[وإنما كذبوهم في أنهم أرباب مستحقون للعبادة]**، ومراد الكاتب بأن المشركين كانوا يعتقدون أن معبوداتهم أرباب يخلقون ويرزقون ويدبرون!!

فهل قال ابن عطية إنهم يعتقدون أنهم أرباب.

وهب أنه قال ذلك؛ فلماذا ترك صريح كلام ابن عطية في مواضع أخرى من تفسيره!!

قال ابن عطية: «ثم أظهر تعالى عليهم الحجة من أقوالهم وإقرارهم بأن اللّه هو خالقهم وموجدهم بعد العدم، ثم وقفهم على جهة التقرير والتوبيخ بقوله: ﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ أي فلأي جهة يصرفون»[1].

وقال أيضًا: «ثم أقام عليهم الحجة في أمر الأصنام بأنهم يقرون بأن اللّه تعالى خالق المخلوقات ويدعون مع ذلك إلهًا غيره، والمعنى ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على ظهور الحجة عليكم»[2].

وقال ابن عطية أيضًا في قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الزمر]:

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٥/٦٧.

(٢) المصدر السابق ٤/٣٥٣.

«هذا ابتداء احتجاج عليهم بحجة أخرى، وجملتها أن وقفوا على الخالق المخترع، فإذا قالوا إنه اللّه لم يبق لهم في الأصنام غرض إلا أن يقولوا إنها تنفع وتضر، فلما تقعد[١] من قولهم إن اللّه هو الخالق، قيل لهم: أفرأيتم هؤلاء إذا أراد اللّه أمرًا بهم قدرتم على نقضه؟ وحذف الجواب عن هذا، لأنه من البيّن أنه لا يجيب أحد إلا بأنه لا قدرة بالأصنام على شيء من ذلك»[٢].

وقال أيضًا: «**وقوله تعالى:** ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ﴾ الآية ابتداء احتجاج على قريش يوجب عليهم التناقض في أمرهم، وذلك أنهم يقرون أن الخالق الموجد لهم وللسماوات والأرض هو اللّه تعالى، وهم مع ذلك يعبدون أصنامًا ويدعونها آلهتهم، ومقتضى جواب قريش أن يقولوا «خلقهن اللّه» فلما ذكر تعالى المعنى جاءت العبارة عن اللّه بـ ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ ليكون ذلك توطئة لما عدّد بعدُ من أوصافه التي ابتدأ الإخبار بها وقطعها من الكلام الذي حكى معناه عن قريش»[٣].

وأما نقله عن ابن عطية؛ فهذا نص كلام ابن عطية في تفسيره، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أخبر اللّه تعالى في هذه الآية أن المشركين إذا رأوا يوم القيامة بأبصارهم الأوثان والأصنام وكل معبود من دون اللّه ـ لأنها تحشر معهم توبيخًا لهم على رؤوس الأشهاد ـ أشاروا إليهم وقالوا: هؤلاء كنا نعبد من دون اللّه، أرادوا بذلك تذنيب المعبودين وإدخالهم

---

(١) لعله يريد: تمكن من أن يجبرهم على ذلك، وأقرب معاني (تقعَّدتهُ) في اللسان إلى هذا أنها تأتي بمعنى: رَبَّثْتُه عن حاجته وعُقْته، أو حبسته عنها. المحرر الوجيز ٣٩٧/٧، طبعة وزارة الأوقاف القطرية، الطبعة الثانية: ١٤٢٨ ـ ٢٠٠٧.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٥٣٢/٤.

(٣) المصدر السابق ٤٦/٥.

في المعصية، وأضافوا الشركاء إلى أنفسهم من حيث هم جعلوهم شركاء، وهذا كما يصف رجل آخر بأنه خير فتقول أنت: ما فعل خيرك، فأضفته إليه من حيث وصفه هو بتلك الصفة، والضمير في «القول» عائد على الشركاء، فمن كان من المعبودين من البشر ألقى القول المعهود بلسانه، وما كان من الجمادات تكلمت بقدرة اللّه بتكذيب المشركين في وصفهم بأنهم آلهة وشركاء للّه، ففي هذا وقع الكذب لا في العبادة وقال الطبري: المعنى إنكم لكاذبون، ما كنا ندعوكم إلى عبادتنا، قال القاضي أبو محمد: فكأنهم كذبوهم في التذنيب لهم»[1].

فليس في كلام ابن عطية ما يستند عليه الكاتب في تفسير معنى الإله في اللغة أنه بمعنى الرب الخالق الرازق المدبر.

هذا عن ابن عطية رحمه اللّه؛ فليس للكاتب أن يحتج بكلام لم يفهم منه مراد ابن عطية ويترك أقواله الأخرى! ولماذا ترك الكاتب عشرات المفسرين الذين يصرحون بأن المشركين لم يعتقدوا في معبوداتهم أنها خلقتهم! بل أعرض عن صريح القرآن الذي وضح حال المشركين، ولكونه نقل عن الواحدي والبغوي أيضًا فهذا نص كلام الواحدي:

«وذكر المفسرون في تكذيب الأصنام إياهم وجوهًا؛ أحدها: أنها كذبتهم في استحقاق العبادة، والمعنى: ﴿إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾: في أنا نستحق العبادة، الثاني: ﴿إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾: في أنا دعوناكم إلى العبادة، وهذا قول الفراء، وقيل: ﴿إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾: في تسميتنا آلهة وأربابًا، وكل هذا تكذيب من الآلهة للكفار بما لم يخبر به عنهم؛

(١) المصدر السابق ٣/٤١٤.

لأنه ليس في الآية أن الكفار ادّعوا أنها دَعَتْهم إلى عبادتها، ولا أنها كانت تستحق العبادة، ولا أنهم سموها آلهة، وإن كانوا قد فعلوا ذلك، ولكن لم يخبر عنهم في هذه الآية بهذه الأشياء حتى ينصرف التكذيب إلى ذلك، والمفسرون قالوا هذا على الاحتمال، ولم أر لواحد من أئمة التفسير قولًا منسوبًا إليه مما حكيت غير الفراء، والذي يوافق الظاهر أن يقال: إن الشركاء كانت جمادًا مواتًا ما كانت تعرف عبادة عابديها، فقالت: ﴿إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾: في عبادتكم إيانا، ما كنا نعرف ذلك ولا علم لنا بعبادتكم، فظهر عند ذلك فضيحة الكفار، حيث عبدوا من لم يشعر بالعبادة، يدل على هذا قوله: ﴿كَلَّاۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾ [مريم: ٨٢]، والله أعلم»[(١)].

وفي قوله (في تسميتنا آلهة وأربابًا) أي معبودات والرب في اللغة يطلق على المعبود.

ولذلك تأمل قوله: (إن الشركاء كانت جمادًا مواتًا ما كانت تعرف عبادة عابديها، فقالت: ﴿إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾: في عبادتكم إيانا، ما كنا نعرف ذلك ولا علم لنا بعبادتكم، فظهر عند ذلك فضيحة الكفار، حيث عبدوا من لم يشعر بالعبادة، يدل على هذا قوله: ﴿كَلَّاۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾ [مريم: ٨٢]).

فقوله (من لم يشعر بالعبادة) صريح أن المراد فعل العابد من سجود وركوع وذبح وغيره من أنواع العبادة وليس الاعتقاد.

وقال أيضًا: «﴿قَالُواْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُواْ مِن دُونِكَۖ فَأَلْقَوْاْ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ﴾ [النحل: ٨٦] أي أجابوهم، وقالوا لهم: ﴿إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [النحل: ٨٦] كذبوهم في عبادتهم إياهم، لأن الشركاء

(١) التفسير البسيط، للواحدي ١٣/١٦٧.

كانت جمادًا أمواتًا ما كانت تعرف عبادة عابديها، فظهر عند ذلك فضيحتهم حيث عبدوا من لم يشعر بالعبادة، وهذا كقوله: ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾ [مريم: ٨٢]، ﴿وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ﴾ [النحل: ٨٧] استسلموا وأقروا للّه بالربوبية، ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [النحل] زال وبطل، وذهب ما زين لهم الشيطان أن للّه شريكًا وولدًا»[(١)].

وقال البغوي: «﴿قَالُوا رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِن دُونِكَ﴾، أربابًا ونعبدهم، ﴿فَأَلْقَوْا﴾، يعني الأوثان، ﴿إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ﴾، أي: قالوا لهم، ﴿إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾، في تسميتنا آلهة ما دعوناكم إلى عبادتنا»[(٢)].

وهذا من أبين الأمور وأوضح الواضحات أن المشركين كانوا يسمون معبوداتهم آلهة لأجل صرفهم العبادة لها، لا لأجل أنهم يعتقدون أنها أرباب لهم تخلق وترزق وتدبر، فهذه التسمية في الدنيا هي مقتضى لغة العرب، فكل من عبد معبودًا فقد اتخذه إلهًا.

وهذه طائفة من كلام المفسرين في هذه الآية:

فهذا ابن جرير (ت: ٣١٠) صرح في تفسيره بالمعنى فقال: «قالوا لهم: إنكم لكاذبون أيها المشركين، ما كنا ندعوكم إلى عبادتنا»[(٣)].

وهذا السمعاني (ت: ٤٨٩) في تفسيره أشار لهذه الاحتمالات الثلاثة السابقة فقال «وقوله: ﴿فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ فيه قولان:

---

(١) التفسير الوسيط، للواحدي ٣/٧٨.
(٢) تفسير البغوي ٣/٩٢.
(٣) جامع البيان ١٤/٣٢٨.

الأظهر أن هذا قول الأصنام يقولون للمشركين: إنكم لكاذبون، يعني: في أنا دعوناكم إلى عبادتنا، أو في قولكم: إن هؤلاء آلهة، أو في قولكم: إنا نستحق العبادة.

والقول الثاني: أن الملائكة يقولون: إنكم لكاذبون»[1].

وقال الزمخشري (ت: ٥٣٨): «فإن قلت: لم قالوا: ﴿إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ وكانوا يعبدونهم على الصحة؟ قلت: لما كانوا غير راضين بعبادتهم فكأن عبادتهم لم تكن عبادة. والدليل عليه قول الملائكة ﴿كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ﴾ يعنون أن الجن كانوا راضين بعبادتهم لا نحن، فهم المعبودون دوننا. أو كذبوهم في تسميتهم شركاء وآلهة تنزيها للّه من الشريك. وإن أريد بالشركاء الشياطين، جاز أن يكون «كاذبين» في قولهم ﴿إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ كما يقول الشيطان: ﴿إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ﴾»[2].

وفي تفسير ابن الجوزي (ت: ٥٩٧): «أي: أجابوهم وقالوا لهم: ﴿إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ قال الفراء: رَدَّت عليهم آلهتهم قولهم. وقال أبو عبيدة: «فألقوا»، أي: قالوا لهم. يقال: ألقيت إلى فلان كذا، أي: قلت له. قال العلماء: كذبوهم في عبادتهم إياهم، وذلك أن الأصنام كانت جمادًا لا تعرف عابديها، فظهرت فضيحتهم يومئذ إذ عبدوا من لم يعلم بعبادتهم، وذلك كقوله: ﴿سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ﴾ [مريم: ٨٣]»[3].

وقال القرطبي (ت: ٦٧١): «أي ألقت إليهم الآلهة القول، أي

(١) تفسير السمعاني ٣/١٩٤.
(٢) تفسير الكشاف ٢/٦٢٧.
(٣) زاد المسير في علم التفسير (٢/٥٧٧ ـ ٥٧٨).

نطقت بتكذيب من عبدها بأنها لم تكن آلهة، ولا أمرتهم بعبادتها فيُنطق اللَّهُ الأصنامَ... حتى تظهر عند ذلك فضيحة الكفار. وقيل: المراد بذلك الملائكة الذين عبدوهم»[(١)].

وقال ابن جزي (ت: ٧٤١): «الضمير في ﴿فَأَلْقَوْا﴾ للمعبودين والمعنى: أنهم كذبوهم في قولهم أنهم كانوا يعبدونهم، كقولهم: ﴿مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾ [يونس: ٢٨] فإن قيل: كيف كذبوهم وهم قد كانوا يعبدونهم؟ فالجواب: أنهم لما كانوا غير راضين بعبادتهم، فكأن عبادتهم لم تكن عبادة، ويحتمل أن يكون تكذيبهم لهم في تسميتهم شركاء للّه لا في العبادة»[(٢)].

وكذلك ابن كثير (ت: ٧٧٤) قرر هذا المعنى مؤكدًا له من خلال الآيات الكثيرة الدالة عليه فقال: «أي: قالت لهم الآلهة: كذبتم، ما نحن أمرناكم بعبادتنا. كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ ۝٦﴾ [الأحقاف] وقال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ۝٨١ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ۝٨٢﴾ [مريم]. وقال الخليل عليه الصلاة والسلام: ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ۝٢٥﴾ [العنكبوت] وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ۝٥٢﴾ [الكهف] والآيات في هذا كثيرة»[(٣)].

وقال الثعالبي (ت: ٨٧٥): «وقوله سبحانه: ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٠/١٦٣.
(٢) التسهيل لعلوم التنزيل ٢/٧٧٠ ـ ٧٧١.
(٣) تفسير ابن كثير ٤/٥٩٣.

﴿أَشْرَكُواْ شُرَكَآءَهُمْ﴾ أي: إذا رأوهم بأبصارهم ﴿قَالُواْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا...﴾ الآية، كأنهم أرادوا بهذه المقالة تذنيب المعبودين، وقوله سبحانه: ﴿فَأَلْقَوْاْ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ...﴾ الآية: الضمير في ﴿فَأَلْقَوْاْ﴾ للمعبودين أنطقهم اللّه بتكذيب المشركين، وقد قال سبحانه في آية أخرى: ﴿فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [يونس] الآية، انظر تفسيرها في سورة يونس وغيرها»[1].

وقال الشوكاني (ت: ١٢٥٠): «﴿فَأَلْقَوْاْ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ﴾ أي ألقى أولئك الأصنام والأوثان والشياطين ونحوهم إلى المشركين القول: ﴿إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ أي قالوا لهم: إنكم أيها المشركون لكاذبون فيما تزعمون من إحالة الذنب علينا الذي هو مقصودكم من هذا القول.

فإن قيل: إن المشركين أشاروا إلى الأصنام ونحوها أن هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك، وقد كانوا صادقين في ذلك، فكيف كذبتهم الأصنام ونحوها؟ فالجواب بأن مرادهم من قولهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا﴾: هؤلاء شركاء اللّه في المعبودية، فكذبتهم الأصنام في دعوى هذه الشركة، والأصنام والأوثان وإن كانت لا تقدر على النطق فإن اللّه سبحانه ينطقها في تلك الحال لتخجيل المشركين وتوبيخهم، وهذا كما قالت الملائكة: ﴿بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّۖ﴾ [سبأ: ٤١]، يعنون أن الجن هم الذين كانوا راضين بعبادتهم لهم»[2].

وقال القاسمي (ت: ١٣٣٢) في محاسن التأويل: «أي: أجابوهم بالتكذيب في تسميتهم شركاء وآلهة؛ تنزيها للّه عن الشرك. أو بالتكذيب في دعواهم أنهم حملوهم على عبادتهم. قال أبو مسلم

---

(١) الجواهر الحسان في تفسير القرآن ٣/٤٣٨.

(٢) فتح القدير للشوكاني ٣/٢٢٤.

الأصفهاني: مقصود المشركين إحالة هذا الذنب على هذه الأصنام. وظنوا أن ذلك ينجيهم من عذاب اللّه تعالى أو ينقص من عذابهم. فعند هذا تكذبهم تلك الأصنام. وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ۝٦﴾ [الأحقاف] وقال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ۝٨١ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ۝٨٢﴾ [مريم]»[1].

وقال السعدي (ت: ١٣٧٦): «﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ﴾ يوم القيامة وعلموا بطلانها ولم يمكنهم الإنكار. ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ﴾ ليس عندها نفع ولا شفع، فنوهوا بأنفسهم ببطلانها، وكفروا بها، وبدت البغضاء والعداوة بينهم وبينها، ﴿فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ﴾ أي: ردت عليهم شركاؤهم قولهم، فقالت لهم: ﴿إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ حيث جعلتمونا شركاء للّه، وعبدتمونا معه فلم نأمركم بذلك، ولا زعمنا أن فينا استحقاقًا للألوهية فاللوم عليكم»[2].

وقال ابن عاشور (ت: ١٣٩٣): «ووصفهم بالكذب متعلق بما تضمنه كلامهم أن أولئك آلهة يدعون من دون اللّه على نحو ما وقع في الحديث: فيقال للنصارى: ما كنتم تعبدون، فيقولون: كنا نعبد المسيح ابن اللّه، فيقال لهم: كذبتم ما اتخذ اللّه من ولد. وأما صريح كلامهم وهو قولهم ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ﴾ فهم صادقون فيه»[3].

---

(١) محاسن التأويل ٦/٤٠٠.

(٢) تيسير الكريم الرحمٰن ٤٤٦.

(٣) التحرير والتنوير ١٤/٢٤٨.

وقال الشنقيطي (ت: ١٣٩٨) في «**أضواء البيان**» وما أحسن ما قال: «قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ شُرَكَآءَهُمۡ قَالُواْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدۡعُواْ مِن دُونِكَۖ فَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلَ إِنَّكُمۡ لَكَٰذِبُونَ ٨٦﴾ ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أن المشركين يوم القيامة إذا رأوا معبوداتهم التي كانوا يشركونها باللّه في عبادته قالوا لربهم: ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك! وأن معبوداتهم تكذبهم في ذلك فيقولون لهم: كذبتم! ما كنتم إيانا تعبدون!

وأوضح هذا المعنى في آيات كثيرة، كقوله: ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمۡ أَعۡدَآءٗ وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمۡ كَٰفِرِينَ ٦﴾ وقوله: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةٗ لِّيَكُونُواْ لَهُمۡ عِزّٗا ٨١ كَلَّاۚ سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا ٨٢﴾ وقوله: ﴿ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٖ وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ وقوله: ﴿وَقِيلَ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ فَدَعَوۡهُمۡ فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ﴾ وقوله: ﴿فَزَيَّلۡنَا بَيۡنَهُمۡۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمۡ إِيَّانَا تَعۡبُدُونَ﴾ إلى غير ذلك من الآيات».

ثم قال الشنقيطي وفي كلامه رد على شبهة الكاتب:

«فإن قيل: كيف كذبتهم آلهتهم ونفوا أنهم عبدوهم، مع أن الواقع خلاف ما قالوا، وأنهم كانوا يعبدونهم في دار الدنيا من دون اللّه! فالجواب: أن تكذيبهم لهم منصبٌ على زعمهم أنهم آلهة، وأن عبادتهم حق، وأنها تقربهم إلى اللّه زلفى. ولا شك أن كل ذلك من أعظم الكذب وأشنع الافتراء. ولذلك هم صادقون فيما ألقوا إليهم من القول، ونطقوا فيه بأنهم كاذبون. ومراد الكفار بقولهم لربهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا﴾، قيل ليحملوا شركاءهم تبعة ذنبهم.

وقيل: ليكونوا شركاءهم في العذاب، كما قال تعالى: ﴿رَبَّنَا

﴿هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ [الأعراف: ٣٨]، وقد نص تعالى على أنهم وما يعبدونه من دون اللّه في النار جميعًا في قوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾... الآية [الأنبياء: ٩٨]، وأخرج من ذلك الملائكة وعيسى وعزيرًا بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَـٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾﴾... الآية [الأنبياء: ١٠١]؛ لأنهم ما عبدوهم برضاهم. بل لو أطاعوهم لأخلصوا العبادة للّه وحده جل وعلا»[(١)].

وقد اشتمل كلام الكاتب هذا على القول بأن المفسرين يقررون مثل ما قرر، وأن تسمية من يعبد من دون اللّه آلهة لا تكون إلا إذا اعتقد فيه أنه رب مستحق للعبادة، وظنَّ أن الآية تدل على هذا التحريف، وهو أن المشركين يسمون معبوداتهم آلهة أي أربابًا يخلقون ويرزقون وبذلك استحقوا العبادة، وأنه يوم القيامة تقول لهم تلك المعبودات لسنا أربابًا وما ظننتموه أننا أرباب نخلق ونرزق فهذا كذب.

واشتمل كلام الكاتب أيضًا على غلط كبير في تفسير كلام اللّه تعالى، حيث زعم أن تسميةَ آلهةِ المشركين (آلهةً) في القرآن باعتبار زعم من عبدها، فهذا خطأ، وإنما تسمية آلهةِ المشركين آلهةً باعتبار عبادتهم وتألههم لها.

وأما القول بأنها سُمّيت آلهة في القرآن «باعتبار زعم من عبدها، وهذا منه جهل عريض، وظلمات مركبة، كيف يقع في ذهن من له أدنى تعقل وتفهم تجويز ذلك، وأن اللّه ورسوله يسميها آلهة، باعتبار زعمهم، ويجاريهم في هذا الزعم والتسمية، ثم يكفِّرهم بهذا، ويبيح دماءهم وأموالهم ونساءهم، لعباده المؤمنين؟ ويرتب على تركه والبراءة

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٣/٤٠٠.

منه، ما رتبه من الإسلام والإيمان، والأحكام الدنيوية والأخروية. ولو جارى قريشًا، وسمّاها أسماء تختص بالحق، لما حصل التوحيد والإيمان، من مدلول هذه الكلمة، ولما قالوا له: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ [ص: ٥]؛ لأن المثبت عين المنفي، على زعم هذا، وهو الإله الحق؛ وهذا تغيير لدين الإسلام، وإلحاد في معنى كلمة الإخلاص، وتأييد لما زعمه عُبّاد الأصنام، من أنها حق لا باطل ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف]»[1].

ويجب أن يعلم أن مقتضى هذا الكلام الذي قرره الكاتب ولازمه: أنه لا توجد عبادة شركية أبدًا!!

وإيضاح هذا اللازم أن كل مشرك يعبد غير اللّه؛ فإن ذلك المعبود من دون اللّه لا يمكن أن يتصف بالصفات التي يستحق معها أن يعبد؛ إذ لا يتصف بالصفات التي يستحق معها أن يعبد إلا اللّه جل وعلا.

وعلى هذا فكل العبادات التي تقع في الأرض من جميع الخلائق لا توصف بأنها شرك؛ لأن جميع من فعل العبادات الشركية لم يصرفها لإلهٍ مستحقٍ للعبادة بل صرفها لصنم أو شجر أو حجر أو ميت أو غيرهم، وما دام أن هذه المعبودات ليست مستحقة للعبادة فليس فعلهم شركاً؛ وإنما يقع الشرك إذا اعتقد أنها خالقة رازقة مدبرة؛ أي: اعتقد فيها خصائص الربوبية.

وهذا ما تبين للكاتب أنه لازم له؛ ولهذا كشف عن مآل قوله الفاسد بتعريفه لكلمة الإله في اللغة بالمعبود بحق؛ فقال في الصفحة

---

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية ٢/٣٣٢، وهذا من أجوبة الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٩٤: **[لو أراد أن العرب في الجاهلية أرادت بالإله المعبود بحق فقد أشرك لأنه جعل آلهتهم كلها آلهة بحق]**!؟

ثم استثنى الكاتب فقال في الصفحة ٩٥: **[اللّهم إلا إن أراد أن كونه معبودًا بحق هذا هو معتقد العابد سواء أصاب أم ضل]**.

أليس البحث في اللغة فلماذا تقول: إن أراد كون العابد يعتقد في معبوده أنه حق؟

إن اعتقد أنه حق أم لم يعتقد!! فهو في فعله تألّه له؛ أي: تعبّد.

ويقال له: لأجل هذا بعث اللّه الرسل عليهم الصلاة والسلام؛ لإبطال ما كان يفعله أهل الشرك مع آلهتهم التي يعبدونها من دون اللّه.

وعلى هذا أيضًا يقال للكاتب: فلمَّا قصد المشركون أوثانهم وتذلّلوا لها، وثبت أنهم أقروا بأنها لا تخلق ولا ترزق؛ فإنها حينئذ ليست بإله عند المشركين وعند هذا الكاتب، أليس اللّه تبارك وتعالى وصف المشركين بقوله: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً﴾ [مريم: ٨١]!!

فمن زعم أن معنى الإله عند العرب هو المعبود غير مقيد بقيد الحقيقة والبطلان، فهذا قول فاسد، وهذا القول الكاذب هو نفسه ما ادعاه عبد المحمود الكشميري وردّ عليه الشيخ العلامة عبد الرحمٰن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]، وقال أيضًا: «وأما قول الملحد في ورقته: لعدم تحقق العبادة، إلا بعد اعتقاد استحقاق المعبود لها؛ فالجواب: هذا القيد ممنوع، وهو من جملة اختلاقاته، وأكاذيبه، لأنه فاسد شرعًا، ولغةً وعرفًا؛ فقد قال أبو طالب:

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية ٢٣٨/١١ ـ ٢٩٢.

لقد علموا أن ابننا لا مُكَذَّبٌ ... لدينا ولا يُعْنَى بقولِ الأبَاطِلِ

وقوله يخاطب النبي ﷺ:

ودعوتني وزعمت أنك ناصحٌ ... ولقد صدقتَ وكُنتَ ثمَّ أمينا
وعرضت دينًا قد علمتُ بأنه ... من خير أديان البريَّةِ دينا
لولا الملامةُ أو حِذاري سُبَّةً ... لوجدتني سمحًا بذاكَ مُبينا

فثبت بهذا: أن أبا طالب لم يعتقد أن ما كان قومه عليه من الشرك حقًّا، ولم يمنعه من الدخول في الإسلام، إلا خوف أن يسب أسلافه فقط، ومع هذا مات مشركًا، كما ثبت في الصحيح؛ وهذا يبين فساد هذا القيد.

وأخرج البيهقي في الدلائل عن عروة قال: فرَّ عكرمة بن أبي جهل يوم الفتح، فركب البحر فأخذته الريح، فنادى باللات والعزى. فقال أصحاب السفينة: لا يجوز هاهنا أحد أن يدعو شيئًا إلا اللّه وحده مخلصًا. فقال عكرمة: واللّه لئن كان في البحر وحده إنه لفي البر وحده. فأسلم.

وأخرج ابن سعد عن ابن أبي مليكة قال: لما كان يوم الفتح ركب عكرمة بن أبي جهل البحر هاربًا، فخب بهم البحر فجعلت الصراري أي الملاح يدعون اللّه ويوحدونه. فقال: ما هذا؟ قالوا: هذا مكان لا ينفع فيه إلا اللّه، قال: فهذا إلٰه محمد الذي يدعونا إليه فارجعوا بنا، فرجع فأسلم»[(١)].

ولقد تعجَّب المعلمي اليماني رَحِمَهُ ٱللَّهُ ممن «يتوهَّمون أن المشركين يعتقدون في الأصنام من أشجار وأحجار وغيرها أنها واجبة الوجود قادرة على كلِّ شيء خالقة رازقة مدبِّرة للعالَم. ولقد كَلَّمْتُ

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية ١١/٢٥٣.

بعضَهم في شأن الوثنيِّين من أهل الهند وقولهم في الأصنام، فقال: إذا كان هذا قولهم في الأصنام فليسوا بمشركين! وحجته أنهم لم يخالفوا التوحيد الذي حقَّقه علماء التوحيد، وهكذا غلب الجهلُ بمعنى لا إلٰه إلا اللّه، والغلطُ فيه وفي حقيقة الشرك الذي بعث اللّه عزَّ وجلَّ رسله لإبطاله، فإنا للّه وإنا إليه راجعون»(١).

قال القرافي: «فالعرب لم تدّع في الأصنام الكمالَ ولا الخلقَ ولا الإيجادَ. بل قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] وأخبر اللّه تعالى عنهم أنهم يعترفون باستقلال اللّه تعالى بقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ۝٩﴾ [الزخرف] وفي الآية الأخرى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧] وما علمنا أنَّ أحدًا ادعى إلهًا مع اللّه مثل اللّه تعالى من كل وجه بل ناقصًا على ما تقدم... وعابد الصنم قد سلَّم أنَّ الصنم مصنوع عاجز عن خلق الإنسان والسماء والأرض بل أيسر الحيوانات كالذباب. فلو انكسرت رجل ذبابة وجيء بها إلى الصنم وقيل له ردها لعجز عن ذلك.

ولأجل ذلك أنه لم يُسمع عن عبدة الأصنام قط أنهم أتوا بفرس ميت طلبوا منه إحياءه، أو صغيرًا من أولادهم أو نحو ذلك، بل يقطعون بأن الذباب لو جلس عليه ما نشَّه عن نفسه، ولذلك قال اللّه تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ۝٧٣﴾ [الحج].

(١) رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله، ضمن آثار المعلمي ٣٤١/٢، وللتذكير فإن الدهلوي قد غلط في هذا المقام وجعل من سجد للذباب الحقير أنه غير مشرك لهذه العلة التي دخلت عليه.

فلولا أنهم يسلِّمون ذلك لما قامت الحجة عليهم به... وعبدة الأصنام هم يعلمون حقارتهم ولم يدّعوا مساواتهم للّه تعالى، غير أنهم اعتقدوا مساواتهم له تعالى في الإلهية واستحقاق العبادة والخضوع والتذلل لهم والتقرب بالقربات من الذبائح وغيرها. وهذه أمور لا تصلح إلا لمن هو مستولٍ على المتذلل والخاضع غاية الاستيلاء.

فإذا قيل له: إن مثل اللّه تعالى والمساوي له لو فرض وجوده لبطل العالم، تفطن إلى غلطه ورجع عن اعتقاد قبول الصنم العبادة رجوعًا كليًّا إن فهم وجه الحجة، ووفقه اللّه تعالى لها، ويقول إن هذا لصحيح، والإله هو الذي هذا شأنه، وأما الصنم الذي أنا نَحَتُّهُ وصنعتُه من حجاري وبقدومي في رأسه وأجنابه حتى صار صنمًا كما أردت أنا لا كما أراد هو، ويعجز عن الذباب وأنا أقدر على السباع ورد الإبطال فهو أولى بعبادتي مني بعبادته، فإني أكمل منه ببون بعيد جدًّا، وأنا أجري مجرى الرب له والخالق لجملته والمصور لصورته، مع أني في نفسي لا أصلح أن أكون ربًّا، فهو بطريق الأولى.

فهذا في غاية الوضوح عند الفطر السليمة، واللّه تعالى يُسْمِعُ من يشاء من عباده، فالبينة على بطلان إلهية الصنم إنما هو بنفي لازم الإله الذي سلَّم الوثني انتفاءه، فيلزم قطعًا أن يسلم غلطه في عبادة الصنم»[١].

وقال ابن حزم: «مما يبطل قول من قال: إن الإيمان هو الإقرار باللسان، والمعرفة بالقلب دون الأعمال، وأن التصديق إذا سقط منه شيء سقط جميعه؛ أن اللّه أخبر عن كفار قريش، أنهم لو سئلوا عن من

---

(١) الاستغناء في أحكام الاستثناء ٣٦١ ـ ٣٦٢ باختصار.

خلقهم؛ ليقولن اللّه، وكانوا عارفين بذلك بقلوبهم، فلما سجدوا للأوثان وهم مع ذلك يعلمون أنها مخلوقة، كانوا بذلك كفارًا مشركين»[(١)].

وقال أيضًا: «فليس كل مصدق مؤمنًا باللّه تعالى، لأن اللّه تعالى قد أخبر في نص التنزيل أنهم إن سئلوا: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥]، وقد أخبر اللّه تعالى عنهم أنهم قالوا في عبادة الأوثان: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، فهؤلاء كلهم مصدقون باللّه، ومُقِرُّون بأن لا خالق لهم غيره؛ بنص إثبات اللّه ﷻ لهم ذلك، وهم مع ذلك كافرون به، غير مؤمنين؛ بكفرهم بما جاء من عند اللّه، غير مصدقين بما جحدوا من ذلك»[(٢)].

فتبين مما تقدم أن معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ ليس منصبا على اعتقاد المشركين أن معبوداتهم أرباب تخلق وترزق وتدبر، فإن هذا لم يعتقده غالب المشركين، ولا تدل الآية على أن معنى الإله في اللغة هو الخالق الرازق المدبر المستحق للعبادة بهذا القيد.

فالإله في اللغة كل من صُرِفتْ له العبادة سواء اعتقد فيه معنى الربوبية والخلق والرزق والتدبير أم لم يعتقد فيه بل عبده لأجل الشفاعة والوساطة، والآية تدل على أن المشركين يوم القيامة يعتذرون من شركهم إذا رأوا معبوداتهم التي كانوا يعبدونها، وحينئذ تكذبهم معبوداتهم وتتبرأ من عبادتهم، فلم تأمرهم بها ولا ترضى بها، فتزداد حسرات المشركين.

فهذا إيضاح ما قرره ما قرره أهل العلم في بيان معنى الإله لغة وشرعًا.

---

(١) الأصول والفروع ٧٤.

(٢) الأصول والفروع ٧٦.

➢ الرد على شبهتين للكاتب:

ظن الكاتب أن العبادة لا تسمى عبادة إلا إذا صرفت لمن اعتقد فيه عابده صفات الألوهية التي هي عنده خصائص الربوبية! واحتج بشبهتين في ٩٣ ـ ٩٤:

الأولى: أنَّ العربَ لديهم عبيدٌ مماليك خاضعون لأسيادهم وربما سجدوا للملوك والسادة ولم يسموهم آلهة.

والثانية: أن العرب اختلفوا في أنواع شركهم، ومع ذلك لم يطلقوا على معبودات غيرهم من مشركين آخرين أنها آلهة، ويقول: (فعلامَ إنكار بعضهم تسمية بعضهم الآخر معبودات غيرهم آلهة، لو كان مطلق وقوع العبادة يوجب تسمية المعبود عند العرب إلهًا) ولولا أن الإله عند العرب هو من اتصف بصفات توجب عندهم تخصيصه بهذا الاسم (لما اختلفوا فيما يطلقون عليه هذا الاسم، ولكان أي معبودٍ لدى بعضهم إلهًا عند جميعهم ومن المعلوم قطعًا أن العرب ما كانوا متفقين على آلهتهم، وأن منهم من لا يعترف بألوهية آلهة كان يؤلهها غيره).

ومراده أن لفظ الإله في إطلاقات العرب مقيد باعتقاد أنه الخالق الرازق المدبر ويزعم أن هذا اللفظ (الإله) بإطلاقه اللغوي هو المعبود بحق. والرد عليه بأن العبرة بما قرره اللّه عليهم في القرآن فاللّه تبارك وتعالى سمى معبوداتهم الباطلة آلهة ومرت آيات كثيرة في الاستدلال على هذا كقوله تعالى عن المشركين أنهم قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ﴾ [ص: ٥].

وما حكاه عن العرب وموقف مماليكهم منهم إنما حكاه من تلقاء نفسه، والكاتب ليس بعمدة في نقل اللغة ومعرفة تقريرات العرب ولغاتهم.

وكون العرب سَمّوا ما يعبدونه آلهة، ولم يسموا ما يعبده غيرهم آلهة، كلام باطل مخالف لواقع العرب، ومخالف لما قرره القرآن الكريم عنهم، فقد ذكر اللّه تعالى عن المشركين أنهم قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ۝٦﴾ [ص]، ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ۝٢٣﴾ [نوح].

ومعلوم أن هذه صارت أصنامًا، وكل قبيلة وحي من العرب اتخذ أحدَها معبودًا له، وثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد؛ أما ود كانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع كانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد، ثم لبني غطيف بالجوف عند سبأ، وأما يعوق فكانت لهمدان، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع، أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم: أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابًا، وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت»[1].

فسماها القرآن آلهةً لهم، وهم سموها (آلهتنا) (آلهتكم) وقد أجمعوا على محاربة النبي ﷺ وتكذيبه، واتفق جميع المشركين مع تنوع عباداتهم الشركية واختلاف نوع من يعبدونه على عداوة النبي ﷺ وتكذيبه والدفاع عن معبوداتهم.

ولذلك ذكر اللّه عن إبراهيم الخليل أنه كسّر أصنامهم وترك كبيرًا لهم، فكل هذه الأصنام اتخذوها معبودات لهم، ويدافع بعضهم عن بعض حتى لو لم يتجه إلى كل واحدٍ من تلك الأصنام جميعهم.

---

(١) انظر: صحيح البخاري (٤٩٢٠).

بل أوضح من هذا: أن الواحد من المشركين يعبد صنمًا ثم يتركه ويعبد غيره، ويضع صنمًا من تمر ثم يأكله، فهم في غيهم متفرقون.

وبهذا يعرف بطلان ما زعمه أن المشرك إنما يعتقد في صنمه الذي يعبده الإلهية ولا يصف بذلك صنم غيره الذي لا يعتقد فيه، بل هذا المشرك يقول عن صنم غيره إن غيره قد اتخذه إلهًا، وهذا من أوضح الأمور.

فليست العبرة بعدم اعتقاد المشرك ما يعبده غيره إلهًا.

بل النظر والاعتبار في أن كل المشركين قبل مبعث النبي ﷺ وبعد مبعثه صرفوا العبادة لغير اللّه تعالى، وتنوعت معبوداتهم، فكل منهم اتخذ آلهة دون اللّه يعبدها، فتسميتهم لما يعبده غيرهم آلهة أو عدم تسميتهم لها بذلك الوصف غير مؤثر في المعنى اللغوي لكلمة (الإله) في لغة العرب.

ثم دافع الكاتب عن نفسه في قوله: إن معنى الإله في اللغة هو المعبود بحق، فزعم أن من قال هذا: (لم يُرِدْ بيان واقع إطلاق العرب لـ (الإله)).

والرد عليه أن البحث في هذا بحث يتعلق بما نطق به العرب من هذه اللفظة وقصدوه وهو أن الإله هو المعبود، وقد أدرك الكاتب أن الحجج الواضحة عليه؛ فزعم أن مراده ليس واقع إطلاق العرب!

وهذا برهانٌ أن الكاتب متناقض يقول القول ثم يقول نقيضه غير مبال بما يترتب على ذلك.

وقد تقدم بيان معنى كلمة (الإله) في اللغة والشرع عند علماء الإسلام ولم يقل أحد منهم: إن معنى الإله في اللغة هو المعبود

بحق، بل قالوا إن معنى الإله هو المعبود مطلقًا، وبين أهل العلم أن معنى (لا إلٰه إلا اللّه) لا معبود بحق إلا اللّه.

وتقدم ذكر ردّ الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ على ما نُقل له عن بعض المبتدعة، وهو عبد المحمود الكشميري وكان هذا المبتدع يقول: (اعلم أن الإله هو المعبود فقط غير مقيد بقيد الحقيقة والبطلان إذ اشتقاقه من ألهه، إذا عبده، يوجب اتحاده معه في المعنى لعدم وجوده بدونه، إذ الاشتقاق وجود التناسب في اللفظ والمعنى).

وملخّص ما ردّ به الشيخ: أن هذا القول مصادم الكتاب والسنة والفطر والعقول واللغة والعرف، وبَسْطُ ردِّه في ما يلي:

«أما مصادمته الكتاب والسنة فإن اللّه تعالى يقول: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ﴾ [الحج: ٦٢] في عدة مواضع من الكتاب والسنة، فاللّه تعالى الحق وعبادته وحده هي الحق أزلًا وأبدًا، وما يدعى من دونه هو الباطل قبل وضع اللغات وبعدها، وهذا لا يمتري فيه مسلم أصلًا.

وأما مصادمته للعقل: فإن كل مألوه معبود ولا بد أن يكون حقًا أو باطلًا، فإن كان هو اللّه فهو الحق سبحانه، كما في حديث الاستفتاح الذي رواه البخاري وغيره: «**ولك الحمد، أنت الحق، ووعدك حق**»[1]. وإن كان المعبود غيره فهو باطل بنص القرآن. والقرآن كله يدل على أن اللّه هو الحق وأن ما يدعى من دونه فهو باطل.

وأما مخالفته للفطر: فباتفاق الناس على ما دل عليه الكتاب والسنة والمعقول، حتى أهل البدع من كل طائفة لا يقول بهذا القول الذي قاله هذا أحد منهم، لكن كل طائفة تدعي أنها أسعد من غيرها بالدليل، على ما في أدلة كل طائفة من التحريف والتأويل.

(١) أخرجه البخاري (٦٣١٧)، وأبو داود (٧٧١)، والترمذي (٣٤١٨).

وأما مخالفته للغة: فلا ريب أن الواضع وضع الألفاظ بإزاء معانيها، فكل لفظ وضع لمدلوله الذي وضع له لأجل الدلالة عليه، والواضع وضع الألفاظ دالة على معانيها، فاللفظ دال والمعنى مدلوله، يعرف هذا كل من له أدنى مسكة من عقل. وكل ما ذكرناه لا نزاع فيه ولا يعرف أن أحدًا قال بخلاف ما ذكرنا. وواضع اللغة، قال بعض العلماء: هو اللّه تعالى، وقال بعضهم: وضعها غيره من بني آدم المتقدمين بإلهام منه تعالى وجبلة جبلهم عليها. واللغات وإن تعددت فهي بإلهام من اللّه، وبها يعرف مراد المتكلم ومقصوده.

وأنه يلزم على: «قول هذا الجاهل أن الملائكة قبل خلق آدم وذريته كانت عبادتهم للّه تعالى غير مقيدة بحق ولا باطل، وهذا اللازم باطل فبطل الملزوم. وكذلك عبادة آدم وذريته قبل حدوث الشرك في قوم نوح لا توصف عبادتهم للّه بأنها حق أو باطل، وهذا اللازم باطل، فبطل الملزوم.

وكذلك قوم نوح لما عبدوا آلهتهم، وقالوا لما دعاهم نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نوح]، فيلزم على قول هذا أن عبادتهم لتلك الأصنام ليست باطلة، وهذه اللوازم الباطلة تلزمه، وببطلانها يبطل ملزومها الذي ذكرناه عنه.

وأيضًا ففي قوله هذا مضاهاة لقول ابن عربي إمام أهل الوحدة:

وعباد عجل السامري على هدى
ولائمهم في اللوم ليس على رشد[1]»[2]

---

(١) من قصيدة الأمير الصنعاني ومطلعها:

وأكفر أهل الأرض من قال إنه … إله وأن الله جل عن الند

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ٤/٣٢٥ ـ ٣٢٦.

ثم قال الشيخ:

«وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ١٧] والطاغوت: الشيطان وما زينه للمشركين من عبادة معبوداتهم التي كانوا يعبدونها من دون اللّه تعالى، كأصنام قوم نوح وأصنام قوم إبراهيم، واللات والعزى ومناة، وما لا يحصى كثرة في العرب والعجم وغيرهم، وهي موجودة في الخارج معينة معلومة الوجود كأصنام قوم نوح وغيرها مما لا يحصى كثرة.

فمن قال: لا إلٰه إلا اللّه بصدق وإخلاص وتعيين، فقد برئ من كل معبود يعبد من دون اللّه ممن كان يعبده أهل الأرض. وهذه الكلمة دلت على البراءة من الشرك والكفر به تضمنًا، ودلت عليه وعلى إخلاص العبادة للّه تعالى مطابقة، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات] بيَّن تعالى أن الحكمة في خلق الجن والإنس أن يعبدوه وحده لا شريك له ومن المعلوم أنه خلق الجن قبل الإنس، فيلزم على هذا القول الفاسد الذي أبداه هذا الجاهل أن العبادة التي خلق تعالى لها الثقلين لا توصف بحق ولا باطل حين خلقهم لها. واللازم باطل فبطل الملزوم»[(١)].

إلى أن قال متابعًا تفسير لا إله إلا الله: «وخبر (لا) التي لنفي الجنس محذوف تقديره: حق، كما دل عليه القرآن قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَـٰطِلُ﴾ [الحج: ٦٢]. وهذا قول أهل السنة والجماعة اتباعًا لما دل عليه القرآن. ومن قدر الخبر المحذوف غير ذلك كقول بعضهم: إن المحذوف

(١) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ٤/٣٢٧.

(أحد) فلا حجة له ولا برهان»[١] وبيَّن[٢] بطلان تقدير الخبر بـ (موجود) كذلك لأن تلك الآلهة الباطلة موجودة في الخارج بالفعل محسوسة.

ثم نقل قول الكشميري (لعدم تحقق العبادة إلا بعد اعتقاد استحقاق المعبود لها) وبيَّن أنه فاسد شرعًا ولغة وعرفًا وذكر أنه ورد في الشرع ما يدل على وقوع الكفر من بعض المكلفين لا اعتقادًا في معبود باطل وإنما استحبابًا لحظوظ الدنيا، وذكر أبياتًا لأبي طالب ـ وقد سبق نقلها قريبًا[٣]. وذكر أنه من المعلوم أن كل من عبد معبودًا غير اللّه وأصر على عبادته له أنه يعتقد استحقاقه للعبادة، وهذا هو الغالب على المشركين في حق معبوداتهم، ولهذا تجدهم يجادلون عنها ويناضلون مجادلة من يعتقد أنها تستحق ما كانوا يفعلونه لها من العبادة.

وبيَّن أن المراد بنفيها إبطالها والبراءة منها والكفر بها واعتزالها وغير ذلك مما سيأتي ذكره إن شاء اللّه تعالى، فكما تسمى آلهة وأندادًا وأربابًا وشركاء وأولياء؛ لأن من عبدها فقد جعلها مألوهة له وجعل لها شركة في العبادة التي هي حقه، ومثلها باللّه في عبادته لها، واتخذها أربابًا وأولياء، وكل هذا في القرآن كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]. . . وقال تعالى: ﴿وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ﴾ [القصص: ٦٤]. وقال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن

(١) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ٣٣٢/٤.

(٢) وهو مبسوط في مجموعة الرسائل والمسائل (٣٤٣/٤ ـ ٣٦٠)، وتقدم نقل كلام الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن، في تقدير الخبر بـ«موجود» ص٤٣٧ .

(٣) راجع ما سلف: ص٤٥٩.

دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١] وقال: ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوۡلِيَآءَ﴾ [الكهف: ١٠٢].

وهذا في القرآن كثير، فصارت تطلق عليها هذه الأوصاف بجعل عابديها واتخاذهم لها كذلك بعبادتهم وإرادتهم كما تقدم بيانه في هذه الآيات، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [يس] ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمۡ عِزًّا ﴿٨١﴾﴾ [مريم] فصارت آلهة بالفعل والاتخاذ والإرادة والقصد، واستشهد العلماء على ذلك بقول رؤبة بن العجاج:

لـلّـه در الـغـانـيـات الـمـده سبحن واسترجعن من تألهي

أي: من تعبدي، وتقدم كلام صاحب القاموس على هذا المعنى. وقرأ ابن عباس رضي اللّه تعالى عنهما: ﴿ويذرك وإلاهتك﴾ أي: عبادتك قال: لأنه كان يعبد وتقدم تقرير هذا في كلام العلماء.

وهذا يبين أن كل معبود إله، حقًّا كان أو باطلًا؛ لأنه قد ألهه العابد بالعبادة، وتبين بهذا أن هذا الرجل يتكلم في هذه الأمور بلا علم، ويأتي بما يخالف القرآن واللغة والسلف والعلماء، ويتناقض[(١)].

وذكر في موضع آخر سبب إطلاق الإله على غير اللّه تعالى فقال:

«وأما إطلاقه على غيره فمن جهة فعل العبد إذا أَلَّهَ غيرَ اللّه بالمحبة والإجلال، والخضوع والذل، والتوجه ودعائه، وغير ذلك من أنواع العبادة، فيكون قد أَلّههُ بذلك، وشبّهه بالإله الحق بعبادته له، فأطلق عليه بهذا الاعتبار، كما قال تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ

(١) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ٤/٣٣٣.

ءَالِهَةً قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى﴾ [الأنبياء: ٢٤] الآية. فبيَّن تعالى أن إلهيتها ليست بحق، والحق ما قام عليه البرهان. وقال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾﴾ [مريم]. ففي هذه الآية بيان: أن الإلهية هي العبادة، قال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [يس] فسماهم تعالى آلهة، وأخبر عن عجزهم عن نصرة أنفسهم، فضلًا عن غيرهم.

وقد فسّر اللّه هذه الكلمة العظيمة في مواضع من كتابه بأوضح بيان، وأظهر برهان، يعرف ذلك من طلبه، وباللّه التوفيق. وهذا الذي ذكرناه هو العلم الذي يستفاد منه التوحيد، وهذه الآلهة التي تعبد من دون اللّه هي المنفية بلا إلٰه إلا اللّه، فلا بد من نفيها بالقول والفعل والاعتقاد»[(١)].

وقال أيضًا:

«فإن قال لنا قائل: المشركون كانوا يعتقدون في آلهتهم أنها حق. قلنا: هذا هو الذي أنكرته الرسل على الأمم؛ فإن اللّه لم يبعثهم إلا لإبطال ما كان يفعله أهل الشرك مع آلهتهم التي يعبدونها من دون اللّه، ولم يجحدوا معنى ما دعتهم الرسل إليه، لكن هم لم يتركوا عبادة آلهتهم التي كانوا يعبدونها مع اللّه، وهؤلاء جحدوا المعنى الذي دلت عليه لا إلٰه إلا اللّه كما قد عرفت، فخالفوا الرسل والأمم في معنى ما دعت إليه كما تقدمت الإشارة إليه عن إمامهم ابن عربي من قوله:

وعباد عجل السامري على هدى ... ولائمهم في اللوم ليس على رشد

(١) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ٧٦٥/٥ ـ ٧٦٦.

بناء منه على مذهبه الخبيث الذي تقدم بيانه، وقالوا: إن لا إلٰه إلا اللّه لم تنف شيئًا موجودًا في الخارج، بل كل ما في الخارج من الأصنام وغيرها فهو اللّه، فلهذا صاروا أكفر الطوائف؛ لأنهم جعلوا المخلوقات هي عين الخالق، وهذا لم يقله أحد ممن تقدم من طوائف أهل الشرك، إلا ما كان من الفلاسفة، فإن قولهم يضاهي قول هؤلاء، قاتلهم اللّه، ولا حاجة بنا إلى ذكر مذهبهم»[(١)].

وقد وضح أهل العلم مسألة مهمة وهي: أنه «ليس المراد من نفي الأوثان والأصنام وغيرها في كلمة الإخلاص زوال ماهية الأصنام ونفي وجودها، وإنما المراد إنكار عبادتها والكفر بها وعداوتها كما تقدم بيانه، وكل من تبرأ منها ورغب عنها فقد نفاها بقول لا إلٰه إلا اللّه، وأثبت الألوهية للّه تعالى دون كل ما يعبد من دونه. فلما تمكن ﷺ من إزالة هذه الأصنام كسرها، وبعث من يزيل ما بعد عنه منها، فخلت الجزيرة من أعيانها، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٣].

وفيه الرد على الفلاسفة وأهل الاتحاد القائلين بأن المنفي كليٌّ يوجد ذهنًا ولا يوجد منه في الخارج إلا فرد، بناء على ما اعتقدوه في اللّه تعالى من الكفر به وبكتابه وبرسوله، وقد عرفت أن المنفي بها أفراد متعددة من الأصنام والأنداد والشركاء والأولياء، من حين حدث الشرك بعبادة الأصنام في قوم نوح إلى أن تقوم الساعة.

فيجب بلا إلٰه إلا اللّه البراءة من كل ما يعبده المشركون من دون اللّه. فلا بد من نفي هذا كله بالبراءة من عبادته ومن عابديه. فمن تبرأ من عبادتها كلها وأنكرها وكفر بها، فقد قال لا إلٰه إلا اللّه وأخلص العبادة للّه وحده، وصار بهذا التوحيد مسلمًا مؤمنًا.

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ٥/٧٦٩.

وتأمل ما ذكره المفسرون في قول اللّه تعالى: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ۝٤ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ [ص]»[1].

قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن: «ثم أتى بطامة أخرى، كأخواتها، فقال: إنه لا حاجة إلى تقدير في الخبر، بل يقدر من الأفعال العامة، كالوجود، والإمكان، وهذا مبني على أساسه الفاسد الواهي، وهو قوله: إن (إله) يستعمل ويراد به: الإله الحق، في الكلمة الطيبة، فكونه حقًّا، يستفاد عنده من اسم (لا) وهو: إله، فلا حاجة إلى أن يجعل الخبر حقًّا، وكل من تصور المعنى المراد أي تصور، يعرف أن المنفي كون هذه الآلهة التي عبدت من دون اللّه حقًّا، ويعرف فساد هذا القول، وقد مر تقريره في كلامنا.

والنزاع بين الرسل ومن خالفهم، في حقيقة معبوداتهم مع اللّه، لا في وجودها، فإن الوجود أمر محسوس لا ينكر، ولكن أهل الكلام يكذبون بالحسيات والبديهيات، ويزعمون أنهم أهل العلم والعقليات، ويسمون نصوص الكتاب والسنة ظنيات، وقواعد المناطقة قطعيات، فلا عجب من ضلالهم في معنى هذه الكلمة. وما أحسن ما حكى اللّه عن رسله من قولهم، لمن كذب بتوحيده، وشك فيما جاءت به رسله: ﴿أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ﴾ [إبراهيم: ١٠]، لأن هذا من أظهر الظاهرات، وأوضح الواضحات، وأبين البينات.

وليس يصح في الأذهان شيء   إذا احتاج النهار إلى دليل»[2]

والخلاصة أنه ليس معنى الإله: الخالق أو المدبر لأمر العالم

(١) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ٤/٣٤٤.
(٢) الدرر السنية في الأجوبة النجدية ٢/٣٤٠.

كله ولا بعضه، ولم يكن أحد من العرب الذين سمّوا أصنامهم وغيرها من معبوداتهم آلهة يعتقدون أن اللات أو العزى أو غيرهما خلق شيئًا من العالم أو يدبر أمرًا من أموره.

ولذلك تجد القرآن يحتج بما يعترفون به من توحيد الربوبية، على ما ينكرونه من توحيد الألوهية.

فالإله الحق هو الذي يعبد بحق وهو واحد، والآلهة التي تعبد بغير حق كثيرة جدًّا، وهي آلهة باطلة فهي في الحقيقة غير آلهة ولكن باتخاذ المشركين لها وفعلهم وقصدهم لها فإنها تسمى آلهة.

وكذلك معنى قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ وإلهكم الحق الحقيق بالعبادة إلٰه واحد لا إلٰه مستحق لها إلا هو، فلا تشركوا به أحدًا.

ومثله قوله تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [النحل: ٥١]، وقال تعالى: ﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦].

واتخاذ إلٰه مع اللّه سواء اعتقد المشرك أن هذا المتخذ ينفع ويضر استقلالًا ـ وهو نادر ـ أو اعتقد أنه ينفع ويضر بإقدار اللّه إياه وتفويضه بعض الأمر إليه؛ كل ذلك شرك باللّه واتخاذ آلهة معه.

قال الشيخ عبد الرحمٰن بن حسن رَحِمَهُ اللَّهُ: «ثم إن هذا الرجل، انتهى أمره ـ فيما كتبه ـ إلى أن زعم أن المنفي بـ (لا) كلي، وهذا الكلي منوي ذهنًا، لا يوجد منه في الخارج إلا فرد، وذلك الفرد المنفي بـ (لا) هو المستثنى بعينه؛ وهذا صريح كلامه، وأتى فيه بثلاث عظائم، هي إلى الكفر أقرب منها إلى الإيمان:

الأولى: أنه زعم أن المنفي بـ (لا) كلي لا يوجد إلا ذهنًا؛

فعنده أنها لم تنف طاغوتًا، ولا وثنًا، ولا صنمًا، ولا غيرها، مما يعبد من دون اللّه؛ فخالف أيضًا أهل المنطق، فإنَّ الكلي عندهم مقول على كثيرين، مختلفين بالعدد دون الحقيقة، ولم يقولوا: إنه منوي لا يوجد منه في الخارج إلا فرد.

الثانية: أنه زعم أن ذلك الفرد الذي لا يوجد غيره، لمَّا كان منفيًّا بـ (لا) صار ثابتًا بـ (إلا)، وهو فرد واحد؛ فصار الإله عنده متصفًا بالنفي والإثبات. والنفي والإثبات في فرد نقيضان، ومقتضاه أن هذا الفرد صار أولًا باطلًا لأنه منفي، ثم صار حقًّا لأنه استثني بـ (إلا)؛ فاجتمع فيه الوصفان، نعوذ باللّه من هذا التهافت والإلحاد، والتناقض والعناد. وقد عرفت أن النحاة وأهل الكلام كالرازي وغيره ومن قبلهم، يعلمون أن المنفي غير المثبت، كما سنذكر عنهم اتفاقهم على ذلك، وأنه لا يحصل التوحيد إلا بذلك؛ وهذا أمر يعرفه كل أحد، حتى مشركو العرب ومن ضاهاهم، من الأمم أعداء الرسل، يعلمون أنها نفت الآلهة التي كانت تعبد من دون اللّه، وأثبتت إلهية الحق الذي أقروا أنه رب كل شيء ومليكه، وخالق كل شيء ورازق كل حي، وذلك هو اللّه العلي الأعلى، القاهر فوق عباده.

والثالثة: أنه صرح أن المنفي كلي، والفرد الموجود في الخارج جزئي، تعالى اللّه عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا؛ وهذا هو حقيقة قول هذا، ولهذا مثله بقوله: لا شمس إلا الشمس.

ومن أشكل عليه فساد قول هذا وضلاله، فليتدبر القرآن، وليراجع كلام المفسرين في معنى كلمة الإخلاص، وما وضعت له، وما دلت عليه هذه الكلمة العظيمة؛ فقد قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ [البقرة].

فدلت الآية على أنه لا يكون مستمسكًا بلا إلٰه إلا اللّه، إلا إذا كفر بالطاغوت، وهي العروة الوثقى، التي لا انفصام لها؛ ومن لم يعتقد هذا، فليس بمسلم، لأنه لم يتمسك بلا إلٰه إلا اللّه. فتدبر واعتقد ما ينجيك من عذاب اللّه، وهو تحقيق معنى لا إلٰه إلا اللّه نفيًا وإثباتًا.

وتدبر قوله تعالى عن خليله عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزخرف]؛ والكلمة هي: لا إلٰه إلا اللّه، بإجماع المفسرين؛ فلا أحسن من هذا التفسير، ولا أبين منه، وليس للجنة طريق إلا بمعرفته وقبوله، واعتقاده والعمل به. نسأل اللّه أن يوزعنا شكر ما أنعم به علينا من هذا التوحيد، والبصيرة فيه، ولا حول ولا قوة إلا باللّه.

فتأمل كيف عبر الخليل عليه السلام، عن هذه الكلمة بمدلولها الذي وضعت له، من البراءة من عبادة كل معبود سوى اللّه، من وثن وصنم، وغير ذلك، وقصر العبادة على اللّه وحده بقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾. ودلَّت على أن المنفي جنس، تحته أفراد موجودة في الخارج يعبدها المشركون، وليست آلهة إلا في حق من يعبدها ويتألهها، دون من يكفر بها، ويتبرأ منها، ويعاديها، ويعادي من عبدها.

إذا ثبت ذلك وعرفت أن الحق فيما دل عليه كتاب اللّه، وسنة رسوله، في بيان معنى هذه الكلمة، فاعلم: أن النحاة والمتكلمين، اختلفوا: هل تحتاج (لا) النافية لخبر مضمر، أم لا؟ فمنعه الرازي، والزمخشري، وأبو حيان، وقالوا: إنه يكفي في الدلالة على التوحيد، ما تضمنته من النفي والإثبات، بناء على أن أصلها مبتدأ وخبر، ثم

قدم الخبر على المبتدأ، ثم دخل حرف النفي على الخبر المقدم، ودخل حرف (إلا) مستثنى على المبتدأ؛ فانتفت الإلهية عن كل ما سوى اللّه، من كل ما يعبد من دونه، من صنم، ووثن، وطاغوت، وغير ذلك.

هذا مضمون ما ذهب إليه هؤلاء، وغيرهم وافقهم في المعنى، فاتفقوا أن المستثنى مخرج بـ (إلا)، ولولا الاستثناء لدخل؛ قال الكسائي هو مخرج من اسم لا، وقال الفراء مخرج من حكم اسمها وهو النفي؛ والصحيح: أنه مخرج منهما، كما قرره العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)].

إذا عرفت ذلك، فكثير من النحاة وغيرهم، يقولون: لا بد لها من خبر مضمر. قال بعض من صنف في إعراب هذه الكلمة، ومعناها ـ بعد كلام له سبق ـ أقول: قد عرفت أن المضمر على تقدير: أن يكون في الكلام إضمار، إما الخبر، أو المرفوع بـ (إلا)، المُكتفى به عن الخبر.

وقد عرفت أيضًا أن المعنى المقصود في لا إلٰه إلا اللّه، هو قصر الألوهية على اللّه تعالى؛ والعلامة الدواني قائل بهذا، كما يشير إليه في البحث الخامس من رسالته، وصرح به في شرحه للعقائد العضدية، حيث قال[(٢)]: «واعلم: أن التوحيد إما بحصر وجوب الوجود، أو بحصر الخالقية، أو بحصر العبودية»، ثم قال: الأول كذا، والثاني كذا، وساق الكلام، وحقق المقام، أي في رده، إلى أن قال: «والثالث، وهو: حصر العبودية، وهو أن لا يشرك بعبادة

(١) تقدم الإشارة إليه في بدائع الفوائد ٣/٥٦ ـ ٥٨.
(٢) حواشي الكلنبوي والخلخالي والمرجاني على شرح العقائد العضدية لجلال الدين الدواني ٢/١٢٣.

ربه أحدًا، فقد دلت عليه الدلائل السمعية، وانعقد عليه إجماع الأنبياء عليهم السلام؛ وكلهم دعوا المكلفين أولًا إلى هذا التوحيد، ونهوهم عن الإشراك في العبادة، قال تعالى: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ۝٩٥ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝٩٦﴾ [الصافات]»[(١)] انتهى.

ثم قال الناقل: ومصداق إجماع الأنبياء، قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ۝٢٥﴾ [الأنبياء] بعد قوله تعالى: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ ۝٢٤﴾ [الأنبياء].

وقوله تعالى: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ۝٢﴾ [النحل]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ۝٤٥﴾ [الزخرف] إلى أن قال:

فإثبات الألوهية له تعالى على وجه الانحصار، فرع على أصل ثبوتها له تعالى، وأصل ثبوتها له تعالى، فرع على ثبوته تعالى في نفسه؛ بل أصل ثبوت الألوهية له تعالى أيضًا على ما يقتضيه دلالة هذا الكلام لغة، أمر مسلم الثبوت مفروغ منه، لا نزاع فيه.

وإنما النزاع أي مع المشركين في قصر الألوهية عليه تعالى؛ فالموحد يخصُّها به، فيقول: لا إلٰه إلا اللّه، والمشرك ينكر...»[(٢)] إلى آخر ما قرره الشيخ عبد الرحمٰن بن حسن رحمه اللّه تعالى، وهو مناسب جدًّا في الرد على هذا الكاتب.

(١) المصدر السابق ١٣٨/٢.

(٢) الدرر السنية في الأجوبة النجدية ٢٦١/١١ ـ ٢٦٦.

نقض شبهات:

«المبحث الخامس:
أثر تعريف العبادة
في بيان تلازم الربوبية بالعبادة»



➢ الرد على الكاتب في ادعائه أن لفظ العبادة لغة يلزم منه اعتقاد الربوبية:

اشتمل هذا الموضع من كتابه على شبهة قديمة، أراد الكاتب الترويج لها، وهي: أن العبادة لا تكون عبادة إلا إذا صرفها العابد لمن يعتقده ربًّا أو جعل له صفات الربوبية كالاستقلال بالنفع والضر، وأما إذا لم يعتقد أنه ربّ، ولم يعتقد فيه صفات الربوبية، فلو صرف له العبادة فلا تسمى عبادة.

وحاول الكاتب جاهدًا أن يستخرج من كلام بعض المفسرين وبعض أهل اللغة ما يساعده على تحقيق مراده، واستنكر تعريف العبادة المعروف عند أهل العلم في اللغة وفي الشرع، وأورد عليه عدة اعتراضات ساقطة وشبهات كاسدة.

وسأنقل أقوالًا لبعض أهل الأهواء:

منهم سلامة القضاعي العزامي الشافعي (ت: ١٣٧٦) من أشهر الصوفية، قال: «كل ما يدل على التعظيم لا يكون من العبادة إلا إذا اقترن به اعتقاد الربوبية لذلك المعظَّم أو صفة من صفاتها الخاصة بها»[(١)].

(١) البراهين الساطعة ٣٨١.

وقال أيضًا: «الإتيان بأنواع الخضوع الظاهرية من قيام وركوع وسجود وغيرها مع ذلك الاعتقاد القلبي، فإن أتى بواحد منها بدون ذلك الاعتقاد لم يكن ذلك الخضوع عبادة شرعًا ولو كان سجودًا.. فلا يكون به كافرًا إلا إذا قارنه اعتقاد الربوبية للمسجود له»[(١)].

فعند هؤلاء لا يكون صرف الدعاء والاستغاثة والذبح والنذر والسجود وسائر العبادات لغير اللّه شركًا ولا كفرًا إلا في حالة اعتقاد الربوبية في غير اللّه، وبهذا هوّنوا من أمر الشرك لكل من أظهر الإسلام.

وقد التزم أهل الأهواء المتأخرون القول بأنَّ سبب كفر أهل الجاهلية في عبادتهم غير اللّه لأجل اعتقاد أنهم ينفعون أو يضرون استقلالًا، ويقول أحدهم: «وإنما كفر أهل الجاهلية بعبادة الأصنام لتضمنها اعتقادهم ثبوت شيء من صفات الربوبية لها»[(٢)]، ويقول سلامة القضاعي العزامي: «والمشركون إنما كفروا بسجودهم لأصنامهم ونحوه لاعتقادهم فيها الاستقلال بالنفع والضر ونفوذ المشيئة لا محالة مع اللّه»[(٣)].

والرد على هؤلاء جميعًا سيكون من خلال بيان معنى العبادة في اللغة والشرع، وأنه لا يوجد في كل هذه التعريفات القيد الذي اخترعوه، وهو: (اعتقاد العابد في المعبود الربوبية أو بعض خصائصها).

---

(١) البراهين الساطعة ٣٧٦ ـ ٣٧٧.

(٢) الرد على بعض المبتدعة من طائفة الوهابية لمحمد عبدالمجيد، ١١.

(٣) الفرقان ١١٣.

بيان معنى العبادة وأن النقل يكون عن أهل اللغة في بيان معنى العبادة في اللغة وأنه لا يشترط فيها القيد الذي وضعه الكاتب:

بيَّن أهل اللغة أن معنى العبودية في اللغة هي الذل والخضوع.

فقد جمع الأزهري (ت: ٣٧٠) أقوال كثير من متقدمي أهل اللغة فقال: «وأخبرني المنذري عن أبي الهيثم أنه قال: المعبَّد: المذَّلل. والمعبَّد: البعير الجرِب. وأنشد لطرفة:

وأفردت إِفْرَاد الْبَعِير المعُبَّدِ

قال والمعبَّد: المكرَّم في بيت حاتم حيث يقول:

تَقول أَلا تُبقي عَلَيْك فإنني أرى المَال عِنْد الممسكين مُعَبَّدَا

أي معظمًا مخدومًا.

قال: وأخبرني الحرَّاني عن ابن السكيت: يقال استعبده وعبده **أي أخذه عبدًا وأنشد قول رؤبة:**

يَرْضَوْنَ بالتعبيد والتأمِيّ

قال: ويقال: تعبَّدت فلانًا أي اتخذته عبدًا، مثل عبدته سواء. وتأمَّيت فلانة أي اتخذتها أمة.

وقال الفراء: يقال: فلان عبدٌ بين العبودة والعبودية والعبْدية. وتعبَّد اللّه العبد بالطاعة أي استعبده.

وقال اللّه جل وعز: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ﴾ [المائدة: ٦٠] قرأ أبو جعفر وشيبة ونافع وعاصم وأبو عمرو والكسائي: ﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ﴾.

قال الفراء: هو معطوف على قوله: ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ﴾ ومن عبد الطاغوت.

وقال الزجاج: قوله ﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ﴾ نسق على ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾ المعنى: من لعنه اللّه ومن عبد الطاغوت. قال وتأويل ﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ﴾ أي أطاعه يعني الشيطان فيما سول له وأغواه. قال: والطاغوت هو الشيطان.

قال في قول اللّه تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾: إيَّاك نطيع الطاعة التي نخضع معها.

قال: ومعنى العبادة في اللغة: الطاعة مع الخضوع. ويقال طريق معبَّد إذا كان مذلَّلا بكثرة الوطء، وبعير معبد إذا كان مطليًّا بالقطران. وقرأ: ﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ﴾». إلى أن قال: «وقال شمر: قيل للبعير إذا هُنِيءَ بالقطران: مُعَبَّدٌ لأنَّه يتذلَّل لشهوته للقطران وغيره، فلا يمْتنع. والتعبُّد: التذلّل. قَالَ: والمعَبَّد: المذلَّل. يقال: هو الذي يترك ولا يركبُ»[(١)].

ونقل ابن منظور (ت ٧١١) أقوال عدد من متقدمي أهل اللغة فقال: «وقال في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾؛ أي نطيع الطاعة التي يخضع معها، وقيل: إيَّاك نوحد، قال: ومعنى العبادة في اللغة الطاعة مع الخضوع، ومنه طريق معبَّد إذا كان مذلَّلا بكثرة الوطء».

ثم قال: «والمعبَّد: المذلَّل. والتعبّد: التذلل، ويقال: هو الذي يترك ولا يركب. والتعبيد: التذليل. وبعير معبَّد: مذلَّل. وطريق معبَّد: مسلوك مذلَّل، وقيل: هو الذي تكثر فيه المختلفة».

ونقل عن أبي بكر محمد بن القاسم ابن الأنباري (ت: ٣٢٨)

(١) تهذيب اللغة ١٣٨/٢ ـ ١٤٢.

قوله: «**فلان عابد: وهو الخاضع لربه المستسلم المنقاد لأمره**»[(١)].

وقال الزمخشري (ت: ٥٣٨): «يقال: عبد بيّن العبودية، وأقرّ بالعبودية. وفلان قد استعبده الطمع. وتعبدني فلان واعتبدني: صيرني كالعبد له. قال:

تعبّدني نمر بن سعد وقد أرى ونمر بن سعد لي مطيع ومهطع

وعبده وأعبده: جعله عبدًا. قال:

علام يعبدني قومي وقد كثرت فيهم أباعر ما شاءوا وعبدان

وأعبدني فلانًا: ملكنيه. وتعبَّد فلان وتنسّك. وقعد في متعبده. وطريق وبعير معبَّد: مذلّل، وتقول: لا تجعلني كالبعير المعبّد، والأسير المتعبد»[(٢)].

وقال الرازي الحنفي (ت ٦٦٦): «وأصل العبودية الخضوع والذل. و(التعبيد) التذليل يقال: طريق (معبَّد)»[(٣)].

وقال ابن مالك (ت: ٦٧٢) في «إكمال الإعلام بتثليث الكلام» ٢/٤٠٤: «والعبادة الطَّاعة، والخضوع»[(٤)].

وقال السمين الحلبي (ت: ٧٥٦): «والعِبادة غاية التذلل، ولا يستحقُّها إلا من له غايةُ الإفضالِ وهو الباري تعالى، فهي أبلغ من العبودية، لأنَّ العبودية إظهارُ التذلل، ويقال: طريق مُعَبَّد، أي مذلَّل بالوطء، قال طرفة:

(١) لسان العرب ٣/٢٧٣.
(٢) أساس البلاغة ١/٦٣٠.
(٣) مختار الصحاح ١٩٨.
(٤) لسان العرب ٣/٢٧٣.

تباري عِتاقًا ناجِياتٍ وَأَتْبَعَتْ وَظِيفًا وظيفًا فوقَ مَوْرٍ مُعَبَّدِ»[(١)]

وقال: «قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ أي نذل ونخضع»[(٢)].

ثم قال: «ويقال: طريق معبَّد، أي مذلَّل بالوطء؛ قال طرفة بن العبد:

تباري عتاقًا ناجياتٍ وأتبعت وظيفًا وظيفًا فوق مورٍ معبد

قوله: ﴿أَنۡ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء: ٢٢] أي اتخذتهم عبيدًا وخولًا. وقيل: ذللتهم ذلة العبيد. وقيل: كلفتهم الأعمال الشاقة التي تكلف مثلها العبدان. وأنشد:

علام يعبدني قومي وقد كثرت فيهم أباعر ما شاؤوا وعبدان؟

يقال: أعبدته مثل عبدته»[(٣)].

وقال الفيروز آبادي (ت: ٨١٧): «والعبدية والعبودية والعبودة والعبادة: الطاعة» ثم قال: «والمعبد، كمعظم: المذلل من الطريق وغيره»[(٤)].

وقال: «وعبد بين العبدية والعبودية والعبودة. وأصل العبودية الخضوع والذل. وقوله تعالى: ﴿فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ۝٢٩﴾ أي في حزبي. والتعبيد: التذليل، طريق معبَّد: مذلَّل. وأعبده: اتخذه عبدًا. وأعبدني فلان فلانًا: ملكني إيَّاه. والتعبيد: الاستعباد، وهو أن تتخذه عبدًا، وكذلك الاعتباد. وتعبدني: اتخذني عبدًا.

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ١/٥٧.
(٢) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ٣/٢٠.
(٣) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ٣/٢٢.
(٤) القاموس المحيط، ص ٢٩٦.

والعبادة: الطاعة، وهي أبلغ من العبودية، لأنها غاية التذلل لا يستحقها إلا من له غاية الإفضال، وهو اللّه تعالى. والعبادة ضربان: ضرب بالتسخير كما ذكرناه في السجود، وضرب بالاختيار وهو لذي النطق، وهو المأمور به في قوله: ﴿ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾»[١].

وقال الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥): «وقال بعض أئمة الاشتقاق: أصل العبودية: الذل والخضوع... ونقل عن ابن الأثير أن معنى العبادة في اللغة: الطاعة مع الخضوع»[٢].

ومما سبق نجد إطلاق لفظ (غاية) في قول بعض أهل اللغة كقول الفيروزآبادي «**لأنها غاية التذلل**» لأن العرب لا يطلقون اسم العبادة على أي خضوع أو أي تذلل لكن ما بلغ المنتهى في ذلك، ولا يقصدون أن العابد يكون في أحسن أحوال الخلق كلهم في العبادة كما يشوش بذلك هذا الكاتب.

وتفسير العبادة بالطاعة والانقياد؛ لأن ذلك من مقتضى العبادة ولازمها، فتبين مما تقدم أن العبادة في اللغة: الذل والخضوع، والمراد بذلك غايته، وليس أي ذل أو خضوع.

النقل عن أهل التعريفات والحدود الجامعة في بيان معنى العبادة وأنه لا يشترط فيها القيد الذي ادعاه الكاتب:

وقال الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦): «العبادة فعل المكلف على خلاف هوى نفسه تعظيمًا لربه»[٣].

قال المناوي (ت: ١٠٣١): «العبادة: فعل المكلف على خلاف

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٤/٩.
(٢) تاج العروس من جواهر القاموس ٨/٣٣٠.
(٣) التعريفات ص ١٤٦.

هوى نفسه تعظيمًا لربه. وقيل: تعظيم اللّه وامتثال أوامره. وقيل: هي الأفعال الواقعة على نهاية ما يمكن من التذلل والخضوع المتجاوز لتذلل بعض العباد لبعض، ولذلك اختصَّ الربُّ فهي أخص من العبودية لأنها التذلل»[١].

وقال الكفوي (ت ١٠٩٤): «والطاعة هي الموافقة للأمر، أعم من العبادة، لأن العبادة غلب استعمالها في تعظيم اللّه غاية التعظيم، والطاعة تستعمل لموافقة أمر اللّه وأمر غيره، والعبادة تعظيم يقصد به النفع بعد الموت، والخدمة: تعظيم يقصد به النفع قبل الموت، والعبودية: إظهار التذلل، والعبادة أبلغ منها لأنها غاية التذلل، والطاعة فعل المأمورات ولو ندبًا، وترك المنهيات ولو كراهة، فقضاء الدين والإنفاق على الزوجة والمحارم ونحو ذلك طاعة اللّه وليس بعبادة، وتجوز الطاعة لغير اللّه في غير المعصية، ولا تجوز العبادة لغير اللّه تعالى»[٢].

وقال أيضًا: «العبادة: قال عكرمة: جميع ما ذكر في القرآن من **العبادة؛ فالمراد به التوحيد**»[٣].

النقل عن أهل التفسير في بيان معنى العبادة وبطلان قيد اعتقاد الربوبية لحصول معنى العبادة:

وفي نقل عن خمسة من المفسرين بالمأثور وثلاثة من المفسرين المحققين **«ابن أبي حاتم وابن أبي زمنين وابن جرير وابن كثير والبغوي وابن تيمية والشنقيطي والسعدي»**.

---

(١) التوقيف على مهمات التعاريف ص٢٣٥.
(٢) الكليات ص٥٨٣.
(٣) الكليات ص٥٩٧.

فأورد ابن أبي حاتم أثر ابن عباس في معنى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾. يعني إياك نوحد ونخاف ونرجو يا ربنا لا غيرك[(١)].

قال ابن أبي زمنين في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾: «قال محمد: معنى العبادة في اللغة: الطاعة مع الخضوع، ومن هذا يقال: طريق معبّد إذا كان مذللًا بكثرة المشي عليه»[(٢)].

وقال ابن جرير في تفسيره: «وإنما اخترنا البيان عن تأويله بأنه [أي كلمة: نعبد] بمعنى نخشع ونذل ونستكين، دون البيان عنه بأنه بمعنى نرجو ونخاف، وإن كان الرجاء والخوف لا يكونان إلا مع ذلة؛ لأن العبودية عند جميع العرب أصلها الذلة، وأنها تسمى الطريق المذلل الذي قد وطئته الأقدام وذللته السابلة: معبَّدًا. ومن ذلك قول طرفة بن العبد:

تباري عتاقا ناجيات وأتبعت وظيفًا وظيفًا فوق مور معبَّدِ

يعني بالمور: الطريق، وبالمعبد: المذلل الموطوء، ومن ذلك قيل للبعير المذلَّل بالركوب في الحوائج: معبَّد، ومنه سمي العبد عبدًا لذلته لمولاه. والشواهد من أشعار العرب وكلامها على ذلك أكثر من أن تحصى، وفيما ذكرناه كفاية لمن وفق لفهمه إن شاء اللّه تعالى»[(٣)].

وقال أيضًا: «العبادة: الخضوع للّه بالطاعة والتذلل له بالاستكانة»[(٤)].

وقال البغوي في تفسيره: «قوله ﴿نَعۡبُدُ﴾ أي نوحدك ونطيعك

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم ٢٩/١.
(٢) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ١١٩/١.
(٣) جامع البيان ١٥٩/١.
(٤) جامع البيان ٣٨٥/١.

خاضعين، والعبادة الطاعة مع التذلل والخضوع وسمي العبد عبدًا لذلته وانقياده يقال: طريق معبد أي مذلل»[(١)].

وقال شيخ الإسلام: «والعبادة أصل معناها الذل أيضًا يقال: طريق معبَّد إذا كان مذلَّلًا قد وطئته الأقدام»[(٢)].

وقال ابن كثير في تفسيره: «العبادة في اللغة من الذلة، يقال: طريق معبد، وبعير معبد، أي: مذلل، وفي الشرع: عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف»[(٣)].

وقال الشنقيطي: «أصل العبادة الذل والخضوع، ومنه قيل للعبد (عبدٌ) لذلّه وخضوعه بين يدي سيده، فكل خاضع ذليل يقال له: عبد وعابد. فالعبادة: الذل والخضوع، وهو معنى معروف في كلام العرب مشهور، ومنه قول طرفة بن العبد في معلقته:

تباري عتاقا ناجيات وأتبعت   وظيفًا وظيفًا فوق مور معبد

يعني: فوق طريق مذلل»[(٤)].

والعبادة المقبولة المرضية عند الله تعالى هي: «اسم جامع لكل ما يحبه اللّه ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة»[(٥)].

قال الشيخ عبد الرحمٰن السعدي: «﴿العبادة﴾ اسم جامع لكل ما يحبه اللّه ويرضاه من الأعمال، والأقوال الظاهرة والباطنة»[(٦)].

---

(١) تفسير البغوي ١/٥٣.
(٢) العبودية ٤٨.
(٣) تفسير ابن كثير ١/١٣٤.
(٤) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير ٣/٥٧٥.
(٥) العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية ص٤٤.
(٦) تيسير الكريم الرحمٰن ص ٣٩.

وقال أيضًا: «العبادة والعبودية للّه: اسم جامع لكل ما يحبه اللّه ويرضاه من العقائد وأعمال القلوب وأعمال الجوارح، فكل ما يقرب إلى اللّه من الأفعال والتروك فهو عبادة؛ ولهذا كان تارك المعصية للّه متعبدًا متقربًا إلى ربه بذلك، ولا تتم العبادة إلا بالإخلاص ـ الإخلاص للّه وحده ـ: بأن يقصد العبد وجه اللّه ورضاه وثوابه في أعماله الظاهرة والباطنة، وضده العمل للرياء والسمعة، ولأجل عرض الدنيا، وميزان هذا قوله تعالى عن خيار الخلق: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا﴾ [المائدة: ٢]، وقوله ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى اللّه ورسوله فهجرته إلى اللّه ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه**»، وجميع الأعمال على هذا النمط، وقد يراد بالهجرة هنا الهجرة العامة التي قال فيها النبي ﷺ: «**والمهاجر من هجر ما نهى اللّه ورسوله عنه**»»(١).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «(اللّه) هو المألوه المستحق لإفراده بالمحبة والخوف والرجاء وأنواع **العبادة كلها، لما اتصف به من صفات الكمال، وهي التي تدعو الخلق إلى عبادته والتأله له**»(٢).

وهذا التعريف هو بالنظر إلى صور العبادة وأمثلتها وما يظهر من العابد.

وبين بعض أهل العلم حقيقتها من حيث ما يقوم بالقلب من كمال الذل والخضوع للّه مع غاية الحب له، قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى الحب فهي تتضمن غاية الذل للّه تعالى بغاية المحبة له»(٣).

(١) تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن ص ٣٦١.
(٢) تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن ص ٩.
(٣) العبودية ٢٦.

وقال ابن القيم:

«وعبادة الرحمٰن غاية حبه مع ذل عابده هما قطبان
وعليهما فلك العبادة دائر ما دار حتى قامت القطبان»[(١)]

وقال أيضًا: «العبادة تجمع أصلين: غاية الحب بغاية الذل والخضوع.

والعرب تقول: طريق مُعبَّد، أي مذلل، والتعبد: التذلل والخضوع؛ فمن أحببته ولم تكن خاضعًا له لم تكن عابدًا له، ومن خضعت له بلا محبة لم تكن عابدًا له حتى تكون محبًا خاضعًا»[(٢)].

وقال ابن كثير: «وفي الشرع عبارة عمَّا يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف»[(٣)].

وقال ابن أبي العز: «فإن العبادة تتضمن كمال المحبة ونهايتها، وكمال الذل ونهايته»[(٤)].

وقال بعضهم: «العبادة ما أمر به شرعًا من غير اطراد عرفي ولا اقتضاء عقلي»[(٥)].

«قال الفخر إسماعيل[(٦)]، وأبو البقاء[(٧)]: العبادة ما أمر به شرعًا

---

(١) الكافية الشافية ٤٣.

(٢) مدارج السالكين ١/١١٥ ـ ١١٦.

(٣) تفسير ابن كثير ١/١٣٤.

(٤) شرح العقيدة الطحاوية ٤٣٢.

(٥) التحبير شرح التحرير للمرداوي ٢/١٠٠١.

(٦) إسماعيل بن علي بن حسين البغدادي الفقيه الأصولي أبو محمد يلقب فخر الدين، توفي سنة ٦١٠هـ رحمه اللّه تعالى. انظر: الذيل على طبقات الحنابلة ٢/٦٦.

(٧) عبدالله بن الحسين بن عبدالله بن الحسين العكبري الفقيه المفسر الضرير، توفي سنة ٦١٦هـ رحمه اللّه تعالى. انظر: الذيل على طبقات الحنابلة (٢/١٠٩.

من غير اطراد عرفي، ولا اقتضاء عقلي، وسمي العبد عبدًا لذلته، وانقياده لمولاه»[(١)].

وقال الشوكاني: «والعبادة أقصى غايات الخضوع والتذلل»[(٢)].

وقال السرخسي: «العبادة: اسم لما يكون المرء بمباشرته مطيعًا لربه»[(٣)].

➢ الرد على الكاتب فيما أثاره من شبهات في بيان معنى العبادة لغة واصطلاحًا:

أولًا: تناقض الكاتب: فهو بعنوانه الذي وضعه ص ٩٧: فقال: (أثر تعريف العبادة في بيان تلازم الربوبية بالعبادة)، فالكاتب هنا زعم أن الربوبية ملازمة لمعنى العبادة في اللغة، بينما في الصفحة ١٠٤: حين قال «**فإن قيل: لكن هذا التعريف لا يوافق التعريف اللغوي الذي جعل العبادة غاية الخضوع والذل**» فأجاب بـ «**من جمد عند فهمه القاصر الذي تمسك بظاهر لفظ التعريف اللغوي للعبادة..**» فهذا اعتراف منه بأن التعريف اللغوي للعبادة مخالف لتحريفاته.

وكل مشرك عبد غير اللّه تقليدًا لآبائه وأسلافه من غير اعتقاد منه في معبوده أنَّ فيه صفات الربوبية؛ لا يقال: إنه ليس بمشرك لأجل إقراره بالربوبية.

ثانيًا: بهذا التعريف للعبادة يكون قول المشركين في الجاهلية

(١) المبدع في شرح المقنع ١٢/٢.
(٢) فتح القدير للشوكاني ٢٧/١.
(٣) أصول السرخسي ٨٣/١.

«**لبيك لا شريك لك إلا شريكًا هو لك، تملكه وما ملك**»[(١)] منجيًا لهم من الشرك والكفر؛ فقولهم: «**تملكه وما ملك**» نفي للربوبية عن الشريك، فهل يقول عاقل مثل هذا!

ثالثًا: أن هذا القيد لم يذكره أئمة الإسلام في التفسير والفقه والحديث، فهم يصفون من يسجد لغير اللّه ويستغيث بغيره بأنه مشرك ولا ينتظرون أن يقال هل يعتقد فيمن عبدهم أنهم خلقوا أو رزقوا أو نحو ذلك من معاني الربوبية.

رابعًا: أن يقال لهؤلاء: إنكم بهذا التقرير لمعنى العبادة لا يكون عندكم فعل أهل الجاهلية ـ بصرف الدعاء والسجود والعكوف والذبح والنذر لغير اللّه ـ شركاً، وإنما يكون الشرك ما قام بقلوبهم من اعتقاداتهم أن معبوداتهم تتصرف في الكون وتخلق وترزق وتدبر!! وهذا الأمر قد نفاه اللّه تعالى وبين أن المشركين لا يعتقدونه كما في آيات كثيرة: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]، ونجد أن اللّه تعالى في القرآن حكم عليهم بالكفر والشرك بنفس تلك العبادات ولم يجعل الأمر منوطًا بشيء في قلوبهم ـ وإن كان القلب لا بد أن يكون فيه من الكفر ما فيه ـ ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [النمل: ٢٤]، وقال اللّه عن هؤلاء: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [النمل] ولذلك نظائر في القرآن يعرفها من أراد اللّه هدايته ولا حول ولا قوة إلا باللّه.

قال الكاتب ص ١٠٤ ـ ١٠٥: **[إن العمل لن يبلغ غاية**

(١) صحيح مسلم (١١٨٥).

الخضوع والذل والمحبة أصلًا إلا إذا كان مصروفًا لمن اعتقد اتصافه بخصائص الربوبية أو بعضها].

ثم قال:

[وأتحدَّى أن يُوجِدَ أحدٌ غايةً للخضوع والذل والمحبة فوق من صَرَفَ خضوعَه وذُلَّه ومحبته لمن اعتقده ربًّا له مختصًّا بالربوبية أو بعض خصائصها، وهذا التحدِّي لن ينفكَّ من إلزامه أحدٌ؛ إلا أن يستطيع أن يقوم به،، وما هو بقائم].

والرد عليه:

١ ـ أن المقلد للآباء والأسلاف لا يبالي أن يفعل ذلك من المشركين الأولين والمشركين المتأخرين، بل الذين يجادل عنهم هم كذلك، فإنهم يعتقدون فيمن هتفوا باسمه واستغاثوا به أنه يملك ويرزق ويمنع من دخول النار، ويجعلون هذا من كراماتهم.

وقد مدح أحد كتبهم، وحثَّ الناس على قراءته والرجوع إليه: (المنهج المطهر للجسم والفؤاد)، وعبد الوهاب الشعراني يعتقد في الأولياء أنهم يتصرفون، وأنهم يعلمون الغيب ويطلعون على اللوح المحفوظ، وهذه من خصائص الربوبية، وفي الكتاب يبين سلامة اعتقاد من يستغيث بالموتى بطلب المدد والشفاعة وسؤالهم غفران الذنوب وكشف الكروب، وأنهم يديرون البلدان ويتصرفون في الكون، وقد تقدم أمثلة على ضلالاتهم وشركهم في الربوبية.

٢ ـ هل يليق بمسلم أن يقول للقراء متحديًّا من يخالفهم في مسألة صورتها اعتقاد الربوبية في غير اللّه فيقول في تحديه: **[وأتحدَّى أن يُوجِدَ أحدٌ غايةً للخضوع والذل والمحبة فوق من صَرَفَ خضوعَه وذُلَّه ومحبته لمن اعتقده ربًّا له مختصًّا بالربوبية أو بعض خصائصها،**

وهذا التحدِّي لن ينفكَّ من إلزامه أحدٌ؛ إلا أن يستطيع أن يقوم به، ، وما هو بقائم].

وهذا منه استخفاف، وإلا كيف يسوغ أن يقال: حاول أن تجعل غاية خضوعك ومحبتك وتذللك وتعظيمك لغير من تعتقد فيه الربوبية لتكتشف أنك لا تستطيع ذلك إلا لمن اعتقدته خالقاً!!

فهل هذه العقيدة محل تجارب؟!

ثم هل عدم وجود ـ ولو فرضًا ـ مثل هذه الغاية في حق من لم يكن خالقًا ينفي عن عابده صفة التعبد له؟ واللّه يقول عن المشركين: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ﴾ [البقرة: ١٦٥] وهم لم يجعلونهم شركاء للّه في الربوبية بل هم يعتقدون أنهم لا يملكون مع اللّه شيئًا، قال شيخ الإسلام: «فصاروا مشركين لأنهم أحبوهم كحبه لا أنهم قالوا إن آلهتهم خلقوا كخلقه»[(١)].

وهذا التحدي المذكور من قبيح القول وسيئه، وما أجرأه على مثل هذا، نسأل اللّه تعالى لنا وله وللمسلمين السلامة والعافية.

➢ الرد على الشبهة الثانية للكاتب ص ١٠٥:

وخلاصتها: أن الأعمال تتفاوت في الخضوع والذل والمحبة، وإذا قيل إن العبادة غاية الخضوع والذل والمحبة أخرجنا من الأعمال ما ليس بغاية فالسجود مثلًا أبلغ من القيام والركوع فلا يكونان عبادة، والتصدق بمقدار معين أبلغ منه المقدار الأكبر منه فيلزم أن من لم يبلغ الغاية لا يكون عابدًا؛ وعليه فلا يوجد عابد إلا الرسول ﷺ ومن سواه فلم يبلغ مبلغه فلا يوصف بأنه عابد، ثم زعم أن ذكر كلمة

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١/٣١١).

«**الغاية**» يفسد معنى العبادة فجاء ليقرر معنى آخر يشذ به عن الأولين والآخرين فقال الكاتب عن معنى العبادة في الصفحة ١٠٦: «**إنها أعمالٌ من الخضوعِ والذلِّ والمحبة قد بلغت الغاية التي تُصَيِّرها عبادة: وهو أن يكونَ المقصود بـ(الغاية) المذكورة: هي الغاية التي يَنْصَرِفُ بها العملُ ويُتوجَّهُ به إلى المتّصف بخصائص الربوبية أو بعضها**».

والرد عليه: أن المراد بقول أهل العلم غاية الخضوع والذل والمحبة ليس بلوغ الكمال الذي ليس فوقه شيء أبدًا، وإنما مرادهم تمييز العبادة عن الذل الذي لا يصاحبه حب وخضوع، أو الحب الذي لا يقارنه ذل وخضوع؛ فمثل هذا لم يبلغ الغاية ولا يكون عبادة.

وأيضًا فإن عبادة المؤمن قد يقارنها نسيان وانشغال وعدم حضور قلب؛ فلا ينفي ذلك عنها صفة العبادة.

أما الذل مع الخضوع والحب؛ فهذا حقيقة ما يقوم بالقلب من المعنى، وهذا المعنى تتفاوت فيه قلوب العابدين بحسب ما لديهم من العلم والاعتقاد واليقين.

وأيضًا فالمنافق النفاق الأكبر إذا صدرت منه العبادة كالسجود والركوع والدعاء والنذر؛ فهو قام بعبادة ويسمى عابدًا، وإن لم يكن بقلبه الخضوع والذل والحب.

وضد المؤمن الموحد المشرك عابد القبر وعابد الشجر والحجر والصنم؛ فمثل هؤلاء إذا سجدوا لمعبوداتهم وتمسحوا بها وذبحوا لأجلها فهم عابدون لها، وإن لم يقم بقلوبهم الخضوع والذل والمحبة لمعبوداتهم.

➢ الرد على شبهة الكاتب بذكر بعض أفعال المشركين التي ليس فيها خضوع بزعمه:

وهي: أن من أفعال المشركين الرقص والتصفيق والصفير وهذه الأعمال لا يظهر فيه شيء من الخضوع والذل واللّه سماها صلاة أي عبادة، وعليه فالعبادة عمل قلبي وهو اعتقاد الربوبية في المعبود وليس العمل الظاهر، وصرح بهذه الكلمة فقال: «غاية الخضوع والذل التي تُورَد في تعريف العبادة يجب أن تكون عملًا قلبيًّا وليس قيدًا في عمل الجوارح لتُعدَّ عبادة».

والرد عليه: أن الصفير والتصفيق المذكور في الآية عبادة من أهل الجاهلية يتعبدون بها، وفيها من إظهار الذل والخضوع والمحبة والتزام هيئات معينة ما يجعلهم يتظاهرون بتعظيم اللّه بذلك، ومثله كشف عوراتهم؛ فإنهم يتعبدون بذلك، وهذا أمر فيه صعوبة على كل نفس، فيهينون أنفسهم بذلك يظنون أن ذلك يقربهم إلى اللّه تعالى، فظهر أن هذه العبادة الباطلة تتضمن الخضوع والذل والمحبة لمن صرفت له.

وليس الخضوع والذل يكون بالسكون فقط بل الحركة قد تكون كذلك فالجهاد في سبيل اللّه، والرمي وتعلمه، والسبق، والمشي إلى المساجد، والطواف بالبيت والرمل بين الركنين، والسعي بين الصفا والمروة والإسراع الشديد بين العلمين، وهكذا رمي الجمار، والانتقال بين المشاعر، ونحو ذلك كل هذه عبادات جليلة عظيمة تتضمن الذل والخضوع والمحبة للّه رب العالمين، وهناك من يصرف مثلها لغير اللّه كما يفعل المشركون اليوم عند القبر المزعوم أنه لنبي اللّه هود عليه السلام وغيره من القبور، فلديهم طواف بالقبر وسعي وتبرك واعتكاف

يضاهئون بذلك عبادة أهل الإسلام فيما يصرفونه لغير اللّه من عبادات نسال اللّه العافية والسلامة.

فدعوى الكاتب عدم ظهور الخضوع والذل في صور بعض العبادات العملية دعوى غير صحيحة.

قال اللّه تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأعراف].

نقل ابن جرير الطبري: عن مجاهد قال: «كانوا يطوفون بالبيت عراة، يقولون: نطوف كما ولدتنا أمهاتنا، فتضع المرأة على قبلها النسعة أو الشيء، فتقول:

اليوم يبدو بعضه أو كله فما بدا منه فلا أحله

وقال مجاهد: فاحشتهم أنهم كانوا يطوفون بالبيت عراة.

وعن السدي قال: كان قبيلة من العرب من أهل اليمن يطوفون بالبيت عراة، فإذا قيل: لم تفعلون ذلك؟ قالوا: وجدنا عليها آباءنا، واللّه أمرنا بها.

قال أبو جعفر: فتأويل الكلام إذن: وإذا فعل الذين لا يؤمنون باللّه، الذين جعل اللّه الشياطين لهم أولياء، قبيحًا من الفعل، وهو «الفاحشة»، وذلك تعريهم للطواف بالبيت وتجردهم له، فعذلوا على ما أتوا من قبيح فعلهم وعوتبوا عليه، قالوا: وجدنا على مثل ما نفعل آباءنا، فنحن نفعل مثل ما كانوا يفعلون، ونقتدي بهديهم، ونستن بسنتهم، واللّه أمرنا به، فنحن نتبع أمره فيه.

يقول اللّه جل ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿قل﴾ يا محمد، لهم:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ﴾، يقول: لا يأمر خلقه بقبائح الأفعال ومساويها، ﴿أَتَقُولُونَ﴾، أيها الناس، ﴿عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾، يقول: أتروون على اللّه أنه أمركم بالتعري والتجرد من الثياب واللباس للطواف، وأنتم لا تعلمون أنه أمركم بذلك؟»[(١)].

وقال ابن كثير: «وكان هذا شيئًا قد ابتدعوه من تلقاء أنفسهم، واتبعوا فيه آباءهم ويعتقدون أن فعل آبائهم مستند إلى أمر من اللّه وشرع، فأنكر اللّه تعالى عليهم ذلك»[(٢)].

عن ابن عباس قال: كانت قريش يطوفون بالبيت وهم عراة يصفّرون ويصفقون، فأنزل اللّه: ﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾ [الأعراف: ٣٢]، فأمروا بالثياب[(٣)].

وقال القرطبي: «قال ابن عباس: كانت قريش تطوف بالبيت عراة، يصفقون ويصفرون، فكان ذلك عبادة في ظنهم والمكاء: الصفير. والتصدية: التصفيق، قاله مجاهد والسدي وابن عمر ﭫ». ثم قال: «ففيه رد على الجهال من الصوفية الذين يرقصون ويصفقون ويصعقون»[(٤)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وفاحشة أولئك إنما كانت طوافهم بالبيت عراة، وكانوا يقولون: لا نطوف في الثياب التي عصينا اللّه فيها، فهؤلاء إنما كانوا يطوفون عراة على وجه اجتناب ثياب المعصية»[(٥)].

---

(١) جامع البيان ١٣٩/١٠.
(٢) تفسير ابن كثير ٤٠٢/٣.
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم ١٤٦٦/٥، والطبراني (١٢٣٢٤).
(٤) الجامع لأحكام القرآن ٤٠٠/٧.
(٥) مجموع الفتاوى ٢٤٦/٢١.

ولــو اطلع كل عارف بأحوال المبتدعة من الخرافيين؛ لعرف أنهم يتعبدون برقصهم وهزهم، ويجعلون ذلك من الذل للّه تعالى والخضوع، ويزعمون أن في ذلك التخلص من الشهوات، والإعانة على الوصول للفناء الذي يفتح باب المكاشفات بزعمهم!!

والتعبد بالرقص قديم، قال ابن القيم: «وطائفة أخرى اتّخذت للقمر صنمًا، وزعموا أنه يستحق التعظيم والعبادة، وإليه تدبير هذا العالم السفلي. ومن شريعة عبادته: أنهم اتخذوا له صنمًا على شكل عجل يجره أربعة، وبيد الصنم جوهرة، ويعبدونه، ويسجدون له، ويصومون له أيامًا معلومة من كل شهر، ثم يأتون إليه بالطعام والشراب، والفرح والسرور، فإذا فرغوا من الأكل أخذوا في الرقص والغناء وأصوات المعازف بين يديه»[(١)].

قال العز بن عبد السلام: «وأما الرقص والتصفيق فخفَّة ورعونة مشبهة لرعونة الإناث، لا يفعلها إلا راعن أو متصنِّع كذاب.. ومن هاب الإله وأدرك شيئًا من تعظيمه لم يتصوَّر منه رقص ولا تصفيق، ولا يصدر التصفيق والرقص إلا من غبيّ جاهل، ولا يصدران من عاقل فاضل، ويدلّ على جهالة فاعلهما أن الشريعة لم ترد بهما في كتاب ولا سنة، ولم يفعل ذلك أحد الأنبياء ولا معتبر من أتباع الأنبياء، وإنما يفعل ذلك الجهلة السفهاء الذين التبست عليهم الحقائق بالأهواء، وقد قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]، وقد مضى السلف وأفاضل الخلف ولم يلابسوا شيئًا من

(١) إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان ٢/٩٧٥.

ذلك، ومن فعل ذلك أو اعتقد أنه غرض من أغراض نفسه وليس بقربة إلى ربه، فإن كان ممن يقتدَى به ويعتقد أنه ما فعل ذلك إلا لكونه قربة فبئس ما صنع لإيهامه أن هذا من الطاعات، وإنما هو من أقبح الرعونات»[(١)].

➢ الرد على الكاتب في نقله عن بعض أهل العلم:

أولًا: ما نقله الكاتب ص٩٨ عن ابن الأنباري، حذف منه ما عُلِّمَ بخطٍّ تحته هنا، فقد قال ابن الأنباري: «وقولهم: رجل عابِدٌ، قال أبو بكر: معناه رجل خاضع ذليل لربِّه. من قول العرب: قد عبدت اللّه أعبده: إذا خضعت له، وتذللت، وأقررت بربوبيته. وهذا مأخوذ من قولهم: طريق معبد: إذا كان مذللًا، قد أثر الناس فيه. قال طرفة:

تُباري عِتاقًا ناجِياتٍ وأَتْبَعَتْ وَظِيفًا وَظِيفًا فوقَ مَوْرٍ مُعَبَّدِ

معناه: فوق طريق مذللٍ. ويقال: بعير معبّد: إذا كان مذللًا قد طُلي بالهِناء من الجرب، حتى ذهبت وبره. قال طرفة:

إلى أنْ تحامتني العشيرةُ كلُّها وأُفْرِدْتُ إفرادَ البعيرِ المعبَّدِ

معناه: المذلَّل. ويقال: بعير معبد: إذا كان مُكَرَّماً. وهذا الحرف من الأضداد. قال حاتم:

تقولُ ألا امسِكْ عليكَ فإنَّني أرى المالَ عندَ الباخِلينَ مُعَبَّدا

معناه: مُكَرَّما. ويُروى: معتدّا، أي: يجعلونه عُدَّةً للدهر.

قال اللّه ﷻ: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾، قال أهل اللغة: معنى نعبد:

---
(١) قواعد الأحكام ٢/٣٥٧ ـ ٣٥٩.

نخضع ونذل ونعترف بربوبيتك. وقال أهل التفسير: [معناه]: إيّاكَ نُوحِّد»[١].

وبحذفه النص المشار إليه أعلاه يتبين غلط الكاتب.

ثانيًا: قول ابن عاشور: «ومعنى العبادة في اللغة العربية قبل حدوث المصطلحات الشرعية دقيق الدلالة، وكلمات أئمة اللغة فيه خفية؛ والذي يستخلص منها أنها إظهار الخضوع للمعبود، واعتقاد أنه يملك نفع العابد وضره ملكًا ذاتيًّا مستمرًا». وقد نقله الكاتب ص ١٠٢ وفرح به، وادعى أنه (لخّص معنى العبادة في اللغة)، وهو مردود من وجوه:

١ ـ لم يحتج ابن عاشور بدليل صحيح لا من اللغة ولا من غيرها، وليس قوله بحجة في اللغة حتى يقبل.

٢ ـ ابن عاشور جرى على طريقة الأشاعرة المتأخرين[٢]، وهو يتابعهم في تقريراتهم في تحريف صفات اللّه ﷻ، وصرح بذلك في مواضع، ولأجل ذلك فلا غرابة أن يتابعهم في غلطهم في تفسير معنى الإله والعبادة، **لهذا اشترط هنا الاعتقاد**: (واعتقاد أنه يملك نفع العابد وضره).

٣ ـ يعتمد ابن عاشور قول ابن سينا في درجات العبادة، وابن سينا من أئمة الباطنية المكذبين بالرسالات جميعًا، وقد ذكر ابن عاشور قول ابن سينا بعد نقل له عن الرازي «**قلت: ولم يسم الإمام المرتبة الثالثة باسم، والظاهر أنها ملحقة في الاسم بالمرتبة الثالثة**

---

(١) الزاهر في معاني كلمات الناس ١/١٠٧.

(٢) وابن عاشور يعتزُّ بانتمائه إلى الفرقة الأشعرية في مواضع من كتبه، من ذلك قوله في تفسيره ١/٤٤٣: «فلذلك كانت الآية أسعد بمذهبنا أيها الأشاعرة».

أعني العبودية؛ لأن الشيخ ابن سينا قال في الإشارات (العارف يريد الحق لا لشيء غيره ولا يؤثر شيئًا على عرفانه وتعبده له فقط ولأنه مستحق للعبادة ولأنها نسبة شريفة إليه لا لرغبة أو رهبة) اهـ. فجعلهما حالة واحدة»[(١)].

فمثل هذا المفسر إذا كان مرجعه ابن سينا والرازي وأشباههما، فلا يعتبر قوله عند أهل العلم والإيمان في أبواب الاعتقاد.

ثالثًا: وأما ما نقله عن ابن جرير الطبري في ص ٩٧ ـ ٩٨ وزعم الكاتب أن ابن جرير يرى أن العبادة هي: (الخضوع بالطاعة والتذلل بالاستكانة) ثم قال: (لن يكونا عبادة إلا مع هذا الإقرار بالربوبية للإله).

فهذا غلط على الطبري، وذلك أن ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ يفسر سورة الفاتحة ويبين معنى قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ فيقول: «**لك اللّهم نخشع ونذل ونستكين إقرارًا لك يا ربنا بالربوبية لا لغيرك**»[(٢)]، وكذلك في تفسيره قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١] فيقول ابن جرير: «**وقد دللنا فيما مضى من كتابنا هذا على أن معنى العبادة الخضوع للّه بالطاعة والتذلل له بالاستكانة**»[(٣)].

فقوله: «**الخضوع للّه**» يبين أن ابن جرير لا يتكلم عن تفسير العبادة عند العرب قبل الإسلام بل هو هنا يفسر معنى العبادة الوارد في الآية؛ فليس للكاتب حجة في ادعائه أن العبادة في اللغة لا بد أن تكون (مع الإقرار بالربوبية للإله).

---

(١) التحرير والتنوير ١/١٨١. قال ابن تيمية: «وما ذكره ابن سينا في مقامات العارفين في إشاراته هي من أسباب دعاء هؤلاء إلى ما هم عليه...» الرد على الشاذلي ص٢٣٣.
(٢) جامع البيان ١/١٥٩.
(٣) جامع البيان ١/٣٨٥.

رابعًا: وهكذا ما نقله عن الواحدي في ص ١٠١ في معنى العبادة «الطاعة مع الخضوع والتذلل، وهو جنس من الخضوع لا يستحقه إلا اللّه ﷻ، وهو خضوع ليس فوقه خضوع»[(١)].

فهذا لا يدل على القيد في معنى العبادة في اللغة وادعاء اشتراط اعتقاد الربوبية في المعبود، ولذلك فالكاتب لما شعر بضعف حجته بنقله عن الواحدي وضع حاشية مطولة يريد إقناع القارئ بما ادعاه وأنى له ذلك.

ثم إن الواحدي أتبع ذلك بقوله: «وسمي العبد عبدًا لذلته وانقياده لمولاه، ويقال: طريق معبَّد، إذا كان مذلَّلا موطوءًا بالأقدام، وهو في شعر طرفة»[(٢)]، وهذا يؤكد عدم اشتراط ذلك القيد الذي وضعه الكاتب وأمثاله.

وأما ما ادعاه الكاتب أنه في تفسيره الوسيط قال نحوًا من ذلك فليس بصحيح، وهذا نص كلامه في الوسيط: «ونعبد من العبادة، وهي الطاعة مع الخضوع، ولا يستحقها إلا اللّه ﷻ، وسمي العبد عبدًا لذلته وانقياده لمولاه، وطريق معبد: إذا كان مذلَّلا بالأقدام»[(٣)].

بل في تفسيره المسمى بالوجيز قال فيه: «نخصُّك ونقصدك بالعبادة وهي الطَّاعة مع الخضوع»[(٤)].

خامسًا: ما نقله عن بعض أهل اللغة والشاه ولي اللّه الدهلوي.

فقد نقل عن أبي بكر الأنباري وأبي هلال العسكري وابن سيده، وكل ما نقله لا يخرج عما تقدم، وهو أن سياق كلامهم في

---

(١)(٢) التفسير البسيط ٥١٦/١.
(٣) التفسير الوسيط ٦٨/١.
(٤) التفسير الوجيز ٨٩.

تفسير قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ وقول بعضهم: «**نعترف بربوبيتك**» لا يدل لا من قريب ولا من بعيد أن معنى العبادة في اللغة لا يتم إلا بالإقرار للمعبود بالربوبية؛ بل هذا المعنى الشرعي في عبادة اللّه تعالى، فلا بد من الإقرار بربوبية اللّه ولا بد أيضًا من إفراده بالعبادة. فلو أقر للّه بالربوبية وصرف العبادة للّه ولغير اللّه لم ينفعه ذلك الإقرار.

ثم إن الكاتب أعرض عن عشرات النصوص الصريحة من كبار أئمة اللغة الدالة على أن مسمى العبادة لغة لا يوجد فيه هذا القيد، وقد تقدم ذكر بعضها، فحال الكاتب حال من يبحث عن كلمة هنا أو هناك يتشبث بها، ومع ذلك لم يجد في كلام هؤلاء ما يعينه على غلطه، وللّه الحمد والمنة.

ونقله عن الدهلوي في ص ١٠٢، وقوله إن تعريفه للعبادة من التعاريف المنضبطة، غير مقبول، وذلك أن الدهلوي ليس بحجة في اللغة حتى يرجع إليه، بل إذا ذكر الدهلوي قولًا فلا بد من معرفة دليله وحجته وإلا لم يقبل.

وقول الدهلوي: «والإشراك في السجدة كان متلازمًا للإشراك في التدبير»[1] هذا قول غير صحيح فليس هذا بحال المشركين، ألم ينقل عنهم الدهلوي أنهم يقولون: «**إلا شريكًا هو لك، تملكه وما ملك**» فالذي يعتقد في معبوده أنه مملوك لا يعتقد فيه التدبير والاشتراك في التدبير، وأغلب شرك العرب كان في اعتقادهم في معبوداتهم أنها تقربهم إلى اللّه زلفى كما تقدم، وهذا يوضح أن قول الدهلوي هنا لم يتم تحريره.

(١) حجة اللّه البالغة ١/١٢٠.

وفي هذا المقام أنقل قول ابن حزم وهو من أوسع من عرف مقالات الناس ونقلها:

«ومما يبطل قول من قال: إن الإيمان هو الإقرار باللسان، والمعرفة بالقلب دون الأعمال، وأن التصديق إذا سقط منه شيء سقط جميعه؛ أن اللّه أخبر عن كفار قريش، أنهم لو سئلوا عن من خلقهم؛ ليقولن اللّه، وكانوا عارفين بذلك بقلوبهم، فلما سجدوا للأوثان وهم مع ذلك يعلمون أنها مخلوقة، كانوا بذلك كفارًا مشركين»[(١)].

ردود أهل العلم والإيمان على دعاة الشرك ودحض شبهاتهم وهي منطبقة على شبهات الكاتب:

قال الشيخ عبد اللطيف آل الشيخ: «فهذا الكلام نشأ عن جهله باللغة والشرع، وما جاءت به الأنبياء، فإن العبادة تتضمن غاية الخضوع والذل، ومنه طريق مُعَبَّد: إذا كان مذللًا قد وطئته الأقدام، هذا أصلها في اللغة.

وأما في الشرع فهي: اسم جامع لكل ما يحبه اللّه ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة. قاله شيخ الإسلام.

وقال بعضهم: هي ما أمر به شرعًا، من غير اقتضاء عقلي، ولا اطراد عرفي.

وقال بعضهم: هي فعل ما أمر اللّه به ورسوله، وترك ما نهى اللّه عنه ورسوله، ابتغاء وجه اللّه والدار الآخرة.

فدخل في هذه التعاريف والحدود جميع أنواع العبادات،

---

(١) الأصول والفروع ٧٤.

فلا يقصد بها غير اللّه، ولا تصرف لسواه»[(١)].

قال الشيخ عبد اللّه أبا بطين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومما يتعين الاعتناء به: معرفة حدود ما أنزل اللّه على رسوله؛ لأن اللّه سبحانه ذم من لا يعرف حدود ما أنزل اللّه على رسوله، فقال تعالى: ﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ [التوبة: ٩٧].

قال شيخ الإسلام: ومعرفة حدود الأسماء واجبة؛ لأن بها قيام مصلحة الآدميين في المنطق الذي جعله اللّه رحمة لهم، لاسيما حدود ما أنزل اللّه على رسوله من الأسماء: كالخمر، والربا. فهذه الحدود هي المميزة بين ما يدخل في المسمى وما يدل عليه من الصفات، وبين ما ليس كذلك.

وقد ذم اللّه سبحانه من لم يعلم حدود ما أنزل اللّه على رسوله[(٢)]. انتهى

ففرض على المكلف: معرفة حد العبادة وحقيقتها التي خلقنا اللّه لأجلها، ومعرفة حد الشرك وحقيقته الذي هو أكبر الكبائر.

وتجد كثيرًا ممن يشتغل بالعلم لا يعرف حقيقة الشرك الأكبر، وإن قال: إنه الشرك في العبادة؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦]، ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف]، وقوله ﷺ: «**حق اللّه على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا**».

فإنه ـ مع اعترافه بأن الشرك الذي حرمه اللّه: هو الشرك في العبادة ـ لا يعرف حد العبادة وحقيقتها، وربما قال: العبادة التي صرفها لغير اللّه شرك: الصلاة والسجود.

---

(١) تحفة الطالب والجليس ١٠٨.

(٢) مجموع الفتاوى ٩/٥٩، وانظر منه فصل جامع نافع ١٩/٢٣٥ ـ ٢٥٩.

فإذا طلب منه الدليل على أن اللّه سمى الصلاة لغيره أو السجود لغيره شركًا، لم يجده. وربما قال: **لأن ذلك خضوع، والخضوع لغير اللّه شرك.**

فيقال له: هل تجد في القرآن أو السنة تسمية هذا الخضوع شركًا؟ فلا يجده.

فيلزمه أن يقول: لأنه عبادة لغير اللّه.

فيقال: وكذلك الدعاء، والذبح والنذر: عبادات، مع ما يلزم هذه العبادات من أعمال القلوب: من الذل والخضوع، والحب والتعظيم، والتوكل والخوف، والرجاء وغير ذلك.

وفي الحديث: «**الدعاء مخ العبادة**»[1] وقد قرن اللّه سبحانه بين الصلاة والذبح في قوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ [الكوثر]، أي: أخلص له صلاتك وذبيحتك، فكما أن الصلاة لغير اللّه: شرك، فكذا قرين الصلاة، وهو الذبح لغيره: شرك.

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝١٦٣﴾ [الأنعام].

ومن العجب: قول بعض من يحتج للمشركين بالأموات: إنهم لا يرجون قضاء حاجاتهم من الميت ونحوه.

فنقول: هذا مكابرة ومغالطة؛ لأنه من المعلوم عند كل ذي عقل: أنهم ما دعوهم وتذللوا وخضعوا لهم، وبذلوا أموالهم بالنذور والذبائح؛ إلا لأنهم يرجون حصول مطلوبهم، وقضاء حاجاتهم من جهتهم.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٧١).

فكيف يتصور عند عاقل أن يسمع من يسأل الميت والغائب حاجة بأن يقول: أعطني كذا، أو أنا في حسبك، ويستغيث به في دفع عدو أو كشف ضر، ويتذلل ويخضع له، ثم يقول: إنه لا يرجو حصول مطلوبه ودفع مرهوبه من جهته!!»[(١)].

وقال شيخنا الشيخ صالح آل الشيخ في رده على محمد علوي مالكي.

«والعبادة: هي الذلُّ والخضوعُ والاستكانة في لغة العرب، وسُمِّيت العباداتُ بذلك لأنها تُفْعَل مع الذلِّ والخضوع والاستكانة، وتورثُ الخضوعَ لربِّ العالمين في المآل، لأمره ونهيه، والأنسَ به والذلِّ بين يديه والانكسار.

هذا ما تعلمه العربُ من كلامها، فلفهمِهم المعنى أبوا أن يخضعوا لـ (لا إلٰه إلا اللّه) ولو بنطقِ كلمة.

وإذا تدبرت أحوالَ بعض الناس اليومَ وجدتَ ذلَّهم وخضوعهم عند القبور وأبنيتها، وتحت قبَابِها، وفي المسير إليها أعظمَ من خَضَعَانِهم وانكسارهم، إذا كانوا في مسجدٍ للّه ليس فيه قبر، ولا قُبَّة.

وعند القبورِ تلك من نواقضِ معنى إفرادِ اللّه بالعبادة شيء لا تحصر صوره، فمن طائف بالقبر سبعًا، ومن قائل: يا ولي اللّه! اشفِ مريضي، وأزلِ الدينَ عني. ومن قائل: أنا في حَسْبك ووقايتك ارفع الآفات عني. يعتقدون في المقبور أن له تصرفًا في الكون بتفويض اللّهِ له التصرفَ، فمنهم من أُعطيَ بلدًا يرزقُ من يشاء ويَدْفَعُ عمن يشاء، ومنهم من أعطي قُطرًا، ومنهم من فُوِّضَ له ربعُ العالم، ومنهم من فُوِّض له أمرُ الأرض كلها، وهو المسمى بالغوثِ، هكذا يزعمُ عبادُ

(١) الانتصار لحزب اللّه الموحدين ٦٠ ـ ٦٣.

القبور. وهؤلاء في ذلك كمن اعتقد تفويضَ اللّه أمرَ العالَمَ للكواكبِ السبعة.

ومنهم من أبى عقلُه أن يشركَ في التصرف، كما فعله أولئك، ولكنه سار مع طائفةٍ أخرى فيما سماه أبو البقاء الكفويُّ في (الكليات): شركَ تقريبٍ، وهو سائقٌ لشركِ التصرف؛ فادعى مع المُدَّعين، وخاض مع الخائضين، وطَلبَ من الأموات المقبورين أن يشفعوا له في غُفْران ذنبه، أو سَعَةِ رزقه، أو رَفْع كربته، أو شفاء مريضه، يدعون الوسائطَ أن تتوسطَ لهم عند اللّه فتشفعَ بحاجاتهم.

وكأنَّ اللّه جَلَّ وعلا قد أغلقَ أبوابَهُ دون حاجاتهم ودَعَواتهم، وكأنه في ملزومِ فعلِهم لا يعطي ولا يُمَتِّعُ إلا بتوسطِ وسيطٍ، وفي هذا من التنقصِ ما فيه.

وتجدُهم يتحببون لهذا المقبور بأنواع القُرَب: فمن مهريقٍ الدمَ باسمه، ومن ناذرٍ له، ومن طائفٍ حول قَبره يتقرب بالسعي والطوافِ لنيل شفاعته.

فهذان النوعان من الشرك الأكبر قد فَشَيا، ولا حول ولا قوة إلا باللّه، وقد أشرتُ أثناءَ هذه الورقاتِ إلى أن أولَ من أحدث الشركَ الأكبرَ في المسلمين من هذه الأمة هم الباطنيون؛ وعلى رأسهم إخوانُ الصفا، وتولى كبر ذلك الدولةُ العبيدية.

وكثر انخداعُ الناسِ، وخاصةً الجهالَ بها، ووجد أناسُ آخرون في ذلك نعم المصدرُ لاكتسابِ معايشهم، وراج ذلك أكثرَ ما راج في الصوفية لكثرة المتعبدين بجَهْلٍ فيهم، فصاروا لُعْبةً وسَلْوى لأولئك، يتحكمون فيهم؛ لأجل الدنيا.

ثم شاع بعد القرن الخامس ذاك في الناس وكثر، فعَمَّ وطَمَّ وقَلَّ أن سَلِمَ منه بلدٌ، وفي كل قرن يعيش أولياء، وكل من مات قُبِّبَ على قبره، واتُّخِذَ مزارًا، يستشفعُ به، ويسأل ويدعى.

فكثرت القبورُ، وكثرت العطايا للقبور، فكثر السدنةُ والمنتفعون، والمالُ فِتْنَةٌ، والجاهُ فِتْنَةٌ، والسيادةُ فِتْنَةٌ.

وأحبَّ من لم يتبع التوحيدَ أن يعظمَه الناسُ في حياته، فمن مُقَبِّلٍ للأيدي والأرجل، ومن متمسحٍ بالثياب خاضعٍ بالقول، والقلب والجوارح.

وقد رأيت مرة رجلًا يُظَنُّ عالمًا في المطافِ حول البيت العتيق، وهو يدورُ مقهقهًا مع رفيقٍ له، ومن الناس من تمسَّح به وقَبَّلَ يده! أي حالٍ تلك؟! وأي قلوبٍ هاتيك القلوبُ التي تقهقه حول الكعبةِ المشرفة، ثم هم أولياءُ في زعمهم؟!

ووصفُ أحوال المنتسبين للإسلام اليوم يطولُ، ولكنَّ الإيماءَ كافٍ، فالإطالةُ تضني، وقد جادلت يومًا ببلدٍ إفريقيٍّ أحدَ المفتونين من كبار العلماءِ المُحَبَّذين لعبادة القبور والسدنةِ حولها، في حالهم، ومعنى العبادة، ومفهوم الشهادتين، فقال: أنا أعلم أنكم على الحق؛ ولكن (سيب) الناس تعيش!

إن هذا هو الواقعُ، فالمسألةُ ليست نصرةً للحقِّ بدلائله، ولكنها سيادةٌ وجاهٌ وسمعةٌ وأموالٌ، ثم يبحث لتثبيتِ هذا المقررِ سَلَفًا في الدلائل الشرعيةِ، وإنْ كانت أحاديثَ مكذوبة، وفي الدلائل العقلية، وإن كانت أوهى من خيوط العناكب.

وإن المحافظةَ على المجد والسيادة مما يحرص عليها ناصرو المذاهب البدعية، يورثونها أولادهم لحبهم أن يدعوا الورثة أغنياء!

وإذا هلك صُيِّر مدفنه ضريحًا إن استطيع، وتُوَجَّه قلوبُ الناس إليه، فيزداد الخليفةُ جاهًا وطاعةً ومالًا.

وفي كل صِقْعٍ من الأرض وُجِدَ فيه عبادُ القبور تجد فيه غالبًا طائفةً على هدي النبي محمدٍ ﷺ سائرة لا يخدعهم تسيُّدٌ، ولا تُؤثِّر فيهم شبهةٌ، وأولئك غرباء في كثير من البلاد، يدلُّون الناسَ على السنةِ، ويهدونهم إلى التوحيدِ، وصَرْفِ القلوب إلى اللّه، وتعظيمِه وإجلالِه، والهيبة والخوفِ منه، ورجاءِ ما عنده، يعلقون القلوبَ بخالقِهم وحده، لا بأحدٍ من الخلق، فلا يحبون إلا للّه، ولا يبغضون إلا للّه، ولا يعبدون إلا إياه، همهم دعوةُ الناسِ إلى توحيدِ ربِّهم في الأعمال: أعمالِ القلوب وأعمالِ الجوارح.

يسمون أنفسهم أتباعَ السلفِ الصالح، وأكْرِمْ به من اتِّباع مقابلةً باتباعِ غيرهم للخلف الطالح، وأسْفِلْ به من اتِّباع.

ويسميهم أعداؤهم: الوهابيةَ أو المتطرفةَ، ويسعى أعداؤهم في نشر الكتب الناقضةِ دعوة الشيخ المصلح محمدِ بن عبدِ الوهاب ـ رحمه اللّه تعالى ـ، ردًّا عليهم، وعلى أتباع الدعوة السلفية الخالصة.

وتتخذ هذه الردودُ أشكالًا تناسبُ البلدَ المنشورَ فيه الردُّ، فبينما يُصَرَّحُ بذلك في بلدٍ، يُسَرُّ به في بلدٍ ويأتي تلويحًا لا تصريحًا.

والحَمْلةُ واحدة، والطريقُ قديمة سابلَةٌ، ولها وُرَّادٌ، ودعاةٌ على جنباتها، إذا صَرَخَ داعٍ تجاوبَ الجميعُ بالصُّرَاخ.

والطريقُ ليست علميةً كما قد يُظَن، ولكنها سبيلٌ غايَتُها التمكين لدعاة الباطلِ في أرضِهم، وأرضِ غيرهم»(١).

---

(١) هذه مفاهيمنا ص ٦ ـ ٨.

وقال أيضًا:

«وحقيقة العبادة: الخضوع والذل، فإذا انضاف إليها المحبة والانقياد صارت عبادة شرعية، قال طرفة في وصف ناقة:

تباري عتاقا ناجيات وأتبعت وظيفًا وظيفًا فوق مور مُعَبَّد

والمور: الطريق، والمعبد: هو الذي ذلل من كثرة وطء الأقدام عليه.

وقال أيضًا في معلقته:

إلى أن تحامتني العشيرة كلها وأفردت إفراد البعير المُعَبَّد

يعني: الذي صار ذليلًا؛ لأنه أصيب بالمرض، فجعل بعيدًا عن باقي الأبعرة، فصار ذليلًا، لعدم المخالطة.

والعبادة شرعًا: هي امتثال الأمر والنهي على جهة المحبة والرجاء والخوف. وقال بعض العلماء: إن العبادة هي ما أُمر به من غير اقتضاء عقلي ولا اطراد عرفي. وهذا تعريف الأصوليين.

وقال شيخ الإسلام - في بيان معناها في أول رسالة (العبودية) -: العبادة: اسم جامع لما يحبه اللّه ويرضاه من الأقوال، والأعمال الظاهرة والباطنة»[1].

ومن خلال ما تقدم عُلِم بطلان ادعاء الكاتب تلازم الربوبية بالعبادة، وعُلِم أن من صرف العبادة لغير الله أشرك بالله الشرك الأكبرَ وإن قال إن الله لا شريك له في الربوبية.

* * *

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص ١٣.

نقض شبهات:

«المبحث السادس:
التحدِّي بذكر الفارق بين العبادة
وغيرها من أعمال القلوب والجوارح»



➢ الرد على الكاتب فيما ذكره في المبحث السادس من ص١٠٩ إلى ص١١٨ بعنوان [التحدي بذكر الفارق بين العبادة وغيرها من أعمال القلوب والجوارح]:

تلخيص كلام الكاتب:

يزعم الكاتب أن فعل القلب كالمحبة والخوف أو الجوارح كالقيام والركوع والسجود لا تكون عبادة إلا إذا صدرت على وجه صرف شيء من خصائص الربوبية إلى من قُصِد به.

وهذا تكرار لما في كتابه من إثارة الشبه على الموحدين، وهو عين ما يقرره أهل الأهواء كما قال القضاعي: «ولا يكون التعظيم لشيء شركًا حتى يقارنه اعتقاد ربوبية ذلك الشيء أو خصيصة من خصائصها له، فكل من عظَّم شيئًا فلا يعتبر في الشرع عابدًا له إلا إذا اعتقد فيه ذلك الاعتقاد»[(١)].

ومن شبهات الكاتب أنه يتحدى من يخالفهم بمطالبته بذكر الحد الفاصل بين عمل القلب الذي هو عبادة وعمل القلب الذي ليس بعبادة.

هذا خلاصة كلامه ويريد بذلك أن يقرر أن الحدَّ الفاصل المميز هو: اعتقاد الربوبية في المصروف إليه العبادة.

---

(١) البراهين الساطعة ٣٧٨.

وسبب الغلط الذي وقع فيه هو عدم الفرقان بين الحق والباطل، وعدم التمييز بين الأنواع المختلفة المتباينة.

وكذلك من أسباب غلطه: عدم التمييز بين تصديق القلب وعمله، وبينهما من الفرقان ما لا يخفى.

والدفاع عن عباد الأضرحة والقبور والخرافيين الذين يصرفون أنواعًا من العبادة لمن يتخذونهم وسائط من دون اللّه، يدعونهم ويذبحون لهم وينذرون لهم، من المقبورين والجن والملائكة والأشجار، بأنهم لا يعتقدون في معبوداتهم الربوبية فليس فعلهم بعبادة، لا ينفعهم.

وصار في كلام الكاتب التسوية بين المتفرقات، فهو يجعل حبَّ العشق مثل حبِّ العبادة، ويشبِّه على مَنْ لا تمييز عنده ليجعلهما نوعًا واحدًا.

يقول الكاتب في الصفحة ١١٠ ـ ١١٣: [**متى يكون حب غير اللّه شركًا في المحبة** ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا﴾ لا ينفع أن يكون الجواب عن سؤال ببيان الحد هو أن يقال أن يحب غير اللّه كحب اللّه لأن السؤال سيبقى قائمًا والحد سيبقى مستبهمًا فما هو الحب الذي يختص به اللّه تبارك وتعالى... هناك من يجنّ من عشق مخلوق أو يمرض أو يموت، ومن جُنّ بعشقه أو مرض أو مات لا يحكم عليهم بشرك المحبة المخرج من الإسلام...].

ثم يورد أن بعضهم أجاب بكذا، وبعضهم لم يجب، ويظهر نفسه أنه قد انتصر!

ويكفي في معرفة فساد تصوره للأمر أنه يجعل حب اللّه تعالى ـ

وهو حب العبادة ـ مثل من يحب مخلوقًا حبَّ شهوة أو عشق حتى يصيبه الجنون أو المرض أو الموت بسبب هذا الحب ويجعل النوعين نوعًا واحدًا!!

ولهذا يكون الرد على الكاتب من عدة أوجه:

الوجه الأول: الرد على الكاتب ببيان الفرقان بين أنواع المحبة:

إن المحبة التي توجد في القلب أنواع متعددة ودرجات متفاوتة، وأعلاها محبة العبادة، وعبادة اللّه مبنية على هذه المحبة؛ بل هي حقيقة العبادة.

والكاتب لم يميز بين هذه الأنواع بل خلط بينها.

ومعرفة الفروق بين أنواع المحبة أمر يعرفه كل واحد من نفسه، وهو محل اتفاق حتى من المخالفين من أهل الأهواء، وإن كابروا، ولكنهم يذكرون مثل هذا الخلط لإلقاء الشبهات على أهل الإسلام.

قال شيخ الإسلام:

«أصل الإثبات والنفي والحب والبغض: هو شعور النفس بالوجود والعدم والملاءمة والمنافرة. فإذا شعرت بثبوت ذات شيء أو صفاته: اعتقدت ثبوته وصدقت بذلك. ثم إن كانت صفات كمال اعتقدت إجلاله وإكرامه صدقت ومدحته وأثنت عليه. وإذا شعرت بانتفائه أو انتفاء صفات الكمال عنه: اعتقدت انتفاء ذلك. وإن لم تشعر لا بثبوت ولا انتفاء: لم تعتقد واحدًا منهما ولم تصدق ولم تكذب..»[1].

قال ابن القيم في تعريف المحبة: «فصل: في ذكر رسوم

(١) مجموع الفتاوى ٢/٣٩.

وحدود قيلت في المحبة، بحسب آثارها وشواهدها. والكلام على ما يحتاج إليه منها».

وذكر ثلاثين قولًا في تعريف المحبة وعلّق عليها[(١)].

وذكر أهل العلم تقسيمات المحبة وأنها ترجع إلى قسمين وتحت كل قسم أنواع:

فالقسم الأول: محبة العبودية، وهي المحبة الخاصة التي لا تصلح إلا للّه وحده، وهي التي تتضمن التعظيم للمحبوب والخضوع والذل له، وهي عمل من أعمال القلوب، وتقتضي فعل الجوارح للطاعات من الواجبات والمستحبات.

ويتبع هذا النوع لوازم لا بد منها وهو المحبة للّه والمحبة في اللّه، والدافع لها محبة اللّه، أي: كون الشيء محبوبًا للّه تعالى من أشخاص، كالأنبياء، والرسل، والصديقين، والشهداء، والصالحين. أو أعمال، كالصلاة، والزكاة، وأعمال الخير، أو غير ذلك. وهذا النوع من المحابِّ تابع للقسم الأول الذي هو محبة اللّه. فهذه تسمى المحبة في اللّه والمحبة للّه والمحبة لأجل اللّه، وهي من كمال الإيمان، فمن كان حبه وبغضه، وفعله وتركه للّه فقد استكمل الإيمان.

والقسم الثاني: المحبة التي ليست بعبادة في ذاتها وهي التي لا تستلزم التعظيم والذل، ولا يؤاخذ بها أحد، وهذه أنواع:

محبة إشفاق ورحمة، وذلك كمحبة الولد، والصغار، والضعفاء، والمرضى.

---

(١) مدارج السالكين ١٣/٣.

محبة إجلال وتعظيم لا عبادة؛ كمحبة الإنسان لوالده، ولمعلمه، ولكبير من أهل الخير.

محبة طبيعية كمحبة الطعام، والشراب، والملبس، والمركب، والمسكن، والزوجة.

وهذه من المباحات؛ إلا إذا اقترن بها ما يقتضي التعبد للّه بالتقرب له بذلك فإنها تصير عبادة بالنية الصالحة، فإذا أحب والده محبة إجلال وتعظيم، فهذا محبة طبيعية، وإذا اقترن بها البر بوالده، صارت عبادة.

ومحبة الطعام والشراب والملبس والمسكن؛ إذا قصد بها الاستعانة على عبادة صارت عبادة، ولهذا حُبِّب للنبي ﷺ النساء والطيب من هذه الدنيا؛ فحبب إليه النساء؛ لأن ذلك مقتضى الطبيعة.

فهذه المحبوبات من المباحات، وتكون عبادة بالنية، ولا تذم إلا إذا أشغلت عن ذكر اللّه، وألهت عن محبته وطاعته[(١)].

قال أهل العلم: محبة اللّه تعالى، لا تكفي للنجاة من عذاب اللّه، فإن المشركين واليهود والنصارى يحبون اللّه، فلم يقبل ذلك منهم؛ بل أمرهم بالإيمان والعمل الصالح، وهذا الذي ينجي صاحبه عند اللّه تعالى.

فلا بد من محبة ما يحب اللّه من الإيمان والأقوال والأعمال والطاعات والأخلاق والشرائع والأشخاص ونحوها، وهذه هي التي تدخله في الإسلام، وتخرجه من الكفر، وأحب الناس إلى اللّه أقومهم بهذه المحبة، كما قال سبحانه: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد ٢/٤٤، موسوعة فقه القلوب ٢/١٧٩٥.

يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣١﴾ [آل عمران]، ومن آثارها: الحب للّه، والحب في اللّه، وهذا من لوازم محبة ما يحب اللّه.

المحبة الشركية:

وأما إذا صرف محبة العبودية لغير اللّه فهذه تسمى: المحبة مع اللّه، وهي محبة أهل الشرك، فكل من أحب شيئًا مع اللّه لا للّه، ولا من أجله، ولا فيه، فقد اتخذه ندًّا من دون اللّه، وهذه محبة المشركين.

وهي أيضًا نوعان:

أحدهما: نوع يقدح في أصل التوحيد وهو شرك كمحبة المشركين لأصنامهم وأندادهم كما قال سبحانه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وهذه محبة تألّه وموالاة يتبعها الخوف والرجاء والدعاء، وهذا شرك لا يغفره اللّه.

الثاني: لا يخرج من الملة وإنما ينقص الإيمان ويوجب الفسق، وهو محبة ما زينه اللّه للنفوس من الشهوات، كما قال سبحانه: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ١٤﴾ [آل عمران]، وقال تعالى: ﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٤﴾ [التوبة].

فيجعلها مقصودة ويقدمها على ما يحبه اللّه فيكون حينئذٍ ظالمًا

لنفسه متبعًا لهواه، وفي قلبه ما فيه من العبودية لهذه المحبوبات فيتعلق قلبه بها حتى يجعلها مقدمة عنده على مراد اللّه تعالى فيكون عبدًا لها بهذا الاعتبار؛ قال ﷺ: «**تعس عبد الدينار وعبد الدرهم...**»[(١)].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«المحبة النافعة ثلاثة أنواع: محبة اللّه، ومحبة في اللّه، ومحبة ما يعين على طاعة اللّه تعالى واجتناب معصيته.

والمحبة الضارة ثلاثة أنواع: المحبة مع اللّه، ومحبة ما يبغضه اللّه تعالى، ومحبة ما تقطع محبته عن محبة اللّه تعالى أو تنقصها، فهذه ستة أنواع، عليها مدار محاب الخلق، فمحبة اللّه عَزَّ وَجَلَّ أصل المحابِّ المحمودة، وأصل الإيمان والتوحيد، والنوعان الآخران تبع لها.

والمحبة مع اللّه أصل الشرك والمحابِّ المذمومة، والنوعان الآخران تبع لها.

ومحبة الصور المحرمة وعشقها من موجبات الشرك، وكلما كان العبد أقرب إلى الشرك وأبعد من الإخلاص كانت محبته بعشق الصور أشد، وكلما كان أكثر إخلاصًا وأشدَّ توحيدًا، كان أبعد من عشق الصور، ولهذا أصاب امرأة العزيز ما أصابها من العشق، لشركها. ونجا منه يوسف الصديق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بإخلاصه، قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ۝٢٤﴾ [يوسف].

فالسوء: العشق، والفحشاء: الزنا. فالمخلِص قد خَلُص حبه

(١) أخرجه البخاري (٢٧٣٠).

للّه، فخلَّصه اللّه من فتنة عشق الصور. والمشرك قلبه متعلق بغير اللّه، لم يخلص توحيده وحبه للّه ﷻ»[١].

وقال ابن القيم أيضًا:

«والفرق بين الحبِّ في اللّه والحبِّ مع اللّه، وهذا من أهم الفروق؛ وكل أحد محتاج بل مضطر إلى الفرق بين هذا وهذا.

فالحب في اللّه هو من كمال الإيمان؛ والحب **مع اللّه هو عين الشرك!**

والفرق بينهما أن الحب في الله تابع لمحبة اللّه؛ فإذا تمكنت محبته من قلب العبد أوجبت تلك المحبة أن يحب ما يحبه اللّه فإذا أحب ما أحبه ربه ووليه كان ذلك الحب له وفيه، كما يحب رسله وأنبياءه وملائكته وأوليائه لكونه تعالى يحبهم ويبغض من يبغضهم لكونه تعالى يبغضهم.

وعلامة هذا الحب والبغض في اللّه أنه لا ينقلب بغضه لبغيض اللّه حبًا لإحسانه إليه وخدمته له وقضاء حوائجه.

ولا ينقلب حبه لحبيب اللّه بغضًا إذا وصل إليه من جهته ما يكرهه ويؤلمه، إما خطأً وإما عمدًا، مطيعًا للّه فيه، أو متأولًا أو مجتهدًا أو باغيًا...

وهذا بخلاف الحب مع اللّه فهو نوعان؛ نوع يقدح في أصل التوحيد وهو شرك، ونوع يقدح في كمال الإخلاص ومحبة اللّه ولا يخرج من الإسلام:

فالأول: كمحبة المشركين لأوثانهم وأندادهم قال تعالى:

---

(١) إغاثة اللهفان ٢/٨٦٥ ـ ٨٦٦.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وهؤلاء المشركون يحبون أوثانهم وأصنامهم وآلهتهم مع اللّه كما يحبون اللّه، فهذه محبة تألّه وموالاة يتبعها الخوف والرجاء والعبادة والدعاء، وهذه المحبة هي محض الشرك الذي لا يغفره اللّه.

ولا يتم الإيمان إلا بمعاداة هذه الأنداد وشدة بغضها وبغض أهلها ومعاداتهم ومحاربتهم، وبذلك أرسل اللّه جميع رسله وأنزل جميع كتبه وخلق النار لأهل هذه المحبة الشركية، وخلق الجنة لمن حارب أهلها وعاداهم فيه وفي مرضاته.

فكل من عبد شيئًا من لدن عرشه إلى قرار أرضه، فقد اتخذ من دون اللّه إلهًا ووليًا وأشرك به، كائنًا ذلك المعبود ما كان، ولا بد أن يتبرأ منه أحوج ما كان إليه.

والنوع الثاني: محبة ما زينه اللّه للنفوس من النساء والبنين والذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث، فيحبها محبة شهوة كمحبة الجائع للطعام والظمآن للماء؛ فهذه المحبة ثلاثة أنواع: فإن أحبها للّه توصلًا بها إليه واستعانة على مرضاته وطاعته، أثيب عليها وكانت من قسم الحب للّه توصلًا بها إليه، ويلتذ بالتمتع بها. وهذا حالة أكمل الخلق الذي حبب إليه من الدنيا النساء والطيب وكانت محبته لهما عونا له على محبة اللّه وتبليغ رسالته والقيام بأمره.

وإن أحبها لموافقة طبعه وهواه وإرادته، ولم يؤثرها على ما يحبه اللّه ويرضاه، بل نالها بحكم الميل الطبيعي، كانت من قسم المباحات ولم يعاقب على ذلك، ولكن ينقص من كمال محبته للّه والمحبة فيه.

وإن كانت هي مقصوده ومراده وسعيه في تحصيلها والظفر بها وقدمها على ما يحبه اللّه ويرضاه منه، كان ظالمًا لنفسه متبعًا لهواه.

فالأولى: محبة السابقين، **والثانية**: محبة المقتصدين، **والثالثة**: محبة الظالمين.

فتأمل هذا الموضع وما فيه من الجمع والفرق؛ فإنه معترك النفس الأمارة والمطمئنة، والمهدي من هداه اللّه»[(١)].

وقال الشيخ عبد الرحمٰن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«أصل التوحيد وروحه: إخلاص المحبة للّه وحده، وهي أصل التأله والتعبد له، بل هي حقيقة العبادة، ولا يتم التوحيد حتى تكمل محبة العبد لربه، وتسبق محبته جميع المحابِّ وتغلبها، ويكون لها الحكم عليها، بحيث تكون سائر محاب العبد تبعًا لهذه المحبة التي بها سعادة العبد وفلاحه. ومن تفريعها وتكميلها الحب في اللّه، فيحب العبد ما يحبه اللّه من الأعمال والأشخاص، ويبغض ما يبغضه اللّه من الأشخاص والأعمال، ويوالي أولياءه ويعادي أعداءه، وبذلك يكمل إيمان العبد وتوحيده.

أما اتخاذُ أندادٍ من الخلق يحبهم كحب اللّه، ويقدم طاعتهم على طاعة اللّه، ويلهج بذكرهم ودعائهم، فهذا هو الشرك الأكبر الذي لا يغفره اللّه، وصاحب هذا الشرك قد انقطع قلبه من ولاية العزيز الحميد، وتعلق بغيره ممن لا يملك له شيئًا، وهذا السبب الواهي الذي تعلق به المشركون سينقطع يوم القيامة أحوج ما يكون العبد لعمله، وستنقلب هذه المودة والموالاة بغضًا وعداوة.

---

(١) كتاب الروح ٢/٧٠٧ ـ ٧١٠.

واعلم أن أنواع المحبة ثلاثة أقسام:

الأول: محبة اللّه التي هي أصل الإيمان والتوحيد.

الثاني: المحبة في اللّه وهي محبة أنبياء اللّه ورسله وأتباعهم، ومحبة ما يحبه اللّه من الأعمال والأزمنة والأمكنة وغيرهم، وهذه تابعة لمحبة اللّه ومكملة لها.

الثالث: محبة مع اللّه وهي محبة المشركين لآلهتهم وأندادهم من شجر وحجر وبشر وملك، وغيرها، وهي أصل الشرك وأساسه»[١].

قال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن:

«**والمحبة ثلاثة أنواع:** محبة طبيعية كمحبة الجائع للطعام، والظمآن للماء، وغير ذلك، وهذا لا يستلزم التعظيم.

والنوع الثاني: محبة رحمة وإشفاق كمحبة الوالد لولده الطفل ونحوها؛ وهذه أيضًا لا تستلزم التعظيم.

والنوع الثالث: محبة أنس وألفة؛ وهي محبة المشتركين في صناعة أو علم، أو مرافقة، أو تجارة، أو سفر بعضهم لبعض، وكمحبة الأخوة بعضهم بعضًا، فهذه المحبة التي تصلح للخلق بعضهم لبعض ووجودها فيهم لا يكون شركًا في محبة اللّه سبحانه، ولهذا كان رسول اللّه ﷺ يحب الحلوى والعسل، وكان أحب الشراب إليه الحلو البارد، وكان أحب اللحم إليه الذراع، وكان رسول اللّه ﷺ يحب نساءه، وكانت عائشة أحبهن إليه، وكان يحب أصحابه، وأحبهم إليه الصديق.

---

(١) القول السديد شرح كتاب التوحيد ص١١٤.

وأما المحبة الخاصة التي لا تصلح إلا للّه وحده، ومتى أحب العبد بها غيره كان شركًا لا يغفره اللّه، فهي محبة العبودية المستلزمة للذل والخضوع والتعظيم وكمال الطاعة، وإيثاره على غيره، فهذه المحبة لا يجوز تعلقها بغير الله أصلًا، وهي التي سوى المشركون بين آلهتهم وبين اللّه فيها، وهي أول دعوة الرسل، وآخر كلام العبد المؤمن الذي إذا مات عليه دخل الجنة، اعترافه وإقراره بهذه المحبة، وإفراد الرب بها، فهي أول ما يدخل به في الإسلام، وآخر ما يخرج به من الدنيا إلى اللّه. وجميع الأعمال كالأدوات والآلات لها، وجميع المقامات وسائل إليها، وأسباب لتحصيلها وتكميلها وتحصينها من الشوائب والعلل؛ فهي قطب رحى السعادة، وروح الإيمان، وساق شجرة الإسلام، ولأجلها أنزل اللّه الكتاب والحديد، فالكتاب هاد إليها، ودال عليها، ومفصل لها، والحديد لمن خرج عنها، وأشرك مع اللّه غيره فيها، ولأجلها خلقت الجنة والنار؛ فالجنة دار أهلها الذين أخلصوها للّه وحده، وأخلصهم لها، والنار دار من أشرك فيها مع اللّه غيره، وسوى بينه وبين اللّه فيها؛ فالقيام بها واجب علمًا وعملًا وحالًا، وتصحيحها هو تصحيح شهادة أن لا إلٰه إلا اللّه...»[(١)].

وورد في إجابة اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء:

«الحب في اللّه من أوثق عرى الإيمان، والمتحابان في اللّه يظلهم اللّه في ظله يوم لا ظل إلا ظله، كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ، والحب في اللّه يعد عملًا صالحًا؛ لأنه محبة لمن يحبهم اللّه من الناس وهم الصالحون، والحب في اللّه سببه كون

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ٣/٣٢٤ ـ ٣٢٥.

الشخص قائمًا بحقوق اللّه وحقوق عباده، متمسكًا بشريعة اللّه، لا للحسب ولا للنسب ولا للجمال ولا للمال ولا لغير ذلك من المنافع الدنيوية، ومن علامة صدق هذه المحبة: أنه إذا وقع المحبوب في مخالفة أمر اللّه نقصت المحبة بحسب تلك المخالفة، وحل محلها البغض؛ غضبًا للّه تعالى، وتعظيمًا لحرماته.

وأما الغلو في محبة الشخص وتعلق القلب به لذاته حتى لا يستطيع فراقه والإعجاب به إلى حد الغرام ـ فهذا ليس من المحبة في اللّه، بل ذلك خلل في التوحيد، والتفات في القلب لغير اللّه تعالى، ووسيلة إلى ما حرم اللّه من الفواحش، وهو أمر منكر يجب تركه والحذر منه»[(١)].

وقال الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «محبة عبادة، وهي التي توجب التذلل والتعظيم، وأن يقوم بقلب الإنسان من إجلال المحبوب وتعظيمه؛ ما يقتضي أن يمتثل أمره، ويجتنب نهيه، وهذه خاصة باللّه، فمن أحب مع اللّه غيره محبة عبادة؛ فهو مشرك شركًا أكبر، ويعبر العلماء عنها بالمحبة الخاصة»[(٢)]. هذا الوجه الأول في الرد على شبهة المحبة الكاتب المتعلقة بشرك المحبة.

الوجه الثاني: بيان وقوع هذا الشرك عند غلاة المتصوفة.

سبق الإشارة إلى أن الكاتب يحثّ على أحد كتب عبد الوهاب الشعراني في إشارة منه إلى رضاه عن مؤلف الكتاب، ومن المعلوم أن الشعراني له ضلالات مشهورة فمن ضمنها أن الشعراني يحكي عن

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة ـ المجموعة الثانية ١/٤٧٢، وهي بتوقيع المشايخ: بكر أبو زيد، صالح الفوزان، عبدالله بن غديان، عبدالعزيز آل الشيخ، عبدالعزيز بن عبدالله بن باز.

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد ٢/٤٤.

أحد المتصوفة أنه مكث عند شيخه إلى أن توفي لم يذق له طعامًا، فقيل له في ذلك، فقال: «أنا لم آكل لشيخي طعامًا خوفًا أن أشرك في طلبي للشيخ شيئًا آخر»[(١)].

ويجب عندهم ألا يزاحم أحد في محبة المريد لشيخه، لا زوجته ولا ولده، وفي ذلك يقص أحمد بن المبارك ـ راوي الإبريز ـ قصة مع شيخه الدباغ مفادها:

أن أحمد بن المبارك كان قد تزوج بنت محمد بن عمر السجلماسي وكان يحب البنت حبًّا شديدًا، وكان الدباغ يسأله: هل تحبني مثل فلانة؟ فيصارحه الرجل (أن لا) فيتأثر الشيخ بذلك ـ يقول أحمد بن المبارك: «وحُقّ له، فإن المريد لا يأتي منه شيء حتى لا يكون في قلبه غير الشيخ واللّه والرسول»[(٢)]. فقدم حب الشيخ على اللّه والرسول وسوى بين الثلاثة!!

ومما قاله الشعراني في هذا الباب: «أخذ علينا العهد أن لا نأخذ العهد على فقير بالسمع والطاعة لما نأمره من الخير إلا إن كنا نعلم منه يقينًا أنه لا يقدم علينا في المحبة أحدًا من الخلق مطلقًا حتى أهله وولده»[(٣)].

ونقل الشعراني في كتابه: «الأنوار القدسية في معرفة الصوفية»، عن الصوفية قولهم محذرين: «... إياكم أن تشركوا في المحبة مع شيخكم أحدًا من المشايخ... فكما أن اللّه لا يغفر أن يشرك به؛ فكذلك محبة الأشياخ لا تسامح أن يشرك بها»[(٤)].

(١) الطبقات الكبرى ٢/٩٥.

(٢) الإبريز ص ٢٩.

(٣) الطبقات الكبرى للشعراني ٢/٩٥.

(٤) (ص١٢٩) نشر: (دار جوامع الكلم بالقاهرة) (الطبعة الثانية بدون تاريخ).

ويقول التيجاني: «من أكبر الشروط الجامعة بين الشيخ ومريده هو أن لا يشارك في محبته غيره ولا في تعظيمه ولا في الاستمداد منه ولا في الانقطاع إليه بقلبه، ويتأمل ذلك في شريعة نبينا ﷺ؛ فإن من ساوى رتبة نبيه ﷺ مع رتب غيره من النبيين والمرسلين في المحبة والتعظيم والاستمداد والانقطاع إليه بالقلب والتشريع، فهو عنوان على أنه يموت كافرًا إلا أن تدركه عناية ربانية بسبق محبة إلهية، فإذا عرفت هذا فليكن المريد مع شيخه كما هو مع نبيه ﷺ في التعظيم والمحبة والاستمداد والانقطاع إليه بالقلب، فلا يعادل غيره في هذه الأمور ولا يشارك غيره. ومن أكبر القواطع عن اللّه أن ينسب ما عنده من الفتح والأسرار لغير شيخه»[(١)].

ويقول الشعراني: «إذا أراد اللّه ﷻ أن يعرف عبدًا من عبيده بولي من أوليائه ليأخذ عنه الأدب ويقتدي به في الأخلاق، طوى عنه شهود بشريته وأشهده على وجه الخصوصية فيه فيعتقده بلا شك ويحبه أشد المحبة. وأكثر الناس الذي يصحبون الأولياء لا يشهدون منهم إلا وجه البشرية، ولذلك قل نفعهم وعاشوا عمرهم كله معهم ولم ينتفعوا منهم بشيء»[(٢)].

الوجه الثالث: الشبهة التي عند الكاتب تعود إلى عدم التفريق بين ما هو عبادة، وما ليس بعبادة، وجعل الكاتب ما يفعله المشركون من الأعمال والأقوال خارجًا عن وصف العبادة، هي شبهة قديمة، وقد أورد هذه الشبهة وردّ عليها الشيخ الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «**كشف الشبهات**»، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن

---

(١) جواهر المعاني ١١٦.

(٢) الطبقات الكبرى ٨/١.

قال: أنا لا أشرك باللّه شيئًا حاشا وكلا. ولكن الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك.

فقل له: إذا كنت تقر أن اللّه حرم الشرك أعظم من تحريم الزنا وتقر أن اللّه لا يغفره فما هذا الأمر الذي حرمه اللّه وذكر أنه لا يغفره؟ فإنه لا يدري.

فقل له: كيف تبرئ نفسك من الشرك وأنت لا تعرفه؟ أم كيف يحرم اللّه عليك هذا ويذكر أنه لا يغفره ولا تسأل عنه ولا تعرفه، أتظن أن اللّه يحرمه ولا يبينه لنا.

فإن قال: الشرك عبادة الأصنام، ونحن لا نعبد الأصنام فقل له: ما معنى عبادة الأصنام أتظن أنهم يعتقدون أن تلك الأخشاب والأحجار تخلق وترزق وتدبر أمر من دعاها. فهذا يكذبه القرآن.

وإن قال: هو من قصد خشبة أو حجرًا أو بنية على قبر أو غيره يدعون ذلك ويذبحون له ويقولون إنه يقربنا إلى اللّه زلفى ويدفع اللّه عنا ببركته أو يعطينا ببركته.

فقل: صدقت، وهذا هو فعلكم عند الأحجار والأبنية التي على القبور وغيرها، فهذا أقر أن فعلهم هذا هو عبادة الأصنام، فهو المطلوب.

ويقال له أيضًا: قولك: الشرك عبادة الأصنام، هل مرادك أن الشرك مخصوص بهذا، وأن الاعتماد على الصالحين ودعاءهم لا يدخل في ذلك، فهذا يرده ما ذكره اللّه في كتابه من كفر من تعلق على الملائكة وعيسى والصالحين، فلا بدَّ أن يقر لك أن من أشرك في عبادة اللّه أحدًا من الصالحين فهو الشرك المذكور في القران، وهذا هو المطلوب.

وسر المسألة: أنه إذا قال: أنا لا أشرك باللّه.

فقل له: وما الشرك باللّه، فسره لي.

فإن قال: هو عبادة الأصنام.

فقل: وما معنى عبادة الأصنام، فسرها لي.

فإن قال: أنا لا أعبد إلا اللّه وحده.

فقل: ما معنى عبادة اللّه وحده، فسرها لي، فإن فسرها بما بينه القرآن فهو المطلوب، وإن لم يعرفه فكيف يدعي شيئًا وهو لا يعرفه.

وإن فسر ذلك بغير معناه بينت له الآيات الواضحات في معنى الشرك باللّه وعبادة الأوثان، وأنه الذي يفعلونه في هذا الزمان بعينه، وأن عبادة اللّه وحده لا شريك له هي التي ينكرون علينا ويصيحون فيه كما صاح إخوانهم حيث قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ [ص]»[1].

فانظر أيها القارئ إلى حال هذا الكاتب فإنه أخطأ في تفسير العبادة وأخطأ في تفسير الشرك، وأيضًا أخطأ في التسوية بين محبة العبادة وبين محبة العشق.

الوجه الرابع: ومما يُرَدُّ به على الكاتب إيضاح أن الشرك في أعمال القلوب واقع من بعض المكلفين وليس مختصًا بالشرك في الربوبية.

والشرك باللّه في أعمال القلوب أنواع فمنه: الشرك في عبادة المحبة، والشرك في النية والقصد والإرادة، والشرك في الطاعة، والشرك بالخوف، والشرك بالرجاء، والشرك بالتوكل، قال تعالى:

(١) كشف الشبهات ٢٩.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] وقال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود] وقال تعالى: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [الأنعام] وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران]، وقال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف] وقال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [المائدة] ومنه ما هو أكبر مخرج من الملة ومنه ما هو شرك أصغر غير مخرج من الملة.

والشرك أيضًا يقع في الأقوال باللسان كالشرك في الدعاء والاستغاثة والذكر المقتضي للتعظيم، قال تعالى: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ [فاطر: ١٤] وقال تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزمر].

والشرك يقع أيضًا بأفعال الجوارح كالذبح لغير اللّه والقيام والركوع والسجود والعكوف والحج والطواف لغير اللّه. قال تعالى ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام]، وقال تعالى ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾﴾ [الكوثر]، وقال تعالى ﴿وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ [البقرة] وقال تعالى: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾ [الحج] وقال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج] وقال تعالى: ﴿لَا

تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [فصلت].

واللّه تبارك وتعالى ذكر في كتابه هذه الأفعال الشركية، وذمَّ أصحابها، وحكم عليهم بالشرك.

إذا علم هذا؛ فلا يصح إنكار تسميتها شركًا، كما هو صنيع الكاتب وصنيع دعاة الشرك؛ فإنهم يزعمون أن هذا فقط إذا أشرك في الربوبية! فهذا محادة للّه تعالى ورد لما جاء في كتابه؛ فإن الشرك في الربوبية مخرج من الملة حتى لو لم يفعل هذه العبادات الشركية.

وقد بيّن اللّه في كتابه وجوب إفراده بالعبادة ومحبته والخوف منه ورجائه واللجوء إليه وحده والشكوى إليه والافتقار إليه ونحو ذلك من أعمال القلوب، وحرم صرف ذلك لغيره؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة] وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ﴾ [البقرة: ١٦٥] وقال تعالى: ﴿فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤] وقال تعالى: ﴿وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمٰن] وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ [النازعات] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [المؤمنون]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾ [الأنفال: ٢]، وقال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ...﴾ [الكهف: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخۡبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [هود]، وقال تعالى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥٠﴾﴾ [الذاريات] وقال يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا

تَعۡلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [يوسف] وقال تعالى ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [المجادلة: ١] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ [فاطر: ١٥] وقال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ﴿٢٤﴾﴾ [القصص] هذا ما أمر الله به، وأوجبه على عباده، أن يفردوه بجميع أنواع العبادة، وإن اعتراض الكاتب عليه بقوله: [أتحدّى المخالفين أن يبينوا الحد الفاصل بين العبادة وغيرها في أعمال القلوب]، لمن الجدال بالباطل، وهو من الدفاع عن أفعال المشركين، وهو من أعظم التنطع والتكلف الذي نهينا عنه، قال اللّه تعالى: ﴿وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ﴾ [غافر: ٥] وقال ﷺ: «**هلك المتنطعون**»(١).

والفرقان بينها واضح وقد تقدم بيان الفرق بين المحبة التي هي عبادة، وبين ما ليس بعبادة، ولكن لا حيلة فيمن اتبع هواه.

الوجه الخامس: الشرع الإسلامي رتب العقوبات والأحكام والأسماء على الأفعال الظاهرة من نطق اللسان وأفعال الجوارح، وأما في القلوب من الحب والخوف والرجاء والتوكل ونحو ذلك، فلا يظهر ولا يعلمه إلا اللّه، والتمييز بين هذه المعاني بحد فاصل يختلف بحسب ما يتصوره كل مكلف.

واللّه أمر عباده بالإيمان به وباليوم الآخر وأمرهم بأعمال قلبية وقولية وفعلية، وهو يحاسب عباده ويفصل بينهم ولا يظلم ربك أحدًا، وأما العبد المكلف فهو يعرف في نفسه ما يقوم بقلبه، ولكن هذا العلم والمعرفة يمكن التعبير عنه بما يقرب إلى التمييز لما في القلب، وقد ذكر أهل العلم عدة معان تبين ذلك.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٧٠).

كقولهم: محبة العبودية، أو المحبة مع الخضوع والتذلل للمعبود.

قال ابن القيم: «قلت: الشيء إذا كان في الأمور الوجدانية الذوقية التي إنما تعلم بآثارها وعلاماتها، وكان مما يقع فيه التفاوت بالشدة والضعف، وكان له لوازم وآثار وعلامات متعددة، اختلفت العبارات عنه بحسب اختلاف هذه الأشياء. وهذا شأن المحبة، فإنها ليست بحقيقةٍ معايَنةٍ ترى بالأبصار، فيشترك الواصفون لها في الصفة. وهي في نفسها متفاوتة أعظم تفاوت. ما بين العلاقة التي هي تعلق القلب بالمحبوب، والخُلّة التي هي أعلى مراتب الحب، وبينهما درجات متفاوتة تفاوتًا لا ينحصر.

ولها آثار توجبها وعلامات تدل عليها، فكلٌّ أدرك بعض آثارها أو بعض علاماتها فعبر بحسب ما أدركه وهي وراءَ ذلك كله: ليس اسمها كمسماها، ولا لفظها مبين لمعناها.

وكذلك اسم المصيبة والبلية والشدة والألم إنما تدل أسماؤها عليها نوع دلالة لا تكشف حقيقتها، ولا تعلم حقيقتها إلا بذوقها ووجودها. وفرق بين الذوق والوجود وبين التصور والعلم. فالحدود والرسوم التي قيلت في المحبة صحيحة غير وافية بحقيقتها بل هي إشارات وعلامات وتنبيهات»[(١)].

وهذه المعاني التي تقوم بالقلوب تتفاوت بحسب ما عند العبد من العلم واليقين والعمل وبما يفتح اللّه على عباده، والأحكام في الدنيا تتعلق بما ظهر من العبد، وأما في الآخرة فالجزاء والحساب بما فعل وظهر منه في الدنيا وكذلك بما قام بقلبه من المحبة

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين ٢/٦٤٠.

والخضوع والذلة وحسن الظن وقوة الرجاء وشدة الخوف والوجل والإخبات والخشوع وغير ذلك مما أمر اللّه به وأثنى على من فعله، فإذا صرفها لغير اللّه تعالى فهذا من الشرك باللّه تعالى.

والخلاصة أن الأمور القلبية وحدها لا يمكن أن تكون مجردة عن قول أو فعل أو مجموع القول والفعل، وما يقوم بالقلوب إذا نظر إليه باعتبار تجرده فلا يمكن التمييز بينها في الظاهر؛ فلو أن مشركًا ومؤمنًا في مكان واحد لم يتكلما أو يفعلا شيئًا فلا يعرف أن هذا مشرك إلا بأدلة أو قرائن تدل عليه، والأحكام والعقوبات إنما تجرى على ما ظهر من المكلفين كما تقدم.

الوجه السادس: أنه يلزمه موافقة قول الغلاة:

الكاتب يطالب بوضع ضابط يفصل بين عمل القلب الذي هو عبادة، وعمله الذي ليس بعبادة، ويزعم أن مخالفيه عجزوا، ثم قام الكاتب بوضع ضابط، وهو أن يعتقد فيمن صُرِفَ له الفعل الربوبية أو بعض خصائصها!

وهنا يظهر غلطه الكبير وموافقته لأهل البدع الكبرى من غلاة الجهمية ومن تابعهم؛ فموافقته للجهمية في الإرجاء الغالي وهو تخصيص الكفر بالتكذيب فقط، وتخصيص الإيمان بالتصديق فقط، والقول بإخراج الأقوال والأعمال عن مسمى الإيمان.

وموافقته باشتراط وجود اعتقاد الربوبية في المعبود من دون اللّه فإن لم يعتقدها فيه فهو لم يقم بالعبادة عندهم.

ويقال لهؤلاء: اعتقاد الربوبية أو بعض خصائصها أمر خفي لا يمكن تمييزه إلا إذا نطق أو تكلم.

فصار الكاتب ومن على شاكلته عاجزين عن وضع حد فاصل.

لأن الأمور المخرجة من الملة هي ما بينته الشريعة من قول أو فعل موجب لذلك؛ كالاستهزاء باللّه ورسوله ﷺ، فكل من كفَّره اللّه ورسوله فهو الكافر، ولا يجوز الرد على حكم اللّه، أو التعقب على الشرع بتخصيص الكفر بالتكذيب أو الشرك باعتقاد الربوبية وأشباه هذه الافتراءات.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون].

ويقول تعالى: ﴿إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَـٰنِ ۚ﴾ [التوبة: ٢٣].

ويقول سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [النحل: ١٠٧].

ويقول تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ضَلَـٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٣﴾﴾ [إبراهيم].

ويقول تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَـٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَـٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾﴾ [فصلت].

ويقول تعالى: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [العنكبوت].

قال ابن جرير الطبري: «اتخذتموها مودة بينكم في الحياة الدنيا، تتحابون على عبادتها، وتتوادون على خدمتها، فتتواصلون عليها... لأن الذين اتخذوا الأوثان آلهة يعبدونها، اتخذوها مودة

بينهم، وكانت لهم في الحياة الدنيا مودة، ثم هي عنهم منقطعة.. ثم يوم القيامة أيها المتوادون على عبادة الأوثان والأصنام، والمتواصلون على خدماتها عند ورودكم على ربكم، ومعاينتكم ما أعد اللّه لكم على التواصل، والتواد في الدنيا من أليم العذاب، ﴿يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٍ﴾ يقول: يتبرأ بعضكم من بعض، ويلعن بعضكم بعضًا . . .»[1].

واستنكار الكاتب على أهل العلم والإيمان القائلين بأن صرف العبادة لغير اللّه شرك باللّه استنكار في غير محله وهو مخالف للقرآن والسنة وإجماع المسلمين.

واعتقاد الربوبية أو بعض خصائصها في غير اللّه لا شك أنه مخرج من الملة، وهو كفر مستقل، ولو لم يفعل فعلًا قلبيًّا أو فعلًا بجوارحه فصار وجود الفعل القلبي من الحب وغيره أو عدمه سواء، ورجع به هذا القول إلى مذهب غلاة الجهمية القائلين بأن الكفر هو التكذيب، ولا يكون كفرًا بقول أو عمل.

وقد أورد هذا المعنى في كتابه: (مناط التكفير) وتقدمت الإشارة إلى أغلاطه.

قال شيخ الإسلام عن غلاة الجهمية: «ظنوا أن الإيمان مجرد تصديق القلب وعلمه لم يجعلوا أعمال القلب من الإيمان. وظنوا أنه قد يكون الإنسان مؤمنًا كامل الإيمان بقلبه وهو مع هذا يسب اللّه ورسوله ويعادي اللّه ورسوله ويعادي أولياء اللّه ويوالي أعداء اللّه ويقتل الأنبياء ويهدم المساجد ويهين المصاحف ويكرم الكفار غاية

(١) جامع البيان ٣٨٢/١٨.

الكرامة ويهين المؤمنين غاية الإهانة، قالوا: وهذه كلها معاص لا تنافي الإيمان الذي في قلبه بل يفعل هذا وهو في الباطن عند اللّه مؤمن، قالوا: وإنما ثبت له في الدنيا أحكام الكفار لأن هذه الأقوال أمارة على الكفر ليحكم بالظاهر كما يحكم بالإقرار والشهود وإن كان الباطن قد يكون بخلاف ما أقر به وبخلاف ما شهد به الشهود. فإذا أورد عليهم الكتاب والسنة والإجماع على أن الواحد من هؤلاء كافر في نفس الأمر معذب في الآخرة؛ قالوا: فهذا دليل على انتفاء التصديق والعلم من قلبه، فالكفر عندهم شيء واحد وهو الجهل، والإيمان شيء واحد وهو العلم، أو تكذيب القلب وتصديقه، فإنهم متنازعون هل تصديق القلب شيء غير العلم أو هو هو؟. وهذا القول مع أنه أفسد قول قيل في الإيمان فقد ذهب إليه كثير من أهل الكلام المرجئة... فهؤلاء غلطوا في أصلين:

أحدهما: ظنهم أن الإيمان مجرد تصديق وعلم فقط ليس معه عمل وحال وحركة وإرادة ومحبة وخشية في القلب؛ وهذا من أعظم غلط المرجئة مطلقًا..

الثاني: ظنهم أن كلَّ من حكم الشارع بأنه كافر مخلد في النار فإنما ذاك لأنه لم يكن في قلبه شيء من العلم والتصديق، وهذا أمر خالفوا به الحس والعقل والشرع وما أجمع عليه طوائف بني آدم السليمي الفطرة وجماهير النظار؛ فإن الإنسان قد يعرف أن الحق مع غيره ومع هذا يجحد ذلك لحسده إياه أو لطلب علوه عليه أو لهوى النفس، ويحمله ذلك الهوى على أن يعتدي عليه ويرد ما يقول بكل طريق وهو في قلبه يعلم أن الحق معه.

وعامة من كذَّب الرسل علموا أن الحق معهم وأنهم صادقون؛ لكن إما لحسدهم؛ وإما لإرادتهم العلو والرياسة؛ وإما لحبهم دينهم

الذي كانوا عليه وما يحصل لهم به من الأغراض كأموال ورياسة وصداقة أقوام وغير ذلك، فيرون في اتباع الرسل ترك الأهواء المحبوبة إليهم أو حصول أمور مكروهة إليهم، فيكذبونهم ويعادونهم، فيكونون من أكفر الناس كإبليس وفرعون مع علمهم بأنهم على الباطل والرسل على الحق.

ولهذا لا يذكر الكفار حجة صحيحة تقدح في صدق الرسل إنما يعتمدون على مخالفة أهوائهم كقولهم لنوح: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾﴾ [الشعراء] ومعلوم أن اتباع الأرذلين له لا يقدح في صدقه؛ لكن كرهوا مشاركة أولئك... بل أبو طالب وغيره كانوا يحبون النبي ﷺ ويحبون علو كلمته وليس عندهم حسد له وكانوا يعلمون صدقه، ولكن كانوا يعلمون أن في متابعته فراق دين آبائهم وذم قريش لهم، فما احتملت نفوسهم ترك تلك العادة واحتمال هذا الذم، فلم يتركوا الإيمان لعدم العلم بصدق الإيمان به؛ بل لهوى النفس، فكيف يقال: إن كل كافر إنما كفر لعدم علمه بالله. ولم يكف الجهمية أن جعلوا كل كافرٍ جاهلًا بالحق؛ حتى قالوا: هو لا يعرف أن الله موجود حق، والكفر عندهم ليس هو الجهل بأي حق كان؛ بل الجهل بهذا الحق المعين.

ونحن والناس كلهم يرون خلقًا من الكفار يعرفون في الباطن أن دين الإسلام حق، ويذكرون ما يمنعهم من الإيمان؛ إما معاداة أهلهم؛ وإما مال يحصل لهم من جهتهم يقطعونه عنهم؛ وإما خوفهم إذا آمنوا ألا يكون لهم حرمة عند المسلمين كحرمتهم في دينهم، وأمثال ذلك من أغراضهم التي يبينون أنها المانعة لهم من الإيمان، مع علمهم بأن دين الإسلام حق ودينهم باطل»[(١)].

---

(١) مجموع الفتاوى ١٨٨/٧ ـ ١٩٣.

وقال أيضًا: «مذهب السلف أنه لا بد في الإيمان من محبة القلب للّه ولرسوله ومن بغض من يحاد اللّه ورسوله... ومعلوم أنَّ خلقًا كثيرًا من الناس يعرف من نفسه أن التصديق في قلبه لم يكذب الرسول وهو مع هذا يواد بعض الكفار؛ فالسلف يقولون: ترك الواجبات الظاهرة دليل على انتفاء الإيمان الواجب من القلب، لكن قد يكون ذلك بزوال عمل القلب ـ الذي هو حب اللّه ورسوله وخشية اللّه ونحو ذلك ـ لا يستلزم ألا يكون في القلب من التصديق شيء»[1].

وهذا الذي يقوم بالقلب مؤثر في القبول والثواب والمنزلة عند اللّه تعالى، «**ولهذا قال ﷺ «المرء مع من أحب»**[2]، وقال: «**إن بالمدينة لرجالًا ما سرتم مسيرًا ولا قطعتم واديًا إلا كانوا معكم حبسهم العذر**»[3] وقال: «**فهما في الأجر سواء**» في حديث القادر على الإنفاق والعاجز عنه الذي قال: «**لو أن لي مثل ما لفلان لعملت فيه مثل ما عمل**»[4] فإنهما لما استويا في عمل القلب وكان أحدهما معذور الجسم استويا في الجزاء كما قال النبي ﷺ: «**إذا مرض العبد أو سافر كتب له من العمل مثل ما كان يعمل وهو صحيح مقيم**»[5]»[6].

ونقل ابن تيمية عن أبي الحسن الأشعري أنه قال: «وزعمت

(١) مجموع الفتاوى ٧/١٤٨.
(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٨٥).
(٣) أخرجه البخاري (٢٦٨٤).
(٤) أخرجه أحمد (١٨٠٥٣).
(٥) أخرجه البخاري (٢٨٣٤).
(٦) مجموع الفتاوى ٢/٣٩٥.

الجهمية أن الإنسان إذا أتى بالمعرفة ثم جحد بلسانه أنه لا يكفر بجحده، وأن الإيمان لا يتبعض ولا يتفاضل أهله فيه، وأن الإيمان والكفر لا يكونان إلا في القلب دون الجوارح. قال: والفرقة الثانية من المرجئة: يزعمون أن الإيمان هو المعرفة باللّه فقط، والكفر به هو الجهل به فقط، فلا إيمان باللّه إلا المعرفة به، ولا كفر باللّه إلا الجهل به، وإن قول القائل: إن اللّه ثالث ثلاثة ليس بكفر ولكنه لا يظهر إلا من كافر، وذلك أن اللّه كفر من قال ذلك وأجمع المسلمون أنه لا يقوله إلا كافر. وزعموا أن معرفة اللّه هي المحبة له وهي الخضوع للّه... وزعموا أيضًا أن الصلاة ليست بعبادة للّه وأنه لا عبادة إلا الإيمان به وهو معرفته والإيمان عندهم لا يزيد ولا ينقص وهو خصلة واحدة وكذلك الكفر والقائل بهذا القول أبو الحسين الصالحي...»[(١)].

الوجه السابع: ومما يُردُّ به على الكاتب إيضاح حقيقة المحبة الخاصة باللّه وأين تظهر، والمحبة الشركية مع اللّه تعالى:

فقد نبه شيخ الإسلام ابن تيمية للفرق بين الحب في اللّه والحب مع اللّه، وبيّن أحوال عبّاد القبور وظهور آثار محبتهم لمن يتجهون له بالعبادة؛ فقال: «فمن أحب مخلوقًا مثل ما يحب اللّه فهو مشرك.

ويجب الفرق بين الحب في اللّه والحب مع اللّه.

فهؤلاء الذين اتخذوا القبور أوثانًا تجدهم يستهزئون بما هو من توحيد اللّه وعبادته ويعظمون ما اتخذوه من دون اللّه شفعاء، ويحلف أحدهم اليمين الغموس كاذبًا ولا يجترئ أن يحلف بشيخه كاذبًا.

وكثير من طوائف متعددة ترى أحدهم يرى أن استغاثته بالشيخ

(١) مجموع الفتاوى ٧/٥٤٤.

إما عند قبره أو غير قبره أنفع له من أن يدعو اللّه في المسجد عند السحَر[(١)]، ويستهزئ بمن يعدل عن طريقته إلى التوحيد، وكثير منهم يخربون المساجد ويعمرون المشاهد فهل هذا إلا من استخفافهم باللّه وبآياته ورسوله وتعظيمهم للشرك.

وإذا كان لهذا وَقْفٌ، ولهذا وَقْفٌ، كان وَقْفُ الشركِ أعظمَ عندهم؛ مضاهاة لمشركي العرب الذين ذكرهم اللّه في قوله: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا﴾ [الأنعام: ١٣٦] الآية. فيفضلون ما يجعل لغير اللّه على ما يجعل للّه ويقولون: اللّه غني وآلهتنا فقيرة.

وهؤلاء إذا قصد أحدهم القبر الذي يعظمه يبكي عنده ويخشع ويتضرع ما لا يحصل له مثله في الجمعة والصلوات الخمس وقيام الليل فهل هذا إلا من حال المشركين لا الموحدين[(٢)]!!

---

(١) في كتاب أحال إليه الكاتب وحث المسلمين وطلبة العلم على قراءته وبيّن شدة حاجتهم إليه أورد مؤلفه الشعراني قصة سبق إيرادها وهي مؤكدة لما يقوله شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن هؤلاء المشركين، يقول الشعراني: «ووقع لسيدي محمد الحنفي الشاذلي أنه مشى على بحر النيل من مصر إلى الروضة، وتلميذه يمشي خلفه، وقال له: قل: يا حنفي، ولا تغفل عني، فوسوس له إبليس وقال له: قل يا اللّه أعظم من الحنفي، فقال: يا اللّه، فغرق، فالتفت إليه سيدي محمد الحنفي وقال له: إنك لا تعرف اللّه حتى تسأله أن يمسك قدميك على الماء قل: يا حنفي، فقالها فطفا على الماء ومشى عليه». المنهج المطهر للجسم والفؤاد ١/٦٤٩.

ومن نتائج تأثير أئمة الضلالة على العوام ما سبق حكايته عن واقع العوام المتابعين لهم كما سبق إيراد ما ذكره الشيخ محمد رشيد رضا: «وقد سمعت امرأة مصرية تدعو وتستغيث في أمر أهمها: يا متبولي يا متبولي... فقلت لها بعد أن هدأ روعها: لماذا تدعين المتبولي ولا تدعين اللّه تعالى؟ قالت: المتبولي ما (يستناش)، أي لا يهمل، ولا يتأخر في إجابة من دعاه واستغاث به»، تفسير المنار ٩/٣٧٥.

(٢) هل هذا من الكلام المجمل المحتمل أم الصريح الواضح؟! وهل يقال كما يزعم=

ومثل هذا أنه إذا سمع أحدهم سماع الأبيات حصل له من الخشوع والحضور ما لا يحصل له عند الآيات؛ بل يستثقلونها ويستهزئون بها وبمن يقرؤها مما يحصل لهم به أعظم نصيب من قوله: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [التوبة].

والذين يجعلون دعاء الموتى أفضل من دعاء اللّه: منهم من يحكي أن بعض المريدين استغاث باللّه فلم يغثه واستغاث بشيخه فأغاثه، وأن بعض المأسورين دعا اللّه فلم يخرجه فدعا بعض الموتى؛ فجاءه فأخرجه إلى بلاد الإسلام.

وآخر قال: قبر فلان الترياق المجرب. ومنهم من إذا نزل به شدة لا يدعو إلا شيخه قد لهج به كما يلهج الصبي بذكر أمه.

وقد قال تعالى للموحدين: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة: ٢٠٠] وقد قال شعيب: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [هود: ٩٢] وقال تعالى: ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ١٣]»(١).

ويقول ابن القيم في بيان أحوال عُبّاد القبور والمشاهد: «ولم يكن أحدٌ من أرباب هذه الطواغيت يعتقد أنها تخلق وترزق وتميت وتحيي، وإنما كانوا يفعلون عندها وبها ما يفعله إخوانهم من المشركين اليوم عند طواغيتهم، فاتّبع هؤلاء سنن من كان قبلهم، وسلكوا سبيلهم حذو القذة بالقذة، وأخذوا مأخذهم شبرًا بشبرٍ وذراعًا بذراع، وغلب الشرك على أكثر النفوس لظهور الجهل وخفاء العلم،

= الكاتب: إن ابن تيمية من المكفِّرين لمن نطق بالشهادتين؟ هذا ينقض احتجاج الكاتب بكلام ابن تيمية وادعاءه أنه تراجع.

(١) مجموع الفتاوى ١٥/٤٩.

فصار المعروف منكرًا، والمنكر معروفًا، والسنة بدعة والبدعة سنة، ونشأ في ذلك الصغير، وهرم عليه الكبير، وطمست الأعلام واشتدت غربة الإسلام، وقلّ العلماء وغلب السفهاء، وتفاقم الأمر واشتد البأس، وظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس»[(١)].

وقال أيضًا: «وترى أحدهم قد اتخذ ذكر إلهه ومعبوده من دون اللّه على لسانه ديدنًا له إن قام وإن قعد، وإن عثر وإن مرض وإن استوحش، فذكْرُ إلهه ومعبوده من دون اللّه هو الغالب على قلبه ولسانه، وهو لا ينكر ذلك، ويزعم أنه باب حاجته إلى اللّه، وشفيعه عنده، ووسيلته إليه.

وهكذا كان عُبّاد الأصنام سواء، وهذا القدر هو الذي قام بقلوبهم، وتوارثه المشركون بحسب اختلاف آلهتهم، فأولئك كانت آلهتهم من الحجر، وغيرهم اتخذوها من البشر، قال اللّه تعالى حاكيًا عن أسلاف هؤلاء المشركين: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ﴾، ثم شهد عليهم بالكفر والكذب، وأخبر أنه لا يهديهم فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ۝٣﴾ [الزمر].

فهذه حال من اتخذ من دون اللّه وليًا، يزعم أنه يقربه إلى اللّه، وما أعز من يخلص من هذا؟ بل ما أعز من لا يعادي من أنكره!

والذي في قلوب هؤلاء المشركين وسلفهم أن آلهتهم تشفع لهم عند اللّه، وهذا عين الشرك، وقد أنكر اللّه عليهم ذلك في كتابه وأبطله، وأخبر أن الشفاعة كلها له، وأنه لا يشفع عنده أحد إلا لمن أذن اللّه أن يشفع فيه، ورضي قوله وعمله، . . .

---

(١) زاد المعاد ٣/٤٤٣.

وترى المشرك يكذب حالُه وعملُه قولَه، فإنه يقول: لا نحبهم كحب اللّه، ولا نُسَوِّيهم باللّه، ثم يغضب لهم ولحرماتهم ـ إذا انتهكت ـ أعظم مما يغضب للّه، ويستبشر بذكرهم، ويتبشبش به، سيما إذا ذُكر عنهم ما ليس فيهم من إغاثة اللهفات، وكشف الكربات، وقضاء الحاجات، وأنهم الباب بين اللّه وبين عباده، فإنك ترى المشرك يفرح ويسر ويحنّ قلبه، وتهيج منه لواعج التعظيم والخضوع لهم والموالاة[(١)]، وإذا ذَكرت له اللّه وحده، وجردت توحيده لحقته وحشة، وضيق، وحرج، ورماك بنقص الإلهية التي له، وربما عاداك.

رأينا واللّه منهم هذا عيانا، ورمونا بعداوتهم، وبغوا لنا الغوائل، واللّه مخزيهم في الدنيا والآخرة.

ولم تكن حجتهم إلا أن قالوا كما قال إخوانهم: عاب آلهتنا!

فقال هؤلاء: تنقصتم مشايخنا، وأبواب حوائجنا إلى اللّه!!

وهكذا قال النصارى للنبي ﷺ، لما قال لهم: إن المسيح عبد اللّه، قالوا: تنقصت المسيح وعِبْتَه!!

وهكذا قال أشباه المشركين لمن منع اتخاذ القبور أوثانًا تعبد، ومساجد تقصد، وأمر بزيارتها على الوجه الذي أذن اللّه فيه ورسوله، قالوا: تنقصت أصحابها!!»[(٢)].

وتظهر معاني المحبة وآثارها في مواطن منها[(٣)]:

---

(١) من أوضح علامات الموالاة لهم: الحث على قراءة كتبهم والثناء عليهم والدفاع عنهم.

(٢) مدارج السالكين، دار الكتاب العربي ٣٤٨/١ ـ ٣٥٠.

(٣) انظر: طريق الهجرتين وباب السعادتين ٦٦٤/٢، وانظر: موسوعة فقه القلوب ١٧٨٨/٢.

عند أخذ مضجعه وتفرغ حواسه وجوارحه الشواغل، واجتماع قلبه على ما يحبه. فإنه لا ينام إلا على ذكر من يحبه وشغل قلبه به.

وكذلك عند انتباهه من النوم، فأول شيء يسبق إلى قلبه ذكر محبوبه.

وأيضًا تظهر آثار المحبة عند الصلاة، فإنها محك الأحوال، وميزان الإيمان، وبها يوزن إيمان الإنسان ومقدار قربه من اللّه، فهي محل المناجاة والقربة، ولا شيء أقر لعين المحب ولا ألذ لقلبه منها إذا كان محبًا، فإنه لا شيء آثر عند المحب ولا أطيب له من خلوته بمحبوبه ومناجاته له، ومثوله بين يديه وقد أقبل محبوبه عليه.

فإذا قام العبد إلى الصلاة هرب وفر مما سوى اللّه إليه، وآوى عنده، واطمأن بذكره، وقرت عينه بالمثول بين يديه ومناجاته.

فلا يزن العبد إيمانه ومحبته للّه بمثل ميزان الصلاة.

وتظهر كذلك عند الشدائد والأهوال، فإن القلب في هذا الموطن لا يذكر إلا أحب الأشياء، ولا يهرب إلا إلى محبوبه الأعظم عنده، فعند الشدائد والأهوال يشتد خوف القلب من فوات أحب الأشياء إليه، وهي حياته التي لم يكن يؤثرها إلا لقربه من محبوبه، فهو إنما يحب حياته لتنعمه بمحبوبه.

فإذا خاف فوتها، بدر إلى قلبه ذكر المحبوب الذي يفوت بفوات حياته من خالق أو مخلوق محبوب.

وكان النبي ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة.

وفي مقابل هذه المحبة الإيمانية انظر إلى وصف حال أهل الشرك مع معبوداتهم وما يقوم بقلوبهم تجاهها، فإنه لما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية العلة التي لأجلها نهى الشارع وهي تعظيم

الصالحين والغلو فيهم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «هي التي أوقعت كثيرًا من الأمم، إما في الشرك الأكبر، أو فيما دونه من الشرك، فإن النفوس قد أشركت بتماثيل القوم الصالحين... ونحو ذلك، فلأن يشرك بقبر الرجل الذي يعتقد نبوته أو صلاحه، أعظم من أن يشرك بخشبة أو حجر على تمثاله.

ولهذا نجد أقوامًا كثيرين يتضرعون عندها ويخشعون، ويعبدون بقلوبهم عبادة لا يفعلونها في المسجد، بل ولا في السحر، ومنهم من يسجد لها، وأكثرهم يرجون من بركة الصلاة عندها والدعاء ما لا يرجونه في المساجد التي تشد إليها الرحال»[(١)].

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فهذه المفسدة، التي هي مفسدة الشرك - كبيره وصغيره - هي التي حسم النبي ﷺ مادتها، حتى نهى عن الصلاة في المقبرة مطلقًا، وإن لم يقصد المصلي بركة البقعة بصلاته، كما يقصد بصلاته بركة المساجد الثلاثة، ونحو ذلك، كما نهى عن الصلاة وقت طلوع الشمس واستوائها وغروبها، لأنها الأوقات التي يقصد المشركون بركة الصلاة للشمس فيها، فنهى المسلم عن الصلاة حينئذ - وإن لم يقصد ذلك - سدًّا للذريعة»[(٢)].

وأورد ابن كثير في ترجمة السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد القرشية الهاشمية في حوادث سنة (٢٠٨هـ)، ونقل عن ابن خلِّكان أنَّه قال: «ولأهل مصر فيها اعتقاد»، ثم قال:

«قلت: وإلى الآن قد بالغ العامة في اعتقادهم فيها وفي غيرها كثيرًا جدًّا، ولا سيَّما عوام مصر، فإنهم يُطلقون فيها عبارات بشيعة

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٦٨٠.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٦٨٠. وانظر: إغاثة اللهفان لابن القيم ١/ ١٨٤.

مجازفة تؤدي إلى الكفر والشرك، وألفاظًا كثيرة ينبغي أن يعرفوا أنه لا تجوز... والذي ينبغي أن يعتقد فيها ما يليق بمثلها من النساء الصالحات، وأصل عبادة الأصنام من المغالاة في القبور وأصحابها، وقد أمر النبي ﷺ بتسوية القبور وطمسها، والمغالاة في البشر حرام، ومن زعم أنها تفك من الخشب، أو أنها تنفع أو تضر بغير مشيئة اللّه فهو مشرك»[1].

وأورد ابن كثير عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾﴾ [الجن] قصةً ذكر فيها أنّ ذئبًا جاء فأخذ حَمَلًا من الغنم، فوثب الراعي فقال: يا عامر الوادي، جارك. فنادى منادٍ لا نراه، يقول: يا سرحان، أرسله. فأتى الحَمَل يشتد حتى دخل في الغنم لم تصبه كدمة.

قال ابن كثير: «وقد يكون هذا الذئب الذي أخذ الحَمَل ـ وهو ولد الشاة ـ كان جنيًّا حتى يُرْهب الإنسيَّ ويخاف منه، ثم ردّه عليه لما استجار به، ليضلّه ويهينه، ويخرجه عن دينه. واللّه أعلم»[2].

ومن الأمثلة على هذه الشركيات ما بينه العلامة الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه المفيد «منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس»، فيقول:

«ونذكر لك هنا طرفًا من معتقد عباد القبور والصالحين، وحقيقة ما هم عليه من الدين، ليعلم الواقف عليه أي الفريقين أحق بالأمن، إن كان الواقف ممن اختصه اللّه بالفضل والمنّ، ولئلّا يلتبس الأمر

(١) البداية والنهاية ١٠/٢٦٢ ـ ٢٦٣.

(٢) تفسير ابن كثير ٨/٢٤٠.

بتسميتهم لكفرهم ومحالهم تشفعًا وتوسلًا واستظهارًا، مع ما في التسمية من الهلاك المتناهي عند من عقل الحقائق.

من ذلك: محبتهم مع اللّه محبة تأله وخضوع ورجاء.

ودعاؤهم مع اللّه في المهمات والملمات والحوادث التي لا يكشفها ولا يجيب الدعاء فيها إلا فاطر الأرض والسمٰوات.

والعكوف حول أجداثهم.

وتقبيل أعتابهم.

والتمسح بآثارهم، طلبًا للغوث، واستجابة للدعوات وإظهارًا للفاقة، وإبداء للفقر والضراعة، واستنزالًا للغوث والأمطار، وطلبًا للسلامة من شدائد البر والبحار.

وسؤالهم تزويجهم الأرامل والأيامى، واللطف بالضعفاء واليتامى.

والاعتماد عليهم في المطالب العالية.

وتأهليهم لمغفرة الذنوب والنجاة من الهاوية، وإعطاء تلك المراتب السامية. وجماهيرهم لما ألفت ذلك طباعهم وفسدت به فطرهم، وعز عنهم امتناعهم، لا يكاد يخطر ببال أحدهم ما يخطر ببال آحاد المسلمين، من قصد اللّه تعالى والإنابة إليه، بل ليس لذلك عندهم إلا الولي الفلاني ومشهد الشيخ فلان. حتى جعلوا الذهاب إلى المشاهد عوضًا عن الخروج للاستسقاء والإنابة إلى اللّه في كشف الشدائد والبلوى. كل هذا رأيناه وسمعناه عنهم.

وقد حدّث الشيخ مصطفى البولاقي أن بعض رؤساء الجامع الأزهر عاده لما اشتكى عينيه، وقال له: هلا ذهبت إلى مولد الشيخ

أحمد البدوي فقد حكي أن إنسانًا شكا إليه ذهاب بصره، فسمع قائلًا يقول من الضريح: أعطوه عين كذا وكذا.

فانظر إلى ما خطر ببال هذا المتكلم من تعظيم الميت وتأهيله لتلك المطالب التي لا يقدر عليها إلا اللّه القاهر الغالب. وقصد الوساطة هنا على ما فيها ما أظنها تخطر بباله أصلاً.

فهل سمعت عن جاهلية العرب مثل هذه الغرائب التي ينتهي عندها العجب؟ والكلام مع ذكي القلب يقظ الذهن قوي الهمة العارف بالحقائق، وأما ميت القلب بليد الذهن وضيع النفس جامد القريحة ومن لا تفارق همته التشبث بأذيال التقليد، والتعلق على ما يحكى عن فلان وفلان من معتقد أهل المقابر والتنديد، فذاك فاسد الفطرة معتل المزاج، وخطابه محض عناء ولجاج»[(١)].

وكتب عند قبر أحدهم في اليمن الأبيات التالية:

يحيى بن حمزة نور آل محمد	لب اللباب من النبي المرسل
كشّاف كل عظيمة وملاذ	كل ملمة ورجاء كل مؤمل
يا زائرًا ترجو النجاة من الردى	عن قبره وضريحه لا تعدل
لذ بالضريح وقف به متضرعًا	واطلب رضاك من المهيمن واسأل
تحيى بكل فضيلة ووسيلة	وتنال خيرًا من علو المنزل
شرفت ذمار بقبر يحيى مثلما	شرفت مدينة يثرب بالمرسل
فليهنأ أهل ذمار حسن جواره	فيما مضى وكذاك في المستقبل[(٢)]

(١) «منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس» ص ٥٠.

(٢) البدر الطالع للشوكاني ٢/٢٣٣. والأبيات وضعها المعلق على الكتاب.

فكل هؤلاء وغيرهم كثير قد ضلوا عن سواء السبيل وأضلهم أئمة الضلالة المضلين الذين زينوا هذا الشرك الأكبر ودافعوا عن أهله، وانظر لهذا الشرك في المحبة كيف وقع بقلوبهم فهل هذا يشتبه مع محبة الوالدين أو نحو ذلك كما يلقي الكاتب هذه الشبه بين المسلمين!!

قال سليمان بن سحمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ومن يَسْتغثْ يومًا بغير إلهِهِ ... ويدعوه أو يرجو سوى اللّه من بَشَرْ
يحب كحبِّ اللّه من هو مشركٌ ... به مستعين واجلُ القلب مُقْشَعِر
فذلك بالرحمٰن جلّ جلاله ... تعالى عن الأمثال والنّدّ قدْ كفَر
ولا شك في تكفير من ذاك شأنه ... وناهِيك من كفر تجهّم واعْتكر
فللّهِ حق لا يكون لِعَبْدِهِ ... بإخلاص توحيد وإفراد مُقتدر
وللمصطفى تصديقه واتّباعه ... وتعزيره بل نقتفي ما به مر
ونجتنب المنهيِّ سمعًا وطاعة ... ولا نقتفي ما قد نهى عنه أو زجر[(١)]

فهذه أمثلة على المحبة مع اللّه، وهي محبة شركية قام بقلوب أصحابها من التعظيم والشوق والتعلق والذل والخضوع ما جعلهم يصرفون لها العبادات من دون الله، وهي غيض من فيض من أحوال المشركين، نسأل اللّه العافية والسلامة؛ فكيف يشتبه هذا بالمحبة الطبيعية أو محبة العشق.

الوجه الثامن: قوله تعالى ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ فيها قولان:

قال ابن الجوزي: «أحدهما: أن معناه: يحبونهم كحب الذين

(١) مجموعة القصائد الزهديات للشيخ عبدالعزيز السلمان ٢/٥٢١، ومطلعها: تلألأ نور الحق في الخلق وانتشر.

آمنوا للّه، هذا قول ابن عباس، وعكرمة، وأبي العالية، وابن زيد، ومقاتل، والفراء.

والثاني: يحبونهم كمحبتهم للّه، أي: يسوون بين الأوثان وبين اللّه تعالى في المحبة.

هذا اختيار الزجاج، قال: والقول الأول ليس بشيء، والدليل على نقضه قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ قال المفسرون: أشد حبًّا للّه من أهل الأوثان لأوثانهم»[(١)].

فالمحققون من أهل العلم بينوا أن معنى قوله تعالى: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ أنَّ المشركين يحبون اللّه، ويحبون الأنداد حبًّا مساويًا لحبهم اللّه تعالى، وهذا هو حقيقة الشرك، وهذا الموافق لقوله تعالى عنهم وهم في النار: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [الشعراء]، ومن المعلوم أنهم لم يساووهم باللّه في الخلق والرزق؛ فلم يقولوا إن أصنامهم خلقتهم أو رزقتهم، فعلم أنهم ساووهم باللّه في المحبة، وهذه المحبة تسمى المحبة الشركية، وهي أن يحب من يعبده من دون اللّه كما يحب اللّه.

قال ابن القيم: «أخبر تعالى عن أهلها أنهم يقولون في النار لآلهتهم: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [الشعراء]، وهذه التسوية لم تكن منهم في الأفعال والصفات بحيث اعتقدوا أنها مساوية للّه سبحانه في أفعاله وصفاته، وإنما كانت تسوية منهم بين اللّه وبينها في المحبة والعبودية فقط مع إقرارهم بالفرق بين اللّه وبينها، فتصحيح هذه المسألة هو تصحيح شهادة أن لا إلٰه

(١) زاد المسير في علم التفسير ١/١٣٠.

إلا اللّه، فحقيق بمن نصح نفسه وأحبَّ سعادتها ونجاتها أن يتيقظ لهذه المسألة علمًا وعملًا وحالًا، وتكون أهم الأشياء عنده، وأجل علومه وأعماله؛ فإن الشأن كله فيها، والمدار عليها، والسؤال يوم القيامة عنها»(١).

وقال ابن القيم أيضًا: «وتوحيدها هو شهادة أن لا إلٰه إلا اللّه، وليس كما زعم المنكرون أن الإله هو الرب الخالق، فإن المشركين كانوا مقرين بأنه لا رب إلا اللّه، ولا خالق سواه، وأنه وحده المنفرد بالخلق والربوبية، ولم يكونوا مقرين بتوحيد الإلهية، وهو المحبة والتعظيم، بل كانوا يتألهون مع اللّه غيره. وهذا هو الشرك الذي لا يغفره اللّه، وصاحبه ممن اتخذ من دون اللّه أندادًا.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]. فأخبر أن من أحب من دون اللّه شيئًا كما يحب اللّه تعالى فهو ممن اتخذ من دون اللّه أندادًا، فهذا نِدٌّ في المحبة، لا في الخلق والربوبية، فإن أحدًا من أهل الأرض لم يثبت هذا الند، بخلاف ند المحبة، فإن أكثر أهل الأرض قد اتخذوا من دون اللّه أندادًا في الحب والتعظيم.

ثم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾، وفي تقدير الآية قولان:

أحدهما: والذين آمنوا أشد حبًّا للّه من أصحاب الأنداد لأندادهم وآلهتهم، التي يحبونها ويعظمونها من دون اللّه.

والثاني: والذين آمنوا أشد حبًّا للّه من محبة المشركين بالأنداد للّه. فإن محبة المؤمنين خالصة، ومحبة أصحاب الأنداد قد ذهبت أندادهم بقسط منها، والمحبة الخالصة أشد من المشتركة. والقولان

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين ٢/٦٤٤.

مرتبان على القولين في قوله: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ فإن فيها قولين أيضًا.

أحدهما: يحبونهم كما يحبون اللّه، فيكون قد أثبت لهم محبة للّه، ولكنها محبة شركوا فيها مع اللّه أندادهم.

والثاني: أن المعنى يحبون أندادهم كما يحب المؤمنون اللّه. ثم بين أن محبة المؤمنين للّه أشد من محبة أصحاب الأنداد لأندادهم.

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ يرجح القول الأول، ويقول: إنما ذموا بأن شرَّكوا بين اللّه وبين أندادهم في المحبة، ولم يخلصوها للّه كمحبة المؤمنين له.

وهذه هي التسوية المذكورة في قوله تعالى ـ حكاية عنهم وهم في النار، أنهم يقولون لآلهتهم وأندادهم وهي محضرة معهم في العذاب ـ: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [الشعراء]. ومعلوم أنهم لم يسووهم برب العالمين في الخلق والربوبية، وإنما سووهم به في المحبة والتعظيم وهذا أيضًا هو العدل المذكور في قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنعام]، أي يعدلون به غيره في العبادة التي هي المحبة والتعظيم. وهذا أصح القولين»[1].

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب التوحيد الذي هو حق اللّه على العبيد، في المسائل على الباب الذي جعل عنوانه باب تفسير التوحيد وشهادة ألا إلٰه إلا اللّه: «ومنها: آية البقرة

(١) مدارج السالكين ٣/٢٠ ـ ٢٢.

في الكفار الذين قال اللّه فيهم: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾، ذكر أنهم يحبون أندادهم كحب اللّه؛ فدل على أنهم يحبون اللّه حبًّا عظيمًا ولم يدخلهم في الإسلام. فكيف بمن أحب الند أكبر من حب اللّه؟ فكيف بمن لم يحب إلا الند وحده ولم يحب اللّه؟».

قال الشيخ سليمان بن عبد اللّه بن محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«قلت: مراده أن معنى التوحيد، وشهادة أن لا إلٰه إلا اللّه، هو إفراد اللّه بأصل الحب الذي يستلزم إخلاص العبادة للّه وحده لا شريك له، وعلى قدر التفاضل في هذا الأصل، وما ينبني عليه من الأعمال الصالحة يكون تفاضل الإيمان والجزاء عليه في الآخرة.

فمن أشرك باللّه تعالى في ذلك، فهو المشرك لهذه الآية، أخبر تعالى عن أهل هذا الشرك أنهم يقولون لآلهتهم وهم في الجحيم: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾. ومعلوم أنهم ما ساووهم به في الخلق والرزق والملك، وإنما ساووهم به في المحبة والإلهية والتعظيم والطاعة. فمن قال لا إلٰه إلا اللّه، وهو مشرك باللّه في هذه المحبة، فما قالها حق القول وإن نطق بها، إذ هو قد خالفها بالعمل، كما قال المصنف. فكيف بمن أحب الند حبًا أكبر من حب اللّه؟!»[(١)].

فتقرر من هذا بيان أن المشركين وكفرة أهل الكتاب يحبون اللّه، ولكن ذلك لم ينفعهم لإشراكهم باللّه في المحبة.

والمراد محبة التأله والتعظيم والخضوع المختصة برب العالمين، التي هي إحدى القاعدتين اللتين عليهما مدار العبادة كما قال ابن القيم:

(١) تيسير العزيز الحميد ص ١١٤ ـ ١١٥.

وعبادة الرحمٰن غاية حبه مع ذل عابده هما قطبان
ليس العبادة غير توحيد المحـ ـبَّة مع خضوع القلب والأركان

وهذا هو الذي اعترف به المشركون، وهم بين أطباق الجحيم، أنهم صاروا في الجحيم بسببه حيث قالوا: ﴿إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٩٨﴾، ومن المعلوم أنهم ما ساووهم به في الخلق والتدبير، إنما ساووهم به في هذه المحبة، فدلت الآية على أن من اتخذ ندًا مع اللّه يحبه كمحبة اللّه فقد أشرك الشرك الأكبر المنافي للتوحيد.

وقول الكاتب في ص١١٠: [**متى يكون حب غير اللّه شركًا في المحبة**: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا﴾ لا ينفع أن يكون الجواب عن سؤال ببيان الحد هو أن يقال أن يحب غير اللّه كحب اللّه لأن السؤال سيبقى قائمًا والحد سيبقى مستبهمًا فما هو الحب الذي يختص به اللّه تبارك وتعالى... هناك من يجنّ من عشق مخلوق أو يمرض أو يموت، ومن جُنّ بعشقه أو مرض أو مات لا يحكم عليهم بشرك المحبة المخرج من الإسلام...].

والجواب يعرف بما تقدم من الآيات والأحاديث وأقوال أهل العلم؛ فمحبة العبادة نوع يختلف عن المحبة الطبيعية أو المحبة المحرمة، ويُعْرف ذلك بالحديث عنها أو الأفعال التي يظهرها المُحِبّ، وما في القلوب يُعرف بما ظهر من الأقوال والأفعال، والتفاوت في الناس في محبتهم للّه تعالى لا ينفي كون هذه المحبة محبة عبادة، ولا ينتفعون بها إلا إذا أخلصوها للّه تعالى ولم يجعلوا معه شريكًا فيها، وسيأتي مزيد إيضاح لهذا المعنى.

الوجه التاسع: محبة العبادة لا نظير لها من بقية أنواع

المحبات، كما أن الذي يحبه المؤمنون محبة عبادة هو اللّه ﷻ ليس كمثله شيء، فكذلك محبته لا نظير لها.

قال العلامة ابن القيم رحمه اللّه تعالى: «وهذه المحبة فوق ما يجده سائر العُشّاق والمحبين من محبة محبوبهم، بل لا نظير لهذه المحبة؛ كما لا مثل لمن تعلقت به، وهي محبة تقتضي تقديم المحبوب فيها على النفس والمال والولد. وتقتضي كمال الذل والخضوع والتعظيم والإجلال والطاعة والانقياد ظاهرًا وباطنًا. وهذا لا نظير له في محبة مخلوق، ولو كان المخلوق من كان. ولهذا من أشرك بين اللّه وبين غيره في هذه المحبة الخاصة كان مشركًا شركًا لا يغفره اللّه؛ كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ﴾ والصحيح: أن معنى الآية: أن الذين آمنوا أشد حبًا للّه من أهل الأنداد لأندادهم. كما تقدم بيانه أن محبة المؤمنين لربهم لا يماثلها محبة مخلوق أصلًا، كما لا يماثل محبوبهم غيره. وكل أذى في محبة غيره فهو نعيم في محبته. وكل مكروه في محبة غيره فهو قرة عين في محبته. ومن ضرب لمحبته الأمثال التي هي في محبة المخلوق للمخلوق: كالوصل، والهجر والتجني بلا سبب من المحب، وأمثال ذلك مما يتعالى اللّه عنه علوًا كبيرًا، فهو مخطئ أقبح الخطأ وأفحشه، وهو حقيق بالإبعاد والمقت»[(١)].

الوجه العاشر: الآية الكريمة: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ﴾ [البقرة: ١٦٥]، صريحة في ذم المشركين في صرفهم عملًا للأنداد وهو الحب حب العبادة، وأخبر اللّه أنهم ما هم بخارجين من النار؛ فهذا يدل على

(١) روضة المحبين، ص ٢٩٦.

أنهم كفار، فعُلِمَ أن فعلهم من الشرك الأكبر الذي أخبر اللّه تعالى عنه وحرمه وبين أنه موجب للخلود في النار.

ويجب أن يُفْهم عن اللّه تعالى مرادَه بالرجوع إلى كتابه وسنة نبيه ﷺ وكلام أصحابه ﷺ وأتباعهم بإحسان.

فعلم أن هذا الحب عبادة شركية تقع في قلوب المشركين لمعبوداتهم، وهذا لا ينازع فيه أحد، فهذا الحب عبادة بلا ريب.

فالآية تدل على أنهم كفروا لما أشركوا بين اللّه وبين أندادهم في هذه المحبة. فمن أحب معبوده أعظم من حب اللّه أو أحب معبوده مطلقًا ولم يحب اللّه، فهو أعظم شركًا ممن أحب معبوده دون ذلك وإن كان مشركًا. وهذه محبة تأله وتعظيم وخضوع لا تصلح إلا للّه جل وعلا.

قال الشيخ صالح آل الشيخ حفظه اللّه: «التشريك في المحبة منافٍ لكلمة التوحيد، ومنافٍ للتوحيد من أصله، بل حَكَمَ اللّهُ عليهم بأنهم اتخذوا أندادًا من دون اللّه، يحبونهم كحب اللّه، ووصفهم بذلك، ولا شك أن المحبة نوع من أنواع العبادة، والمحبة مُحَرِّكَة، وهي التي تبعث على التصرفات»(١).

فكل أنواع الشرك ترجع إلى الإشراك في المحبة، يقول شيخ الإسلام رحمه الله في ذلك ما معناه: «فمن رغب إلى غير اللّه في قضاء حاجة أو تفريج كربة، لزم أن يكون محبًّا له، ومحبته هي الأصل في ذلك»(٢).

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ٨٥.

(٢) نقله عنه الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن في «فتح المجيد» ص ١٠٩، وهو بمعناه في كتاب العبودية لشيخ الاسلام ص ٩٨.

وإذا علم هذا فاللّه ﷻ بيّن حال المشركين في مواضع كثيرة من كتابه أنهم يعترفون بوجوده ويقرون بأنه الذي خلقهم ورزقهم ويحييهم ويميتهم ويدبر شؤونهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم...﴾ [التوبة: ٦٥] ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم...﴾ [يونس] ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ...﴾ [العنكبوت] ﴿دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ...﴾ [يونس: ٢٢] فهذا الحب الذي وقع منهم، وهو عبادة لغير اللّه، لا يمكن أن يقال عنه: إنه عبادة لاعتقادهم في معبوداتهم أنها تخلق وترزق! فهذا يبطله القرآن الكريم كما تقدم.

الوجه الحادي عشر: الكفار يقع في قلوبهم محبة اللّه تعالى ولا ينتفعون بها:

أخبر اللّه تعالى عن المشركين وكفرة أهل الكتاب أنهم يدعون محبة اللّه، وهؤلاء يعترفون بالربوبية للّه تعالى، ولم ينفعهم اعترافهم بالربوبية، ولا قيام محبة العبادة في قلوبهم؛ لوقوعهم في الشرك في العبادة.

قال البغوي: «قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ نزلت في اليهود والنصارى حيث قالوا: نحن أبناء اللّه وأحباؤه.

وقال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: وقف النبي ﷺ على قريش، وهم في المسجد الحرام، وقد نصبوا أصنامهم وعلقوا عليها بيض النعام، وجعلوا في آذانها (الشنوف)، وهم يسجدون لها، فقال: يا معشر قريش واللّه لقد خالفتم ملة أبيكم إبراهيم وإسماعيل، فقالت له قريش: إنما نعبدها حبًّا للّه ليقربونا إلى اللّه زلفى، فقال اللّه تعالى: قل يا محمد إن كنتم تحبون اللّه وتعبدون الأصنام ليقربوكم إليه فاتبعوني يحببكم اللّه، فأنا رسوله إليكم وحجته عليكم، أي اتبعوا شريعتي وسنتي يحببكم اللّه»[١].

---

(١) تفسير البغوي ٢/٢٧.

وقال القرطبي في تفسيره: «والآية نزلت في وفد نجران إذ زعموا أن ما ادعوه في عيسى حب للّه ﷻ، قاله محمد بن جعفر بن الزبير. وقال الحسن وابن جريج: نزلت في قوم من أهل الكتاب قالوا: نحن الذين نحب ربنا»[(١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فاتباع الشريعة والقيام بالجهاد من أعظم الفروق بين أهل محبة اللّه وأوليائه الذين يحبهم ويحبونه، وبين من يدعي محبة اللّه ناظرًا إلى عموم ربوبيته أو متبعًا لبعض البدع المخالفة لشريعته. فإن دعوى هذه المحبة للّه من جنس دعوى اليهود والنصارى المحبة للّه، بل قد تكون دعوى هؤلاء شرًّا من دعوى اليهود والنصارى لما فيهم من النفاق الذين هم به في الدرك الأسفل من النار... والنصارى يدّعون قيامهم بهذه المحبة وأن ما هم فيه من الزهد والعبادة هو من ذلك، وهم برآء من محبة اللّه إذ لم يتبعوا ما أحبه، بل اتبعوا ما أسخط اللّه وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم... وكثير من المخطئين الذين اتبعوا أشياخًا في الزهد والعبادة وقعوا في بعض ما وقع فيه النصارى: من دعوى المحبة للّه مع مخالفة شريعته وترك المجاهدة في سبيله ونحو ذلك»[(٢)].

وقال أيضًا: «وأهل البدع والجهل يفعلون ما هو من جنس الأذى للّه ورسوله، ويَدَعون ما أمر اللّه به من حقوقه، وهم يظنون أنهم يعظمونه، كما يفعله النصارى بالمسيح، فيضلهم الشيطان كما أضل النصارى وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا، والذين يزورون قبور الأنبياء والصالحين ويحجون إليها ليدعوهم ويسألوهم أو ليعبدوهم ويدعوهم من دون اللّه هم مشركون، وهم إذا قالوا: نحن

(١) الجامع لأحكام القرآن ٤/٦٠.
(٢) مجموع الفتاوى ١٠/٢١١.

نحبهم؛ فهم إن كانوا صادقين هم يحبونهم مع اللّه، لا يحبونهم للّه، كمحبة أهل الشرك للأنداد. قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، والحب للّه أن يكون اللّه هو المحبوب لذاته ويحب أنبياءه لأنه يحبهم، وعلامة محبتهم متابعتهم، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، فمن اتبع الرسول فهو الذي يحبه اللّه، وأما من قال إنه يحبه ـ وإن غلا فيه وأشرك به ـ إذا لم يتبعه فإن اللّه لا يحبه، بل إذا خالفه أبغضه بحسب ذلك ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝١٩﴾ [الأحقاف]، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝٤٦﴾ [فصلت]»[1].

الوجه الثاني عشر: من تعلق بصورة أو امرأة أو أمرد فصار في قلبه العشق والحب حتى مرض أو مات أو فقد عقله فهذا بسبب ضعف توحيده وإيمانه.

والتعقيب على ما قاله الكاتب في ص١١١: [ومن جُنَّ بعشقه أو مرض أو مات لا يحكم عليهم بشرك المحبة المخرج من الإسلام].

والجواب: مبدأ هذا الحب قد يكون طبيعيًّا مأذونًا فيه إذا كان في حدود الشرع، كمن يحب امرأة ليتزوجها من غير فعل أو قول محرم.

وأما الزيادة على ذلك بأن يقوم بقلبه من الهمِّ والتعلق أو الرغبة في الزنا أو مقدماته فهذا من المحرمات، وهو ما نهى اللّه عنه بقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ۝٣٢﴾ [الإسراء].

(١) الرد على الإخنائي ص ١٨٨.

ومنه: قوله ﷺ: «**فمن كانت هجرته إلى اللّه ورسوله فهجرته إلى اللّه ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه**»(١).

وإذا زاد هذا التعلق في القلب فلا شك أنه يكون بسبب عبودية محرمة قامت بقلبه، وهذا معنى قوله ﷺ: «**تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد الخميصة تعس عبد الخميلة تعس وانتكس...**»(٢)، فهذه أربعة أنواع من متاع الدنيا الزائل تتعلق بها القلوب، الدينار والدرهم والخميصة والخميلة، وقد يحصل التعلق بغيرها، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ﴾ [يوسف: ٣٠] وقال تعالى عن يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [يوسف]؛ فالتعلق بها عبودية لغير اللّه، ولكنها لا تبلغ بصاحبها الشرك الأكبر إلا إذا صرف لها ما اختص اللّه تعالى به من الخضوع والذلة ومحبة العبادة والتأله وما يتبع ذلك من أقوال وأفعال شركية؛ كقول بعضهم: أنا أعبد المرأة، وما يفعله بعضهم من السجود ونحوه، وهذا واقع وموجود في بعض بني البشر وقد تلاعب بهم الشيطان واتبعوا أهواءهم.

قال ابن القيم: «ومن كيده وتلاعبه: تلاعبه بطائفة أخرى تعبد الماء من دون اللّه... ومن تلاعبه: تلاعبه بعباد الحيوانات، فطائفة عبدت الخيل وطائفة عبدت البقر وطائفة عبدت البشر الأحياء والأموات وطائفة تعبد الشجر وطائفة تعبد الجن....

---

(١) أخرجه البخاري (٥٤).

(٢) سبق تخريجه.

وطائفة أخرى اتخذت للقمر صنمًا وزعموا أنه يستحق التعظيم، والعبادة وإليه تدبير هذا العالم السفلي... ومنهم من يعبد أصنامًا اتخذوها على صورة الكواكب وروحانيتها بزعمهم، وبنوا لها هياكل ومتعبدات لكل كوكب منها هيكل يخصه وصنم يخصه وعبادة تخصه، ومتى أردت الوقوف على هذا فانظر في كتاب: (السر المكتوم في مخاطبة النجوم) المنسوب إلى ابن خطيب الرَّي[(١)] تعرف سر عبادة الأصنام وكيفية تلك العبادة وشرائطها، وكل هؤلاء مرجعهم إلى عبادة الأصنام فإنهم لا تستمر لهم طريقة إلا بشخص خاص على شكل خاص ينظرون إليه ويعكفون عليه، ومن هاهنا اتخذ أصحاب الروحانيات والكواكب أصنامًا زعموا أنها على صورتها، فوضع الصنم إنما كان في الأصل على شكل معبود غائب، فجعلوا الصنم على شكله وهيأته وصورته ليكون نائبًا منابه وقائمًا مقامه.

وإلا فمن المعلوم أن عاقلًا لا ينحت خشبة أو حجرًا بيده ثم يعتقد أنه إلهه ومعبوده... وبالجملة فأكثر أهل الأرض مفتونون بعبادة الأصنام والأوثان، ولم يتخلص منها إلا الحنفاء، أتباع ملة إبراهيم عليه السلام، وعبادتها في الأرض من قبل نوح عليه السلام كما تقدم، وهياكلها ووقوفها وسدنتها وحجابها. والكتب المصنفة في شرائع عبادتها طبّق ذلك كله الأرض.

قال إمام الحنفاء: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٥ ـ ٣٦]... ففتنة عبادة الأصنام أشد من فتنة عشق الصور وفتنة الفجور بها، والعاشق لا يثنيه عن مراده خشية عقوبة في الدنيا ولا في الآخرة، وهو يشاهد ما يحل بأصحاب ذلك من الآلام والعقوبات والضرب والحبس والنكال والفقر، غير ما

(١) هو الفخر الرازي صاحب التفسير الكبير.

أعد اللّه له في الآخرة وفي البرزخ، ولا يزيده ذلك إلا إقدامًا وحرصًا على الوصول والظفر بحاجته، فهكذا الفتنة بعبادة الأصنام وأشدُّ، فإنّ تألّهَ القلوب لها أعظمُ من تألهها للصور التي يريد منها الفاحشة بكثير..»[(١)].

وكان في الجاهلية من يقول مثل هذا كما قال النابغة يصف امرأة:

كَمُضِيئَةٍ صَدَفِيَّةٍ غَوَّاصُهَا ... بَهِجٌ مَتَى يَرَهَا يُهِلّ وَيَسْجُدِ[(٢)]

وعند بعض الطوائف الباطنية يقومون بوضع الفتاة عند بلوغها أمام من يسجد لها ويقول: يا معبود تلك أيام السعود...قد قطعنا لك كل العهود.

ومما يكون من التعلق بالمعشوق حتى يصل لمرحلة العبادة؛ ما قاله أحدهم:

كلُّ هذا يَشيدُهُ سِحْرُ عينيكِ ... وإلهامُ حُسْنِكِ المعبودِ
فيك ما فيه من غموض وعمق ... وجمال مقدس المعبود
أَنتِ قُدْسي ومعبدي وصباحي ... وربيعي ونَشْوتي وخُلودي
يا ابنةَ النُّورِ إنَّني أنا وحدي ... من رأى فيكِ رَوْعَةَ المَعْبودِ
فدعيني أَعيشُ في ظِلِّكِ العذْبِ ... وفي قُرْبِ حُسنكِ المَشْهودِ
وارحميني فقد تهدَّمتُ في كو ... نٍ من اليأْسِ والظَّلامِ مَشيدِ[(٣)]

ومن صور هذا الغلو في المحبة إلى حد الشرك ديوان لشاعر معاصر سماه: (أشهد أن لا امرأة إلا أنت) جاء فيها قوله: (قولي

---

(١) إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان ٢/٩٧٤.
(٢) أساس البلاغة للزمخشري ١/٨٣.
(٣) عبادة الشابي للخيال (هيكل الحب) ص١٧٤ من ديوان أبي القاسم الشابي.

أحبك كي أكون إلهًا أو أكون رسولًا) الديوان مطبوع لصاحبه (نزار قباني).

وذكر بعض المؤرخين عن بعض أهل الشرق الوثنيين أنهم يقومون بعبادة الأسلاف وعبادة العلاقة الجنسية[١].

وأما محبة أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا فهو نوع آخر، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [النور].

قال شيخ الإسلام: «ليس فيما يقوم بالإنسان من جميع الأمور أعظم تفاضلًا وتفاوتًا من الإيمان، فكلما تقرر إثباته من الصفات والأفعال مع تفاضله فالإيمان أعظم تفاضلًا من ذلك. مثال ذلك: أن الإنسان يعلم من نفسه تفاضل الحب الذي يقوم بقلبه سواء كان حبًّا لولده أو لامرأته أو لرياسته أو وطنه أو صديقه أو صورة من الصور أو خيله أو بستانه أو ذهبه أو فضته وغير ذلك من أمواله، فكما أن الحب أوله علاقة لتعلق القلب بالمحبوب، ثم صبابة لانصباب القلب نحوه، ثم غرام للزومه القلب كما يلزم الغريم غريمه، ثم يصير عشقًا إلى أن يصير تتيمًا ـ، والتتميم التعبد، وتيم اللّه عبد اللّه ـ فيصير القلب عبدًا للمحبوب مطيعًا له لا يستطيع الخروج عن أمره. وقد آل الأمر بكثير من عُشَّاق الصور إلى ما هو معروف عند الناس مثل من حمله ذلك على قتل نفسه وقتل معشوقه، أو الكفر والردة عن الإسلام، أو أفضى به إلى الجنون وزوال العقل، أو أوجب خروجه عن المحبوبات العظيمة من الأهل والمال والرياسة، أو إمراض جسمه وأسنانه...»[٢] وأطال الكلام حول هذا المعنى العظيم في بيان

(١) كتاب: قصة الحضارات ول ديورانت ١٢/٥، وانظر منه: ٢٢١/٣.
(٢) مجموع الفتاوى ٥٦٦/٧ ـ ٥٦٧.

تفاضل الإيمان في القلوب ثم قال: «فهذه الوجوه ونحوها مما تبين تفاضل الإيمان الذي في القلب؛ وأما تفاضلهم في الأقوال والأعمال الظاهرة فلا تشتبه على أحد، واللّه أعلم»[(١)].

الوجه الثالث عشر: المراد بقول أهل العلم في بيان محبة العبادة، وأنها تتضمن غاية الذل وغاية الخضوع هو بالنظر إلى عمل العابد من حيث اجتهاده وعمله فهذه الغاية التي يقدمها في كل عمل بحسبه، وليس بالنظر إلى جميع أحوال العابدين؛ وهاهنا غلط كبير وقع فيه الكاتب إذ يقول في ص ١٠٥: **[وباشتراط أن تكون العبادة هي بلوغ غاية الخضوع والذل لن يكون القيام والركوع عبادة لأن هناك غاية فوقهما في الخضوع والذل وهي السجود...]** ثم قال: **[وبهذا التقرير البالغ غايةً في الجهل والحمق سيكون كل من سِوى رسول اللّه ﷺ غير عابد للّه تعالى أصلًا وسينفرد ﷺ بحقيقة العبادة دون من سواه من أهل الإيمان... لأنه لن يبلغ أحدٌ من البشر غاية سيد الأولين والآخرين ﷺ في الخضوع والذل والمحبة للّه تعالى...]**.

فهذا ينبئ أن الكاتب لم يتصور حقيقة ما قاله العلماء في معنى العبادة.

فهو يظن أن الغاية في الخضوع والذل قام بها الرسول ﷺ، ومن لم يبلغ هذه الغاية فإنه لم يقم بالعبادة، ويجعل فهمه هذا حاكمًا على تعريف أهل العلم للعبادة فيبطله!! وهذا غلط واضح فالعباد متفاوتون في مقدار الحب والذل والخضوع، ولكن أقصى ما يقوم به الواحد من المكلفين من محبته وخضوعه وذله فهذا هو تعبده.

«ومعلوم أن الناس يتفاضلون في حب اللّه أعظم من تفاضلهم

(١) مجموع الفتاوى ٧/٥٧٤.

في حب كل محبوب، فهو سبحانه اتخذ إبراهيم خليلًا واتخذ محمدًا أيضًا خليلًا، كما استفاض عنه أنه قال: «لو كنت متخذًا خليلًا من أهل الأرض لاتخذت أبا بكر خليلًا؛ ولكن صاحبكم خليل اللّه»[1] يعني نفسه ﷺ. وقال: «**إن اللّه اتخذني خليلًا كما اتخذ إبراهيم خليلا**» والخلة أخص من مطلق المحبة، فإن الأنبياء عليهم السلام والمؤمنين يحبون اللّه ويحبهم اللّه كما قال: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤] الآية. وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا﴾ [البقرة: ١٦٥] وقد أخبر اللّه أنه يحب المتقين ويحب المقسطين ويحب التوابين ويحب المتطهرين..»[2].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والعبادة تتضمن كمال الحب ونهايته وكمال الذل ونهايته؛ فالمحبوب الذي لا يعظم ولا يذل له لا يكون معبودًا، والمعظم الذي لا يحب لا يكون معبودًا؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ﴾ [البقرة: ١٦٥] فبين سبحانه أن المشركين بربهم الذين يتخذون من دون اللّه أندادًا وإن كانوا يحبونهم كما يحبون اللّه، فالذين آمنوا أشد حبًّا للّه منهم للّه ولأوثانهم؛ لأن المؤمنين أعلم باللّه، والحب يتبع العلم، ولأن المؤمنين جعلوا جميع حبهم للّه وحده، وأولئك جعلوا بعض حبهم لغيره وأشركوا بينه وبين الأنداد في الحب، ومعلوم أن ذلك أكمل. قال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الزمر].

واسم المحبة فيه إطلاق وعموم، فإن المؤمن يحب اللّه ويحب

(١) أخرجه مسلم (٢٣٨٣).

(٢) مجموع الفتاوى ٧/٥٦٦.

رسله وأنبياءه وعباده المؤمنين، وإن كان ذلك من محبة اللّه، وإن كانت المحبة التي للّه لا يستحقها غيره؛ ولهذا جاءت محبة اللّه ﷻ مذكورة بما يختص به سبحانه من العبادة والإنابة إليه والتبتل له؛ ونحو ذلك. فكل هذه الأسماء تتضمن محبة اللّه ﷻ ثم إنه كما بين أن محبته أصل الدين، فقد بين أن كمال الدين بكمالها ونقصه بنقصها . . . »[1].

ويقول أيضًا: «فلفظ «العبادة» متضمن للمحبة مع الذل كما تقدم، ولهذا كانت محبة القلب للبشر على طبقات. أحدها: «العلاقة» وهو تعلق القلب بالمحبوب. ثم «الصبابة» وهو انصباب القلب إليه. ثم «الغرام» وهو الحب اللازم. ثم «العشق» وآخر المراتب هو «التتيم» وهو التعبد للمحبوب والمتيم المعبود وتيم اللّه عبد اللّه؛ فإن المحب يبقى ذاكرًا معبدًا مذللًا لمحبوبه»[2].

«فمحبة اللّه وحده والتوكل عليه وحده وخشية اللّه وحده ونحو هذا كل هذا يدخل في توحيد اللّه تعالى، قال تعالى في المحبة: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ﴾ [البقرة: ١٦٥] وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ﴾ [التوبة: ٢٤] . . . »[3].

الوجه الرابع عشر: وأما ما زعمه الكاتب في ص ١١١ أنه

(١) مجموع الفتاوى ٥٦/١٠.
(٢) مجموع الفتاوى ٧٠/١٠.
(٣) مجموع الفتاوى ٢٧٥/١٠.

لا بد من بيان الحد المميز لحب النبي ﷺ حتى لا يكون فوق حب اللّه تعالى فيكون شركًا! ويريد أن يلزم أهل السنة والجماعة بهذا القول؛ ويقرر أن المسلمين مأمورون بحبه أشد من حبهم لأنفسهم وأهليهم وأموالهم والناس أجمعين، ثم يقول الكاتب: **[لأنه بالأمر بذلك الحب العظيم للنبي ﷺ دون بيان حده سيكون ذريعة للشرك يا غلاة سد ذرائع الشرك بزعمكم]**.

والرد عليه بما تقدم ذكره؛ فالكاتب لم يفرق بين حب اللّه الذي هو عبادة، وبين الحب لأجل اللّه وفيه؛ فحبُّ النبي ﷺ إنما هو حبٌّ لأجل اللّه؛ فاللّه الذي أرسله وفرض الإيمان به وطاعته واتباعه وأوجب محبته.

وهكذا لم يفرق الكاتب بين هذين النوعين السابقين، وهما من العبادة والدين المأمور به، وبين المحبة الشركية، وهي المحبة مع اللّه.

«ومعلوم أن المحبة والمودة التي بين المؤمنين إنما تكون تابعة لحبهم للّه تعالى؛ فإن أوثق عرى الإيمان الحب في اللّه والبغض في اللّه. فالحب للّه من كمال التوحيد؛ والحب مع اللّه شرك. قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، فتلك المودة التي صارت بين الرسول والمؤمنين وبين الذين عادوهم من المشركين إنما كانت مودة للّه ومحبة للّه، ومن أحب اللّه أحبه اللّه، ومن ودَّ اللّه ودَّه اللّه، فعلم أن اللّه أحبهم وودَّهم بعد التوبة كما أحبوه وودوه»[(١)].

«فإن الأصل هو حب اللّه وحب ما يحبه اللّه، فمن أحب اللّه

---

(١) مجموع الفتاوى ٣٠٦/١٠.

وأحب ما يحبه اللّه كان من أولياء اللّه. . . فمحبة اللّه ورسوله وعباده المتقين تقتضي فعل محبوباته وترك مكروهاته، والناس يتفاضلون في هذا تفاضلًا عظيمًا، فمن كان أعظم نصيبًا من ذلك كان أعظم درجة عند اللّه.

والفرق بين المحبة للّه والمحبة مع اللّه ظاهر؛ فأهل الشرك يتخذون أندادًا يحبونهم كحب اللّه والذين آمنوا أشد حبًّا للّه، وأهل الإيمان يحبون ذلك؛ لأن أهل الإيمان أصل حبهم هو حب اللّه، ومن أحب اللّه أحب من يحبه، ومن أحبه اللّه فمحبوب المحبوب محبوب، ومحبوب اللّه يحب اللّه، فمن أحب اللّه فيحبه من أحب اللّه. وأما أهل الشرك فيتخذون أندادًا أو شفعاء يدعونهم من دون اللّه، قال اللّه تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [الأنعام] وقال اللّه تعالى: ﴿وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ [يس]»[1].

الوجه الخامس عشر: قول الكاتب في ص ١١٢: (يا غلاة سد ذرائع الشرك بزعمكم).

الذي شرع سد ذرائع الشرك هو رب العالمين جلَّ جلاله؛ فقال تعالى ﴿لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾ [النساء: ١٧١] وقال تعالى ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [الأعراف]

(١) مجموع الفتاوى ١١/٥٢٠.

وكذلك رسوله المصطفى ﷺ فقد قال: «**إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين**»(١) وقال: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد فقولوا عبد اللّه ورسوله**»(٢).

ووسائل الشرك المفضية إليه لا بد من القضاء عليها، وإلا وقع الشرك، فإن الوسائل تؤدي إلى الغايات، وقد قال النبي ﷺ لما أخبرته أم حبيبة وأم سلمة أنهما رأتا في أرض الحبشة كنيسة فيها صور فقال النبي ﷺ: «**إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدًا وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند اللّه**»(٣).

والبناء على القبور واتخاذها مساجد ونصب الصور من أسباب الشرك ومن وسائله، كما وقع لقوم نوح ومن جاء بعدهم، والنبي ﷺ قال: «**لعن اللّه اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»(٤)، وقاله في مرض موته قبل أن يموت بقليل عليه الصلاة والسلام يحذر الناس من الشرك ووسائله، وقال عليه الصلاة والسلام: «**لا تصلوا إلى القبور ولا تجلسوا إليها**»(٥)، ونهى عن تجصيص القبور، وأن يقعد عليها، وأن يبنى عليها، كل هذا من باب سد الذرائع المفضية إلى الشرك.

وأشرف ما يكون للدعاة إلى اللّه أن يسيروا على منهاج القرآن والسنة في سد ذرائع الشرك والمنع منها متابعة للشرع المطهّر.

---

(١) أحمد (٣٢٤٨)، والنسائي (٣٠٥٧)، وابن ماجه (٣٠٢٩).
(٢) البخاري (٣٢٦١).
(٣) أخرجه البخاري (٤١٧)، ومسلم (٥٢٨).
(٤) أخرجه البخاري (٤٢٥)، ومسلم (٥٣١).
(٥) أخرجه مسلم (٩٧٢).

وأما الذي يلغيها ولا يبالي بها؛ فهذا مخالف للقرآن والسنة ويكفيه من الشر هذه المنزلة، فكيف يليق بالكاتب أن يقول: **[يا غلاة سد ذرائع الشرك بزعمكم]!.**

قوله في الصفحة ١١٢ في الحاشية رقم ١ (إنه حرم بعض ما أُبيح في الشرائع السابقة كالسجود لغير الله سدًّا لذريعة الشرك).

السجود الذي كان مباحًا في الشرائع السابقة هو سجود التحية، وكان في الأمم السابقة من يسجد لغير الله وحكم الله بكفرهم وشركهم، كما هو مذكور في سورة النمل من خبر قوم سبأ، وكما وضح الله كفر من سجد للشمس والقمر في سورة فصلت.

وقوله في حاشية الصفحة نفسها: (أن غلاة سد الذرائع في الفقه وغيره ما زالوا يزيدون في تحريم ما لا يحرمه الله تعالى بحجة سد ذريعة الشرك، من مثل تحريم بعضهم أن يُكتب اسم (الله) تعالى عن يمين المحراب إذا كتب مقابله اسم النبي (محمد) ﷺ عن يسار المحراب! في نحو ذلك من صور الغلو والزيادة على الشرع الذي كفاهم باحتياطاته البالغة في هذا الباب على وجه الخصوص).

والرد عليه: أن كتابة الاسم مجردًا من كلام قبله أو بعده ليس بذكر لله، ولا أمر الله به ولا رسوله ﷺ، فكيف ينافح عنه وينكر على من ينكره!!

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن ظهور المساواة بين الله تعالى وبين الرسول ﷺ في مثل هذا الصنيع، واردة عند كثير من الناس، خصوصا بعض الأعاجم وحديثي العهد بدخول الإسلام ومن لا يعرف الإسلام، فإنهم يظنون التساوي بين الاسمين، وقد قال رجل للنبي ﷺ: «ما شاء الله وشئت» فقال النبي ﷺ: «**أجعلتني لله نِدّاً بل**

ما شاء الله وحده»[١]، وخطب رجل عند النبي ﷺ فقال: «من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غَوَى»، فقال رسولُ الله ﷺ: «**بئس الخَطيبُ أنت، قل: ومَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ**»[٢] وهذه الكتابات والصيغ التي يُهوّن من شأنها الكاتب، هي من مسالك من لم يُعْرف بالتمسك بالسنة المطهرة.

وادعاؤه أن الفتوى بتحريم ذلك هي من الغلو والزيادة على الشرع، ادعاء ظاهر البطلان؛ فتعليق مثل هذه الكتابات هو من الزيادة على الشرع، وتسويغ الغلو الذي هو صنيع الكاتب، ومعلوم أنه لم يرد تعليق مثل هذا، لا عن رسول الله ﷺ، ولا عن الصحابة، ولا عن التابعين، مع إمكان الكتابة والتعليق في المسجد وجدرانه وسواريه، فأيهم الذي زاد على الشرع!

ومن هو الأقرب إلى سنة النبي ﷺ، هل الذي منع هذه التعليقات المتكلفة المخترعة، أم من سوّغها للعوام وزيّنها لهم وأفتى بتعليقها في المساجد!

ومن جهة ثالثة، قد وردت الأحاديث في تنزيه قبلة المسجد عما يلهي المصلي. فكل هذا يؤكد بعد الكاتب عن الحق في هذه المسألة وتجنيه على أهل العلم[٣].

قول الكاتب في الصفحة ١١٢ في الحاشية ١: (وهؤلاء لو استطاعوا لحرموا الطواف بالكعبة واستلام ركنها وكل مظاهر تعظيمها بحجة سد الذريعة؛ لأن هذه المظاهر حسب تقريرهم يجب أن تكون

---

(١) تقدم تخريجه ص ٧٩.

(٢) أخرجه مسلم (١٤٤٤).

(٣) صدرت بتحريم ذلك فتوى اللجنة الدائمة «المجموعة الثانية» (١/١٦٩ ـ ١٧٠).

أعظم ذريعة للشرك؛ لأنها تعظيم لحجر بما يشبه عبادة الأوثان في الظاهر. وهم لا يعلمون أن ما جُعِلَ رمزا للتوحيد (كالكعبة) لن يكون ذريعة للشرك؛ لأنه لن يُعظم عند أهل الشهادتين إلا بعد توحيدهم الله).

هذا غير صحيح فلم يقل أحد من أهل العلم لو استطعت لحرمت الطواف بالكعبة.. إلخ، ولم يقل أحد منهم هذه المظاهر أعظم ذريعة للشرك، ولم يقل أحد منهم إنها تعظيم لحجر بما يشبه عبادة الأوثان، فعُلِم أنه اتهام باطل وبهتان.

وأهل الإيمان قاطبة يعلمون علم اليقين أن الأصل في العبادات المنع والحظر إلا ما جاء به الدليل، وأن العبادات لا تقبل عند الله إلا إذا أمر الله بها وشرعها لعباده وكانت موافقة لسنة رسوله ﷺ، فلا يقبل الله تعالى عبادة مخترعة مبتدعة كما قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾ [الشورى: ٢١] وقال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الجاثية: ١٨] وقد قال الفاروق عمر بن الخطاب في الحجر الأسود: (ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك)[(١)].

وقوله: (أن ما جُعِلَ رمزا للتوحيد (كالكعبة) لن يكون ذريعة للشرك)!

يُقال له: ليس معك أثارة من علم على هذه الدعوى.

ويُقال له أيضًا: الكعبة رمز للتوحيد لمن آمن بالله واتبع الرسول حقًا، ولكن قاصدي الكعبة منهم الموحد ومنهم المشرك، وقد كانت الكعبة في مكة قبل مبعث النبي ﷺ، وكانت الأصنام حولها، وكانت

---

(١) تقدم تخريجه ص ١٤٣.

العرب تشرك بها وتعظمها التعظيم الشركي، فلم يغن عنهم من الله شيئًا.

الوجه السادس عشر: الرد على قول الكاتب في ص ١١٣: [كحب أصحابه الكرام ﭫ له ﷺ، وكحب الأولياء والصالحين له ﷺ لأننا لا نشك أن حب هؤلاء السادة للنبي ﷺ في صدقه والوفاء بعهده والفداء لأجله وعظيم الشوق إليه ﷺ بسببه أعظم من حب المشركين لأقل آلهتهم منزلة لديهم...].

تقدم أن هذا الكاتب اختلط عنده محبة العبادة المتضمنة للخضوع والذل والمحبة لأجل اللّه وفيه، فالذي وقع فيه المشركون من محبة آلهتهم ليس محبة لأجلها وفيها؛ بل محبة لها اقتضت صرف العبادة لها.

أما محبة النبي ﷺ فهي محبة في اللّه ولأجل اللّه؛ فهذه المحبة عبادة للّه وليست عبادة للنبي ﷺ فخلط الكاتب بين أنواع المحبة.

ولفظ السادة والأولياء صار يطلق عند متأخري غلاة الصوفية والرافضة على بعض الزنادقة ممن يزعم أن التكاليف سقطت عنه أو يدعي أنه يعلم الغيب أو يدعي أمورًا لا تليق إلا باللّه تعالى.

وقول الكاتب: **[حب هؤلاء السادة للنبي ﷺ في صدقه والوفاء بعهده والفداء لأجله وعظيم الشوق إليه ﷺ بسببه]**.

فيه غرابة ونكارة، فكيف يقول **[حب النبي ﷺ في صدقه]**؟؟ وكيف يقول: **[وعظيم الشوق إليه ﷺ بسببه]**؟؟، فهذا الكلام فيه غلط في التركيب.

الوجه السابع عشر: غلط الكاتب أيضًا في معنى الخوف كغلطه في الحب وذلك بما قاله في ص ١١٣: **[متى يكون الخوف من**

غير اللّه شركًا، قد يموت بعض الناس خوفًا من مخلوق، وقد يسقط بعضهم مغشيًّا عليه من شدة الخوف لخبر يفجؤه وهو مؤمن يقوم للصلاة ويخشى ربه ولكنه لا يموت ولا يغشى عليه من خشية اللّه تعالى..].

وغلط الكاتب واضح بيّن إذ لم يفرق بين أنواع الخوف ولم يميز بينها[(١)]، قال الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «**وقوله**: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص: ٢١]، فيه أن ذلك الخوف والترقب لا يذم»[(٢)].

فالخوف أنواع:

النوع الأول: خوف السرّ؛ وهو أن يخاف من غير اللّه أن يصيبه بما شاء من مرض أو فقر أو قتل، ونحو ذلك بقدرته ومشيئته، فمن اتخذ مع اللّه ندًّا يخافه هذا الخوف فهو مشرك.

الثاني: أن يترك الإنسان ما يجب عليه من الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بغير عذر إلا الخوف من الناس، فهذا محرم.

الثالث: خوف وعيد اللّه الذي توعد به العصاة، وهو الذي قال اللّه فيه: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ﴾، وهذا الخوف من أعلى مراتب الإيمان، وإنما يكون محمودًا إذا لم يوقع في القنوط واليأس من روح اللّه.

---

(١) انظر: كتاب تيسير العزيز الحميد ص ٢٤، وشروح كتاب التوحيد «باب إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه»، والإرشاد للفوزان ص ٥٣ ـ ٦٠، وينظر: منهاج السنة لابن تيمية ٥/٤٨٤، إغاثة اللهفان لابن القيم ١/١١٠، وطريق الهجرتين وباب السعادتين ص ٢٨١، ٢٩٢، معارج القبول ٢/٤٤٣.

(٢) الدرر السنية في الأجوبة النجدية ١٣/٣٤٧.

الرابع: وهو الخوف الطبيعي؛ كالخوف من عدو، وسبع، وهدم، وغرق، ونحو ذلك فهذا لا يذم، وهو الذي ذكره اللّه عن موسى عليه الصلاة والسلام في قوله: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾.

وقال الشيخ سليمان بن عبد اللّه بن محمد بن عبد الوهاب معلقًا على النوع الأول وهو خوف العبادة من غير اللّه:

«وهذا القسم هو الواقع اليوم من عباد القبور، فإنهم يخافون الصالحين بل الطواغيت، كما يخافون اللّه بل أشد. ولهذا إذا توجهت على أحدهم اليمين باللّه أعطاك ما شئت من الأيمان كاذبًا أو صادقًا، فإن كان اليمين بصاحب التربة لم يقدم على اليمين إن كان كاذبًا، وما ذاك إلا لأن المدفون في التراب أخوف عنده من اللّه. ولا ريب أن هذا ما بلغ إليه شرك الأولين، بل جهد أيمانهم اليمين باللّه تعالى، وكذلك لو أصاب أحدًا منهم ظلم لم يطلب كشفه إلا من المدفونين في التراب. وإذا أراد أن يظلم أحدًا فاستعاذ باللّه أو ببيته لم يعذه، ولو استعاذ بصاحب التربة أو بتربته لم يقدم عليه أحدًا ولم يتعرض له بالأذى، حتى إن بعض الناس أخذ من التجار أموالًا عظيمة أيام موسم الحاج، ثم بعد أيام أظهر الإفلاس، فقام عليه أهل الأموال، فالتجأ إلى قبر في جدة يقال له: المظلوم فما تعرض له أحد بمكروه خوفًا من سر المظلوم وأشباه هذا من الكفر، وهذا الخوف لا يكون العبد مسلمًا إلا بإخلاصه للّه تعالى وإفراده بذلك دون من سواه»[(١)].

«فخوف العبادة هو عبودية في القلب لا تصلح إلا للّه وحده كالذل والمحبة والإنابة والتوكل والرجاء وغيرها من عبودية القلب... الخوف إنما يكون قبل دخول الجنة، فإذا دخلوها زال عنهم الخوف

(١) تيسير العزيز الحميد ٤١٧.

الذي كان يصحبهم في الدنيا وفى عرصات القيامة، وبدلوا به أمنًا، لأنهم قد أمنوا العذاب فزايلهم الخوف منه»[(١)].

قال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وبالجملة إنهم لم يدعوا شيئًا مما كانت الجاهلية تفعله بالأصنام إلا فعلوه، فإنا للّه وإنا إليه راجعون. ومع هذا المنكر الشنيع والكفر الفظيع لا تجد من يغضب للّه ويغار حمية للدين الحنيف لا عالمًا ولا متعلمًا ولا أميرًا ولا وزيرًا ولا ملكًا، وقد توارد إلينا من الأخبار ما لا يشك معه أن كثيرًا من هؤلاء المقبورين أو أكثرهم إذا توجهت عليه يمين من جهة خصمه حلف باللّه فاجرًا، فإذا قيل له بعد ذلك: احلف بشيخك ومعتقدك الولي الفلاني تلعثم وتلكأ وأبى واعترف بالحق. وهذا من أبين الأدلة الدالة على أن شركهم قد بلغ فوق شرك من قال: إنه تعالى ثاني اثنين أو ثالث ثلاثة، فيا علماء الدين، ويا ملوك المسلمين، أي رزء للإسلام أشد من الكفر، وأي بلاء لهذا الدين أضر عليه من عبادة غير اللّه؟»[(٢)].

فهذا حال المشركين المتأخرين ممن يدعون الإسلام! ينكبُّون على القبر، ويقول الواحد منهم: «**يا مولاي، أتيتك خائفًا فآمني، وأتيتك مستجيرًا فأجرني، وأتيتك فقيرًا فأغنني**»[(٣)].

وقال الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اعلم أن الخوف والخشية تارة يقع عبادة، وتارة يقع طبيعة وعادة، وذلك بحسب أسبابه ومتعلقاته؛ فإن كان الخوف والخشية خوف تأله وتعبد، وتقرب بذلك

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين ٢٩٢.

(٢) نيل الأوطار ٤٢٩/٧.

(٣) بحار الأنوار للمجلسي ٣٥٣/٩٨.

الخوف إلى من يخافه، وكان يدعو إلى طاعة باطنة، وخوف سري يزجر عن معصية من يخافه، كان تعلقه باللّه من أعظم واجبات القلب وتعلقه بغير الله من الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله؛ لأنه أشرك في هذه العبادة التي هي من أعظم واجبات القلب غير اللّه مع اللّه، وربما زاد خوفه من غير اللّه على خوفه من اللّه.

وأيضًا فمن خشي اللّه وحده على هذا الوجه فهو مخلص موحد، ومن خشي غيره فقد جعل للّه ندًّا في الخشية، كمن جعل للّه ندًّا في المحبة، وذلك كمن يخشى من صاحب القبر أن يوقع به مكروهًا، أو يغضب عليه فيسلبه نعمة أو نحو ذلك، مما هو واقع من عباد القبور، وإن كان الخوف طبيعيًا كمن يخشى من عدو أو سبع أو حية أو نحو ذلك مما يخشى ضرره الظاهري، فهذا النوع ليس عبادة، وقد يوجد من كثير من المؤمنين ولا ينافي الإيمان. وهذا إذا كان خوفًا محققًا قد انعقدت أسباب الخوف فليس بمذموم. وإن كان هذا خوفًا وهميًا كالخوف الذي ليس له سبب أصلًا، أو له سبب ضعيف فهذا مذموم يدخل صاحبه في وصف الجبناء، وقد تعوذ ﷺ من الجبن، فهو من الأخلاق الرذيلة»[1].

وبين العلامة الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه المسألة عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ فقال: «في هذه الآية الكريمة، وأمثالها في القرآن الكريم سؤال معروف، وهو أن يقال: لا يوجد أحد إلا وهو يخشى من غير اللّه، ويخاف من غير اللّه؛ لأنّ كل المخاوف والمحاذير جُبلت طبائع البشر على الخوف والخشية منها، والذي لم يخف شيئًا من المخاوف والمحاذير هذا أمر صعب. والعلماء يجيبون

(١) القول السديد ١١٧ ـ ١١٨.

عن هذا جوابين: بعضهم يقول: الخشية التي هي شرك باللّه والتي يُحَذِّر اللّه منها خشيةَ الأصنام والخوفَ من المعبودات من دون اللّه. وهذا النوع دلت عليه آيات كثيرة؛ لأن عبدة الأصنام يخوّفون من يسبّ الأصنام بأنّ الأصنام ستفعل له وتفعل؛ كما قالوا لنبي اللّه هود: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝٥٤ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ۝٥٥ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ﴾ الآية. وكذلك لما خوفوا منها نبي اللّه إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، وقالوا له: ستفعل بك أصنامنا وتفعل، قال لهم: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًاۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٨١﴾. وخُوِّفَ بها نبيُّ اللّه صلوات اللّه وسلامه عليه؛ كما نص اللّه عليه في سورة الزمر في قوله: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ﴾، ثم ردّ عليهم، قال: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥۖ﴾، وفي قراءة أخرى: ﴿كافي عباده﴾، وهذا كثير في القرآن، وهذه الخشية التي خاف صاحبها من عاقبة الأصنام كفر باللّه وشرك به. وقال بعض العلماء: هي الخشية الدنيوية من الناس إذا كانت تحمل الإنسان على أن يعصي اللّه؛ كالذي يخشى من الكفار، ويجبن عن الجهاد في سبيل اللّه، كما تقدم في قوله: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾. أما ما يعرض للإنسان من الخوف من الأشياء والمحاذير بجبلته، فهذا أمر لا مخالفة فيه؛ لأنّ اللّه لا يكلف نفسًا إلا وسعها كما هو معلوم»[1].

الوجه الثامن عشر: ومن أغلاط الكاتب اشتباه الأمور عليه في عبادة القيام والذبح والسجود والركوع:

فيقول في الصفحة ١١٤: **[فنحن نقوم للّه قيام عبادة في**

(١) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير ٥/٣٣٣.

الصلاة. . .، ونحن نقوم أيضًا قيام تعظيم لمن نستقبله ممن يستحق التعظيم من الناس فكيف نفرق بين التعظيمين بالقيام..].

[ونحن نذبح للّه تعالى عبادة ونذبح لمن نعظمه من الضيوف تعظيمًا وإكرامًا له..].

ثم ذكر السجود وقال: **[فما هو الفرق بين السجودين عند يعقوب وعند الملائكة الذي كانوا يفرقون به بين سجود العبادة للّه تعالى وسجود التحية والتعظيم بغير عبادة لمن سواه..].**

ثم نقل عن الذهبي في الصفحة ١١٦ أنه قال في تراجم أحد الرواة ما مضمونه: أن السجود لقبر النبي ﷺ لا يكفر به أصلًا.

ثم قال: **[وفي حديث النبي ﷺ «لو كنت آمرًا أحدًا..» فلو كان السجود لغير اللّه تعالى شركًا لما أمكن أن يقول النبي ﷺ هذا التعبير لأن معناه سيكون باعتبار السجود عبادة وشركًا لو كنت آمرًا أحدًا أن يشرك بأحد مع اللّه تعالى لأمرت المرأة أن تشرك بزوجها..].**

والرد عليه بمثل ما تقدم فإن الكاتب يخلط بين الأنواع ويسوي بين الأمور المختلفة.

فالسجود يكون عبادة وهو ما تضمن غاية الخضوع والذل فمن صرفه لغير اللّه فقد أشرك، ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [فصلت] وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج] ومدح اللّه تعالى عباده الصالحين فقال: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا﴾ [السجدة: ١٥] وقال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا

﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسراء]، وقال تعالى: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [الحج: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴿٦٢﴾﴾ [النجم]، وقال تعالى: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾﴾ [العلق]، والمشركون يأبون السجود للّه تعالى وحده ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿٦٠﴾﴾ [الفرقان] والآيات في هذا المعنى معلومة.

فعُلِمَ أن السجود من أجلِّ العبادات للّه رب العالمين، وهو ذلٌّ وانكسارٌ لله تعالى، فمن صرف هذه العبادة لغير اللّه فلا ريب أنه مشرك باللّه، ولا يشترط في وقوعه في الشرك وجود اعتقاد الربوبية في المسجود له؛ بل إذا وجد هذا الاعتقاد فهو كافر باللّه وإن لم يسجد لذلك الغير.

وهذا السجود الذي هو عبادة لم يكن مباحًا في أي شريعة قط بل جميع الرسل بعثهم اللّه تعالى بالتوحيد وإفراد اللّه بجميع أنواع العبادة.

وأما السجود لآدم عليه السلام الذي أمر اللّه به الملائكة، وكذلك سجود يعقوب عليه السلام وإخوة يوسف ليوسف لما دخلوا مصر، فلا يراد به العبادة بل هو سجود تشريف وتحية وتكريم، وهذا كان في شرع من قبلنا ثم جاء شرعنا بتحريمه، فلا يجوز في شريعة محمد ﷺ السجود لغير الله لا سجود تحية ولا سجود عبادة.

قال ابن تيمية رحمه الله: «السجود على ضربين سجود عبادة محضة، وسجود تشريف»[١].

ونقل ابن جرير عن بعض المتقدمين من أئمة التفسير فقال:

---

(١) مجموع الفتاوى ٤/٣٦١.

«وكانت تلك تحية الملوك في ذلك الزمان...، عن قتادة: وكانت تحية الناس يومئذ أن يسجد بعضهم لبعض... قال ابن زيد في قوله: ﴿وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا﴾ ذلك السجود تشرفة، كما سجدت الملائكة لآدم تشرفة، ليس بسجود عبادةٍ»[1] ثم قال ابن جرير: «وإنما عنى من ذكر بقوله: إن السجود كان تحية بينهم، أن ذلك كان منهم على الخُلُق، لا على وجه العبادة من بعضهم لبعض. ومما يدل على أن ذلك لم يزل من أخلاق الناس قديمًا قبل الإسلام على غير وجه العبادة من بعضهم لبعض، قول أعشى بني ثعلبة:

فَلَمَّا أَتَانَا بُعَيْدَ الكَرَى ... سَجَدْنَا لَهُ وَرَفَعْنَا عَمَارَا»[2]

وقال ابن عطية: «وأجمع المفسرون أن ذلك السجود ـ على أي هيئة كان ـ فإنما كان تحية لا عبادة، قال قتادة: هذه كانت تحية الملوك عندهم، وأعطى اللّه هذه الأمة السلام تحية أهل الجنة»[3].

فبيّن أهل العلم من المفسرين أن ذلك السجود من التحية والتشريف.

وجاءت الشريعة الإسلامية بالنهي عنه وتحريمه.

والفرق بين سجود العبادة وسجود التحية واضح بيّن، يعرف من خلال أحوال الساجد والمسجود له، فإذا كان الساجد يستغيث بالمسجود له ويتضرع له ويشكو إليه ويسأله الحاجات عُلم أن سجوده سجود عبادة لا تحية، وهكذا إذا سجد لصنم أو سجد لشجرة أو سجد للشمس والقمر فلا يتصور في هذا أنه سجود تحية. وكذلك

(١) جامع البيان ١٣/٣٥٥.
(٢) جامع البيان ١٣/٣٥٦.
(٣) المحرر الوجيز ٣/٢٨١.

السجود للقبر فإنه لا يكون سجود تحية؛ بل هذا سجود عبادة كما يُعْلم ذلك من قوله ﷺ: «**اللّهم لا تجعل قبري وثنًا يُعْبَد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[(١)] وكما يُعْلم ذلك من الأحاديث الكثيرة عنه ﷺ في النهي عن اتخاذ القبور مساجد.

وبهذا يعرف الجواب عن النقل عن الذهبي رحمه الله، فإن الذهبي غلط في قوله (إن السجود لقبر النبي ﷺ لا يكفر به أصلًا)[(٢)] بل هذا عينُ ما نهى عنه النبي ﷺ وسمى فاعله عابدًا بقوله: «اللهم لا تجعل قبري وثنًا يُعْبد»، والعلماء المحققون صرّحوا بأن السجود لقبر النبي ﷺ أو غيره أنه من الشرك الأكبر والكفر المخرج من الملة.

قال ابن عبد البر رحمه الله: «وكانت العرب تصلي إلى الأصنام وتعبدها، فخشي رسول الله ﷺ على أمته أن تصنع كما صنع بعض من مضى من الأمم، كانوا إذا مات لهم نبي عكفوا حول قبره كما يصنع بالصنم، فقال ﷺ: «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا يصلى إليه ويسجد نحوه ويعبد**» فقد اشتد غضب الله على من فعل ذلك. وكان رسول الله ﷺ يحذر أصحابه وسائر أمته من سوء صنيع الأمم قبله، الذين صلوا إلى قبور أنبيائهم واتخذوها قبلة ومسجدًا، كما صنعت الوثنية بالأوثان التي كانوا يسجدون إليها ويعظمونها، وذلك الشرك الأكبر»[(٣)].

---

(١) تقدم تخريجه ص٨٠.

(٢) والذهبي عفا الله عنه، له بعض التعليقات المنثورة في بعض التراجم لم يحرِّرها، وخالف فيها السُّنَّة وقد تمسك بها بعض المبتدعة من الصوفية والشيعة وأشباههم، والكاتب سلك سبيل هؤلاء في اتباع زلات بعض العلماء، واتباع المتشابه والإعراض عن الأدلة المحكمة من الكتاب والسُّنَّة، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لزياد بن حُدَيْر: «هل تعرف ما يهدمُ الإسلام؟ قال: قلت: لا، قال: «يهدمه زلّة عالم، وجدال المنافق بالكتاب وحكم الأئمة المضلين» رواه الدارمي رقم (٢٢٠).

(٣) التمهيد (٥/ ٤٥).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ثم ينقله بعد ذلك درجة أخرى إلى أن يتخذ قبره وثنا يعكف عليه، ويوقد عليه القنديل، ويُعلِّق عليه الستور، ويبنى عليه المسجد، ويعبده بالسجود له، والطواف به وتقبيله واستلامه والحج إليه والذبح عنده. ثم ينقله درجة أخرى إلى دعاء الناس إلى عبادته، واتخاذه عيدًا ومنسكًا وأن ذلك أنفع لهم في دنياهم وآخرتهم.

قال شيخنا قدس الله روحه: «وهذه الأمور المبتدعة عند القبور مراتب، أبعدها عن الشرع: أن يسأل الميت حاجته، ويستغيث به فيها، كما يفعله كثير من الناس. قال: وهؤلاء من جنس عُبّاد الأصنام، ولهذا قد يتمثل لهم الشيطان في صورة الميت أو الغائب كما يتمثل لعباد الأصنام. وهذا يحصل للكفار من المشركين وأهل الكتاب، يدعو أحدهم من يعظمه فيتمثل له الشيطان أحيانًا. وقد يخاطبهم ببعض الأمور الغائبة. وكذلك السجود للقبر، والتمسح به وتقبيله»[(١)].

وقال أيضًا: «فإن السجود لقبور الأنبياء وعبادتها شرك، بل من أعظم الشرك، وقد لعن إمام الحنفاء وخاتم الأنبياء صلى الله تعالى عليه وسلم اليهود والنصارى حيث اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد. وأصل الشرك وعبادة الأوثان من العكوف على القبور، واتخاذها مساجد»[(٢)].

وقال أيضًا: (ومن أنواعِ الشركِ: سُجودُ المُريد للشيخِ، فإنه شركٌ من الساجدِ والمسجودِ له، والعَجَبُ أنهم يقولون: ليس هذا

(١) إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان ١/٣٩١ ـ ٣٩٢.
(٢) إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان ٢/ ١٠٥٧.

سجودًا، وإنما هو وضعُ الرأسِ قُدَّامَ الشيخ، فيُقالُ لهؤلاءِ: ولو سميتُموه ما سميتُموهُ، فحقيقةُ السجودِ وَضعُ الرأسِ لمن يُسجدُ له، وكذلكَ السجودُ للصنمِ، وللشمسِ، وللنجمِ، وللحَجَرِ، كُلُّهُ وَضعُ الرأسِ قُدَّامَه)[١].

قال النووي الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما يفعله كثير من الجهلة من السجود بين يدي المشايخ؛ بل ذلك حرام قطعًا بكل حال سواء كان إلى القبلة أو غيرها، وسواء قصد السجود لله تعالى أو غفل، وفي بعض صوره ما يقتضي الكفر أو يقاربه، عافانا الله الكريم»[٢].

وقال فخر الدين الزيلعي الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وما يفعلون من تقبيل الأرض بين يدي العلماء فحرام، والفاعل والراضي به آثمان؛ لأنه يشبه عبادة الوثن، وذكر الصدر الشهيد أنه لا يكفر بهذا السجود؛ لأنه يريد به التحية»[٣].

وقال مصطفى السيوطي الرحيباني الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(أو سجد لصنم أو كوكب) كشمس أو قمر كفر؛ لأنه أشرك به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، (ويتجه السجود للحكام والموتى بقصد العبادة كفر) قولًا واحدًا باتفاق المسلمين، (والتحية) لمخلوق بالسجود له (كبيرة) من الكبائر العظام»[٤].

وقال مفتي الديار السعودية الشيخ محمد بن إبراهيم

---

(١) مدارج السالكين ١/ ٥٣١.

(٢) المجموع شرح المهذب ٤/٦٩.

(٣) تبيين الحقائق للزيلعي ٦/٢٥.

(٤) مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى ٦/٢٧٨.

آل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الانحناء عند السلام حرام، إذا قصد به التحية، وأما إن قصد به العبادة فكفر»[(١)].

وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة للإفتاء: (كل من آمن برسالة نبينا محمد ﷺ وسائر ما جاء به في الشريعة، إذا سجد بعد ذلك لغير الله من ولي وصاحب قبر أو شيخ طريق، يعتبر كافرًا مرتدًا عن الإسلام مشركًا مع الله غيره في العبادة، ولو نطق بالشهادتين وقت سجوده؛ لإتيانه بما ينقض قوله من سجوده لغير الله...)[(٢)]، وجاء فيها أيضًا هذا الجواب: (السجود لغير الله شرك، والذبح لغير الله شرك أيضًا، فمن سجد لغير الله أو ذبح لغير الله بعد بيان حكم ذلك له، فهو مشرك كافر لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلًا وإن صلى وصام، فإن أعمال المشرك لا تقبل منه، وإذا مات على الشرك فإن الله لا يغفر له...)[(٣)].

وكذلك ما نقله عن الشوكاني رحمه اللّه؛ فإنه يجيب عن إيرادٍ في صورة مشتبهة لم يعرف مقصود الساجد ولا حال المسجود له فقال لا بد من معرفة ذلك.

ولهذا قال في فتاويه:

«ولهذا ترى كثيرًا من العامة إذا رأى قبرًا في مسجد، أو في مشهدٍ مرغ فيه خده والتمسه مرة بعد مرة، ولا سيَّما إذا كان فيه زخرفة، أو عليه أعواد منقوشة، أو ثياب ملونة؛ فإن العامي الغليظ إذا

---

(١) فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ١٠٩/١.

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة للإفتاء المجموعة الأولى ٣٣٤/١ بتوقيع المشايخ الرئيس: عبدالعزيز بن عبدالله بن باز /نائب رئيس اللجنة: عبدالرزاق عفيفي/ عضو: عبدالله بن قعود.

(٣) الفتح الرباني ١٩٢١/٤.

أراد على تلك الصفة ظن أنه النافع الضار، كما وقع مثل ذلك في كثير من الأقطار.

ومن هاهنا يظهر سر مبالغته ﷺ في الزجر عن اتخاذ القبور مساجد، وتكرير ذلك مرة بعد أخرى، بل ما زال ينهى عن ذلك إلى أيام مرضه... وكل هذا إنما هو لسد ذرائع ما نشأ عن ذلك من المفاسد التي يبكي لها الإسلام.

من ذلك ما يسمع به كل أحد من جماعة كثيرة من سكان تهامة، فإنه لم يدعوا شيئًا مما كانت الجاهلية تفعله بالأصنام إلا فعلوه، بل زادوا على ذلك؛ فإن الجاهلية قالوا: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾، وهؤلاء القبوريون قالوا: نعبدهم ليضروا وينفعوا ويحيوا ويميتوا، وغير ذلك. ولا شك أن دخول القبب والمشاهد والمساجد المعمورة على القبور تحت الأحاديث القاضية بالمنع من رفع القبور وزخرفتها ثابت بفحوى الخطاب»[(١)].

وهكذا يتبين بجلاء الفرق بين السجودين: سجود العبادة الذي

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة للإفتاء المجموعة الأولى ١/٣٣٦ بتوقيع المشايخ الرئيس: عبدالعزيز بن عبدالله بن باز/ نائب رئيس اللجنة: عبدالرزاق عفيفي/ عضو: عبدالله بن غديان /عضو: عبدالله بن قعود، وللمزيد يُنظر: «شرح المصابيح لابن الملك» (١/٤٣٠): وفيه «لسجودهم لقبور أنبيائهم تعظيماً لها، وهذا شرك جلي؛ لأن السجود لا يجوز إلا لله»، وقال في «منار السبيل في شرح الدليل» (٢/ ٤٠٥): في أنواع الردة «بالفعل: كالسجود للصنم ونحوه كشمس وقمر وشجر وحجر وقبر، لأنه إشراك بالله تعالى»، وجاء في «فتح القريب المجيب على الترغيب والترهيب» (٩/ ٧٦٧): «ونهيه ـ ﷺ ـ عن اتخاذ القبر مسجدًا إنما كان خوفا من أن يعبد وإليه الإشارة بقوله ـ ﷺ ـ: «لا تتخذوا قبري وثنًا يُعْبَد» قاله ابن عقيل في شرح الأحكام»، وقال في «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٢/٦٢٨): «أي: لا تجعل قبري مثل الوثن في تعظيم الناس، وعودهم للزيارة بعد بدئهم، واستقبالهم نحوه في السجود، كما نسمع ونشاهد الآن في بعض المزارات والمشاهد».

هو لله وحده، ليس لأحد غيره فيه نصيب قط، سبحانه، في كل الشرائع جمعاء قاطبة بلا استثناء، وسجود التحية الذي كان مشروعًا في الأمم السابقة.

وفي ذلك الجواب على استفهام الكاتب عن السبيل للتمييز بين السجودين.

وما قيل في السجود يقال في القيام والركوع كذلك.

قال الشيخ العلامة عبد اللطيف آل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وقد اشتهر ما يقع من السجود على أعتاب المشاهد، وقصد التبرك ـ مع ما فيه ـ لا يمنع حقيقة العبادة الصورية. ومن المعروف عنهم شراء الولدان من الولي بشيء معين، يبقى رسمًا جاريًا يؤدى كل عام، وإن كانت امرأة فمهرها أو نصف مهرها لأنها مشتراة منه، ولا يماري في هذا إلّا مكابر. لأنه استفاض واشتهر. فلا ينكره إلا مكابر في الحسيَّات، وإن فقد بعض أنواعه في بعض البلاد فكم له من نظائر، وهذا أشد وأشنع مما ذكر اللّه جل ذكره عن جاهلية العرب بقول: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا﴾ الآية [الأنعام: ١٣٦].

وكذلك جعل السوائب باسم الولي لا يحمل عليها ولا تذبح، وسوق الهدايا والقرابين إلى مشاهد الأولياء وذبحها حبًّا للشيخ، وتقربًا إليه، وهذا وإن ذكر اسم اللّه عليه فهو أشدُّ تحريمًا مما ذبح للحم وذكر عليه اسم غير اللّه كعيسى مثلًا، فإن الشرك في العبادة أكبر من الشرك بالاستعانة.

ومن ذلك ترك الأشجار والكلأ والعشب إذا كان بقرب المشهد وجعله حرمًا له. ومنها الحج إلى المشاهد في أوقات مخصوصة

مضاهاة لبيت اللّه، فيطوفون حول الضريح ويستغيثون ويهدون لصاحب القبر ويذبحون، وبعض مشايخهم يأمر الزائر بحلق رأسه إذا فرغ من الزيارة، وقد صنف بعض غلاتهم كتابًا سماه حج المشاهد، ومنها التعريف في بعض البلاد عند من يعتقدونه من أهل القبور فيصلون عشية عرفة عند القبر خاضعين سائلين..»[(١)].

وقال الشيخ علامة العراق محمود شكري الألوسي:

«ثم إن الشيخ عبد اللطيف لما ذكر في منهاجه معتقد جده وأتباعه ذكر طرفًا من حال هذا المبتدع وإخوانه، وعقد فصلًا لذلك، فقال:

ونذكر لك طرفًا من معتقد عباد القبور والصالحين، وحقيقة ما هم عليه من الدين ليعلم الواقف عليه أي الفريقين أحق بالأمن، إن كان الواقف ممن اختصه اللّه تعالى بالفضل والمن، ولئلَّا يلتبس الأمر بتسميتهم لكفرهم ومحالهم تشفعًا وتوسلًا واستظهارًا، مع ما في التسمية من الهلاك المتناهي عند من عقل الحقائق: من ذلك محبتهم مع اللّه محبة تأله وخضوع ورجاء، ودعاؤهم مع اللّه في المهمات والملمات والحوادث التي لا يكشفها ولا يجيب الدعاء فيها إلا فاطر الأرض والسمٰوات، والعكوف حول أجداثهم، وتقبيل أعتابهم، والتمسح بآثارهم؛ طلبًا للغوث، واستجابة الدعوات، وإظهار الفاقة، وإبداء الفقر والضراعة، واستنزال الغيوث والأمطار، وطلب السلامة من شدائد البر والبحار، وسؤالهم تزويجهم الأرامل والأيامى، واللطف بالضعفاء واليتامى، والاعتماد عليهم في المطالب»[(٢)].

---

(١) منهاج التأسيس والتقديس ٥٤.

(٢) غاية الأماني في الرد على النبهاني ١/١٤٢.

وأما الذبح للضيوف فهذا لا يدخل في صرف عبادة الذبح لغير اللّه.

وذلك أن الذبح والنحر على قسمين:

الأول: يراد به التعظيم للمذبوح له فهذا هو العبادة

والثاني: يراد به اللحم وهذا يجب أن يذكر اسم اللّه عليه.

والشرك يقع في النوع الأول إذا أراد الذابح التقرب للمذبوح له وهو عبادة؛ فإن ذبح ونحر للّه ولم يذبح لغيره فهو الموحد.

وإن ذبح للّه ولغير اللّه فهو المشرك باللّه شركًا أكبر، قال تعالى ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام].

والشرك يقع أيضًا في النوع الثاني وهو ما يقصد به اللحم؛ وذلك إذا ذكر على الذبيحة اسم غير اللّه قال تعالى ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ [المائدة: ٣]، والواجب على المسلم أن يذكر على الذبيحة اسم اللّه فيقول (بسم اللّه واللّه أكبر)، ويحرم أكل الذبيحة التي ذكر عليها اسم غير اللّه قال تعالى ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ [الأنعام: ١٢١].

وأعظم النوعين شركًا الأول وهو أن يقصد التقرب بالذبح والنحر لغير اللّه تعالى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ظاهره أنه ما ذبح لغير اللّه، مثل أن يقول: هذه ذبيحة كذا. وإذا كان هذا هو المقصود، فسواء لفظ به أو لم يلفظ، وتحريم هذا أظهر من تحريم ما ذبحه للحم وقال فيه: باسم المسيح ونحوه، كما أن ما ذبحناه متقربين به إلى اللّه أزكى وأعظم مما ذبحناه للحم، وقلنا عليه: باسم اللّه، فإذا حرم ما قيل

فيه: باسم المسيح أو الزهرة، فلأن يحرم ما قيل فيه: لأجل المسيح أو الزهرة، أو قصد به ذلك أولى؛ فإن العبادة لغير اللّه أعظم كفرًا من الاستعانة بغير اللّه، وعلى هذا فلو ذبح لغير اللّه متقربًا إلى اللّه لحرم وإن قال فيه باسم اللّه، كما قد يفعله طائفة من منافقي هذه الأمة الذين قد يتقربون إلى الكواكب بالذبح والبخور ونحو ذلك. وإن كان هؤلاء مرتدين، لا تباح ذبيحتهم بحال، لكن يجتمع في الذبيحة مانعان، الأول: أنه مما أهل به لغير اللّه، والثاني: أنها ذبيحة مرتد»[1].

والكاتب خلط بين النوعين مع أن بينهما من الفرقان ما لا يخفى.

وإذا علم المسلم الفرقان بين هذه الأنواع عرف الحق فلزمه واجتنب الباطل ولم يغتر بزخارف القول.

* * *

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ٢/٦٥.



نقض شبهات:

«المبحث السابع:
بعض أهم الاستدلالات الباطلة
التي يفرح بها المبطلون»



➢ الرد على اعتراضات الكاتب على دلائل الكتاب والسنة في إبطال الشرك والحكم بكفر أهله ص ١١٩ إلى ص ١٣٢:

اعترض الكاتب على أهل العلم والإيمان المحتجين بكلام اللّه وكلام رسوله ﷺ في استدلالات واضحة جلية **في إبطال الشرك في عبادة الله وكفر أهلها.**

فأول اعتراضاته أنه ساق الآية الكريمة، وهي قول اللّه تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، وهذه الآية توضح حقيقة شرك المشركين الذين نزل القرآن بالحكم بكفرهم، وأوضحت الآية الكريمة أن شركهم في اتخاذ الوسائط ليقربوهم إلى الله، وهذا يؤكد اعترافهم بالله وربوبيته وأنهم يريدون التقرب إليه ـ لكن مع الشرك باتخاذ غيره واسطة في العبادة ـ فلما كان هذا المعنى واضحاً من الآية، اعترض الكاتب على معنى الآية وعلى تقريرات أهل العلم فقال: **[ووجه استدلالهم بهذه الآية في تكفير أهل الشهادتين، أنهم يقولون: إن الذين يطلبون من أهل القبور أو الغائبين من الأنبياء والصالحين الشفاعة عند اللّه قد فعلوا فعل المشركين.. وهم بهذا الاستدلال شابهوا الخوارج].**

والرد عليه:

١ ـ إن أهل الشهادتين حقًّا الذين حققوا الشهادتين بالقلب واللسان

والجوارح وقاموا بحقوقهما بريئون من هذا الشرك، ولكن هل يصح أن يجعل أهل الشهادتين هم المستغيثون بالموتى والمشركون مع اللّه في الدعاء والعبادة، فيصفهم بأهل الشهادتين ويجادل ويدافع عنهم؟!

٢ ـ ويقال له: إن المشركين الذين وصفتهم بأنهم **[الذين يطلبون من أهل القبور أو الغائبين من الأنبياء والصالحين الشفاعة عند اللّه]**، لا يقتصرون على طلب الشفاعة من الأموات، بل هوّنت لهم صرف جميع العبادات من الدعاء والسجود والركوع والذبح وغيرها من العبادات لغير اللّه، بل قرّرت في كتابك أن جميع العبادات إذا صرفوها للموتى والغائبين والملائكة فلا يضرهم ذلك إلا إذا اعتقدوا أنهم أرباب مستقلون بالربوبية أو مشاركون للّه في الخلق والتدبير، وما عدا ذلك فقد حكمت عليهم بالإسلام ونفيت عنهم الشرك، فلماذا تقتصر في هذه الجملة بطلب الشفاعة من الأموات.

والمتأخرون يصرحون بأمور أعظم من ذلك من التصرف في الكون كما يقول الشعراني في كتابه الذي حث على الرجوع إليه هذا الكاتب فعند الشعراني أن الذين يديرون البلدان ثلاثة أولياء[(١)] وأنهم يعلمون ما في الخواطر، ويأمرون من يخرج من منزله أن يستغيث بغير اللّه لقضاء حوائجهم[(٢)]، ويقولون: لوذوا بالأولياء يحمونكم من الولاة الظلمة[(٣)].

«فسبحان من حال بين قلوب المشركين عن فهم القرآن؛ حتى صار هدهد سليمان أعرف منهم بالشرك، وهو السجود للشمس، وأنكره على من فعله.

---

(١) المنهج المطهر ٢/٦٢٧.
(٢) المرجع السابق ٢/٦٢٨.
(٣) المرجع السابق ٢/٦٤٨ ـ ٦٤٩.

فقال: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ فأنكر الشرك باللّه في العبادة وهو طير من جنس الطيور، وبيّن أن الشيطان صدهم عن السبيل، وأنهم ليسوا على هدى، ولا ريب أن السجود نوع من أنواع العبادة كالدعاء ونحوه، وقد ذكرها تعالى في كتابه وتعبد عباده بها وهي أنواع كثيرة»[(١)].

٣ ـ الذي يطلب الشفاعة من الميت والغائب قد صرف عبادة الدعاء لغير اللّه، وتوجه بقلبه إلى مخلوق لا يملك لنفسه فضلًا عن غيره ضرًّا ولا نفعًا.. وسيأتي مزيد بيان لمسألة طلب الشفاعة من الأموات عند الرد على الكاتب في شبهة أخرى.

٤ ـ اتهام الكاتب أهل السنة والجماعة بأنهم شابهوا الخوارج، قد سبق الرد عليه فيها، وبيان أن الكاتب تَرَكَ مَنْ هو حقيقٌ بهذا الوصف من الخوارج الذين يخرجون على ولاة الأمور، وللكاتب مقال في تأييده للقيام بالمظاهرات واعتبارها وسيلة سلفية سلكها الصحابة![(٢)] وكان له مواقف مع الجماعات التي تنتهج الخروج والمنازعة كجماعة الإخوان المسلمين، وبهذا يعرف أن حال الكاتب كما في المثل: «**رمتني بدائها وانسلت**»؛ فقد دعا رموزًا معروفين بتأييد الثورات لحفل افتتاح موقعه على الانترنت، ونشر تسجيل الحفل في (اليوتيوب) في حينه، كما نشر ثناءهم على موقعه؛ ثم ـ بأخرةٍ ـ حذف ذلك كلَّه! أما الذين يرميهم اليوم بالخارجية والتكفير ـ من علماء أهل السنة ودعاتهم ـ فقد عُرفوا واشتهروا بالرد على الخوارج

(١) كشف ما ألقاه إبليس من البهرج والتلبيس ص ٦٥.

(٢) في مقال له منشور على موقعه الرسمي بتاريخ الثلاثاء ٥ ربيع الأول ١٤٣٢ بعنوان (حكم المظاهرات السلمية) https://www.dr-alawni.com/articles.php?show=45، وقد رد عليه عدد من أهل العلم.

والغلاة وإبطال شبهاتهم وإخماد فتنتهم، مِنْ قَبْلُ ومن بَعْد، والحمد للّه رب العالمين.

وما أحسن وصية الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان لأخيه أبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري رضي الله عنهما، حيث قال له: «أوصيكَ! إنَّ الضلالَ كلَّ الضلال إنكار ما كنتَ تعرف، وعرفان ما كنتَ تُنكر، وإيَّاك والتلوُّنَ في أمر اللّه، فإنَّ أمر اللّه واحدٌ»[(١)].

٥ ـ قال الكاتب ص١٢٠: «**أني في هذا التقرير لا أتحدث عن جواز سؤال الشفاعة من أهل القبور والغائبين أو عدم جوازه فهذا مبحث فقهي له باب آخر...**».

وهذا كلام غير صحيح، فإن الكاتب قرّر التهوين من الدعاء والسجود والركوع وسائر العبادات إذا لم يعتقد الربوبية في المعبود؛ كما في قوله ص ١١٢: **[لن نبلغ غلو الشرك ما دمنا لم نبلغ به درجة الربوبية]**، وقال في ص ١١٣: **[وجب أن يكون ضابط الشرك في المحبة: هو ذلك الضابط القلبي الذي لا يربطه بالشدة والضعف مطلقًا، بل يربطه بالربوبية وخصائصها فقط]**، وكذلك في ١١٤ قال في القيام: أنه شرك إذا كان **[باعتقادنا فيمن نقوم له أهو الرب عز وجل أم من سواه من المخلوقين]**، وقال في عبادة الذبح في ص١١٥: **[وإنما يفرق بينهما معتقد الذابح في المذبوح لأجله فهو إن كان للرب كان عبادة، وإن كان للضيف فهو غير عبادة]**، وكذلك جعل السجود لغير اللّه لا يكون بذاته شركًا؛ فقال في ص ١١٧: **[لا لأنه هو بذاته شرك..]**، وتقدم الرد عليه.

---

(١) أخرجه ابن المقرئ في المعجم (١٠١٧)، ومن طريقه ابن العديم في بغية الطلب ١٩٣/٥ من طريق خالد بن سعد قال: لما نقل حذيفة بالمدائن، ركب إليه عقبة بن عمرو أبو مسعود في الكوفة، فقال له: أوصني، فذكره.

إذن فلماذا يلجأ الكاتب إلى هذا الأسلوب!!

والجواب: أنه يريد التدرج مع مَنْ يتلَقّى منه فيلقي عليهم شبهاته بمثل هذا الأسلوب، ويترقى بهم درجة درجة حتى يوقعهم في شباكه، ولو أتى الأمر من بابه، ووضّح لهم ما يعتقد في أول كتابه، وصرّح بما نثره في آخر الكتاب لنفروا منه.

ولهذا ننصح جميع المسلمين بالحذر من أهل البدع، وعدم الإصغاء لهم، أو النظر في كتبهم ومواقعهم، والأمر كما قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في النونية:

«يَا مَنْ يَظُنُّ بأَنَّنا حِفْنَا عَلَيْـ ... ـهِمْ كُتْبُهُمْ تُنْبِيكَ عَنْ ذا الشَّانِ

فَانْظُرْ تَرَى لَكِنْ نَرَى لَكَ تَرْكَهَا ... حَذَرًا عَلَيْكَ مَصَايِدَ الشَّيْطَانِ

فَشِبَاكُهَا واللّهِ لَمْ يَعْلَقْ بِهَا ... مِنْ ذِي جَنَاحٍ قَاصِرِ الطَّيَرَانِ

إلا رَأيتَ الطَّيرَ في قَفَصِ الرَّدَى ... يَبْكِي لَهُ نَوْحٌ عَلَى الأَغْصَانِ

وَيظَلُّ يَخْبِطُ طَالِبًا لِخَـ ... ـلَاصِهِ فَتَضيقُ عَنْهُ فُرْجَةُ العِيدَانِ

والذَّنبُ ذَنْبُ الطَّيرِ خَلَّى أطيَبَ الثَّـ ... ـمَرَاتِ فِي عَالٍ مِنَ الأفْنَانِ

وَأَتَى إلَى تِلْكَ المزَابِلِ يَبْتَغِي الْـ ... ـفَضَلَاتِ كالحَشَرَاتِ والدِّيدَانِ

يَا قَوْمِ واللّهِ العَظِيم نَصِيحَةً ... مِنْ مُشْفِقٍ وَأخٍ لَكُمْ مِعْوَانِ

جَرَّبْتُ هَذَا كُلَّهُ وَوَقَعْتُ فِي ... تِلْكَ الشِّبَاكِ وَكُنْتُ ذَا طَيَرانِ

حَتَّى أَتَاحَ لِيَ الإلهُ بِلُطْفِهِ ... مَنْ لَيْسَ تَجْزِيه يَدِي وَلِسَانِي

حَبْرٌ أَتْى مِنْ أَرْضِ حَرَّانٍ فَيَا ... أَهْلًا بِمَنْ قَدْ جَاءَ مِنْ حَرَّانِ

فاللّهُ يَجْزِيه الَّذِي هُوَ أَهْلُهُ ... مِنْ جَنَّةِ المأْوَى مَعَ الرِّضْوَانِ

قَبَضَتْ يَدَاهُ يَدِي وَسَارَ فَلَمْ يَرُمْ ... حَتَّى أرَانِي مَطْلَعَ الإيمَانِ»[(١)]

٦ ـ سبق أن زعم الكاتب في ص ١٦ أنه يرى تحريم هذه

(١) نونية ابن القيم الكافية الشافية (المتن/١٢٩).

الأفعال فيقول: [أنا أحرم التوسل بالموتى، وأستنكر الاستغاثة بالمقبورين، وأقول إن الاستغاثة ذريعة إلى الشرك]، وهو هنا في هذا الموضع يقول في ص١٢٠: [لا أتحدث عن جواز سؤال الشفاعة من أهل القبور والغائبين]، فلماذا لم يصرح بتحريم هذا الفعل في هذا الموضع.

أول اعتراضات الكاتب في ص١٢٠ أن الآية التي في سورة الزمر: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] [تدل على إعراض المشركين عن اللّه تعالى إلى آلهتهم المزعومة وأنهم لم يتخذوا اللّه وليًّا أصلًا. فهل أهل الشهادتين اتخذوا من دون اللّه أولياء؟ هل أعرضوا عن اتخاذ اللّه وليًّا لهم وناصرًا وأقبلوا على الأولياء والصالحين فقط؟ فالآية تقول: ﴿مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ﴾؟ أم هؤلاء المسلمون ما زالوا يعبدون اللّه ويوحدونه..].

والرد عليه:

أولًا: أن المشركين يعرفون اللّه ويزعمون أنهم يعبدونه وهم يعبدون معه غيره، ومنزلة اللّه عندهم أعلى من منزلة معبوداتهم الأخرى، ولكنهم لما صرفوا خالص حقِّه إلى غيره كفروا وأشركوا، فحقُّ اللّه على العباد إفراده بالعبادة وحده دون ما سواه، فكانت دعواهم أنهم يعبدون اللّه دعوى كاذبة فلا تنفعهم، وما معنى قولهم (لبيك لا شريك لك) في حجهم، وهل يحجون إلا للّه فيما يظهرونه ويدعونه، قال البيضاوي في تفسير قول اللّه تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ۝٢٧﴾ [الزخرف]: «وأنهم كانوا يعبدون اللّه والأصنام والأوثان»[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فهم مُقِرُّون بالرب الحق

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٥/٨٩.

الذي ليس له مثل في ذاته وصفاته وجميع أفعاله؛ ولكنهم مع هذا مشركون به في ألوهيته بأن يعبدوا معه آلهة أخرى يتخذونها شفعاء أو شركاء؛ أو في ربوبيته بأن يجعلوا غيره رب بعض الكائنات دونه مع اعترافهم بأنه رب ذلك الرب وخالق ذلك الخلق»[(١)]. وقال أيضاً رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولكن أكثر الرسل افتتحوا دعوتهم بالأمر بعبادة اللّه وحده دون ما سواه كما أخبر اللّه عن نوح وهود وصالح وشعيب. وقومهم كانوا مقرين بالخالق لكن كانوا مشركين يعبدون غيره كما كانت العرب الذين بعث فيهم محمد ﷺ. ومن الكفار من أظهر جحود الخالق كفرعون»[(٢)].

وقال الشيخ سليمان بن عبد اللّه بن محمد بن عبد الوهاب رحمهم اللّه:

«فكان المشركون يعبدون اللّه ويعبدون غيره، فأمروا بالتوحيد، وهو عبادة اللّه وحده، وترك عبادة ما سواه»[(٣)].

وقال أيضًا: «قلت: يعني أن قوم إبراهيم يعبدون اللّه ويعبدون غيره، فتبرأ مما يعبدون إلا اللّه، لا كما يظن الجهال أن الكفار لا يعرفون اللّه، ولا يعبدونه أصلاً»[(٤)].

فالمشركون يعبدون اللّه ويعبدون معه غيره فلم يُعرضوا عنه مطلقًا ويجحدوه، بل وسائر الأمم الكافرة تعرف اللّه، قال تعالى: ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الشعراء]، «فصرح بعداوة أصنامهم بأعيانها

(١) مجموع الفتاوى ٥١/١١.
(٢) مجموع الفتاوى ٣٣٢/١٦.
(٣) تيسير العزيز الحميد ص٤٣.
(٤) المرجع السابق ص ١١٣.

وهي موجودة في الخارج، واستثنى من معبوداتهم رب العالمين، لأنهم كانوا يعبدون اللّه، لكنهم يعبدون معه الأصنام؛ فاستثنى المعبود الحق الذي لا تصلح العبادة إلا له»[1].

وأعداء الرسل كما قالت عاد: ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأعراف: ٧٠]، فعرفوا على شدة كفرهم أنه أراد منهم ترك عبادة ما كان يعبده آباؤهم.

قال اللّه تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ﴿٢٧﴾﴾ [الزخرف].

فتبرأ من معبوداتهم كلها إلا فاطره سبحانه، أي خالقه. فعلم أنهم يعبدونه، ويعبدون معه غيره. فلهذا تبرأ الخليل من معبوداتهم سوى خالقه وفاطره عَجَّلَ، وهو اللّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهكذا قوله عَجَّلَ: ﴿وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي﴾ [مريم: ٤٨] فعلم أنهم يعبدون اللّه، ويعبدون معه غيره.

وقال الشيخ عبد اللّه أبا بطين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وأنتم لما عبدتم غيره، فلستم من عابديه، وإن عبدتموه في بعض الأحيان، فإنّ المشرك يعبد اللّه، ويعبد معه غيره، كما قال تعالى عن أهل الكهف: ﴿وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الكهف: ١٦]، أي اعتزلتم معبوديهم، إلا اللّه، فإنكم لم تعتزلوه، وكذا قول المشركين، عن معبوديهم: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، فهم كانوا يعبدون اللّه، ويعبدون معه غيره، لم ينف عنهم الفعل لوقوعه منهم، ونفى الوصف؛ لأن من عبد غير اللّه لم يكن ثابتًا على عبادة اللّه، موصوفًا بها.

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية ٢/٢٥٩.

فتأمل هذه النكتة البديعة، كيف تجد في طيها أنه لا يوصف بأنه عابد للّه، وإن عبده، ولا المستقيم على عبادته، إلا من انقطع إليه بكليته، وتبتل إليه تبتيلًا، لم يلتفت إلى غيره، ولم يشرك به أحدًا في عبادته؛ وأنه إن عبده وأشرك به غيره، فليس عابدًا للّه، ولا عبدًا له»[(١)].

وقال الشيخ عبد الرحمٰن السعدي في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾﴾ [الإسراء]: «يقول تعالى: ﴿قل﴾ للمشركين باللّه الذين اتخذوا من دونه أندادًا يعبدونهم كما يعبدون اللّه ويدعونهم كما يدعونه»[(٢)].

ثانيًا: ومما يبطل قول الكاتب أن تتمة الآية ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] فهل من يقول هذا القول معرض عن اللّه تعالى! ولم يتخذه وليًّا أصلاً؟! أم عَرَفَه وعَظّمَه ولكن عَبد معه غيرَه.

ثالثًا: قول الكاتب: **[هل أعرضوا عن اتخاذ اللّه وليًا لهم وناصرًا وأقبلوا على الأولياء والصالحين فقط؟]**.

والجواب: تقدم من أقوال هؤلاء، أن كثيرًا منهم لا يعرفون اللّه مطلقاً؛ بل لا يعرفون إلا المقبورين، ولا يدعون اللّه! بل يدعون من دونه من الأنبياء والصالحين والجن والملائكة؛ ما يعرف به العاقل أن حالهم مطابق لحال المشركين بل أردأ منهم حالًا[(٣)].

---

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية ٢/٢٩٣.

(٢) تيسير الكريم الرحمٰن ص ٤٦١.

(٣) وقد ذكرتُ في مواضع توصيته بكتاب الشعراني المليء بالضلال: ص٤٣-٤٤، وانظر ما سيأتي ص٦٢٢، ص٦٧٢-٧٠٠.

وقوله: «**وأقبلوا على الأولياء والصالحين فقط؟!!**»، يُبَيّنُ أن الكاتب يرى النكير عليهم إذا أقبلوا على الأولياء والصالحين فقط؟!!، وأما إذا أقبلوا عليهم وأقبلوا على الله ولم يعرضوا عن الله تعالى فهم ـ في زعمه ـ من أهل القبلة.

وأضيف لذلك ما قاله العلامة الآلوسي الحنفي العراقي رَحِمَهُ اللهُ وقد نقل عن ابن القيم من كتاب إغاثة اللهفان فقال: «**هذه المشاهد المشهورة اليوم قد اتخذها الغلاة أعيادًا** للصلاة إليها والطواف بها وتقبيلها واستلامها وتعفير الخدود على ترابها، وعبادة أصحابها والاستغاثة بهم وسؤالهم النصر والرزق والعافية وقضاء الديون وتفريج الكروب وإغاثة اللهفات، وغير ذلك من أنواع الطلبات التي كان عباد الأوثان يسألونها أوثانهم!!! **ومن لم يصدق ذلك فليشهد مشهدًا من مشاهد العراق** حتى يرى الغلاة وقد نزلوا عن الأكوار والدواب ـ إذا رأوها من مكان بعيد ـ فوضعوا لها الجباه وقبلوا الأرض وكشفوا الرؤوس وارتفعت أصواتهم بالضجيج، وتباكوا حتى تسمع لهم النشيج، ورأوا أنهم قد أربوا في الربح على الحجيج!!...

ثم انثنوا بعد ذلك حول القبر طائفين تشبيهاً له بالبيت الحرام الذي جعله اللّه مباركًا وهدى للعالمين، ثم أخذوا في التقبيل والاستلام، أرأيت الحجر الأسود وما يفعل به وفد البيت الحرام، ثم عفروا لديه تلك الجباه والخدود التي يعلم اللّه أنها لم تعفر كذلك بين يديه في السجود!!

ثم كملوا مناسك حج القبر بالتقصير هناك والحلاق واستمتعوا بخلاقهم من ذلك الوثن إذ لم يكن لهم عند اللّه من خلاق!!

وقربوا لذلك الوثن القرابين وكانت صلاتهم ونسكهم وقرباتهم لغير اللّه رب العالمين!!»[(١)].

قال الشيخ أبو الطيب شمس الحق العظيم آبادي: «**ومن أقبح المنكرات، وأكبر البدعات، وأعظم المحدثات، ما اعتاده أهل البدع من ذكر الشيخ عبد القادر الجيلاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقولهم: يا شيخ عبد القادر الجيلاني شيئًا للّه، والصلوات المنكوسة إلى بغداد، وغير ذلك مما لا يُعدُّ. هؤلاء عبدة غير اللّه، ما قدروا اللّه حق قدره، ولم يعلم هؤلاء السفهاء أن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا يقدر على جلب نفع لأحد ولا دفع ضر عنه مقدار ذرة، فلم يستغيثون به ولم يطلبون الحوائج منه؟! أليس اللّه بكاف عبده؟!! اللّهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك أو نعظم أحدًا من خلقك كعظمتك.**

قال في «البزازية» وغيرها من كتب الفتاوى: من قال: إن أرواح المشايخ حاضرة تعلم يكفر[(٢)].

وقال الشيخ فخر الدين أبو سعد عثمان الجياني بن سليمان الحنفي في رسالته: ومن ظن أن الميت يتصرف في الأمور دون اللّه، واعتقد بذلك كفر. كذا في البحر الرائق[(٣)].

وقال القاضي حميد الدين ناكوري الهندي في «التوشيح»: منهم الذين يدعون الأنبياء والأولياء عند الحوائج والمصائب باعتقاد أن أرواحهم حاضرة تسمع النداء وتعلم الحوائج، وذلك شرك قبيح وجهل صريح، قال اللّه تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن

---

(١) غاية الأماني ٢/٣٠ ـ ٣١، وانظر إغاثة اللهفان لابن القيم ١/٣٥١ ـ ٣٥٢.

(٢) الفتاوى البزازية، المسمّاة (الجامع الوجيز) على هامش الفتاوى الهندية، المطبعة الأميرية ٦/٣٢٦.

(٣) البحر الرائق شرح كنز الدقائق ٢/٣٢١.

لَا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ [الأحقاف].

وفي البحر: لو تزوج بشهادة اللّه ورسوله لا ينعقد النكاح، ويكفر لاعتقاده أن النبي ﷺ يعلم الغيب[1].

وهكذا في فتاوى قاضي خان والعيني والدر المختار والعالمكيرية وغيرها من كتب العلماء الحنفية.

وأما في الآيات الكريمة والسنة المطهرة في إبطال أساس الشرك، والتوبيخ لفاعله فأكثر من أن تحصى، ولشيخنا العلامة السيد محمد نذير حسين الدهلوي في رد تلك البدعة المنكرة رسالة شافية»[2].

ويقول العلامة صنع اللّه بن صنع اللّه الحلبي المكي الحنفي (ت ١١٢٠هـ):

«هذا وإنه قد ظهر الآن فيما بين المسلمين جماعات يدّعون أن للأولياء تصرفات في حياتهم وبعد الممات، ويستغاث بهم في الشدائد والبليات، وبهممهم تنكشف المهمات، فيأتون قبورهم، وينادونهم في قضاء الحاجات، مستدلين على أن ذلك منهم كرامات!

وقرَّرهم على ذلك من ادعى العلم بمسائل، وأمدهم بفتاوى ورسائل، وأثبتوا للأولياء ـ بزعمهم ـ الإخبار عن الغيب بطريق الكشف لهم بلا ريب، أو بطريق الإلهام أو منام! وقالوا: منهم أبدال ونقباء، وأوتاد نجباء، وسبعين وسبعة، وأربعين وأربعه، والقطب هو الغوث للناس، وعليه المدار بلا التباس، وجوزوا لهم الذبائح والنذور، وأثبتوا لهم فيهما الأجور.

---

(١) المرجع السابق ٣/٩٤.

(٢) التعليق المغني على سنن الدارقطني ٥/٤٠٣ ـ ٤٠٤. وقد سبق طرف من هذا النقل مع نقولات أخرى عن الفقهاء: ص٨١ ـ ٨٤.

وهذا كما ترى كلام فيه تفريط وإفراط، وغلو في الدين بترك الاحتياط، بل فيه الهلاك الأبدي، والعذاب السرمدي، لما فيه من روائح الشرك المحقق، ومصادرة الكتاب العزيز المصدّق، ومخالفة لعقائد الأئمة، وما اجتمعت عليه هذه الأمة.

فكل بناء على غير أصولهم تلبيس، وفي غير منهاجهم مخايل إبليس.

وفي التنزيل: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء]، فإن كان مثل هذا الوعيد للحذر عن الميل عن الطريق السديد، فلا جرم أن الحق فيما لهم من الأحكام، وفي طريقهم الاعتصام، بل وبه يتميز أهل الإسلام من أهل الانتقام»[(١)].

رابعًا: أن معنى وصفهم بأنهم مشركون يدل على تشريكهم في العبادة.

وهذا من أوضح الأمور المبينة لحال كفار قريش وغيرهم من كفار العرب الذين بقي معهم ما بقي من الدين ثم جاءهم التحريف والابتداع والتبديل، وقد حكى اللّه تعالى قول المشركين: ﴿وَإِذۡ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ. . .﴾ [الأنفال: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [يونس]، وقوله تعالى:

---

(١) سيف اللّه على من كذب على أولياء اللّه ص ٢٢ ـ ٢٣.

﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ۝٦٥﴾ [العنكبوت]، وغيرها من أقوالهم وأحوالهم التي تدل على إقرارهم باللّه ودعائهم له.

وحينما غزا أبرهة الأشرم مكة لهدم الكعبة التجأت قريش وعلى رأسهم عبد المطلب رؤوس الجبال ولهم في ذلك أشعار يستغيثون فيها باللّه تعالى؛ منها قول عبد المطلب:

لاهُمَّ إن المرء يمنع رحله فامنع رحالك
لا يغلِبَنَّ صليبُهم ومِحالهم غَدْواً مِحالك
عمدوا حماك بكيدهم جهلًا وما رقبوا جلالك[(١)]

وقال أيضًا:

يا رب لا أرجو لهم سواكا يا رب فامنع منهم حماكا
إن عدو البيت من عاداكا امنعهم أن يخربوا قراكا[(٢)]

وما معنى قول عبد المطلب: أنا رب الإبل وللبيت رب سيمنعه[(٣)]؟!.

وما معنى قول أبي طالب:

كذبتم وبيت اللّه نبزي محمدًا ولما نطاعن دونه ونناضل
ونسلمه حتى نصرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل

إلى أن قال:

لقد علموا أن ابننا لا مكذَّب لدينا ولا يعنى بقول الأباطل

(١) تاريخ الطبري ١٣٥/٢.
(٢) جامع البيان ٦٤١/٢٤.
(٣) المرجع السابق ٦٤٠/٢٤.

إلى أن قال:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للأرامل
حليم رشيد عادل غير طائش ... يوالي إلـهًا ليس عنه بغافل

إلى أن قال:

فوالله لولا أن أجي بمسبة ... تجر على أشياخنا في المحافل
لكنا اتبعناه على كل حالة ... من الدهر جدًّا غير قول التهازل[(١)]

وقال في قصيدته النونية معترفًا بدينه الحق:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم ... حتى أوسد في التراب دفينا

إلى أن قال:

ودعوتني وعرفت أنك ناصحي ... ولقد صدقت وكنت ثَمَّ أمينا
وعرضت دينا قد عرفت بأنه ... من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حِذارُ مسبة ... لوجدتني سمحًا بذاك مبينا[(٢)]

وكذلك جاء في السيرة أن أهل مكة لما أرادوا الخروج إلى بدر أخذوا بأستار الكعبة وقالوا: «**اللّهم انصر أعلى الجندين، وأهدى الفئتين، وأكرم الحزبين، وأفضل الدينين**»[(٣)].

وقال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: «لما كان يوم فتح مكة أمَّنَ رسولُ اللّه ﷺ الناسَ إلا أربعة نفر وامرأتين، وقال: اقتلوهم وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة، عكرمة بن أبي جهل، وعبد اللّه بن خطل، ومقيس بن ضبابة، وعبد اللّه بن سعد بن أبي سرح، فأما

---

(١) سيرة ابن هشام ١/٢٥١.

(٢) دلائل النبوة للبيهقي ٢/١٨٨. وقد تقدم ذكر هذه الأبيات بلفظ مقارب لها.

(٣) أسباب النزول للواحدي ص ٢٣٨.

عبد اللّه بن خطل فأدرك وهو متعلق بأستار الكعبة، فاستبق إليه سعيد بن حريث وعمار، فسبق سعيد عمارًا وكان أشب الرجلين فقتله، وأما مقيس بن ضبابة فأدركه الناس في السوق فقتلوه، وأما عكرمة فركب البحر؛ فأصابتهم عاصفة فقال أصحاب السفينة لأهل السفينة: أخلصوا فإن آلهتكم لا تغني عنكم شيئًا. فقال عكرمة: لئن لم ينجني في البحر إلا الإخلاص، ما ينجني في البر غيره، اللّهم إن لك عهدًا إن أنت عافيتني مما أنا فيه أن آتى محمدًا ﷺ حتى أضع يدي في يده فلأجدنه عفوًّا كريماً. قال: فجاء فأسلم»(١).

وهذا الإقرار والاعتراف باللّه تعالى موجود في أشعارهم التي ينقلها الناس عنهم، ومن ذلك:

من شعر لبيد بن ربيعة العامري الذي يجري مجرى الحِكم ـ وهي من المعلقات ـ:

فاقْنَعْ بما قَسَمَ المَليكُ، فإنَّما ... قَسَمَ الخلائِقَ بَينَنا عَلّامُها

وقال النابغة الجعدي:

أَكني بِغيرِ اِسمِها وَقَد عَلِمَ ... اللَهُ خَفِيّاتِ كُلِّ مُكتَتَمِ
مَخافَةَ الكاشِحِ المُكَثِّرِ أَن ... يَطرَحَ فيها عَوائِرَ الكَلِمِ

وقال حاتم الطائي:

كُلوا الآنَ مِن رِزقِ الإِلَهِ وَأَيسِروا ... فَإِنَّ عَلى الرَحمَنِ رِزقَكُمُ غَدا

وقال عبيد الأبرص الأسدي:

من يسأل الناس يحرموه ... وسائل اللّه لا يخيب

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف، (٣٩٦٨٥) وأبو داود، (٥٦٨٣)، والنسائي (٤٠٦٧).

والـلّـه لـيـس لـه شـريـك عـلام مـا أخـفـت الـقـلـوب

وقال المثقب العبدي:

وَأَيـقَـنـتُ إن شـاءَ الإلَـهُ بِـأَنَّـهُ سَيُبـلِغُـني أَجلادُها وَقَصيدُها
فَلَو عَلِمَ اللَهُ الجِبالَ ظَلَمنَهُ أَتاهُ بِأَمراسِ الجِبالِ يَقودُها

ويَقُولُ عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ بْنِ مُضَاضٍ:

وقيل إن القصيدة لمضاض بن عمرو الجرهمي وفيها الحنين إلى مكة التي كانت تسكنها جُرهم قبل أن تطردهم قبيلة خزاعة منها:

وَقَائِلَةٍ وَالدَّمْعُ سَكْبٌ مُبَادِرٌ وَقَدْ شَرِقَتْ بِالدَّمْعِ مِنْهَا الْمَحَاجِرُ
كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحَجُونِ إِلَى الصَّفَا أَنِيسٌ وَلَمْ يَسْمَرْ بِمَكَّةَ سَامِرُ

إلى أن قال:

فَأَخْرَجَنَا مِنْهَا الْمَلِيكُ بِقُدْرَةٍ كَذَلِكَ يَا للناس تجري المقادر
أَقُولُ إِذَا نَامَ الْخَلِيُّ وَلَمْ أَنَمْ أَذَا الْعَرْشِ لَا يَبْعُدْ سُهَيْلٌ وَعَامِرُ[(١)]

وقال عنترة بن شداد:

لَولا الَّذي تَرهَبُ الأَملاكُ قُدرَتُهُ جَعَلتُ مَتنَ جَوادي قُبَّةَ الفَلَكِ

وقال ذو الإصبع العدواني:

ولا ترى في غير الصبر منقصةً وما سواه فإن اللّه يكفيني
لولا أواصر قربى لست تحفظها ورهبة اللّه في مولى يعاديني
إذا بريتكَ بريا لا انجبار له إني رأيتك لا تنفك تبريني
إن الذي يقبض الدنيا ويبسطها إن كان أغناك عني سوف يغنيني
اللّه يعلمكم واللّه يعلمني واللّه يجزيكم عني ويجزيني

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٢/٢٣٥.

واللّه لو كرهت كفي مصاحبتي لقلت إذ كرهت قربي لها بيني[(١)]

وقال زيد بن عمرو بن نفيل:

عـذت بـمـا عـاذ بـه إبـراهـيـم مستقبل الكعبة وهو قائم[(٢)]

أما حلفهم باللّه في أشعارهم فكثير جدًا وكانوا يحلفون باللّه وبغير اللّه كما في قصيدة أبي طالب اللامية وغيرها.

ومن ذلك ما ورد في شعر لأميّة بن أبي الصَّلْت الذي قال:

مَجِّدوا اللَهَ فَهوَ لِلمَجدِ أَهلُ رَبُّنا في السَماءِ أَمسى كَبيرا
ذَلِكَ المُنشِىءُ الحِجارَةَ وَالموتى وَأَحياهُمُ وَكانَ قَديرا
بالبناء الأَعلى الَذي سَبَقَ الناسَ وَسَوَّى فَوقَ السَماءِ سَريرا
شَرْجَعاً لا يَنالُهُ بَصَرُ العَيْنِ تَرى دونَهُ المَلائِكُ صُوَرا
هوَ أَبدى كُلَّ ما يَأثُرُ الناسَ أَماثيلَ باقياتٍ سُفورا
خَلَقَ النَخلَ مُصعِداتٍ تَراها تَقصُفُ اليابِساتِ وَالمَخضورا
وَالتَماسيحَ وَالسَنادِلَ وَالأَيِّلَ شَتى وَالرِئمَ وَالعُصفورا
وَصوارًا مِنَ النَواشِطَ عيرًا وَنَعامًا خَواضِبًا وَحَميرا
وَأُسودًا عَواديًا وَفيولًا وَسِباعًا وَالنَملَ وَالخِنزيرا
وَدُيوكًا تَدعو الغُرابَ لِصُلحٍ وَإِوزّينَ أُحرِجَت وَصُقورا
أَرسَلَ الذَرَّ وَالجَرادُ عَلَيهِم وَسِنينًا فَأَهلَكَتهُم وَمورا
ذَكَرُ الذَرِّ إِنَّهُ يَفعَلُ الشَرَّ وَإِنَ الجَرادَ كانَ ثُبورا
ركبت بَيضَةُ البَياتِ عَلَيهِم لَم يُحِسّوا مِنها سَراها نَذيرا[(٣)]

(١) المفضليات ص١٦١.
(٢) البداية والنهاية لابن كثير ٢/٢٩٨.
(٣) ديوان أمية بن أبي الصلت ٧٠ ـ ٧٢.

وأخرج مسلم في صحيحه عن عمرو بن الشريد، عن أبيه، قال: ردفت رسول اللّه ﷺ يوما، فقال: «**هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء؟**» قلت: نعم، قال: «**هيه**» فأنشدته بيتا، فقال: «**هيه**» ثم أنشدته بيتا، فقال: «**هيه**» حتى أنشدته مئة بيت.

عن الشريد قال: أردفني رسول اللّه ﷺ خلفه فذكر بمثله عن عمرو بن الشريد، عن أبيه قال: استنشدني رسول اللّه ﷺ بمثل حديث إبراهيم بن ميسرة، وزاد قال: «إن كاد ليسلم»، وفي حديث ابن مهدي قال: «**فلقد كاد يسلم في شعره**»[(١)].

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومقصود الحديث أن النبي ﷺ استحسن شعر أمية واستزاد من إنشاده لما فيه من الإقرار بالوحدانية والبعث»[(٢)].

خامسًا: قول الكاتب ص١٢٠ **[أم هؤلاء المسلمون ما زالوا يعبدون اللّه ويوحدونه]**.

والرد عليه: أن قوله **[ويوحدونه]** هل مراد الكاتب بذلك توحيد القبوريين والخرافيين أم توحيد الأنبياء والمرسلين؟!.

والكاتب عندما قال عن هؤلاء: إنهم يوحدونه، هل توحيدهم بركوعهم لغير اللّه وسجودهم لغيره ودعائهم غير اللّه!!

وقد تقدم تصريحه أنه لا يكون ذلك شركًا عنده إلا إذا أشرك في الربوبية، فهل هذه حقيقة التوحيد عنده أنه هو ما أقر به المشركون من إفراد اللّه بالخلق والتدبير والملك.

---

(١) أخرجه مسلم برقم ٢٢٥٥.

(٢) شرح النووي على مسلم ١٥/١٢.

وأما حقيقة التوحيد عند الأنبياء والمرسلين فهي إفراد اللّه بالعبادة والبراءة من عبادة غيره، ولا يكون التوحيد بمجرد الإقرار بالربوبية كما يزعم المبتدعة.

وقد ألقى سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ﵀ محاضرة بعنوان: «**حقيقة توحيد المرسلين وما يضاده من الكفر والشرك**» قال فيها:

«الخصومة بين الرسل والأمم في توحيد العبادة، وإلا فالأمم تقر بأن اللّه ربها وخالقها ورازقها، وتعرف كثيرًا من أسمائه وصفاته، ولكن النزاع والخصومة، من عهد نوح إلى يومنا هذا في توحيد اللّه بالعبادة، فالرسل تقول للناس: أخلصوا العبادة له، وحدوه بها، واتركوا عبادة ما سواه، وأعداؤهم وخصومهم يقولون: لا بل نعبده ونعبد غيره، ما نخصه بالعبادة.

هذا هو محل النزاع بين الرسل والأمم. الأمم لا تنكر عبادته بالجملة، بل تعبده، ولكن النزاع هل يخص بها أم لا يخص؟

فالرسل بعثهم اللّه لتخصيص الرب بالعبادة، وتوحيده بها، دون كل ما سواه، لكونه ﷻ المالك، القادر على كل شيء، الخلاق، الرزاق للعباد، العليم بأحوالهم، إلى غير ذلك.

فلهذا دعت الرسل عليهم الصلاة والسلام جميع الأمم، إلى توحيد اللّه، وإخلاص العبادة له ﷻ، وترك عبادة ما سواه..» ثم قال: «دعوة الرسل جميعهم، هي دعوة إلى توحيد اللّه والإخلاص له، وأن الأنبياء جميعًا، والمرسلين كلهم دعوا إلى توحيد اللّه والإخلاص له، والإيمان بأسمائه وصفاته وأفعاله، وأنه سبحانه واحد في ربوبيته، واحد في أسمائه وصفاته، واحد في استحقاقه العبادة دون كل ما سواه جلَّ وعلا، فلا يستحقها غيره لا نبي ولا ملك ولا صالح ولا

غيرهم من المخلوقات، فالعبادة حق اللّه جل وعلا، ولها خلق الخلق ﷻ، وبها أرسل الرسل كما قال ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] فلعبادة اللّه وتوحيده خلقت الخليقة، وأرسلت الرسل، وأنزلت الكتب، كما قال تعالى: ﴿كِتَـٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَـٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [هود: ١ ـ ٢] وقال سبحانه: ﴿هَـٰذَا بَلَـٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٥٢﴾﴾ [هود]. . . الشرك الذي وقع في قوم نوح لم يزل في الناس إلى يومنا هذا، فلم يزل في الناس من يعبد الأصنام والأوثان، ويغلو في الصالحين والأنبياء، يعبدهم مع اللّه، كما هو معلوم عند كل من نظر في أخبار العالم من عهد نوح إلى يومنا هذا.

وبما ذكرنا من كتاب اللّه ﷻ، ومن كلام رسوله محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، ومن واقع العالم يتضح أن التوحيد أقسام وقد عرف ذلك أهل العلم بالاستقراء لكتاب اللّه، وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام.

فهو أقسام ثلاثة: توحيد الربوبية، وهو الإيمان بأن اللّه ﷻ واحد في أفعاله، وخلقه وتدبيره لعباده، وأنه المتصرف في عباده كما شاء ﷻ، بعلمه وقدرته جل وعلا.

والثاني: توحيد الأسماء والصفات، وأنه ﷻ موصوف بالأسماء الحسنى والصفات العلى، وأنه كامل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله جل وعلا، وأنه لا شبيه له ولا نظير له، ولا ند له ﷻ.

الثالث: توحيد العبادة وأنه يستحق ﷻ أن يعبد وحده لا شريك له، دون ما سواه جل وعلا. . . .».

ثم قال: «والمقصود أن من أنكر رب العالمين من الكفرة المجرمين، فهو في الحقيقة مكابر لفطرته وعقله، فإن الفطرة والعقل يشهدان بوجود رب متصرف في الكون، مدبر للعباد، لا شبيه له، ولا شريك له، ولا ند له، ﷻ عما يقول الظالمون علوا كبيرا، ولهذا قلنا إن المشركين قد أقروا بتوحيد الربوبية، والأسماء والصفات ولم ينكروا ذلك، لأنهم يعلمون أن اللّه جل وعلا خالق العباد ورازقهم، ومدبر أمورهم، منزل المطر المحيي المميت، الرزاق للعباد وغير ذلك كما تقدم بيانه...»[(١)].

سادسًا: على فرض التسليم بأن المراد من قوله: ﴿مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ﴾ [الزمر: ٣] أنهم لا يعبدون اللّه ولا يتخذونه وليا مطلقًا!!

فإن النتيجة واحدة وهي اعترافهم أن عبادتهم لآلهتهم كان سببها أنها تقربهم إلى اللّه، فكون المشرك يعبد الأصنام فقط ولا يعبد اللّه، أو يعبدها مع اللّه فالنتيجة واحدة، فليس من شرط الشرك ألا يكون المشرك عابدًا للّه، بل كونه كذلك أظهر في الشرك ممن لم يعبد اللّه أبدًا وعبد غيره، وإن كان كلاهما يعتبر مشركًا. فدعوى الكاتب بأن المشركين في الآية لم يتخذوا اللّه وليًّا وأن حالهم بخلاف حال من ينتسب للإسلام من القبوريين، فهو على فرض التسليم به ـ وهو غير مسلَّم به ـ لا يعدو أن يكون صورة من صور عبادات المشركين وأحوالهم.

ثاني اعتراضات الكاتب على دلائل الكتاب والسنة في إبطال الشرك والحكم بكفر أهله: وهو تكرارٌ لما زعمه من أن معنى العبادة

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ ابن باز (٤١/٢)، وأصلها محاضرة ألقيت في مدرسة دار الحديث بالمدينة المنورة بتاريخ ١٤/٤/١٣٩٤هـ.

هو صرف شيء من خصائص الربوبية للمعبود، وقد تبين بطلان قوله.

وقول الكاتب في الاعتراض الثاني: [**فكيف جاز وصف فعل أهل الشهادتين بالمتشفع بهم إنه شرك، وهو يصدر منهم من غير صرف شيء من خصائص الربوبية لغير اللّه، وهذا هو مقتضى إسلامهم المتيقن من نطقهم بالشهادتين، فكيف إذا انضم إلى ذلك صلاة وصيام وحج وأذكار وأدعية خالصة للّه تعالى وحده؟ وهل سمعتم مسلمًا يقول نحن نعبد هؤلاء المتشفع بهم ليقربونا إلى اللّه زلفى؟! إن سمعتموه وكان قائل ذلك يعرف معنى العبادة وليس عاميًّا جاهلًا لا يفهم معنى ما يقول فهذا شرك لا يخالفكم فيه أحد**].

والرد عليه: أنه سبق أن العبادة تقع من المكلف لمن يعتقده ربًّا له وخالقًا، وتقع من كثير من المشركين ممن يدعي الإسلام وهو يعتقد في معبوديه أنهم لا يخلقون ولا يرزقون، كما وقع من مشركي مكة في عهد النبي ﷺ، وقد تقدم بيان هذه المسالة.

ثانيًا: في سياق الآية الكريمة حكى اللّه قولهم: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾، وسبق أنه قال في اعتراضه الأول: إنهم لم يتخذوا اللّه وليًا أصلًا، فهذا يدل على تناقضه.

ثالثًا: قوله: [**هو مقتضى إسلامهم المتيقن من نطقهم بالشهادتين فكيف إذا انضم إلى ذلك صلاة وصيام وحج وأذكار وأدعية خالصة للّه تعالى وحده؟**].

والرد عليه أن الإسلام يثبت بالنطق بالشهادتين مع الالتزام بمقتضاهما، فلو نطق بالشهادتين ووقع في أحد نواقض الإسلام لم ينتفع بنطقه لهما، ومن ذلك من استهزأ بالدين أو بالقرآن أو بالرسول ﷺ أو أنكر البعث بعد الموت أو أنكر الملائكة. . . فتبين

أن قوله: [**إسلامهم المتيقن من نطقهم بالشهادتين**]، لا يقبل منه أن يسوّغ نواقض الإسلام أو الشركيات، ويدافع عن المشركين.

رابعًا: قوله: [**وهل سمعتم مسلمًا يقول نحن نعبد هؤلاء المتشفع بهم ليقربونا إلى اللّه زلفى؟!**].

نعم، سمعنا من ينتسب للإسلام من يقول ذلك، ويقول ما هو أشد من ذلك؛ فيقولون بالشرك الأكبر، ويتوجهون بالعبادة لغير اللّه صراحة.

يقول عبد الوهاب الشعراني في كتابه: المنهج المطهر للجسم والفؤاد: «إذا أتاه مظلوم وقال له يا سيدي اقض حاجتي إما بسؤالك للّه تعالى بلا واسطة وإما بواسطة كرسول اللّه ﷺ أو غيره كالأمراء وحاشيتهم..»[(١)].

وقال: «وكان من شأن سيدي عبد القادر الدشطوطي أنه يقف ويلتف ثلاث مرات فكان أولياء عصره يقولون: إنه يطوف في كل مرة جميع الدنيا.. وقد كان سيدي عبد القادر الجيلي رضي الله عنه يقول: لو ناداني مريدي من مسيرة ألف عام لأتيته قبل تمام النداء وكذلك يقول سيدي إبراهيم الدسوقي رضي الله عنه... وممن أدركته في مصر يدير بلاد الهند والسند والروم والعراق والمغرب وبلاد السودان[(٢)]: الشيخ محيسن، والشيخ علي أبو خوذة، والشيخ محمد الشربيني رضي الله عنهم أجمعين فاعلم ذلك، وصدّق من يدعي ذلك، فإنه لا يعارض شيئًا من أحكام الكتاب والسنة»[(٣)].

---

(١) ص٦٠٩.

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وهؤلاء يجعلون الرسل والمشايخ يديرون العالم بالخلق والرزق وقضاء الحاجات، وكشف الكربات وهذا ليس من دين المسلمين...» الاستغاثة في الرد على البكري ص٣٢٧.

(٣) ص٦٢٧.

وقال: «وقد أجمعوا على أنه لا يجوز أن يكون لشيخ أن يُقرَّ مريده على أن يشرك معه في المحبة والانقياد شيخًا آخر، ومتى سامحه في ذلك فهو من الغاشين لرعيتهم، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨] والأولياء على الأخلاق الإلهية فكما أن الله تعالى اللّه لا يغفر أن يشرك به فكذلك الأشياخ لا يسامحون مريديهم بذلك، وقالوا كما أنه لا يكون للعالم إلهان، ولا للمرأة زوجان، كذلك لا يكون للمريد شيخان»(١).

وقال: «وكان سيدي علي الخواص رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: من أدب الفقير إذا خرج من بيته أو زاويته لحاجة أن يقول بقلبه: دستور يا أصحاب النوبة أخرج في قضاء هذه الحاجة، ثم إذا رجع استأذنهم في الرجوع كذلك».

وقال: «وربما كان ذلك اللص الذي أخذ ذلك الستر ما أخذه حتى شاور الشيخ بقلبه وقال له: دستور يا سيدي آخذ هذا الستر، لأجعله غطاء على أولادي في الشتاء، كما وقع لسيدي أحمد الزاهد، فسمع شخص قائلا يقول في الليل وهو خارج القبة: دستور يا أحمد آخذ هذا الستر، فقال له الشيخ من ضريحه: خذه وأرحني منها»(٢).

فهذا ما اطلعنا عليه، من التصريح بالشرك الأكبر في العبادة والربوبية وبدلالة الكاتب نفسه، فهو الذي قال عن هذا الكتاب المضل: **[كتاب نفيس يحتاجه كل مسلم. . . فما أحوج طلبة العلم وكل مسلم لهذا الكتاب]**(٣).

---

(١) ص٤٤٩.

(٢) ص٤٢٥.

(٣) ذكرت توثيق كلامه فيما سبق ص٤٣-٤٤.

خامسًا: صرّح دعاةُ الشرك أنهم يسألون غير اللّه؛ لأن ذلك الغير يوصلهم إلى اللّه، وهذا المعنى مطابق لما ورد في الآية من بيان حال المشركين، فالمشركون عبدوا غير اللّه ليقربوهم إلى اللّه زلفى، والمشركون المتأخرون عبدوا الأولياء والصالحين من الموتى وغيرهم ليشفعوا لهم عند اللّه.

وهذه عبارة الكاتب في ص ١٢٣: **[فهل أهل الشهادتين يتشفعون بمن يتشفعون به مع اعتقادهم أنهم يشفعون لهم بغير إذن اللّه، أم أنهم يؤمنون أن هؤلاء الشفعاء إنما أذن اللّه لهم بالشفاعة أو أنهم لا يشفعون إلا بإذنه]**.

وهذا النص من كلام الكاتب صريح في وصفه أهل الشهادتين بهذا الوصف (يتشفعون بمن يتشفعون به) فأهل الشهادتين عنده هذا ديدنهم وهذه عقيدتهم في فهمه، وهم عنده كل من يطلب الشفاعة من غير اللّه تعالى!!

فاعجب لهذا وتذكر أنه يرمي أهل الإسلام بالوقوع في هذه الضلالات، ويسمي من وقع فيها أهل الشهادتين، ويسمي من ينكر عليهم بالمكفِّرين للأمة، ويدعي أنه ينكر هذه الصور ويرى تحريمها!!

سادسًا: ليست العبرة بما يتظاهر به هؤلاء المشركون، فيُضْفون على أنفسهم أوصاف الإيمان والإسلام والدين، وأنهم ومن يستغيثون بهم مَرْضيٌّ عنهم في هذه الأفعال الشركية، وإنما العبرة بحقيقة الحال شرعًا؛ فمن شرب الخمر وقال: إني لم أشرب الخمر وإنما أشرب مشروبًا روحيًّا، أو سمّى الزنا علاقة شخصية، أو سمى الكفر حرية اختيار أو سمى الشرك محبة للصالحين وتوسلًا بهم فلا يغنيه ذلك من اللّه شيئًا.

ثالث اعتراض من الكاتب: ادعاؤه أن قوله تعالى ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾ وقوله ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ﴾ أنه متضمن لجحد ربوبية اللّه وأنهم ينسبون له الولد والبنات، ونقل عن ابن جرير وابن كثير ما توهم أنه يساعده في باطله.

والرد عليه: أنه ليس في كلام أهل العلم والإيمان اجتزاء ولا بتر للنصوص، وقد مرَّ قريبًا ادعاؤه أن المشركين أعرضوا عن اللّه ولم يتخذوه وليًّا أصلًا، وأهمل بقية الآية، وهي قوله: ﴿لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾.

وكلام ابن جرير الطبري الذي نقله الكاتب ليس فيه ما يؤيد غلطه فقول الطبري: «يقول تعالى ذكره: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي﴾ [المائدة: ٥١] إلى الحق ودينه الإسلام، والإقرار بوحدانيته، فيوفقه له ﴿مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ﴾ [الزمر: ٣] مفتر على اللّه، يتقول عليه الباطل، ويضيف إليه ما ليس من صفته، ويزعم أن له ولدًا افتراء عليه، كفّارٌ لنعمه، جحودٌ لربوبيته»[1].

وهذا الكلام لا متمسك لهم فيه، فالمشركون كفروا وأشركوا بعبادتهم غير اللّه، وكفروا أيضًا بنسبتهم الولد إلى اللّه، فهذا كفر وذاك كفر آخر، ومثله في سورة الإخلاص ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ فمن أضاف له الولد كفر، ولو كان يصمد له وحده ويعبده وحده، ومن آمن بأنه لم يلد ولم يولد ولكن صمد لغيره ولم يتخذ اللّه الصمد معبوده فقد كفر أيضًا، ولا يؤمن باللّه إلا من آمن بأنه اللّه الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، فتأمل هذه الآيات ونظائرها وانظر في أحوال المشركين والمكذبين للرسل

(١) جامع البيان ٢٠/١٥٨.

والممثلين اللّه تعالى بخلقه؛ فكل طائفة منهم كفرت باللّه العظيم من جهة، وبعضهم من عدة جهات.

وكذلك ما نقله عن ابن كثير، فإنه لا مستمسك له فيه؛ بل إن الكاتب حذف من كلام ابن كثير ما يهدم بنيانه في كتابه هذا كله ويبطل مقصوده.

ومن فضل الله وتوفيقه أن ابن كثير في هذا الموضع صرّح بمراده، وبذلك ينكشف خطأ الكاتب.

وهذا نص كلام ابن كثير أنقله بطوله كاملًا حيث يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢﴾ أي: فاعبد اللّه وحده لا شريك له، وادع الخلق إلى ذلك، وأعلمهم أنه لا تصلح العبادة إلا له وحده، وأنه ليس له شريك ولا عديل ولا نديد؛ ولهذا قال: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ أي: لا يقبل من العمل إلا ما أخلص فيه العامل للّه، وحده لا شريك له، وقال قتادة في قوله: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ شهادة أن لا إله إلا اللّه.

ثم أخبر تعالى عن عبّاد الأصنام من المشركين أنهم يقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ أي: إنما يحملهم على عبادتهم لهم أنهم عمدوا إلى أصنام اتخذوها على صور الملائكة المقربين في زعمهم، فعبدوا تلك الصور تنزيلًا لذلك منزلة عبادتهم الملائكة؛ ليشفعوا لهم عند اللّه في نصرهم ورزقهم، وما ينوبهم من أمر الدنيا، فأما المعاد فكانوا جاحدين له كافرين به.

قال قتادة، والسدي، ومالك عن زيد بن أسلم، وابن زيد: ﴿إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ أي: ليشفعوا لنا، ويقربونا عنده منزلة.

ولهذا كانوا يقولون في تلبيتهم إذا حجوا في جاهليتهم: «لبيك لا شريك لك، إلا شريكًا هو لك، تملكه وما ملك». وهذه الشبهة

هي التي اعتمدها المشركون في قديم الدهر وحديثه، وجاءتهم الرسل صلوات اللّه وسلامه عليهم أجمعين، بردها والنهي عنها، والدعوة إلى إفراد العبادة للّه وحده لا شريك له، وأن هذا شيء اخترعه المشركون من عند أنفسهم، لم يأذن اللّه فيه ولا رضي به، بل أبغضه ونهى عنه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء].

وأخبر أن الملائكة التي في السمٰوات من المقربين وغيرهم، كلهم عبيد خاضعون للّه، لا يشفعون عنده إلا بإذنه لمن ارتضى، وليسوا عنده كالأمراء عند ملوكهم، يشفعون عندهم بغير إذنهم فيما أحبه الملوك وأبوه، ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤]، تعالى اللّه عن ذلك.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ أي: يوم القيامة، ﴿فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ أي: سيفصل بين الخلائق يوم معادهم، ويجزي كل عامل بعمله، ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سبأ].

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ أي: لا يرشد إلى الهداية من قصده الكذب والافتراء على اللّه، وقلبه كفار يجحد بآياته وحججه وبراهينه.

ثم بين تعالى أنه لا ولد له كما يزعمه جهلة المشركين في الملائكة، والمعاندون من اليهود والنصارى في العزير وعيسى فقال: ﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ أي: لكان الأمر على خلاف ما يزعمون. وهذا شرط لا يلزم وقوعه ولا جوازه،

بل هو محال، وإنما قصد تجهيلهم فيما ادعوه وزعموه، كما قال: ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ١٧﴾ [الأنبياء] ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ٨١﴾ [الزخرف]، كل هذا من باب الشرط، ويجوز تعليق الشرط على المستحيل لقصد المتكلم.

وقوله: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ أي: تعالى وتنزه وتقدس عن أن يكون له ولد، فإنه الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي كل شيء عبد لديه، فقير إليه، وهو الغني عما سواه الذي قد قهر الأشياء فدانت له وذلت وخضعت»[(١)].

فقول ابن كثير: «**فاعبد اللّه وحده لا شريك له، وادع الخلق إلى ذلك، وأعلمهم أنه لا تصلح العبادة إلا له وحده، وأنه ليس له شريك ولا عديل ولا نديد؛ ولهذا قال:** ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ أي: لا يقبل من العمل إلا ما أخلص فيه العامل للّه، وحده لا شريك له». هذا نص صريح في أن المقصود الأعظم هو توحيد العبادة وهو توحيد الألوهية وأن توحيد الربوبية لا يكفي.

ثم قال: «قال قتادة، والسدي، ومالك عن زيد بن أسلم، وابن زيد: ﴿إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ أي: ليشفعوا لنا، ويقربونا عنده منزلة.... فيما أحبه الملوك وأبوه، ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤]، تعالى اللّه عن ذلك».

هذا صريح في إبطال ما ذكره الكاتب، وأن البلية عند المشركين ليست في مسألة الربوبية؛ وإنما في إفراد العبادة للّه وحده، وأن المشركين يعتقدون فيمن عبدوهم أنهم (كالأمراء عند ملوكهم، يشفعون عندهم بغير إذنهم فيما أحبه الملوك وأبوه).

---

(١) تفسير ابن كثير ٧/٨٤ ـ ٨٥.

فحذف الكاتب كل هذه الجمل المهمة المفيدة النافعة من كلام ابن كثير، واقتصر على بعض الجمل وهي قوله: «إنما يحملهم على عبادتهم لهم أنهم عمدوا إلى أصنام اتخذوها على صور الملائكة المقربين في زعمهم، فعبدوا تلك الصور تنزيلًا لذلك منزلة عبادتهم الملائكة؛ ليشفعوا لهم عند اللّه في نصرهم ورزقهم، وما ينوبهم من أمر الدنيا، فأما المعاد فكانوا جاحدين له كافرين به».

وأُذكِّر القراء بأن ابن كثير صرح كغيره من أهل العلم ـ بل بما يعلمه كل مسلم ـ أن هذه المكفرات التي وجدت في المشركين لا يلزم اجتماعها في الشخص حتى يحكم بكفره، بل متى وقع في واحدة منها كفر بذلك، ولهذا يقول ابن كثير في تفسير سورة الصافات: «**وقوله**: ﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ﴾ أي: من كذبهم ﴿لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ﴾ أي: صدر منه الولد ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ فذكر اللّه عنهم في الملائكة ثلاثة أقوال في غاية الكفر والكذب، فأولًا جعلوهم بنات اللّه، فجعلوا للّه ولدًا. وجعلوا ذلك الولد أنثى، ثم عبدوهم من دون اللّه. وكل منها كاف في التخليد في نار جهنم»[1]، وتأمل قوله: «**ثم عبدوهم من دون اللّه. وكل منها كاف في التخليد في نار جهنم**».

وقال ابن كثير: «**وقوله**: ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟﴾ [الأنعام: ٩٤] تقريع لهم وتوبيخ على ما كانوا اتخذوا في الدار الدنيا من الأنداد والأصنام والأوثان، ظانين أن تلك تنفعهم في معاشهم ومعادهم إن كان ثم معاد، فإذا كان يوم القيامة تقطعت الأسباب، وانزاح الضلال، وضلَّ عنهم ما كانوا يفترون، ويناديهم الرب ﷻ على رءوس الخلائق: ﴿أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الأنعام: ٢٢] وقيل لهم ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ

---

(١) تفسير ابن كثير ٧/٤٢.

أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الشعراء] ولهذا قال هاهنا: ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ﴾ أي: في العبادة لهم فيكم قسط في استحقاق العبادة لهم»[1].

فلم يقل إنهم كانوا يعتقدون أنهم شركاء في الربوبية وإنما قال في العبادة، وهكذا قرَّر ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُاْ﴾ [الروم: ١٣] «أي: ما شفعت فيهم الآلهة التي كانوا يعبدونها من دون اللّه، وكفروا بهم وخانوهم أحوج ما كانوا إليهم»[2].

وبهذا يعرف بطلان اعتراض الكاتب وفساد احتجاجه بالنقل عن ابن جرير وابن كثير.

رابع الاعتراضات من الكاتب على استدلال أهل العلم بالآية: ادعاؤه في ص ١٢٣ أن ابن تيمية وابن القيم حصروا صور الشرك في أربع صور، وأن الصورة الرابعة هي صورة الشفاعة، وأنها الشفاعة بغير إذن اللّه تعالى، واستفهامه هل أهل الشهادتين يتشفعون بهم اعتقادًا أنهم يشفعون بغير إذن اللّه.

والرد عليه أن الحجة الشرعية لا بد أن تستند على الأدلة الصحيحة الموصلة للحق، ولا يكون الكلام المنقول عن بعض أهل العلم هو الحجة استقلالًا.

وقد تقدم بيان فساد احتجاجه بكلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وبيان أن الآية الكريمة ليس فيها ذكر الحصر لجميع صور الشرك[3]، ولم

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/٣٠٣.
(٢) تفسير ابن كثير ٦/٣٠٦.
(٣) انظر ما تقدم ٣٥٠ ـ ٣٥٣.

يذكر اللّه تعالى أن هذا قيد لازم لكل من أشرك! بدليل أن اللّه تعالى ذكر في مواضع كثيرة من القرآن أنواعًا من الشرك الأخرى دون اشتراط هذا القيد؛ مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ [الأنعام]، ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾﴾ [الكوثر].

وإني أذكِّر القرَّاء بأن الكاتب يزعم في ص ٤٣ ـ ٤٥ أن ابن تيمية تراجع عن قول أو أنه مضطرب في أقواله!! فكيف يحتج بقوله وهذا حاله عنده!!

وتقدم[١] أنه في نقله عن ابن تيمية قد اجتزأه، وبتر منه ما ينقض كلامه.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولهذا كان أمر التوحيد وإخلاص الدين للّه هو مقصود القرآن، وهو الذي يعظم أمره ويكثر ذكره، فإن العبد محتاج إليه في كل وقت وفي كل شيء. والرياء والسمعة وإن كان فيه شرك كما جاء في الحديث: «**من صلى يرائي فقد أشرك، ومن صام يرائي فقد أشرك**»[٢]. وجاء أيضًا في الصحيح: «**من سمَّع سمَّع اللّه به، ومن راأى راأى اللّه به**»[٣]. فلا ريب أن المرائي يكون عمله حابطًا، فلا يثاب عليه، وشركه دون شرك الذي يعتقد دينًا ويقصده لغير اللّه، فإن المرائي والمسمع يعلم من نفسه أنه إنما فعل وتقوَّل ليراه الناس ويسمعوا ذلك، فهو يفعل ذلك للرغبة إليهم والرهبة، وليس ذلك عنده دينًا ثابتًا وإلها يطمئن إليه، إلا أن يكون ممن يتأله

(١) انظر ص٣٦٣ ـ ٣٦٤.

(٢) أخرجه أحمد في المسند (١٧١٤٠) والطبراني في الكبير (٧١٣٩)، والحاكم ٤/٣٢٩، وأبو نعيم في الحلية ١/٢٦٨ ـ ٢٦٩، والبيهقي في الشعب (٦٨٤٤).

(٣) أخرجه البخاري (٦١٣٤) ومسلم (٢٩٨٧).

بعض البشر، كعباد فرعون والدجال وعباد بعض المشايخ والملوك وغيرهم، فهذا شرك عظيم، لكن لا يكون في مسلم صحيح الإسلام، وإن كان قد وقع منه شيء كثير من المنتسبين إلى الإسلام. ولا ريب أن ذلك إذا وقع كان من أعظم الشرك، وهذا لا يفعله إلا لمعبوده لا يرائي به غيره»[(١)].

فصرح ابن تيمية أن بعض المدعين للإسلام يتألّه لبعض البشر، فيعبدون بعض المشايخ والملوك وغيرهم، وأن هذا شرك عظيم وقع منه شيء كثير من المنتسبين إلى الإسلام، والكاتب يزعم أن الناطق بالشهادتين لا يمكن أن يقع منه ذلك!

وأسوق كلام ابن تيمية في كتابه «**الرد على المنطقيين**» ليتضح مراده بذكر الأقسام الأربعة:

«**وقال تعالى**: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ﴾ [سبأ: ٢٢ ـ ٢٣].

فذكر سبحانه الأقسام الممكنة، فإنّ المشرك الذي يدعو غير اللّه ويرجوه ويخافه، إما أن يجعله مالكًا أو شريكًا أو ظهيرًا أو شفيعًا. وهكذا كل من طلب منه أمر من الأمور: إما أن يكون مالكًا مستقلًا به، وإما أن يكون شريكًا فيه، وإما أن يكون عونًا وظهيرًا لرب الأمر، وإما أن يكون سائلًا محضًا وشافعًا إلى رب الأمر؛ فإذا انتفت هذه الوجوه امتنعت الاستغاثة به.

ولهذا كان الناس بعضهم مع بعض، من الملوك وغيرهم، فيما يتساءلونه لا يخرجون عن هذه الأقسام، إما أن يكون لكل منهما مُلك

(١) جواب الاعتراضات المصرية على الفتيا الحموية ص ٩٨.

متميز عن الآخر فيطلب من هذا ما في ملكه ومن هذا ما في ملكه، وإما أن يكون أحدهما شريكًا للآخر فيطلب منه ما يطلب من الشريك، وإما أن يكون أحدهما من أعوان الآخر وأنصاره وظهرانه كأعوان الملوك، فهو محتاج إليهم، فيطلب منهم ما يحتاج إليه؛ وإذا انتفت هذه الوجوه لم يبق إلا مجرد طلب محض وسؤال من غير حاجة بالمسئول إلى السائل الشافع»[1].

وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: «**وقال سبحانه:** ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [آل عمران] فبين سبحانه أن من اتخذ الملائكة والنبيين أربابًا فهو كافر، مع أن المشركين إنما كانوا يتخذونهم شفعاء ويتقربون بهم إلى اللّه زلفى، فإذا كان هؤلاء الذين دعوا مخلوقًا ليشفع لهم عند اللّه، كما يشفع المخلوق عند المخلوق، فيسأله ويرغب إليه بلا إذنه، وقد جعلهم اللّه مشركين كفارًا مأواهم جهنم، فكيف بشرك هؤلاء الفلاسفة وما يثبتونه من الشفاعة!! فإنهم يُجَوِّزون دعاءَ الجواهر العلوية: الشمس والقمر والكواكب، وكذلك الأرواح التي يسمونها العقول والنفوس، ويسميها من انتسب إلى أهل الملل الملائكة!

وهؤلاء المشركون قد تنزل عليهم أرواحٌ تقضي بعض مطالبهم، وتخبرهم ببعض الأمور، وهم لا يميزون بين الملائكة والجن، بل قد يُسَمّون الجميع ملائكة وأرواحا، ويقولون: (روحانية الشمس)،

(١) الرد على المنطقيين ص ٥٧٣ ـ ٥٧٤.

(روحانية عطارد)، (روحانية الزهرة)، وهي الشيطان والشيطانة التي تضل من أشرك بها، كما أن لنفس الأصنام، وهي التماثيل المصنوعة على اسم الوثن من الأنبياء والصالحين، أو على اسم كوكب من الكواكب، أو روح من الأرواح، والأصنام أيضًا لها شياطين تدخل فيها وتكلم أحيانا بعض المشركين، وقد تترايا أحيانًا فيراها بعض الناس من السدنة وغيرهم.

فالمشركون من الفلاسفة القائلين بقدم العالم هم أعظم شركًا، وما يدعونه من الشفاعة لآلهتم أعظم كفرًا من مشركي العرب؛ فإنهم لا يقولون إن الشفيع يسأل اللّه واللّه يجيب دعوته، كما يقوله المشركون الذين يقولون إن اللّه خالق بقدرته ومشيئته، فإن هؤلاء عندهم أنه لا يعلم الجزئيات ولا يحدث شيئًا بمشيئته وقدرته، وإنما العالم فاض عنه.

فيقولون: إذا توجه الداعي إلى من يدعوه، كتوجهه إلى الموتى عند قبورهم وغير قبورهم وتوجهه إلى الأرواح العالية، فإنه يفيض عليهم ما يفيض من ذلك المُعَظّم الذي دعاه واستغاث به وخضع له، من غير فعل من ذلك الشفيع ولا سؤال منه للّه تعالى، كما يفيض شعاع الشمس على ما يقابلها من الأجسام الصقيلة كالمرآة وغيرها، ثم ينعكس الشعاع من ذلك الجسم الصقيل إلى حائط أو ماء، وهذا قد ذكره غير واحد من هؤلاء كابن سينا ومن اتبعه كصاحب «الكتب المضنون بها» وغيره.

وهؤلاء يزورون القبور الزيارة المنهي عنها بهذا القصد؛ فإن الزيارة الشرعية مقصودها مثل مقصود الصلاة على الجنازة، يُقصد بها: السلام على الميت، والدعاء له بالمغفرة والرحمة. وأما الزيارة المبتدعة التي هي من جنس زيارة المشركين فمقصودهم بها: طلب

الحوائج من الميت أو الغائب، إما أن يطلب الحاجة منه أو يطلب منه أن يطلبها من اللّه، وإما أن يقسم على اللّه به. ثم كثير من هؤلاء يقول: أن ذلك المدعو يطلب تلك الحاجة من اللّه، أو أن اللّه يقضيها بمشيئته واختياره للإقسام على اللّه بهذا المخلوق، وأما أولئك الفلاسفة فيقولون: بل نفس التوجه إلى هذه الروح يوجب أن يفيض منها على المُتَوَجِّه ما يفيض، كما يفيض الشعاع من الشمس من غير أن تقصد هي قضاء حاجة أحد، ومن غير أن يكون اللّه يعلم بشيء من ذلك على أصلهم الفاسد.

فتبين أن شركَ هؤلاء وكفرهم أعظمُ من شرك مشركي العرب وكفرهم، وأن اتخاذ هؤلاء الشفعاء الذين يشركون بهم من دون اللّه أعظم كفرًا من اتخاذ أولئك»[(١)].

فصرح ابن تيمية بكفرهم وشركهم بطلبهم الحوائج من الموتى أو طلبهم من الموتى أن يطلبوا لهم من اللّه تعالى، ولم يقل إن صور الشرك محصورة في أربع صور كما يدعي الكاتب.

وأما قول الكاتب عن ابن تيمية بأن: **[الشفاعة الشركية عنده محصورة في الشفاعة التي يُعتقد أنها تقع بغير إذن اللّه]**؛ فهذا الحصر غير صحيح كما يظهر جلياً في هذا النقل عن ابن تيمية من كتابه: الرد على المنطقيين.

ويقال له أيضًا: الشفاعة الشركية التي حكم القرآن ببطلانها أنواع مذكورة في كتاب اللّه تعالى.

فمنها: ما كان المشركون يطلبونه من غير اللّه فيما لا يقدر عليه إلا اللّه من كشف الضر وجلب النفع، قال تعالى: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن

---

(١) الرد على المنطقيين ص ٥٧٨ ـ ٥٨٠.

﴿دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

وكذلك طلب الشفاعة للكفار في الآخرة واعتقاد إمكان الشفاعة لهم، قال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر].

وكذلك طلب الشفاعة من معبوداتهم باعتقاد إمكان الشفاعة بدون إذن اللّه، قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وكذلك صرفهم العبادة لهؤلاء الشفعاء كما قال تعالى: ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟﴾ [الأنعام: ٩٤] أي: في العبادة، لهم فيكم قسط في استحقاق العبادة لهم، وهكذا قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُا۟﴾ [الروم: ١٣] «أي: ما شفعت فيهم الآلهة التي كانوا يعبدونها من دون اللّه، وكفروا بهم وخانوهم أحوج ما كانوا إليهم»[(١)].

قال ابن تيمية: «الشفاعة المنفية في القرآن، كقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [البقرة: ٤٨]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ﴾ [البقرة: ١٢٣]، وقوله: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، وقوله: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [الشعراء]، وقوله ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨]، وقوله: ﴿يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [الأعراف: ٥٣] وأمثال ذلك»[(٢)].

---

(١) تفسير ابن كثير ٦/٣٠٦.

(٢) مجموع الفتاوى ١/١١٦.

وقال أيضًا عن المشركين: «كانوا معترفين بأن آلهتهم لم تشارك اللّه في خلق السمٰوات والأرض ولا خلق شيء، بل كانوا يتخذونهم شفعاء ووسائط، كما قال تعالى: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس: ١٨] وقال عن صاحب يس: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾﴾ [يس]، وقال تعالى: ﴿وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ﴾ [الأنعام: ٥١]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾﴾ [السجدة]، وقال: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٢]، فنفى عما سواه كل ما يتعلق به المشركون، فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط من الملك، أو يكون عونًا للّه، ولم يبق إلا الشفاعة؛ فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب، كما قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال تعالى عن الملائكة: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وقال ﴿۞وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم]، فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منتفية يوم القيامة، كما نفاها القرآن»(١).

وقال ابن القيم: «وتأمل قول النبي ﷺ لأبي هريرة وقد سأله: من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول اللّه؟ قال: أسعد الناس بشفاعتي

(١) مجموع الفتاوى ٧/٧٧.

من قال: لا إلٰه إلا اللّه خالصًا من قلبه[١]، كيف جعل أعظم الأسباب التي تنال بها شفاعته تجريد التوحيد، عكس ما عند المشركين أن الشفاعة تنال باتخاذهم أولياءهم شفعاء، وعبادتهم وموالاتهم من دون اللّه، فقلب النبي ﷺ ما في زعمهم الكاذب، وأخبر أن سبب الشفاعة هو تجريد التوحيد، فحينئذ يأذن اللّه للشافع أن يشفع.

ومن جهل المشرك اعتقاده أن من اتخذه وليًّا أو شفيعًا أنه يشفع له، وينفعه عند اللّه[٢]، كما يكون خواص الملوك والولاة تنفع شفاعتهم من والاهم!

١ ـ ولم يعلموا أن اللّه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه.

٢ ـ ولا يأذن في الشفاعة إلا لمن رضي قوله وعمله، كما قال تعالى في الفصل الأول: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وفي الفصل الثاني: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

٣ ـ وبقي فصل ثالث، وهو أنه لا يرضى من القول والعمل إلا التوحيد، واتباع الرسول، وعن هاتين الكلمتين يَسأل الأولين والآخرين، كما قال أبو العالية: كلمتان يُسأل عنهما الأولون والآخرون: ماذا كنتم تعبدون؟ وماذا أجبتم المرسلين؟

فهذه ثلاثة فصول، تقطع شجرة الشرك من قلب من وعاها وعقلها: لا شفاعة إلا بإذنه، ولا يأذن إلا لمن رضي قوله وعمله،

---

(١) أخرجه البخاري (٩٩).

(٢) سيأتي أن الكاتب يجعل هذا من باب الخطأ ولا يخرجه من الملة وتأمل قول ابن القيم: (ومن جهل المشرك...).

ولا يرضى من القول والعمل إلا توحيده، واتباع رسوله»[(١)].

وبيّن ابن القيم أنَّ اللّه ﷻ أخبر «أنه ليس للعباد شفيعٌ من دونه، بل إذا أراد اللّه سبحانه رحمة عبده أذِنَ هو لمن يشفعُ فيه، كما قال تعالى: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ﴾ [يونس: ٣]، وقال: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥] فالشفاعة بإذنه ليست شفاعة من دونه، ولا الشافع شفيع من دونه، بل شفيع بإذنه.

والفرق بين الشفيعين كالفرق بين الشريك والعبد المأمور.

فالشفاعة التي أبطلها شفاعة الشريك؛ فإنه لا شريك له، والتي أثبتها شفاعة العبد المأمور، الذي لا يشفع ولا يتقدم بين يدي مالكه حتى يأذن له، ويقول: اشفع في فلان، ولهذا كان أسعدُ الناس بشفاعة سيد الشفعاء يوم القيامة أهل التوحيد، الذين جرّدُوا التوحيد وخلّصوه من تعلّقات الشرك وشوائبه، وهم الذين ارتضى اللّه سبحانه.

قال تعالى: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وقال: ﴿يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا ١٠٩﴾ [طه].

فأخبر أنه لا يحصل يومئذٍ شفاعة تنفع؛ إلا بعد رضاهُ قول المشفوع له، وإذنه للشافع. فأما المشرك فإنه لا يرتضيه، ولا يرضى قوله، فلا يأذن للشفعاء أن يشفعوا فيه؛ فإنه سبحانه علّقها بأمرين: رضاه عن المشفوع له، وإذنه للشافع، فما لم يوجد مجموع الأمرين لم توجد الشفاعة.

وسِرُّ ذلك أن الأمر كله للّه وحده، فليس لأحد معه من الأمر

(١) مدارج السالكين ١/٥٢٧.

شيء، وأعلى الخلق وأفضلهم وأكرمهم عنده هم الرسل والملائكة المقربون، وهم عبيد محضٌ، لا يسبقونه بالقول، ولا يتقدمون بين يديه، ولا يفعلون شيئًا إلا بعد إذنه لهم وأمرهم، ولاسيما يوم لا تملك نفس لنفس شيئًا، فهم مملوكون مربوبون، أفعالهم مقيدة بأمره وإذنه، فإذا أشرك بهم المشرك، واتخذهم شفعاء من دونه، ظنًّا منه أنه إذا فعل ذلك تقدَّموا وشفعوا له عند اللّه؛ فهو من أجهل الناس بحق الرب سبحانه، وما يجب له، ويمتنع عليه»[1].

وقال ابن القيم أيضًا: «ووقعت مسألة، وهي أنّ المشرك إنّما قصدُه تعظيمُ جناب الربّ تبارك وتعالى، وأنّه لعظمته لا ينبغي الدخول عليه إلا بالوسائط والشفعاء كحال الملوك، فالمشرك لم يقصد الاستهانَةِ بجناب الربوبية، وإنما قَصَدَ تعظيَمه، وقال: إنّما أعبد هذه الوسائطَ لِتُقرِّبني إليه، وتُدخِلَني عليه، فهو المقصود، وهذه وسائل وشفعاء. فلِمَ كان هذا القدر موجبًا لسخطه وغضبه تبارك وتعالى، ومخلِّدًا في النار، وموجبًا لسفك دمَاء أصحابه واستباحة حريمهم وأموالهم؟[2].

وترتّب على هذا سؤال آخر، وهو أنّه هل يجوز أن يشرع اللّهُ سبحانه لعباده التقرّبَ إليه بالشفعاء والوسائط، فيكون تحريم هذا إنما استفيد من الشرع، أم ذلك قبيحٌ في الفِطَر والعقول، ممتنعٌ أن تأتي به شريعة، بل جاءت الشرائع بتقرير ما في الفطر والعقول من قبحه الذي هو أقبح من كلّ قبيح؟ وما السرّ في كونه لا يُغفَر من بين سائر

(١) إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان ١/٣٩٥.

(٢) تأمل هذا الكلام جيدًا؛ فإنه يبين لك أن أهل العلم يقررون اعتراف المشركين بالربوبية وتعظيمهم لله، وأن ذلك لم ينفعهم؛ بل هم بصرفهم العبادة لغير اللّه أشركوا باللّه واستوجبوا الخلود في النار.

الذنوب، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨]»[1].

ثم بيَّن العلةَ والسببَ وبينَّ أنواع الشرك وأقسامه، ووضَّح الشرك في الربوبية، ثم الشرك في العبادة، وأنه ينقسم إلى مغفور وغير مغفور، وأكبر وأصغر، وأن الأصغر يصدر ممن يعتقد أنه لا إلٰه إلا اللّه، وأنه لا يضر ولا ينفع ولا يعطي ولا يمنع إلا اللّه، وأنه لا إلٰه غيره، ولا رب سواه... وقال:

«وفي النوع الأول ينقسم إلى كبير وأكبر، وليس شيء منه مغفورًا. فمنه الشرك باللّه في المحبة والتعظيم أن يحبّ مخلوقًا كما يحبّ اللّه، فهذا من الشرك الذي لا يغفره اللّه. وهو الشرك الذي قال سبحانه فيه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِۗ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وقال أصحاب هذا الشرك لآلهتهم، وقد جمعتهم الجحيم: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [الشعراء].

ومعلوم أنهم ما سوَّوهم به سبحانه في الخلق والرزق والإماتة والإحياء والملك والقدرة، وإنّما سوّوهم به في الحبّ والتأله والخضوع لهم والتذلّل...»[2].

ثم ذكر «**الشرك به سبحانه في الأفعال والأقوال والإرادات والنيات.**

فالشرك في الأفعال كالسجود لغيره، والطواف بغير بيته، وحلق الرأس عبودية وخضوعًا لغيره، وتقبيل الأحجار غير الحجر الأسود

(١) الداء والدواء ١/٢٩٧.

(٢) الداء والدواء ١/٣٠٤.

الذي هو يمينه في الأرض، وتقبيل القبور واستلامها والسجود لها، وقد لعن النبيُّ ﷺ من اتخذ قبور الأنبياء والصالحين مساجدَ يُصلى للّه فيها، فكيف بمن اتخذ القبور أوثانًا يعبدها من دون اللّه...»[1].

«فالسجود، والعبادة، والتوكّل، والإنابة، والتقوى، والخشية، والتحسّب، والتوبة، والنذر، والحلف، والتسبيح، والتكبير، والتهليل، والتحميد، والاستغفار، وحلق الرأس خضوعًا وتعبّدًا، والطواف بالبيت، والدعاء كُلّ ذلك محضُ حقّ اللّه الذي لا يصلح ولا ينبغي لسواه من ملَكٍ مقرَّب ولا نبيّ مرسَل»[2].

وقال الشيخ حمد بن ناصر بن معمر: «أما الفرق بين الشفاعة المثبتة والشفاعة المنفية، فهي مسألة عظيمة، ومن لم يعرفها لم يعرف حقيقة التوحيد والشرك... وإذا تأمل الإنسان القرآن، وجد فيه آيات كثيرة في نفي الشفاعة، وآيات كثيرة في إثباتها...فالشفاعة التي نفاها القرآن هي: التي يطلبها المشركون من غير اللّه، فيأتون إلى قبر النبي ﷺ أو إلى قبر من يظنونه من الأولياء والصالحين؛ فيستغيث به، ويستشفع به إلى اللّه، لظنه أنه إذا فعل ذلك شفع له عند اللّه، وقضى اللّه حاجته، سواء أراد حاجة دنيوية أو حاجة أخروية، كما حكى اللّه عن المشركين في قوله: ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس: ١٨]، لكن كان الكفار الأولون، يستشفعون بهم في قضاء الحاجات الدنيوية؛ وأما المعاد، فكانوا مكذبين به، جاحدين له، وأما المشركون اليوم فيطلبون من غير اللّه حوائج الدنيا والآخرة،

(١) الداء والدواء ٣٠٥/١.
(٢) الداء والدواء ٣١٢/١.

ويتقربون بذلك إلى اللّه، ويستدلون عليه بالأدلة الباطلة، و﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [الشورى: ١٦].

وأما الشفاعة: التي أثبتها القرآن، فقيّدها سبحانه بإذنه للشافع، ورضاه عن المشفوع له؛ فلا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل، ولا يأذن للشفعاء أن يشفعوا إلا لمن رضي قوله وعمله؛ وهو سبحانه لا يرضى إلا التوحيد.

وأخبر الرسول ﷺ أن أسعد الناس بشفاعته أهل التوحيد والإخلاص، فمَنْ طلبها منه اليوم، حُرِمَها يوم القيامة؛ واللّه سبحانه قد أخبر أن المشركين لا تنفعهم شفاعة الشافعين؛ وإنما تنفع من جرد توحيده، بحيث أن يكون اللّه وحده هو إلهه، ومعبوده؛ وهو سبحانه: لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا، كما قال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣].

فإذا تأملت الآيات، تبين لك أن الشفاعة المنفية هي التي يظنها المشركون، ويطلبونها اليوم من غير اللّه. وأما الشفاعة المثبتة فهي التي لأهل التوحيد والإخلاص. كما أخبر الرسول ﷺ أن شفاعته نائلةٌ من مات من أمته، لا يشرك باللّه شيئًا»[1].

وقال الشيخ عبد الرحمٰن السعدي: «لأن المشركين يبررون شركهم ودعاءهم للملائكة والأنبياء والأولياء بقولهم: نحن ندعوهم مع علمنا أنهم مخلوقون ومملوكون، ولكن حيث إن لهم عند اللّه جاهًا عظيمًا ومقامات عالية، ندعوهم ليقربونا إلى اللّه زلفى وليشفعوا لنا عنده، كما يتقرب إلى الوجهاء عند الملوك والسلاطين، ليجعلوهم وسائط لقضاء حاجاتهم وإدراك مآربهم.

---

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية ٢/١٥٧.

وهذا من أبطل الباطل، وهو تشبيه اللّه العظيم ملك الملوك الذي يخافه كل أحد، وتخضع له المخلوقات بأسرها، بالملوك الفقراء المحتاجين للوجهاء والوزراء في تكميل ملكهم ونفوذ قوتهم؛ فأبطل اللّه هذا الزعم وبين أن الشفاعة كلها له، كما أن الملك كله له، وأنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، ولا يأذن إلا لمن رضي قوله وعمله، ولا يرضى إلا توحيده وإخلاص العمل له. فبين أن المشرك ليس له حظ ولا نصيب من الشفاعة، وبيّن أن الشفاعة المثبتة التي تقع بإذنه؛ إنما هي الشفاعة لأهل الإخلاص خاصة، وأنها كلها منه؛ رحمةً منه وكرامةً للشافع، ورحمةً منه وعفواً عن المشفوع له، وأنه هو المحمود عليها في الحقيقة، وهو الذي أذن لمحمد ﷺ فيها وأناله المقام المحمود»[(١)].

ثانيًا: كلام ابن تيمية الذي ظن أنه يساعده لا يوجد فيه أي حجة له، وتيسيرًا على القارئ أنقل كلام ابن تيمية وتعليق الكاتب عليه، وأبين غلط كلام الكاتب.

قال في الحاشية في ص ١٢٤: [**لا شك أن من ثبت أنه وافقهم على هذا الاعتقاد سيكون مشركًا، حتى لو انتسب في الظاهر لهذه الأمة.**

وعلى هذا يجب أن يفهم قول ابن تيمية الآخر: «**مثل هذا كثير في القرآن: ينهى أن يدعى غير اللّه: لا من الملائكة ولا الأنبياء ولا غيرهم؛ فإن هذا شرك أو ذريعة إلى الشرك؛ بخلاف ما يطلب من أحدهم في حياته من الدعاء والشفاعة؛ فإنه لا يفضي إلى ذلك؛ فإن أحدًا من الأنبياء والصالحين لم يعبد في حياته بحضرته، فإنه ينهى من**

(١) القول السديد شرح كتاب التوحيد ٧٢.

يفعل ذلك؛ بخلاف دعائهم بعد موتهم؛ فإن ذلك ذريعة إلى الشرك بهم، وكذلك دعاؤهم في مغيبهم هو ذريعة إلى الشرك. فمن رأى نبيًا أو ملَكًا من الملائكة وقال له «ادع لي» لم يفض ذلك إلى الشرك به، بخلاف من دعاه في مغيبه؛ فإن ذلك يفضي إلى الشرك به، كما قد وقع؛ فإن الغائب والميت لا ينهى من يشرك، بل إذا تعلقت القلوب بدعائه وشفاعته أفضى ذلك إلى الشرك به، فدعا وقصد مكان قبره أو تمثاله أو غير ذلك، كما قد وقع فيه المشركون ومن ضاهاهم من أهل الكتاب ومبتدعة المسلمين»[1].

وقول ابن تيمية هنا: «**فإن هذا شرك أو ذريعة إلى الشرك**»: **تفريع منه قاطع بأنه لا يعد كل ما حرمه من دعاء غير اللّه شركًا؛ لأنه جعل له قسمًا آخر، وهو ذريعة الشرك. ولا يقال عن ذريعة الشرك إنها شرك، خاصة في سياق تفريقها عنه. فواجب من أراد الاحتجاج بابن تيمية، أن يبين من كلامه كله ضابط كون الدعاء شركًا، ولن يجد أصرح ولا أوضح من كلامه المنقول عنه سابقًا، والذي يحصر فيه صور شرك العبادة فيما يخل بالربوبية].**

التعليق: من أين له أن يزعم أن هذا الكلام يقرر فيه ابن تيمية أنه هذا هو ضابط كون الدعاء شركًا! ولا يوجد في] كلام ابن تيمية أن هذا هو الضابط، ولا أنه القاعدة التي لا يخرج من أفرادها شيء؛ فإذا ادعى الكاتب ذلك علمنا أنه غلطٌ منه على أهل العلم.

ثانيًا: مراد ابن تيمية بقوله: (ذريعة إلى الشرك) (يفضي إلى الشرك) أنه الأمر الموصل إلى الشرك وأنه يوقع صاحبه في الشرك، وليس المعنى أنه في نفسه ليس من الشرك، بدليل قوله: (بل إذا

(١) مجموع الفتاوى ١/١٧٩.

تعلقت القلوب بدعائه وشفاعته أفضى ذلك إلى الشرك به فدعا وقصد مكان قبره أو تمثاله أو غير ذلك، كما قد وقع فيه المشركون ومن ضاهاهم من أهل الكتاب ومبتدعة المسلمين).

وكذلك قوله في بعض المواضع إنه: (بدعة باتفاق المسلمين)، فلا يعني هذا أنه ليس من الشرك.

وقد كرر ابن تيمية هذا في نفس النص السابق، كما أوضحه في كثير من مؤلفاته في مواضع متعددة.

من كلام ابن تيمية في حكم من دعا واسطة بينه وبين اللّه ليبلغ أمره إلى اللّه:

قال في كتاب «**قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة**»:

«والمشركون من هؤلاء قد يقولون: إنا نستشفع بهم أي نطلب من الملائكة والأنبياء أن يشفعوا، فإذا أتينا قبر أحد طلبنا منه أن يشفع لنا، فإذا صوّرنا تمثاله ـ والتماثيل إما مجسدة وإما تماثيل مصورة، كما يصورها النصارى في كنائسهم ـ قالوا: فمقصودنا بهذه التماثيل تَذكّر أصحابِها وسِيرهم، ونحن نخاطب هذه التماثيل، ومقصودنا خطاب أصحابها ليشفعوا لنا إلى اللّه. فيقول أحدهم: يا سيدي فلانًا، أو يا سيدي جرجس، أو بطرس، أو ياسِتِّي الحنونة مريم. أو يا سيدي الخليل، أو موسى ابن عمران، أو غير ذلك، اشفع لي إلى ربك. وقد يخاطبون الميت عند قبره أو يخاطبون الحيَّ وهو غائب، كما يخاطبونه لو كان حاضرًا حيًّا، وينشدون قصائد، يقول أحدهم فيها: يا سيدي فلانا! أنا في حسبك، أنا في جوارك، اشفع لي إلى اللّه، سل اللّه لنا أن ينصرنا على عدونا، سل اللّه أن يكشف عنا هذه الشدة، أشكو إليك كذا وكذا فسل اللّه أن يكشف

هذه الكربة. أو يقول أحدهم: سل اللّه أن يغفر لي . . . فهذه الأنواع من خطاب الملائكة والأنبياء والصالحين بعد موتهم عند قبورهم وفي مغيبهم، وخطاب تماثيلهم، هو من أعظم أنواع الشرك الموجود في المشركين من غير أهل الكتاب، وفي مبتدعة أهل الكتاب والمسلمين الذين أحدثوا من الشرك والعبادات ما لم يأذن به اللّه تعالى»(١).

وقال أيضًا:

«وأما من يأتي إلى قبر نبي أو صالح أو من يعتقد فيه أنه قبر نبي أو رجل صالح وليس كذلك ويسأله ويستنجده فهذا على ثلاث درجات:

إحداها: أن يسأله حاجته مثل أن يسأله أن يزيل مرضه أو مرض دوابه أو يقضي دينه أو ينتقم له من عدوه أو يعافي نفسه وأهله ودوابه ونحو ذلك مما لا يقدر عليه إلا اللّه ﷻ: فهذا شرك صريح يجب أن يستتاب صاحبه فإن تاب وإلا قتل.

وإن قال أنا أسأله لكونه أقرب إلى اللّه مني، ليشفع لي في هذه الأمور؛ لأني أتوسل إلى اللّه به، كما يتوسل إلى السلطان بخواصه وأعوانه فهذا من أفعال المشركين والنصارى؛ فإنهم يزعمون أنهم يتخذون أحبارهم ورهبانهم شفعاء يستشفعون بهم في مطالبهم، وكذلك أخبر اللّه عن المشركين أنهم قالوا: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾، وقال ﷻ: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ ۝٤٣ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ . . .

ثم يقال لهذا المشرك: أنت إذا دعوت هذا! فإن كنت تظن أنه

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص٢٣ ـ ٢٤.

أعلم بحالك وأقدر على عطاء سؤالك أو أرحم بك؛ فهذا جهل وضلال وكفر، وإن كنت تعلم أن اللّه أعلم وأقدر وأرحم فلم عدلت عن سؤاله إلى سؤال غيره؟[(١)] . . .

وإن قلت: هذا إذا دعا اللّه أجاب دعاءه أعظم مما يجيبه إذا دعوته. فهذا هو القسم الثاني وهو ألا تطلب منه الفعل ولا تدعوه، ولكن تطلب أن يدعو لك. كما تقول للحي: ادع لي وكما كان الصحابة رضوان اللّه عليهم يطلبون من النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم الدعاء، فهذا مشروع في الحي كما تقدم، وأما الميت من الأنبياء والصالحين وغيرهم فلم يشرع لنا أن نقول: ادع لنا ولا اسأل لنا ربك، ولم يفعل هذا أحد من الصحابة والتابعين، ولا أمر به أحد من الأئمة، ولا ورد فيه حديث. . . ولم يجيئوا إلى قبر النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم قائلين: يا رسول اللّه ادع اللّه لنا واستسق لنا ونحن نشكو إليك مما أصابنا ونحو ذلك.

لم يفعل ذلك أحد من الصحابة قط؛ بل هو بدعة ما أنزل اللّه بها من سلطان. . .ومن أعظم الشرك أن يستغيث الرجل بميت أو غائب ـ كما ذكره السائل ـ ويستغيث به عند المصائب يقول: يا سيدي فلان، كأنه يطلب منه إزالة ضره أو جلب نفعه»[(٢)].

وقال: «من أثبت وسائط بين اللّه وبين خلقه، كالوسائط التي تكون بين الملوك والرعية، فهو مشرك، بل هذا دين المشركين عُبّاد الأوثان كانوا يقولون: إنها تماثيل الأنبياء والصالحين، وإنها وسائل

(١) هذا السؤال يُوجّه إلى الكاتب، ويُوجه السؤال إلى كل مشرك ممن ينتسب إلى هذه الأمة وغيرهم من سائر المشركين.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٧/٧٢.

يتقربون بها إلى اللّه، وهو من الشرك الذي أنكره اللّه على النصارى»[(١)].

«وكانت طريقة أصحاب محمد ﷺ أنهم يعبدون اللّه وحده بما أمرهم به نبيهم. . . ويعبدون اللّه بسائر ما أمرهم به نبيهم، ولا يعبدون إلا اللّه، ولا يدعون غير اللّه، لا مما في السماء ولا مما في الأرض، لا الملائكة، ولا الكواكب، ولا الأنبياء، ولا تماثيلهم، بل قد علموا أن هذا كله من الشرك الذي حرمه اللّه ورسوله، ولا يدعون مخلوقًا، لا ملكًا، ولا جنيًا، ولا بشرًا، لا نبيًا ولا غير نبي، لا عند قبره، ولا في مغيبه، لا يستعينون إلا باللّه، ولا يستنصرون إلا باللّه، ولا يتوكلون إلا على اللّه، ولا يدعون مخلوقًا غائبًا، ولا ميتًا، ولا يستغيثون به، ولا يشكون إليه، ولا يطلبون منه مغفرة، ولا هدى، ولا نصرًا، بل يطلبون هذا كله من اللّه.

ولا يفعلون كما يفعل النصارى فيستشفعون بالملائكة، أو الموتى من الأنبياء والصالحين، عند قبورهم أو غير قبورهم، ولا يقول أحد منهم: يا جبريل، يا ميكائيل، اشفع لي إلى اللّه، ولا يقول: يا إبراهيم، يا موسى، يا عيسى، اشفع لي إلى اللّه، كما يفعل النصارى، بل قد علموا أن الغائب لا يطلب منه شيء، والميت لا يطلب منه شيء، وأن الملائكة لا يفعلون إلا ما أمرهم به ربهم، ولا يشفعون إلا لمن ارتضى، وكذلك الأنبياء والصالحين»[(٢)].

«وأيضًا فلو شرع أن يطلب من الميت الدعاء، والشفاعة، كما

(١) مجموع الفتاوى ١/١٣٥.

(٢) قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق لشيخ الإسلام ابن تيمية ص٣١ ـ ٣٢.

كان يطلب منه في حياته؛ كان ذلك مشروعًا في حق الأنبياء، والصالحين، فكان يسن أن يأتي الرجل قبر الرجل الصالح، نبيًا كان، أو غيره، فيقول: ادع لي بالمغفرة، والنصر، والهدى، والرزق، اشفع لي إلى ربك، فيتخذ الرجل الصالح شفيعًا بعد الموت، كما يفعل ذلك النصارى، وكما تفعل كثير من مبتدعة المسلمين، وإذا جاز طلب هذا منه، جاز أن يطلب ذلك من الملائكة، فيقال: يا جبريل، يا ميكائيل، اشفع لنا إلى ربك، ادع لنا.

ومعلوم أن هذا ليس من دين المسلمين، ولا دين أحد من الرسل، لم يسن أحد من الأنبياء للخلق أن يطلبوا من الصالحين الموتى، والغائبين، والملائكة، دعاء، ولا شفاعة، بل هذا أصل الشرك، فإن المشركين إنما اتخذوهم شفعاء، قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٨]. . .»[1].

وعلى هذا عامة أهل العلم، وقد سئل العلامة ابن باز رحمه الله عن حكم دعاء الملائكة؛ فقال السائل: اشتهر عند بعض العوام أن يقول أحدهم قبل النوم: يا ملائكة الحفظ أيقظوني في الساعة كذا أو عند وقت كذا؟

فأجاب الشيخ ابن باز بقوله: «**هذا لا يجوز، بل هو من الشرك الأكبر**[2]**؛ لأنه دعاء لغير اللّه وطلب من الغائب، فهو كالطلب من الجن والأصنام والأموات، لعموم قوله تعالى:** ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا

(١) المرجع السابق ص١٢٠ ـ ١٢١.

(٢) سيأتي ص٧٦١ أن الكاتب يرى أن ذلك ليس من الشرك في شيء وأن من دعا الملائكة واستغاث بهم فلا يعدو أن يكون مخطئًا.

تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن]، وقوله سبحانه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر]، فسمى سبحانه دعاء غيره من الأموات والأصنام والجن والملائكة شركًا به سبحانه، وقال ﷻ: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾﴾ [الجن]، وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون] فسمى الداعين لغيره كافرين، وهذا يعم جميع المدعوين من دون اللّه من أموات أو أصنام أو جن أو ملائكة، ولا يستثنى من ذلك إلا الحي الحاضر القادر لقول اللّه سبحانه في قصة موسى: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص: ١٥]، ومن هذا الشرك قول بعض الناس: يا جنُّ خذوه، يا سبعةُ خذوه، أو يا جنُّ الظهيرة خذوه، أو يا جنُّ الشعب الفلاني، أو يا جنُّ بلد فلان، فهذا كله شرك أكبر ودعوة لغير اللّه من الغائبين، فإذا قال: يا ملائكة اللّه أيقظوني أو احفظوني فهذا شرك أكبر، أو يا جنُّ البيت احفظوني أو أيقظوني؛ فهذا شرك أكبر؛ نعوذ باللّه من ذلك.

والواجب على المسلم أن يحذر ذلك، وأن يستغيث باللّه وحده، ويسأله وحده، ففيه الكفاية سبحانه، وهو القادر على كل شيء، وهو القائل ﷻ: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ﴾، والقائل سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة]، ويقول النبي ﷺ: «إذا سألت فاسأل اللّه، وإذا استعنت فاستعن باللّه»[(١)].

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ١٨٦/٧ ـ ١٨٨.

قال الشيخ صالح الفوزان حفظه اللّه:

«ومن الشبه التي تعلقوا بها: قضية الشفاعة؛ حيث يقولون: نحن لا نريد من الأولياء والصالحين قضاء الحاجات من دون اللّه، ولكن نريد منهم أن يشفعوا لنا عند اللّه؛ لأنهم أهل صلاح ومكانة عند اللّه؛ فنحن نريد بجاههم وشفاعتهم.

والجواب: أن هذا هو عين ما قاله المشركون من قبل في تسويغ ما هم عليه، وقد كفَّرهم اللّه، وسمَّاهم مشركين؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾»[1].

ووضح الشيخ صالح آل الشيخ حفظه اللّه حكم من سأل النبي ﷺ أن يدعو له وأن يطلب له المغفرة من اللّه بعد موته؛ بأنه شرك أكبر، لأن النبي ﷺ لا يدعى بعد موته، فطلب الدعاء من الميت وطلب الدعاء بالإغاثة أو الاستسقاء، يعني أن يدعو اللّه أن يغيث أو أن يدعو اللّه أن يغفر أن يدعو اللّه أن يعطي ونحو ذلك، هذا كله داخل في لفظ الدعاء، واللّه ﷻ قال: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن].

وبيّن أن طلب الدعاء من الميت، أو طلب المغفرة من الميت، أو طلب الإعانة أو نحو ذلك كلها باب واحد؛ هي طلب داخل في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون] وفي قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣] ونحو ذلك من الآيات.

---

(١) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ص ٦٤.

وبين الشيخ صالح آل الشيخ أن من فهم من كلام بعض أئمة السنة التفريق، أو أن هذا ـ طلب الدعاء من الميت ـ أنه بدعة، لا يعني أنه ليس بشرك، بل بدعة شركية يعني ما كان أهل الجاهلية يفعلونه، وإنما كانوا يتقربون ليدعوا لهم.

لكن أن يطلب من الميت الدعاء! هذا بدعة ما كانت أصلًا موجودة لا عند الجاهليين ولا عند المسلمين؛ فحدثت، فهي بدعة ولا شك، ولكنها بدعة شركية كفرية؛ لأن المشركين لم يكونوا يطلبون من آلهتهم وأوثانهم الدّعاء، ولكن كانوا يتقربون إليها لتشفع[1].

➢ الرد على قول الكاتب في ص ١٢٥: [وبذلك يتبين سقوط استدلالهم بهذه الآية والتي يحفظونها أطفالهم في تكفير أهل الشهادتين]:

فالجواب: أن أهل العلم يُقررون ما دل عليه القرآن مِنْ كُفرِ مَنْ جعل بينه وبين اللّه وسائط يدعونهم ويتوكلون عليهم ويسألونهم الشفاعة، فهذا مما تقدم أنه محل إجماع بين أهل العلم.

فكيف يقول الكاتب: سقوط استدلالهم بتكفير من وقع في الشرك الأكبر!!

فهذه دعوى لم تقم لها حجة صحيحة.

وأيضًا مما يقال للكاتب وأشباهه: ليست هذه الآية الوحيدة التي دلّتْ على كفر من جعل بينه وبين اللّه وسائط في الدعاء وطلب الشفاعة لأجل أن يقربوه إلى اللّه؛ فقد جاء في القرآن هذا المعنى، في مواضع، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ

(١) انظر: شرح الطحاوية للشيخ صالح آل الشيخ ١/٣٣٣ ـ ٣٣٤.

بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون] وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣]، وقال تعالى: ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾ [ص] وقال تعالى: ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُاْۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [الأنعام] وقال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس: ١٨].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «سمى اللّه آلهتهم التي عبدوها من دونه شفعاء، كما سماها شركاء في غير موضع، فقال في يونس: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾، وقال: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ﴾ [الزمر: ٤٣ ـ ٤٤]، ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُاْ﴾ [الروم: ١٢ ـ ١٣].

وجمع بين الشرك والشفاعة في قوله: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥۚ﴾ [سبأ: ٢٢ ـ ٢٣].

فهذه الأربعة هي التي يمكن أن يكون لهم بها تعلق: الأول: ملك شيء ولو قل.

الثاني: شركهم في شيء من الملك، فلا ملك ولا شركة ولا معاونة يصير بها ندًا، فإذا انتفت الثلاثة بقيت الشفاعة فعلقها بالمشيئة.

وقال: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا﴾ [النجم: ٢٦]، وقال: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ﴿٥٦﴾﴾ [الإسراء]، وقال في اتخاذهم قربانًا: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، وقال: ﴿فَلَوۡلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرۡبَانًا ءَالِهَةَۢۖ بَلۡ ضَلُّواْ عَنۡهُمۡۚ وَذَٰلِكَ إِفۡكُهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأحقاف]»[1].

كتب الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى رجلٍ حاله يُشْبه حالَ الكاتب، فقال له: «فقد بلغنا ما أنت عليه، ـ أنت ومن غرك وأغواك ـ من مسبة مشايخ المسلمين، والقدح فيما هم عليه من العقيدة والدين، ونسبتهم إلى تكفير المؤمنين والمسلمين. . . وقد بلغنا عنك بعد ذلك أنك أبديت لإخوانك وجلسائك شيئًا مما تقدمت الإشارة إليه، من السباب والقدح، لا سيَّما إذا خلوت بمن يعظمك ويعتقد فيك، من أسافل الناس وسقطهم، الذين لا رغبة لهم فيما جاءت به الرسل، من معرفة اللّه ومعرفة دينه وحقه، ما شرع من حقوق عباده المؤمنين. . . وأما تكفير من أجاز دعاء غير اللّه، والتوكل على سواه، واتخاذ الوسائط بين العباد وبين اللّه، في قضاء حاجاتهم وتفريج كرباتهم، وإغاثة لهفاتهم، وغير ذلك من أنواع عباداتهم؛ فكلامهم فيه وفي تكفير من فعله أكثر من أن يحاط به أو يحصر. وقد حكى الإجماع عليه غير واحد، ممن يقتدى به ويرجع إليه، من مشايخ الإسلام والأئمة الكرام، ونحن قد جرينا على سننهم في ذلك، وسلكنا منهجهم فيما هنالك؛ لم نكفِّر أحدًا إلا من كفَّره اللّه ورسوله، وتواترت نصوص أهل العلم على تكفيره، كمن أشرك باللّه وعدل به سواه، أو عطَّل صفات كماله

(١) مجموع الفتاوى ١/١١٤.

ونعوت جلاله، أو زعم أن لأرواح المشايخ والصالحين تصرفًا وتدبيرًا مع اللّه تعالى اللّه عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا..»[(١)].

ثم قال عن ذلك المردود عليه:

«وفي ورقة المُشبِّه المُبْطِل، (أنكم كَفَّرتم خير أمة أخرجت للناس)، وقصده هؤلاء المشركون، وزعم أنهم هم الأمة الوسط وأنهم صفوف أهل الجنة، وأنهم عتقاء اللّه في شهر الصيام، وأنّ مَنْ كَفّرهم فقد كَفّر أمةَ محمد لأنهم يتكلمون بالشهادتين. . .

وأهل العلم والإيمان لا يختلفون في أن من صدر منه قول أو فعل يقتضي كفره أو شركه أو فسقه، أنه يحكم عليه بمقتضى ذلك، وإن كان من يقر بالشهادتين، ويأتي ببعض الأركان، وإنما يُكَفُّ عن الكافر الأصلي إذا أتى بهما، ولم يتبين منه خلافهما ومناقضتهما. وهذا لا يخفى على صغار الطلبة، وقد ذكروه في المختصرات من كل مذهب..»[(٢)].

والشيخ عبد اللطيف وصف ذلك المردود عليه؛ فقال: «وهل حدث الشرك في الأرض إلا برأي أمثال هؤلاء المخالفين، الذين يظهرون للناس في زي العلماء، وملابس الصلحاء، وهم من أبعد خلق اللّه عما جاءت به الرسل من توحيده ومعرفته، والدعاء إلى سبيله.

هم جند محضرون للقباب وعابديها، فقد عقدوا الهدنة والمؤاخاة بينهم وبين من عبد الأنبياء والمشايخ.

(١) عيون الرسائل والأجوبة على المسائل ٢/٥٠٢ ـ ٥٠٥.
(٢) المرجع السابق ٢/٥٠٥ ـ ٥١١.

وأوهموهم أنهم إذا أتوا بلفظ الشهادتين واستقبلوا القبلة، لا يضرهم مع ذلك شرك ولا تعطيل وأنهم هم المسلمون، وهم خير أمة أخرجت للناس، وهم صفوف أهل الجنة، فاغتروا بهذا القول منهم، وغلوا في شركهم وضلالهم حتى جعلوا لمعبوديهم التصرف والتدبير، من دون اللّه رب العالمين»[1].

➢ تهوين الكاتب من أمر الشرك باللّه بشبهة واهية:

تساءل الكاتب في ص١٢٣: **[فهل أهل الشهادتين يتشفعون بمن يتشفعون به مع اعتقادهم أنهم يشفعون لهم بغير إذن اللّه، أم أنهم يؤمنون أن هؤلاء الشفعاء إنما أذن اللّه لهم بالشفاعة أو أنهم لا يشفعون إلا بإذنه].**

فالجواب عليه: أن اعتقادهم هذا لا ينفعهم ولا يغني عنهم من اللّه شيئًا؛ إذ خالفوا دين الإسلام ونقضوا توحيدهم وشهادتهم أن لا إلٰه إلا اللّه، فجعلوا مع اللّه سبحانه من يُرجى ويُدعى ويُسأل من الأموات والغائبين.

هذا من أعظم الافتراء والقول على اللّه بغير علم، وهذا نفس ما احتج به المشركون على الرسول ﷺ والمسلمين، فتولى اللّه الرد على شبهتهم بأحسن بيان وأوضحه، فقال تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾﴾ [الأنعام].

(١) المرجع السابق ٢/٥١٠.

فمَنْ يدافع عن مشركين يعبدون الأموات ويقولون: إن اللّه أذن لهم بالتصرف وأذن لهم بالشفاعة فنطلبها منهم.

فيقال لهم: هل عندكم من علم أن اللّه أذن لهم بالشفاعة؟!

ولو أذن اللّه لهم بالشفاعة يوم القيامة؛ فهل أذن اللّه لكم أن تدعوهم وتسألوهم الحاجات؟!

ولما احتج المشركون بهذه الحجة، هل زال عنهم وصف الشرك وصاروا مخطئين فقط؟!

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذه مناظرة ذكرها اللّه تعالى، وشبهة تشبث بها المشركون في شركهم وتحريم ما حرموا؛ فإن اللّه مطلع على ما هم فيه من الشرك والتحريم لما حرموه، وهو قادر على تغييره بأن يلهمنا الإيمان، أو يحول بيننا وبين الكفر، فلم يغيره، فدل على أنه بمشيئته وإرادته ورضاه منا ذلك؛ ولهذا قالوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾ كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ [الزخرف: ٢٠]، وكذلك التي في النحل مثل هذه سواء، قال اللّه تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: بهذه الشبهة ضلَّ من ضلَّ قبل هؤلاء. وهي حجة داحضة باطلة؛ لأنها لو كانت صحيحة لما أذاقهم اللّه بأسه ودمّر عليهم، وأدال عليهم رسله الكرام، وأذاق المشركين من أليم الانتقام.

﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ﴾ أي: بأن اللّه تعالى راض عنكم فيما أنتم فيه ﴿فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ﴾ أي: فتظهروه لنا وتبينوه وتبرزوه ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ أي: الوهم والخيال. والمراد بالظن هاهنا: الاعتقاد الفاسد ﴿وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ أي: تكذبون على اللّه فيما

ادعيتموه»[1].

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ﴾ [الأعراف: ٢٨]. فلم يعذرهم اللّه بهذه المحاجة عن أنفسهم، حتى لو ادعوا أنهم يظنون أن اللّه أمرهم بذلك أو أنه راضٍ بذلك أو أن اللّه أذن بذلك؟؟

بل هذا من افتراء دين وشرع لم يأذن اللّه به، قال تعالى ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾ [الشورى: ٢١] فكيف يليق بمسلم أن يقول: إذا ظنّ أن اللّه أذن له فلا يكون مشركًا!!

هل يأذن اللّه تعالى بالشرك به ودعاء غيره معه!!

سبحان اللّه العظيم وبحمده ألا يقرأ قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزخرف].

والقول بنسبة إذن اللّه لعبد بالشفاعة، بدون علم وحجة شرعية صحيحة، هو قول على اللّه بغير علم، وهذا من أعظم المحرمات؛ كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف].

وهو من الافتراء على اللّه تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [يونس]، وقال تعالى: ﴿قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [يونس] ومن المعلوم أن اللّه لم يأذن لهم، فعلم أنهم مفترون.

(١) تفسير ابن كثير ٣/٣٥٨.

هل نفع كفار قريش ظنونهم واعتقاداتهم في الملائكة وفي معبوديهم!

هل مجرد هذا الظن هو الحامي لهم والرافع عنهم وصف الشرك؟

فلو قال كل مشرك: إن الذي أدعوه وأستغيث به وأطلب منه الشفاعة وقضاء الحاجات قد أذن اللّه له بذلك؛ كما يقوله مشركو النصارى واليهود ومشركو العرب بل الذين يعبدون بوذا وسائر الأصنام وأشباههم يقولون هذا، فهل هذا عذر لهم!!

ويقال له: هل إذا اعتقد أن الملائكة والشهداء والصالحين والأفراط أذن اللّه لهم فيدعوهم ويسألهم قضاء الحاجات؟!! فعلى هذا الظن الفاسد كان عليه أمر أهل الجاهلية.

يجدر التنبيه إلى أن الكاتب لا يقتصر على مسألة طلب الشفاعة!

بل صرح أنه يرى طلب الرزق من غير اللّه، وطلب تخفيف شدة الموت وسكراته، وطلب إنزال الغيث من الملائكة، والحفظ من الهلكات! إذا اعتقد أنه أذن اللّه له، كل ذلك فهو خطأ وليس بشرك.

بل عمّم في كل الحوائج؛ فقال: **[في أي عمل لا يقدر عليه عادة]** ص١٢٧، ١٢٩، وقوله في ص ١٣١: **[وأما الخطأ في نسبة إذن اللّه لعبد من عبيده بفعل شيء لا يقدر عليه إلا اللّه، والصحيح أن اللّه تعالى لم يأذن له بذلك، أو لا يُعْلم أن اللّه تعالى قد أذن له بذلك فهو خطأ ولا شك...لكنه ليس شركًا]**.

فإذا طلب ـ من ينطق بالشهادتين ـ تحقيق الحاجات وتفريج الكربات وإغاثة اللّهفات؛ من شفاء المرض ورد الغائب وإدخال الجنة

والنجاة من النار، إذا طلب ذلك من الأموات والغائبين والجن والملائكة وغيرهم؛ فلا يكون ـ عند الكاتب ـ شركًا إذا اعتقد أن اللّه أذن لهم، غاية ما في الأمر ـ عند الكاتب ـ أن هذا خطأ[(١)]!!

فتنبّه لكلامه!

والكاتب لا يقتصر على شرك بعض المنتسبين من هذه الأمة الذين يطلبون الشفاعة من الرسول ﷺ بعد وفاته بل يعمم ذلك؛ فقوله: **[يتشفعون بمن يتشفعون به]**، وقوله: **[هؤلاء الشفعاء]**، فيدخل في ذلك من يظن الشفاعة في الأموات والغائبين من أي شخص اعتقد في أي ميت أو غائب، فتنبّه لمراده!

وقد ذكر هذه الشبهة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه كشف الشبهات، فقال:

«فإن قال: أتنكر شفاعة النبي ﷺ وتتبرأ منها؟ فقل: لا أنكرها، ولا أتبرأ منها، بل هو ﷺ الشافع المشفَّع وأرجو شفاعته، ولكن الشفاعة كلها للّه، كما قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَـٰعَةُ جَمِيعًاۖ﴾ [الزمر: ٤٤]

(١) من أمثلة من طلب الرزق من غير اللّه عند المتأخرين، ما نقله محمد رشيد رضا في «مجلة المنار» ٣١٧/٧ عن رجل «يطوف الشوارع ولسانه رطب يتلجلج بذكر السيدة لا يفتر طرفة عين عن ندائها: يا سيدة يا سيدة يا سيدة يا سيدة يا سيدة»، وقال أيضًا: «وأعرف رجلًا شيخًا أشيب أعمى أجش الصوت ينشد الأماديح المنظومة على طريق المواويل بالاستغاثة بالسيدة: يا بنت بنت النبي طلي وشوفينا، يا بنت بنت النبي دخلك أنا عيان، وأعرف امرأة عمياء كانت تجلس في ظل دارنا وهي تحفظ أسجاعًا متناسقة في الدعاء هممت غير مرة بأن أنصت إليها وأكتبها عنها. وأما الذين يشتركون في عبارة خاصة فكثيرون كالطوافين بكلمة: مليم أجيب بو شأَّة، علي أُبُول (قبول) سيدنا الحسين والسيدة زينب وجدهم الحبيب النبي. أي أطلب مليمًا (عُشْر القرش المصري) أشتري به كسرة من الخبز رجاء أن يقبله منكم سيدنا الحسين». فمن الذي جعل هؤلاء العوام على هذه الحال إلا شيوخ الضلالة.

ولا تكون إلا من بعد إذن اللّه، كما قال ﷻ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

ولا يشفع في أحد إلا من بعد أن يأذن اللّه فيه، كما قال ﷻ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨] وهو لا يرضى إلا التوحيد، كما قال ﷻ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥] فإذا كانت الشفاعة كلها للّه، ولا تكون إلا من بعد إذنه، ولا يشفع النبي ﷺ ولا غيره في أحد حتى يأذن اللّه فيه، ولا يأذن إلا لأهل التوحيد.

تبين لك أن الشفاعة كلها للّه، فأطلبها منه فأقول: اللّهم لا تحرمني شفاعته، اللّهم شفعه في، وأمثال هذا.

فإن قال: النبي ﷺ أعطي الشفاعة، وأنا أطلبه مما أعطاه اللّه.

فالجواب إن اللّه أعطاه الشفاعة، ونهاك عن هذا، فقال: ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن] فإذا كنت تدعو اللّه أن يشفع نبيه فيك فأطعه في قوله: ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن].

وأيضًا، فإن الشفاعة أُعْطيها غير النبي ﷺ، فصحَّ أن الملائكة يشفعون، والأولياء يشفعون، والأفراط يشفعون، أتقول: إن اللّه أعطاهم الشفاعة فأطلبها منهم؟ فإن قلت هذا رجعت إلى عبادة الصالحين التي ذكر اللّه في كتابه، وإن قلت: لا، بطل قولك: أعطاه اللّه الشفاعة وأنا أطلبه مما أعطاه اللّه»[1].

قال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتي الديار السعودية:

«إن انتقل لهذه الشبهة في زعمه: أنه كما أن من أعطي المال يعطي من شاء فكذلك من أعطي الشفاعة!

---

(١) كشف الشبهات ٢٤.

فالجواب: نعم، أن اللّه أعطاه الشفاعة وهو سيد الشفعاء لكن الذي أعطاه الشفاعة هو اللّه، (ونهاك عن هذا) نهاك أن تطلبها منه فهذا من جهله يطلب شيئًا منهيًا عنه، مع أن إعطاءه الشفاعةَ إعطاءٌ مقيدٌ وليس مطلقًا، كما أن إعطاءه المال ﷺ لا يعطيه من شاء إنما يعطيه من أُمِر أن يعطيه.

فقال تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ⁦(١٨)⁩﴾ [الجن] فهذا نهي عن دعوة غير اللّه، ودعوةُ غير اللّه أنواع: منها دعوة غير اللّه فيما يرجونه من شفاعتهم، ومنها دعوة غير اللّه لكشف الكربات ونحو ذلك؛ وهذا منهي عنه بل هو حقيقة دين المشركين الأولين، إنما كانت عبادتُهم آلهتهَم بالدعاء وطلب الشفاعة ونحو ذلك كما تقدم...

إذا كنت ترجو أن تكون أهلًا لشفاعة سيد الشفعاء فوحِّد اللّه وأخلِص له العمل تَنَلْ شفاعة المصطفى ﷺ؛ فإن الشفاعة التي هي حق وأعطيها ﷺ مشروطة بشرط كما تقدم، وبينت الشريعة أن سبب نيلها اتباع الرسل وإخلاص العمل فبذلك يكون من أهل الشفاعة.

فالمشركون ضيَّعوا سبب الشفاعة وضادُّوه وخالفوه.

الشريعة بينت أن سبب إعطائه إياها غير طلبها منه ﷺ، وإنما سببها: الإيمان به ﷺ، والإيمان بما جاء به؛ قال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ⁦(٤٨)⁩﴾ [المدثر]، وقال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾ [يونس: ١٨] وما لا يعلمه اللّه فهو باطل؛ يعني لا يعلم أن من دونه شفعاء. وسئل ﷺ: من أسعد الناس بشفاعتك؟ فقال: «من قال لا إله إلا اللّه خالصًا من قلبه»، وقال: «**فهي نائلة إن شاء اللّه من مات لا يشرك باللّه شيئاً**». فالشفاعة للعصاة. أما المشركون فلا شفاعة لهم».

وقال أيضًا: «كون شخص أُعطِيها لا يدل على أنه يعطيها من سألها، وَلَلَزِمَ من ذلك أن يكون كلُ من طلب الشفاعة يعطي إياها من سأله، ولَفسدت الشرائع، فدلّ على أن إعطاءه الشفاعة مقيد وليس دالًّا على أنها تُطلب منه، ولو كانت تطلب منه لكان الصحابة أول من يطلبها منه؛ بل أنكر زين العابدين على مَن أتى إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو. وحينئذ انكشفت شبهته، واندحضت حجته، وتبيَّن لك بذلك جهلُه وضلاله»[(١)].

وأما ادعاء الكاتب أن صورة الشفاعة الشركية هي الشفاعة بغير إذن اللّه، فهذا أيضًا من الخطأ الذي تكرر منه، فالشفاعة المنفية في القرآن أنواع كما تقدم.

ولو أن المتشفع طلب من الميت أو الغائب الشفاعة؛ فإنه وقع في صرف العبادة لغير اللّه؛ حتى لو قال: إنه يشفع بإذن اللّه.

فطلب الشفاعة من الأموات يتضمن سؤالا ودعاء يتوجه به الحي إلى الميت، وهذا هو الشرك باللّه وصرف خالص حقه لغيره، فالمشركون يرجون شفاعة معبوداتهم في تحقيق مطالبهم وحاجاتهم الدنيوية، والأخروية لمن أقرّ بالبعث منهم.

والاستناد على طلب شفاعة غير اللّه من الغائبين من الملائكة أو الأنبياء أو سائر الموتى وغيرهم، باب عظيم يدخل تحته صور كثيرة من الشرك. فمن ذلك التقرب إليهم بالسجود أو الركوع أو النذر لهم أو الذبح لهم أو الطواف بقبورهم، ويدخل في ذلك الاستغاثة بهم ودعاؤهم وطلب المدد منهم وسؤالهم الشفاعة، فكل هذه يدخل في الشفاعة الشركية.

---

(١) شرح كشف الشبهات ص٩٤ ـ ٩٧.

وكل ذلك عند المشركين يندرج تحت هذا المعنى الذي قام بقلوبهم؛ فإن المشرك الذي يدعو غير اللّه ويرجوه ويخافه؛ إما أن يجعله مالكًا أو شريكًا أو ظهيرًا أو شفيعًا.

وهكذا كل من طُلِبَ منه أَمرٌ من الأمور؛ إما أن يكون مالكًا مستقلًّا به، وإما أن يكون شريكًا فيه، وإما أن يكون عونًا وظهيرًا، وإما أن يكون سائلًا محضًا وشافعًا.

والأسباب التي نفاها اللّه ﷻ للشرك في آية سورة سبأ، جاءت لبيان أن الشرك لو ساغ وجاز؛ فإنه لا بد من أن تتحقق هذه الأسباب، فإن كانت منفية ـ وباعتراف المشركين ـ فلم يعد هناك ما يسوِّغ الشرك ويجيزه فلماذا إذن تشركون؟! والكاتب خلط بين أسباب الشرك وبواعثه وبين عِلَلِ الحكم بالشرك ومناطه، فجعل ما ذكره اللّه من الأسباب والبواعث هو علة الحكم ومناطه، فبواعث الشرك وأسبابه كثيرة، واللّه ﷻ قطع وبين انتفاء أهمها وأقواها التي لو كانت حقًّا لساغ الشرك وليست بحق، وأما علة الحكم بالشرك فكل من توجه بعبادته لغير اللّه فهو مشرك مهما كان باعثه.

ويقال للكاتب: لما بين اللّه انتفاء أسباب الشرك، وكان نفيه عامًا مطلقًا، وكان من أسباب الشرك طلب الشفاعة من غير اللّه، نفى سبحانه نفع هذه الشفاعة، وقيّد ذلك النفي بالشفاعة الواقعة بغير إذنه، لئلَّا يتوهم أن الشفاعة لا تنفع مطلقًا، وبين في مواطن عديدة من كتابه ومن سنة رسوله ﷺ أن الشفاعة النافعة الواقعة بإذنه لا تنال إلا بالتوحيد وإخلاص العبادة للّه وحده، فمن توجّه لغائب أو لميت أو لقبر أو لصنم، يرجوه ويستغيثه ويطلب منه الشفاعة؛ فإنها لا تنفعه والحالة هذه، لأن الداعي خالف شرط الشفاعة، وهو التوحيد وإخلاص الدعاء والتوجه للّه وحده، فسواء اعتقد المستغيث أن

الشفاعة واقعة بإذن اللّه أو ليست بإذنه، لا يؤثر في الحكم شيئًا إلا الزيادة في الكفر فيما لو اعتقدها واقعة بغير إذنه، لأنه نقض للربوبية في بعض الأحوال، ولا يعني هذا أنه لو طلبها معتقدًا أنها بإذن اللّه لم يكن شركًا بل هو شرك، كما سبق توضيحه.

ويقال أيضاً: إن هؤلاء حقيقة أمرهم أنهم لا يعتقدون أن الشفاعة تكون بإذن اللّه، فإن قلوبهم تعلقت بالميتين والغائبين أعظم من تعلقها باللّه تعالى، ولهذا يقال لهم إذا دعوتم غير اللّه: فإن كنتم تظنون أنه أعلم بحالكم وأقدر على عطاء سؤالكم أو أرحم بكم!! فهذا جهل وضلال وكفر، وإن كنتم تعلمون أن اللّه أعلم وأقدر وأرحم فلم عدلتم عن سؤاله إلى سؤال غيره؟

إنَّ عدولهم عن سؤال اللّه ودعائه لأكبر برهان على تعظيمهم غير اللّه، وأنه أقدر وأسرع إجابة، وقد سبق نقل بعض الوقائع من أحوال المشركين في هذه الأمة شاهدة على ما قام بقلوبهم.

وقد زعم المشركون أن للّه شفعاء يقبل شفاعتهم لحبه لهم وجاههم عنده كذبًا وزورًا من عند أنفسهم، وليس في هذا أنهم يعتقدون في هؤلاء الشفعاء أن عندهم شيئًا من خصائص الربوبية، ويدل عليه تصريح القرآن في آيات عدة أن المشركين يقرون بأن اللّه هو الخالق المتفرد بالملك والتدبير، وأن آلهتهم لا تملك معه شيئًا، فكيف يصح اعترافهم بهذا ثم يعتقدون بشفعاء يشفعون عند اللّه بقوتهم وسطوتهم، ومما يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يونس] يقول الطبري في تفسيره: «يقول: أتخبرون اللّه بما لا يكون في السماوات ولا في الأرض؛ وذلك أن الآلهة لا تشفع لهم عند اللّه

في السماوات ولا في الأرض. وكان المشركون يزعمون أنها تشفع لهم عند اللّه. فقال اللّه لنبيه ﷺ: قل لهم: أتخبرون اللّه أن ما لا يشفع في السماوات ولا في الأرض يشفع لكم فيهما، وذلك باطل لا تعلم حقيقته وصحته، بل يعلم اللّه أن ذلك خلاف ما تقولون وأنها لا تشفع لأحد ولا تنفع ولا تضر. ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [يونس] يقول: تنزيهًا للّه وعلوًّا عما يفعله هؤلاء المشركون من إشراكهم في عبادة ما لا يضر ولا ينفع وافترائهم عليه الكذب»[(١)].

فعلمنا أن من اعتقد الشفاعة في مخلوق وطلبها من المخلوق، سواء اعتقد أنها بغير إذن اللّه أو بإذن اللّه، فإنه حينئذ أشرك في العبادة، وهي الطلب والسؤال الذي توجه به إلى الميت أو الغائب، فإن اعتقد أن الشافع متصفٌ بصفات الربوبية، فهذا كفر فوق كفره الأول.

ومن الرد على الكاتب: أن هذا خلاف شرع اللّه تعالى؛ فإن اللّه تعالى لم يشرع دعاء غيره، من الموتى والغائبين. ولو أذن اللّه بذلك لأمر به وشرعه لعباده وحثهم عليه. لكن ليس في الكتاب والسنة أمر بطلب الشفاعة من الأموات والتوجه إليهم وسؤالهم، بل إنّ هذا من الشرك الأكبر الذي حرمه اللّه.

وأعظم الناس قيامًا بالدين هم الصحابة والتابعون لهم بإحسان، ولم يعرف عنهم اللجوء إلى الموتى والغائبين وسؤالهم الشفاعة، ولم يعرف مثل هذا إلا من عباد القبور والمشركين من كفرة الهند والصابئة والمجوس، ومن شابههم من هذه الأمة ممن يتخذ المشايخ معبودين من دون اللّه.

(١) جامع البيان ١٤٢/١٢.

وأما قول الكاتب في ص ١٢٥ عن الآية الكريمة: [**التي يحفظونها أطفالهم في تكفير أهل الشهادتين**] فهذا من بَغْيه على المسلمين.

وحفظ أطفال المسلمين للقرآن من أعظم النعم وأجلها، وهو سبب الهداية والرشاد، وهو حبل اللّه المتين وصراطه المستقيم، والقرآن لا يكون نقمة!

بل القرآن جاء بالتوحيد الخالص للّه رب العالمين، ولذلك يضيق أهل الأهواء ذرعًا بالآيات التي فيها التصريح بالتوحيد وإبطال الشرك، حتى قال بعض القبوريين لما سمع خطبة الحاجة وقول اللّه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران] فقال الخرافي: اسكت يا عدو اللّه عرفتك وهابيًا. فقال له الشيخ: وكيف عرفت وأنا ما بدأت بالكلام؟!

فقال الخرافي: عرفتك يا عدو اللّه من الآية الوهابية التي قرأتها!!

وهذا بيّنه اللّه تعالى بقوله: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ٤٥﴾ [الزمر].

ويجب على الكاتب وعلى كل من دان بالإسلام أن يبغض ما عليه الخرافيون وعباد الأضرحة والقبور، الذين يحرفون الكلم عن مواضعه نصرة لشركهم وبدعهم وضلالاتهم، والذين يحفظون أطفالهم متون أهل الكلام المذموم ويحفظون أطفالهم الأوراد الصوفية المخترعة.

فأي الفريقين خير!!

وكذلك النقمة من طريقة الخوارج الذين يكفرون المسلمين بالذنوب.

وأهل السنة حين يعلمون أولادهم بطلان الشرك، ويحذرونهم من أسباب الوقوع فيه، ويحذرونهم من أهل الشرك، فهذا ـ والحمد للّه ـ مِنْ أَجَلِّ النِّعَم وأعظم الخيرات والبركات؛ أَنْ يُعَلّمَ الطفلُ حكمَ الشرك، ويُحَذّرَ منه، وهذا مقتضى شهادة أن لا إلٰه إلا اللّه.

وأما ادعاؤه أنهم يحفظون أطفالهم هذه الآية لتكفير أهل الشهادتين، فهذا غير صحيح. ولو قال قائل عن المسلمين إنهم يحفظون أطفالهم سورة البيّنة ليكفروا أهل الكتاب والمشركين، وهلمّ جرّا. فهل يليق بمسلم أن يقول مثل هذه الأباطيل والترهات.

➢ موقف الكاتب من الكتب التي تقرر التوحيد وتحذر من الشرك:

ولقد تأمَّلتُ مرة أخرى في قوله: **[والتي يحفظونها أطفالهم في تكفير أهل الشهادتين]**.

وتذكرت المتون العلمية التي يوصي أهل العلم بدراستها وتعلمها؛ فإذا من أهمها رسالة القواعد الأربع للشيخ العلامة المجدد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ وجزاه عنا وعن المسلمين خير الجزاء.

وهذه الرسالة المختصرة الموجزة عظيمة النفع والفائدة في كشف حقيقة الشرك، ومعرفة أربع قواعد ذكرها اللّه في كتابه، فذكر **القاعدة الأولى** وهي أن إقرار المشركين بالربوبية لا يكفي في الإسلام ولا بد من توحيد الألوهية ـ، وهذا ما يخالف مقصود الكاتب، وبعدها القاعدة الثانية، وهذا نصها:

«**القاعدة الثانية أنهم يقولون: ما دعوناهم وتوجهنا إليهم إلا لطلب القربة والشفاعة.**

فدليل القربة قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ٣﴾ [الزمر].

ودليل الشفاعة قوله تعالى: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا﴾ [يونس: ١٨].

والشفاعة شفاعتان: ١ ـ شفاعة منفية. ٢ ـ وشفاعة مثبتة.

فالشفاعة المنفية: ما كانت تطلب من غير اللّه فيما لا يقدر عليه إلا اللّه. والدليل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٥٤﴾ [البقرة].

والشفاعة المثبتة: هي التي تطلب من اللّه، والشافع مكرم بالشفاعة، والمشفوع له من رضي الله قوله وعمله بعد الإذن، كما قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]»[1].

فضاق ذرعاً بهذه الرسالة. والوصية للطلاب وعموم المسلمين بمثل هذه الرسالة، وكذلك الأصول الثلاثة وأدلتها، وكذلك كتاب التوحيد الذي هو حق اللّه على العبيد، والعقيدة الواسطية، مع شروح مأمونة لأهل العلم الراسخين؛ هي وصية كبار العلماء الناصحين، ومنهم: الشيخ ابن باز، والشيخ محمد بن عثيمين، والشيخ صالح الفوزان وغيرهم، وهؤلاء من أجل علماء أهل السنة المعاصرين.

---

(١) القواعد الأربع ص ٣، ٤.

أما التحذير من هذه الكتب السلفية فلا يعرف إلا عن أهل البدع، والكاتب ادّعى عليهم أنهم يحفظونها لتكفير المسلمين بغير حجة، ومن المعلوم أن عداوة أهل الحق وأهل السنة والتوحيد عداوة لأولياء اللّه، وفي الحديث: «**من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب..**»[(١)].

والمُوَفَّق مَنْ وفّقه الله.

قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ في شرحه لهذه القواعد الأربع: «وهي قواعد مهمة من عقلها وفهمها جيدًا، فهم دين المشركين وفهم دين المسلمين، وأغلب الخلق لا يفهمون هذه القواعد؛ ولهذا التبست عليهم الأمور وعبدوا القبور وأصحاب القبور والأولياء والأشجار والأحجار من دون اللّه، ويحسبون أنهم على شيء لجهلهم بحقيقة التوحيد وحقيقة الشرك»[(٢)].

وقارن بين قول الكاتب هذا (يحفظونها أطفالهم) وبين قوله في تويتر والفيسبوك عن أحد كتب الخرافة والدجل الصوفي لمؤلفه عبد الوهاب الشعراني، يقول عنه ـ وقد سبق لنا نقل كلامه كاملًا في أول الكتاب موثقًا بالصور ورابط المصادر من مواقع التواصل ـ: (كتاب نفيس يحتاجه كل مسلم: وهو يعالج داء استشرى بين المسلمين، وهو سوء الظن بالناس، ونسيان واجب إحسان الظن بهم، وهو كتاب كبير، يقع في مجلدين كبيرين وأكثر من ١٥٠٠ صفحة)[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٣٧).

(٢) موقع الشيخ ابن باز على شبكة الانترنت.

(٣) نشر هذا الكلام في تاريخ: ٢٦ فبراير ٢٠٢٣. وانظر ما تقدم ص٤٣-٤٤.

وفيما يلي نقول عن هذا الكتاب المليء بالضلالات:

➢ بيان موقف غلاة الصوفية من التسلط بالسحر على ولاة الأمور وإيذائهم:

قال عبد الوهاب الشعراني: «ومما أجبتُ به عن الشيخ الذي ينفخ بطون الولاة، أو يحبس بولهم بالحال أو الهمة أو باستخدام، ولاث العلماء به وقالوا: هذا شيء لم يفعله رسول اللّه ﷺ ولا أحد من أصحابه والتابعين، وما لم يفعله رسول اللّه ﷺ ولا كُمَّل أتباعه، ففعله مذموم، مع قاعدة تحريم أذى الناس إلا بطريق شرعي والنفخ وحبس البول ما هو طريق شرعي.

والجواب: أنه قد يكون هذا الشيخ ممن أعطاه اللّه تعالى التصريف في الولاة بالتأديب والعزل[(١)]، فيكون في ذلك عبدًا أذن له سيده في تأديب عبد آخر أساء الأدب على رعيته وظلمهم. وكان على هذا القدم سيدي إبراهيم الجعبري، والشيخ شمس الدين الحنفي الشاذلي، وسيدي إبراهيم المتبولي، والشيخ محمد الشربيني، وليس هو لكل ولي إنما هو لأفراد منهم.

وعلامة كونه مأذونا له في ذلك أن يحمي نفسه بالحال من الولاة[(٢)]، فيتصرف فيهم ولا يقدر أحد منهم أن يتصرف فيه، إذ الحكّام عند الأولياء كالأطفال تحت حجر وليهم، مع أن من أرباب الأحوال من يقتل الظالم أصلًا فضلًا عن تأديبه بالنفخ ونحوه ثم يطلقه، ولكن ذلك حرام عند أهل الطريق، فاعلم ذلك، والحمد للّه رب العالمين»[(٣)].

---

(١) آمنا باللّه وكفرنا بالجبت والطاغوت، سبق أن هذا عند الكاتب من خصائص الربوبية ومع ذلك يحيل إلى الكتاب ويثني عليه!!.

(٢) المنهج المطهر للجسم والفؤاد ص٥٦٢.

(٣) من أين له أنه يأذن اللّه له بالسحر والله حرمه وبين: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾=

فانظر كيف يدافع الشعراني الضال عن هذا الساحر الذي يؤذي ولاة الأمور بالسحر فيتسبب بمرضهم بالانتفاخ أو حبس البول فيدافع عنه الشعراني ويزعم أنه مأذون له بالتصرف وتأديب ولاة الأمور وعزلهم!!

﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [يونس].

هذا الذي ينصح به الكاتب، ويقول ما أحوج طلبة العلم وكل مسلم لهذا الكتاب!!

فأي الفريقين أولى بالحق يا أيها الكاتب!

ويقول الشعراني: «ومما أجبتُ به عن الشيخ الذي يقول لمريده: إذا عرض لك الشيطان، فاصرخ عليه باسمي، فإنه يهرب عنك؛ فلاث الناس بهذا الشيخ وقالوا: هذا ما بلغنا عن أحد من الأنبياء أنه قاله لأحد من أصحابه، فكيف بمن ولايته غير محققة؟! وقد قال تعالى لمحمد ﷺ: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾ [النحل] فلم يأمره بالاستعاذة منه بغير اللّه لعجز ذلك الغير عن دفعه ونحو ذلك من الاعتراض.

والجواب: أن الشيخ لا يجهل ما اعترض به عليه، ولكنه لما

= [طه]. وهذا من تلاعب الشيطان بهم وتلاعبهم بعقول أتباعهم وأذكّر القارئ بأن الكاتب قال في ص١٣١: «وأما الخطأ في نسبة إذن الله لعبد من عبيده بفعل شيء لا يقدر عليه إلا الله، والصحيح أن الله تعالى لم يأذن له بذلك، أو لا يُعلم أن الله تعالى قد أذن له بذلك فهو خطأ ولا شك، وهو خطأ قد يؤدي إلى شنائع من البدع،لكنه ليس شركاً»، فتأمل كيف يروّج لافتراءاتهم على الله بقوله: « أولا يُعلم أن الله تعالى قد أذن له بذلك».

علم عجز مريده عن دفع إبليس عنه بالاستعاذة باللّه تعالى لجهل ذلك المريد باللّه ﷻ، قال له: **اصرخ عليه باسمي لأسمعك، فأستعيذ باللّه لك نيابة عنك.**

وإيضاح ذلك أن المريد ربما كان يعتقد في اللّه تعالى صفات التشبيه، وأنه تعالى في جهة العلو[(١)] مثلًا دون السفل، وذلك ليس هو اللّه الذي أمر العبد بالاستعاذة به من الشيطان، بل هو من تخيلات النفس الجاهلة باللّه، ومثل ذلك لا يدفع الشيطان، فافهم وإياك والمبادرة إلى الإنكار على الأشياخ بغير علم، والحمد للّه رب العالمين»[(٢)].

فصار شيخه أقدر على الإجابة من اللّه تعالى لأن المريد جاهل باللّه!

أما الشيخ فالمريد لا يجهله!!

فاعجب لهذا الضلال المبين!

وإذا صرخ المريد باسم شيخه واستغاث به فسيقوم الشيخ بالاستعاذة باللّه نيابة عن المريد فصار المستعيذ باللّه هو الشيخ، وأما المريد فيستعيذ بالشيخ ولا يستعيذ باللّه!!

قال القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كل مقالة صرحت بنفي الربوبية أو الوحدانية أو عبادة أحد غير اللّه أو مع اللّه فهي كفر... والذين

---

(١) هذا يبين أن الشعراني من منكري علو الله على خلقه ويصفون من يثبت العلو بأنه (مُشَبِّه)!، وقوله: إن الذي في العلو ليس هو الله يذكر بقول حماد بن زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما يجادلون إلا أنه ليس في السماء إله» خلق أفعال العباد رقم (١٠).

(٢) المنهج المطهر للجسم والفؤاد ص٥٥٦.

أشركوا بعبادة الأوثان أو الملائكة أو الشياطين أو الشمس أو النجوم أو النار أو أحد غير اللّه»[(١)].

وهذا يذكر بما مر سابقًا من النقل عن بعض المشركين من المنتسبين لهذه الأمة ممن أورد ابن تيمية حكايات عنهم فقال:

«وقول بعض الشيوخ لمريده: إذا كانت لك حاجة إلى اللّه، فاستغث بي أو قال: استغث عند قبري ونحو ذلك، فإن هذا وقع فيه كثير من المتأخرين وأتباعهم»[(٢)].

وقال أيضًا: «وهؤلاء الذين اتخذوا القبور أوثانًا تجدهم يستهزئون بما هو من توحيد اللّه وعبادته، ويعظمون ما اتخذوه من دون اللّه شفعاء حتى إن طوائف منهم يستخِّفون بحج البيت وبمن يحج البيت، ويرون أن زيارة أئمتهم وشيوخهم أفضل من حج البيت، وهذا موجود في الشيعة وفي المنتسبين إلى السنة، وآخرون يستخفّون بالمساجد وبالصلوات الخمس فيها، ويرون أن دعاء شيخهم أفضل من هذا، وهذا موجود في الشيعة المنتسبين إلى يونس القيسني[(٣)] حتى ينشدون:

تعالوا نُخِّرب الجامع ونجعل فيه خماره
ونكسر المنبر ونجعل منه طنباره
ونخرق المصحف ونجعل منه زماره
وننتف لحية القاضي ونجعل منه أوتاره

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٢/٢٨٢.
(٢) الاستغاثة في الرد على البكري ص ٢٢٣.
(٣) قال عنهم ابن تيمية: «ولما جاء قازان... فظهر أن اليونسية كانوا قد ارتدوا وصاروا كفارًا مع الكفار، وحضر عندي بعض شيوخهم واعترف بالردة عن الإسلام، وحدثني بفصول كثيرة»: مجموع الفتاوى ١٣/٢١٧.

ويحلف أحدهم اليمين الغموس كاذبًا؛ ولا يجترئ أن يحلف بشيخه اليمين الغموس كاذبًا، ومنهم من يقول: كل رزق لا يرزقه إياه شيخه لا يريده، ومنهم من يذبح الشاة ويقول: باسم سيدي، ومنهم من يقول: إن شيخه أفضل من الأنبياء والمرسلين، ومنهم من يعتقد فيه الإلهية كما يعتقده النصارى في المسيح، فإذا ذكروا شيخهم عظموه وادعوا فيه الإلهية، وأنشدوا على لسانه:

موسى على الطور لما خرَّ لي ناجا وصاحب الترب ماجيتُه حتى جا

ولهم أيضًا:

وأنا صرخت في العرش حتى ضج وأنا حملت على علي حتى هج
وأنا البحار السبعة من هيبتي ترتج

ويقولون: نحن غلمان الملك، ويسمون المسجد اصطبل البطالين، ويقرأون القرآن: (وما أرسلناك إلا رحمة للمدمنين)، وألوان من هذا الجنس الذي فيه استهزاء باللّه وآياته ورسوله، مع تعظيمهم شيخهم وغلوهم فيه... يرى أحدهم أن استغاثته بالشيخ الميت إما عند قبره وإما عند قبر غيره أنفع له من أن يدعو اللّه تعالى في المسجد عند السَّحَر، ويستهزؤون بمن يعدل عن طريقته إلى التوحيد، ومن هؤلاء من يرى أن زيارة قبر النبي ﷺ أفضل من الحج إلى الكعبة، وأن دعاء النبي ﷺ والاستغاثة به أفضل من الاستغاثة باللّه تعالى ودعائه.

وكثير من هؤلاء يخربون المساجد ويعمرون المشاهد، فتجد المسجد الذي بُني للصلوات الخمس معطلًا مخربًا ليس له كسوة إلا من الناس؛ وكأنه خان من الخانات، والمشهد الذي بني على الميت عليه الستور؛ وزينة الذهب والفضة والرخام، والنذور تغدو وتروح إليه، فهل هذا إلا من استخفافهم باللّه تعالى وآياته ورسوله وتعظيمهم للشرك!!

فإنهم اعتقدوا أن دعاء الميت الذي بني له المشهد والاستغاثة به أنفع لهم من دعاء اللّه تعالى والاستغاثة به في البيت الذي بُني للّه ﷻ، ففضلوا البيت الذي بُني لدعاء المخلوق على البيت الذي بُني لدعاء الخالق، وإذا كان لهذا وَقْف، ولهذا وَقْف، كان وَقْفُ الشرك أعظمَ عندهم مضاهاةً لمشركي العرب الذين ذكر اللّه تعالى حالهم في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبٗا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعۡمِهِمۡ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَاۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمۡ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمۡۗ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ١٣٦﴾ [الأنعام]. . .

وهؤلاء إذا قصد أحدهم القبر الذي يعظمه يبكي عنده ويخضع ويتضرع ويدعو، ويحصل له من الرقة والتواضع والعبودية وحضور القلب، ما لا يحصل له مثله في الصلوات الخمس والجمعة وقيام الليل وقراءة القرآن، فهل هذا الأمر إلا حال المشركين المبتدعين لا الموحدين المخلصين المتبعين لكتاب اللّه تعالى ورسوله!! ومثل هذا أنه إذا سمع أحدهم سماع الأبيات يحصل له من الخضوع والخشوع والبكاء ما لا يحصل له مثله عند سماع آيات اللّه تعالى، فيخشع عند سماع المبتدعين المشركين، ولا يخشع عند سماع المخلصين المتقين، بل إذا سمعوا آيات اللّه اشتغلوا عنها وكرهوها واستهزؤوا بها وبمن يقرؤها، مما يحصل لهم به أعظم نصيب من قوله: ﴿أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ٦٥﴾ [التوبة].

وإذا سمعوا القرآن سمعوه بقلوب لاهية وألسنةٍ لاغية كأنهم صم وعمي، وإذا سمعوا الأبيات حضرت قلوبهم وسكتت ألسنتهم وسكنت حركاتهم حتى لا يشرب العطشان منهم ماء.

ومن هؤلاء من إذا كانوا في سماعهم فأذَّن المؤذن قالوا: نحن

في شيء أفضل مما دعانا إليه، ومنهم من يقول: هذا في شغله وهذا في شغله، ومنهم من يقول: كنا في الحضرة فإذا قمنا إلى الصلاة صرنا على الباب.

وقد سألني بعضهم عمن قال ذلك من هؤلاء الشيوخ الضلال؟ فقلت: صدق كان في حضرة الشيطان فصار على باب اللّه تعالى، فإن البدع والضلالة فيها من حضور الشيطان ما قد حصل في غير هذا الموضع، والذين يجعلون دعاء الموتى من الأنبياء والأئمة والشيوخ أفضل من دعائهم اللّه أنواع متعددة: منهم من يقدم دعاءهم، ومنهم من يحكي أنواعًا من الحكايات: حكاية أن بعض المريدين استغاث باللّه تعالى فلم يغثه فاستغاث بشيخه فأغاثه، وحكاية أن بعضَ المأسورين في بلاد العدو دعا اللّهَ تعالى فلم يخرجه، فدعا بعض المشايخ الموتى فجاءه فأخرجه إلى بلاد الإسلام، وحكاية أن بعضَ الشيوخ قال لمريده: إذا كانت لك حاجة فتعال إلى قبري، وآخر قال: فتوسل بي، وآخر قال: قبر فلان الترياق المجرب، فهؤلاء وأشباههم يُرَجِّحون هذه الأدعية الشركية على أدعية المخلصين للّه مضاهاة لسائر المشركين، وهؤلاء تتمثل لكثير منهم صورة شيخه الذي يدعوه فيظنه إياه أو مَلَكًا على صورته، وإنما هو شيطان أغواه كما قد بسط في موضعه[١].

(١) من الكتب التي نشرت هذه الكفريات: كتاب: مصباح الظلام في المستغيثين بالنبي ﷺ في اليقظة والمنام، لابن النعمان المالكي، فهو مليء بمثل هذه القصص، وكتاب: شواهد الحق للنبهاني ص ٢٤٢، وكتاب: إتحاف الأذكياء بجواز التوسل بالأنبياء والأولياء، لعبدالله بن محمد الحسيني ص ٤٠، وما بعدها الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ وغيرها. وكذلك الكتاب الذي روّج له الكاتب وهو (المنهج المطهر للجسم والفؤاد) لعبدالوهاب الشعراني.

ومنهم من إذا نزلت به شدة لا يدعو إلا شيخه، ولا يذكر إلا اسمه قد لهج به كما يلهج الصبي بذكر أمّه، فيتعسر أحدهم فيقول: يا فلان، وقد قال اللّه تعالى للموحدين: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة: ٢٠٠].

ومن هؤلاء من يحلف باللّه ويكذب؛ ويحلف بشيخه وإمامه فيصدق ولا يكذب، فيكون شيخه عنده أعظم في صدره من اللّه تعالى، وقال شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ﴾ [هود: ٩٢]، وقد قال تعالى: ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ﴾ [الحشر: ١٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨]، وقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ الآية [البقرة: ١٦٥].

فإذا كان دعاء الموتى مثل الأنبياء والصالحين عندهم يتضمن مثل هذا الاستهزاء باللّه وآياته ورسوله، فأي الفريقين أحق بالاستهزاء، باللّه وآياته ورسوله»[(١)].

وأيضًا أضاف الشعراني لذلك طامة أخرى! وهي: أن المريد ربما يعتقد التشبيه في صفات اللّه!!

قال: لأنه يعتقد أن اللّه في العلو، ويصرح الشعراني بأن الذي في العلو ليس اللّه تعالى؟

وهاك سرد لنقول عن هذا الكتاب الخبيث، وتأمل كيف يعتذر الشعراني عن بعض هؤلاء الزنادقة بأعذار قبيحة تصل في بعضها للطعن في رسول اللّه ﷺ دون أن يشعر:

(١) الاستغاثة في الرد على البكري ص ٣٤٧ ـ ٣٥٢.

قال الشعراني في كتابه «المنهج المطهر للجسم والفؤاد»: «اسم المخاطب لا ينبغي ذكره إلا في الغيبة عن مشاهدته، والصلاة كلها مشاهدة، فلا يحسن أن يُذكر فيها اسم اللّه إلا إن صرح الشارع بالأمر بذلك، فمن شاهد الحق تعالى بقلبه، كفاه مناجاته له من غير ذكر اسمه[(١)] فلكل واحد من المجتهدين مشهد. وقد ورد في بعض الكتب الإلهية: «يا عبدي، إذا لم ترني فالزم اسمي، فأنا ثمّ». انتهى، فأمر اللّه تعالى العبد إذا لم ير ربه أن يلزم ذكر اسمه، ومن هنا لغز بعض العارفين هذه المسألة في شعره:

بذكر اللّه تزداد الذنوب ... وتنطمس البصائر والقلوب[(٢)]

وأشار إلى ذلك الشبلي أيضًا بقوله لمن قال له: متى تستريح؟ فقال: إذا لم أر للّه تعالى ذاكرًا! فإن معنى ذلك أني لا أستريح إلا في حضرة الشهود، فإن الذكر تارة يتركه الفقير لما يجده من الشهود، وتارة يتركه لما يجده من الحجاب»[(٣)].

ويقول أيضًا ناقلًا صفات القطب: «قد حُبِّب لي أن أذكر لك يا أخي صفة القطب التي ذكرها من اجتمع به من الأولياء الصادقين، كالشيخ محيي الدين بن العربي والشيخ أبي الحسن الشاذلي وغيرهما، فأقول وباللّه التوفيق:

---

(١) الصلاة اشتملت على أقوال وأفعال، وكل ما فيها من الأقوال هي ذكر للّه تعالى، مثل (اللّه أكبر)، والاستعاذة، والبسملة، وقراءة الفاتحة، والتسبيحات في الركوع والسجود، والتشهد، وهذا يزعم أنه إذا ناجيت اللّه فلا تذكر اسمه، وإذا ذكرت اسمه فهذا من الذنوب!!

(٢) وهذا من المحادّة لله تعالى، ومقابلة كلامه سبحانه بالمعارضة الكفرية، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ۝٢٨﴾ [الرعد].

(٣) ص٣٧٧.

قال الشيخ محيي الدين في الباب السبعين ومئتين من «الفتوحات»: اعلم أن اسم القطب في كل زمان «**عبد اللّه**» و«**عبد الجامع**» المنعوت بجميع الأسماء الإلهية تخلقًا وهو مرآة الحق تعالى، ومجلى النعوت المقدسة، ومحل المظاهر الإلهية[(١)] وصاحب الوقت، وعين الزمان، وصاحب علم سر القدر بحكم الإرث لرسول اللّه ﷺ، وله علم دهر الدهور[(٢)]، والغالب عليه الخفاء، محفوظ في خزائن الغيرة، ملتحف بأردية الصون، لا يعتريه قط شبهة في دينه، ولا يخطر له خاطر يناقض مقام، كثير للنكاح راغب فيه، محب للنساء يوفي الطبيعة حقها على الحد المشروع، ويوفي الروحانية حقها على الحد الإلهي، يضع الموازين، ويتصرف على المقدار المعين المؤقت له... وأمر اللّه تعالى جميع العالم بمبايعته على السمع والطاعة في المنشط والمكره[(٣)]، فيدخل في بيعته كل مأمور من أدنى وأعلى إلا الملائكة العالون المهيمون في جلال اللّه تعالى، فإن هؤلاء عابدون اللّه بالذات لا بالأمر، فأول من يدخل عليه للمبايعة الملأ الأعلى على اختلاف مراتبهم الأول فالأول، فيأخذون بيده على السمع والطاعة ولا يتقيدون بمنشط ولا مكره، لأنهم لا يعرفون هاتين الصفتين فيهم، ومعلوم أن الشيء لا يُعرف إلا بضده، فهم دائمًا في منشط لا يعرفون له طعمًا، لعدم ذوقهم للمكره»[(٤)].

وقال: «قلت: فما أول مبايع له؟ فالجواب: قال الشيخ محيي

---

(١) هذه دعوى وحدة الوجود وهي عقيدة كفرية، يعتقد غلاة الصوفية أن الخالق والمخلوق شيء واحد.

(٢) هذا ادعاء علم الغيب لغير اللّه.

(٣) هذه البيعة الصوفية المبتدعة تجعلهم يسمعون ويطيعون طواغيتهم وقد انتقلتْ عدواها لبعض الجماعات الإسلامية المعاصرة.

(٤) ص٣٩٠ ـ ٣٩١

الدين: أول مبايع له العقل الأول، ثم النفس، ثم المقدَّمون من عمار الأرض والسماوات من الملائكة المسخرة، ثم الأرواح المدبرة للهياكل التي فارقت أجسادها بالموت[(١)]، ثم الجن، ثم المولدات، ثم سائرًا لما سبح اللّه تعالى من مكان ومتمكن ومحل وحال فيه إلا العالون من الملائكة كما مر، وكذلك الأفراد الذين لا يدخلون تحت دائرة القطب وما له فيهم تصرف، فإنهم لا يدخلون لأنهم كُمَّل مثله مؤهلون لما ناله هذا الشخص من القطبية، لكن لما كان الأمر يقتضي أن لا يكون في الزمان إلا قطب واحد يقوم بهذا الأمر، تعين ذلك الواحد، ولكن لا بأولوية، وإنما يسبق العلم فيه بأن يكون هو القطب، وفي الأفراد من يكون أكبر منه مقامًا في باب العلم باللّه تعالى...»[(٢)].

➢ من أعظم الكفر عند الصوفية اعتقاد القطب في شيوخهم وأنه هو الذي يمد جميع العوالم العلوية والسفلية:

ثم تابع الشعراني ضلالاته فقال: «فإن قلت: فهل القطب محل نظر اللّه تعالى من العالم كما قيل؟ فالجواب نعم، ومنه يتفرع جميع الأمداد الإلهية على جميع العالم العلوي والسفلي، قال الشيخ محي الدين: وأركان الدين الحنيفي أربعة: الأنبياء، والمرسلون، والأولياء، والمؤمنون[(٣)]،

---

(١) يصرِّح بأنها تدبر الهياكل، وهذا من دعوى التصرف في الكون لغير اللّه وهو من الشرك في الربوبية الذي لم يقل به كفار قريش، وفي الجملة السابقة اعتقاد كفرة الفلاسفة بالعقل الأول وأن المخلوقات نتجت عنه، انظر بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية أهل الإلحاد لابن تيمية ص١٨٠ وما بعدها، ص٢٤١، والاستغاثة في الرد على البكري ص٣٠١ ـ ٣٠٢.

(٢) ص٣٩٣.

(٣) هذا من الكذب على الشريعة فالمؤمن هو ولي اللّه وهو المؤمن التقي كما قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢﴾ [يونس].

والركن الأعظم هو الرسالة، فهي كالحجر الأسود من أركان الكعبة، وقد أبقى اللّه تعالى من الرسل ثلاثة: إدريس، وإلياس، وعيسى[(١)]، والرابع الخضر[(٢)]، لكنهم من باطنية محمد، فالواحد من هؤلاء الأربعة هو القطب المقصود، والثلاثة الباقية كبقية أركان البيت، فالاثنان منهم هما الإمامان، والأربعة هم الأوتاد، فبالواحد من هؤلاء الأربعة يحفظ اللّه الإيمان، وبالثاني يحفظ اللّه تعالى الولاية، وبالثالث يحفظ اللّه النبوة، وبالرابع يحفظ اللّه الرسالة، وبالمجموع يحفظ اللّه الدين الحنيفي[(٣)]، فحقيقة مقام القطبية إنما هو لواحد من هؤلاء الأربعة، والقطب الظاهر دائما نائب عنه، فاعلم ذلك، وإياك والمبادرة إلى وصف أحد بالقطبية بالجهل»[(٤)].

➢ دفاعه عن السحرة:

ومن ترويجه للسحر ما قاله الشعراني: «ومما أجبت به عن أرباب الأحوال الذين يخالفون ظاهر الشريعة، وإذا أنكر أحد من العلماء عَطَبوه أو سَلَبوه من علمه، كيف صح لهم القدرة على عَطْب من أنكر عليهم أو سَلْبه مع أنه مخالف للشريعة؟ ومخالفها لا كرامة له، ولا يقدر عادة على التأثير في غيره لأنه لا يؤثر في

(١) هذا الافتراء يريدون به التوصل إلى أن الأولياء حاضرون يتصرفون في الكون لأنه باعتقاد بعض الرسل أحياء يتوصل غلاة الصوفية إلى القول بحياة الأولياء وتصرفهم في الكون وهنا هو الشرك الأكبر في الربوبية.

(٢) الخضر رجل صالح وليس نبياً كما يدل عليه القرآن الكريم وصريح السنة النبوية وفي الحديث الصحيح قال عليه الصلاة والسلام: «**أنا أولى الناس بابن مريم، والأنبياء أولاد علّات وليس بيني وبينه نبي**» أخرجه البخاري رقم ٣٤٤٢، ومسلم رقم ٢٣٦٥.

(٣) كل هذا من الكذب والقول على الله بغير علم.

(٤) ص٣٩٣، وكيف يليق بمسلم أن يمدح هذا الكتاب ويحث على قراءته؟.

غيره إلا بإمداد اللّه تعالى بالقوة، واللّه لا يمد المبطل على وجه الكرامة له.

والجواب: أن أرباب الأحوال نوع من المجاذيب، والمجاذيب لا تكليف عليهم، ومن لا تكليف عليه فلا يسوغ لنا الإنكار عليه، فربما حارب الحقُّ تعالى من أنكر عليه من حيث إن عقله مخبوء في حضرته تعالى، فلا يسلمه تعالى لمن يؤذيه. وسمعت سيدي عليًا الخواص يقول: لو أن الفقيه أنكر على من خالف الشريعة خالصًا مخلصًا، لم يقدر أحد على سلبه لاستناده إلى الشارع، ولكنه أنكر مخلوطًا بحظ نفسه، فلذلك عطبه الفقراء وسلبوه. فأخلص يا أخي في إنكارك وأنا أضمن لك أن أحدًا لا يقدر على أن يعطبك أبدًا»[(١)].

وقال مدافعًا عن اللصوص المستغيثين بغير اللّه: «وربما كان ذلك اللص الذي أخذ ذلك الستر ما أخذه حتى شاور الشيخ بقلبه، وقال له: دستور يا سيدي آخذ هذا الستر، لأجعله غطاء على أولادي في الشتاء، كما وقع لسيدي أحمد الزاهد، فسمع شخص قائلًا يقول في الليل وهو خارج القبة: دستور يا أحمد آخذ هذا الستر، فقال له الشيخ من ضريحه: خذه وأرحني منها انتهى. وكذا أخبرني به بواب جامعه بخط المقسم. فإياك يا أخي ثم إياك أن تقع في حق أولياء اللّه إذا سرق أحد متاعهم ولم يؤذوا الذي سرقه. وإياكم إذا عرفتم ما

(١) ص٤٠٩، قال ابن تيمية: «وهذا قد يوجد في كلام أبي حامد وكثير من متأخري المتصوفة والمتكلمين، أدخلوه في دين الحنفاء من دين المشركين، حتى صنّف بعضهم تصنيفاً في ذلك، مثل مصنف الرازي (السر المكتوم في السحر ومخاطبة النجوم) وآخرون صنفوا في الحروف وطبائعها، والدعاء بأسماء ذكروها في أوقات». الاستغاثة في الرد على البكري ص٣٠٢.

قررناه أن تحكموا على الولي الذي قيد السارق بالنقص، وتقولوا: لو كان كاملًا لسامح السارق؛ فإن ذلك قد لا يكون بواسطته، بل بغير خاطره، وإنما القدرة غارت على السارق في إخلاله بحرمة أولياء اللّه تعالى عادة»[(١)].

➢ من الشرك عند الصوفية أن يكون للمريد شيخان:

وقال: «وقد أجمعوا على أنه لا يجوز لشيخ أن يُقِرَّ مريدَه على أن يُشْرك معه في المحبة والانقياد شيخًا آخر، ومتى سامحه في ذلك فهو من الغاشين لرعيتهم، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء] والأولياء على الأخلاق الإلهية، فكما أن اللّه تعالى لا يغفر أن يُشرك به، فكذلك الأشياخ لا يسامحون مريديهم بذلك، وقالوا: كما أنه لا يكون للعالم إلهان، ولا للمرأة زوجان كذلك لا يكون للمريد شيخان»[(٢)].

هذا هو الشرك عندهم، وحقيقته تنازع هؤلاء على الدنيا والسمعة والطلبة! وليس صرف العبادة لغير اللّه!!

➢ الشعراني يقرر أنه لا يجوز الإنكار على العراة:

وقال: «ولعل جميع العراة الآن من المجاذيب. أصل تجردهم من الثياب عجزهم عن حمل ثيابهم، فإياك والمبادرة إلى الإنكار ثم إياك، واحمل كل من رأيته عريانا على أن باطنه متجرد من محبة الدنيا كذلك، ليشاكل بعضه في اعتقادك بعضًا، وتسلم من تبعته، وكذلك ينبغي أن تحمل كل من رأيته يصلي جالسًا من الفقراء على أنه

---

(١) ص٤٢٥.

(٢) ص٤٤٩.

إنما صلّى جالسًا، لعجزه عن القيام، ولو لم تعرف له مرضًا متقدمًا»[١].

وليّ يتصرف بالكون وهو في قبره!! ويربي أولاده وهو في قبره:

قال: «وسمعت سيدي محمد الشناوي يقول: ممن ثبت عندنا أنه يربي المريدين في قبره أحمد البدوي، وسيدي إبراهيم الدسوقي، فإن اللّه تعالى قد أعطاهما التصريف وتأديب أولادهما وهما في القبر[٢].

➢ تأمل إلى أي حد بلغت الخسة والوقاحة عند الشعراني:

حيث يقول: «ومما أجبت به عن الشيخ الذي أمر تلامذته بحلق لحاهم أو بلبسهم الطراطير أو غير ذلك مما لم تأمر به الشريعة أو مما نهت عنه، بأنه ربما كان ذلك من باب ارتكاب أخف المفسدتين، كما تقدم في الجواب عن الإمام الغزالي في كسح النجاسة بلحيته، فأراد الشيخ بأمر مريده بحلق لحيته ولبسه الطرطور مثلًا كسر قفص طبع مريده وإزالة رعونات نفسه من الكبر والنفاق المانعين من وصول الخير إلى باطنه، إذ النفس المتكبرة ممنوعة من المواهب مادامت تطلب المقام عند الخلق، فإذا مزقت مقامها عندهم وراعت ربها فقط، فهناك يُرجَى لها الخير»[٣].

وقال قبل ذلك في: «فلو لم يكنس العذرة بلحيته لدام كِبْرُه»[٤].

(١) ص٤٥٣.

(٢) ص٤٥٥.

(٣) ليس التواضع وكسر النفس بارتكاب ما حرم اللّه إلا عند هؤلاء المفسدين في الأرض المبدلين للدين، وهؤلاء يشوِّهون صورة الإسلام النقية ويصدون عن سبيل الله.

(٤) ص٤٣٩.

وقال: «وقد مر شخص من أصحابنا على الشيخ محيسن المجذوب، فقام الشيخ محيسن وضرب الرجل وكسر ذراعه، فشكا لسيدي علي الخواص، فأعلم بذلك أصحاب النوبة[(١)]، فأدبوا الشيخ محيسن على ذلك بأن رمح أحدهم فرسه على رجله، فقطعت مشط رجله، فلم تزل ممدودة إلى أن مات؛ لأن جرح أصحاب النوبة لا يختم إلا بموت صاحبه قهرًا بذلك»[(٢)].

وقال: «وكان بعضهم يضع في خبزه الأمداد لمن يستحق الإمداد، والأمراض لمن يستحق التأديب، فيأكل الأول فيزداد أدبًا ومعرفة بالطريق، ويأكل الثاني فيزداد مرضًا في بدنه وضيقًا في معيشته، حتى يكون أصعب عليه من الضرب والهجر، فأمسك يا أخي لسانك في حق الأشياخ حتى تخالطهم وتعرف مصطلحهم»[(٣)].

وقال: «وأما عزرائيل فكان الشيخ محمد الشربيني يقول: جاءني عزرائيل مرارًا وأخبرني بما بقي من أجل فلان وفلان، وكان الأمر كما قال، انتهى، وأخبرني ولده الشيخ أحمد أنه مرض مرضًا شديدًا وأشرف على الموت، ونزل عزرائيل لقبض روحه، فقال الشيخ: ارجع إلى ربك فراجعه فإن ذلك الأمر نسخ، وبقي من عمره ثلاثون سنة. قال الشيخ أحمد: وقد بقي منها سنة وأربعون يومًا، فكان الأمر كذلك.

وذكر الشيخ محيي الدين بن العربي في (الفتوحات المكية) أنه

---

(١) يقصد بذلك الغائبين الذين يستغيثون بهم من دون اللّه.

(٢) ص٤٥٧، فهذا ولي الصوفية يضرب وليًّا آخر عندهم بالاستغاثة بالغائبين من أصحاب النوبة فهذا تنازعهم على الدنيا وعداوتهم فيما بينهم.

(٣) ص٤٦٠.

اجتمع بالمسيح عليه الصلاة والسلام، وتاب على يديه في الطريق، وأمره بالسياحة»[(١)].

وقال: «ومما أجبت به عن الشيخ الذي يقول: إن الحق تعالى يرضى لرضاي، ويغضب لغضبي، وصار الناس يلوثون به بسبب ذلك وقالوا من أين يعرف ذلك؟ وليس هو بنبي يوحى إليه، وإنه يجب تكذيب مثل هذا بأنه قد يكون صادقًا..... وقد ادعى شخص في عصر سيدي إبراهيم المتبولي ذلك، وكان كل من دعا عليه مات، وكلُّ من غضب عليه خربت دياره، فبلغ خبره إلى سيدي إبراهيم، فسأل اللّه تعالى في موته، فمات لوقته، وقال: لو بقي هذا لأمات خلقا كثيرًا، ومما وقع له كما حكته زوجته أنه دعاها لفراشه ليلة، فقالت: اصبر حتى ينام الأولاد، وكانوا سبعة، فقال: أماتهم اللّه؛ فماتوا كلهم تلك الليلة»[(٢)].

هؤلاء الكذبة الأفاكون المبدلون للدين هم من يحث الكاتب على الاطلاع على كتبهم!

➢ ادعاء الشعراني أن الأولياء يوحى إليهم مثل ما يوحى للرسول ﷺ:

وقال: «وما كان لرسول اللّه من طريق الوحي، يجوز أن يكون

---

(١) ص٤٦٠، وهذا الكذاب المفتري جمع عدة افتراءات في هذا النص منها: أنه يعلم الغيب والآجال، وأنه يملك أعمار الناس، ويهب لبعضهم عُمُراً، وأن المسيح عليه السلام اجتمع بابن عربي الملحد الضال، وتسمية ملك الموت بعزرائيل غير ثابتة، ودعواه أن ملك الموت نزل وأمره بالرجوع لبقاء مدة سنة وأربعين يومًا لم يعلم بذلك ملك الموت!! وعلم هذا الشربيني!
فهل الكاتب يوافقهم على هذا الاعتقاد؟!

(٢) ص٤٧٣.

للأولياء من طريق الإلهام أو الكشف، إلا أن يقول ذلك النبي: هذه الخصلة لا تكون لأحد بعدي فافهم»(١).

الدفاع عمن قال إنه من الأنبياء:

إنَّ ابن عربي يُصرّح ببقاء مرتبة النبوة ومقامها، وأن النبوة المتعلقة بالتشريع هي التي انقطعت، فيقول: «بأن النبوة التي انقطعت بوجود رسول اللّه، إنّما هي: نبوة التشريع لا مقامها»(٢).

وقال الشعراني: «ومما أجبتُ به عن الشيخ في الطريق إذا صدق من قال: أنا من الأنبياء، وقال له: صدقت!... ربما كان عما فهموه عنه بمعزل، وإنما صدّقه لظنه أنه يدعي أنه من أنبياء الأولياء أصحاب التعريف الإلهي بالأحكام الذين يخبرون عن اللّه على لسان ملك مغيب عن عيونهم من طريق الإلهام، وذلك معدود من قسم الولاية، فكأنه قال له: أنا ولي للّه، فقال له: صدقت؛ إحسانًا للظن به من حيث إنه أعرف بنفسه، فليس الممتنع إلا لو قال: أنا من أنبياء اللّه الذين يوحي اللّه تعالى إليهم شرعًا على لسان جبريل عليه الصلاة والسلام، لكن الذي ينبغي عدم إطلاق لفظ النبوة على ولي، لأن ذلك تحجر على الأولياء ولو كانوا من أهل وحي الإلهام، فاعلم واعرف مصطلح القوم قبل إنكارك عليهم»(٣).

---

(١) ص٤٩٩، هذا ادعاء علم الغيب الذي نفاه اللّه في قوله: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ [النمل: ٦٥].

(٢) الفتوحات المكية (٣/٢).

(٣) ص٥١١، العجيب أن هؤلاء الكذابون رموا الشيخ محمد بن عبدالوهاب بأنه ادعى النبوة، وهذا يعلم أنه كذب كل من عرف الشيخ وكتبه، ووليهم الشعراني يدافع عمن يقول أنا من الأنبياء بهذا الدفاع السخيف!

➢ موقف الشعراني والصوفية من طلب العلم وتنفير الناس عنه:

قال: «ومما أجبت به عن الشيخ في الطريق إذا طلب أحد من طلبة العلم صحبته، فقال: اترك العلم وأنا أصحبك..

بأنه قد يكون اطلع من طريق كشفه على عدم إخلاص ذلك الطالب في علمه فأراد له الوقوف عن زيادة العلم حتى يداويه من ذلك الرياء.

وقد قال لي السيد الشريف يوسف بجامع الأزهر: دخلت يومًا على سيدي علي المرصفي فسألته الصحبة، فقال لي: اترك دروسك كلها في العلم وتعال؛ فنفرت نفسي منه، فقال لي: يا ولدي، إنما طلبت بذلك مداواتك بكثرة ذكر اللّه تعالى حتى ينجلي باطنك، وتشهد أن العلم كله للّه لا لك، وكذلك أعمالك الصالحة، فتصير تضيف جميع ذلك إلى اللّه تعالى، وتستحيي منه أن تضيف منه شيئًا لنفسك، فتخرج عن الشرك في علمك وعملك، وعن الرياء جملة؛ فيا ليتني أطعت الشيخ...»[(١)].

➢ كم يمكن أن يختم القرآن في اليوم والليلة:

قال: «وقد آمنتُ بكرامات الأولياء أحياء وأمواتا، وقد وقع أن أخي الشيخ أبا العباس الحريثي أنه جلس عندي مرةً في رمضان فصليت المغرب والسنة بعده، وتعشينا طعامًا، ثم شرع يقرأ القرآن فختمه قبل مغيب الشفق خمس مرات، فحكيت ذلك لسيدي الشيخ علي المرصفي فقال: بداية صالحة، وإن شاء اللّه تعالى يصير يقرأ أكثر من ذلك. قال: وقد وقع لي أيام السلوك أنني

(١) ص٥٧٥.

قرأت القرآن في اليوم والليلة ثلاثمئة ألف ختمًا وستين ألف ختمًا، كل مقدار درجة ألف ختم! فقلتُ له: يا سيدي بالحروف والأصوات؟! قال: نعم، ولكن هذا لا يكون إلا حين تغلب الروحانية على البشرية...»[١].

وليٌّ صوفي يقول: لا أحب أن يعفو اللّه عني:

قال الشعراني: «ومما أجبتُ به عن الشيخ في الطريق إذا قال: لا أحب أن يعفو اللّه عني في هذا اليوم..

بأنه ربما كان بينه وبين اللّه علامة يعرف بها الذنوب التي يعفو اللّه تعالى عنه فيها والتي يؤاخذه فيها، وكان من مقامه أنه لا يحب شيئًا إلا إن رأى أن الحقَّ تعالى يحب ذلك الشيء، فقال: لا أحب أن يعفو عني في هذا اليوم، فأحببتُ المؤاخذة، لكون الحق تعالى أحبها لي[٢]، فافهم.

وكان بعضهم يقول: وعزتك وجلالك لولا ما ورد في الحديث أنك تحب العفو والعافية ما أحببتها. وهذا مقام عزيز قلّ من يتخلق به، فإياك والمبادرة إلى الإنكار على من هو أعلى مقامًا منك في العلم والمعرفة، فمن بادر إلى الإنكار على الأشياخ، ربما استدرجه الشيطان إلى الإنكار على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام»[٣].

---

(١) ص٥٩١. والعجيب أن هذا الكذب والافتراء يتزينون به ويتباهون بكثرة الختمات بمئات آلاف من الختمات في يوم واحد. فجمعوا بين الكذب والمباهاة والمراءاة وكل ذلك لطلب العلو في الأرض.

(٢) رب العالمين يقول: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ﴾ [النساء: ٢٧]. لكن هؤلاء أعداء للدين الإسلامي.

(٣) ص٥٩٨.

➢ تعلم علم السحر عند الشعراني وثناؤه على كبار السحرة في العالم:

قال الشعراني: «ومما أجبتُ به عن العالم الكبير أو الشيخ في الطريق إذا عانى علم الروحاني، ولاث به الناس وقالوا: لو كان هذا عالمًا أو شيخًا في الطريق، لعلم أن كل ما لم يرد صريحًا في الكتاب والسنة لا ينبغي فعله، بل قال بعضهم: إن علم الروحاني الذي فيه الطلسمات[١] والتهاطيل حرام، لأن تلك الطلسمات أو التهاطيل ربما كانت كلمات كفر، فكيف يليق بالعالم أو الشيخ في الطريق فعلها وتعاطي أسباب المقت وسوء الظن به؟! فإنه لا يسمى عند غالب الناس إلا بالساحر.

والجواب: أن العالم إذا كَمُل في مقام العلم أو المعرفة، أعطاه اللّه تعالى أسرار العلوم والمعارف في اللغة السريانية والعبرانية زيادة على اللغة العربية، فلا يكتب من الطلسمات والتهاطيل مثلا إلا ما يعلم أنه من أسماء اللّه عزَّ وجلَّ المنزهة عن السب والنقائص، ولا يجوز لأحد حمل العلماء والأشياخ على أنهم جاهلون بمعاني تلك الأسماء والطلسمات والتهاطيل، فإن مقامهم يجل عن مثل ذلك، كما علموا معنى ﴿الٓمٓ﴾ و﴿الٓمٓصٓ ۝١﴾ و﴿الٓر﴾ و﴿الٓمٓر﴾ و﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾ و﴿طه﴾ و﴿يسٓ﴾ و﴿طسٓمٓ ۝١﴾ و﴿حمٓ﴾ و﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢﴾ و﴿قٓ﴾ و﴿نٓ﴾ فللعلماء والعارفين الاطلاع على سائر الطرق الموصلة لقضاء حوائج الخلق في هذه الدار مما رتب اللّه

---

(١) الطلّسم: (فِي علم السحر) خطوط وأعداد يزْعم كاتبها أَنه يرْبط بهَا روحانيات الْكَوَاكِب العلوية بالطبائع السفلية لجلب مَحْبُوب أَو دفع أَذَى وَهُوَ لفظ يوناني لكل مَا هُوَ غامض مُبْهَم كالألغاز والأحاجي والشائع على الْأَلْسِنَة طلسم كجعفر وَيُقَال: فك طلسمه أَو طلاسمه وضحه وَفَسرهُ (ج) طلاسم. المعجم الوسيط (٥٦٨/٢).

تعالى عليه أمرًا من الأمور، سواء أورد ذلك في الكتاب والسنة، أو استخرجه العلماء منهما. وربما علم ذلك العالم أو العارف أن ذلك التأثير الذي طلبه لا يكون إلا من طريق ما استخرجه العلماء من الكتاب والسنة، دون ما جاء صريحًا فيهما، فيأتي البيوت من أبوابها. وقد يكون ذكره الأسماء العبرانية أو السريانية أو الطلسمات دون أسماء اللّه العربية غيرة على أسرار اللّه تعالى أن تذاع بين من ليس من أهلها، كما أخفى اللّه تعالى اسمه الأعظم ولم يطلع عليه إلا الخواص، لئلا يفعلوا به الأفاعيل التي لا يليق فعلها مما لم يأذن فيه الشرع.

وقد وضع الأكابر من العلماء والصالحين الدوائر والخواتم بالأسماء العبرانية كالإمام جابر بن حيان[1]، وذي النون المصري، والإمام الغزالي، والسهروردي، والإمام البوني[2]، وشيخ الإسلام ابن

(١) في مجموع الفتاوى: (٢٩/٣٧٤): «وأما جابر بن حيان صاحب المصنفات المشهورة عند الكيماوية، فمجهول لا يعرف، وليس له ذكر بين أهل العلم ولا بين أهل الدين»، وقال ابن خلدون وهو يتكلم عن علم السحر والطِّلَّسمات: «ثم ظهر بالمشرق جابر بن حيان كبير السحرة في هذه الملة، فتصفح كتب القوم واستخرج الصناعة، وغاص في زبدتها واستخرجها ووضع فيها عدة من التآليف. وأكثر الكلام فيها وفي صناعة السيمياء، لأنها من توابعها». مقدمة ابن خلدون (١/٣٠٣).

(٢) أحمد بن علي بن يوسف البوني أبو العباس المغربي. والبُوني ــ نسبة إلى بونة على ساحل البحر بإفريقية ــ، مؤلف أشهر كتاب في السحر (شمس المعارف)، صاحب المصنفات في علم الحرف منها: شمس المعارف الكبرى والوسطى والصغرى، ولطائف الإشارات (ت ٦٢٢). انظر: ديوان الإسلام: (١/٢٥)، والأعلام: (١/١٧٤)، وكشف الظنون (٢/١٠٦٢).

قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى (١٠/٤٥١): «وكذلك أصحاب دعوات الكواكب الذين يدعون كوكبًا من الكواكب ويسجدون له ويناجونه ويدعونه ويصنعون له من الطعام واللباس والبخور والتبركات ما يناسبه، كما ذكره صاحب «السر المكتوم» المشرقي (وهو الفخر الرازي) وصاحب «الشعلة النورانية» البوني المغربي وغيرهما، فإن هؤلاء تنزل عليهم أرواح تخاطبهم وتخبرهم ببعض الأمور، وتقضي لهم بعض الحوائج، ويسمون ذلك روحانية الكواكب. ومنهم من يظن أنها ملائكة وإنما هي شياطين تنزل عليهم».

جماعة، والشيخ إبراهيم بن زقاعة، والشيخ عبد العزيز الديريني، والشيخ أبي الحسن الشاذلي، وجماعة لا يحصون، وتصرفوا بها في الكون، وحبسوا بها بول الأمراء والأكابر، ونفخوا بها بطونهم، وقطعوا بها رؤوسهم بإذن اللّه[١] ولولا علمهم بجواز مثل ذلك من قواعد الشريعة ما فعلوه، فهم وأسماؤهم وخواتمهم كالآلة لذلك التأثير، واللّه تعالى هو الفاعل[٢]. وقد يكون ذلك الاسم السرياني أو العبراني مثلًا هو الاسم الأعظم وعمَّاه ذلك العالم أو العارف عن العوام.

وكان الشيخ إبراهيم الحصري والشيخ شمس الدين الحنفي الشاذلي والشيخ إبراهيم المتبولي ﷺ يتصرفون بالاسم الأعظم كثيرًا في الولاة، بقدر تأديبهم ورجوعهم عن ظلم رعيتهم، بحبس البول والضرب في الرأس والرمد، فإذا علموا أنهم تأدبوا ورجعوا رفعوا ذلك عنهم، ويقولون: الفقير لا يد له ولا لسان ظاهرًا يرد به الولاة من ظلمهم، وإنما يتصرف بسره، ولا يُنسب إلى ساكت قول، وبتقدير أن ذلك الأمير عرف أن ذلك من تصريف الشيخ فيه، فلا يمكنه الاطلاع على ذلك العلم الذي تصرف به فيه.

وقد كان السلطان الملك الأشرف في أيام سيدي إبراهيم الجعبري يرمي الرمايا على الناس، فأرسل الشيخ يشفع عنده، فقال:

---

(١) هذا موقف الشعراني والخرافيين من ولاة الأمور بتسليط السحرة عليهم بحبس البول ونفخ البطن وقطع الرؤوس، قاتلهم اللّه أنى يؤفكون.

(٢) قوله ولولا علمهم بجواز مثل ذلك من قواعد الشريعة ما فعلوه، لا يجوز الاحتجاج بأفعال أو أقوال العلماء وهذا الشعراني الأفاك المفتري يحتج بالبوني الساحر المشهور صاحب كتاب شمس المعارف وأشباهه، وقول الشعراني: (والله تعالى هو الفاعل). هذا من الاحتجاج بالقدر على الشرك والسحر وهو حجة المشركين.

الشيخ في زاويته يعبد اللّه، أيش له في أمور السلطنة؟ فحبس سيدي إبراهيم بوله، فعجز جميع الحكماء عن إطلاقه بكل حيلة، فقالوا له: هذا من بركة الشيخ فأرسل يستغيث به، فقال للرسول: قل له: تب إلى اللّه من ظلم الرعية، وأنا اسأل اللّه تعالى إطلاق بولك في هذا اليوم، فقال: تبت إلى اللّه تعالى من ذلك فأرسل له الشيخ إبريقًا فيه ماء، وقال: قولوا له: يستنجي بهذا الماء يفرج اللّه عنه، فكان بعد ذلك يحترم الشيخ إلى أن مات ولا يرد له شفاعة[1].

وكذلك وقع أن شخصًا استفتى القضاة الأربعة في منع سيدي إبراهيم من الجلوس على الكرسي وقال: إنه يلحن في الحديث. فامتنع ثلاثة من الإفتاء، وأفتى واحد بمنعه فبينما القضاة الأربعة نازلون من القلعة، إذ قال الشيخ لأهل مجلسه: قولوا معي: شقع بقع، يا للّه يقع، فوقع ذلك المفتي من فرسه، فقصفت رقبته، فقال الثلاثة: الحمد للّه الذي لم نفت بمنعه[2].

وكذلك وقع له مع نصراني بندر الطور حين رمى الصابون على جماعته، وقال له: يا نصراني، إن رجعت ترمي على جماعتي شيئًا من الصابون، قطيت هذا القلم فقال في نفسه وما لك لا تقطه؟! فقطه فوقعت رأس النصراني.

وكذلك وقع لسيدي محمد الحنفي مع السلطان شعبان حبس

---

(١) هذا الذي فعله الشيخ الخرافي هو استعمال السحر وتسليط الشياطين على هذا السلطان ـ إن ثبت، وإلا فقد يكون من كذبهم أيضاً ـ والسحر من أعظم الموبقات وهو بعد الشرك بالله لأنه من الشرك.

(٢) هذا السجع الشيطاني (شقع بقع يالله يقع) بمثل هذا يضل خبثاء الصوفية الناس ويخوفونهم من هؤلاء الطواغيت، والكاتب ينصح كل مسلم بهذا الكتاب!! حسبنا الله ونعم الوكيل.

بوله، فلما تاب أرسل له رغيفا مبسوسًا بزيت، وقال له: كله يفرج عنك. فكان الأمر كذلك، فلم يزل يقبل شفاعته حتى مات.

والأعمال بالنيات في مثل ذلك، والفاعل هو اللّه، ولا فرق في ذلك أن يكون حبس البول أو النفخ مثلًا بآلات يفعلها، أو بتوجه القلب إلى اللّه تعالى، فحكمه حكم دعوة الولي إذا صادفت قدرًا.

➢ عذر قبيح في استعمال طوغيت الصوفية للأسماء المجهولة غير العربية:

«وسمعت سيدي عليًّا الخواص رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: العلماء والأولياء أعرف بأسماء اللّه تعالى السريانية والعبرانية من غيرهم، وأكثر تعظيمًا لها، ولكن لما رأوا الأسماء العربية كثيرة التداول فيما بين الناس ولم يعطوها حقها في التعظيم، لم يتصرفوا بها غيرة عليها، وتصرفوا بالأسماء المجهولة عند غالب الناس، كما حكي أن ذا النون المصري كان يلصق اليد المقطوعة والأصبع المقطوع بـ «بسم اللّه الرحمٰن الرحيم»، فلصق مرة يد سارق، فقال: سألتك باللّه أن تعلمني هذا الاسم الذي تهمهم به على اليد فتلصق! فقال: أقول: بسم اللّه الرحمٰن الرحيم، فقال: بِسْ...، فوقعت يده، ولم يقدر ذو النون على إلصاقها بعد ذلك.

وسمعته مرة أخرى يقول: يُشترط في العالم أو الشيخ إذا تصرف أحدهما في الناس بما يكتبه أو يقوله أن يكون ذلك بقصد الإصلاح لا لحظ نفس، وأن لا يتصرف في أحد بما يسوء إلا بعد أن لم يسمع منه بالكلام الطيب.

قال: ومحك الصدق في ذلك أن يتساوى عنده ظلم نفسه وظلم غيره، ومتى رجع ظلم نفسه بكثرة التوجه إلى اللّه تعالى مثلًا على

ظلم غيره، خرج عن الأدب، إلا أن يكون مشهده أن نفسه أولى بدفع الأذى عنها من غيره، عملًا بحديث: «**الأقربون أولى بالمعروف**»[(١)]، ولا أقرب إلى الإنسان من نفسه».

➢ تصريح طواغيت الصوفية أنهم تركوا الكتاب والسُّنة:

«فعُلِم أن العالم أو الشيخ ما عدل عن الآيات والأذكار الواردة في الكتاب والسنة وتصرف بغيرها إلا لحكمة، وقد يقوى عزم الولي وتوجهه إلى اللّه تعالى بالأسماء العبرانية والطلسمات مثلًا، ويضعف في توجهه بالأسماء العربية وعكسه، فيكون مع ما قوي به عزمه، فلا اعتراض عليه في كتابة الطلسمات، لأنه لم يعدل عن الآيات لاستهانته بها، وإنما هو لعدم وجود الصدق في توجهه بها من حيث الداعية بها، فافهم، فالعلماء والأشياخ محفوظون إن شاء اللّه تعالى من الجهل بأسمائه ومعاني تلك الطلّسمات والتهاطيل، ولو كانوا يجهلون معانيها ما قدموا على التصرف بها في منافع العباد، لعلمهم بأن اللّه تعالى رتَّب الأسباب على المسببات، سواء أكانت كونية أو ربانية.

وقد بلغنا أن أهل مدينة سَهْرَوَرْد أنكروا على الشيخ شهاب الدين السهروردي ورموه بالعظائم، وقالوا: إن كان هذا وليا للّه تعالى فليظهر لنا كرامة، فتوجّه إلى اللّه تعالى في إطفاء جميع النار التي في المدينة، وصاروا كلما قدحوا الزناد طفي شرره، فجاؤوا إلى الشيخ يطلبون تطييب خاطره، فقال القاضي: هذا سحر لا كرامة! فازدادوا

---

(١) لا أصل لهذا الحديث بهذا اللفظ، انظر: المقاصد الحسنة (١٤٤)، السلسلة الضعيفة رقم ٣٧٦. ولا يستغرب من الصوفية إيراد الأحاديث المكذوبة والمفتراه فهذه بضاعتهم.

إنكارًا، ورجعوا عن تطييب خاطره، فمكثوا سبعة أيام ولا ينضج عندهم طعام، فأتوا إليه، فقال: ما بقيت النار تخرج لكم إلا من دبر الكلب الميت، الذي في حارة بني فلان، ينفخ القاضي في دبره! فمسكوا القاضي وأكرهوه على ذلك، فلما نفخ في دبر الكلب، خرجت جمرة من فمه فأخذها الناس، وتابوا إلى اللّه تعالى عن الإنكار. انتهى. فاعلم ذلك والزم الأدب مع العلماء والصالحين»[(١)].

➢ الشعراني يدعي أنه يطلع على جميع البلدان والمدائن:

وقال: «ويقع لي أنني أَمرُّ ببصري القلبي على جميع المدائن والبحار والبراري التي وصل إليها علمي وأرجع في مقدار درجة. وهذا أمر لا يصدق به إلا من ذاقه، فاعلم ذلك، وإياك، والإنكار على من يدعي مثل ذلك، فإنه مقام أصحاب النوبة، فيطوف أحدهم مشارق الأرض ومغاربها وهو جالس في مكانه. وكان من شأن سيدي عبد القادر الدشطوطي أنه يقف ويلتف ثلاث مرات، فكان أولياء عصره يقولون إنه يطوف في كل مرة جميع الدنيا. وكان الشيخ محمد بن عنان يُسمّى بين الأولياء أبو الجنوب، فقلت لسيدي علي الخواص: ما معنى ذلك؟ فقال: كلما يقلب جنبه على الأرض يدور المشرق والمغرب. انتهى[(٢)].

وقد كان سيدي عبد القادر الجيلي يقول: لو ناداني مريدي من مسيرة ألف عام لأتيته قبل تمام النداء، وكذلك كان يقول سيدي إبراهيم الدسوقي...

(١) ص٦٠٣، فهذا الخرافي يكذب ويشوه صورة الشريعة الإسلامية، ويدعي كذبًا وزورًا أنه يجبر القاضي على النفخ في دبر الكلب! ليتم إبطال السحر، وانظر ما تقدم ص٦٨٣.

(٢) انظر إلى هذا الكذب والافتراء فبمجرد تقليب جنبه يدور مشرق الأرض ومغربها!!

وممن أدركته في مصر يُدير بلاد الهند والسند والروم والعراق والمغرب وبلاد السودان: الشيخ محيسن، والشيخ علي أبو خوذة، والشيخ محمد الشربيني رضي اللّه عنهم أجمعين، فاعلم ذلك، وصَدِّقْ من يدعي ذلك»[١].

عند الشعراني أصحاب النوبة يقضون حوائج الناس ويتصرفون في الحكام ويعلمون ما في قلوب الناس:

قال الشعراني: «وكان إذا سئل في حاجة عند أمير يقرأ الفاتحة ويهديها في صحائف رسول اللّه. ثم في صحائف صاحب النوبة في ذلك الخط، ويسأله في قضائها، ويقول: إن من الأدب مع أصحاب النوبة أن لا ينفرد أحد عنهم بقضاء حاجة، فإن قلوب الحكام بيد تصريفهم بإذن اللّه، فيقلبون قلوب الحكام كما يريدون، فربما تعداهم فقير وسأل الأمير في قضاء الحاجة دونهم فيعارضونه، فلا تُقضى له حاجة، وهم في بيوت الحكام على اختلاف طبقاتهم لا يتميزون في ملبس ولا غيره، وربما كان أحدهم ترجمانًا عند القاضي أو رسولًا.

ومن شأنهم: الاطلاع على ما يخطر في قلوب الخلق وعلى ما يفعلونه في قعور بيوتهم[٢]، ولهم تأديب الخلق على مثل ذلك.

وكان سيدي علي الخواص، يقول: من أدب الفقير إذا خرج من بيته أو زاويته لحاجة أن يقول بقلبه: دستور يا أصحاب النوبة أخرج

---

(١) ص٦٢٧، بل والله نُكذب من يدعي ذلك، ونعلم أنه دجَّال كافر باللّه العظيم؛ فالله هو الذي يدبر الكون، وليس هؤلاء الأموات.

(٢) قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾﴾ [التوبة] فجعلوا أمواتًا وغائبين يعلمون ما في قلوب الناس وخواطرهم، ولا شك أن هذا من الشرك في الربوبية.

في قضاء هذه الحاجة، ثم إذا رجع استأذنهم في الرجوع كذلك[١]. ومن الأدب معهم أيضًا: ألا يمشي أحد في درك من أدراكهم، وهو محدث، ولا غافل القلب عن ذكر اللّه عزَّ وجلَّ، فإنهم يحبون من يراعي معهم الأدب...»[٢].

وقال: «فاعلموا ذلك أيها الإخوان، واحفظوا لسانكم في أولياء زمانكم إذا تلقوا ولاتكم، فإن في ذلك مصلحتكم. وإن ظلمكم أحد من الولاة فلوذوا بأوليائكم[٣]، ولو من طريق الإيمان بوجودهم، فإما يعزلونه لكم، وإما يخففون عنكم الظلم، فإن قلوبهم بيد تصريف الأولياء بإذن اللّه....

ومما أجبتُ به عن الشيخ الذي يقول للأمير أو غيره: إذا كان لك إلى اللّه تعالى حاجة، فتوجه إليَّ بقلبك، وإياك أن تشرك معي غيري من المشايخ، فإنها لا تُقضى[٤]، فسمعه بعض الناس، فلاث به وقال هذه دعوى عريضة بأنه لا يلزم من ذلك القول أن يكون صاحبه يرى نفسه أفضل من مشايخ عصره، وإنما ذلك إرشاد له، لتقضى حاجته بسرعة من غير بطءٍ، كما جُرِّب، إذ الوجود كله مبني على التوحيد ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾ [الأنبياء: ٢٢]. وقد كان سهل بن عبد اللّه التستري يقول لتلامذته: من كان منكم له إلى اللّه

(١) تركوا ما في الإسلام من ذكر اللّه والتوكل عليه مما علمنا رسول اللّه ﷺ عند الخروج من المنزل وعند دخوله، وصاروا يتوكلون على أوليائهم ويستغيثون بهم.

(٢) ص٦٢٨.

(٣) الاستعاذة واللياذ إنما هو باللّه تعالى، وأما الغائب فلا يعلم ولا يقدر ولا يدبر فالاستعاذة بغير اللّه فيما لا يقدر عليه إلا اللّه شرك أكبر.

(٤) هذا من الشرك باللّه، والشرك عند هذا الشيخ الخرافي الصوفي هو أن ينافسه ولي آخر يتوجه إليه المريد، فهذا حال شيوخ الضلالة والخرافة المبدلين للدين.

حاجة، فليُقْسم عليه بي[١]، وإياكم أن تشركوا معي أحدًا من الأحياء والأموات.

ووقع لسيدي محمد الحنفي الشاذلي، أنه مشى على بحر النيل من مصر إلى الروضة، وتلميذه يمشي خلفه، وقال له: قل: يا حنفي، ولا تغفل عني، فوسوس له إبليس، وقال له: قل: يا اللّه أعظم من الحنفي، فقال: يا اللّه، فغرق[٢]، فالتفت إليه سيدي محمد الحنفي، وقال له: إنك لا تعرف اللّه حتى تسأله أن يمسك قدميك على الماء قل: يا حنفي، فقالها فطفا على الماء ومشى عليه»[٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد يجيء الحديث العهد بالإسلام أو التابع لهم لحسن الظن بهم أو غيره، يطلب من الشيخ الميت إما دفع ظلم ملك يريد أن يظلمه أو غير ذلك، فيدخل ذلك السادن فيقول: قد قلت للشيخ، والشيخ يقول للنبي، والنبي يقول لله، والله قد بعث رسولًا إلى السلطان فلان، فهل هذا إلا محض دين المشركين والنصارى، وفيه من الكذب والجهل ما لا يستجيزه كل مشرك ونصراني ولا يروج عليه»[٤].

اتباعهم للشهوات:

وقال: «ومما أجبتُ به عن العالم الكبير أو شيخ الطريق إذا رأيناه يسعى في تحصيل شهوات نفسه، ويذل نفسه في تحصيلها،

---

(١) الإقسام بالمخلوق من الشرك، والإقسام على اللّه من التألي على اللّه الذي جاء فيه الوعيد الشديد؛ ولهذا فالخرافيون يكذبون على سهل التستري رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره، والكذب عندهم من أسهل ما يكون، قاتلهم اللّه أنى يؤفكون.

(٢) الذي يأمر بدعاء اللّه عند هذا المجرم المفتري على الله الكذب، هو إبليس وأنه إذا دعا اللّه غرق وإذا دعا الولي نجا.

(٣) ص٦٤٩.

(٤) الاستغاثة في الرد على البكري ص٢٩٧.

ولاث الناس به وقالوا: كيف يدعي هذا الصلاح، وهو يعشق النساء الجميلات ويذل في طلبهن مثلًا؟! بأنه ربما كان يحب تلك الشهوات بتحبيب اللّه تعالى له ذلك، لا بحكم الطبع النفساني، كما قال: «حُبب إليَّ من دنياكم النساء والطيب، وجعلت قرة عيني في الصلاة»، فانظر إلى قوله: «حُببَ» ولم يقل «أحببت». فاعلم ذلك، وإياك أن تحتقر عالمًا سعى في تحصيل شهوة من الشهوات وتحمله على شهوة الطبع فإن ذلك سوء ظن به، وهو لا يجوز، بل احمله على أنه وارث في ذلك المقام لرسول اللّه»[(١)].

وقال: «ومما أجبتُ به عن قول بعض الصوفية: أنا أعرف بعض أخبار السماوات التي تقع فيها كل يوم؛ ولاث الناس به بسبب ذلك، بأنه قد يصدق في ذلك، إذا وقع بينه وبين الملكين الكاتبين الحافظين اتحاد ومحادثة، فصارا يخبرانه عما يقع في السماوات، كقولهم: فلانٌ رُدَّ عمله، فلانٌ عمله مقبول، فلانٌ يحبه اللّه، فلانٌ يبغضه اللّه، ونحو ذلك»[(٢)].

وبعد: فهذه أمثلة تبين لك حال الشعراني وكتابه، وقد تركت من النقل عن هذا الكتاب الخبيث المليء بالكفر والشرك أمورًا هي من الفواحش التي يفعلها هؤلاء، ويدافع عنهم بقلة دين وقلة أدب، وتركتها لسوء عباراتها وقبحها[(٣)].

---

(١) ص٦٨٠، وحسبنا اللّه ونعم الوكيل، انظر إلى هذا التشبيه الخبيث والعذر الذي هو أقبح من الذنب، وهل كان تحبيب النساء للنبي ﷺ يجعله يذل نفسه لهنَّ ويسعى في تحصيل شهوة نفسه، فانظر إلى هذا الغلو في الدفاع عن هؤلاء الزنادقة كيف جرَّه إلى الطعن في رسول اللّه شعر أو لم يشعر، والله المستعان.

(٢) ص٤٢٨، علم الغيب وعلم أخبار السماوات عند اللّه وحده، وحتى الملائكة الكاتبين لا يعلمون إلا ما يختص بالعبد نفسه دون بقية بني آدم.

(٣) كما في الصفحات من الجزء الأول: ٣٩٤، ٤١٥، ٤٦٥، ٤٦٩، ٤٩٣، ٥٨٢، ٦٢٨.

فلك أن تتأمل في حال الكاتب عندما يقول عن هذا الكتاب الخبيث: (**كتاب نفيس يحتاجه كل مسلم... فما أحوج طلبة العلم وكل مسلم لهذا الكتاب**)!

وأما إذا درسوا القواعد الأربع. ونحوها من كتب العقيدة الصافية المعتمدة على الكتاب والسنة، فيقول هذا الكاتب ص ١٢٥: [**وبذلك يتبين سقوط استدلالهم بهذه الآية والتي يحفظونها أطفالهم في تكفير أهل الشهادتين**].

➢ الرد على الاعتراض الثاني من الكاتب في ص ١٢٥ إلى ص ١٤٥:

قال الكاتب ص١٢٥: [**وثاني استدلالاتهم الباطلة المتكررة كلامهم عن دعاء غير اللّه وتفصيلهم فيه للتفريق بين الدعاء الذي يكون شركًا والذي لا يكون شركًا**].

فاعترض على تفريق أهل العلم بين الدعاء الذي هو شرك، وبين الدعاء الذي ليس بشرك باعتراضات؛ وهي:

١ ـ أن مطلق الدعاء لا يكون عبادة، واحتج بأن الناس يطلبون من بعضهم حاجات، وليس هذا من الشرك، وزعم أن الدعاء لا يكون عبادة إلا إذا اعتقد في المدعو خصائص الربوبية.

٢ ـ أن بعض أهل العلم قيّد الدعاء الشركي بـ (ما لا يقدر عليه إلا اللّه) أو (دعاء الأموات والغائبين) بينما في بعض الصور لم يقيّدوا بهذا.

٣ ـ وأنه يُلزمهم أن قولهم (ما لا يقدر عليه إلا اللّه) أنه هو اعتقاد الربوبية في غير اللّه.

٤ ـ تسويته بين فعل الرب وفعل العبد.

٥ ـ دفاعه عن من صرف الدعاء لغير الله بتسمية فعلهم واعتقادهم خطأ لا يوقع في الشرك.

٦ ـ تهوينه من الشرك وتصريحه أن من دعا الملائكة وطلب منهم، أنه غير مشرك.

٧ ـ تهوينه لصورتين من الشرك ص ١٣٢.

٨ ـ إيراده لبعض القصص والوقائع يحتج بها على تسويغ الشرك ص ١٣٢ ـ ١٣٥.

٩ ـ أورد ستة أمور، قال: إنها مثل عبادة الدعاء لا تكون شركًا إلا بالإخلال بالربوبية فقط وهي السجود لغير اللّه، وقول مطرنا بنوء كذا، وأن الطيرة شرك، والحلف بغير اللّه، وإتيان الكهان وتصديقهم، والتمائم.

وفيما يلي نقض شبهاته:

١ ـ رَدَّ الكاتب على أهل السنة والجماعة في تقريرهم أن الدعاء عبادة بشبهة واهية، فزعم أن مطلق الدعاء لا يكون عبادة، واحتج بقوله: [**إذ لا يقول أحد إن مطلق دعاء الطلب والمسألة عبادة، فما زال الناس يدعون آحادهم ويطلبون منهم تحقيق حاجات لهم فلم يكن هذا عندنا ولا عندكم شركًا، رغم كونه يسمى دعاء ويسمى في بعض صوره استغاثة أيضًا ولا يكون بمجرد تسميته دعاء أو استغاثة شركًا..**].

وادعى أن قيد (ما لا يقدر عليه إلا اللّه) يعود إلى اعتقاد الربوبية في المعبود، فلا يكفي مجرد صرف العبادة لغير اللّه أن يكون شركًا إلا بهذا الاعتقاد.

وشبهات الكاتب قالها أهل الأهواء قبله، ومنهم ابن البكري الذي رد عليه شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب الاستغاثة.

فأول ضلالة عنده: **تسويته بين دعاء العبادة الذي هو حق اللّه تعالى وبين دعاء الطلب من المخلوق إلى مخلوق**، وعبر الكاتب بقوله ص ١٢٦: [**فما زال الناس يدعون آحادهم ويطلبون منهم تحقيق حاجات لهم، فلم يكن هذا عندنا ولا عندكم شركًا، رغم كونه يسمى دعاء ويسمى في بعض صوره استغاثة أيضًا**].

وقوله [**يدعون آحادهم**].

يريد بذلك ما جرت به العادة بين الناس من تعاونهم، وقضاء بعضهم حاجات بعض، فيما كان من مقدورهم كحمل المتاع، والدلالة على الطريق، وإطعام الفقير الجائع، ونحو ذلك، والاستغاثة مثل ما لو كان في البحر أو سقط في حفرة عميقة فنادى من حوله من الناس لينقذوه.

فاحتج الكاتب بما أباحه اللّه على ما حرمه اللّه وسوّى بينهما!

وطريقة أهل الأهواء هي الإجمال فلينتبه المؤمن إلى تلاعبهم بالألفاظ.

والرد على شبهته بما يلي:

١ ـ طلب الحيِّ مِن حَيٍّ حاضرٍ قادرٍ حاجةً مما يدخل تحت قدرة البشر في العادة لا يكون من الشرك، ومن المعلوم أن أهل الدنيا يستقضون حوائجهم بعضهم من بعض بَرِّهم وفاجرهم، مسلمهم وكافرهم، وقد استعار النبي ﷺ أدراعًا من صفوان بن أمية وهو مشرك، واستعان في بعض غزواته بأناس من المشركين، وما زال

المسلمون يستقضون حوائجهم من المسلم والذمي والبر والفاجر[(١)]، وليس الإنكار في دعاء غير اللّه من هذا الباب، ولا يسمى هذا (دعاء غير اللّه)، بل هو طلب مما يمكن في قدرة البشر المعتادة، فلو قلت: إني اليوم ناداني صاحبي، وطلب مني حمل متاعه فساعدته؛ فلا يقول عاقل: إن صاحبي دعاني من دون اللّه!!

ولو قلت: طلبت من ولدي أن يأتي لي بالطعام؛ فلا يقول عاقل: إني دعوت ولدي من دون اللّه، ولا يقول: إني دعوت ولدي مثل ما دعوت اللّه فحقق لي مطلوبي!!

٢ ـ طلب الحي من غائب أو ميت سواء مما يقدر عليه البشر، أو الطلب منهم في شيء لا يقدر عليه إلا اللّه، هذا هو الذي يُسمى دعاء عبادة، يجب أن يجعله العبد خاصًّا باللّه تعالى، ولا يصرفه لهؤلاء، فإن صرفه لغير اللّه أشرك باللّه، وخرج من ملة الإسلام، ونقض كلمة التوحيد، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يونس] ونظائرها في القرآن كثيرة. ولهذا فرّق النبي ﷺ بين حال حياته وبعد مماته ففي صحيح البخاري عن عائشة ﵂ أنها قالت: «وارأساه! فقال رسول الله ﷺ: «**ذاكِ لو كان وأنا حيّ فأستغفر لك، وأدعو لك، فقالت عائشة: واثكلياه! واللهِ إني لأظنك تحب موتي...**»[(٢)]، قال الشيخ عبدالمحسن العباد حفظه الله: «فلو كان يحصل منه الدعاء والاستغفار بعد موته ﷺ لم يكن هناك فرق بين أن تموت قبله أو يموت قبلها ﷺ، وهذا الحديث مبيّنٌ لقول الله ﷻ: ﴿...وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ

(١) الاستغاثة في الرد على البكري ص٢٠١.

(٢) صحيح البخاري رقم (٥٦٦٦)، (٧٢١٧).

ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾ [النساء] وأن المجيء إليه وحصول الاستغفار والدعاء منه إنما يكون في حياته، وليس بعد موته، والسنة تفسر القرآن وتبينه وتوضحه»[(١)].

٣ ـ أهل الأهواء احتالوا بحيلة أخرى، وهي التسوية بين الطلب من الحي والطلب من الميت، فقالوا: كما يجوز أن تطلب من الحي أن يسقيك من الماء أو يرفع لك متاعك؛ فيجوز أن تطلب من الميت مثل ذلك.

وهذه الشبهة نقضها اللّه تعالى في كتابه، فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـًٔا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴿٢١﴾﴾ [النحل]، والتسوية بين الحي والميت لا يقبلها عاقل.

وأما التسوية بين دعاء اللّه، وبين دعاء المخلوق لمخلوق مثله فقد أبطل اللّه هذه الحجة الشركية؛ فقال تعالى: ﴿أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النحل]. وسيأتي المزيد من الأدلة على نقض هذه الشبهة.

وكذلك ادعاء أهل الأهواء التسوية بين الحي والميت، بذكر أن للميت كرامات، وادعاؤهم أنه لا يمتنع إذن اللّه له، ولا نعلم قد يكون أذن اللّه له بفعل ما لا يقدر عليه إلا اللّه، وهكذا في سلسلة من الافتراءات على الإسلام حتى يخرج من يقول بذلك ويعتقده إلى عقيدة الشرك وعبادة غير الله تعالى.

وتقدم أن الكاتب يهوّن من شأن دعاء الملائكة من دون اللّه، وغير الملائكة أيضاً بحجة أن اللّه أذن لهم، وينفي أن ذلك من الشرك، كما صرح بذلك في ص ١٣١.

---

(١) الإيضاح والتبيين لحكم الاستغاثة بالأموات والغائبين ص٣٥ ـ ٣٦.

وسيأتي أيضًا قولٌ للكاتب: أن الأموات يسمعون من يناديهم عن قرب أو عن بعد، كما ذكر ذلك في ص ١٣٢.

فهوّن الكاتب من أمْرِ أعظم ذَنْبٍ عُصِيَ اللّهُ به وهو الشرك، ولأجل إبطاله أرسل الرسل وأنزل الكتب، حتى يجعل مرتكب هذا الذنب الذي هو الشرك في عبادة الله؛ قد فعل خطأ فقط، وأنه لا يبلغ به الشرك باللّه ﷻ.

٤ ـ الكاتب صرح بالتسوية بين دعاء الرب وبين دعاء المخلوق، وجعل الفرق بينهما اعتقاد الربوبية؛ فقال ص ١٣٠ ـ ١٣١: **[كأن أقول مخاطبًا ربي ومتوجها بقلبي إليه حال كون كأس الماء في يدي وعند شفتي، فأقول في دعائي للّه تعالى: سألتك أن ترويني من هذا الماء، فيكون دعائي دعاء عبادة بلا شك، ولو قلت لابني: يا بني أروني من هذا الكأس، لكان هذا دعاء مسألة وطلب، وليس من دعاء العبادة في شيء، ولا يشتبه به ولا يقول أحد يعقل بأنه شرك]**.

ثم أكّد هذا المعنى؛ فقال ص ١٣٠ ـ ١٣١:

[ولو دعوت اللّه في خروجي من البيت للمسجد القريب وأنا صحيح معافى آمن غير خائف فقلت مخاطبًا ربي: يسِّر لي بلوغي هذا المسجد وصلاتي فيه لكان هذا مني دعاء عبادة، رغم تيسر الأمر... مع أني لو قلت لجاري وأنا ذاهب للمسجد العبارة نفسها: يسر لي بلوغي المسجد وصلاتي فيه ليماشيني أو ليركبني لم يكن هذا من دعاء العبادة في شيء.. وذلك أن دعاء العبادة للّه ليس من شرطه أن يكون سؤالًا للّه ما لا يقدر عليه إلا اللّه حتى يكون مقابله وهو شرك الدعاء هو سؤال غير اللّه ما لا يقدر عليه إلا اللّه وإنما دعاء العبادة التوحيدية هو دعاء الرب المتفرد بالربوبية...].

والرد عليه:

أولًا: أن الطلب الذي ذكر مثالًا له، هو طلب من مخلوق فيما هو من قدرة المخلوق المعتادة وهو مما أذن الله فيه وأباحه لعباده كما قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢]، وكما قال تعالى: ﴿فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ [الكهف: ٩٥] وأما الطلب من الخالق فأَمْرٌ فوقَ ذلك وهو العبادة التي لا تصرف إلا لله قال تعالى: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] وقال: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون]، ففي المثال الذي شبّه به هذا الكاتب **[حال كون كأس الماء في يدي وعند شفتي فأقول في دعائي للّه تعالى: سألتك أن ترويني من هذا الماء]** وعند دعائه لابنه: **[يا بني أروني من هذا الكأس]**.

كيف يستوي دعاء اللّه وسؤاله بهذا الطلب من الولد إلا عند من عميت بصيرته!

فالرِّيُّ، وتيسيرُ دخولِ الماء في الجوف، والانتفاع به بالماء في الجسد، ونعمة وجود الماء بسهولة، وعدم وجود الغصّة والشرق به، وقدرة البلع، وسريانه في المريء، ومنه إلى الجوف والأمعاء، وانتفاع الجسد، وغير ذلك، مما لا يعلمه إلا اللّه، وليس في مقدور البشر، كيف يُسَوِّيه هذا الكاتب بما يفعله الابن عند قيامه بسقي أبيه من الماء!!

إن هذا التصرف من الابن تصرفٌ في مقدور البشر، ولا يصح تشبيه فعل الرب وقدرته بفعل العبد، ولا يصح قياس حاجة العبد السائل لربه وفقره إليه بالحاجات التي يطلبها من المخلوقين أمثاله؛ بل هذا المثال الذي أورده ينبئ عن استكبار في النفس؛ لأنه أهمل

جميع النعم التي يتفضل الله بها على عباده في سقيهم الماء وانتفاعهم به وجعل ذلك كله مثل ما يفعله المخلوق العاجز الناقص!!.

وهكذا في المثال الثاني وهو قول الكاتب ص ١٣٠: **[ولو دعوت اللّه في خروجي من البيت للمسجد القريب وأنا صحيح معافى آمن غير خائف فقلت مخاطبًا ربي: يسِّر لي بلوغي هذا المسجد وصلاتي فيه لكان هذا مني دعاء عبادة، رغم تيسر الأمر... مع أني لو قلت لجاري وأنا ذاهب للمسجد العبارة نفسها: يسر لي بلوغي المسجد وصلاتي فيه، ليماشيني أو ليركبني، لم يكن هذا من دعاء العبادة في شيء]**.

فكيف يقول: إن هذا الطلب من المخلوق مثل الطلب من الخالق!!

فهناك أفعال ونيات وأقوال لا تتيسر إلا بتيسير اللّه، كالمشي نفسه، والعزيمة التي في القلب، والتوفيق لذلك، وإزالة العوائق والصوارف، وبقاء الحياة في الجسد، وسلامة الأعضاء، وغير ذلك كثير، كيف يُسَوِّي هذا الكاتب أفعالَ الربِّ وقدرتَه وقوتَه وتدبيرَه بفعل العبد الذي سيركب معه إلى المسجد أو يمشي معه!

وفي مقابل هذه التسوية، يفتح المجال لجميع الاعتقادات الخرافية بحجة اعتقاده أن اللّه أذن للمخلوق بالتصرف! فتجد الكاتب يقول قبلها في ص ١٢٩: **[فلا يكون الاعتقاد في أحد أنه يفعل ما لا يقدر عليه إلا اللّه شركًا؛ إلا إذا اعتقد أنه يفعله بغير إذن اللّه]**، ويزيد على ذلك فيقول في ص ١٣١: **[بل قد يعلم العبد أن عبدًا من عباده قد أذن اللّه تعالى له بفعل من أفعال تدبيره ﷻ، كقبض الأرواح... وكالأرزاق والأمطار]**.

فصار الطلب من غير اللّه فيما لا يقدر عليه إلا اللّه ليس بشرك، ولكنه خطأ. ووجه الخطأ عنده حسب عبارته في ص ١٣٢: [لأنه طلب ممن لم يجعله الشرع سببًا للطلب]، وجعل الطلب من الله في الأمور اليسيرة بزعمه مثل الطلب من المخلوق حقًّا: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩١].

ثانيًا: وقوله في المثال الأول: **[حال كون الكأس في يدي وعند شفتي]** وفي المثال الثاني: **[رغم تيسر الأمر]**.

هذا القول من الكاتب يُفهم منه: الاستغناء، والشعور بعدم الحاجة إلى تيسير الرب وتوفيقه، وهذا من الغلط، فتيسر الأمر ليس في مقدور العبد كما يظن، وإنما العبد سبب، واستعمال المركبة سبب، وزوال الموانع سبب، وأمور أخرى ـ الله أعلم بها ـ، وهذه لا تجتمع إلا بتوفيق اللّه وتيسيره، فمن اعتمد على الأسباب، وجعل الأمر الذي يطلبه من اللّه كما يطلبه من الأسباب؛ فقد أساء الظن بخالقه.

وعلى هذا التقدير فالغني إذا قال: اللّهم ارزقني..

أو الصحيح المعافى إذا قال: اللّهم أعطني الصحة والمعافاة..

أو من رزقه اللّه بالأولاد إذا قال: اللّهم أعطني الولد..

فكل هؤلاء طلبوا أمرًا ممكنًا في عادتهم وحالهم، كحال من قال: أروني من الماء مخاطبًا ربه، ومن قال لولده: أروني من الماء؛ فكل هؤلاء قاموا بدعاء، ودعاؤهم نوع واحد!! ولا ريب أن هذا من تسوية الخالق بالمخلوق، ولو عقل ما يقول؛ لما كتبه ولا نطق به، واللّه المستعان.

وما كنت أظن أنَّ مسلمًا يقول مثل هذا، ولعله يتوب منه،

قال اللّه تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هؤلاء الضلال يجعلون المنفي عين المثبت، فيكون ما يضاف إلى الرب بطريق التوحيد؛ يضاف إلى غيره بطريق السبب والحكمة، ولهذا قالوا: إن كل ما يطلب من اللّه؛ يُطلب من غيره بهذا الطريق؛ فأشركوا في ربوبية اللّه، وفي دعاء اللّه وعبادته، حيث جعلوا ما يضاف إلى المخلوق يضاف إليه تعالى، فصار حقيقة قولهم: أن المخلوق تضاف إليه مفعولات اللّه كلها، ويطلب منه مقدورات الرب كلها؛ لما في الخلق من السبب والحكمة!!

ولم يعلم هؤلاء الجهال أن السبب لا يستقل بالتأثير، بل تأثيره متوقف على سبب آخر، وله موانع؛ وحينئذٍ فلا يجوز تخصيصه بالإضافة إليه، وإن كان سببًا.

وأيضًا فالأسباب التي نعرفها مضبوطة، وأكثر ما فعله اللّه ويفعله لا نعرف نحن أسبابه، وأيضًا أثبتوا أسبابًا في خلقه وأمره ونهيه ما أنزل اللّه بها من سلطان، بل إثباتها مخالف للشرع والعقل، فضلوا:

١/ في إثبات أسباب لا حقيقة لها.

٢/ وفي الإضافة إليها.

٣/ وفي تعليق الحوادث كلها بسبب واحد»[1].

ثالثًا: قوله ص١٣١: **[دعاء العبادة ليس من شرطه أن يكون سؤالًا للّه ما لا يقدر عليه إلا اللّه، حتى يكون مقابله [وهو شرك**

(١) الاستغاثة لابن تيمية ص٢١٧ ـ ٢١٨.

الدعاء] هو سؤال غير اللّه ما لا يقدر عليه إلا اللّه.. وأما الدعاء الشركي فهو دعاء غير اللّه بصرف شيء من خصائص الربوبية إليه..].

الرد عليه:

إن دعاء العبادة يشمل كل ما يطلبه الداعي ممن يدعوه، سواء كان سؤالًا وطلبًا صريحًا، أم كان تقربًا إليه بالعبادات؛ فالأول دعاء المسألة، والثاني دعاء العبادة.

والدعاء من أجل العبادات التي يتوجه بها العابد لمعبوده:

فإذا توجه به إلى اللّه، وأخلص الدعاء للّه؛ دعاء العبادة ودعاء المسألة؛ فهو المسلم الموحد.

وإذا لم يدع ربه واستكبر واستغنى عنه؛ فهو الجاحد الملحد قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر].

وإذا توجّه بالدعاء إلى اللّه وإلى غيره فهو المشرك؛ كما قال تعالى: ﴿فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [غافر: ٦٥] ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٤] وقال تعالى: ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر] وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن].

وهذا الشرك في الدعاء يحبط الأعمال، ويخرج من الملة، ويوجب الخلود في النار، قال اللّه تعالى: ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى

ﱡﭐٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ﱠ [غافر]، فحكم عليهم بالشرك، وأوجب خلودهم في النار، وبيّن أنهم وهم في النار علموا أنهم لم يكونوا يدعون في الدنيا شيئًا، وإنما هي أوهام وظنون.

رابعًا: المقابلة التي ذكرها بين أنواع الدعاء:

لم يقل أهل السنة والجماعة إن دعاء العبادة من شرطه أن يكون سؤالًا للّه ما لا يقدر عليه إلا اللّه، ومقابله هو سؤال غير اللّه ما لا يقدر عليه إلا اللّه.

بل يقابل دعاءَ اللّه ﷻ دعاءُ غير اللّه مطلقًا، كما في الآيات السابقة، وكما في الأحاديث ومنها: «**من مات وهو يدعو من دون اللّه ندًّا دخل النار**»[١].

وهذا يشمل ما إذا دعا فيما لا يقدر عليه إلا اللّه، أو دعا فيما يقدر عليه المخلوق أيضًا، وليس كما ادّعى الكاتب في مسألة المقابلة.

غير أنه إذا دعا المخلوقَ في شيء يقدر عليه وهو حاضر؛ فهذا في الأصل سؤال مذموم، وقد يكون مباحًا أو مشروعًا في أحوال معروفة، قال النبي ﷺ: «**إن اللّه في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه**»[٢].

لكن لو قُدِّرَ أنه قام بقلبه حينئذ الذل والخضوع وإسلام القلب له، وإنزال الفاقة به والتعظيم له؛ صار هذا شركًا أكبر، وعبودية لغير اللّه، لكن هذا أمر خفي، ولا يُحكم به إلا إذا أظهره بقول أو فعل.

(١) أخرجه البخاري (٤٤٩٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٩٩).

والعبادة تجمع بين كمال الذل والخضوع وكمال الحب والتعظيم، وهذا يظهر على القلب واللسان والجوارح، فالمشرك الذي يدعو غير اللّه وهو خاشع ذليل راغب راهب، يختلف عند كل العقلاء عن الذي يطلب من غيره أن يناوله سوطًا سقط منه، فالأول: شرك ظاهر، والثاني: ليس عبادة أصلًا؛ وإنما هو سؤال في أمرٍ مقدورٍ عليه من المسؤول الحاضر.

ومعاني الخضوع والذل والخوف والحب أصلها في القلب، ولها من الآثار على الجوارح واللسان ما لا يخفى.

وباعث المشرك ليس محصورًا في اعتقاد ربوبية المخلوق؛ كيف، ومعظم المشركين معترفون بعجز آلهتهم، وتفرد اللّه بالخلق والملك والتدبير.

خامسًا: ومما يُردُّ به على الكاتب: أن الأصل في سؤال المخلوقين المنع، كما دلت على ذلك الأحاديث، وإنما يباح بقدر الضرورة، وما أورده الكاتب من مثال؛ فهذا ليس فيه إنزال الفاقة بهم ولا شكوى إليهم.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «سؤال المخلوقين فيه ثلاث مفاسد: مفسدة الافتقار إلى غير اللّه وهي من نوع الشرك، ومفسدة إيذاء المسؤول، وهي من نوع ظلم الخلق، وفيه ذل لغير اللّه وهو ظلم النفس»[(١)].

وقال أيضًا: «سؤال الخلق والاستغاثة بهم حرام في الأصل؛ لا يباح إِلَّا لضرورة، وهو في الأظهر أشد تحريمًا من الميتة؛ فكيف يقال: إنّه مأمور به فيما لا يقدر عليه الخلق؟ وهل قال أحد: إنَّ

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص ٧٠.

سؤال المخلوق والاستغاثة به فيما لا يقدر عليه إلا اللّه تعالى مأمور به أو مباح؟!»[(١)].

وعن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**من نزلت به فاقة فأنزلها بالناس لم تُسد فاقته، ومن نزلت به فاقة فأنزلها باللّه، فيوشك اللّه له برزق عاجل أو آجل**»[(٢)]..

وعن عوف بن مالك الأشجعي قال: كنا عند رسول اللّه ﷺ تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال: «**ألا تبايعون رسول اللّه؟ وكنا حديث عهد ببيعة. فقلنا: قد بايعناك يا رسول اللّه. ثم قال: ألا تبايعون رسول اللّه؟ فقلنا: قد بايعناك يا رسول اللّه. ثم قال: ألا تبايعون رسول اللّه؟ قال: فبسطنا أيدينا وقلنا: قد بايعناك يا رسول اللّه، فعلام نبايعك؟ قال: «على أن تعبدوا اللّه ولا تشركوا به شيئًا، والصلوات الخمس، وتطيعوا، ـ وأسرّ كلمة خفية ـ، ولا تسألوا الناس شيئًا**». فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحدًا يناوله إياه»[(٣)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وأصل سؤال الخلق الحاجات الدنيوية التي لا يجب عليهم فعلها، ليس واجبًا على السائل ولا مستحبًّا، بل المأمور به سؤال اللّه تعالى والرغبة إليه والتوكل عليه.

وسؤال الخلق في الأصل محرم، لكنه أبيح للضرورة، وتركه توكلًا على اللّه أفضل، قال تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝ وَإِلَىٰ رَبِّكَ

---

(١) الاستغاثة في الرد على البكري ص٢٠٧.
(٢) أخرجه أحمد (٣٦٩٦)، وأبو داود (١٦٤٥)، والترمذي (٢٣٢٦) واللفظ له، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب انظر: الصحيحة (٢٧٨٧).
(٣) مسلم (١٠٤٣).

فَٱرۡغَب ﴿٨﴾ [الشرح] أي ارغب إلى اللّه تعالى لا إلى غيره»[(١)].

وقال أيضاً في رده على البكري: «وأما قوله: المراد بالخبر التنبيه على الرجوع إلى اللّه تعالى بالقلب لا ترك السبب، بل أن يذكر اللّه في ذلك السبب.

فيقال: الأسباب نوعان: سبب مأمور به، فهذا طاعة وعبادة للّه، كطلب الرزق؛ بالصناعة والتجارة، وكدفع العدو بالقتال، والأكل عند الجوع، واللباس عند البرد، فهذا ليس فيه إنزال الفاقة بهم ولا شكوى إليهم، وأمّا نفس سؤال النَّاس؛ فسؤالهم في الأصل محرم بالنصوص المحرمة له، وإنّما يباح عند الضّرورة.

وتنازع العلماء هل يجب سؤالهم عند الضّرورة؟ فالمنصوص عن أحمد أنّه لا يجب سؤال الخلق، مع إيجابه مع غيره من الأئمة الأربعة وغيرهم الأكل من الميتة عند الضّرورة، فإن اللّه لم يوجب سؤال الخلق، بل قد وصّى النّبيّ ﷺ طائفة من أصحابه أن لا يسألوا النَّاس شيئًا، فكان أحدهم إذا سقط سوطه، لا يقول لأحد ناولني إياه، منهم أبو بكر الصديق ﵁، وصاحب الفاقة إذا سأل اللّه تعالى أنزلها بالغني العليّ العلّيم القدير...

وعلى هذا فليس للسائل أن يسأل من لا فضل عنده، وليس له أن يتعدى في السؤال على الناس، وليس له أن يجزع ويعدل عن الصبر الجميل، وعليه أن يرغب إلى اللّه تعالى ويتوكل عليه بها، وحينئذٍ فلا يكون قد أنزلها بالناس، مع أن القول الأوّل وهو عدم وجوب السؤال أظهر، فإن النصوص تقتضي أن ترك سؤال الخلق أفضل مطلقًا...»[(٢)].

---

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص ٥٣ ـ ٥٤.

(٢) الاستغاثة في الرد على البكري ص٢٠٥ ـ ٢٠٧.

وقال أيضًا: «وكما فعل هذا الضال أخذ لفظ الاستغاثة؛ وهي تنقسم إلى الاستغاثة بالحي وبالميت؛ والاستغاثة بالحي تكون فيما يقدر عليه وما لا يقدر عليه؛ فجعل حكم ذلك كله واحدًا[(١)]، ولم يكفِه حتى جعل السؤال بالشخص من مسمى الاستغاثة أيضًا، ولم يكفه ذلك حتى جعل الطالب منه إنما طلب من اللّه لا منه، فالمستغيث به مستغيث باللّه تعالى، ثم جعل الاستغاثة بكل ميت من نبي وصالح جائزة[(٢)]، واحتج على هذه الدعوى العامة الكلية ـ التي أدخل فيها من الشرك والضلال ما لا يعلمه إلا ذو الجلال ـ بقضية خاصة جزئية، كسؤال الناس للنبي ﷺ في الدنيا والآخرة أن يدعو اللّه تعالى لهم؛ وتوجههم إلى اللّه تعالى بدعائه وشفاعته، ومعلوم أن هذا الذي جاءت به السنة حق لا ريب فيه، لكن لا يلزم من ذلك ثبوت جميع تلك الدعاوى العامة وإبطال نقيضها، إذ الدعوى الكلية لا تثبت بمثال جزئي لا سيما مع الاختلاف والتباين»[(٣)]. فعُلِمَ مما تقدم أن السؤال لغير الله مذموم، وإنما أبيح بقدر الضرورة فيما يقدر عليه المخلوق الحاضر، وليس فيه إنزال الفاقة به والشكوىٰ إليه.

سادسًا: أهل النحو يقولون. إنَّ الفعل: ماضٍ ومضارع وأمر. فالأمر: طَلَبٌ من الأعلى إلى الأدنى، فكلّ طلب من اللّه لخلْقه فهو أمر، أو من الأعلى من البشر للأدنى. أما إنْ كان الطلب من مُسَاوٍ لك ـ وجميع البشر متساوون في الخلق والحياة ـ فهو التماس أو

(١) كحال هذا الكاتب.

(٢) قارن بينه وبين ما قرره الكاتب في ص ١٢٩ حيث يقول: **[فلا يكون الاعتقاد في أحد أنه يفعل ما لا يقدر عليه إلا اللّه شركًا؛ إلا إذا اعتقد أنه يفعله بغير إذن الله]**، ويقول في ص ١٣١: **[بل قد يعلم العبد أن عبدًا من عباده قد أذن اللّه تعالى له بفعل من أفعال تدبيره ﷻ، كقبض الأرواح... وكالأرزاق والأمطار]**. وانظر ما سيأتي ص٧٦١.

(٣) الاستغاثة في الرد على البكري ص٣٥٢ ـ ٣٥٣.

رجاء. فإنْ كان الطلب من الأدنى للأعلى، كطلب العبد من ربه فهو دعاء. وصيغة (افعل) ونحوها مما يفهم منه الطلب، تختلف بحسب السياق، والدعاء عند علماء البلاغة نوع من أنواع الطلب، وذلك عندما يكون من الأدنى إلى الأعلى.

وأما الأمر فهو طلب الفعل على وجه العلو؛ أي: يكون من الأعلى إلى الأدنى، وإذا كان الطلب من المثل إلى مثله فهو الالتماس.

فهذه الصيغة ثلاث صور: تكون من الأدنى إلى الأعلى فتسمى دعاءً، وتكون من الأعلى للأدنى فتسمى أمرًا، وتكون من المساوي فهي التماس وسؤال.

والذين يدعون الموتى والغائبين؛ إنما حالهم حال مَنْ يرى نفسه أدنى ممن ناداهم وهتف بأسمائهم، يطلب منهم الشفاء أو النصر أو الرزق أو الولد أو النجاة من الشدائد أو غير ذلك، فلا يستريب عاقل أنه يدعوهم ويسألهم!

وهذا الدعاء هو حق اللّه تعالى، فإذا صرفه لغيره أشرك باللّه الشرك الأكبر.

وأما سؤال الحاضر ما يقدر عليه، فليس مثل سؤال الميت والغائب، فقد يكون أمرًا كالأب إذا طلب من ابنه شيئاً، والأمير إذا طلب من الرعية أمراً.

ولا يقال كما ادعى الكاتب ص ١٣٠: **[ولو قلت لابني: يا بُنيّ اروني من هذا الكأس لكان هذا دعاء مسألة وطلب]** فليس هذا الخطاب الموجّه من الأب إلى الولد دعاء مسألة وطلب، بل هذا أمر مُوَجّهٌ إلى حي حاضر من البشر وفي أمر يقدر عليه، وهذا (الأمر) يختلف عن (الدعاء) عند جميع العقلاء.

وكذلك قول الكاتب ص ١٣١: **[لو قلت لجاري وأنا ذاهب للمسجد العبارة نفسها: يسِّر لي بلوغ المسجد وصلاتي فيه ليماشيني أو ليُركبني لم يكن هذا من دعاء العبادة]**.

فيقال له: قوله: **[يَسِّر لي... ليماشيني]** ليس من الطلب في شيء بل هذا من تشويش الكاتب، فقوله: **[ليركبني]**، هذا الطلب من جارك أو غيره من السؤال المكروه، الذي ينبغي الاستغناء عنه إلا عند الضرورة والحاجة، وأما الكمال فأن تستغني عن ذلك بالمشي، أو بما يسّر اللّه من المراكب التي توصلك، وسؤال المخلوق الحاضر أمرًا يقدر عليه ليس عبادة، ولا يوجد فيه خضوع وذل وتعظيم، ولو قُدِّر وجود ذلك في القلب؛ لصار داخلًا في عبادة غير اللّه كما جاء في الحديث: «**تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم...**».

والكاتب ادّعى أن دعاء العبادة ليس متعلقه بما لا يقدر عليه إلا اللّه، أو ما يقدر عليه غير اللّه، وإنما مرده إلى اعتقاد ربوبية المدعو!

فانتبه لهذا؛ واعلم أن الدعاء عبادة للّه تعالى لا يصرف لغيره، ومتعلقه هو نفس ما يقوم بقلب العبد وبلسانه وجوارحه من الخضوع والذل والخوف والتعظيم.

ولو قال العبد لعبد آخر: اروني من هذا الكأس، وهو يعتقد ربوبية العبد المدعو! فهذا كفرٌ آخرُ غيرَ الكفرِ الأول، وهو صرف الخضوع والذل والتعظيم له.

فإذا أشرك في الألوهية فقد كفر.

وإذا أشرك في الربوبية فقد كفر أيضًا.

ودعاة الشرك سوّوا بين المختلفات، وناقضوا الشريعة؛ فجعلوا دعاء اللّه مثل دعاء المخلوقين لبعضهم.

سابعًا: إن المخلوق لا يُطلب منه إلَّا ما في مقدوره واستطاعته، والميت لا قدرة له، ولا استطاعة له، ولا تصرّف له، وكذلك الغائب، مثل: الجنِّي والمَلَك الذي لا يشاهَد ولا يُرى؛ فإنه لا يُسأل ولا يُطلب منه، سواءً ادُّعي أنه ولي من أولياء اللّه، أو نبي من أنبياء اللّه، أو ملك من الملائكة أو غير ذلك، فإن اللّه جلَّ وعلا تعبَّد العباد بأنه وحده سبحانه الذي يملك النفع ويدفع الضر، وأنه لا أحد من خلقه يشاركه في هذا، فهو الذي يُدْعى وحده لا شريك له.

ولهذا أمر رسولَه ﷺ أن يقول للناس: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي ضَرّٗا وَلَا نَفۡعًا﴾ [يونس: ٤٩]، وأمره أن يقول: ﴿قُلۡ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٞ وَلَنۡ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدًا ٢٢﴾ [الجن]، فهذا أفضل الخلق صلوات اللّه وسلامه عليه، يأمره ربه جلَّ وعلا أن يتبرأ إلى إليه جلَّ وعلا بأنه لا يملك مما في يد اللّه شيئًا.

ثامنًا: أن اللّه ﷻ جعل من دلائل بطلان شرك المشركين أنهم يدعون من دون اللّه أمواتا؛ فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ٢٠ أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ٢١﴾ [النحل]، والذي يُبعث إنما هو المكلف من الجن والإنس، وكذلك يبعث اللّه (الحيوانات)، فعلمنا أن المراد بذلك من يُسْتغاث بهم مِنَ الذين كانوا أحياء ثم ماتوا، وليس المراد الأصنام أو الأشجار أو الأنصاب، فتأمل ذلك جيدًا.

والمقصود أن من علامات بطلان الشرك بهم كونهم أمواتًا، وكونهم لا يشعرون متى يُبْعثون، ولهذا كان من علامات التوحيد، ووجوب إفراد اللّه تعالى بالعبادة والتوكل، أنه سبحانه الحي الذي لا يموت، قال جل وعلا: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨] وقال ﷺ: «**اللّهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك**

أنبت، وبك خاصمت، اللّهم إني أعوذ بعزتك، لا إلٰه إلا أنت أن تضلني، أنت الحي الذى لا يموت، والجن والإنس يموتون»[(١)].

فمن العجب الذي لا ينقضي أن دعاة الشرك جعلوا الأموات محلًّا للعبادة والدعاء والاستغاثة وإنزال الحاجات، وينتظرون من الميت إجابة الدعوات ورفع الشفاعة للّه، وأن يقوم بالدعاء نيابة عنهم، فهذا ضد ما قرره القرآن والسنة.

وسائر دعاة الشرك يحتالون لخداع الجهّال، بأن الأموات يتصرفون بأمور لا يقدر عليها إلا اللّه، ويقولون: إن اعتقدوا فيهم التصرف في الكون فقد أخطأوا باعتقادهم فيمن عبدوهم أن اللّه أذن لهم.

وقول الكاتب: **[أوْ لا يُعلم أن اللّه تعالى قد أذن له بذلك].**

يعني بذلك: أنه بالفعل أذن اللّه لهم بالتصرف في الكون فيما لا يقدر عليه إلا اللّه ـ لكن نحن لا نعلم بذلك الإذن!! ـ، فصار اعتقادهم بالشرك في الربوبية ليس خطأ!!

فهو يقول: ما المانع أن اللّه أذن لهم، لكن نحن لا نعلم!

فهو يستدرج القارئ، فيُوهمه أنه لا يصحح اعتقاد من يعبدُ الأموات بأن اللّه أذن لهم بالتصرف في الكون، ويُظهر للقارئ أنه اعتقاد خطأ بقوله: **[والصحيح أن اللّه تعالى لم يأذن له بذلك]**، ثم يُتبعه بقوله **[أوْ لا يُعلم أن اللّه قد أذن له]** فيكون معنى العبارة: ويحتمل أن الصحيح أنه لا يعلم أن اللّه أذن له! فعليه لا يصح أن تنفي هذا الاحتمال! فمن الممكن أن اللّه قد أذن لهم بالتصرف!!

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣٨٣)، ومسلم (٢٧١٧).

أرأيت أيها القارئ كيف يتلاعب بالألفاظ، ويصحح عقائد الذين يدعون في معبوداتهم أنهم يتصرفون في الكون ويَرزقون ويُحيون ويُميتون!!

فعاد كلامه إلى القول باحتمال تصحيح اعتقاد التصرف في الكون لغير اللّه، وأن هذا قد يكون، وأنه بإذن الرب، فإذا كان الأمر كذلك، بحسب افترائه فلا يكون من سأل هذا المخلوقَ المأذونَ له بالتصرف وطلب منه أمرًا لا يقدر عليه إلا اللّه مشركًا.

وكل مسلم يؤمن باللّه وبكتابه وبرسوله، يعلم يقينًا أن اللّه تعالى لم يجعل غيره متصرفًا في الكون مدبرًا له، بل جميع الخلق مربوبون مقهورون، لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًّا، فضلًا عن غيرهم.

قال العلامة صنع اللّه الحلبي المكي الحنفي (ت ١١٢٠) رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وإنه قد ظهر الآن فيما بين المسلمين جماعات يدعون أن للأولياء تصرفات في حياتهم وبعد الممات، ويستغاث بهم في الشدائد والبليات، وبهممهم تنكشف المهمات، فيأتون قبورهم وينادونهم في قضاء الحاجات، مستدلين على أن ذلك منهم كرامات.

وجوّزوا لهم الذبائح والنذور، وأثبتوا لهم فيهما الأجور.

وهذا كما ترى كلام فيه تفريط وإفراط، وغلو في الدين بترك الاحتياط، بل فيه الهلاك الأبدي، والعذاب السرمدي، لما فيه من روائح الشرك المحقق، ومصادرة الكتاب العزيز المصدق، ومخالف لعقائد الأئمة وما اجتمعت عليه الأمة. فكل بناء على غير أصولهم تلبيس، وفي غير مناهجهم مخايل إبليس.

وفي التنزيل: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ [النساء].

وقال أيضًا: «والاستغاثة تجوز في الأسباب الظاهرة العادية من الأمور الحسية في قتال أو إدراك عدوّ أو سَبُع ونحوه، كقولهم: يا لَزَيد! يا لَقومي! يا لَلمسلمين! كما ذكروا ذلك في كتب النحو بحسب الأسباب الظاهرة بالفعل.

أما الاستغاثة بالقوة والتأثير، أو في الأمور المعنوية من الشدائد كالمرض وخوف الغرق والضيق والفقر وطلب الرزق ونحوه فمن خصائص اللّه، فلا يذكر فيها غيره، قال جل ذكره: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٦٧]، فنفى دعاء غيره، فتعين انفراده به، فاعقد على مثله، ولا تكن ممن ضل بعقله ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [غافر]. . .

وأما كونهم معتقدين التأثير منهم، وأن لهم التصرف في قضاء حاجاتهم، كما تفعله جاهلية العرب والصوفية الجهال، ويناديونهم ويستنجدون بهم، فهذا من المنكرات؛ لأن الأحياء إذا انتفى عنهم التصرف ـ كما مرَّ آنفًا ـ فكيف يثبت للأموات؟!. . . وأما كونهم مستدلين على أن ذلك منهم كرامات؛ فحاشا للّه أن تكون أولياء اللّه بهذه المثابة، وأن يظن بهم أن دفع الضر وجلب النفع منهم كرامة؛ فهذا ظن أهل الأوثان، كما أخبر الرحمٰن: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]، ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]. وأما أهل الإيمان فليس لهم غير اللّه دافع، ومنه تحصل المنافع، قال جل ذكره: ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ﴾ [الأنعام: ٤٠ ـ ٤١] ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا﴾ [يس: ٢٣].

فإنَّ ذِكْرَ ما ليس مِنْ شأنه النفعُ ولا دفعُ الضر من نبيٍّ ومَلَك

وولي وغيرهم على وجه الإمداد منه، إشراك مع اللّه، إذ لا قادر على الدفع غيره ولا خير إلا خيره»[(١)].

تاسعًا: أما دعواه أنه قد يأذن اللّه لبعض عبيده فيما لا يقدر عليه إلا اللّه، فالرد عليه: بأن الكتاب والسنة قد جاء فيهما البيان أنه لا يملك هذه الأمور إلا اللّه وحده، وأن اللّه لم يأذن لأحد بقدرة ليتصرف في الكون استقلالًا، أو إعانة، أو فيما لا يقدر عليه إلا اللّه، وإنما هم منفذون لأمر اللّه طائعون له، قال تعالى في الملائكة: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ [مريم: ٦٤] وقال تعالى عن الملائكة: ﴿۞وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنبياء].

وقوله: **[أو لا يُعلم أن اللّه قد أذن له]**، جوابه: بل علمنا أن اللّه اختص بذلك.

عاشرًا: وأما ذكره لمسألة المعجزات والكرامات، فهو خطأ واضح؛ فإن المعجزات من اللّه، وليست من النبي، وكذلك الكرامات، وقد أمر اللّه أول الرسل وهو نوح ﵇ وآخرهم وهو محمد ﷺ بنفي ذلك، فقال تعالى عن نوح ﵇: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ﴾ [هود: ٣١] وقال آمرًا نبيه محمدًا ﷺ أن يقول: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ﴾ [الأنعام: ٥٠] فكيف بمن دونهما، بل حتى الملائكة لا يملكون ذلك.

وقول الكاتب ص ١٢٧: [لكنّ اللّه يمكّن منه بعض خلقه بإذنه كمعجزات الأنبياء وكرامات الأولياء... لأن الأنبياء قد عملوا أعمالًا

---

(١) سيف اللّه على من كذب على أولياء اللّه ص ٢٢ ـ ٢٣ و٥١ ـ ٥٩.

لا يقدر عليها إلا اللّه، لكن بإذن اللّه وتمكينه..] وقال الكاتب ص١٢٩ عن نبي اللّه عيسى عليه السلام: [فهذا إحياء للموتى، وخلْقٌ من الطين، ونفخٌ للحياة فيه، وإخبار بالمغيّبات...].

والرد عليه: أن اللّه تعالى أقام لنبيه عيسى ابن مريم من الآيات ما دلَّهم أنه رسول اللّه حقًا ونبيه صدقاً؛ ولهذا قال: ﴿...أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ [آل عمران: ٤٩] يطير، أي: أُصوِّرُه على شكل الطير ﴿فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي: طيرًا له روح يطير بإذن اللّه.

فمعنى ﴿أَخْلُقُ﴾، أي: أُصَوّرُ، وأُقَدِّر، فهو يعمل شيئًا على هيئة الطير، كالخفاش، ويُصوّره، ويشكّله، ثم ينفخ فيه الروح، فيكون طيرًا بإذن اللّه، وهذا آية وبرهان لهم أنه نبي اللّه ورسوله.

فالمراد بالخَلْق: التقدير والترتيب، لا الإنشاء والاختراع، وهذا بإجماع من المفسرين[(١)].

قال الجوهري في «صحاحه»: يقال: «خلقتُ الأديم، إذا قدَّرتَهُ، قال زهير:

ولأنت تفري ما خلقتَ وبعـ ـضُ القوم يخلُقُ ثم لا يَفْرِي

وقال الحجاج: ما خلقتُ إلَّا فريتُ، ولا وعدتُ إلَّا وَفَّيتُ»[(٢)].

قال الخطابي: (الخالق: هو المبدع للخلق المخترع له على غير مثال سابق، قال سبحانه: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾ [فاطر: ٣]؛ فأما في

---

(١) أشار إلى ذلك في تفسير المنار ٣/٢٥٥، وانظر: دفع إيهام الاضطراب من آيات الكتاب للشنقيطي ص٤٠.
(٢) الصحاح للجوهري ٤/١٤٧١.

نعوت الآدميين فمعنى الخَلْق: التقدير، كقوله ﷻ: ﴿أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ﴾..) [آل عمران: ٤٩][(١)].

والخَلْق بهذا المعنى يجوز أن يُطلق على العباد مع القرائن الدالة عليه، وذلك من جملة أفعالهم التي مَكَّنهم اللّه تعالى منها بمشيئته وقدره وسابق علمه وتقديره، وهذا الخَلْق يقدر عليه عامة الناس، فإنه يمكن أحدهم أن يُصوّر من الطين كهيئة الطير، وغير الطير من الحيوانات، ولكن هذا التصوير محرم، بخلاف تصوير المسيح، فإن اللّه أذن له فيه.

أما الخَلْق بمعنى الإيجاد من العدم؛ فاللّه تعالى قال في محكم كتابه: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝٦٢﴾ [الزمر]، وقال تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [فاطر]، وقال تعالى: ﴿أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾ [الرعد: ١٦].

وعيسى إنما هو يَخْلق بمعنى: يُقَدّر ويُصَوّر، ويجعل الطين على هيئة معينة فقط، فلم يذكر اللّه عنه إلا خَلْق شيءٍ معيّنٍ خاصٍ بإذن اللّه، فكيف يكون فعل الخالق جل جلاله هو عين ما يفعله نبي اللّه عيسى؟!!

قال البغوي في تفسيره: «قال وهب: كان يَطير ما دام الناس ينظرون إليه، فإذا غاب عن أعينهم سقط ميتا، ليتميز فعل الخلق من فعل الخالق، وليعلم أن الكمال للّه ﷻ»[(٢)].

والمعجزة أنه ينفخ فيه الروح فيصير طيرًا بإذن اللّه ﷻ، ليس

(١) شأن الدعاء للخطابي ص٤٩.
(٢) تفسير البغوي ٢/٣٩ ـ ٤٠.

المعجزة مجرد خلقه من الطين، فإن هذا مشترك، وقد لعن النبي ﷺ المصوِّرين، وقال: «إن أشد الناس عذابًا يوم القيامة المصورون»[١]، ثبت في الصحيحين أنه يقال للمصوِّرين: «**أحيوا ما خلقتم**»[٢] أي: ما صوَّرتم، فسمى التصوير خلقًا.

وكذلك قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤] وقوله: ﴿وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ﴾ [العنكبوت: ١٧].

فالخَلْقُ يأتي في اللغة بمعنى: الإيجاد من العدم والإنشاء والاختراع والبرء، وهذا خاص باللّه تعالى.

ويأتي بمعنى: التقدير والتصوير والتهيئة؛ فهذا يوصف اللّه تعالى به وهو على وجه الكمال ولا يماثله المخلوق فيه، ويوصف أيضًا به المخلوق بما يليق بضعف المخلوق ونقصه وعجزه.

ولهذا قال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ﴾ [الفرقان: ٣]، ومن المعلوم أن من جملة أولئك الآلهة الذين اتخذهم الكفار: الملائكة والجن والمسيح عليه السلام، قال تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ﴾ [المائدة: ١٧]، وقال اللّه تعالى حاكيًا عن الملائكة أنهم قالوا عن الكفار: ﴿بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ﴾ [سبأ: ٤١]، فقد صح بنص هذه الآية أن الملائكة والجن والمسيح عليه السلام لا يخلقون شيئًا أصلًا.

والنبي ﷺ قال: «**إذا مرَّ بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث اللّه إليها ملكًا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها، ثم قال: يا رب أذكر أو أنثى، فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك،**

(١) البخاري (٥٩٥٠)، ومسلم (٢١٠٩).
(٢) البخاري (٢١٠٥)، ومسلم (٢١٠٧).

ثم يقول: يا رب أجله؟ فيقول ربك ما شاء، ويكتب الملك، ثم يقول: يا رب رزقه؟ فيقول ربك ما يشاء، ويكتب الملك، ثم يخرج الملك بالصحيفة في يده، فلا يزاد على أمر ولا ينقص». رواه مسلم من حديث حذيفة بن أسيد الغفاري[(١)].

فقوله ﷺ: «**وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها**»، فالملائكة رسل اللّه في الخَلْق، فجاز أن يضاف الفعل إلى الوسائط تارة، وإلى الرب أخرى، وهذا موجود في الكتب الإلهية في غير موضع كما في القرآن: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]، وفي موضع آخر: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الأنعام].

واللّه لم يذكر عن المسيح خلقًا مطلقًا، ولا خَلْقًا عامًّا، كما ذكر عن نفسه تبارك وتعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾﴾ [العلق]، ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحشر: ٢٤]، فذكر نفسه بأنه الخالق البارئ المصور، ولم يصف قط شيئًا من المخلوقات بهذا لا مَلَكًا ولا نبيًا.

وأيضًا فإن اللّه أخبر المسيح أنه إنما فعل التصوير والنفخ بإذنه تعالى، وأخبر المسيح عليه السلام أنه فعله بإذن اللّه، وأخبر اللّه أن هذا من نعمه التي أنعم بها على المسيح عليه السلام، كما قال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾﴾ [الزخرف]. فهو عبد منعم عليه بنعمة خاصة، ولا يدل ذلك على أنه شريك للّه في الخلق![(٢)].

---

(١) رقم (٢٦٤٥).

(٢) انظر: الجواب الصحيح ٢٥١/٣، و٤٤/٤ ـ ٤٦، الفصل لابن حزم ٣٨/٣.

فعلمنا مما تقدم أن اللّه تعالى هو الذي تفرد بالخلق والإيجاد، ولا خالق غير اللّه تبارك وتعالى، وعلمنا بطلان قول الكاتب: [لكنّ اللّه يمكّن منه بعض خلقه بإذنه كمعجزات الأنبياء وكرامات الأولياء... لأن الأنبياء قد عملوا أعمالًا لا يقدر عليها إلا اللّه، لكن بإذن اللّه وتمكينه...فهذا إحياء للموتى، وخلْقٌ من الطين، ونفخٌ للحياة فيه، وإخبار بالمغيّبات...].

ومراد دعاة الشرك المتأخرين أن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يخلق مع اللّه، وأن الأولياء يخلقون مع اللّه، ثم يقولون: بإذن اللّه، ويريدون بذلك أن يتوجهوا لهم بالدعاء والعبادة بدعوى إمكان أن اللّه أقدرهم على التصرف بإذنه، وهذا شرك في الربوبية وشرك في الألوهية، وكذلك القول في الإخبار بالغيب، وإحياء الموتى!!

ومما ألّفه بعض الخرافيين كتاب: (نفحات القرب والاتصال بإثبات التصرف لأولياء اللّه تعالى بعد الانتقال) لشهاب الدين أحمد الحموي الحسيني[(١)].

ومثله كتاب: (الآيات البينات في إثبات كرامات الأولياء في الحياة وبعد الممات)، لأحمد الأنصاري البرلسي، وغيرهما من كتب الخرافيين دعاة الشرك، وبمثل هذه الكتب الخرافية، يُراد أن تُهْدم العقيدة، ويذهب التوحيد، ويحل مكانه الشرك، ولذا وجب الحذر منها ومن دعاتها.

قال الشيخ عبد الرحمٰن بن حسن رَحِمَهُ اللَّهُ:

«ومن العجب: استدلال هؤلاء المشركين بما ظهر من آثار تحقيق التوحيد فيمن ظهر فيه شيء من ذلك على أن يجعله للّه شريكًا

---

(١) نشر: دار جوامع الكلم، القاهرة.

في عبادته، وقد قال تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف]، وهو صاحب المعجزات ﷺ، وقد قال لمن قال له: ما شاء اللّه وشئت: «أجعلتني للّه نداً؟ بل ما شاء اللّه وحده»[1] وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾﴾ [فصلت]، وما أعطي أحد من هذه الأمة بعد نبيها ما أُعطي عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ، كما قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ﴾ إلى قوله: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى﴾ [المائدة: ١١٠].

فما أوجب ذلك أن يُعبد بشيء من أنواع العبادة؛ بل أنكر تعالى على النصارى اتخاذهم له إلهًا بالعبادة، كما قال اللّه تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ﴾ [المائدة: ١١٦ ـ ١١٧] الآية.

والكرامة قد تقع للمفضول دون الفاضل... ولا يخفى أن أكثر ما يقع لبعض المتأخرين مما يظن الجاهلون أنها من الكرامات أكثرها أحوال شيطانية...

وقد تقدم أن المعجزات التي وقعت للرسل أعظم وأعظم، فصارت إعلامًا على صدقهم فيما دعوا إليه من تجريد التوحيد، وإخلاص العبادة للّه وحده لا شريك له، فلم تكن دليلًا على أنه يجوز أن يُستغاث بهم، أو يُعتقد فيهم بما لا يجوز اعتقاده في أحد

---

(١) أخرجه أحمد (١٨٣٩) والبخاري في الأدب المفرد (٧٨٧) وابن ماجه (٢١١٧) والطحاوي في شرح المشكل (٢٣٥).

سوى اللّه من نفع أو ضر، أو رغبة أو رهبة، والقرآن ينادي بهذا في كل سورة».

ثم نقل عن القرطبي[١] قوله: «قال علماؤنا رحمهم اللّه من أظهر اللّه على يديه ممن ليس بنبي كرامات وخوارق للعادات فليس ذلك دالًّا على ولايته، خلافًا لبعض الصوفية والرافضة»[٢].

حادي عشر: أن دعوى الإذن من اللّه لهؤلاء الموتى بالتصرف من أعظم الافتراء على اللّه تعالى، قال تعالى ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الأنعام: ٢١] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [يونس]؛ فالافتراء على اللّه، والقول عليه بغير علم من أعظم الذنوب، فكيف إذا أضاف لذلك تهوين دعائهم من دون اللّه والاستغاثة بهم، وسبق الكلام عن هذا المعنى[٣].

وإنني لأتعجب من الكاتب عندما يقول في ص ١٣١ السطر ١٤ عن اعتقاد هؤلاء أن اللّه أذن لبعض العباد بالتصرف في الكون: **[فهو خطأ ولا شك، وهو خطأ قد يؤدي إلى شنائع من البدع..]**. وقوله في ص ١٣٢: **[مخطئًا في ظنه... ومخطئًا في سؤاله]**، وقوله في أول كلامه ص ١٦: **[أنا أحرم التوسل بالموتى وأستنكر الاستغاثة بالمقبورين]**.

هل الكاتب يعتقد بالفعل أنها شنائع من البدع، ويرى تحريمها؟!

إن كان صادقًا، فلماذا يحيل إلى كتاب مشتمل على شنائع من البدع حسب وصفه؟!

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/٢٩٧.
(٢) كشف ما ألقاه إبليس من البهرج والتلبيس ص ١١٠ ـ ١١٤.
(٣) انظر ما تقدم، ص٦٥٧.

ثاني عشر: سبق أن الكاتب زعم في ص ١٣١، ومواضع أخرى أن الدعاء الذي يكون شركًا هو: **[دعاء غير اللّه بصرف شيء من خصائص الربوبية إليه]**.

وهذا باطل كما تقدم، وصرف خصائص الربوبية لغير اللّه كفر مستقل حتى لو لم يَدْعُ ذلك الغير، ومما يوضح الأمر: أنه لو كان الفارق في وصف الدعاء بالشرك هو اعتقاد الربوبية أو خصائصها، لقيل فيمن يدعو هبل واللات والعُزّى ويطلب شفاعتهم: هل تعتقد فيهم خصائص الربوبية أم لا؟ فإن قال: لا أعتقد، أو قال: أعتقد أن اللّه أذن لهم، أو قال: إنهم يسمعون ندائي ولهم قدرة في التصرف بإذن اللّه؛ للزم هذا الكاتب أن يرفع عنهم وصف الشرك، ويجعلهم مجرد مخطئين فقط.

ثالث عشر: من الرد على الكاتب؛ ما قاله الشيخ عبد اللّه أبا بطين رَحِمَهُ اللَّهُ، في رده على شبهات أثارها داود بن جرجيس، أحد الدعاة إلى الشرك، تتعلق بقضايا في توحيد الألوهية، وهو رد عظيم نافع جداً؛ حيث يقول:

«ذو الفطرة السليمة وإن كان جاهلًا، يُفَرِّقُ بين الطلب من الحي الحاضر مما في يده، وبين الطلب من الميت والغائب.

ولا يُسَوِّي بين الحي والميت إلا من اجتالته الشياطين عن الفطرة التي فطره اللّه عليها، أو إنسان أعماه الهوى والتقليد، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾ [فاطر: ٢٢]. معنى ذلك: أنه لا يستوي المؤمن والكافر كما لا يستوي الحي والميت، شبّه المسلم بالحي والميت بالكافر، فلما كان معلومًا من المخاطبين أن الحي والميت لا يستويان، يقول سبحانه فكذلك المؤمن والكافر، فمن

سوّى بين الحي والميت بقوله: (يُطْلب من الميت ما يُطْلب من الحي) فقد سوّى بين ما فرّق اللّه والناس بينهما.

حتى المجانين يفرقون بين الحي والميت، فلو قصد مجنون بيت إنسان ليطعمه فوجده ميتًا وأهله عنده، لعَدَلَ إلى الطلب من أهله الأحياء الحاضرين عنده، ولم يلتفت إلى الميت.

ومما يوضح بطلان هذه الشبهة أن اللّه سبحانه أمر عباده بالاستعاذة به... وفعل العبد ما أمره به ربه، أمر إيجاب أو استحباب عبادة له بإجماع العلماء، فإذا امتثل العبد أمر ربه فاستعاذ به أو بصفاته فقد عبده، والاستعاذة نوع من الدعاء؛ لأن المستعيذ يلتجئ إلى اللّه ليدفع عنه ما يحذر وصوله إليه مما يكره أو ليرفع ما قد وصل إليه من ذلك... فلما قال العلماء: إن الاستعاذة لا تجوز بمخلوق بل هي مختصة باللّه سبحانه، لأنها دعاء؛ فهكذا سائر أنواع الدعاء.

إذا تقرر هذا، فمن المعلوم بالضرورة أنه لو خاف إنسان من عدو له، فالتجأ إلى حي حاضر ليجيره من عدوه؛ لم يكن بهذا بأس عند جميع المسلمين، وليس بداخل تحت قول العلماء: إن الاستعاذة لا تجوز بمخلوق، فهذا شيء واحد اختلف حكمه باختلاف متعلقه، فبالنسبة للحي الحاضر جائز، وبالنسبة لغيره ممتنع.

فكذلك دعاء غير اللّه بطلب قضاء الحاجات لا يجوز؛ لقوله تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن].

ولا يدخل في هذا النهي طلب الإنسان حاجة من حي حاضر مما يدخل تحت قدرة البشر.

ويقال أيضًا لهذا المساوي بين الحي والميت:

لو أعطى إنسانٌ آخَر مالًا، وقال: أَوْدِعْهُ عند ثقة، فذهب به الوكيل وأودعه عند قبر رجل صالح كالشيخ عبد القادر، وقال: هذا وديعة عندك لفلان، واستحفظه إياه!! فضاع؛ لعده الناس مجنونًا جنونًا لا يرفع التكليف وألزموه بالضمان.

ويلزم هذا الذي ساوى بين الحي والميت أن يقول: هو مصيب فيما فعله ولا ضمان عليه، وربما أنه لا يلتزم هذا خوفًا من الفضيحة عند الناس، وحينئذ يقول له الوكيل في الإيداع: أنا ما فرطت على مذهبك في التسوية بين الحي والميت، لأنك تقول: ما جاز طلبه من الحي جاز طلبه من الميت، وأنا طلبت من الشيخ عبد القادر حفظ هذه الوديعة وهي حاجتي عنده، وأنت تجوز طلب الحاجات من الأموات فكيف تخطئني؟

ومما يوضح بطلان شبهته: ما لو خرج شخصان من بيتهما، وقصد أحدهما رجلًا حيًّا غنيًّا، وقال: أشكو إليك الجوع، وقصد الآخر هُبَل، وقال: يا هُبَل أشكو إليك الجوع، هل يستوي الشخصان عند جاهل فضلًا عن العالم؟! فهذا شيء، واحد يختلف حكمه باختلاف النسبة، فالنسبة إلى هُبَل شرك، وبالنسبة إلى الرجل الحي الحاضر الغني جائز، لا يتوقف في هذا عاقل.

وعلى مذهب هذا الضال في قوله: إن الطلب من المخلوق لا يسمى دعاء بل نداء، فلا يضر عنده نداء الطالب من هُبَل ونحوه؛ لأنه يقول: إنما الدعاء الذي هو عبادة، فهو اتخاذ غير اللّه ربًا وإلهًا، فصريح كلامه أنه لو استغاث بالعُزّى أو مناة أو اللات ونحوها أن ذلك لا يضر، لأنه ليس بعبادة عنده، ما لم يسم من دعاه أو استغاث به ربًّا وإلهًا.

ومن الفرق بين الحي والميت: أن الاستغاثة بالحي إنما تكون

في الأسباب الظاهرة العادية من الأمور الحسية في قتال أو إدراك عدو ونحو ذلك، بحسب الأسباب الظاهرة بالفعل، وأما الميت فحركته منقطعة، وإنما يزعم الذين يدعونهم أن نفعهم بالقوة والتأثير الذي يسميه بعضهم «السر»، ولا يشك عاقل في انقطاع الحركة من الميت المعهودة من الحي.

فإن قيل: هذه الأوثان المعروفة للمشركين جماد، كاللات ومناة والعزّى، والمقبور إنسان فما الجامع بينهما[1].

قلنا: نصوص القرآن في النهي عن دعوة غير اللّه عامة في كل من دعا من دون اللّه ما لا يضر ولا ينفع.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يونس]، وقال: ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن]. وقال: ﴿قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام ٧١]. وقال: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾﴾ [الأحقاف]. قال البيضاوي على هذه الآية: هذا إنكار أن يكون أحد أضل من المشركين، حيث تركوا عبادة السميع المجيب القادر الخبير إلى عبادة من لا يستجيب لهم لو سمع دعاءهم، فضلًا عن أن يعلم سرائرهم ويراعي مصالحهم، وهم عن دعائهم غافلون، لأنهم إما جمادات، وإما عباد مسخرون مشتغلون بأحوالهم. وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ﴾ [فاطر ١٣، ١٤].

---

(١) هذا رد على شبهة التفريق بين الأصنام وبين الصالحين والأولياء والملائكة.

والذم إنما توجه إلى من دعا من هذه صفته، سواء كان بشرًا أو ملكًا أو صنمًا، وهو من لا ينفع من دعاه ولا يضر من لم يَدْعُهُ، ومن دعا من لا يسمع دعاءه، أو ولو سمعه ما استجاب له لاستحالة الإجابة منه، وهذه صفة الميت.

وقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ۝١٩٧﴾ [الأعراف]. وهذه أيضًا صفة الميت.

ومن المعلوم أن المشركين يعبدون الملائكة والمسيح وأمه وعزيرًا والجن، ويعبدون اللات، وهو رجل صالح في قول ابن عباس ومجاهد، ويعبدون الأصنام المصورة في زعمهم على صورة من يقصدونه، كفعل قوم نوح في تصويرهم على صور الذين ذكرهم اللّه في سورة نوح.

قال تعالى فيمن يعبد الملائكة: ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ۝٤٠﴾ [سبأ]. وقال: ﴿وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ﴾ [الزخرف: ١٩]. إلى أن قال: ﴿وَقَالُواْ لَوۡ شَآءَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَا عَبَدۡنَٰهُمۗ﴾ [الزخرف: ٢٠]. فهذا صريح في أنهم يعبدون الملائكة، وما قاله الصحابة والتابعون في سورة بني إسرائيل، والمراد بذلك بيان بطلان ما لو قال جاهل إنهم: إنما يعبدون الأصنام فقط...(١).

والمقصود بيان أن عبَّاد الأصنام إنما قصدوا عبادة من صَوّروا الصنم على صورته، من مَلَك أو نبي أو صالح أو كوكب.

فكل ما في القرآن من النهي عن دعاء غير اللّه والإنكار على من دعا غيره؛ يتناول كلَّ معبودٍ للمشركين من نبيٍّ ومَلَك وبَشَرٍ حيٍّ أو

(١) وهذه القاعدة الثالثة من رسالة القواعد الأربع للشيخ محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ وسبق أن ذكرت تضايق الكاتب من هذه الرسالة ص٦٦٩.

ميت أو صنم، يوضح ذلك قول اللّه تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾، أي: ادعوهم فيما يهمكم من جلب نفع أو دفع ضر لعلهم يستجيبون لكم إن صحت دعواكم، ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٥٦]، أي: لا يملكون كشف الضر بالكلية، ولا تحويله من موضع إلى غيره، ولا تغيير صفته. وقد قال المفسرون من الصحابة والتابعين: إن هذه الآية نزلت فيمن يعبد الملائكة وعيسى وأمه وعزيرًا وفيمن يعبد الجن، وهؤلاء غائبون أحياء وفيهم من هو ميت. فكل من دعا ميتًا أو غائبًا تناولته الآية.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يونس].

وأما الطلب من الحي الحاضر مما يدخل تحت قدرة البشر، فليس مرادًا بالنهي ولا يمنع منه، قال تعالى: ﴿فَٱسْتَغَاثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص: ١٥]. وقال: ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ﴾ [الأنفال: ٧٢]. وقال الصحابة: قوموا بنا نستغيث برسول اللّه ﷺ من هذا المنافق[(١)]، وقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾.

فمن ساوى بين الأحياء والأموات في ذلك بقوله: «ما جاز طلبه من الحي جاز طلبه من الميت» فقد جمع بين ما فرَّق اللّه بينه وضلَّ ضلالًا بعيدًا.

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير عن عبادة بن الصامت كما في مجمع الزوائد ١٥٩/١٠، وأحمد في المسند ٢٢٧٠٦، وابن سعد في الطبقات الكبرى ٣٧٨/١ بلفظ مقارب. قال الهيثمي في مجمع الزوائد في إسناد الطبراني ١٥٩/١٠: رجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعة وهو حسن الحديث وقال الشيخ ابن باز رحمه الله: وفي إسناده ضعف.

ويقال لهذا المساوي بين الأحياء والأموات: من المعلوم أن أهل الدنيا يستقضون حوائجهم بعضهم من بعض برهم وفاجرهم مسلمهم وكافرهم، وقد استعار النبي ﷺ أدراعًا من صفوان بن أمية وهو مشرك، واستعان في بعض غزواته بأناس من المشركين، وما زال المسلمون يستقضون حوائجهم من المسلم والذمي والبر والفاجر، فيلزم المساوي بين الأحياء والأموات أن يساوي بين أموات المذكورين كما كانوا في الدنيا كذلك.

فإن قال: طلب الحاجات مختص بموتى الصالحين فلا يجوز طلبها من موتى الكفار والفساق.

قيل له: نقضتَ أصلك حيث فرَّقتَ بين أحياء هؤلاء وأمواتهم.

فإن قال: موتى الصالحين أحياء في قبورهم كما زعم، فهو كاذب في ذلك، لم يرد في ذلك حديث، إلا ما أخبر اللّه عن حياة الشهداء، مع أن حياتهم لا تدرك بالحس ولا بالعقل؛ فاللّه سبحانه؛ أعلم بحقيقتها، وأما سوى الشهداء غير الأنبياء فلم يأت خبر عن الرسول أنهم أحياء في قبورهم، وإنما هو افتراء وكذب من هذا الضال.

فإن قال: إن صالحي الأموات يُنَعَّمون في البرزخ. قيل له: وضدهم يُعَذّبون، فيدركون العذاب كما يدرك الصالح النعيم، وهذا إدراك وإحساس لا يعلم حقيقته إلا اللّه.

والحاصل أن من سوّى بين الحي والميت في استقضاء الحوائج فقد ضل في عقله ودينه، ونصوص القرآن كثيرة في إبطال هذا القول.

واللّه سبحانه جعل أهل الدنيا فيها، وخَوّلهم ما مَلّكهم فيها، ولا يتم أمرهم إلا بمعاونة بعضهم بعضًا، ولم يَحْجُر عليهم سبحانه

التعاون والتناصر فيما لا يسخطه، واللّه في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه.

يوضح ذلك أن دعاء الإنسان للمسلمين، واستغفاره لهم، وقضاء حوائجهم، ومعاونتهم عليها، من الأعمال الصالحة المرغب فيها، فلو كان هذا يحصل من الميت لم يكن عمله قد انقطع. وقد ثبت في صحيح مسلم عن النبي ﷺ قال: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به من بعده أو ولد صالح يدعو له»[١].

فدل على هذه الأشياء التي يطلبها المشركون من الأموات من قضاء حوائجهم، أو الدعاء لهم، ونحو ذلك، التي هي أعمال صالحة من الحي، قد استحال وجودها من الميت، فطلبها منه طلب مستحيل لعجزه حسًّا، فلا يملك لنفسه ولا لغيره نفعًا ولا ضرًّا ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا، فهو داخل تحت قوله: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ۝٥﴾ [الأحقاف]. ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ [يونس: ١٠٦].

والنبي ﷺ فرّق بين الحي والميت في الحديث المتقدم آنفاً[٢]، كما فرق اللّه بينهما في مثل قوله: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾ وجميع العقلاء بل المجانين كما قدمنا يفرقون بين الحي والميت، فالميت لا يستجيب لداعيه ولا يسمع دعاءه، ولو فرض سماعه فهو عاجز لا ينفع من دعاه، كداعي الجمادات قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝١٣ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٣١)، وهو في الأدب المفرد للبخاري (٣٨).
(٢) أي حديث: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله...».

دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ﴾ [فاطر: ١٣ ـ ١٤]»[(١)].

وبهذا علم بطلان قول الكاتب بتسويته بين دعاء العبادة وبين دعاء الناس آحادهم لتحقيق حاجاتهم.

رابع عشر: مما يرد به عليه: قوله تعالى: ﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۚ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ﴾ [الرعد: ١٤]: «أي: فدعوة الحق له لا لغيره، فدعوة غيره ليست من الحق في شيء، وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾، فهذا الاسم لا يستعمل إلا في حق من يعقل، كما هو معروف عند النحاة، وقوله: ﴿لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ﴾، فيه دليل على أن المراد دعاء المسألة، فأخبر سبحانه أنهم لو دعوهم فإجابتهم لهم فيما سألوهم ممتنعة منتفية بالكلية، وقوله: ﴿إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ﴾ [الرعد: ١٤]؛ لأنهم لم يجدوا مما طلبوه وأملوه منهم شيئًا، وبين تعالى أن دعوة غيره كفر وضلال.

وهذه الآية وأمثالها تقطع شبهة كل من دعا غير اللّه، من ميت أو غائب... فإن أصل دين الإسلام أن لا يعبد إلا اللّه، وأن لا يعبد إلا بما شرع، لا بالأهواء والبدع، وليس في الصحابة والتابعين وأتباعهم والأئمة من أجاز أن يُسأل ميت أو غائب من دون اللّه؛ لأنه لا قدرة له على شيء من أمر الدنيا، ولا من أمر الآخرة، مع غفلتهم وعدم استجابتهم لمن دعاهم، وكراهتهم لذلك، وقد تقدم التصريح بذلك في الآيات المحكمات، ولم ينقل عن أحد من علماء الصحابة والتابعين والأئمة أنه استغاث بنبي أو غيره، أو استشفع به بعد وفاته.

ولما اعتقد أناس في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الإلهية،

---

(١) تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس للشيخ عبدالله أبا بطين ص ٨٢ ـ ٩٠.

كاعتقاد كثير من هؤلاء في أرباب القبور خدّ الأخاديد وأضرمها بالنار وقال:

لما رأيت الأمر أمرًا منكرًا أجّجتُ ناري، ودعوتُ قنبرا

وهذا هو الشرك الأكبر، وهو أعظم ذنب عصي اللّه به، وهو الذي بعث اللّه به رسله بإنكاره»[(١)].

خامس عشر: قول الكاتب: **[إن بعض مقرريهم أضافوا هذا القيد ما لا يقدر عليه إلا اللّه أو الموتى والغائبين]**.

ادعاء الكاتب أن هذا القيد من وضع بعض مقرري أهل السنة ادعاء باطل؛ فإن من قرر هذا هو ما جاء في محكم القرآن مثل قوله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢] وقوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الأنعام]، وقوله تعالى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾﴾ [الرعد] وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥] وقوله: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ﴾ [الزمر: ٤٤] وقوله ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٢٦] وقوله ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾ [الشعراء] وقوله ﴿فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ﴾ [فاطر: ١٠] وقوله ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾ [آل عمران] الآيتين. وقوله تعالى: ﴿قُل

(١) كشف ما ألقاه إبليس من البهرج والتلبيس ١٦٦.

لَآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ﴾ [الأعراف: ١٨٨] وقوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ [النمل: ٦٥] وأمثال هذه الأدلة على اختصاص اللّه تعالى بما فرض على عباده الإيمان به.

فإذا قال أهل العلم: إنه لا يجوز صرف ما اختص اللّه به من العبادة لغيره، أو قالوا: من الشرك صرف ما لا يقدر عليه إلا اللّه لغير اللّه، فقد وافقوا القرآن وأصابوا الحق، وليس هذا إضافة منهم للشرع.

بل الذي أضاف البدع والشرك على الشرع المطهر، هو من زعم أنه من الممكن أن يأذن اللّه لبعض العباد بالتصرف في الكون، وادّعى أنهم يفعلون ما لا يقدر عليه إلا اللّه بإذن اللّه، ومن قال: لو دعا الملائكة وسألهم النجاة من الهلكات وسألهم الرزق وسألهم الحفظ وسألهم المطر فهذا مخطئ وليس بمشرك!

ثم يقال له: كيف يكون خطأً عندك ـ أيها الكاتب ـ إن كنت تقول: **(لا يُمنع إقدار اللّه لهم بذلك من باب الكرامات...)!!**

وأما أهل العلم والإيمان فلم يقل أحد منهم: إن أحدًا من الخلق ينازع اللّه في هذه الصفة ويجيب دعاء من دعاه، ولم يقل أحد منهم: إن مخلوقًا يملك مثل ما يملك اللّه ويعلم الغيب، ويسمع الدعاء، ويجيب النداء، ويغيث اللهفات، ويفرج الكربات، لم يقل هذا إلا المشركون الكفرة.

واللّه بيّن أنه لا يجيب الدعاء إلا هو وحده.

فهل إجابة دعاء المخلوقين مما يقدر عليه الرسل والأنبياء والملائكة والجن وبقية الموتى؟؟!!

هل يقدر على حفظ العبد ورزقه ورعايته، من المخلوقين الأحياء من الأولين والآخرين، فإنه لا يدعي هذه الدعوى أحد.

لقد صرّح اللّه في كتابه بأنه لا يستجيب الدعاء إلا اللّه وحده، فوجب الإيمان بذلك، وترك دعاء من لا يستجيب الدعاء، فمن لم يؤمن بهذه الآيات كان كافرًا بها.

ووضح أهل العلم هذا القيد بما فهموه من النصوص الشرعية توضيحًا جليًّا[1]:

قال صنع اللّه الحلبي: «والاستغاثة تجوز في الأسباب الظاهرة العادية من الأمور الحسية، في قتال أو إدراك عدو أو سبع أو نحوه، كقولهم: يا لَزَيد، يا لَلمسلمين، بحسب الأفعال الظاهرة بالفعل، وأما الاستغاثة بالقوة والتأثير، أو في الأمور المعنوية، من الشدائد كالمرض، وخوف الغرق، والضيق، والفقر، وطلب الرزق، ونحوه فمن خصائص اللّه لا يطلب فيها غيره»[2].

قال الشيخ عبد الرحمٰن بن حسن: «وقد عرفت أن كل داع قد أقبل قلبُه على المدعو، وَوَجَّه وَجْهَهُ إليه، ورَغِبَ إليه ورجاه، وأحبه مع اللّه، وتوكل عليه، وخضع له وأناب إليه؛ وغير ذلك، وكل هذا عبادة لا تصلح إلا للحي القيوم.. قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النحل]... وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾ [الجن]. فسبحان اللّه! كيف جاز في عقول هؤلاء

---

(١) انظر النقل المتقدم عن ابن تيمية ص٧٠٩، ٧١٣.

(٢) سيف اللّه على من كذب على أولياء اللّه ص ٢٢ ـ ٢٣.

أن يتقربوا إلى رسول اللّه ﷺ بالشرك الذي بعثه اللّه بإنكاره، والإنذار عنه، وعداوة من فعله، وأصر عليه، وقتاله، وإباحة دمه وماله؟ كما دلت عليه هذه الآيات المحكمات ونظائرها. . .

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف].

والعجب أن كثيرًا من هؤلاء لم يفهموا من هذه الآية إلا الشرك الأصغر، كيسير الرياء، وهذا من فساد العقول، والجهل بمضمون الدال والمدلول.

والشرك بأرباب القبور والغائبين هو الشرك الأكبر المخرج عن الإسلام، وهو شرك مشركي قريش والعرب، بل هو في أواخر هذه الأمة، فلا ينفع معه صلاة ولا عمل، وقد قال تعالى في حق المشركين: ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا﴾ الآية [غافر: ٧٣ ـ ٧٤]، فكفّرهم تعالى بالشرك بالدعاء الذي جحده كذبًا على اللّه»[(١)].

قال الشيخ حمد بن ناصر بن معمر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا نعلم نوعًا من أنواع الكفر والردة ورد فيه من النصوص مثل ما ورد في دعاء غير اللّه، من النهي والتحذير عن فعله، وكُفر فاعله، والوعيد عليه بالخلود في النار، وقد أُفردت هذه المسألة بالتصنيف، وحكى الإجماع عليها غير واحد من أهل العلم، وذكروا أنها من ضروريات الإسلام»[(٢)].

سادس عشر: تأمل معنى هذه الآية، وتدبر ما قاله العلماء في تفسيرها، تجد فيها ردًّا على الكاتب:

---

(١) كشف ما ألقاه إبليس ص ١٨٣.

(٢) الدرر السنية في الأجوبة النجدية ٢٠/١١.

قال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ [سبأ].

قال ابن عطية في هذه الآية: «ففي الكلام حذف يدل عليه الظاهر، فكأنه قال: ولا هم شفعاء كما تحسبون أنتم، بل هم عبدة مستسلمون أبدًا»[(١)].

وقال أبو حيان: «وبهذا المعنى من ذكر الملائكة في صدر الآيات تتسق هذه الآية على الأولى، ومن لم يشعر أن الملائكة مشار إليهم من أول قوله: ﴿ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم﴾ لم تتصل له هذه الآية بما قبلها»[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ﴾ [الزمر: ٣٨]، قال مقاتل في تفسير هذه الآية: فسألهم النبي ﷺ فسكتوا[(٣)]؛ أي: لأنهم لا يعتقدون ذلك فيها، قال القرطبي «(وقال غيره: قالوا لا تدفع شيئاً قدّره الله، ولكنها تشفع فنزلت: ﴿قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ﴾»[(٤)]، فبين الله تعالى أنهم إنما كانوا يدعونها على معنى أنها وسائط وشفعاء عند اللّه لا لأنهم يكشفون الضر، ويجيبون دعاء المضطر، فهم يعلمون أن ذلك للّه وحده، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [النحل].

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٤/٤١٨.
(٢) البحر المحيط في التفسير ٨/٥٤٣.
(٣) معالم التنزيل (٧/١٢١).
(٤) الجامع لأحكام القرآن (١٥/٢٥٩).

وبهذا عُلِمَ أن دعاء غير اللّه من الغائبين كالملائكة أنه من الشرك باللّه تعالى.

قال الشيخ عبد الرحمٰن بن قاسم: «لو أن ملِكًا أتاه مظلوم فسأله، وسأل عبدَه المملوك له العاجز، ليردَّا له مظلمته، هل يُجوِّزه العقل؟

أو لو أن غنيًا كريمًا ينفق من أصناف المال، وله مملوك لا يقدر على شيء، فجاء محتاج فطلب المملوك العاجز وترك الغني، هل يجوِّزه العقل؟

وهل يرضى أحد أن يساوي مملوكه معه في حقه؟

أو لو أن مَلِكًا قاهرًا له عبيد لا يقدرون على شيء، ثم يلوذ أحد العبيد بعبد مثله عاجز، ويدع الملك القادر، هل يجوزه العقل؟

ولو أن شخصًا مر على مقبرة ومعه دابة فوقعت في حفرة، فنادى أهل القبور: يا فلان، يا فلان، أعينوني على دابتي، وعنده رجل حيّ قوي تركه ولم يدْعُه، هل يجوزه العقل؟

ونحو ذلك من الأمثلة المعروفة في حق العاجز المملوك مع القادر، بل كل عاقل يضحك منه ويقبحه ويوبخه.

وإذا كان هذا يُستقبح من مخلوق يترك مخلوقًا أقدر، فكيف بمن ترك الحي القيوم القادر الذي بيده ملكوت كل شيء، ودعا في كشف الكربات وإغاثة اللهفات من لا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعًا؟»[(١)].

وقد قال الشيخ إبراهيم بن حمد ابن عيسى رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال العراقي: إن المانع من نداء الأنبياء والصالحين وسؤالهم بعد موتهم

(١) السيف المسلول على عابد الرسول ص ٦٧ ـ ٦٨.

وفي غيبتهم يَستدل على المنع بأن النداء والطلب عبادة، والعبادة لغير اللّه شرك، قال: فإذا جاز هذا في حقه ﷺ دل على أنه ليس كما يزعمه الخوارج[1] من أن ذلك عبادة، ودل على أنه إذا جاز في حقه ﷺ جاز في غيره.

قوله: إن المانع من نداء الأنبياء والصالحين وسؤالهم بعد موتهم.. إلخ.

أقول: انظر إلى شدة جهالته، وعظمة ضلالته، لما رأى شناعة إطلاق القول بجواز دعاء غير اللّه تعالى عدل إلى لفظ النداء تلبيسًا وتمويها على الجهال والطغام، فكأنه لم يسمع ما ذكره اللّه تعالى في كتابه من أن مدلول النداء والدعاء واحد»[2].

والكاتب يصرح بأن الناس يدعو بعضهم بعضًا وجعل هذا حجة في التسوية كما تقدم.

وقال الشيخ إبراهيم بن حمد ابن عيسى أيضًا: «والمقصود أن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وكلام العرب دل على أن النداء الذي هو السؤال والطلب هو مسمى الدعاء، ومعناهما واحد، ويأتي في هذا ما يكفي ويشفي إن شاء اللّه تعالى، كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥﴾ [الأحقاف] الآيات. وهذا صريح في أن المراد بهذا الدعاء السؤال والطلب من غير اللّه، وهذه حال الميت والغائب لا يستجيب للداعي، وهو أيضًا غافل عنه.

وهذا الدعاء الذي نهى اللّه عنه أن يقصد به غيره يجمع من

---

(١) هكذا يصفُ دعاةَ التوحيد الآمرين بإخلاص العبادة للّه تعالى بأنهم خوارج.

(٢) الرد على شبهات المستعينين بغير اللّه، تحقيق الشيخ عبدالسلام بن برجس ص ٣٣.

أنواع العبادة كثيرًا: منها: أن الداعي يتوجه بوجهه وقلبه ولسانه إلى غير اللّه، ويتضمن رجاءه والرغبة إليه والاعتماد عليه، ولذلك وصفه اللّه تعالى بغاية الضلال، وأخبر أن ذلك يعود عليه بالخيبة والوبال في مقام الحشر، فيخونه ذلك الدعاء أحوج ما يكون إليه.

إذا تبين هذا؛ فالتحقيق أن بين الدعاء والنداء عمومًا وخصوصًا مطلقًا، فيجتمعان في السؤال والطلب إذا كان عن رغبة أو رهبة، وينفرد الدعاء إذا كان عبادة كالتسبيح والتحميد والتكبير وغير ذلك.

إذا عرفت هذا؛ فإن أشكل عليك كون الدعاء عبادة؛ فاطلب الأدلة على ذلك من القرآن الكريم، فإن لم يكفك ـ لا كفاك اللّه ـ فاطلبها من السنة، فإن لم تكفك فقد تم خسرانك.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ في سورة الأنعام [٥٦] والمؤمن [٦٦]، وقال تعالى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٤] الآية. وهذه الآية في دعاء المسألة دلت على أنه مختص باللّه دون من سواه، لأن تقديم المعمول يفيد الحصر، ثم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ﴾ بين أن دعاء غيره لا يحصل لداعيه غرضه، وهذا جنس الشرك في الإلهية.

وفي حديث أنس الذي في السنن والمسانيد مرفوعًا: «الدعاء مخ العبادة»[١] وفي السنن مرفوعًا في حديث النعمان بن بشير: «**الدعاء هو العبادة**» ثم تلا: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾» [غافر][٢].

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٧١) وقال: غريب.

(٢) أخرجه أحمد (١٨٤١٥)، وأبو داود (١٤٧٩)، والترمذي (٢٩٦٩) وقال: حسن صحيح.

وتقرير هذا في كتاب اللّه تعالى: فإن اللّه ﷻ أمر عباده بدعائه ورغبهم فيه، ووعدهم الإجابة فقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ۝١٨٦﴾ [البقرة]. وأمرهم بدعائه في مواضع كثيرة من كتابه كقوله: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ إلى قوله: ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الأعراف: ٥٥ ـ ٥٦] وقال: ﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [غافر: ١٤] وقال: ﴿فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [غافر: ٦٥] فأوجب على عباده أن يخلصوا له الدعاء بنوعيه: دعاء المسألة، ودعاء العبادة. وكل منهما يتضمن الآخر.

وقد تقدم أن اللّه تعالى قد اختص به في قوله: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾ [الرعد: ١٤] وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ۝١٨﴾ [الجن]. وقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٠﴾ [الجن].

وهذه الآيات مع ما تقدم؛ فيها: الدلالة على أن دعوة غير اللّه شرك وضلال، كما قال: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأحقاف: ٥]، وفي الترمذي من حديث أبي هريرة قال: قال رسول اللّه ﷺ «**يخرج عنق من النار له عينان يبصران، وأذنان يسمعان، ولسان ينطق، يقول إني وكلت بثلاثة: بكل جبار عنيد، وبكل من دعا مع اللّه إلها آخر، وبالمصورين**» حديث حسن صحيح غريب[(١)].

أما علمت أن اللّه تعالى أمر نبيه ﷺ بإخلاص العبادة له، كما نهاه أن يدعو غيره، فقال: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٢ ـ ٣]، وقال في آخر السورة: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ۝٦٤﴾ [الزمر: ٦٤].

---

(١) الترمذي (٢٥٧٤) وقال: حسن غريب.

وقد دعا ﷺ إلى إخلاص جميع أنواع العبادة للّه، وخلع الأنداد التي كانت تعبدها أهل الجاهلية من صنم وغيره، وجاهدهم على ذلك حق الجهاد، وناظر النصارى في عبادتهم المسيح بن مريم عليهما السلام، وأنزل اللّه تعالى النهي عن دعوة الأنبياء والصالحين والملائكة فقال: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ۝٥٦﴾ [الإسراء] والآيات بعدها نزلت فيمن يدعو المسيح وأمه والعزير والملائكة في قول أكثر المفسرين من السلف.

فمن بلغته هذه الأدلة، وظن أن رسول اللّه ﷺ يرضيه الإعراض عن سؤال ربه والرغبة إليه ورجائه والاعتماد عليه؛ فقد ظن برسول اللّه ﷺ ما هو بريء منه، كما برأه اللّه تعالى بقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٠﴾ [الجن] وقوله: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ ۝٦﴾ [الأحقاف].

ففي هذه الآية من الأدلة على بطلان دعوة غير اللّه فوائد:

منها: أن اللّه حكم على من دعا غيره بغاية الضلال.

وبيّن أن المدعو لا يستجيب له وأنه غافل عن دعائه، تكذيبًا لمن ادعى غير ذلك من المشركين.

وأنه يوم القيامة يكون عدوًّا لمن دعاه في دار الدنيا.

وأنه ينكر عبادته له ويبرأ إلى اللّه منها، كما أخبر عن المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ﴾ [المائدة: ١١٧] فخان المشركَ دعاؤُه لغير اللّه أحوجَ ما يكون إليه، وعامله اللّه بنقيض قصده.

ويشبه هذه الآية قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ

وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر] ففي هذه الآية ست جمل تقطع عرق الشرك وتبطل دعوة غير اللّه كائنًا من كان:

١ ـ الجملة الأولى قوله: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ﴾ فهو المختص بالملك، كما هو المختص بالعبادة.

٢ ـ وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ دليل على أن غيره لا يملك شيئًا، فإذا كان الأمر كذلك وجب ألا يُدعى غيرُه.

٣ ـ وقوله: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ﴾ وهذا نقيض ما عند المشركين أن المدعو الميت يسمع ممن دعاه، واللّه تعالى يقول: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ﴾ آمنا باللّه، وكذبنا من أشرك باللّه.

٤ ـ وقوله: ﴿وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ﴾ يدل على أن الاستجابة ممتنعة في حق من دعا غير اللّه، فخاب أمله، وضل سعيه.

٥ ـ وقوله: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ﴾ فيه أن دعوة غير اللّه شرك بالنص، وأن المدعو يكفر بها يوم القيامة، أي ينكرها ويبرأ إلى اللّه من ذلك الشرك.

٦ ـ ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ ففيه وجوب الإيمان بما دلت عليه هذه الآية وتصديقه فيما أخبر.

وتضمنت هذه الآية أن الدعاء الذي نهى اللّه عنه في هذه الآية هو دعاء المسألة بدليل قوله: ﴿لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ﴾.

والأدوات التي تستعمل في الدعاء كثيرة معروفة، وأكثر ما يستعمل منها في الكتاب والسنة وغيرها «يا» الممدودة، كقوله: ﴿رَبَّنَآ

ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ [البقرة] وقوله: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ [آل عمران: ١٤٧] ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] التقدير: يا ربنا.

وتستعمل في الدعاء مذكورة كما جاء في كثير من الأحاديث كقوله: «**يا حي يا قيوم**»(١). «**يا ذا الجلال والإكرام**»(٢) «**يا بديع السمٰوات والأرض**»(٣)، «**يا ودود، يا ذا العرش المجيد، يا فعال لما يريد**»(٤)، ونحو ذلك. وهذا كثير مطرد لا يقدر أحد على دفعه.

ويأتي الدعاء أيضًا بصيغة الخبر ومعناه الدعاء كقولنا: صلى اللّه على النبي محمد، وقولهم: بارك اللّه فيك، ونحو ذلك.

والعجب أن هذا خفي على من يدعي المعرفة.

وسببه: نسيان العلم، كما ذكره اللّه تعالى في قوله: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾﴾ [الفرقان].

فنسيان الذكر من أعظم أسباب ضلال من ضل عن الهدى، وقد قال تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون]، فدلت هذه الآية الكريمة على أن من دعا مع اللّه إلها آخر فقد كفر باللّه؛ لأنه صرف هذا النوع الذي هو من خصائص الإلهية لمن لا يستحقه، ووضع العبادة في غير موضعها.

---

(١) جامع الترمذي (٣٥٢٤).
(٢) صحيح مسلم (٥٩٢).
(٣) مسند أحمد (١٣٧٩٨).
(٤) من أثر أخرجه اللالكائي في شرح أصولِ اعتقاد أهل السنة والجماعة ١٦٦/٥.

ونظير هذه الآية: قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ قَالُوٓاْ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ۝٣٧﴾ [الأعراف] فلم ينفعهم ذلك الدعاء في الوقت الذي أمّلوا فيه نفعه، فوقعوا في نقيض قصدهم، وخاب أملهم وسعيهم، وشهدوا على أنفسهم بالكفر»[1].

قال الشيخ عبد اللّه أبا بطين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن العجيب أنه لو جاء إنسان إلى ميت على وجه الأرض، شهيدًا أو غيره، يطلب منه أن يدعو له فضلًا أن يطلب منه أن ينصره على عدوه أو يكسوه لقال الناس: هذا مجنون، فإذا صار رميمًا في بطن الأرض زين لهم الشيطان ودعاة الضلال من الإنس الاستغاثة به وطلب الحاجات منه.

والعامي السليم الفطرة يعلم بطلان هذا بفطرته، كما حُكي لنا أن رجلًا من أهل مكة يُنسب إلى علم قال لرجل عامي من أهل نجد: أنتم ما للأولياء عندكم قدْر، واللّه يقول في الشهداء إنهم أحياء عند ربهم يُرزقون.

قال له العامي: هل قال يَرزقُون ـ يعني بفتح الياء ـ أو قال: يُرزَقون ـ يعني بالضم ـ ؟ فإن كان يعني بالفتح فأنا أطلب منهم، فإن كان يعني بالضم فأنا أطلب من الذي يرزقهم، فقال المكي: حِجاجكم كثيرة، وسكت»[2].

سابع عشر: ومما يُرَدّ به على هذا الكاتب الذي يُسَوي بين دعاء اللّه ودعاء الحي ثم دعاء الميت: أنه يلزم من إقراركم دعاء الموتى والغائبين وأصحاب القبور، اعتقادَكم مضاهاتها باللّه ﷻ في

(١) الرد على شبهات المستعينين بغير اللّه ص ٣٧ ـ ٤٦.

(٢) تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس ص ١١٨ ـ ١١٩.

صفة السمع والعلم والقدرة والرحمة ونحو ذلك، وذلك أن الموتى الذين يزعمون أن الله أذن لهم أو مكنهم من التصرف بإذنه، فإنه يقوم كثير من المشركين بالاستغاثة بهم ودعائهم وطلب المدد منهم، يدعون بلغات مختلفة، ويطلبون أغراضًا متعددة، من أماكن متفرقة ومتباعدة، وفي أزمان شتى، ولولا أن الداعين لهم يعتقدون فيهم أنهم يسمعون القريب والبعيد، وأنهم يعلمون حاجات جميع الناس لما دعوهم أصلًا، وفي هذا تشبيه لهم باللّه ﷻ في صفة السمع والعلم، وهذا كفر، «قال نُعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري رحمهما اللّه: من شبه اللّه بخلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصف به نفسه فقد كفر، وليس ما وصف اللّه به نفسه ولا رسوله تشبيها»[(١)].

وقول الكاتب ص ١٢٦: [**ولا تنفردون به دونهم كباقي بدعكم**].

والجواب: أن علماء أهل السنة والجماعة الذين رميتهم بهذا الاتهام، لا يرضون بالبدع، بل إنهم يحذرون منها غاية التحذير، والبدع عندهم أشد من الكبائر، وقد ألّفوا المؤلفات المشهورة في التحذير من البدع والنهي عنها، ونصحوا المسلمين بتركها.

وأما الكاتب فهو الذي يُهَوِّن من شأن البدع في صور كثيرة، ومنها ما أحال على كتاب مبتدع خرافي وهو عبدالوهاب الشعراني، وكتابه مشحون بالبدع الكبرى والضلالات الخطيرة، وهو يُرَغِّبُ الناس في البدع التي اشتمل عليها، وأما أهل العلم والإيمان وأئمة السنة فهم أبعد الناس عن البدع وأهلها، وأشد الناس تحذيرًا منها، وللّه الحمد.

---

(١) أخرجه الذهبي في العلو ص ٤٦٤. وانظر: خمسون دليلًا في بطلان دعاء غير الله، ماجد الرسي.

ويقال له: ما قال البخاري عن علماء أهل السنة والجماعة: (.. وفي اتفاق المسلمين دليل على أن نُعَيمًا ومَن نَحا نَحْوَه ليس بمفارق ولا مبتدع، بل البِدْع والرئيسُ بالجهل بغيرهم أولى، إذ يُفْتون بالآراء المختلفة ما لم يأذن به اللّه)[١].

➢ الرد على الكاتب في مسألة الذبح والطواف لغير اللّه وأنه لا يقيد بقيد: (ما لا يقدر عليه إلا اللّه):

وقوله ص ١٢٦ في آخر الصفحة: **[عهدناكم فيما تسمونه شرك العبادة تحكمون بالشرك بكل ما كان مثله عبادة للّه تعالى كالذبح والطواف دون قيد أو شرط فما الذي بدا مما عدا حتى اختلف تقريركم في الدعاء الذي هو حقيقة العبادة فأضفتم له قيدًا أو قيدين..]** يقصد بالقيد قول أهل العلم: من دعا غير اللّه فيما لا يقدر عليه إلا اللّه، وقولهم: من دعا غير اللّه من الأموات والغائبين.

والرد عليه:

إن المصدر في تلقي الأحكام الشرعية هو الكتاب والسنة وما كان عليه الصحابة ﵃.

وليست هذه القيود اختراعًا من أهل العلم، بل هي مما وضحه اللّه في كتابه والرسول ﷺ في سنته، وقد تقدم أن قولهم: فيما لا يقدر عليه إلا اللّه وقولهم: من الأموات والغائبين؛ هذا مذكور معناه بأصرح ما يكون في الكتاب والسنة.

وأما الطواف والذبح؛ فمن ذبح لغير اللّه فقد أشرك لقوله تعالى

(١) خلق أفعال العباد البخاري ص٧٠٥ ـ ٧٠٦، وذلك أن نُعَيم بن حماد الخزاعي آذاه بعض الجهمية حتى حُبِسَ ومات في الحبس رحمه الله.

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ [الأنعام] فقوله: ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ يبين أن من جعل نسكه لغير الله فهو قد جعل له شريكاً ولقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ [المائدة: ٣] وهو ملعون بنص كلام رسول اللّه ﷺ: «**لعن اللّه من ذبح لغير اللّه**»[(١)]، فلم يخرج من ذلك نوع يقال فيه: إنه شرك أصغر.

بخلاف الدعاء والاستعانة والاستغاثة والاستعاذة، ففيها تفصيل دلت عليه الأدلة.

ففي بعض الأفعال ما يكون عبادة متمحضة في التعبد، ومنها ما يكون محتملًا للتعبد ومحتملًا لما جرت به العادة، مما يكون بين المخلوقين في قدرتهم المعتادة المعروفة، فلا بد في الحكم بكون الفعل شركًا من ذكر هذا المعنى، وهذا مفهوم من الآيات والأحاديث.

وأما الطواف بغير الكعبة؛ فكذلك يُدرَكُ الفرقُ بين ما كان عبادة للمطوف به من المخلوقين، وبين ما كان يُقْصَدُ به اللّه تبارك وتعالى، فالأول: شرك أكبر، والثاني: بدعة منكرة، وهذا الثاني: محل بحثٍ بين أهل العلم؛ فمنهم من رأى التفصيل في حاله، ومنهم من رأى أنه شرك أكبر بقرينة الحال، وقد سُئلت اللجنة الدائمة للإفتاء في المملكة العربية السعودية هذا السؤال: ما حكم الطواف حول أضرحة الأولياء، أو الذبح للأموات أو النذر، ومن هو الولي في حكم الإسلام، وهل يجوز طلب الدعاء من الأولياء أحياء كانوا أم أمواتًا؟

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٧٨).

فأجابت: «الذبح للأموات أو النذر لهم شرك أكبر، والولي: من والى اللّه بالطاعة ففعل ما أمر به وترك ما نهي عنه شرعًا ولو لم تظهر على يده كرامات.

ولا يجوز طلب الدعاء من الأولياء أو غيرهم بعد الموت، ويجوز طلبه من الأحياء الصالحين.

ولا يجوز الطواف بالقبور، بل هو مختص بالكعبة المشرفة.

ومن طاف بها يقصد بذلك التقرب إلى أهلها كان ذلك شركًا أكبر، وإن قصد بذلك التقرب إلى اللّه فهو بدعة منكرة، فإن القبور لا يطاف حولها ولا يصلى عندها ولو قصد وجه اللّه»[(١)].

قوله ص ١٢٦: **[فما الذي بدا مما عدا].**

هذا مَثَلٌ أورده الكاتب مقلوبًا، وهذا اللائق بحاله فقد عُرِفَ بقلب الحقائق، وهنا قلب هذا المثل السائر، وصوابه: «ما عَدا مِمَّا بَدا». هكذا أورده أبو بكر الأنباري، والميداني، وغيرهما[(٢)].

وكذلك قوله ص ١٢٧: **[هذا تناقض ليس لنا السكوت عنه].**

فليس هذا من التناقض في شيء، وأين المحذور عندما تقول: إن الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه وهو حي حاضر جائزة؛ كما قال تعالى: ﴿فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص: ١٥]، **والاستغاثة فيما لا يقدر عليه إلا اللّه شرك أكبر، كما قال**

---

(١) مجموع فتاوى اللجنة الدائمة ٢٠٦/١.

(٢) الزاهر في معاني كلمات الناس ٩٣/٢، ومجمع الأمثال ٢٩٦/٢، وقال الزمخشري في الفائق ٤٠١/٢: «علي رضي اللّه تعالى عنه قال لبعض أصحابه وقد تخلَّف عنه يوم الجمل: ما عدا ممَّا بدا. أي: ما عداك بمعنى: ما منعك وما شغلك ممَّا كان بدا لك من نصرتي».

تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝٩﴾ [الأنفال] فهذا النوع لا يقدر عليه إلا اللّه فهو الذي ينصر ويعز ويرفع ويشفي ويعافي ويبسط الرزق، ويُقْصدُ في هذه الأمور التي لا يقدر عليها إلا اللّه.

وهكذا يقال في الاستعاذة والاستعانة؛ فلو كلمت رجلًا حيًّا حاضرًا وطلبت منه أن يقرضك مالًا، فهذا من الاستعانة بأخيك، وهو حي حاضر في أمر يقدر عليه فلا يكون شركًا، أو استعذت بمن يقدر على إعاذتك مثل: أن تستعيذ بالسلطان من شر قاطع طريق أو تستعين بشخص ليحمل معك متاعك، فهذا ليس من الشرك؛ بل هو من الأمور المباحة، وهي من الأمور التي في قدرة البشر، وجرت عادتهم ببذلها.

والواجب على كل مؤمن أن يلجأ إلى اللّه تعالى عند ورود الشبهات والتباس الأمور عليه؛ فقد أخرج مسلم عن عائشة ﵂. تخبر عن رسول الله ﷺ، قالت: كان إذا قام من الليل افتتح صلاتَه: «**اللّهم ربّ جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السَّماوات والأرض، عالم الغيب والشَّهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختُلِفَ فيه من الحقِّ بإذنك، إنَّك تهدي مَن تشاء إلى صراطٍ مُستقيمٍ**»(١).

وأما الأخذ ببعض النصوص والإعراض عن بعض، أو ادعاء أنها متناقضة، فهذا ليس سبيل من أراد الحق، وصدق مع اللّه تعالى.

فالعبد قد يلتبس عليه الحقُّ، وقد يقرأ الحقَّ، ولكنَّه لا يُوفَّق

---

(١) مسلم (٧٧٠).

لفهمه ويُحجب عنه، فيحتاج إلى هدايةٍ للعلم الصَّحيح، وهدايةٍ إلى العمل به، وهداية أن يثبته اللّه على ذلك.

فهاهنا داءان خطيران؛ الأول: الجهل، والثاني: سوء القصد، فإذا اجتمعا تمت خسارة العبد.

وقول الكاتب ص ١٢٧: **[ماذا تقصدون بـ «ما لا يقدر عليه إلا اللّه» إن كنتم تقصدون ما يدخل الدعاء ضمن العمل الذي يصرف شيئًا من خصائص الربوبية لغير اللّه تعالى فقد وافقتم غيركم ممن تزعمون مخالفتهم لأن هذا هو ضابط الشرك عند مخالفيكم...]**.

والرد عليه: أن المقصود واضح، وهو النظر إلى عمل العبد دون النظر إلى ما يعتقد، فالعبد إذا أظهر دعاءه لغير اللّه من الأموات والغائبين، فطلب منهم النصر والشفاء والعافية، أو طلب منهم الشفاعة والتوسط عند اللّه ليغفر له، أو طلب منهم أن يرفعوا حاجاته إلى اللّه؛ فقد أشرك باللّه الشرك الأكبر، وخرج من ملة الإسلام، ونقض العهد الذي عاهد اللّه به في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾، ووقع في الشرك الذي حرمه اللّه، وأخبر أنه لا يغفر لصاحبه، وأنه مخلد في النار.

وأما كونه يعتقد في المعبودين من دون اللّه خصائص الربوبية أو لا يعتقد؛ فهذا كفر آخر أعظمُ من الأول، فإن دعا الأموات والغائبين وقال: إنهم يملكون ويرزقون ويدبرون، كَفَرَ وأشركَ من جهتين: جهة العبادة، وجهة الاعتقاد.

أما إن صرف هذه العبادات لغير اللّه، ثم ادعى أنه لا يعتقد فيهم أنهم أرباب، فقد كفر من جهة صرف العبادة لغير اللّه.

وأهل الأهواء قد هوّنوا على هؤلاء المشركين الأمر؛ فقالوا:

إنهم إن اعتقدوا في المعبودين من دون اللّه أن اللّه قد أذن لهم بفعل ما لا يقدر عليه إلا اللّه، فقد أخطؤوا فقط، بل هم ـ عندهم ـ لا يقعون في الشرك حتى لو اعتقدوا خصائص الربوبية وهي المعبر عنه (ما لا يقدر عليه إلا اللّه).

وبهذا فتحوا للجهال أبواب الشرك في الألوهية والعبادة بل حتى في الربوبية، ووضعوا لهم المخارج لتهوين الشرك عندهم فلسان حالهم وربما لسان مقالهم أنهم يقولون لهم: قولوا: إننا نعتقد أن اللّه أذن لهم بالتصرف!

قولوا: إننا نعتقد أن الموتى يسمعون!

قولوا: إننا نعتقد أن الموتى لهم كرامات بعد موتهم.

وهكذا يغشونهم ويفسدون عليهم عقيدتهم.

غاية ما في الأمر أن يقولوا دفاعًا عنهم: إذا قلتم ذلك فقد أخطأتم، وأنتم على الإسلام وعلى ما كان عليه الرسول ﷺ والصحابة، فأي غش للمسلمين أعظم من هذا الغش، ولهذا قال ﷺ: «**أخوف ما أخاف على أمتي الأئمة المضلين**»[(١)].

➢ استناد الكاتب على شبهة أن من دعا الموتى أنه يعتقد أنهم يسمعونه!

ومن أغلاط الكاتب قوله في ص ١٣٢: [**من سأل ميِّتا أو غائبًا معتقدًا سماعه... أو معتقدًا وجود من يبلغه فما هو سبب الحكم بشركه؟!**].

---

(١) أخرجه أبو عوانة في المستخرج (١٢٦٠٩)، وابن حبان (٤٨٤٦)، وانظر: الصحيحة (١٥٨٢).

وكذلك قوله في نفس الصفحة: **[لو سأل الداعي حيًّا سامعًا ما لا يقدر عليه إلا اللّه تعالى وهو يعتقد أنه يفعل ذلك بإذن اللّه.. أقصى ما يبلغه في دعائه هذا أن يكون مخطئًا]**.

والجواب: أن الحكم بالشرك أمر شرعي، يجب الاعتماد فيه على الأدلة، وقد وضح اللّه في كتابه أن من سأل ميتًا أو غائبًا أنه مشرك؛ فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ۝١٣ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ۝١٤﴾ [فاطر] فقوله: ﴿يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ﴾ صريح في تسمية دعاء الأموات والغائبين شركًا.

وهكذا قوله تعالى: ﴿وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝١١٧﴾ [المؤمنون] فسماه كافرًا.

وهكذا قوله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ۝٢٠ أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ۝٢١ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٞ وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ ۝٢٢﴾ [النحل] فسماهم أمواتًا، وحكم على من يدعوهم بالكفر وعدم الإيمان بالآخرة، فالمؤمن باللّه واليوم الآخر لا يعبد إلا اللّه تعالى ولا يدعو غيره.

وقد تقدم ذكر عدد من الأدلة على أن من دعا غير اللّه فهو مشرك كافر.

* * *

➢ الكاتب لا يرى طلب الرزق وإنزال المطر من الملائكة ودعاءهم من دون اللّه شركًا:

قال الكاتب في ص ١٣١: [**فلو دعا مسلمٌ ملائكةَ الموت بأن يخففوا عليه قبض روحه، أو دعا ملائكةَ تقسيم الأرزاق بأن يوسّعوا عليه رزقه أو أن يُنزلوا الغيثَ وهو يعلم أنهم لا يفعلون ذلك إلا بإذن اللّه، هل سيكون مشركًا بذلك؟ أم سيكون مخطئًا.. ومع الحكم بخطئه إلا أنه قطعًا لم يشرك لأنه لم يصرف شيئًا من خصائص الربوبية لغير اللّه؛ لأنه كان يعتقد أن الملائكة عبيد اللّه ولا يفعلون شيئًا إلا بإذنه**].

هنا يتبين أن الكاتب يرى أن دعاء العبد للملائكة والاستغاثة بهم في طلب الرزق منهم وطلب إنزال المطر والتخفيف عند قبض الروح: أن ذلك كله ليس من الشرك في شيء.

فلو قال: يا مَلَك الموت: خفِّف عليَّ عند قبض روحي.

ويا ميكائيل: ارزقني، ووسِّع لي في الرزق.

يا ميكائيل أنزل المطر على مزرعتي، وأنزل المطر يا ميكائيل على بلادي.

وهناك خزنة الجنة والنار، وملائكة الحفظ يحفظونه من أمر اللّه، وملائكة للنصر والتثبيت: ﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ﴾ [الأنفال: ١٢].

فعند هذا الكاتب لو دعا هؤلاء الملائكة بما هم مكلفون به، فليس من الشرك في شيء غاية ما هنالك أنه أخطأ!!.

وقول الكاتب في نفس الصفحة: [**بل قد يعلم العبد أن عبدًا من عباده قد أذن اللّه تعالى له بفعل من أفعال تدبيره..**].

أي أن هذا ليس خاصًّا بالملائكة، بل كل من طلب من غير اللّه معتقدًا أن اللّه أذن لهم فلا يخرجه ذلك من الإسلام، وليس فعله بشرك!!

فمن طلب هذه الأمور من ذلك العبد المأذون له فلا يكون مشركًا!!

فجعل الكاتب طلب ما لا يقدر عليه إلا اللّه لا يكون من الشرك؛ بحجة أن العبد الطالب السائل يقول: إن اللّه أذن لذلك الملَك أو النبي بهذا التصرف!

وصرف الدعاء لغير الله، واعتقاد أن الأموات يتصرفون في الكون مناقض لدين الإسلام ومناقض لصريح القرآن الكريم.

فقد بين اللّه تعالى أن من أنواع شرك المشركين: دعاءَهم الملائكة وسؤالهم من دون اللّه، قال تعالى ﴿۞وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩﴾ [الأنبياء].

فلا يخفى أن المشركين منهم من عبد الملائكة. وهل كانت عبادتهم الملائكة إلا بمثل هذا العمل الذي هوّن منه الكاتب وجعله خطأ وليس شركًا!.

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والمشركون من هؤلاء قد يقولون: إنا نستشفع بهم، أي: نطلب من الملائكة والأنبياء أن يشفعوا، فإذا أتينا قبر أحد طلبنا منه أن يشفع لنا، فإذا صورنا تمثاله ـ والتماثيل، إما مجسدة، وإما تماثيل مصورة، كما يصورها النصارى في كنائسهم ـ قالوا: فمقصودنا بهذه التماثيل تذكر أصحابها وسيرهم، ونحن نخاطب هذه التماثيل، ومقصودنا خطاب أصحابها ليشفعوا لنا إلى اللّه. فيقول أحدهم: يا سيدي فلانًا، أو يا سيدي جرجس، أو

بطرس أو ياستي الحنونة مريم. أو يا سيدي الخليل أو موسى ابن عمران أو غير ذلك، اشفع لي إلى ربك. وقد يخاطبون الميت عند قبره أو يخاطبون الحي وهو غائب، كما يخاطبونه لو كان حاضرًا حيًا وينشدون قصائد يقول أحدهم فيها: يا سيدي فلانا! أنا في حسبك، أنا في جوارك، اشفع لي إلى اللّه، سل اللّه لنا أن ينصرنا على عدونا، سل اللّه أن يكشف عنا هذه الشدة، أشكو إليك كذا وكذا فسل اللّه أن يكشف هذه الكربة. أو يقول أحدهم: سل اللّه أن يغفر لي... فهذه الأنواع من خطاب الملائكة والأنبياء والصالحين بعد موتهم عند قبورهم وفي مغيبهم، وخطاب تماثيلهم، هو من أعظم أنواع الشرك الموجود في المشركين من غير أهل الكتاب، وفي مبتدعة أهل الكتاب والمسلمين الذين أحدثوا من الشرك والعبادات ما لم يأذن به اللّه تعالى»[(١)].

وقال أيضًا: «فبيّن سبحانه أن من اتخذ الملائكة والنبيين أربابًا فهو كافر، مع أن المشركين إنما كانوا يتخذونهم شفعاء ويتقربون بهم إلى اللّه زلفى، فإذا كان هؤلاء الذين دعوا مخلوقًا ليشفع لهم عند اللّه، كما يشفع المخلوق عند المخلوق، فيسأله ويرغب إليه بلا إذنه، وقد جعلهم اللّه مشركين كفارًا مأواهم جهنم، فكيف بشرك هؤلاء الفلاسفة...»[(٢)].

وتقدم قول ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ﴾ [الزمر: ٣]: «... فعبدوا تلك الصور تنزيلًا لذلك منزلة عبادتهم الملائكة؛ ليشفعوا لهم عند اللّه في نصرهم ورزقهم، وما ينوبهم من أمر الدنيا... وأخبر أن الملائكة التي في السمٰوات من

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ٢٣.

(٢) الرد على المنطقيين ص ٥٧٨.

المقربين وغيرهم، كلهم عبيد خاضعون للّه، لا يشفعون عنده إلا بإذنه لمن ارتضى، وليسوا عنده كالأمراء عند ملوكهم، يشفعون عندهم بغير إذنهم فيما أحبه الملوك وأبوه، ﴿فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ﴾ [النحل: ٧٤]، تعالى اللّه عن ذلك».

وتقدم جواب العلامة ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن حكم دعاء الملائكة وقوله: «**هذا لا يجوز، بل هو من الشرك الأكبر**»(١).

ومن دعاء الملائكة: الاستغاثة بهم، وطلب المدد منهم، وسؤالهم الشفاعة؛ فكل هذا يدخل في الشفاعة الشركية.

والاستناد على طلب شفاعة غير اللّه من الغائبين من الملائكة أو الأنبياء أو سائر الموتى وغيرهم، باب عظيم يدخل تحته صور كثيرة من الشرك؛ فمن ذلك: التقرب إليهم بالسجود أو الركوع أو النذر لهم أو الذبح لهم؛ فإذا جاز دعاؤهم!! فما دون الدعاء يدخل في ذلك، وهذا الذي قرره الكاتب.

وليس هذا فحسب؛ بل وَسّع الكاتب الدائرة فزعم أن السجودَ للملائكة والنذرَ لهم لا يكون شركا عنده إلا باعتقاد الإخلال بالربوبية، فقال مصرّحاً بهذا المعنى كما في ص ١٣٦: **[وباب الدعاء في هذا الضابط ليس بدعًا أنه لا يكون شركًا إلا بالإخلال بالربوبية بل هو الضابط المطرد الوحيد في باقي أبواب العبادة كلها]**.

وقد أنزل اللّه تعالى في كتابه النهي عن دعوة الأنبياء والصالحين والملائكة فقال: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ٥٦﴾ [الإسراء] والآيات بعدها، نزلت فيمن يدعو المسيح وأمه والعزير والملائكة في قول أكثر المفسرين من السلف.

---

(١) انظر ما تقدم ص٦٥٠.

إنّ الملائكة خَلْقٌ من خَلْقِ اللّه تعالى، وإنما هم منفذون لأمر اللّه طائعون له؛ وأخبر تعالى عن قول الملائكة: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَۚ﴾ [مريم: ٦٤] وقال تعالى: ﴿۞وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنبياء]، وهم ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم].

فالطلب من الملائكة وسؤالهم والاستغاثة بهم هو ما يفعله المشركون، وقد أبطله اللّه تعالى في القرآن الكريم، والشرك بدعاء الملائكة وقع فيه كفرة النصارى وكفرة أهل الجاهلية، وهو متضمن للخضوع والذل والرجاء والخوف والمحبة، وهذه هي العبادة والنبي ﷺ قال «**الدعاء هو العبادة**»، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سبأ]. قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كان المشركون يزعمون أنهم يعبدون الأنداد التي هي على صورة الملائكة ليقربوهم إلى اللّه زلفى»[1].

ثم يقال لهذا الذي دعا الملائكة أو غيرهم من الغائبين والموتى من دون اللّه: ما يدريك أنهم يسمعون دعاءك؟

فليس مع من قال: إنهم يسمعون دعاءه، إلا التخرص والظن.

ويقال له أيضًا: لماذا يُعرض عن سؤال رب العالمين إلى سؤالهم إلا لما قام في قلبه من الشرك بهم.

فمن بلغته هذه الأدلة وظن أن رسول اللّه ﷺ يرضيه الإعراض

(١) تفسير ابن كثير ٦/٥٢٤.

عن سؤال ربه والرغبة إليه ورجائه والاعتماد عليه: فقد ظن برسول اللّه ﷺ ما هو بريء منه، كما برأه اللّه تعالى بقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾﴾ [الجن] وقوله: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأحقاف].

وبهذا عُلِمَ أن دعاء غير اللّه من الغائبين كالملائكة أنه من الشرك باللّه تعالى.

تسويغ الكاتب الاعتقاد بأن اللّه يأذن لبعض العباد بفعل ما لا يقدر عليه إلا اللّه:

وقول الكاتب: **[بل قد يعلم العبد أن عبدًا من عباده قد أذن اللّه تعالى له بفعل من أفعال تدبيره..]** ثم بنى على ذلك أن من طلب هذه الأمور من ذلك العبد المأذون له فلا يكون مشركًا!!

والرد عليه:

١ ـ لا يمكن أن يأذن اللّه لأحد بالتصرف في الكون والتدبير والرزق والنصر والحفظ وغير ذلك؛ بل جميع المخلوقات مدبرة مقهورة مملوكة لرب العالمين لا تملك لنفسها، فضلًا عن غيرها، نفعًا أو ضرًّا، وإنما جُعِلَ للعباد أشياء محدودة، جعلها اللّه بإذنه ﷻ يتصرفون بها في حدودهم، كما أعطى الرجل ما يعينه على تعاطي أسباب الرزق من اليد والعقل والسمع والبصر، وأعطاه ما يعينه على أسباب النسل والذرية من النكاح، ما من مخلوق إلا وجعل له طبيعة تخصه، وأشياء تخصه، ليست متعلقة بالكائنات كلها، ولا مدبرة للكائنات.

«وهذا لا يليق به سبحانه أن يجعل رزق العباد عند غيره، بحيث

يصير ذلك الغير هو مقصود الذي يرغبون إليه ويسألونه قضاء حوائجهم»[١].

وسئلت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في المملكة العربية السعودية هذا السؤال: «**هل للأولياء كرامة، وهل لهم أن يتصرفوا في عالم الملكوت في السماوات والأرض، وهل يشفعون وهم في البرزخ لأهل الدنيا أم لا؟**

الجواب: الكرامة: أمر خارق للعادة يظهره اللّه تعالى على يد عبد حي من عباده الصالحين إكرامًا له، فيدفع به عنه ضرًا، أو يحقق له نفعًا، أو ينصر به حقًا، وذلك الأمر لا يملك العبد الصالح أن يأتي به إذا أراد كما أن النبي لا يملك أن يأتي بالمعجزة من عند نفسه، بل كل ذلك إلى اللّه وحده، قال اللّه تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ۝٥٠﴾ [العنكبوت]، ولا يملك الصالحون أن يتصرفوا في ملكوت السماوات والأرض إلا بقدر ما آتاهم اللّه من الأسباب كسائر البشر من زرع وبناء وتجارة، ونحو ذلك، مما هو من جنس أعمال البشر بإذن اللّه تعالى، ولا يملكون أن يشفعوا وهم في البرزخ لأحد من الخلق أحياء وأمواتا، قال اللّه تعالى في سورة الزمر: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ﴾ [الزمر: ٤٤].

وقال في سورة الزخرف: ﴿وَلَا يَمۡلِكُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ۝٨٦﴾ [الزخرف]، وقال في سورة البقرة: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ومن اعتقد فيهم أنهم يتصرفون في الكون أو يعلمون الغيب فهو كافر؛

---

(١) تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس ص٢٣.

لقول اللّه ﷻ في سورة المائدة: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرُۢ ۝١٢٠﴾ [المائدة]، وقوله سبحانه في سورة النمل: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ [النمل: ٦٥]، وقوله سبحانه آمرًا نبيه ﷺ بما يزيل اللبس ويوضح الحق، في سورة الأعراف: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝١٨٨﴾ [الأعراف]، وباللّه التوفيق، وصلى اللّه على نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم»[١].

وقال الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن العقائد المضادة للحق: ما يعتقده بعض المتصوفة من أن بعض من يسمونهم بالأولياء يشاركون اللّه في التدبير، ويتصرفون في شؤون العالم، ويسمونهم بالأقطاب والأوتاد والأغواث، وغير ذلك من الأسماء التي اخترعوها لآلهتهم، وهذا من أقبح الشرك في الربوبية، وهو شر من شرك جاهلية العرب؛ لأن كفار العرب لم يشركوا في الربوبية، وإنما أشركوا في العبادة، وكان شركهم في حال الرخاء، أما في حال الشدة فيخلصون للّه العبادة، كما قال اللّه سبحانه: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ۝٦٥﴾ [العنكبوت].

أما الربوبية فكانوا معترفين بها للّه وحده، كما قال سبحانه: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ﴾ [الزخرف: ٨٧]. وقال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٣١﴾ [يونس]. والآيات في هذا المعنى كثيرة.

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة ١/٥٧٤.

أما المشركون المتأخرون فزادوا على الأولين من جهتين: إحداهما: شرك بعضهم في الربوبية، والثانية: شركهم في الرخاء والشدة، كما يعلم ذلك من خالطهم وسبر أحوالهم، ورأى ما يفعلون عند قبر الحسين والبدوي وغيرهما في مصر، وعند قبر العيدروس في عدن، والهادي في اليمن، وابن عربي في الشام، والشيخ عبد القادر الجيلاني في العراق، وغيرها من القبور المشهورة التي غلت فيها العامة، وصرفوا لها الكثير من حق اللّه ﷻ، وقَلَّ من ينكر عليهم ذلك، ويبين لهم حقيقة التوحيد الذي بعث اللّه به نبيه محمدًا ﷺ، ومن قبله من الرسل عليهم الصلاة والسلام، فإنا للّه وإنا إليه راجعون، ونسأله سبحانه أن يردهم إلى رشدهم، وأن يكثر بينهم دعاة الهدى، وأن يوفق قادة المسلمين وعلماءهم لمحاربة هذا الشرك، والقضاء عليه ووسائله، إنه سميع قريب»(١).

٢ ـ القول بأن اللّه أذن لبعض العباد بفعل من أفعال تدبيره هو من الإشراك مع اللّه في الربوبية، فإن اللّه أخبر أنه لا شريك له في خلقه ولا ملكه ولا تدبيره، كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [سبأ: ٢٤]، وقال: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [النمل: ٦٠]، وقال: ﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ [يونس: ٣١]، وقال: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾ [الإسراء: ١١١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ۝٣﴾ [فاطر]. وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ۝٢٠ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ بَل لَّجُّوا۟ فِى

(١) مجموع فتاوى الشيخ ابن باز ٢٦/١.

عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾﴾ [الملك]. وقال تعالى: ﴿فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ [العنكبوت].

فتأمل هذه الآيات ونظائرها، وانظر ما دلت عليه من اختصاصه تعالى وانفراده بالخلق والرزق اللذين هما أصل المخلوقات وقوامها، وانظر كيف استدل بهذا على وجوب عبادته وطاعته والإيمان به(١).

٣ ـ بإمكان كل من أشرك مع اللّه إلها آخر أن يقول: إن اللّه أذن لذلك المعبود مع اللّه بالتصرف، فلا يقع شرك في الأرض على هذا القول.

٤ ـ ليست العبرة باعتقاد العبد فيمن عبده من دون اللّه؛ أن اللّه أذن له أم لم يأذن، بل العبرة في صرفه خالص حق اللّه إلى غيره.

٥ ـ أن اللّه تعالى كفَّر المشركين بمثل هذا الاعتقاد، فقال: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يونس] وقال: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، فهذا ظنهم أنهم يشفعون وأنهم يقربون إلى اللّه، فلم ينفعهم.

٦ ـ أن اللّه تعالى بيّن أن المشركين كانوا يحتجون على صحة شركهم، ويدافعون عن أنفسهم بمثل هذه الحجة، فقال تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾﴾ [الأنعام] وقال: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن

(١) انظر: كتاب: تحفة الطالب والجليس في كشف شبه داود بن جرجيس ص ٧٣.

شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾﴾ [النحل].

فجعلوا مشيئته دليلًا على إذنه ورضاه فأكذبهم وردّ عليهم، ولم يكن هذا الاحتجاج نافعًا لهم، بل هذا مثل ما كان يقوله مشركو العرب في تلبيتهم: «**لبيك لا شريك لك، إلا شريكًا هو لك، تملكه وما ملك**»، ولو قال قائلهم: هؤلاء الأولياء شركاء للّه بإذن اللّه، لم ينفعه ذلك، وهو مشرك في الربوبية.

٧ ـ أن اللّه سبحانه قال: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأعراف] فهذا بيان أنهم احتجوا على ما يفعلونه من الباطل بأن الله أمرهم به، وبين سبحانه أن اللّه لا يأمر بالفحشاء.

٨ ـ أن كفار قريش كانوا يقولون في تلبيتهم «**لبيك... إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك**» فهذا اعتقاد أنهم مملوكون مأذون لهم من المالك، وهو اللّه، فلم يُغْنِهم ذلك من اللّه شيئًا، ولم يرفع عنهم وصف الحكم بكفرهم وشركهم.

٩ ـ أن المسلمين جميعًا يعلمون أن اللّه تعالى أعطى نبيه عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من الآيات ما لا يقدر عليه البشر، من إبراء الأكمه والأبرص وقيّد ذلك بإذنه، فقال تعالى: ﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًاۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِىۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِىۖ...﴾ [المائدة: ١١٠].

وإذا اعتقد أحدٌ أن ذلك الإعطاء بإذن اللّه، فهل يجعل قول من يقول: (يا سيدي المسيح اشفني) خطأ وليس بشرك!!

فيكون النصارى مخطئين غير مشركين بعبادتهم للمسيح ابن مريم!!

لا شك أن من قال هذا فقد قال قولًا باطلًا.

وأفضل الناس: الرسلُ، والملائكةُ من أفضل خَلْقِ اللّه، ولهم من المعجزات والكرامات والمقامات ما ليس لغيرهم، وقد جاء عيسى بن مريم بما هو من أفضل المعجزات والكرامات.

وقد أنكر تعالى على من دعاه وقصده في حاجاته وملماته، وأخبر أن فاعلَ ذلك كافرٌ بربه، ضالٌّ بعبادة غيره.

قال تعالى: ﴿وَلَا يَأۡمُرَكُمۡ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرۡبَابًاۗ﴾ [آل عمران: ٨٠]. الآية. والأرباب هنا: هم المعبودون المدعوون.

وقال تعالى فيمن عبد المسيح: ﴿قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرًّا وَلَا نَفۡعًاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٧٦﴾ [المائدة] فأخبر تعالى عن المسيح أنه لا يملك لمن دعاه نفعًا ولا ضرًّا، ولو قلَّ، كما تفيده صيغة التنكير، وأبطل عبادته، وأنكرها أشد الإنكار، ومعجزاته عليه الصلاة والسلام أوضح من الشمس وسط النهار.

وهذه الشبهة هي التي تعلق بها النصارى في دعائه ودعاء أمه.

فاحتجاج أهل الأهواء بهذه الشبهة «من جنس احتجاج النصارى على دعاء المسيح وأمه، وعبادتهما، ظنوا أن ما حصل للمسيح ولأمه عليهما السلام من المعجزات والكرامات، يبيح لهم دعاءهما وعبادتهما. وإذا خاطبت النصراني سرد عليك من المعجزات والكرامات التي أعطيها المسيح، واحتج بها على دعواه.

وعبّاد القبور يحتجون في هذا الباب بما لم يثبت. وما ثبتَ فأكثرُه دون ما أعطيه المسيح، ومع ذلك فالاحتجاج به على دعائهم من جنس حجج النصارى، لا يدل على المدَّعَى، بل غايته أن يدل

على علو الدرجة، وصدق الرسالة، أو ثبوت الولاية إذا اقترن به عمل صالح.

وأما الاستدلال بذلك على أنه يُدعى ويُرجى، ويَشْفع ويَنْفع، فهذا من دين النصارى والصابئة، وعباد الأصنام.

وهذه الشبهة هي التي أوقعت في الشرك جمهور المشركين.

فإن أصل عبادة الأصنام هو التعلق على الصالحين، وتصوير صورهم وتماثيلهم. بل عباد الكواكب دعاهم إلى عبادتها ما أودع اللّه فيها من الحِكم والمنافع التي ظهرت آثارها في هذا العالم، كما يعرفه من عرف مذاهب القوم.

وطرد الدليل الذي استدل به العراقي: أن يقال بدعاء كل ذي كرامة وقربة، إذا اعتقد أن الفاعل هو اللّه، ولا يتوجه الإنكار على النصارى في قولهم: يا عيسى افعل كذا، يا روح القدس أعطني كذا، ويا والدة المسيح اشفعي لنا إلى الإله، لأنه من أولي العزم، ومن أكابر أهل الكرامات.

والمسلم إذا تصور هذا ظهر له ما فيه من الجهل والضلال، بمجرد الفطرة، ومعرفة الإسلام»[1].

وهذا الذي يُقرره الكاتب قد قاله داوود بن جرجيس العراقي: (وإنَّما الشرك طلب ما لا يقدر عليه إلا اللّه، ولم يعطهِ أحدًا من خلقه)[2].

---

(١) تحفة الطالب والجليس ص ٥٦.

(٢) نقل الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن بن حسن قوله هذا في رده عليه في مصباح الظلام ص٣٩٠، ٤٠٠.

وقال غيره من دعاة الشرك: «وكيف ينكر تصرفه في إعطاء أحد بإذن اللّه من الدنيا في حياته، أو في الآخرة بعد وفاته؟».

فرد عليه الشيخ عبد الرحمٰن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: «أقول: هذا كلام من اجترأ وافترى، وأساء الأدب مع اللّه، وكذب على رسوله ﷺ، ولم يعرف حقيقة الشفاعة، ولا عرف تفرُّد اللّه بالملك يوم القيامة. وهل قال رسول اللّه ﷺ أو أحد من أصحابه أو من بعدهم من أئمة الإسلام: إن أحدًا يتصرَّف يوم القيامة في ملكه؟

ولو أطلقت هذه العبارة في حق رسول اللّه ﷺ لادَّعاه كلٌّ لمعبوده من نبي ومَلَك أو صالح أنه يشفع له إذا دعاه. ﴿سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الفرقان: ١٨]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [هود: ١٠٥] الآية، وقال: ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ: ٣٨].

وهذا القول الذي قاله الجاهل؛ قد شافهنا به جاهل مثله بمصر، يقول: الذي يتصرف في الكون سبعة: البدوي والإمام الشافعي والشيخ الدسوقي، حتى أكمل السبعة من الأموات، هذا يقول: هذا وليٌّ له شفاعة، وهذا صالح كذلك!

وقد قال اللّه تعالى: ﴿لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ۝١٥ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ۝١٦﴾ إلى قوله: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾. وأي ظلم أعظم من الشرك باللّه، ودعوى الشريك له في الملك والتصرف؟ وهذا غاية الظلم»[1].

١٠ ـ أن أفضلَ خَلْقِ اللّه: نبيُّه محمدٌ ﷺ، ومع ذلك جرى عليه من البلاء والابتلاء ما يُعْلم به أنه لا يمكن لأحد أن يقال عنه

---

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية ١١/١٥٢.

أنه يتصرف في الكون، أو أنه مأذون له بالتصرف، فقد شُجَّ يوم أُحُد، وكُسرتْ رَباعيته، ودخلت حلقتا المغفر في وجنته، وجُحِشَ عن فرسه فمكث شهرًا كاملًا يصلي بالمسلمين الصلاة المفروضة قاعدًا، ومرض وتداوى ورقى نفسه ورقاه جبريل، وخفي عليه موضع عقد عائشة حتى نزلت آية التيمم، وأخبر أنه لا يعلم ما في غد إلا اللّه، وأخبر أنه يوم القيامة يقال له على الحوض إذا طرد أناس من أمته عن الحوض: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك.

وبيّن للجميع الأقربين والأبعدين أنه لا يملك لأقرب الناس إليه نفعًا ولا ضرًّا «**لا أغني عنكم من الله شيئًا**»[1]، ودعا على قوم فلم يستجب له؛ فأسلموا، وأنزل الله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

فكيف يقال: إن عبد القادر الجيلاني أو غيره يتصرف في الكون؟! كما ينقل بعضهم: «قال الشيخ علي الفرنتي: رأيت أربعة من المشايخ يتصرفون في قبورهم كتصرف الأحياء: الشيخ عبد القادر والشيخ معروف الكرخي والشيخ عقيل المنبجي والشيخ حياة بن قيس»[2].

وقال يوسف بن إسماعيل النبهاني: «قال سيدنا أبو السعود بن الشبل البغدادي رضي الله عنه، عاقل زمانه، وقد سأله بعض من لا يكتمه من حاله شيئًا: هل أعطاك اللّه التصرف وهو أصل الكرامات؟ فقال: نعم منذ خمسة عشر سنة، وتركناه تظرفًا، فالحق يتصرف لنا»[3].

(١) أخرجه البخاري (٤٧٧١)، ومسلم (٢٠٦).
(٢) تاريخ ابن الوردي ٢/٧٠.
(٣) جامع كرامات الأولياء ١/٣٩.

ويقول الشعراني في ترجمة علي الخواص: «ومن كراماته أنه كان يعرف بالنسّابة لكونه كان يعرف نسب بني آدم وجميع الحيوانات إلى آبائها الأول التي لم يتقدمها أب، ومنها أنه كان إذا نظر في الميضأة التي يتوضأ منها الناس عرف جميع الذنوب التي غُفِرَتْ، وخَرَّتْ في الماء من غسالتها، ويعرف أهل تلك الذنوب على التعيين، ويميز بين غسالة كل ذنب عن الآخر من كبائر وصغائر... ومنها أنه كان إذا نظر في دواة الحبر يرى الحروف التي تكتب منها إلى أن يفرغ الحبر... ومنها أنه كان إذا نظر إلى أنف إنسان، يعرف جميع زلاته السابقة واللاحقة إلى أن يموت... ومنها أنه كان يرى في الليل والنهار معاريج أعمال الناس إلى السماء على التعيين.. ومنها أنه كان يعرف مدة أعمار الخلائق.. وأصل ذلك أن مطمح بصر الشيخ كان اللوح المحفوظ»[1].

قال الشيخ صنع اللّه الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أما قولهم: إن للأولياء تصرفات في حياتهم وبعد الممات يرده قوله جلّ ذكره ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ [النمل: ٦٠] ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] ﴿لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النساء: ١٧٠] ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٠٧]، وما هو نحوه من الآيات الدالة على أنه المنفرد بالخلق والتصرف والتقدير، ولا شركة لغيره في شيء ما بوجه من الوجوه، فالكل تحت ملكه وقهره تصرفًا وملكًا، وإحياء وإماتة وخلقًا، وعلى هذا اندرج الأولون ومن بعدهم، وأجمع عليه المسلمون ومن تبعهم، وفاهوا به كما فاهوا بقولهم: لا إلٰه إلا اللّه»[2].

وقال أيضًا: «وأما القول بالتصرف بعد الممات فهو أشنع وأبدع

(١) لطائف المنن ٢٦/١ ـ ٢٧.
(٢) سيف اللّه على من كذب على أولياء اللّه ص ٢٨ ـ ٣٠.

من القول بالتصرف في الحياة»[(١)].

١١ ـ القول بأن اللّه أَذِنَ لعبدٍ في التصرف، وأنّ من اعتقد ذلك أخطأ؛ يبيّن أن الكاتب غالط ومُغَالط، ووجه ذلك: أن الكاتب يدعي أن الشرك في الربوبية: هو اعتقاد خصائص الربوبية لغير اللّه، وأنه الموجب للكفر، ثم عاد ناقضًا لما قرره زاعمًا أن هذا الشرك في الربوبية مجرّدُ خطأ وليس بكفر بمجرد اعتقاد أنه مأذون له.

والحقُّ أنّ هذا شرك في الربوبية، وإذا سألهم ودعاهم من دون الله؛ فهذا شرك في الألوهية أيضًا.

١٢ ـ هذا القول يقتضي أن أخبث العقائد المبنية على أخبث الأقوال كالقول بربوبية بعض بني آدم، وقول بعضهم عن نفسه: (إنه هو الله) فيحتج بأن الله أذن له بهذا القول، يمكن الاعتذار لأصحابها بمثل هذا العذر؛ وعليه فكل من عبد غير اللّه فهو مخطئ ليس بمشرك، وقد حكم اللّه على من عبد غير الله بالكفر والشرك فيرد حكم اللّه عليهم ويعتذر لهم!

١٣ ـ من الذي افترى هذا القول وهو الإذن بالتصرف، وقد نفاه اللّه عن أول الرسل وآخرهم في قوله تعالى: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ. . .﴾ [هود: ٣١]، وقال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ . . .﴾ [الأنعام: ٥٠] فحال هذا المفتري على اللّه الكذب أسوأ حال، ويدخل في من وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ٩٣].

---

(١) المصدر السابق ص٣٢.

١٤ ـ أن هذا القول هو ما يستند عليه كفرة الفلاسفة فإنهم «يجوزون دعاء الجواهر العلوية الشمس والقمر والكواكب، وكذلك الأرواح التي يسمونها العقول والنفوس، ويسميها من انتسب إلى أهل الملل الملائكة. وهؤلاء المشركون قد تنزل عليهم أرواح تقضي بعض مطالبهم وتخبرهم ببعض الأمور، وهم لا يميزون بين الملائكة والجن؛ بل قد يسمون الجميع ملائكة وأرواحًا، ويقولون: (روحانية الشمس) (روحانية عطارد) (روحانية الزهرة)، وهي الشيطان والشيطانة التي تضل من أشرك بها، كما أن لنفس الأصنام وهي التماثيل المصنوعة على اسم الوثن من الأنبياء والصالحين، أو على اسم كوكب من الكواكب، أو روح من الأرواح، والأصنام أيضًا لها شياطين تدخل فيها، وتكلم أحيانًا بعض المشركين، وقد تترايا أحياناً، فيراها بعض الناس من السدنة وغيرهم.

فالمشركون من الفلاسفة القائلين بقدم العالم هم أعظم شركًا، وما يدعونه من الشفاعة لآلهتم أعظم كفرًا من مشركي العرب؛ فإنهم لا يقولون إن الشفيع يسأل اللّه، واللّه يجيب دعوته، كما يقوله المشركون الذين يقولون: إن اللّه خالق بقدرته ومشيئته، فإن هؤلاء عندهم أنه لا يعلم الجزئيات ولا يحدث شيئًا بمشيئته وقدرته وإنما العالم فاض عنه.

فيقولون: إذا توجه الداعي إلى من يدعوه، كتوجهه إلى الموتى عند قبورهم وغير قبورهم وتوجهه إلى الأرواح العالية، فإنه يفيض عليهم ما يفيض من ذلك المعظم الذي دعاه واستغاث به وخضع له من غير فعل من ذلك الشفيع ولا سؤال منه للّه تعالى، كما يفيض شعاع الشمس على ما يقابلها من الأجسام الصقيلة كالمرآة وغيرها، ثم ينعكس الشعاع من ذلك الجسم الصقيل إلى حائط أو ماء.

وهذا قد ذكره غير واحد من هؤلاء كابن سينا ومن اتبعه كصاحب الكتب المضنون بها وغيره.

وهؤلاء يزورون القبور الزيارة المنهي عنه بهذا القصد؛ فإن الزيارة الشرعية مقصودها مثل مقصود الصلاة على الجنازة، يقصد بها السلام على الميت والدعاء له بالمغفرة والرحمة.

وأما الزيارة المبتدعة التي هي من جنس زيارة المشركين، فمقصودهم بها طلب الحوائج من الميت، أو الغائب إما أن يطلب الحاجة منه أو يطلب منه أن يطلبها من اللّه وإما أن يقسم على اللّه به، ثم كثير من هؤلاء يقول أن ذلك المدعو يطلب تلك الحاجة من اللّه، أو أن اللّه يقضيها بمشيئته واختياره للإقسام على اللّه بهذا المخلوق.

وأما أولئك الفلاسفة فيقولون: بل نفس التوجه إلى هذه الروح يوجب أن يفيض منها على المتوجه ما يفيض، كما يفيض الشعاع من الشمس من غير أن تقصد هي قضاء حاجة أحد، ومن غير أن يكون اللّه يعلم بشيء من ذلك على أصلهم الفاسد.

فتبين أن شرك هؤلاء وكفرهم أعظم من شرك مشركي العرب وكفرهم، وأن اتخاذ هؤلاء الشفعاء الذين يشركون بهم من دون اللّه أعظم كفرًا من اتخاذ أولئك»[(١)].

وهذا الكلام الذي ذكره ابن تيمية وبيّن أنه وقع فيه الفلاسفة عند زيارة القبور، قرّره أيضًا داعي التعطيل والوثنية محمد زاهد الكوثري في مقالاته قابلًا له ومروّجاً له؛ فقال في مقال بعنوان «محق التقول في مسألة التوسل»: «قال الرازي في تفسيره: إن الأرواح

---

(١) الرد على المنطقيين ص ٥٨٠.

البشرية الخالية من العلائق الجسمانية المشتاقة إلى الاتصال بالعالم العلوي بعد خروجها من ظلمة الأجساد تذهب إلى عالم الملائكة ومنازل القدس، ويظهر منها آثار في أحوال هذا العالم، فهي المدبرات أمرًا...».

وتابع الكوثري نقله عن الرازي من كتاب المطالب العالية، «وقال أيضًا في الفصل الثامن عشر من تلك المقالة: الفصل الثامن عشر في بيان كيفية الانتفاع بزيارة الموتى والقبور»: ثم قال سألني بعض أكابر الملوك عن المسألة، وهو الملك محمد بن سالم بن الحسين الغوري ـ وكان رجلًا حسن السيرة مرضي الطريقة، شديد الميل إلى العلماء، قوي الرغبة في مجالسة أهل الدين والعقل ـ فكتبت فيها رسالة وأنا أذكر هنا ملخص ذلك فأقول: للكلام فيه مقدمات، المقدمة الأولى: أنا قد دلَّلنا على أن النفوس البشرية باقية بعد موت الأبدان، وتلك النفوس التي فارقت أبدانها أقوى من هذه النفوس المتعلقة بالأبدان من بعض الوجوه. أما أن النفوس المفارقة أقوى من هذه النفوس من بعض الوجوه، فهو أن تلك النفوس لما فارقت أبدانها فقد زال الغطاء، وانكشف لها عالم الغيب، وأسرار منازل الأخرة، وصارت العلوم التي كانت برهانية عند التعلق بالأبدان ضرورية بعد مفارقة الأبدان[(١)]، لأن النفوس في الأبدان كانت في عناء وغطاء، ولما زال البدن أشرقت تلك النفوس وتجلت وتلألأت[(٢)]، فحصل للنفوس المفارقة عن الأبدان بهذا الطريق نوع من الكمال. وأما أن النفوس المتعلقة بالأبدان أقوى من تلك النفوس المفارقة من وجه أخر فلأن آلات الكسب والطلب باقية

(١) ادعاء علم الغيب عند النفوس بعد الموت من أعظم الافتراء والكذب.

(٢) هذا كذب بل هناك نفوس منعمة مشغولة بنعيمها وهناك نفوس معذبة.

لهذه النفوس بواسطة الأفكار المتلاحقة، والأنظار المتتالية تستفيد كل يوم علمًا جديدًا، وهذه الحالة غير حاصلة للنفوس المفارقة.

والمقدمة الثانية أن تعلق النفوس بأبدانها تعلق يشبه العشق الشديد، والحب التام، ولهذا السبب كان كل شيء تطلب تحصيله في الدنيا فإنما تطلبه لتتوصل به إلى إيصال الخير والراحة إلى هذا البدن. فإذا مات الإنسان وفارقت النفس هذا البدن، فذلك الميل يبقى[١]، وذلك العشق لا يزول وتبقى تلك النفوس عظيمة الميل إلى ذلك البدن، عظيمة الانجذاب، على هذا المذهب الذي نصرناه من أن النفوس الناطقة مدركة للجزئيات، وأنها تبقى موصوفة بهذا الإدراك بعد موتها، إذا عرفت هذه المقدمات فنقول: إن الإنسان إذا ذهب إلى قبر إنسان قوي النفس، كامل الجوهر شديد التأثير، ووقف هناك ساعة، وتأثرت نفسه من تلك التربة ـ وقد عرفت أن لنفس ذلك الميت تعلقًا بتلك التربة أيضًا ـ فحينئذ يحصل لهذا الزائر الحي، ولنفس ذلك الميت ملاقاة بسبب اجتماعهما على تلك التربة، فصارت هاتان النفسان شبيهتين بمرآتين صقيلتين وضعتا بحيث ينعكس الشعاع من كل واحدة منهما إلى أخرى.

فكل ما حصل في نفس هذا الزائر الحي من المعارف البرهانية، والعلوم الكسبية، والأخلاق الفاضلة من الخضوع له، والرضا بقضاء اللّه ينعكس منه نور إلى روح ذلك الميت[٢]، وكل ما حصل ذلك الإنسان الميت من العلوم المشرقة الكاملة فإنه ينعكس منه نور

(١) هذا من افتراءاته.

(٢) صار تأثير الحي على الميت ليس بالسلام والدعاء وإنما بأمور اتصف بها الزائر فتعجب من هذا الكذب والرجم بالغيب ومخالفة دين الإسلام.

إلى روح هذا الزائر الحي[(١)]. وبهذا الطريق تكون تلك الزيارة سببًا لحصول المنفعة الكبرى، والبهجة العظمى لروح الزائر، ولروح المزور، وهذا هو السبب الأصلي في شرع الزيارة[(٢)]، ولا يبعد أن تحصل فيها أسرار أخرى أدق وأغمض مما ذكرنا. وتمام العلم بحقائق الأشياء ليس إلا عند اللّه».

قال الكوثري بعد ذلك: «وها أنت رأيت ما يراه الإمام فخر الدين الرازي في الزيارة من الأخذ والعطاء، والاستفاضة والإفاضة على نسبة منزلتي المزور والزائر»[(٣)].

ثم نقل الكوثري عن السعد التفتازاني النص الآتي: «ولذا ينتفع بزيارة القبور أو الاستعانة بنفوس الأخيار من الأموات في استنزال الخيرات واستدفاع الملمات[(٤)]، فإن للنفس بعد المفارقة تعلقًا ما بالبدن وبالتربة التي دفن فيها. فإذا زار الحي تلك التربة، توجهت نفسه تلقاء نفس الميت حصل بين النفسين ملاقاة وإفاضات»[(٥)].

ثم نقل عن الجرجاني في أوائل حاشيته على (المطالع) وجه الحاجة إلى التوسل بالنبي ﷺ وآل بيته في الاستفاضة: «فإن قيل: هذا التوسل إنما يتصور إذا كانوا متعلقين بالأبدان، وأما إذا تجردوا عنها فلا، إذ لا وجهة مقتضية للمناسبة. قلنا: يكفيه أنهم كانوا

---

(١) الميت هنا عند الرازي هو الذي يؤثر في الحي وينتفع الحي من الميت وهذا هو مقتضى الزيارة الشركية الكفرية التي يظنها الكفار والمشركون قديمًا وحديثًا، والرازي ينادي إليها ويقررها زورًا وكذبًا على الشريعة.

(٢) من هنا يظهر كذبهم على دِين الإسلام.

(٣) مقالات الكوثري ص٣٤٥، وخبت وخسرت إن صدقت الرازي وكذبت الشرع، وما الكوثري إلا مروج للشرك الأكبر.

(٤) هذا بعينه هو اعتقاد المشركين.

(٥) شرح المقاصد ٣٣٨/٣، مقالات الكوثري ص٣٤٥.

متعلقين بها متوجهين إلى تكميل النفوس الناقصة بهمة عالية، فإن أثر ذلك باق فيهم، وكذلك كانت زيارة مراقدهم معدة لفيضان أنوار كثيرة منهم على الزائرين كما يشاهده، أصحاب البصائر»[١].

فهذا تقرير الكوثري الضال، وهذا تصريحه بالنقل عن المنحرفين من العلماء الذين أعادوا الشرك بهذه الافتراءات والكذب على اللّه، وما يغني العبد أن يجعل حجته في مصادمة كلام اللّه وكلام رسوله ﷺ احتجاجه بقول الرازي أو التفتازاني أو الجرجاني، ويترك ما عليه الصحابة والتابعون وأتباعهم بإحسان.

وإنما نقلت ذلك ليتبين دين المشركين، وكيف أعاد بعض علماء الضلال الأمر الجاهلي، وليتبين براءة الدين الإسلامي مما افتراه هؤلاء الكذبة على شرع اللّه وعلى رسله ووحيه، وليعلم أن الكاتب لما قال في ص١٣١: **[بل قد يعلم العبد أنَّ عبدًا من عباده قد أذن اللّه تعالى له بفعلٍ من أفعال تدبيره..]** فيُدْخل في ذلك افتراءات ابن سينا والرازي ومن جاء بعدهما.

قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن: «هذه الأقوال المبتدعة التي لم تصدر عن معصوم، بل ربما صدرت عمن لا يحكم بإسلامه كابن سينا وأمثاله، من الفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام وهم من أبعد الخلق عنه، وقد يقولها من يحسن الظن بهؤلاء ممن يخفى عليه حالهم، ولا دراية له بأقوال الخلق ومذاهبهم، والعصمة والسلامة في الاعتصام بحبل اللّه الذي هو كتابه ومتابعة نبيه ﷺ، وما عدا ذلك أو خالفه فلسنا منه في شيء»[٢].

---

(١) مقالات الكوثري ص٣٤٦.

(٢) البراهين الإسلامية في رد الشبهة الفارسية ص ٨٩.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن الفلاسفة يقولون: إن الحوادث التي في الأرض تعلمها النفس الفلكية، ويسميها من أراد الجمع بين الفلسفة والشريعة بـ (اللوح المحفوظ)، كما يوجد في كلام أبي حامد ونحوه.

وهذا فاسد؛ فإن اللوح المحفوظ الذي وردت به الشريعة كتب اللّه فيه مقادير الخلائق قبل أن يخلق السمٰوات والأرض بخمسين ألف سنة، كما ثبت ذلك في الصحيح عن النبي ﷺ.

واللوح المحفوظ لا يطلع عليه غير اللّه.

والنفس الفلكية تحت العقول، ونفوس البشر عندهم تتصل بها، وتنقش في نفوس البشر ما فيها!!

ولهذا يقول بعض الشيوخ الذين يتكلمون باللوح المحفوظ على طريقة هؤلاء، إما عن معرفة بأن هذا قولهم، وإما عن متابعة منهم لمن قال ذلك من شيوخه الذين أخذوا ذلك عن الفلاسفة، كما يوجد ذلك في كلام ابن عربي وابن سبعين والشاذلي وغيرهم، يقولون: إن العارف قد يطلع على اللوح المحفوظ! وأنه يعلم أسماء مريديه من اللوح المحفوظ! أو أنه يعلم كل ولي كان ويكون للّه من اللوح المحفوظ! ونحو هذه الدعاوى التي مضمونها أنهم يعلمون ما في اللوح المحفوظ.

وهذا باطل مخالف لدين المسلمين وغيرهم من أتباع الرسل.

والمقصود هنا أنهم يقولون: إن النفس إذا حصل لها تجرد عن البدن إما بالنوم وإما بالرياضة وإما بقوتها في نفسها اتصلت بالنفس الفلكية، وانتقش فيها ما في النفس الفلكية، من العلم بالحوادث الأرضية، ثم ذلك العلم العقلي قد تخبر به النفس مجردًا، وقد تصوره

القوة المخيلة في صورة مناسبة له، ثم تلك الصور تنتقش في الحس المشترك، كما أنه إذا أحس أشياء بالظاهر ثم تخيلها فإنها تنتقش في الحس المشترك، فالحس المشترك ترتسم فيه ما يوجد من الحواس الظاهر وينتقش فيه ما تصوره القوة المتخيلة في الباطن، وما يراه النائم في منامه والمحرور في حال مرضه من الصور الباطنة، هو من هذا لكن نفس النبي ﷺ لها قوة كاملة، فيحصل لها تجرد في اليقظة، فتعلم وتتخيل وترى ما يحصل لغيرها في النوم.

قيل: هذا الكلام أولًا: ليس من كلام قدماء الفلاسفة كأرسطو وأصحابه ولا جمهورهم؛ وإنما هو معروف عن ابن سينا وأمثاله.

وقد أنكر ذلك عليه إخوانه الفلاسفة كابن رشد وغيره، وزعموا أن هذا الكلام باطل ولم يتبع فيه سلفه.

وثانيًا: أنه مبني على أصول فاسدة كثيرة الأصل:

الأول: أنه لا سبب للحوادث إلا الحركة الفلكية وهذا من أبطل الأصول، الثاني: إثبات العقول والنفوس التي يثبتونها وهو باطل. . . الثالث: إثبات كون الفيض يحصل من النفس الفلكية.

فإنه لو سلم لهم ما يذكرونه من أصول، فعندهم ما يفيض على النفوس إنما هو من العقل الفعال المدبر لكل ما تحت فلك القمر، ومنه تفيض العلوم عندهم على نفوس البشر الأنبياء وغيرهم، والعقل الفعال لا يتمثل فيه شيء من الجزئيات المتغيرة، بل إنما فيه أمر كلي، لكنه بزعمهم دائم الفيض، فإذا استدعت النفس لأن يفيض عليها منه شيء فاض، وذلك الفيض لا يكون علمًا بجزئي، فإنه لا جزئي فيه، فكيف يقولون هنا: إن الفيض على النفوس هو من النفس الفلكية؟

وكلامهم في هذا الموضع قد عرف تناقضه وفساده؛ فإن العقل

إن كان يفيض عنه ما ليس هو فيه كان في المعلول ما ليس في العلة، وإن كان لا يفيض إلا ما فيه، فليس فيه إلا الكليات ليس فيه صور جسمانية ولا علم بجزئيات ولا مزاج ولا غير ذلك مما يدعون فيضه عن العقل»[(١)]، فُعِلَم بطلان قولهم بانتفاع الحي من الميت عند زيارته بمجرد ملاقاة الأرواح أو طلب الاستعانة من الميت أو غير ذلك مما يظنه كفرة الفلاسفة، وبالتالي فاعتقاد أن الله أذن لعبد بالتصرف في الكون والتدبير، هو من جملة ضلالات كفرة الفلاسفة والمشركين وامتدادٌ لها.

الرد على الكاتب بذكره القول بسماع الأموات:

قال الكاتب في ص١٣٢: **[من سأل ميتًا أو غائبًا معتقدًا سماعه كما هو معتقد كثير من علماء المسلمين من أن الموتى يسمعون وهذا هو معتقد ابن تيمية وابن القيم في سماع الموتى أيضًا، أو معتقدًا وجود من يبلغه].**

والرد عليه:

١ ـ أن صريح القرآن يبين أنهم لا يستجيبون ولو سمعوا، وأنهم لا يشعرون، قال تعالى: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾﴾ [فاطر]، ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [النمل: ٨٠]، ﴿۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأنعام].

٢ ـ من قال بسماع الأموات من العلماء لم يقل بجواز الاستغاثة بهم، أو سؤالهم الحاجات.

---

(١) الرد على المنطقيين ص ٥١٨ ـ ٥٢٠.

٣ ـ سماع الأموات لا يقتضي استجابتهم، ولا وجود القدرة عندهم.

٤ ـ أن القول بسماع الأموات لكل ما يقال حولهم؛ قول باطل ليس عليه دليل، وما ورد فإنه خاص، لا يقاس عليه.

٥ ـ أن القول بالاستغاثة بالحي الحاضر القادر؛ إنما هو فيما يملكه ويقدر عليه، وأما ما لا يقدر عليه الحي الحاضر فلا يطلب منه، كإنزال المطر والنصر على العدو وغفران الذنوب، فإن كان طلبها من الحي الحاضر شركًا؛ فكيف بمن يطلبها من ميت؟!

٦ ـ أن القول بجواز الاستغاثة بهم بناء على احتمال سماعهم؛ هو إحياء للشرك باللّه في أخص ما أوجبه على عبده، وهو دعاء اللّه والتعلق به دون من سواه.

قوله: **[معتقدًا وجود من يبلغه]**.

الجواب: لا أعلم مسلمًا يعتقد أن الأموات والغائبين يوجد من يبلغهم، إلا ما ثبت من أمر خاص بنبينا محمد ﷺ، وهو قوله: «**إن للّه ملائكة سيَّاحين في الأرض، يُبلغونني عن أمتي السَّلام**»[1].

وأما إطلاق القول بأن هناك من يبلغ الموتى والغائبين بهتافات الناس واستغاثاتهم؛ فهذا قول لا يعرف إلا عن الخرافيين وعُبّاد الأضرحة والقبور، والذين يُتْبِعون هذا الظنَّ بقولهم: إن لذلك الميت والغائب من القدرات الخارقة والكرامات الهائلة، فيجعلونه قادرًا على الشفاء والرزق والنصر والحفظ.

وهذا ما يشير إليه بقوله في ص ١٣١ بقوله: **[بل قد يعلم**

(١) أخرجه عبدالرزاق (٣١١٦)، وأحمد (٤٢١٠)، والنسائي (١٢٨٢)، وابن حبان (٩١٤).

العبد أن عبدًا من عباده قد أذن اللّه تعالى له بفعل من أفعال تدبيره..].

وأورد الكاتب في ص ١٣٢ ـ ١٣٣ حكاية عن الإمام أحمد أنه ضلَّ في طريق الحج، فجعل يقول: يا عباد اللّه دُلّوني على الطريق، وأنه لم يزل يقول ذلك حتى وقف على الطريق.

ثم أورد حديث ابن عباس: «**إن للّه ملائكة في الأرض يكتبون ما يقع في الأرض من ورق الشجر فإن أصابت أحدًا منكم عرجة أو احتاج إلى عون بفلاة من الأرض فليقل: أعينوا عباد اللّه رحمكم اللّه فإنه يعان إن شاء اللّه**»[1].

ونقل قول البيهقي أنه حديث موقوف، وأنه مستعمل عند الصالحين من أهل العلم لما جرّبوه.

ثم أورد حديث ابن مسعود ﷺ المرفوع: «**إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد: يا عباد اللّه احبسوا، يا عباد اللّه احبسوا، فإن للّه ﷻ في الأرض حاضِرًا سيحبسه**»، وبيَّن أنه حديث ضعيف، ولكنه زعم أن الأئمة كابن السني والنووي وابن تيمية وابن القيم ذكروه في مصنفاتهم دون ردٍّ أو إنكار.

ثم نقل عن أبي يعلى الفراء أن من قال إذا عثر: محمد أو عليّ، إنْ قصد الاستعانة أنه مخطئ، ثم نقل عن عبد القادر بن بدران الدمشقي فتوى له في حكم من دعا غير اللّه واستغاث به، وأنه قال في آخر الفتوى: وإن كان يقصد مجرد الدعاء فذلك غير جائز..).

---

(١) أخرجه البزار رقم (٤٩٢٢) وابن أبي شيبة في المصنف رقم ٣٣٣٩، والبيهقي في شعب الإيمان رقم ١٦٥، وهو لا يصح مرفوعاً وبيّن ذلك الألباني في السلسلة الضعيفة (١١١/٢ ـ ١١٢).

والرد على الكاتب في كل ما تقدم:

أن الدين لا يؤخذ من الحكايات عن أحد من العلماء، ولا تجاربهم، وإنما الدين ما جاء في الكتاب والسنة، وهذه الحكايات المنقولة قد تكون كذبًا، وقد تكون خطأً، وقد تكون على غير هذا الوجه الذي نقلها عنهم من نقلها.

ولو قُدِّرَ ثبوتها فليس مما تقوم بأقوالهم الحجة.

وأما الحديث الذي ساقه عن ابن مسعود رضي الله عنه فهو ضعيف كما ذكر هو.

قال الشيخ سليمان بن عبد اللّه في الكلام عليه: «هذا الحديث مداره على معروف ابن حسان وهو أبو معاذ السمرقندي. . . قال ابن عدي: منكر الحديث، وقال الذهبي في «الميزان»: قال ابن عدي: منكر الحديث، قد روى عن عمر بن ذر نسخة طويلة كلها غير محفوظة، وقال السيوطي: حديث ضعيف، وأقول: بل هو باطل، إذ كيف يكون عند سعيد عن قتادة، ثم يغيب عن أصحاب سعيد الحفاظ الأثبات مثل يحيى القطان، وإسماعيل بن علية، وأبي أسامة، وخالد بن الحارث، وأبي خالد الأحمر وسفيان، وشعبة، وعبد الوارث، وابن المبارك، والأنصاري، وغندر، وابن أبي عدي ونحوهم، حتى يأتي به هذا الشيخ المجهول المنكر الحديث! فهذا من أقوى الأدلة على وضعه».

ثم قال الشيخ سليمان: «وبتقدير ثبوته لا دليل فيه، لأن هذا من دعاء الحاضر فيما يقدر عليه كما قال: «فإن للّه في الأرض حاضرًا سيحبسه عليكم»[1].

(١) نبذة في توحيد العبادة، الدرر السنية ٢/١٩٥.

«ولا دليل في هذين الحديثين مع ضعفهما، ولا في الحديث المتقدم قبلهما على دعاء أصحاب القبور كعبدالقادر الجيلاني من قطر شاسع، بل ولا ينادي غيره لا الأنبياء، ولا الأولياء، إنما غايته أن الله ﷻ جعل من عباده من لا يعلمهم إلا هو سبحانه ﴿وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ﴾ [المدثر] وإذا نادى شخصاً باسمه معيّناً فقد كذب على رسول الله ﷺ. . . وليس معنى الحديث في كل حركة وسكون وقيام وقعود، وإنما أبيح له ذلك إن أراد عونًا على حمل متاعه أو انفلتت دابته، هذا مع تقدير صحة الحديث. . .»[1].

وقال الشيخ زيد بن محمد آل سليمان: «من المعلوم أن النبي ﷺ لا يأمر من انفلتت دابته أن يطلب ردها وينادي من لا يسمعه ولا يقدر على ذلك كما ينادي الإنسان أصحابه الذين معه في سفره ليردوا دابته!

فهذا يدل إن صح على أن للّه جنودًا يسمعون ويقدرون ﴿وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ﴾ [المدثر: ٣١]، وفي بعض الروايات «فإن للّه حاضرًا»؛ فهذا صريح في أنه ينادي حاضرًا يسمعه، فكيف يستدل بذلك على جواز الاستغاثة بأهل القبور الغائبين.

فمن استدل بهذا الحديث على دعاء الأموات، لزمه أن يقول: إن دعاء الأموات ونحوهم إما مستحب أو مباح؛ فإن لفظ الحديث (فلينادوا)، هذا أمر أقل أحوال الاستحباب أو الإباحة، ومن ادعى أن الاستغاثة بالأموات والغائبين مستحب أو مباح فقد مرق من الإسلام»[2].

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص ٢٠٣.

(٢) فتح المنان في نقض شبه الضال دحلان ص ٨٧.

قال الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فهذا الحديث إذا صح ـ يعيّن المراد بقوله في الحديث الأول «يا عباد الله»: إنما هم الملائكة، فلا يجوز أن يُلحق بهم المسلمون من الجن والإنس، ممن يسمونهم برجال الغيب من الأولياء والصالحين، سواء كانوا أحياءً أو أمواتاً، فإن الاستغاثة بهم، وطلب العون منهم شرك بيِّن، لأنهم لا يسمعون الدعاء، ولو سمعوا لما استطاعوا الاستجابة وتحقيق الرغبة، وهذا صريح في آيات كثيرة. . .»[١]، وقال أيضًا: «والعبادات لا تؤخذ من التجارب، سيما ما كان منها في أمر غيبي كهذا الحديث، فلا يجوز الميل إلى تصحيحه بالتجربة كيف وقد تمسك به بعضهم في جواز الاستغاثة بالموتى عند الشدائد وهو شرك خالص، والله المستعان»[٢].

قال الشيخ صالح آل الشيخ: «**ولهذا كله لم يصَحَّحْ أو يُحسّن هذا الحديث أحدٌ ممن له معرفة أو مشاركة في علم الحديث، بل إما مضعف، أو ناقل تضعيف غيره. . .**

وما أحسن ما روى الهروي في «ذم الكلام»: «أن عبد اللّه ابن المبارك ضلّ في بعض أسفاره في طريق، وكان قد بلغه: أن من اضطر في مفازة فنادى: عباد اللّه! أعينوني؟ أُعين. قال: فجعلتُ أطلب الجزء أنظر إسناده».

قال الهروي: فلم يستجز أن يدعو بدعاء لا يرى إسناده[٣].

فهذه طريق السلف وأتباعهم، البحث في الأسانيد، وصنيع بعض الخلف وأتباعهم الفرح بكل ما يؤيد رأيهم ولو بالموضوعات

(١) السلسلة الضعيفة (٢/ ١١١).
(٢) المرجع السابق (٢/١٠٩).
(٣) ذم الكلام وأهله ٤/١٦.

المكذوبات، ولا يغارون على سنة المصطفى محمد ﷺ»[(١)].

وقال أيضًا: «والحديث على ضعفه من أبواب الأذكار، لا يدل على ما يدعيه المبطلة من سؤال الموتى ونحوهم، بل إنه صريح في أن من يخاطبه ضال الطريق هم الملائكة، وهم يسمعون مخاطبته لهم، ويقدرون على الإجابة بإذن ربهم؛ لأنهم أحياء ممكنون من دلالة الضال، فهم عبادٌ للّه، أحياء يسمعون، ويجيبون بما أقدرهم عليه ربهم، وهو إرشاد ضال الطريق في الفلاة، ومن استدل بهذه الآثار على نداءِ شخص معين باسمه فقد كذب على رسول اللّه ﷺ، ولم يلاحظ ويتدبر كلام النبي ﷺ، وذاك سيما أهل الأهواء.

إذا تبين هذا فالأثر من الأذكار التي قد يتساهل في العمل بها مع ضعفها؛ لأنها جارية على الأصول الشرعية، ولم تخالف النصوص القرآنية، والأحاديث النبوية، ثم هو مخصوص بما ورد به الدليل؛ لأن هذا مما لا يجوز فيه القياس لأن العقائد مبناها على التوقيف.

ولهذا روى عبد اللّه بن أحمد في «المسائل» ٢٤٥، عن أبيه قال: «**ضللت الطريق في حجة وكنت ماشيًا فجعلت أقول يا عباد اللّه! دلونا على الطريق، فلم أزل أقول ذلك حتى وقعتُ على الطريق**»»[(٢)].

فهذا المنقول عن أحمد التزم فيه بالمرويّ في الحديث دون تغيير في اللفظ ولا في مناسبة القول، وهو على تقدير ثبوته خاص بمن ضل في الطريق فقط.

وأن العلماء فهموا معناه مقيدًا بمن هو حاضر من الملائكة

(١) هذه مفاهيمنا ص ٥٩.

(٢) هذه مفاهيمنا ص ٥٨.

الذين هم حوله ويسمعونه، وهو خاصّ أيضًا بمن هيأهم الله من الملائكة لهذا العمل وليس لكل الملائكة.

وعلى كلّ حال فالحديث غير ثابتٍ عن النبي ﷺ.

➢ وخلاصة الرد على شبهة الكاتب في نقله هذه الحكايات والأخبار عن بعض المتقدمين:

أولًا: أن ما ورد في هذا الباب لا تقوم به الحجة، ولا يصح عن النبي ﷺ.

ثانيًا: على تقدير صحته فالمراد: مناداة الحاضرين من طائفة خاصة من الملائكة كلّفهم الله بهذا العمل، ممن هم حاضرون حوله ويسمعونه، فالنبي ﷺ لا يأمر بنداء من لا يسمعه وله قدرة على ذلك، كما ينادي الإنسان أصحابه الذين معه في سفره ليردوا دابته، وإنما هو نداء لحاضر يسمع ـ إن صح الحديث ـ.

ثالثًا: لا يمكن الاستدلال به على دعاء الغائبين؛ فإنه لا يقول أحد باستحباب دعاء الغائبين، ولكن هذا شيء خاص في موضع خاص، ويُقصد به مخلوق حاضر، وبهذا يُعرف بطلان قول الكاتب في ص١٣٣: **[فهل يقال عن الإمام أحمد إنه أشرك بسؤاله الجن أو الملائكة وهم غائبون عنه]** فلم يقل الإمام أحمد ولا غيره بجواز دعاء الغائبين.

رابعًا: لو كان الإمام أحمد أو العلماء الذين ترجموا له بذكر مناقبه يعتقدون أن دعاء الأموات والغائبين مشروع لبينوا ذلك للمسلمين ووضحوه، وهذا الدعاء لغير اللّه أمر أجمعت الأمة على تحريمه وأنه شرك باللّه، ولم يقل أحد بمشروعية دعاء الموتى والغائبين.

نعم إنما قال بمشروعية ذلك دعاة الشرك والخرافة، وهؤلاء مارقون عن دين الإسلام، ولا عبرة بأقوالهم.

خامسًا: هذا الحديث وما في معناه، ليس فيه دعاء مخلوق معين ومناداته والهتف باسمه مثل جبريل أو ميكائيل أو غيرهما من الملائكة، وإنما المراد من لا يراه الإنسان ممن حضر حوله، وهذا الوصف ينطبق على الملائكة؛ لأن الإنسان لا يراهم، وأما الجن؛ فإن قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾﴾ [الجن] دليل على أن هذا من أمور الجاهلية التي كان عليها المشركون فأبطلها الإسلام، فلا يجوز الاستعاذة بالجن ولا غيرهم.

ولو كان المراد بالحديث دعاء غير اللّه من الغائبين لكان تحديد أسماءهم من أعظم المطالب الشرعية؛ فيقال: يا محمد، يا جبريل، يا فلان يا فلان!!

وهذا ما تأباه الشريعة، بل كل الرسل جاؤوا بإبطاله، وإخلاص الدعاء للّه؛ فعُلِمَ أن هذا الحديث على تقدير صحته يراد به من هو حاضر من الملائكة.

وأما نقله عن أبي يعلى الفراء في ص ١٣٤، وكذلك نقله عن ابن بدران في ص ١٣٤ ـ ١٣٥ فلا حجة في ذلك:

أما ما قاله أبو يعلى فهو الحكم بأن من قال: (محمد) أو (علي) عند تعثره فإنه أخطأ؛ وليس في اللفظ المسؤول عنه أنه استغاث به، فيحتمل أنه من جنس ذكر المحبوب، والاستعانة بمثل هذا خطأ لعدم وروده.

ويحتمل أنه يريد بذلك أنه أخطأ في فعله بغض النظر عن حكمه، ويحتمل ـ وهو الأقرب ـ أن أبا يعلى لم يحرر هذه المسألة لأن هذا مما يندر وقوعه في زمنهم. واللّه تعالى أعلم.

وغيره من المحققين حرّرها، وبين أن دعاء غير اللّه شرك؛ فإن قصد بقوله: محمد، دعاءَه من دون الله فقد أشرك، وإن لم يقصد الدعاء فهو مخطئ.

فعند الكاتب، لو اعتقد الداعي أن الذي يدعوه من العباد ويهتف باسمه أن هذا المدعو مأذون له بالتصرف في الكون فيما لا يقدر عليه إلا اللّه، فلا يكون شركًا كما مرّ ذلك قريباً.

وقول ابن بدران: «وإن كان قصده مجرد الدعاء فذلك غير جائز».

يجاب عنه: بأنه إن أراد دعاء الميت من دون اللّه بأنه غير جائز، ولا يبلغ منزلة الشرك فهذا الجواب غلط.

ولكن لا يظهر أن هذا مراده، وإنما الذي يظهر أن مراده العود على أصل السؤال المذكور في حكم الزيارة التي تجر إلى هذه الشركيات، كما في «**المواهب الربانية**» ص٢٣٩، ولذلك أعقب هذا بقوله: «**إن الزيارة الشرعية على قسمين**»، وبيّن مشروعية الدعاء للميت، لا تحرّي الدعاء عنده.

وأيضًا فابن بدران، تضمن كلامه الردَّ على الكاتب في تهوينه من اعتقاد إمكان إذن اللّه لعبد أن يتصرف في الكون؛ فقال في ص ٢٤٠ من كتابه «**المواهب الربانية**»: «فمن وصف مخلوقًا ونسب إليه شيئًا من أفعال الربوبية وصفاتها، فقد جعل للّه شريكًا، وكان سبيله سبيل المشركين..».

فالكاتب يلتقط من أقوال العلماء ما غلطوا فيه، دون ما أصابوا فيه.

وإذا زعم أن هذه أقوال الحنابلة متقدمهم ومتأخرهم؛ فيقال له: الحنابلة والشافعية والمالكية والحنفية لهم من الأقوال ما يبطل شرك المشركين، ويكشف الحق عما يدعو إليه القبوريون.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«ثم سائر هذه الحجج دائرة بين نقل لا يجوز إثبات الشرع به، أو قياس لا يجوز استحباب العبادات بمثله، مع العلم بأن الرسول ﷺ لم يشرعها، وتركه مع قيام المقتضِي للفعل بمنزلة فعله، وإنما يُثْبِتُ العبادات بمثل هذه الحكايات والمقاييس ـ من غير نقل عن الأنبياء: النصارى وأمثالهم، وإنما المتبع في إثبات أحكام اللّه: كلام اللّه وسنة رسوله ﷺ، وسبيل السابقين الأولين، لا يجوز إثبات حكم شرعي بدون هذه الأصول الثلاثة نصًا واستنباطًا بحال... ثم إنك تجد كثيرًا من هؤلاء الذين يستغيثون عند قبر أو غيره، كلٌّ منهم قد اتخذ وثنًا أحسن به الظن، وأساء الظن بآخر، وكلٌّ منهم يزعم أن وثنه يستجاب عنده ولا يستجاب عند غيره، فمن المحال إصابتُهم جميعًا، وموافقةُ بعضهم دون بعض تحكّم، وترجيحٌ بلا مرجح، والتدين بدينهم جميعًا جمعٌ بين الأضداد، فإن أكثر هؤلاء إنما يكون تأثرهم ـ فيما يزعمون ـ بقدر إقبالهم على وثنهم وانصرافهم عن غيره[(١)]، وموافقتهم جميعًا فيما يثبتونه دون ما ينفونه يضعف التأثير ـ على زعمهم ـ فإن الواحد إذا أحسن الظن بالإجابة عند هذا وهذا، لم يكن تأثره مثل تأثر الحَسَنِ الظَنِّ بواحدٍ دون آخر، وهذه كلها من خصائص الأوثان»[(٢)].

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ٢/٢٠٧ ـ ٢٠٩.

(٢) انظر ما تقدم من كلام الشعراني أنه من الشرك الاعتقاد في أكثر من شيخ ص٦٨٥.

➢ بعض أقوال أتباع الأئمة الأربعة:

قال الشيخ صنع اللّه الحلبي الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما نصه: «هذا، وإنه قد ظهر الآن فيما بين المسلمين جماعات يدَّعون أن للأولياء تصرفات في حياتهم وبعد الممات، ويستغاث بهم في الشدائد والبليات، وبهم تنكشف الـمُهمات، فيأتون قبورهم وينادونهم في قضاء الحاجات، مستدلين على أن ذلك منهم كرامات! وهذا كلام فيه تفريط وإفراط، بل فيه الهلاك الأبدي والعذاب السرمدي، لما فيه من روائح الشرك المحقق، ومصادرة الكتاب العزيز المصدّق، ومخالفة لعقائد الأئمة، وما أجمعت عليه هذه الأمة، وفي التنـزيل: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ [النساء]»[(١)].

وللشيخ الدكتور شمس الدين الأفغاني الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ رسالة عظيمة جمع فيها أقوال علماء الأحناف في إبطال عقائد القبورية، وأسماها: «**جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية**»، تقع في ثلاث مجلدات.

وقال أبو بكر الطرطوشي المالكي في كتاب «**الحوادث والبدع**»، لما ذكر حديث الشجرة المسماة بذات أنواط، وفيه أن النبي ﷺ اعتبر طلبهم هو من اتخاذ آلهة من دون اللّه، كما طلب قوم موسى من موسى: «فانظروا رحمكم اللّه أينما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس، ويُعظمون من شأنها، ويرجون البُرء والشفاء لمرضاهم من قِبَلِها؛ وينوطون بها المسامير والخرق؛ فهي ذات أنواط، فاقطعوها»[(٢)].

---

(١) سيف اللّه على من كذب على أولياء اللّه ص ١٥ ـ ١٦. باختصار.
(٢) الحوادث والبدع ص ٣٩.

وقال ابن النحاس الشافعي (٨١٤هـ): «ومنها إيقادهم السرج عند الأحجار والأشجار والعيون والآبار، ويقولون: إنها تقبل النذر، وهذه كلها بدع شنيعة ومنكرات قبيحة، تجب إزالتها ومحو أثرها، فإن أكثر الجهال يعتقدون أنها تنفع وتضر وتجلب وتدفع وتشفي المرض وترد الغائب إذا نذر لها، وهذا شرك ومحادة للّه تعالى ولرسوله ﷺ»[1].

وقال تقي الدين المقريزي الشافعي (٨٤٥ هـ): «والناس في هذا الباب ـ أعني: زيارة القبور ـ على ثلاثة أقسام: قوم يزورون الموتى فيدعون لهم، وهذه هي الزيارة الشرعية. وقوم يزورونهم يدعون بهم، فهؤلاء هم المشركون في الألوهية والمحبة. وقوم يزورونهم فيدعونهم أنفسهم، وقد قال النبي ﷺ: «اللّهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد»، وهؤلاء هم المشركون في الربوبية. وقد حمى النبي ﷺ جانب التوحيد أعظم حماية؛ تحقيقًا لقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾»[2].

قال منصور بن يونس البهوتي الحنبلي (ت ١٠٥١هـ): «قال الشيخ ـ أي ابن تيمية ـ: (أو كان مبغضًا لرسوله، أو لِما جاء به) الرسول (اتفاقًا، وقال: أو جعل بينه وبين اللّه وسائط يتوكَّل عليهم، ويدعوهم ويسألهم إجماعًا. انتهى) أي: كفر؛ لأن ذلك **كفعل عابدي الأصنام قائلين**: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾»[3].

وقال ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن قول العبد (لا إلـٰه إلا اللّه) يقتضي أنه لا إلـٰه له غير اللّه، والإله هو الذي يطاع فلا يُعصى، هيبة له وإجلالًا، ومحبة وخوفًا ورجاء، وتوكلًا عليه وسؤالًا

(١) تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين ص ٥٢٢.
(٢) تجريد التوحيد المفيد ص ١٩.
(٣) كشاف القناع ١٤/٢٢٧.

منه ودعاء له، ولا يصلح ذلك كله إلا للّه ﷻ، فمن أشرك مخلوقًا في شيء من هذه الأمور التي هي من خصائص الإلـٰهية؛ كان ذلك قدحًا في إخلاصه في قول: (لا إلـٰه إلا اللّه)، ونقصًا في توحيده، وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك، وهذا كله من فروع الشرك»[1].

➢ الرد على الكاتب في احتجاجه بمسألة الاعتقاد في الأنواء والتطير والحلف بغير اللّه وإتيان الكهان:

زعم الكاتب في ص ١٣٩ ـ ١٤٢ أن قول: مطرنا بنوء كذا. . . دليلٌ على أن المناط في الكفر هو اعتقاد الشرك في الربوبية وأن الفقهاء لما علّقوا الشرك المخرج من الملة باعتقاد استقلال الأنواء بإنزال المطر فهذا حجة عنده على أن الشرك إنما يكون في الربوبية دونما سواها.

فجعل هذا حجة على ما يكرره في كتابه، أن الشرك إنما هو في توحيد الربوبية فقط.

والرد عليه: بأن الشرك في الربوبية شرك صريح لا نزاع فيه، ولكن العلماء الذين نقلت عنهم، لم ينفوا أن يكون هناك شرك في الألوهية والعبادة.

ولهذا من استغاث بالنجوم ودعاها ورجاها فهو مشرك بالأنواء شرك الألوهية أيضًا.

قال الشيخ عبد الرحمٰن بن حسن: «إذا اعتقد أن للنوء تأثيرًا في إنزال المطر فهذا كفر؛ لأنه أشرك في الربوبية، والمشرك كافر، إن لم

(١) كلمة الإخلاص وتحقيق معناها ص ٢٣.

يعتقد ذلك فهو من الشرك الأصغر؛ لأنه نسب نعمة اللّه إلى غيره، ولأن اللّه لم يجعل النوء سببًا لإنزال المطر فيه، وإنما هو فضل من اللّه ورحمته يحبسه إذا شاء وينزله إذا شاء...»[(١)].

وقال في موضع آخر: «فإذا قال قائلهم: مطرنا بنجم كذا أو بنوء كذا، فلا يخلو: إما أن يعتقد أن له تأثيرًا في إنزال المطر، فهذا شرك وكفر، وهو الذي يعتقده أهل الجاهلية، كاعتقادهم أن دعاء الميت والغائب يجلب لهم نفعًا، أو يدفع عنهم ضرًا، أو أنه يشفع بدعائهم إياه، فهذا الشرك الذي بعث اللّه رسول اللّه ﷺ بالنهي عنه وقتال من فعله... وإما أن يقول: مطرنا بنوء كذا مثلًا، لكن مع اعتقاده أن المؤثر هو اللّه وحده، ولكن أجرى العادة بوجود المطر عند سقوط ذلك النجم، والصحيح أنه يحرم نسبة ذلك إلى النجم ولو على طريق المجاز...»[(٢)].

وكذلك ذكر الكاتب في ص١٤٢ الطيرة، وأنها شرك في الربوبية، فزعم أنه لا يكون عند أهل العلم شركًا مخرجًا من الملة **[إلا إذا رجع إلى إخلال بالربوبية]**.

وهذا حق في مسألة الطيرة، وهو ما قرره أئمة التوحيد والسنة.

ويقال فيه مثل ما تقدم: بأن الطيرة باعتقاد تأثير بعض المخلوقات في وقوع الشر استقلالًا، شرك صريح في الربوبية لا نزاع فيه، ولكن هذا لا ينفي أن يكون هناك شرك في الألوهية والعبادة، ولم يقل أحد بأنه لا يقع شرك في الربوبية حتى يحتج بذلك على أهل السنة.

---

(١) فتح المجيد ص ٣٢٦.

(٢) المرجع السابق ص ٣٢٣ ـ ٣٢٤.

والتطير: اعتقاد في المتطيَّر به أنه ينفع أو يضر، وليس فيه توجيه الخضوع والذل له والمحبة، فالذي يتطير من غراب مثلًا لم يخشع ويذل ويرغب ويرهب له؛ وإنما اعتقد أنه سيجلب له النحس والشر.

فكان لا بد من التفصيل في هذا الاعتقاد؛ فإن اعتقد أن هذا الطير أو نحوه مؤثر بنفسه في النفع أو الضر فهذا شرك في الربوبية، وإن اعتقد أنه سبب فهو شرك أصغر.

ولا يتصور أنه يعتقده سببًا فقط ثم يعبده.

ولو قدِّرَ وقوع عبادة منه لأجل ذلك؛ فهذا شرك المشركين الأولين حينما اتخذوا أصنامهم شفعاء فعبدوها بسبب ذلك، وهذا لا يخالف فيه أهل العلم الذين نقلت عنهم في مسألة التطير.

وكذلك القول في مسألة الحلف بغير اللّه، وقد ذكره في ص١٤٣ ـ ١٤٤ ونقل كلام بعض أهل العلم، ولم يعلّق بشيء.

والقول فيه بمثل ما تقدم، وعند أهل العلم تفصيل فيه.

قال الشيخ سليمان بن عبد اللّه: «وقوله: فقد كفر أو أشرك، أخذ به طائفة من العلماء، فقالوا: يكفر من حلف بغير اللّه كفر شرك، قالوا: ولهذا أمره النبي ﷺ بتجديد إسلامه بقول: لا إلٰه إلا اللّه. فلولا أنه كفر ينقل عن الملة لم يؤمر بذلك.

وقال الجمهور: لا يكفر كفرًا ينقله عن الملة، لكنه من الشرك الأصغر، كما نص على ذلك ابن عباس وغيره، وأما كونه ﷺ أَمَر من حلف باللات والعزى أن يقول: لا إلٰه إلا اللّه، فلأن هذا كفارة له مع استغفاره، كما قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: «ومن حلف فقال في حلفه: واللات والعزى فليقل: لا إلٰه

إلا اللّه»[١]. وفي رواية: «**فليستغفر**»، فهذا كفارة له في كونه تعاطى صورة تعظيم الصنم، حيث حلف به لا أنه لتجديد إسلامه، ولو قدر ذلك فهو تجديد لإسلامه لنقصه بذلك لا لكفره.

لكن الذي يفعله عباد القبور إذا طلبت من أحدهم اليمين باللّه، أعطاك ما شئت من الأيمان صادقًا أو كاذبًا. فإذا طلبت منه اليمين بالشيخ أو تربته أو حياته، ونحو ذلك، لم يُقْدم على اليمين به إن كان كاذبًا. فهذا شرك أكبر بلا ريب، لأن المحلوفَ به عنده أخوفُ وأجلُّ وأعظمُ من اللّه. وهذا ما بلغ إليه شرك عباد الأصنام، لأن جهد اليمين عندهم هو الحلف باللّه، كما قال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ فمن كان جهد يمينه الحلف بالشيخ أو بحياته، أو تربته فهو أكبر شركًا منهم، فهذا هو تفصيل القول في هذه المسألة»[٢].

في ص١٤٤ ـ ١٤٥ ذكر الكاتب إتيان الكهان، وأن سبب وقوعهم في الكفر هو ادعاء علم الغيب، وهو من خصائص الربوبية.

والرد عليه بأن هذا حق، وقد تقدم.

ولم يقل أحد من أهل العلم إن وجود صور الشرك في الربوبية يعني أنه لا شرك إلا في الربوبية!!

وأيضًا، فإنه يُرَدُّ على الكاتب أنه إذا زعم من يأتي الكهان أن الكاهن مأذون له من اللّه!! ولو كان اعتقاده خطأً!!؟ فهل اعتقاده يدفع عنه المؤاخذة؟!

(١) أخرجه البخاري (٤٨٦٠)، ومسلم (١٦٤٧).

(٢) تيسير العزيز الحميد ٥١٤، وانظر ما تقدم في المقدمة ص١٥من كلام سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم.

وهذا ما عليه كتاب عبد الوهاب الشعراني الذي مدحه الكاتب.

بل غالب الخرافيين من الصوفية يستعملون السحر والكهانة، وقد نقلت عن ذلك الكتاب السيء الذكر أمثلة على مزاولتهم للسحر والشعوذة ومدافعة الشعراني عن ذلك.

في ص١٤٥ ذكر مسألة التمائم، ونقل عن الشوكاني أن فيها اعتقاد تأثير لغير اللّه، ويقال في التمائم مثل ما قيل في الطيرة وغيرها فالتمائم شرك بنص كلام رسول اللّه ﷺ، وكونها شركًا أصغر إذا اعتقد أنها سبب، وأما إذا اعتقد أنها تؤثر استقلالًا فهذا شرك أكبر في الربوبية.

ثم علق الكاتب بقوله: [**وهكذا يتسق باب الدعاء، مع كل باب العبادة بلا إشكال وخفاء**].

والرد عليه: أن الدعاء عبادة من المكلف يجب أن يخلصها للّه تعالى، ولا يشرك مع اللّه أحدًا في هذه العبادة وغيرها، فإن أشرك ودعا غير اللّه فقد كفر باللّه العظيم ونقض إسلامه، وإذا اعتقد خصائص الربوبية لغير اللّه فهذا شرك آخر وكفر مستقل، وإذا علّق التميمة معتقدًا أنها سبب فهذا شرك أصغر، وإن اعتقد أنها مستقلة بالنفع والضر فهذا شرك أكبر.

في ص١٤٥ ـ ١٤٩ ذكر ثالث اعتراضاته على أدلة أهل السنة:

فقال: [**ادعاء أن من أشرك في الربوبية من المشركين هم قوم غير من أقروا بالربوبية وهذا خيال بارد. . . لا أن نجعل كلام ربنا متناقضًا، فمرة يحصر صور الشرك حصرًا قاطعًا في شرك في الربوبية، ومرة يخبرنا عن شرك في العبادة لا ينطلق من شرك في الربوبية..**] إلخ كلامه.

الرد عليه من وجوه:

١ ـ أن اللّه تعالى بيّن تنوع شرك المشركين وضلالاتهم، فهذا صريح القرآن، قال اللّه تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾ [الفرقان: ٥٥] وقال تعالى ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الأنبياء] وقال تعالى ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًاۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [آل عمران] وقال تعالى: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [النمل: ٢٤] وقال تعالى ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾ [النجم]، وقال تعالى عن المشركين: ﴿وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْۖ﴾ [ص: ٦]، وقال تعالى ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَاۚ﴾ [الفرقان: ٤٢]. . .

٢ ـ ليس في القرآن حصر لصور الشرك في الربوبية، وقد تقدم نقض هذا التصور المغلوط عند الكاتب وهو أساس كتابه، وأدلة القرآن على ذكر النوعين والتفريق بينهما كثيرة جدًّا، وكان مشركو العرب يقرون بالربوبية، كما تقدم إيضاح ذلك بأدلته، والنقول عن أهل العلم، ولو تأملت في سورة الفاتحة وسورة الناس لعلمت الفرق بين الألوهية والربوبية: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾﴾ [الناس].

٣ ـ أقوال أهل العلم في تعدد معبودات الجاهلية وتنوع أديانهم، وأن منهم من أشرك في الربوبية كثيرة، وأذكر بعضها هنا:

قال الشهرستاني: «اعلم أن العرب أصناف شتى؛ فمنهم معطلة، ومنهم محصلة نوع تحصيل، فمعطلة العرب؛ وهي أصناف، فصنف منهم: أنكروا الخالق والبعث والإعادة، وقالوا بالطبع المحيي والدهر

المفني . . . وصنف منهم أقرّوا بالخالق وابتداء الخلق ونوع من الإعادة، وأنكروا الرسل، وعبدوا الأصنام، وزعموا أنهم شفعاؤهم عند اللّه في الآخرة، وحجوا إليها ونحروا لها الهدايا وقربوا القرابين، وتقربوا إليها بالمناسك والمشاعر، وحللوا وحرموا، وهم الدهماء من العرب.

ومن العرب من يعتقد التناسخ، فيقول: إذا مات الإنسان أو قتل اجتمع دم الدماغ وأجزاء بنيته فانتصب طيرًا هامة، فيرجع إلى رأس القبر كل مئة سنة. . . ومن العرب من كان يميل إلى اليهودية، ومنهم من كان يميل إلى النصرانية. . . ومنهم من يصبو إلى الصابئة، ويعتقد في الأنواء اعتقاد المنجمين في السيارات. . . ومنهم من يصبو إلى الملائكة، فيعبدهم، بل كانوا عبدوا الجن، ويعتقدون فيهم أنهم بنات اللّه»[1].

ومنهم الدهرية: حيث قالوا ـ ما حكاه اللّه عنهم ـ: ﴿وَقَالُواْ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤].

ومن العرب من كان يعطل صفة العلم للّه بكل شيء، ودليله قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴿٢٢﴾﴾ [فصلت].

قال ابن قتيبة: «وكانت المجوسية في تميم، منها: زرارة بن عدس التميمي، وابنه حاجب بن زرارة. . . ومنهم أقرع بن حابس، كان مجوسيًا، وأبو سود جد وكيع بن حسان كان مجوسيًا. . .»[2].

وقال الشهرستاني: «منهم ـ أي من العرب ـ من يصبو إلى

(١) الملل والنحل ٣/٨٢.
(٢) المعارف لابن قتيبة ١/٦٢١.

الصابئة، ويعتقد في الأنواء اعتقاد المنجمين في السيارات، حتى لا يتحرك ولا يسكن ولا يسافر ولا يقيم إلا بنوء من الأنواء، ويقول: مطرنا بنوء كذا وكذا...»[١].

وقال اللّه تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾﴾ [النجم].

قال القرطبي: «وإنما ذكر أنه رب الشعرى وإن كان ربًا لغيره؛ لأن العرب كانت تعبده؛ فأعلمهم اللّه جل وعز أن الشعرى مربوب ليس برب. واختلف فيمن كان يعبده؛ فقال السدي: كانت تعبده حمير وخزاعة. وقال غيره: أول من عبده أبو كبشة أحد أجداد النبي ﷺ من قبل أمهاته، ولذلك كان مشركو قريش يسمون النبي ﷺ ابن أبي كبشة حين دعا إلى اللّه وخالف أديانهم؛ وقالوا: ما لقينا من ابن أبي كبشة! وقال أبو سفيان يوم الفتح، وقد وقف في بعض المضايق، وعساكر رسول اللّه ﷺ تمر عليه: لقد أَمِر أَمْرُ ابنِ أبي كبشة. وقد كان من لا يعبد الشعرى من العرب يعظمها، ويعتقد تأثيرها في العالم، قال الشاعر:

مضى أيلول وارتفع الحرور ... وأخبت نارها الشعرى العبور

وقيل: إن العرب تقول في خرافاتها: إن سهيلًا والشعرى كانا زوجين، فانحدر سهيل فصار يمانيًّا، فاتبعته الشعرى العبور فعبرت المجرة فسميت العبور، وأقامت الغميصاء فبكت لفقد سهيل حتى غمصت عيناها فسميت غميصاء، لأنها أخفى من الأخرى»[٢].

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في القواعد الأربع:

(١) الملل والنحل ٣/٨٢.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٧/١١٩.

«**القاعدة الثالثة: أن النبي ﷺ ظهر على أناس متفرقين في عباداتهم: منهم من يعبد الشمس والقمر ومنهم من يعبد الملائكة، ومنهم من يعبد الأنبياء والصالحين؛ ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار، وقاتلهم رسول اللّه ﷺ ولم يفرق بينهم، والدليل قوله تعالى: ﴿وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾** [الأنفال: ٣٩].

ودليل الشمس والقمر، قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [فصلت: ٣٧]، ودليل الملائكة قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَهَـٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سبأ].

ودليل الأنبياء قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ﴾ [المائدة ١١٦]، وقوله: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [آل عمران]؛ ودليل الصالحين قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾﴾ [الإسراء].

ودليل الأشجار والأحجار، قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّـٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾ [النجم]، وحديث أبي واقد الليثي، قال: «خرجنا مع رسول اللّه ﷺ إلى حنين، ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة، يعكفون عندها، وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها ذات أنواط، فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول اللّه، اجعل لنا ذات

أنواط، كما لهم ذات أنواط، فقال: رسول اللّه ﷺ: اللّه أكبر، إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده، كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾﴾»[1].

➢ بيان غلط الكاتب في تفسير قوله تعالى عن قوم إبراهيم: ﴿بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء: ٧٤]، من ص١٥٠ ـ ١٧٤:

وقد تولى الرد عليه أخونا الشيخ عبد الحق التركماني وكشف غلطه بما لا مزيد عليه في كتابه: «**حقيقة توحيد العبادة**»[2].

ووجه غلطه: أنه يزعم أن القرآن دلَّ على أنَّ قوم إبراهيم عليه السلام يعتقدون النفع والضر استقلالًا في معبوداتهم، وكابر الحقائق الواضحة في هذه المسألة، وأخذ يكتب ما هو حجة عليه، ومما كتب في ص١٦٧: **[وإنما أُتِيَ هؤلاء القوم من جهلهم بلغة العرب، ومن جهلهم بأساليب العرب في الخطاب وما هي دلالة [بل] في مثل هذا السياق]** ثم وضع حاشية على هذا فقال: **[درس العلامة اللغوي الأزهري محمد عبد الخالق عضيمة رحمه الله [ت١٤٠٤هـ] دلالة [بل] في القرآن الكريم في أكثر من أربعين صفحة، وذكر هذه الآية: ﴿قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ ثم قال: [هنا إضراب عن جوابه لما سأل، وأخْذٌ في شيء لم يسألهم عنه: انقطاعًا وإقرارًا بالعجز... فما كلف أصحاب استدلال اللغو أنفسهم بأن يتعلموا دلالة [بل] في اللغة وفي سياقات ذكرها في القرآن فهجموا على التفسير وهم لا يمتلكون شيئًا من آلاته..].**

---

(١) رسالة القواعد الأربع وهي ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ٢/٢٦.

(٢) مطبوع من إصدار دار إيلاف الدولية.

وإني لأتعجب كيف يقول عن أهل العلم إنهم لم يفهموا، والكلام واضح في عَجْزِ قومِ إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ عن الجواب، وهو أظهرُ دليلٍ في أنهم لا يعتقدون فيهم النفع والضر، ولو كانوا يعتقدون فيهم ذلك لصرحوا به. وقد جاء في القرآن الكريم إيضاح ذلك في قوله تعالى عن خليله إبراهيم: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾﴾ [مريم] والاستفهام الإنكاري دليل على تقرّر ذلك عندهم.

قال ابن جرير: «يقول ما تصنع بعبادة الوثن الذي لا يسمع ولا يبصر شيئًا ولا يغني عنك شيئًا، يقول: ولا يدفع عنك ضرّ شيء، إنما هو صورة مصورة لا تضر ولا تنفع. . .».

قال الشيخ عبدالرحمٰن السعدي: «فهذا برهانٌ جليٌّ دالٌّ على أن عبادة الناقص في ذاته وأفعاله مستقبح عقلًا وشرعًا. .» وكذلك قال تعالى عنه في محاجة قومه: «﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت: ١٧]، وقال: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [الصافات]، وقال تعالى عنهم: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَـٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٥].

قال الشيخ عبد العزيز بن عبد اللّه بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وذكر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أيضًا عن خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام شيئًا من صفاته عَزَّ وَجَلَّ، وأنه ذكرها لقومه لينيبوا إلى اللّه وليعبدوه ويعظموه، حيث قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في سورة الشعراء: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَـٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾﴾ [الشعراء].

ينبغي الوقفة عند هذا، فإن اللّه سبحانه بهذا يبين لهم أن هذه الأصنام لا تصلح للعبادة، لأنها لا تسمع ولا تجيب الداعي، ولا

تنفع ولا تضر، لأنها جماد لا إحساس لها بحاجة الداعين وسؤالهم وما لديهم من ضرورات، فكيف تُدعى من دون اللّه، فلهذا قال: ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾﴾ ماذا أجابوا؟ حاروا وحادوا عن الجواب، لأنهم يعلمون أن هذه الآلهة ليس عندها نفع ولا ضر، وليست تسمع دعاء الداعين ولا تجيبه.

فلهذا قالوا: ﴿بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ ولم يقولوا: إنهم يسمعون أو ينفعون أو يضرون. بل حادوا عن الجواب، وأتوا بجواب يدل على الحيرة والشك، بل والاعتراف بأن هذه الآلهة لا تصلح للعبادة، فقالوا: ﴿بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ يعني سرنا على طريقتهم وسبيلهم من غير نظر فيما قلت لنا، وهذا معنى قوله في الآية الأخرى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣] هذه طريقتهم الملعونة الخبيثة التي سلكوها واحتجوا بها، وساروا عليها، نسأل اللّه السلامة، ثم قال لهم الخليل عليه السلام: ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الشعراء] مراده بذلك معبوداتهم من الأصنام...»[(١)].

وقد وضّح الشيخ عبد الحق التركماني سوء فهم الكاتب لكلام أهل العلم وكلام المفسرين، ونقل أقوال تسعة وعشرين مفسرًا، اتفقوا على أن قوم إبراهيم ﷺ قد أقروا بأن أصنامهم لا تسمع ولا تنفع ولا تضر[(٢)].

وحتى النقل عن محمد عبد الخالق عضيمة الذي أورده الكاتب، فقد ذكر الشيخ عبد الحق التركماني غلطَ الكاتبِ في هذا النقل، وأن

(١) حقيقة توحيد المرسلين وما يضاده من الكفر والشرك، مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ ابن باز ٢/٤١.

(٢) حقيقة توحيد العبادة والرد على حاتم بن عارف العوني ص١٨٧.

الكلام لأبي حيّان من تفسيره، نقله عنه محمد عبد الخالق عضيمة بالإحالة.

وأحيل القراء إلى رد الشيخ عبد الحق على الكاتب، فقد كفّى ووفّى في هذا الباب، جزاه اللّه خير الجزاء.

قال الكاتب في ص ١٥١: **[ولا أشك أنك لو قلت لأي عاقل: إن رجلًا ما يُعظِّم حجرًا جمادًا ويذبح له ويدعوه في حاجاته ويستنصره ويخوف به وهو يعلم أنه جماد لا يضر ولا ينفع، لما تردد هذا الذي يسمعك من أن يُكذبك بأنك تقول ما لا يُعْقل..]**.

والرد عليه يسير، فيقال: هذا الرجل الذي يقول ما ينافي العقل هو أنت أيها الكاتب!!

نعم أنت! فها أنت تحث المسلمين وطلبة العلم على الرجوع إلى كتاب (المنهج المطهر للجسم والفؤاد) لمؤلفه عبد الوهاب الشعراني، وأنت أيها الكاتب تقول عن هذا الكتاب: (كتاب نفيس يحتاجه كل مسلم... فما أحوج طلبة العلم وكل مسلم لهذا الكتاب).

بل مؤلفه عبد الوهاب الشعراني معروف بانحرافاته الشديدة وضلالاته الكبيرة فكيف يطيب نفس مسلم صادق في تدينه واتباعه للرسول ﷺ أن يدل الناس على هذا النوع من المؤلفين!!

وقد اشتمل على أمور خارجة عن العقل البشري، كما هي خارجة عن دين الإسلام.

فهل الذين يديرون البلدان عند الكاتب هم الذين سماهم الشعراني بقوله: (وممن أدركته في مصر يدير بلاد الهند والسند والروم والعراق والمغرب وبلاد السودان: الشيخ محيسن، والشيخ علي أبو

خوذة، والشيخ محمد الشربيني ﷺ أجمعين فاعلم ذلك، وصدّق من يدعي ذلك).

هل تصدق هذا؟

نفس التساؤلات تُوجه للكاتب!! **[بأنك تقول ما لا يُعْقل..]**.

بل هكذا كان حال المشركين من جميع الأمم التي ضلت وانحرفت!

يا أيها الكاتب؛ هل تصدق ما وقع للشعراني «أيام السلوك أنني قرأت القرآن في اليوم والليلة ثلاثمئة ألف ختمًا وستين ألف ختمًا، كل مقدار درجة ألف ختم! فقلتُ له: يا سيدي بالحروف والأصوات؟! قال: نعم»[(١)]!

أما عند الخرافيين: فيجب أن تصدّق من يدّعي ذلك!!

ونحن ـ واللّه ـ نُشْهِدُ اللّهَ أننا بريئون منهم، ومن كذبهم، ونعتقد أنهم أضلُّ خَلْقِ اللّه وأبعدُهم عن الإسلام والسنة النبوية المطهرة وسبيل السلف الصالح.

وهذا الشعراني يقول: «أضع يدي على الحجر الأسود، أو على قبر رسول اللّه ﷺ حال الصلاة، وتنطوي المسافة بيني وبين ذلك المكان مع أني واقف مع المصلين في بيتي أو في الزاوية من غير تكلّف في ذلك»[(٢)].

وما أكثر كذبه في هذا الكتاب!!

ولكن انظر في هذه الكذبة، حيث يقول: «وقد أعطاني اللّه

---

(١) المنهج المطهر للجسم والفؤاد ص ٥٩١.

(٢) المرجع السابق ص١١٦٧.

تعالى هذا المقام ليلة السبت تاسع عشر صفر الخير سنة خمس وستين وتسع مئة وأنا في التهجد، فكنت أجهد أن أشهد نفسي في زاويتي فلا أقدر أخرج من زاويتي بالحِجْر[١] أو من الروضة النبوية[٢]، وكنت قبل ذلك لم أزل أرى نفسي أصلي تحت النخيل بالعقبة على ساحل البحر، فلم أزل أقرب كل قليل، إلى بَدْر، إلى رابغ، إلى الشجرة التي تجاه النازل من باب المصلى، حتى دخلت مكة، فله الحمد على نعمه التي لا تحصى، وله الحمد على كل حال. فاعلم ذلك، وسَلِّم للفقراء ما يدّعونه من المقامات التي تكون للأولياء، وإياك والإنكار، فإن العبد ربما عوقب بحرمان كل مقام أنكره عقوبة له»[٣][٤].

ويقول لما زار السيدة نفيسة[٥] ويقول: إنه لم يدخل لأنها حريم، على كل حال، فجاءته في المنام، وقالت له: ادخل واجلس تجاه وجهي فقد أذنت لك[٦]!.

وهكذا سيده أحمد البدوي، يقول للشعراني في المنام: إن خليفة البدوي الشيخ عبد الكريم، وَرَدَ إلى مصر، وأمره بزيارته، وأن يأخذ معه هدية؛ فقال المزور: الحمد للّه نحن على بال سيدي

---

(١) حِجْر الكعبة!!

(٢) المسجد النبوي!! كل هذا في لحظة واحدة!!

(٣) المنهج المطهر للجسم والفؤاد ص١١٦٧ ـ ١١٦٨.

(٤) وهذا عندهم يدخل في باب الكرامات؛ يسمونه (تطور الولي) والسيوطي انتصر لهذه الخرافة وله فيها رسالة سماها: «المنجلي في تطور الولي» ضمن كتابه (الحاوي للفتاوي) وللشيخ رشيد رضا تعقب عليها منشور في مجلة (المنار).

(٥) أين ذهب عنه حياؤه لما امتثل لأمر سيده أحمد البدوي؛ فافترع زوجته فاطمة، فوق قبة البدوي، وفرش له فراشًا، وأمره بفض بكارتها؟! وبينه وبين البدوي قرون، راجع ترجمة أحمد البدوي في «طبقات الشعراني».

(٦) المرجع السابق ص١١٧٠.

أحمد... فلولا إشرافه على ما فيه خليفته في مصر، ما جاءني وأمرني بزيارته[١].

والشعراني بعد كل كذبة وافتراء يقول للقارئ: يجب أن تُصدِّقَ ذلك، وإياك والإنكار أو التكذيب بكرامات الأولياء، فسوف يحصل لك كذا أو يُسلب عنك كذا.

وبمثل هذه الأكاذيب والافتراءات عُبدت الأشجار والأحجار والأصنام والمقامات والقبور والأضرحة.

وهذا يبين أن أهل الأهواء والبدع لما تركوا الكتاب والسنة، وما كان عليه الصحابة والتابعون لهم بإحسان، اعتاضوا عن ذلك بمصادر التلقي الباطلة من الرؤى والمنامات والقصص والحكايات والاغترار بالشياطين، ومتابعة الآباء والأسلاف ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢]، ومشابهة كفرة أهل الكتاب ﴿يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ [التوبة: ٣٠]، والتقليد لكفرة الباطنية والمارقين من ملة الإسلام، وكل ذلك لم ينزل اللّه به من سلطان، ولا برهان معهم ولا حجة من كتاب أو سنة؛ بل لم يأت بذلك رسولٌ من جميع رسل اللّه عليهم الصلاة والسلام ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزخرف].

ومن أغراض المشركين باتخاذ الوسائط بينهم وبين اللّه؛ اعتقادهم أنهم أقل من أن يرحمهم اللّه بدون توسطها، فاشتد لذلك خوفهم من معبوداتهم، وتعلقت قلوبهم بها في الاستشفاء، والرزق، وتحصيل الذرية، ومعرفة عواقب الأمور.

(١) المرجع السابق ص١١٧١.

وبناء على تلك المصادر الباطلة نسجوا لهم الأوهام والخرافات، وبنوا عليها العقائد الفاسدة، والظنون الكاذبة، مثل ما تبني العنكبوت بيتها قال اللّه تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًاۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [العنكبوت].

وقد قطع اللّه سبحانه في كتابه الأسباب التي يتعلق بها المشركون جميعًا، يعلم من تأمله وعرفه أن من اتخذ من دون اللّه وليًا أو شفيعًا، فهو كمثل العنكبوت اتخذت بيتًا، وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون.

قال الفراء في هذه الآية: «هذا ضربه مثلًا لِمن اتخذ من دون اللّه وَلِيًّا أَنَّهُ لا ينفعه ولا يضره، **كما أن بيت العنكبوتِ لا يقيها حرًّا ولا بردًا**»[1].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «... وهذا من أحسن الأمثال، وأدلها على بطلان الشرك، وخسارة صاحبه، وحصوله على ضد مقصوده»[2] وقال: «فذكر سبحانه أنهم ضعفاء، وأن الذين اتخذوهم أولياءَ أضعفُ منهم؛ فهم في ضعفهم وما قصدوه من اتخاذ الأولياء كالعنكبوت اتخذت بيتًا، وهو أوهن البيوت وأضعفها.

وتحت هذا المثل أنَّ هؤلاء المشركين أضعفُ ما كانوا حين اتخذوا من دون اللّه أولياء، فلم يستفيدوا بمن اتخذوهم أولياء إلا ضعفًا، كما قال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّاۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾﴾ [مريم]»[3].

---

(١) معاني القرآن للفراء ٢/٣١٧.
(٢) أعلام الموقعين ١/٣١٦.
(٣) أعلام الموقعين ١/٣١٥.

ووصف حال بعض هؤلاء المشركين الكفرة فقال عنهم: ﴿ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الأنبياء].

فرجعوا إلى عقولهم فتبين لهم أنهم في أودية الضلالة.

يُقضى على المرء أيام محنته حتى يَرَى حسنًا ما ليس بالحسن

أين عقولهم؟

الجواب: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ﴾ [المائدة: ٤١].

إذا لم يكن عَوْنٌ من اللّه للفتى فأوَّلُ ما يجني عليه اجتهادُهُ
وإن كان عونُ اللّه للعبدِ واصلا تأَتَّى له من كُلِّ شيءٍ مِدادُهُ

وكان لعمرو بن الجموح رضي الله عنه قبل أن يسلم ـ وكان سيدًا في قومه ـ صنمٌ يعبده ويُطيّبه، وكان بعض الفتيان ممن أسلم وشهد العقبة يأتونه ليلًا فيلقونه في حفر بني سلمة، وفيها عذرة الناس، منكسًا على رأسه، فيجيء عمرو بن الجموح فيرى ما صنع به، فيغسله ويطيبه، ويضع عنده سيفًا ويقول له: انتصر، ثم يعودان لمثل ذلك، ويعود إلى صنيعه أيضًا، حتى أخذاه مرةً فقَرَناه مع كلب ميت، ودَلَّياه في حَبْل في بئر هناك، فلما جاء عمرو بن الجموح ورأى ذلك، نظر فعلم أنَّ ما كان عليه من الدين باطل، وقال:

واللّه لو كنتَ إلهًا لم تكنْ أنتَ وكلْبٌ وسط بئر في قَرَن
أُفٍّ لملقاك إلهًا مستدَنْ الآن فتّشناك عن سوء الغبن
الحمد للّه العلي ذي المِنَن الواهبِ الرازقِ ديّانِ الدِّيَن

ولهذا يقول أحد الصحابة لما أسلم:

أربٌّ يبول الثعلبان برأسه لقد هان من بالت عليه الثعالب

ويقول زيد بن عمرو بن نفيل:

أربًا واحدًا أم ألف رب أدين إذا تقسمت الأمور
عزلت اللات والعزى جميعًا كذلك يفعل الجلد الصبور
فلا العُزّى أدين ولا ابنتيها ولا صنمي بني عمرو أزور
ولا غنمًا أدين وكان ربا لنا في الدهر إذ حِلْمي يسير

وحلمه؛ أي: عقله، يسير أي قليل.

واللّه المستعان.

إذن ما الدافع للوقوع في الضلالات، ومنها التشجيع على قراءة كتاب الشعراني وما أشبهه، وأن طلبة العلم بحاجة له؟

والجواب: أن بواعث الضلال والانحراف متعددة.

فقد يكون السبب موالاة لأولئك الخرافيين، وقد يكون السبب أن في ذلك الكتاب تنفيسًا لما يرتاح له قلب من أحال الناس إليه، وقد يكون السبب طمعًا في مال، أو طمعًا في سيادة وجاه، وقد يكون السبب التقليد الأعمى، وقد يكون السبب التعصب لما عليه الآباء والأسلاف، وقد يكون السبب اتباع الهوى، وقد يكون السبب بغض أهل التوحيد والسنة لمواقف شخصية، وقد يكون السبب أن في ذلك الكتاب ترويجًا لأصحاب الطرق الخرافيين، ومحبتهم قد طغت على القلب عنده، وقد يكون السبب غير ذلك[1]، ونادرًا ما يكون السبب خبال وجنون، ولو وقع فإن المجنون مرفوع عنه القلم حتى يفيق.

والحمد للّه الذي عافى عباده المؤمنين المسلمين الموحدين من

---

(١) انظر لمعرفة بواعث الوقوع في الشرك كتاب: «حقيقة توحيد العبادة» ص ٢١٢ ـ ٢٢٦.

هذه الضلالات والافتراءات والغلو الذي أبطلته الشريعة، فالموحد لا يعبد إلا اللّه ولا يدعو إلا إياه، والمسلمُ الموحّدُ يقوِّي اللّهُ قلبَه بالتوكل على اللّه وحسن الظن به، فلا يخاف من معبوداتهم، ومن يسمونهم الأولياء، ويمضي في حياته آخذًا بالأسباب الشرعية والأسباب المباحة، ويتوكل على ربه في تحقيق مطالبه، يرجو ربه ويخافه ويحبه، ويخصه بالعبادة، فالحمد للّه على هذه النعمة الجليلة التي لا نعمة أجل منها.

ولهذا لا قبول للدجل والدجالين والخرافيين عند المسلم الذي نوّر اللّه عقيدته بالتوحيد الخالص للّه رب العالمين وتجريد الاتباع للرسول ﷺ.

اللّهم إننا نعوذ بك من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن شر فتنة المسيح الدجال.

والمسيح الدجال، هو إمام هؤلاء الدجالين الخرافيين عبّاد القبور، الذين يخدعون المسلمين ويأمرونهم بعبادة غير اللّه.

وإذا صدق المسلم في استعاذته باللّه من شر المسيح الدجال، كفاه اللّه شره وشر كل دجّال هو دونه، بفضل الله ومنِّته وتوفيقه.

ومن هنا نعرف حرص هؤلاء الدجّالين على إهمال توحيد العبادة: توحيد الألوهية، والقول بأن المراد به توحيد الربوبية، كل ذلك لأجل أن أفعال العباد، من دعاء وركوع وسجود وذبح ونذر وخوف ورجاء، يريدونها أن تُصْرَفَ لغير اللّه، فلذلك ينافحون للرد على أهل التوحيد، وإثارة الشبهات وبعث التشكيكات في هذه القضية الكبرى، وقد تقدم ذكر الأدلة من كتاب اللّه وسنة رسوله ﷺ على بيانها وإيضاحها.

وفي هذا المقام ندعو أنفسنا وكل مسلم إلى تحقيق التوحيد للّه رب العالمين في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، فهذه دعوة الرسول ﷺ، ولا ينجو العبد إلا بذلك، وبتحقيق الاتباع له عليه الصلاة والسلام. ونسأل الله تعالى للكاتب ولنا ولجميع المسلمين الهداية إلى الصراط المستقيم.

وندعو هؤلاء الذين وقعوا في هذه الشركيات، أو الدعوة إليها وتزيينها والتهوين منها، ندعوهم للتوبة من ذلك، والبراءة منها، ومن أهلها، وعداوتهم في اللّه، كما قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة].

وقد ختم الكاتب ص ١٧٤ ـ ١٧٥ بمثل ما بدأه من رمي أهل السنة بمذهب الخوارج، وقد تقدم الرد عليه.

وفي آخر كتابه قوله: **[وما دام الخضوع أزلًا وسرمدًا للّه وحده ليس لأحدٍ إلّاه]**.

وهذا سجع متكلف، ويلاحظ أنه لم يدخل الصحابة ﷺ في الدعاء.

وقال: **[إلى يوم الشفاعة والنجاة]** ولا يعرف أن هذا من أسماء يوم القيامة.

* * *





خاتمة الرد

إلى هنا انتهى القول في نقض شبهات الكاتب، وبيان أغلاطه.

وأستغفر اللَّه العلي العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم، مما وقع من التفريط والإخلال بواجب حقه سبحانه ونصرة دينه ﷻ.

وأسأله جلَّ ذكره أن يجعل ما تقدم، من العمل الذي يرضاه، الخالص لوجهه الكريم، وألاّ يكلنا إلى أنفسنا فنهلك، ولا إلى أحد من خلقه فنضل، واللّه المستعان، ولا حول ولا قوة إلا باللّه العلي العظيم.

وأسأله تعالى أن يغفر لي ولوالدي ووالديهم وذرياتهم، وأن يغفر لجميع مشايخي وإخواني في اللّه وجميع المسلمين، ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلًا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم.

وأسأله تبارك وتعالى أن يغفر لمن سلف من ولاة أمرنا ويرحمهم، وأسأله تعالى أن يجزي خادم الحرمين الشريفين وولي عهده خير الجزاء، وأن يوفقهم وسائر أعوانهم لكل خير، وأن ينصر بهم دينه، ويعلي بهم كلمته، وأن يصلح بطانتهم، وأن يصلح جميع ولاة أمور المسلمين، ويمنحهم الفقه في دينه والثبات عليه ونصرة التوحيد والسنة.

اللّهم ربّ جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدنا لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم.

والحمد للّه رب العالمين، والحمد للّه الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا اللّه، لقد جاءت رسل ربنا بالحق، وصلى اللّه على أشرف الأنبياء والمرسلين، وإمام المتقين نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين، وسلم تسليمًا كثيرًا.

❊ ❊ ❊



مصادر الكتاب

-أ-

١ ـ أسباب النزول للواحدي، (ت ٤٦٨)، دار الكتب العلمية، ١٤١١.

٢ ـ أساس البلاغة للزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري جار اللّه (ت ٥٣٨)، دار الكتب العلمية، ١٤١٩ ـ ١٩٩٨.

٣ ـ أصول السرخسي، (ت ٤٨٣)، طبعة المعارف العثمانية، وصورته دار المعرفة.

٤ ـ أصول السنة لابن أبي زمنين (ت ٣٩٩)، مكتبة الغرباء الأثرية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٥.

٥ ـ أصول السنة للإمام أحمد (ت ٢٤١)، دار المنار، السعودية، ١٤١١.

٦ ـ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، (ت ١٣٩٣)، دار عطاءات العلم، الرياض، ١٤٤١ ـ ٢٠١٩.

٧ ـ أعلام الموقعين، ابن القيم (ت ٧٥١)، دار عطاءات العلم، ١٤٤٠ ـ ٢٠١٩.

٨ ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي (ت ٦٨٥)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٨.

٩ ـ الأدب المفرد، البخاري (ت ٢٥٦)، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤١٩ ـ ١٩٩٨.

١٠ ـ الأصول والفروع، ابن حزم (ت ٤٥٦)، دار ابن حزم، ١٤٣٢ ـ ٢٠١١.

١١ ـ إغاثة اللهفان، ابن القيم (ت ٧٥١)، دار عطاءات العلم، ١٤٤٠ ـ ٢٠١٩.

١٢ ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى (ت ٩٨٢)، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.
١٣ ـ الإعلام بقواطع الإسلام، ابن حجر الهيتمي (ت ٩٧٤)، دار التقوى، سوريا، ١٤٢٨ ـ ٢٠٠٨.
١٤ ـ الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، صالح بن فوزان الفوزان، دار ابن الجوزي، ١٤٢٠ ـ ١٩٩٩.
١٥ ـ الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي (ت ٨٨٥)، هجر للطباعة والنشر، مصر، ١٤١٥ ـ ١٩٩٥.
١٦ ـ اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيمية (ت ٧٢٨)، مكتبة الرشد، الرياض.
١٧ ـ الاستذكار، ابن عبد البر (ت ٤٦٣)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١ ـ ٢٠٠٠.
١٨ ـ الاستغاثة في الرد على البكري، ابن تيمية (ت ٧٢٨)، الدار العلمية للطباعة والنشر والتوزيع، دلهي، الهند الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
١٩ ـ الاستغناء في أحكام الاستثناء، لشهاب الدين القرافي (ت ٦٨٢)، مطبعة الارشاد، بغداد، ١٤٠٢ ـ ١٩٨٢.
٢٠ ـ الاستقامة، ابن تيمية (ت ٧٢٨)، جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤٠٣.
٢١ ـ الانتصار لحزب اللّه الموحدين والرد على المجادل عن المشركين، عبد اللّه أبا بطين (ت ١٢٨٢)، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٩ ـ ١٩٨٩.
٢٢ ـ آثار الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني (ت ١٣٨٦)، دار عالم الفوائد، ١٤٣٤.

–ب–

٢٣ ـ بيان تلبيس الجهمية، ابن تيمية (ت ٧٢٨)، مجمع الملك فهد، ١٤٢٦.
٢٤ ـ بدائع الفوائد، ابن القيم (ت ٧٥١)، دار عطاءات العلم، ١٤٤٠ ـ ٢٠١٩.
٢٥ ـ بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين الكاساني (ت ٥٨٧)، دار الكتب العلمية.
٢٦ ـ بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء، ١٤٠٣.
٢٧ ـ البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم (ت ٩٧٠)، تصوير دار الكتاب الإسلامي.

٢٨ ـ البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥)، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠.
٢٩ ـ البداية والنهاية، ابن كثير (ت ٧٧٤)، مكتبة المعارف، بيروت.
٣٠ ـ البدر الطالع، للشوكاني (ت ١٢٥٠)، دار المعرفة، بيروت.
٣١ ـ البراهين الإسلامية في رد الشبهة الفارسية، عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ (ت ١٢٩٣)، مكتبة الهداية، ١٤١٠ ـ ١٩٨٩.
٣٢ ـ البراهين الجلية، للطبطبائي، مؤسسة الوفاء، بيروت.
٣٣ ـ البراهين الساطعة، سلامة القضاعي (ت ١٣٧٦)، مطبعة السعادة.

-ت-

٣٤ ـ تاريخ ابن الوردي (ت ٧٤٩)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧ ـ ١٩٩٦.
٣٥ ـ تاريخ الطبري (ت ٣١٠)، دار المعارف بمصر، ١٣٨٧ ـ ١٩٦٧.
٣٦ ـ تاريخ عجائب الآثار، عبد الرحمن الجبرتي (ت ١٢٣٧)، طبعة دار الجيل، بيروت.
٣٧ ـ تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس، للشيخ عبد اللّه أبا بطين (ت ١٢٨٢)، مؤسسة الرسالة.
٣٨ ـ تأويلات أهل السنة = تفسير الماتريدي (ت ٣٣٣)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٦ ـ ٢٠٠٥.
٣٩ ـ تبيين الحقائق، للزيلعي (ت ٧٦٢)، الطبعة الكبرى الأميرية، القاهرة، ١٣١٤.
٤٠ ـ تجريد التوحيد المفيد، للمقريزي (ت ٨٤٥)، دار الصميعي، الرياض، ٢٠١٥.
٤١ ـ تحفة الطالب والجليس في كشف شبه داود بن جرجيس، عبد اللطيف آل الشيخ (ت ١٢٩٣)، دار العاصمة، ١٤١٠ ـ ١٩٩٠.
٤٢ ـ تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد، للصنعاني (ت ١١٨٢)، مطبعة سفير، الرياض، ١٤٢٤.
٤٣ ـ تفسير ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧)، مكتبة مصطفى الباز، ١٤١٩.

٤٤ ـ تفسير الإيجي «جامع البيان في تفسير القرآن»، محمد الإيجي، (ت ٩٠٥)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤ ـ ٢٠٠٤.
٤٥ ـ تفسير القرآن الحكيم = تفسير المنار، محمد رشيد رضا (ت ١٣٥٤)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠.
٤٦ ـ تفسير القرآن العزيز، لابن أبي زمنين (ت ٣٩٩)، الفاروق الحديثة، القاهرة، ١٤٢٣ ـ ٢٠٠٢.
٤٧ ـ تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (ت ٧٧٤)، دار طيبة، ١٤٢٠ ـ ١٩٩٩.
٤٨ ـ تفسير القرآن، للسمعاني (ت ٤٨٩)، دار الوطن، الرياض، ١٤١٨ ـ ١٩٩٧.
٤٩ ـ تفسير القرآن، من الحجرات إلى الحديد، لابن عثيمين (ت ١٤٢١)، دار الثريا، الرياض، ١٤٢٥ ـ ٢٠٠٤.
٥٠ ـ تفسير مقاتل بن سليمان الأزدي (ت ١٥٠)، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٣.
٥١ ـ تلخيص كتاب الاستغاثة الردِّ على البكري، مكتبة الغرباء الأثرية.
٥٢ ـ تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين، محي الدين ابن النحاس (ت ٨١٤)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧ ـ ١٩٨٧.
٥٣ ـ تيسير العزيز الحميد، سليمان بن عبد اللّه بن محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٣٣)، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٢٣ ـ ٢٠٠٢.
٥٤ ـ تيسير الكريم الرحمن، عبد الرحمن السعدي (ت ١٣٧٦)، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤٢٢ ـ ٢٠٠١.
٥٥ ـ تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، عبد الرحمن السعدي (ت ١٣٧٦)، وزارة الشئون الإسلامية، السعودية، ١٤٢٢.
٥٦ ـ التجريد في إعراب كلمة التوحيد، عليّ القاري (ت ١٠١٤)، المكتب الإسلامي، دار عمار، ١٤١١ ـ ١٩٩١.
٥٧ ـ التحبير شرح التحرير، لعلاء الدين المرداوي (ت ٨٨٥)، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢١ ـ ٢٠٠٠.
٥٨ ـ التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور (ت ١٣٩٣)، الدار التونسية، تونس، ١٩٨٤.

٥٩ ـ التسعينية، ابن تيمية (ت ٧٢٨)، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٢٠ ـ ١٩٩٩.

٦٠ ـ التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جُزَي (ت ٧٤١)، دار طيبة الخضراء، ١٤٣٩ ـ ٢٠١٨.

٦١ ـ التعليق المغني على سنن الدارقطني، مطبوع بذيل السنن، طبعة مؤسسة الرسالة، ١٤٢٤ ـ ٢٠٠٤.

٦٢ ـ التفسير البسيط، للواحدي (ت ٤٦٨)، جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٠.

٦٣ ـ التفسير الوجيز، للواحدي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ١٤١٥.

٦٤ ـ التفسير الوسيط، للواحدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥ ـ ١٩٩٤.

٦٥ ـ التمهيد لشرح كتاب التوحيد، صالح آل الشيخ، دار التوحيد، ١٤٢٣ ـ ٢٠٠٢.

٦٦ ـ التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف ابن عبدالبر النمري القرطبي (ت٤٦٣) تحقيق سعيد أحمد أعراب، الطبعة الغربية ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م.

٦٧ ـ التنديد بمن عدَّد التوحيد، حسن السقاف، دار الامام النووي، ١٤١٣ ـ ١٩٩٢.

٦٨ ـ التوحيد، لابن خزيمة (ت ٣١١)، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٤ ـ ١٩٩٤.

ـج ـ

٦٩ ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن = تفسير الطبري (ت ٣١٠)، دار هجر، ١٤٢٢ ـ ٢٠٠١.

٧٠ ـ جامع المسائل، ابن تيمية (ت ٧٢٨)، دار عطاءات العلم، الرياض، ١٤٤٠ ـ ٢٠١٩.

٧١ ـ جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر (ت ٤٦٣)، دار ابن الجوزي، السعودية، ١٤١٤ ـ ١٩٩٤.

٧٢ ـ جامع كرامات الأولياء، يوسف النبهاني (ت ١٣٥٠)، طبعة أهل سنة بركات الهند، ٢٠٠١.

٧٣ ـ جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية، شمس الدين الأفغاني (ت ١٤٢٠)، دار الصميعي، ١٤١٦ ـ ١٩٩٦.

٧٤ ـ جواب الاعتراضات المصرية على الفتيا الحموية، ابن تيمية (ت ٧٢٨)، دار عطاءات العلم، الرياض، ١٤٤٠ ـ ٢٠١٩.

٧٥ ـ جواهر المعاني التيجاني وبلوغ الأماني في فيض أبي العباس التجاني علي حرازم ابن العربي براده المغربي الفاسي دار الكتب العلمية ١٤١٧ ـ ١٩٩٧

٧٦ ـ حجة اللّه البالغة، ولي اللّه الدهلوي (ت ١١٧٦)، دار الجيل، بيروت، ١٤٢٦ ـ ٢٠٠٥.

٧٧ ـ الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد اللّه القرطبي (ت ٦٧١)، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٨٤ ـ ١٩٦٤.

٧٨ ـ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية (ت ٧٢٨)، دار العاصمة، السعودية، ١٤١٩ ـ ١٩٩٩.

٧٩ ـ الجواهر الحسان في تفسير القرآن، لأبي زيد الثعالبي (ت ٨٧٥) دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٨.

-ح-

٨٠ ـ حلية الأولياء، لأبي نعيم (ت ٤٣٠)، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٩٤ ـ ١٩٧٩.

٨١ ـ حكم اللّه الواحد الأحد في حكم الطلب من الميت المدد، محمد بن سلطان المعصومي (ت ١٣٧٩)، دار منار التوحيد.

٨٢ ـ حواشي الكلنبوي والخلخالي والمرجاني على شرح العقائد العضدية، لجلال الدين الدواني، دار الطباعة العامرة، ١٣١٧.

٨٣ ـ حقيقة توحيد العبادة بين شيخ الإسلام والمتكلمين، عبد الحق التركماني، دار إيلاف الدولية، ١٤٤٣ ـ ٢٠٢٢.

٨٤ ـ الحوادث والبدع، لأبي بكر الطرطوشي المالكي (ت ٥٢٠)، دار ابن الجوزي، ١٤١٩ ـ ١٩٩٨.

-د-

٨٥ ـ درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية (ت ٧٢٨)، جامعة الإمام، ١٤١١ ـ ١٩٩١.

٨٦ ـ دلائل النبوة، للبيهقي (ت ٤٥٨)، دار الكتب العلمية، ١٤٠٨ ـ ١٩٨٨.

٨٧ ـ ديوان أمية بن أبي الصلت، تحقيق د.سجيع جميل الجبيلي، دار صادر، بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

٨٨ ـ ديوان عقود الجواهر المنضدة الحسان، شعر علامة الزمان الشهير سليمان بن سحمان، منشورات مؤسسة الدعوة الإسلامية الصحفية.

٨٩ ـ الداء والدواء، ابن القيم (ت ٧٥١)، دار عطاءات العلم، ١٤٤٠ ـ ٢٠١٩.

٩٠ ـ الدرر السنية في الأجوبة النجدية، جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم (ت ١٣٩٢)، الطبعة السادسة ١٤١٧ ـ ١٩٩٦.

-ذ-

٩١ ـ ذم الكلام وأهله، لأبي إسماعيل الهروي (ت ٤٨١)، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤٢٢ ـ ٢٠٠٢.

-ر-

٩٢ ـ روضة المحبين، ابن القيم (ت ٧٥١)، دار عطاءات العلم، ١٤٤٠ ـ ٢٠١٩.

٩٣ ـ الرد على الإخنائي، ابن تيمية (ت ٧٢٨)، دار الخراز، جدة، ١٤٢٠ ـ ٢٠٠٠.

٩٤ ـ الرد على الزنادقة والجهمية، للإمام أحمد، دار غراس، ١٤٢٦ ـ ٢٠٠٥.

٩٥ ـ الرد على المنطقيين، ابن تيمية (ت ٧٢٨)، مؤسسة الريان، ١٤٢٦ ـ ٢٠٠٥.

٩٦ ـ الرد على بعض المبتدعة من طائفة الوهابية، لمحمد عبد المجيد

٩٧ ـ الرد على شبهات المستعينين بغير اللّه، أحمد بن إبراهيم بن حمد ابن عيسى (ت ١٣٢٧)، مطبعة دار طيبة، الرياض، ١٤٠٩ ـ ١٩٨٩.

-ز-

٩٨ ـ زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي (ت ٥٩٧)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٢.

٩٩ ـ زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم (ت ٧٥١)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٥ ـ ١٩٩٤.

١٠٠ ـ الزاهر في معاني كلمات الناس، لأبي بكر الأنباري (ت ٣٢٨)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٢ ـ ١٩٩٢.

-س-

١٠١ ـ سنن أبي داود (ت ٢٧٥)، دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠ ـ ٢٠٠٩.

١٠٢ ـ سنن ابن ماجه (ت ٢٧٣)، دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠ ـ ٢٠٠٩.

١٠٣ ـ سنن الترمذي، (ت ٢٧٩)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٦.

١٠٤ ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠)، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٢٢ ـ ٢٠٠٢.

١٠٥ ـ سلسلة الأحاديث الضعيفة، محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠)، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٢٥.

١٠٦ ـ سيف اللّه على من كذب على أولياء اللّه، صنع اللّه الحلبي (ت ١١٢٠)، دار الكتاب والسنة، القاهرة، ٢٠٠٧.

١٠٧ ـ السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، للخطيب الشربيني (ت ٩٧٧)، مطبعة بولاق، القاهرة، ١٢٨٥.

١٠٨ ـ السنن الكبير، للبيهقي (ت ٤٥٨)، دار الكتب العلمية، ١٤٢٣ ـ ٢٠٠٣.

١٠٩ ـ السنن الكبرى، للنسائي (ت ٣٠٣)، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١ ـ ٢٠٠١.

١١٠ ـ السياسة الشرعية، ابن تيمية (ت ٧٢٨)، دار عطاءات العلم، الرياض، ١٤٤٠ ـ ٢٠١٩.

١١١ ـ السيرة النبوية، لابن هشام (ت ٢١٣)، شركة الطباعة الفنية المتحدة.

١١٢ ـ السيف المسلول على عابد الرسول، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي، (ت ١٣٩٢)، الطبعة الثانية ١٤١٠ ـ ١٩٩٠.

-ش-

١١٣ ـ شأن الدعاء، لأبي سليمان الخطابي (ت ٣٨٨)، دار الثقافة العربية، ١٤١٢ ـ ١٩٩٢.

١١٤ ـ شرح الطحاوية، لابن أبي العز (ت ٧٩٢)، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٨.

١١٥ ـ شرح الطحاوية، لابن أبي العز (ت ٧٩٢)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٧ ـ ١٩٩٧.

١١٦ ـ شرح الطحاوية، للشيخ صالح آل الشيخ، دار المودة، ١٤٣١ ـ ٢٠١١.

١١٧ ـ شرح المقاصد، لسعد الدين التفتازاني (ت ٧٩٣)، عالم الكتب، ١٤١٩ ـ ١٩٩٨.

١١٨ ـ شرح بلوغ المرام، للشيخ ابن باز (ت ١٤٢٠).

١١٩ ـ شرح صحيح البخاري، لابن بطال (ت ٤٤٩)، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٣ ـ ٢٠٠٣.

١٢٠ ـ شرح مشكل الآثار، لأبي جعفر الطحاوي (ت ٣٢١)، مؤسسة الرسالة، ١٤١٥ ـ ١٩٩٤.

١٢١ ـ شعب الإيمان، للبيهقي (ت ٤٥٨)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١، ٢٠٠٠.

١٢٢ ـ الشرك في القديم والحديث، لأبي بكر محمد زكريا، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢١ ـ ٢٠٠٠.

١٢٣ ـ الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض (ت ٥٤٤)، دار الفيحاء، عمان، ١٤٠٧.

-ص-

١٢٤ ـ صحيح البخاري (ت ٢٥٦) دار ابن كثير، دمشق، ١٤١٤ ـ ١٩٩٣.

١٢٥ ـ صحيح البخاري (ت ٢٥٦)، الطبعة السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ١٣١١.

١٢٦ ـ صحيح مسلم (ت٢٦١)، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٧٤ ـ ١٩٥٥.

١٢٧ ـ صحيح موارد الظمآن، الألباني، دار الصميعي، الرياض، ١٤٢٢ ـ ٢٠٠٢.

١٢٨ ـ صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان، محمد بشير السهسواني (ت ١٣٢٦)، المطبعة السلفية.

١٢٩ ـ الصارم المسلول، ابن تيمية (ت ٧٢٨)، دار رمادي للنشر، ١٤١٧ ـ ١٩٩٧.

١٣٠ ـ الصارم المنكي في الرد على السبكي، ابن عبد الهادي (ت ٧٤٤)، مؤسسة الريان، بيروت، ١٤٢٤ ـ ٢٠٠٣.

١٣١ ـ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧ ـ ١٩٨٧.

١٣٢ ـ الصواعق المرسلة الشهابية، سليمان بن سحمان (ت ١٣٤٩)، دار العاصمة، الرياض.

١٣٣ ـ الصواعق والرعود، عبد اللّه بن داود الزبيري (ت ١٢٢٥)، مكتبة الجابي، ٢٠٢٢.

-ط-

١٣٤ ـ الطبقات الكبرى، للشعراني، دار العلم للجميع.

-ع-

١٣٥ ـ عيون الرسائل والأجوبة على المسائل، عبد اللطيف آل الشيخ (ت ١٢٩٣)، مكتبة الرشد، الرياض.

١٣٦ ـ علماء نجد خلال ثمانية قرون، عبد اللّه بن عبد الرحمن آل بسام، دار العاصمة، الرياض، ١٤١٩.

١٣٧ ـ العبودية، ابن تيمية (ت ٧٢٨)، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٢٦ ـ ٢٠٠٥.

١٣٨ ـ العلو للعلي الغفار، للذهبي (ت ٧٤٨)، مكتبة أضواء السلف، الرياض، ١٤١٦ ـ ١٩٩٥.

١٣٩ ـ العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، محمد أمين الشنقيطي، دار عطاءات العلم، الرياض، ١٤٤١ ـ ٢٠١٩.

١٤٠ ـ العقائد الإسلامية عرض مقارن لأهم موضوعاتها من مصادر السنة والشيعة، إعداد مركز المصطفى للدراسات الإسلامية، برعاية علي السيد السيستاني.

-غ-

١٤١ ـ غاية الأماني في الرد على النبهاني، محمود شكري الآلوسي (ت ١٣٤٢)، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٢ ـ ٢٠٠١.

-ف-

١٤٢ ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢)، المكتبة السلفية، ١٣٩٠.

١٤٣ ـ فتح القدير، للشوكاني (ت ١٢٥٠)، دار الكلم الطيب، دمشق، ١٤١٤.

١٤٤ ـ فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ (ت ١٢٨٥)، مطبعة السنة المحمدية، ١٣٧٧ ـ ١٩٥٧.

١٤٥ ـ فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ (ت ١٢٨٥)، دار الكتب العلمية.

١٤٦ ـ فتح الملك الوهاب في رد شبه المرتاب، عبد اللطيف آل الشيخ، الطبعة الأولى ١٤٢٧ ـ ٢٠٠٦.

١٤٧ ـ فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (ت ١٣٨٩)، مطبعة الحكومة، مكة، ١٣٩٩.

١٤٨ ـ فتاوى اللجنة الدائمة، جمع أحمد الدويش، رئاسة إدارة البحوث والإفتاء، الرياض.

١٤٩ ـ فتح المنان في نقض شبه الضال دحلان، زيد بن محمد آل سليمان (ت ١٣٠٧)، دار التوحيد، ١٤٢٦.

١٥٠ ـ فرقان القرآن، سلامة القضاعي، دار احياء التراث العربي، بيروت.

١٥١ ـ فصوص الحكم، لابن عربي الطائي، دار الكتاب العربي، بيروت.

١٥٢ ـ الفتاوى البزازية، المسمّاة الجامع الوجيز على هامش الفتاوى الهندية، المطبعة الأميرية، ١٣١٠.

١٥٣ ـ الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني، (ت ١٣٥٠)، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء.

١٥٤ ـ الفتوحات المكية، لابن عربي الطائي (ت ٦٣٨)، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث.

١٥٥ ـ الفروع، ابن مفلح (ت ٧٦٣)، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٤ ـ ٢٠٠٣.

-ق-

١٥٦ ـ قواعد الأحكام في إصلاح الأنام، عز الدين بن عبد السلام (ت ٦٦٠)، دار القلم، دمشق، ١٤٢١ ـ ٢٠٠٠.

١٥٧ ـ قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، ابن تيمية (ت ٧٢٨)، دار الإمام أحمد.

١٥٨ ـ القواعد الأربع، محمد بن عبد الوهاب، (ت ١٢٦٠)، وزارة الشؤون الإسلامية، ١٤٢١.

١٥٩ ـ القول السديد شرح كتاب التوحيد، عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت ١٣٧٦)، مجموعة التحف النفائس الدولية، ١٤١٦ ـ ١٩٩٦.

١٦٠ ـ القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح العثيمين (ت ١٤٢١)، دار ابن الجوزي، ١٤٢٤.

-ك-

١٦١ ـ كتاب الروح، ابن القيم (ت ٧٥١)، دار عطاءات العلم، ١٤٤٠ ـ ٢٠١٩.

١٦٢ ـ كشاف القناع عن الإقناع، منصور البهوتي (ت ١٠٥١)، وزارة العدل، السعودية، ١٤٢٩ ـ ٢٠٠٨.

١٦٣ ـ كشف الارتياب، محسن الأمين العاملي، (ت ١٣٧١)، مطبعة ابن زيدون، دمشق، ١٣٤٦.

١٦٤ ـ كشف التنزيل في تحقيق مباحث التأويل = تفسير الحداد، لأبي بكر الحداد اليمني (ت ٨٠٠)، دار المدار الإسلامي، ٢٠٠٣.

١٦٥ ـ كشف الشبهات، محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٠٦)، تحقيق عبد المحسن القاسم، ١٤٤٢ ـ ٢٠٢٠.

١٦٦ ـ كشف الشبهات، محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٠٦)، وزارة الشؤون الإسلامية، السعودية، ١٤١٨.

١٦٧ ـ كلمة الإخلاص وتحقيق معناها، ابن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥)، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٧.

١٦٨ ـ الكافي، للكليني (ت ٣٢٩)، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٤٠٧.

١٦٩ ـ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (ت ٥٣٨)، دار الريان للتراث، القاهرة، ١٤٠٧ ـ ١٩٨٧.

١٧٠ ـ الكشف والبيان عن تفسير القرآن، لأبي إسحاق الثعلبي (ت ٤٢٧)، دار التفسير، جدة، ١٤٣٦ ـ ٢٠١٥.

-ل-

١٧١ ـ لسان العرب، ابن منظور (ت ٧١١)، دار صادر، بيروت، ١٤١٤.

١٧٢ ـ لطائف المنن، للشعراني، طبعة مصطفى البابي الحلبي.

-م-

١٧٣ ـ مجمل اللغة، لابن فارس (ت ٣٩٥)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٦ ـ ١٩٨٦.

١٧٤ ـ مجموع الفتاوى، ابن تيمية (ت ٧٢٨)، مجمع الملك فهد، المدينة المنورة، ١٤٢٥ ـ ٢٠٠٤.

١٧٥ ـ مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، عبد العزيز بن باز (ت ١٤٢٠) رئاسة إدارة البحوث والافتاء.

١٧٦ ـ مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٠٦)، جامعة الامام، الرياض.

١٧٧ ـ مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، طبعة المنار، مصر، ١٣٤٩.

١٧٨ ـ مجموعة الرسائل والمسائل والفتاوى، حمد بن ناصر (ت ١٢٢٥)، دار ثقيف، الطائف، ١٣٨٩.

١٧٩ ـ مجموعة القصائد الزهديات، للشيخ عبد العزيز السلمان الطبعة الأولى، ١٤٠٩.

١٨٠ ـ محاسن التأويل = تفسير القاسمي، جمال الدين القاسمي (ت ١٣٣٢)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨.

١٨١ ـ مختصر الفتاوى المصرية، محمد بن علي البعلي (ت ٧٧٨)، دار ركائز، الكويت، ١٤٤٠ ـ ٢٠١٩.

١٨٢ ـ مدارج السالكين، ابن القيم (ت ٧٥١)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٦ ـ ١٩٩٦.

١٨٣ ـ مدارج السالكين، ابن القيم (ت ٧٥١)، دار عطاءات العلم، ١٤٤٠ ـ ٢٠١٩.

١٨٤ ـ مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار، لمولى عبد اللطيف الكازراني.
١٨٥ ـ مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، لابن فضل اللّه العمري، (ت ٧٤٩)، طبعة المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٤٢٣.
١٨٦ ـ مسند أبي يعلى (ت ٣٠٧)، دار المأمون للتراث، دمشق، ١٤٠٤ ـ ١٩٨٤.
١٨٧ ـ مسند الإمام أحمد (ت ٢٤١)، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١ ـ ٢٠٠١.
١٨٨ ـ مسند البزار (ت ٢٩٢)، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ٢٠٠٩.
١٨٩ ـ مصباح الظلام في الرد على من كذب الشيخ الإمام، عبد اللطيف آل الشيخ (ت ١٢٩٣)، وزارة الشؤون الإسلامية، ١٤٢٤ ـ ٢٠٠٣.
١٩٠ ـ مصنف ابن أبي شيبة (٢٣٥)، دار كنوز اشبيليا، الرياض، ١٤٣٦ ـ ٢٠١٥.
١٩١ ـ مصنف عبد الرزاق الصنعاني (ت ٢١١)، الكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣ ـ ١٩٨٣.
١٩٢ ـ مطالب أولي النهى، مصطفى بن سعد الرحيباني، (ت ١٢٤٣)، المكتب الإسلامي، ١٤١٥ ـ ١٩٩٤.
١٩٣ ـ معارج القبول بشرح سلم الوصول، حافظ الحكمي (ت ١٣٧٧)، دار ابن القيم، الدمام، ١٤١٠ ـ ١٩٩٠.
١٩٤ ـ معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي (ت ٥١٠)، دار طيبة، ١٤١٧ ـ ١٩٩٧.
١٩٥ ـ معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي (ت ٥١٠)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠.
١٩٦ ـ معاني القرآن للفراء (ت ٢٠٧)، دار عالم الكتب، ١٤٠٣ ـ ١٩٨٣.
١٩٧ ـ مفاتيح الغيب = التفسير الكبير = تفسير الرازي (ت ٦٠٦)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠.
١٩٨ ـ مفتاح دار السعادة، ابن القيم (ت ٧٥١)، دار عطاءات العلم، ١٤٤٠ ـ ٢٠١٩.
١٩٩ ـ مقالات الكوثري، محمد زاهد الكوثري (ت ١٣٧١)، المكتبة التوفيقية، مصر.
٢٠٠ ـ مقاييس اللغة، ابن فارس (ت ٣٩٥)، دار الفكر، ١٣٩٩ ـ ١٩٧٩.
٢٠١ ـ منار السبيل في شرح الدليل، ابن ضويان (ت ١٣٥٣)، المكتب الإسلامي، ١٤٠٩ ـ ١٩٨٩.

٢٠٢ ـ منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس، عبد اللطيف آل الشيخ، دار الهداية.

٢٠٣ ـ منهاج السنة النبوية، ابن تيمية (ت ٧٢٨)، جامعة الإمام، الرياض، ١٤٠٦ ـ ١٩٨٦.

٢٠٤ ـ موسوعة التفسير بالمأثور، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٣٩ ـ ٢٠١٧.

٢٠٥ ـ موسوعة فقه القلوب، محمد بن عبد اللّه التويجري، بيت الأفكار الدولية.

٢٠٦ ـ الموطأ، للإمام مالك بن أنس (ت ١٧٩)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٦ ـ ١٩٨٥.

٢٠٧ ـ المبدع في شرح المقنع، ابن مفلح، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨ ـ ١٩٩٧.

٢٠٨ ـ المجموع شرح المهذب، لأبي زكريا النووي (ت ٦٧٦)، إدارة الطباعة المنيرية، القاهرة، ١٣٤٧.

٢٠٩ ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الاندلسي (ت ٥٤٢)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢.

٢١٠ ـ المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد اللّه الحاكم (ت ٤٠٥)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١ ـ ١٩٩٠.

٢١١ ـ المسند الصحيح المخرج على صحيح مسلم = مستخرج أبي عوانة (ت ٣١٦)، الجامعة الإسلامية، ١٤٣٨ ـ ٢٠١٦.

٢١٢ ـ المسند الصحيح على التقاسيم والأنواع = صحيح ابن حبان (ت ٣٥٤)، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٣٣ ـ ٢٠١٢.

٢١٣ ـ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي (ت ٧٧٠)، المكتبة العلمية، بيروت.

٢١٤ ـ المعارف، لابن قتيبة (ت ٢٧٦)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢.

٢١٥ ـ المعجم الأوسط، للطبراني (ت ٣٦٠)، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥ ـ ١٩٩٥.

٢١٦ ـ المعجم الكبير، للطبراني (ت ٣٦٠)، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

٢١٧ ـ المقتفي على كتاب الروضتين، لعلم الدين البرزالي (ت ٧٣٩)، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٧ ـ ٢٠٠٦.
٢١٨ ـ الملل والنحل، للشهرستاني (ت ٥٤٨)، مؤسسة الحلبي.
٢١٩ ـ المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي (ت ٦٧٦)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٢.
٢٢٠ ـ المنهج المطهر للجسم والفؤاد من سوء الظن بأحد من العباد، عبد الوهاب الشعراني (ت ٩٧٣)، دار الإحسان، القاهرة، ١٤٤٤ ـ ٢٠٢٢.

-ن-

٢٢١ ـ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم البقاعي (ت ٨٨٥)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
٢٢٢ ـ نونية ابن القيم الكافية الشافية، ابن القيم (ت ٧٥١)، دار عطاءات العلم، ١٤٤٠ ـ ٢٠١٩.
٢٢٣ ـ نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار، للشوكاني (ت ١٢٥٠)، طبعة دار ابن الجوزي، ١٤٢٧.
٢٢٤ ـ النظرات، لمصطفى لطفي المنفلوطي (ت ١٣٤٣).
٢٢٥ ـ النفحات الأقدسية في شرح الصلوات الأحمدية الإدريسية، محمد بهاء الدين البيطار (ت ١٣١٤)، دار الجيل، بيروت.
٢٢٦ ـ النكت والعيون = تفسير الماوردي، (ت ٤٥٠)، دار الكتب العلمية، بيروت.

-هـ-

٢٢٧ ـ هذه مفاهيمنا، صالح آل الشيخ، طبعة إدارة المساجد والمشاريع الخيرية، الرياض، ١٤٢٢ ـ ٢٠٠١.
٢٢٨ ـ الهداية الى بلوغ النهاية، مكي بن طالب (ت ٤٣٧)، كلية الشريعة جامعة الشارقة، ١٤٢٩ ـ ٢٠٠٨.

❊ ❊ ❊



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة
١١- اعترف الكاتب بأن لابن تيمية نصوصًا أخرى تدل على أن الشرك يكون في العبادة ولو لم يقع شرك في الربوبية	٣٦٥
١٢- جعل الكاتب كلام ابن تيمية هو المعوَّل عليه	٣٦٥
١٣- زعم الكاتب أن ابن تيمية متناقض، وأنه تراجع عن القول بوجود الشرك في العبادة	٣٦٥
الرد على احتجاج الكاتب بواقعة حصلت لابن تيمية حكاها البرزالي	٣٦٥
فأولًا: الحجة في العقائد والعبادات بالأدلة الشرعية	٣٦٦
ثانيًا: ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ وسائر أهل العلم يفرقون بين استغاثة العبادة التي لا تكون إلا للّه تعالى، وبين الاستغاثة بالمخلوق الحي الحاضر فيما يقدر عليه	٣٦٦
ثالثًا: ليس في هذا النص الذي حكاه البرزالي عن ابن تيمية تجويز الاستغاثة بالنبي ﷺ	٣٦٦
رابعًا: هذه الشبهة حكاها قبل الكاتب رجل يُدْعى (حسن السقاف)	٣٦٧
خامسًا: ما في كتب ابن تيمية التي بعد الواقعة المذكورة يناقض دعوى الكاتب	٣٦٨
طريقة ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في حث السلطان والأمراء على التوحيد وتحذيرهم من الشرك باللّه	٣٦٩
سادسًا: الكاتب يقول في حكم الاستغاثة التي بمعنى العبادة لغير اللّه: إنها شرك باللّه عند كل الأمة	٣٧٢
مشابهة دعاة الشرك لحال السامري	٣٧٢
إبطال اللّه تعالى للشرك في عبادته في سورة الأنبياء	٣٧٣
نقض شبهات: المبحث الثالث: النصوص الدالة على أن شرك المشركين كان في الربوبية مع شركهم في العبادة	٣٧٦-٤١٥

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

* * *

صدر للمؤلف

١ ـ نشأة بدع الصوفية.

٢ ـ تأثر الخوارج المعاصرين بأصول الخوارج المتقدمين.

٣ ـ المراد بإيمان المشركين وتصديقهم باللّه في ضوء قول اللّه تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾.

٤ ـ خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، دراسة وتحقيقاً.

٥ ـ مسائل العقيدة في سنن الترمذي، القسم الأول (الإيمان باللّه والملائكة والكتب والرسل).

٦ ـ وجوب إحسان الظن باللّه والتحذير من اليأس والقنوط.

٧ ـ أثر اتباع منهج السلف في تحقيق الأمن.

٨ ـ الجناية على الإسلام في كتاب أسئلة الثورة، تقديم الشيخ صالح بن فوزان الفوزان.

٩ ـ زينة الإيمان.

١٠ ـ مراتب أهل التوحيد والإيمان.

١١ ـ المسالك الاحتجاجية في الرد على النصارى من خلال رسالة الحسن بن أيوب.